

# الرومانسية

تحرير: مارشال براون

ترجمة: إبراهيم فتحى

لميس النقاش

مراجعة وتقديم: إبراهيم فتحى

المشرف العام: جابر عصفور

1730



تقدم موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي عرضاً تاريخياً شاملاً للنقد الأدبي الغربي منذ العصور الكلاسيكية القديمة إلى وقتنا الحالي. تتناول الموسوعة النقد نظرية وممارسة، طامحة إلى أن تكون عملاً مرجعياً لا مجرد سجل للوقائع. وتعرض الموسوعة القضايا الخلافية المطروحة في الجدل القائم في الساحة النقدية دون إحجام أو ادعاء كاذب بالحياد، مع حرصها على ألا تتحيز لهذا الفريق أو ذاك.

ويشكل كل جزء من أجزاء الموسوعة وحدة قائمة بذاتها يمكن الاستفادة منها على حدة أو مع الأجزاء الأخرى من السلسلة. وتتيح قائمة المصادر والمراجع الوفيرة في نهاية كل جزء أساساً لمزيد من التعرف على المواضيع المطروحة ودرسها.

موسوعة كمبريدج فى النقد الأدبى

المجلد الخامس

الرومانسية

المركز القومي للترجمة  
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور  
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 1730
- موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي (المجلد الخامس): الرومانسية
- مارشال براون
- إبراهيم فتحى، ولميس النقاش
- إبراهيم فتحى
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

The Cambridge History of Literary Criticism-

Volume 5: Romanticism

Edited by: Marshall Brown

Copyright © Cambridge University Press, 2000

First published by the Press Syndicate of the University of Cambridge

Arabic Translation © National Center for Translation, 2016

All Rights Reserved

---

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org

Tel: 27354524

Fax: 27354554



# موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي

المجلد الخامس

الرومانسية

تحرير: مارشال براون

ترجمة: إبراهيم فتحي

لميس النقاش

مراجعة وتقديم: إبراهيم فتحي

المشرف العام: جابر عصفور



2016

بطاقة الفهرسة  
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشئون الفنية

موسوعة كمبريدج فى النقد الأدبى (مج ٥) الرومانسية،  
تحرير: مارشال براون؛ ترجمة: إبراهيم فتحى، لميس  
النقاش؛ مراجعة وتقديم: إبراهيم فتحى.

ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠١٦

٧٠٨ ص ، ٢٤ سم

١ - الألب - تاريخ ونقد

( أ ) براون، مارشال (محرر)

(ب) فتحى، إبراهيم (مترجم)

(ج) النقاش، لميس (مترجم مشارك)

( د ) فتحى، إبراهيم (مراجع ومقدم)

٨٠٩

( هـ ) العنوان

رقم الإيداع ٧٨٩٩ / ٢٠١٦

التقييم الدولى : I.S.B.N 978-977-92-0611-0

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب  
الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى  
اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

## المحتويات

7	تقديم المراجع: الأوجه المتعددة للرومانسيات.....
29	مقدمة، بقلم: مارشال براون/ ترجمة: إبراهيم فتحى.....
	الفصل الأول: المقاييس الكلاسيكية فى الفترة الرومانسية،
37	بقلم: بول هـ. فراى/ ترجمة: إبراهيم فتحى.....
	الفصل الثانى: التجديد والتحديث، بقلم: ألفردو دى باز/
73	ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل الثالث: الثورة الفرنسية، بقلم: ديفيد سيمبسون/
103	ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل الرابع: الفلسفة الترانسندنتالية والنقد الرومانسى،
139	بقلم: ديفيد سيمبسون/ ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل الخامس: الطبيعة، بقلم: هيلموت ج. شنايدر/
171	ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل السادس: النماذج العلمية، بقلم: جول بلاك/
207	ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل السابع: الدين والأدب، بقلم: إى. إس. شافر/
245	ترجمة: إبراهيم فتحى.....
	الفصل الثامن: نظرية اللغة وفن الفهم، بقلم: كورت مولر فولمر/
285	ترجمة: إبراهيم فتحى.....

	الفصل التاسع: تحويل البلاغة، بقلم: ديفيد ويلبيرى/
319	ترجمة: إبراهيم فتحى.....
	الفصل العاشر: المفارقة الرومانسية، بقلم: جارى هاندورك/
345	ترجمة: إبراهيم فتحى.....
	الفصل الحادى عشر: نظريات النوع الأدبى، بقلم: تيلوتاما راجان/
383	ترجمة: إبراهيم فتحى، ولميس النقاش.....
	الفصل الثانى عشر: نظرية الرواية، بقلم: مارشال براون/
421	ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل الثالث عشر: أثر شكسبير، بقلم: جوناثان أراك/
457	ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل الرابع عشر: مهنة النقد وأزمة جمهورية الأدب،
493	بقلم: جون كلانشر/ ترجمة: إبراهيم فتحى.....
	الفصل الخامس عشر: المرأة والنوع الاجتماعى والنقد الأدبى،
521	بقلم: تيريزا م. كيلي/ ترجمة: إبراهيم فتحى، ولميس النقاش.....
	الفصل السادس عشر: التاريخ الأدبى والمذهب التاريخى،
549	بقلم: ديفيد بيركينز/ ترجمة: لميس النقاش.....
	الفصل السابع عشر: الأدب والفنون الأخرى،
587	بقلم: هيربرت ليندنبرجر/ ترجمة: لميس النقاش.....
627	- بيليو جرافيا.....
689	- ثبت المصطلحات.....

## تقديم المراجع

### الأوجه المتعددة للرومانسيات

لا يحظى مصطلح الرومانسية بترحيب يذكر فى حاضر النقد الأدبى على المستوى العالمى. ويردد الكثير من النقاد المعاصرين أصداء هجوم إليوت ومدرسة النقد الجديد "الأفلة" على نظرية التعبير الرومانسية. فلم يعد للشاعر شخصية يعبر عنها، بل أمامه وسيط خاص ولديه حرفة لغوية لكى تتجمع الانطباعات والتجارب بطرق متميزة وغير متوقعة. فعلى العكس من الرومانسية تذهب النزعة اللاشخصية فى الشعر إلى أن انطباعات وتجارب مهمة للإنسان قد لا تأخذ أى مكان فى قصيدة ما، بالإضافة إلى أن تلك الانطباعات والتجارب التى تصير مهمة فى الشعر، قد يمكن إهمال دورها تمامًا لدى الإنسان الشاعر وشخصيته، كما أن الشعور أو العاطفة أو الرؤية الناجمة عن القصيدة تختلف كلها عن نظائرها فى ذهن الشاعر أو بيانات سيرته الذاتية، فلم يعد الشعر كما كان عند الرومانسية تعبيرًا خياليًا عن عاطفة ذاتية مشبوبة.

وعند بعض النقاد الذين يرون ذلك، يعود مصطلح الرومانسية ليعنى تعبيرًا ازدرائيًا، وإن يكن لأسباب مختلفة كما كان حتى منتصف القرن السابع عشر. لقد كان يضم تحت جناحيه كل ما هو غير واقعى، أو ما كان مسرفًا فى نزعه العاطفية أو الخيالية مبتعدًا عن المعقولة الطبيعية؛ لكى يروق لأوسع جمهور من الشباب والنساء. وفى الحقيقة لقد مر تاريخ المصطلح كما يمر تعريفه الحاضر فى التاريخ الأدبى ومدارسه المختلفة، بتعقيدات واختلافات شتى تجعله بعيدًا عن البساطة الظاهرية. والكتاب الحالى يناقش الرومانسية من جميع أوجهها؛ فالكلمة مشتقة لغويًا من الإشارة إلى نوع "الرومانس" القديم، وهو سرد كان بالشعر ثم سمح أن يكون نثرًا، ولا يعتمد على وقائع تاريخية بل يوغل فى الخيال بالكامل. وحكاياته تدور حول



مغامرات تتصف ببطولات الفروسية أو بجسارة فى سبيل حب يتسم بالطهر والنبيل والشهامة. ولغة هذا السرد لم تكن اللغة اللاتينية الرسمية بل كانت إحدى اللغات المحلية المشتقة منها (الإيطالية أو الفرنسية أو الإسبانية...) وهى لغات محكية تسميها لاتينية العصر الوسيط الألسنة الرومانسية Romanices. وكانت أعمال الرومانس هذه ترويحية، تأخذ متلقيها بعيداً عن اليومى والمألوف، (وأبرز أمثلتها فى عصر النهضة رومانسات أريوستو Ariosto وتاسو Tasso)

وبطبيعة الحال كان أعظم ازدياد تعرضت له تلك الرومانسات بما فيها من عناصر متاثرة قائمة على الخيال (الوهمى) والعواطف الجامحة الهوجاء، قد حدث فى عصر أطلق عليه عصر سيادة العقل والحقيقة، أو عصر الكلاسيكية المحدثة. فقد أمتست الرومانسية ومشتقاتها تعنى ما هو خرافى باطل المعنى مبهم الطنين أو ما هو طفلى طائش.

ولكن الحال تغير مع أفول الكلاسيكية الجديدة، بأسلوبها الفخم الذى يدعى المحافظة على قواعد جمالية أزلية تتصف بالطابع الشكلى، ولا تخاطب إلا نخبة ضئيلة العدد. وكان اضمحلال سيطرة الكلاسيكية الجديدة متمشياً مع بروز طبقة جديدة وسطى (بورجوازية) وتعاضم دورها، ودور جمهورها الواسع نسبياً من القراء المشتريين للأعمال الأدبية فى إضعاف سيطرة رعاة الأدب المنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية، وكان المناخ العقلى ملائماً للتحرر من الالتزامات والقيود التقليدية، وبعث الحياة فى المبدأ الدينامى الطليق: "دعه يعمل، دعه يمر"، وإضعاف المبدأ السكونى النمطى. ويرجع بعض الدارسين تعاضم ذاتية الشعراء والكتاب فى منتصف القرن الثامن عشر إلى اعتمادهم المباشر على سوق الكتب وتنافسهم فيما بينهم؛ فلم تعد الطبقة الوسطى ككل تسعى كما كانت من قبل إلى استعارة نظرة الطبقة الأعلى ووسائلها فى جميع المجالات؛ فقد بلغت من الثراء والقوة والوعى درجة تتيح لها أن تخلق عالمها ورؤيتها وأدبها فى مواجهة القوى المحافظة وقيودها. كما وجدت

الحساسية الوجدانية وأسلوبها الجديد، جمهورها الملائم الجديد كما يدلل أرنولد هاوزر صاحب النزعة الفردية. إن مبدأ المنافسة الحرة وحق الابتكار الشخصى فى مجال الاقتصاد يوازى فى المجال الأدبى نزوع المبدع إلى التعبير عن مشاعره الذاتية. ولكن هذا التوازى ليس مجرد انعكاس، أو معطوياً لعلّة من مجال الاقتصاد؛ فقد كانت ذاتية الكتاب والشعراء فى ذلك الوقت تحتج على آلية اقتصاد السوق، وعلى طبيعته التى تحول البشر إلى سلع، وعلى نزعة النفعية الجشعة التى تخضع كل المستويات الإنسانية لحساباتها الهادفة إلى الربح، وعلى إيقاعه السريع المضطرب لتحقيق ذلك.

وهناك مصطلح الرومانسية المسبقة الذى قد يشير إلى عدد من البدايات الأدبية الفردية التى ترفض الكلاسيكية المحدثّة (كما تقول ليليان ر. فرست Lillian R. Furst - الرومانسية - موسوعة المصطلح النقدى. ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة) بما تمثله من قواعد بليدة وأناقة سطحية نمطية. وتفنقر هذه الرومانسية المسبقة إلى منهج كلى يناوئ المنهج القديم ونظامه الفكرى، فهى تتصف بالعرضية والتشتت بين أفراد البدايات، دون تكوين جهد مشترك منسجم. ففىما بين عامى ١٧٤٠ - ١٧٨٠ تتمثل الرومانسية المسبقة فى أعمال روسو (أيلويز الجديدة) ويريفوست (مانون ليسكو) وجوته الشاب (الأم فرتر). وهناك كذلك الأمثلة الإنجليزية الأكثر عدداً عند ريتشاردسون (باميليا وكلايسا هارلو) وجولد سميث (أسقف ويكفيلد) وستيرن (رحلة عاطفية). وترى ليليان فرست أن هناك بعض العناصر المشتركة فى الأعمال المتباينة؛ وهى توكيد ما هو طبيعى ضد ما هو عقلانى، وتوكيد التلقائى لياخذ مكان المحسوب، والحرية لتكون بديلاً عن الخضوع لنسق، وهى حرية أدت بدلا من العناصر المشتركة إلى تنوع محير. فهل يودى ذلك كما ذهب الباحثة ليليان فرست إلى اعتبار الرومانسية المسبقة عصر الحساسية مقابل عصر العقل؛ أى سمات مشتركة لعصر يسبق عصر الرومانسية؟ ربما لم يكن إزاء عصر يتصف بماهية أو جوهر متجانس موحد، بل أمام مجرد شبه عائلى، وهو اشتراك فى بعض الصفات

العامة، واختلاف فى بعضها الآخر دون تماثل، كما هو الحال مع أفراد العائلة الواحدة المتميزين، رغم التشابه فى بعض الملامح فحسب (مصطلح التشابه العائلى لا التماثل الجوهري كما قدمه لودفيج فتجنشتاين فى الفلسفة). وتلك الحساسية أو استدارة القلب الحساس إلى الداخل، ليتأمل ذاته فيشعر بحزنه ويتقجع على مصير الإنسان، لا تنتمى إلى مسارات ثقافية شاملة، بل إلى حياة الفرد الإنسانى وهو يبحث عن ذاته بإحساس حر فطرى بالطبيعة، كما يبحث عن تكيفه مع قيود العالم. وهذه الفاعلية لأبد أن تنهض أمامها العقبات؛ فالحياة الفردية بطبيعتها مع مرور الزمان تعاني من إحباطات السعادة وعدم إشباع الرغبات. وذلك ليس سقمًا أو وهنًا خاصًا بفترة أو عصر معين، بل يتعلق بالوضع البشرى ومصير كل فرد إنسانى فى طريقه الحتمى من المهد إلى اللحد، من الإشرار إلى الغروب. وتضيف الباحثة إلى بعض ملامح الرومانسية المسبقة انتقال التعبير عن الطبيعة والمجتمع البدائى البسيط من نظرة ميكانيكية إلى نظرة عضوية. فماذا بقى للرومانسية دون أن تكون مسبقة؟ حقًا إنها ترى أن الرومانسية المسبقة تميل إلى توكيد الصفات الطبيعية والثقافية والبدائية والنظرة العضوية، ولكن ما يميزها عن الرومانسية الناضجة إن صح التعبير هو أن الخيال لم يصل فيها إلى المقدمة (حتى وجود العالم وشكله يعتمدان كل الاعتماد على نظرة الخيال الفردى كما يذهب فخته).

وقد اتجه بعض الباحثين إلى محاولة تبرير ذائقة خاصة لهذا التعبير المتميز، تواجه المعايير والقواعد الكلاسيكية الجديدة، أو تواجه التقاليد السائدة دون بروز مواجهة محددة دقيقة بين الرومانسية والكلاسيكية الجديدة، وكان معنًا فى القرن الثامن عشر القول بتقابل أقدم يرجع إلى القرن السابع عشر، فى المدة ما بين ١٦٨٧ - ١٧١٦ هو التقابل بين القدامى والمحدثين. فقد بدأ وعى جديد فى البروز، وعى يكاد يكون قومياً ينادى بنهضة الآداب المحلية المكتوبة بلغاتها الرومانسية (الإيطالية والفرنسية والأسبانية) وتفوقها على الآداب المقيدة بمحاكاة اليونان والرومان.

## قراءة رينية ويليك لتاريخ مصطلح الرومانسية:

وقد يرجع تفوق المحدثين إلى تخلصهم من الوثنية وإيمانهم بالنور المسيحى وسيرهم فى طريق التقدم العلمى والفكرى. وقد صاحب ذلك - نتيجة للعوامل الاجتماعية - تحرر الفرد من القيود الإقطاعية، وإمكان التعبير باستفاضة عن الذاتية عند المعاصرين، وهو ما لا تتسع له معايير القدامى إلا بتكلف واصطناع. وبعد أن ساد التقابل بين القدامى والمحدثين تفرع عنه تقابل بين الأدب الرفيع مصطنع القواعد والموجه إلى الخاصة قليلة العدد، والأدب التلقائى الطبيعى الشعبى: تقابل شعر شكسبير المتحرر من القواعد، وشعر التراجيديات الفرنسية. ودخل هذا الاستعمال لتعبير الرومانسى بقوميته وتحرره وشعبيته إلى ألمانيا، ليشير إلى أسلوب ومشاعر وشخصيات وأشعار يطلق عليها جميعاً نعت الرومانسية. وبذلك اتسع الاستعمال ليشمل شكسبير وسرفانتس وكالديرون ( *Dictionary of the History of Ideas* ) Vol . IV. p.188 (قاموس تاريخ الأفكار) وكان هذا النعت يعنى كل الأدب المكتوب خارج التقليد الموروث من العصر الكلاسيكى القديم.

وذلك التصور العريض ظل دون إنضاج دقيق للتضاد بين الكلاسيكى والرومانسى واعتمد على ملامح عائلية متفرقة فحسب. وجاء فريدريك شيللر (١٧٥٩ - ١٨٠٥)، ليقدم تمييزاً بين الشعر الساذج والعاطفى فى مقال شهير له. وقد ارتكزت حفته على أن عصور الشعر وأنماطه تعتمد على اختلاف العلاقات بين الطبيعة والحرية. ففى العصر الأركادى (المثالى اليونانى) كانت الطبيعة والحرية فى انسجام بدائى، وكان الناس يسلكون سلوكاً أخلاقياً (ما أقل ما كان يعرفه شيللر عن أخلاقيات مجتمع العبودية والشذوذ الجنىسى الذى يحتقر المرأة فى أثينا) بواسطة غريزة لا شعورية، لذلك كان الشعر ساذجاً (قطرياً؟). أما الشعر الحديث فإنه يعانى من إحساس بصراع بين الطبيعة والحرية، بين الواقعى والمثالى، ويعمل على مصالحة

توفق بينهما؛ لذلك يكون الشعر عاطفياً. أمّا حينما يجيء العصر الفردوسى (*Elysian age*) "القادم"، عندما يتم استعادة الانسجام سيكون الشعر الحديث ساذجاً وعاطفياً فى الوقت نفسه. وشيللر يستعمل الساذج والعاطفى بطريقة تختلف عن الاستعمال الشائع الآن؛ فمعنى الساذج عنده يقترب من المباشر دون وسيط (الفطرى) ومعنى العاطفى عنده يقترب من المتأمل لذاته لكى يعود إلى طبيعته.

(*Art in Theory 1648 – 1815. An Anthology of Changing Ideas*, Edited by Charles

Harrison, Paul Wood and Jason Gaiger, Black well Publishers pp. 804-812)

وقد يظهر مقال شيللر كأنه يكرر موضوعات معركة القدامى والمحدثين الفرنسية، بيد أن الكلاسيكية الألمانية تميزت عن كلاسيكية فرنسا القرن السابع عشر بتوجهها نحو رؤية مثالية لليونان القديمة بدلاً من روما، وترى فى اليونان فكرة التآلف (الانسجام) المثالى والبساطة قبل انقسامات العصر الحديث، وبعد ذلك كانت قيم روما الجمهورية تستدعى لتدعيم قيم فرنسا بعد الثورة، ولم يستمر التمسك بقيم اليونان القديمة المثالية المتخيلة إلا كتحد للمجتمع الحديث، مجتمع السوق والربح. وعلى الرغم من أن تمييز شيللر بين الساذج والعاطفى يبدأ كتعارض بين مرحلتين تاريخيتين مختلفتين، فإن مقاله يوحى بالتعرف على هاتين الموقولتين باعتبارهما تنتميان إلى نمطين سيكولوجيين مختلفين. ويعتقد شيللر أنه قد التقى فى جوته بالشاعر الساذج للعصر الحديث، الموهوب بقدرة حدسية على استيعاب الوحدة الأساسية تحت أى انقسامات وصراعات. كما أن شيللر على العكس من ذلك رأى فى نفسه شاعرًا عاطفيًا راسخًا مرغماً على قطع مسار الفلسفة والتفكير لكى يعود إلى الطبيعة والفن. فالفن الحديث عند شيللر هو سعى نحو تركيب مثالى من الذهن والشعور، وذلك أمر فى طبيعته ذاتها غير قابل للتحقق، ولكنه شئ أعلى مما كان فى السابق كاملاً ساذجاً (فطرياً) ولا سبيل إلى استرجاعه. فالانسجام بين الإنسان والطبيعة كان قد وجد رموزه الملائمة فى الأساطير الوثنية اليونانية، فعندما كانت



الطبيعة سوية محكمة داخل الإنسان استطاع النظر إليها خارجه ببساطة ودون تلاعب. ولكن في العصر الحديث بعد أن صارت الطبيعة داخل الإنسان لا تعمل بالطريقة السوية صار ينظر إلى الطبيعة خارجه عبر إسقاطات حنين تغرس فيها وميضاً من شخصيته الملتاعة المشتاقة. فالفرد في مجتمع السوق الحديث يمتلئ بمشاعر الوحدة المغترية الغارقة في العزلة داخل تقسيم العمل، منحصرًا في دائرة ضيقة خاصة، عاجزًا عن تحقيق إمكاناته المقموعة بمقدار عجزه عن التواصل والتضامن مع الآخرين؛ ولذلك يواجه الأدب المعاصر مشكلة الذات التي تحس بأنها تكاد تفقد الصلة بواقعها في كون يبدو غريبًا معاديًا، لتسحب إلى مجاهلها الداخلية التي لا تمتلك نموذجًا لوحدها. وهكذا يصير فقدان الإشباع والتوق الدائم الذي صاحبه هو المجاز غير المحكم لبدايات أدب المحدثين. وهنا لم يعد تعبير الرومانسي ازدرائيًا كما كان؛ فقد اكتسب في القرن الثامن عشر أرضًا رحبة وأصبح صفة تبجيلية لأدب المحدثين.

### عودة إلى رينيه ويليك

ردد فريدريك شليجل في ألمانيا أصداء أفكار شيللر في التضاد بين نمطين من الشعر وإن تكن ملتبسة مثيرة للجدل. وإن يكن هذا التضاد عند شيللر ليس مطابقًا كل التطابق للتضاد عند فريدريك شليجل (١٧٥٩ - ١٨٠٥) منظر الرومانسية وشقيقه أوجست شليجل ١٧٦٧ - ١٨٤٥ المنظر الآخر لها، الذي كان أول من صاغ التضاد الشهير بين الكلاسيكي والرومانسي، باعتباره التضاد بين شعر العصر القديم والشعر الحديث. أما فريدريك شليجل فهو أول من رسخ مصطلح رومانسي في السياقات الأدبية، فما هو رومانسي عنده يصور مسألة عاطفية في شكل متخيل. وقد ربط أوجست شليجل الرومانسي مع التقدمي والمسيحي، ورسم تاريخًا للأدب الرومانسي يبدأ بمناقشة أساطير معينة من العصور الوسطى وينتهي بمراجعة نقدية

لشعر عصر النهضة الإيطالي عند دانتي وبترارك وبوكاشيو الذين يصفهم بأنهم مؤسسو الأدب الرومانسي الحديث. ويعرف أوجست شليجل جيداً أن هؤلاء الثلاثة يعجبون صراحةً بأشعار العصر الكلاسيكي ولكنه يدلل على أن الشكل والتعبير عندهم مختلفان بالكامل عن نظيريهما في العصر الكلاسيكي؛ فهم لم يحلوا مجرد حلم بالاحتفاظ بأشكال العصر الأقدم في البنية والتأليف، والتفرقة الجازمة بين الرومانسي والكلاسيكي في وضوحهما الدقيق عند أوجست شليجل رائد هذا التضاد - كما يقول رينيه ويليك René Wellek المشارك في قاموس تاريخ الأفكار (مصدر سابق) مرتبطة بأنواع أخرى من التضاد؛ أبرزها التضاد بين العضوى والميكانيكى (العضوى الحى وحدته الداخلية بين أعضائه أساسية، مقابل التجميع الخارجى للأجزاء، والفرق بين الإبداعية المنتجة الحيوية والموهبة الميكانيكية للإضافات، وبين الوحدة العضوية حيث لا يفصل الشكل عن المضمون، ولا يتحدد أحدهما باستقلال عن الآخر، وحيث توجد القوة التوحيدية بين أعضاء لا حياة لها باستقلال عن الكل الموحد وافتقار تلك القوة التوحيدية).

وكذلك التضاد بين فتان المنظر البصرى بانفساحه Picturesque والقادر على التجسيم النحتى Plastic. وهنا توضع الدراما الرومانسية عند شكسبير وكالديرون، شعر الرغبة اللامتناهية، فى تضاد مع شعر الاكتمال المتناهى.

وقد انتشر هذا المعنى الفضايف لمصطلح الرومانسية، وانتشرت كتابات أوجست شليجل خارج ألمانيا، سواء فى العالم اللاتينى أو فى إنجلترا والولايات المتحدة. وكان دور التوسط فى انتشاره ونقله خارج ألمانيا راجعاً إلى مدام دى ستايل فى كتابها "عن ألمانيا" (نشر الكتاب عن ألمانيا فى لندن فى أكتوبر ١٨١٣، وأعيد نشره فى باريس فى مايو ١٨١٤). وقد عرضت مدام دى ستايل للتضاد بين الرومانسى والكلاسيكى، معتمدة على أوجست شليجل فى الفصل الحادى عشر؛ فهناك التوازى بين الرومانسى والفتان البصرى من جهة، والكلاسيكى والنحتى من جهة أخرى، والتضاد بين الدراما الحديثة (دراما

الشخصية) ودراما الحدث اليونانية، والتضاد بين شعر العناية الإلهية الحديث وشعر القدر القديم، وبين شعر التقدم وشعر الكمال. وفي فرنسا كانت الهرطقة الرومانسية على حد تعبير الأكاديمية الفرنسية تتحول إلى شعار معركة معارضة لمثل الكلاسيكية الجديدة، وبعد أن كانت حتى عام ١٨١٦ لا تعرف فرنسيًا يسمى نفسه رومانسيًا، كما ظل مصطلح الرومانسية معروفًا كمرادف للقافية الرديئة والغنائية الفارغة مع رومانسية مواقع جبال الألب. ويبدو أن ستندال كان أول فرنسي يعلن عن نفسه بأنه رومانسي، ففي ١٨١٨ أعلن عن نفسه بأنه رومانسي غنيف Furieux، وفسر ذلك بأنه مؤيد لشكسبير ضد راسين ولورد بايرون ضد بوالو (*Correspondance, 14 April 1818*) وفي الطبعة الثانية من كتابه راسين وشكسبير ١٨٢٥، تنازل ستندال نفسه عن الصياغة القديمة للمصطلح Romanticisme لصالح الصياغة الجديدة Romantisme التي ستصبح شائعة. وبعد مقدمة هيجو لمسرحية كرومويل ١٨٢٧ ومسرحية هيرنانى ١٨٣٠ نشأت حركة رومانسية فرنسية ضمت أعلامًا مثل لامارتين ودى فينى وميريميه وموسيه ونرفال، ودخل هيجو الأكاديمية عام ١٨٤١.

ولكن الأمر مع المصطلح كان مختلفًا في إنجلترا فلم يكن هناك إصرار على تضاد الكلاسيكي والرومانسي، كما لم يكن هناك وعى بأن الأدب الجديد الذى افتتحته القصائد الحكائية الغنائية *Lyrical Ballads* لوردزورث، يمكن أن يسمى رومانسيًا كما سيطلق عليه بعد عقود من النقد. ولم يحدث التمييز بين الكلاسيكي والرومانسي أول مرة - كما يواصل قاموس تاريخ الأفكار المجلد الرابع بقلم رينيه ويليك - إلا فى محاضرات كوليردج الملقاة عام ١٨١١، وهو تمييز مستمد بوضوح من أوجست شليجل؛ لأنه مرتبط بالتمييز بين الميكانيكى والعضوى والنحتى والتصويرى، ولم يتعرف أى واحد من الشعراء أو الكتاب الإنجليز على نفسه كرومانسي، أو يتعرف على دلالة التمييز بين كلاسيكى ورومانسي فى زمانه وبلاده. ولم يطبق كوليردج ولا هازليت اللذان استخدما محاضرات شليجل التسمية. كما

اعتبر بايرون التمييز كلاسيكي/ رومانسي جداً يخص القارة الأوروبية، ولم يع بايرون أنه ينتمي إلى الرومانسيين، كما لم يحدث تطبيق مصطلح "رومانسي" على الأدب الإنجليزي في مطلع القرن التاسع عشر إلا بعد ذلك بكثير، وظلت مشتقات المصطلح تطبق في إنجلترا على الأدب الأوروبي باعتبارها تتعلق بظواهر خاصة بالقارة. وكان كثير من النقاد الإنجليز يرون أن المدرستين الكلاسيكية والرومانسية تلتقيان ولا تتصارعان، ويعتبر بايرون وشيللي في الوقت نفسه كلاسيكيين ورومانسيين، بل إن دبليو بيجهوت W.Bagehot في استعماله لمصطلحي كلاسيكي ورومانسي، لا يجعلهما يرتبطان بمراحل محددة من الأدب الإنجليزي؛ فهو يتكلم عن مخيلة شيللي الكلاسيكية، وفي ١٨٦٤ قابل بين وردزورث الذي يعتبره كلاسيكياً وتينيسون الرومانسي. وهناك أمثلة أخرى كثيرة على افتقاد التحديد في التقابل بين الكلاسيكي والرومانسي في بلاد مختلفة، وعلى استعمال المصطلحين وخاصة المصطلح الرومانسي بمعان متناقضة. ولكن السائد بعد زمن غياب سوء الفهم حول معنى الرومانسية كدالة جديدة للشعر والكتابة في تضاد مع شعر وكتابة الكلاسيكية الجديدة، وتستمد إلهامها ونماذجها من المجتمع العضوي والحياة المشتركة للعصر الوسيط واستمرارهما في عصر النهضة بالرجوع إلى صيغ أوجست شليجل كما روجتها مدام دي ستايل. وعلى الجملة كان التخصص الأكاديمي متعاطفاً مع النظرة العامة للرومانسيين، إلى أن جاء رد الفعل ضد الرومانسية الذي اعتبرها انقطاعاً يؤسف له عن تقليد إنساني عظيم. وفي تلك الأثناء تعرض التصور السائد لوحدة واتساق الرومانسية لفحص نقدي كان أبرزه ما جاء في ورقة أ. و. لفجوى A.O.Lovejoy "حول تمييز الرومانسيات" On the Discriminateion of Romanticisms" (١٩٢٤). وقد جاء فيها أن كلمة "رومانسي" صارت تعني أشياء بلغت من الكثرة قدراً جعلها لا تعني بذاتها شيئاً على الإطلاق، بحيث كفت عن أداء وظيفة علامة لغوية. واقترح لفجوى علاج هذه الفضيحة في التاريخ الأدبي

والنقد الأدبي بواسطة إيضاح أن رومانسية بلد ما قد يكون لها القليل المشترك مع رومانسية بلد آخر. فهناك في الحقيقة كثرة من الرومانسيات. وفي الإمكان وجود كثرة من مركبات فكر متميزة للرومانسية تجمع وحداتها المنفصلة لتحدد خصائص رومانسيات متباينة. ويواصل لفجوى تأكيد أنه الأفكار نفسها المنتسبة إلى الرومانسية كانت في قسم كبير منها متغايرة ومستقلة منطقياً بعضها عن بعض، بل كانت متناقضة جوهرياً فيما بينها وفي تضمناتها. وكانت أمثلة لفجوى المستمدة من جوزيف وارتون وفريدريك شليجل ورينيه دي شاتوبريان تكشف عن تفاوتات ضخمة في وجهات نظر الرومانسيين إلى الطبيعة والسياسة والخيال والذهن في البلاد الأوروبية الثلاثة الأساسية إنجلترا وألمانيا وفرنسا. وكان تفتيت لفجوى الاسمى النزعة لمفهوم الرومانسية (نزعة اعتبار المعنى الكلى قائماً في ذهن الفرد ولا مقابل له في الخارج من حيث طبيعته) قد تلقى دفعة أكبر إلى الأمام بواسطة باحثين في إنجلترا والولايات المتحدة. وبلغ الأمر بآر. إس. كرين R.S. Crane أن اعترض على ما أطلق عليه وجهة نظر تبسيطية، تقول بصراع بين الرومانسية والكلاسيكية في القرن الثامن عشر الإنجليزي، وذهب بعيداً إلى درجة الكلام عن حكايات الجان حول الصراع بين الكلاسيكية الجديدة والرومانسية (قاموس تاريخ الأفكار، المجلد الرابع، سابق الذكر ص ١٩٥) وتتباين التواريخ الأدبية في عرضها لمصطلح الرومانسية؛ فبعضها يسقطه من أدب القرن الثامن عشر الإنجليزي، وبعضها يعممه تعميماً قسرياً كسرير بروكراست ليتمدد عليه الأدب الإنجليزي في ذلك الزمان. لذلك بذلت بعد ذلك محاولات جديدة لإعادة تعريف الرومانسية ومناقشة وحدتها على النطاق الأوروبي. وامتد النقاش حتى شمل الرومانسية المسبقة، إن عصرًا جديدًا حديثًا قد بزغ، وكان يجرى إعداد متطلباته في جميع المجالات الفكرية والفنية، ويمكن تتبع هذا الإعداد تحت أى اسم يطلق عليه، وتبيان أن آراء متماثلة (أو متشابهة جزئياً؟) حول الطبيعة والخيال والرمز والأسطورة تخللت معظم الأدب الأوروبي، وأن هذه الآراء ذات اتساق



يمكن أن يكون فى بعض الأحيان عميقاً، وذات تضمنات يمكن أيضاً أن تكون متبادلة. وفى مواجهة النزعة الاسمية التفتيتية لفجوى دلل نقاد آخرون أشهرهم رينيه ويليك ونورثروب فرأى Northrop Frye على أن الرومانسية ليست جوهراً فكرياً بل هى مركز جاذبية تاريخى يقع فى مكان ما حول الفترة من ١٧٩٠ - ١٨٣٠ (فرأى)، واتهما لفجوى بمحاولة كسر هذه الصفة التاريخية المميزة إلى أجزائها المكونة، وبمحاولة الإصرار على ظهور فترة رومانسية أو طابع رومانسى حيثما وجد أى من هذه الأجزاء المكونة. وهما يسميان هذا الموقف من جانب لفجوى بالوقوع فى مغالطة التشخيص اللازمى للرومانسية، التى يريانها هادمة للهوية الواقعية للفترة الرومانسية التاريخية. ( *Modern Critical Terms*, Edited By Roger Fowler ) pp.209-211) وحاولا بعد ذلك تعريف الحدث الرومانسى انطلاقاً من سياق نقد أدبى أكثر تحديداً. فعلى حين يرى لفجوى الرومانسية باعتبارها مصطلحاً عاماً لنطاق من أفكار متصلة مترابطة: شعرية وفلسفية واجتماعية، فإنهما يضعان تركيزاً أكبر على الصور المميزة التى تجوس خلال الخيال الرومانسى. فالسمة المميزة المركزية للنمط الرومانسى هى البحث عن مصالحة بين الرؤية الداخلية والتجربة الخارجية، معبراً عنها من خلال قوة إبداعية أكبر تتضمنهما (فرأى)، فهذا الخيال التركيبى الذى يودى هذه المصالحة والرؤية التى ينتجها للحياة يقتربان من الإحساس باستمرار الإنسان والطبيعة وحضور الله (ويليك). وكانت السمة المركزية لمحاولات التعريف بكيونة رومانسية هى تطور النظريات الرومانسية عن الخيال. وقد قدم إم. إتش أبرامز M. H. Abrams عرضاً لا يستغنى عنه لأصل وتطور النظريات الرومانسية عن الإدراك الحسى والخيال فى كتابه الشهير "المرأة والمصباح"، بدلاً من المحاكاة للخارج (المرأة) هناك التعبير الذاتى المتدفق فى شكل متخيل (المصباح).

## أبرامز والتضاد بين الكلاسيكي الجديد والرومانسي:

وهو يعتبر في معجمه للمصطلحات الأدبية *A Glossary of literary Terms* أن المسألة تتعلق بفترات أدبية، فالفترة الرومانسية تمتد من نشوب الثورة الفرنسية ١٧٨٩، أو على التبادل من نشر القصائد الحكائية الغنائية *Lyrical Ballads* لوردزورث في ١٧٩٨ خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر. وتمتد في أمريكا من ١٨٣٠ - ١٨٦٥ وهي فترة إمرسون Emerson وثورو Thoreau، وبو Poe، وملفيل Melville، وهوثورن Hawthorne. وهناك فترات مماثلة في الآداب الألمانية والفرنسية. وهو ينتقد المؤرخين الذين حاولوا أن يعرفوا الرومانسية كما لو كان المصطلح يشير إلى ماهية مفردة مقسمة مشتركة بدرجات متفاوتة بين كل الكتابات الأساسية لعصر ما، ويذهب إلى أن مسار الأحداث الأدبية لم يشكل نفسه حول مثل هذه الكيانات التبسيطية؛ كما أن التعريفات المتعددة والمتصارعة للرومانسية إما أن تكون غامضة مبهمة تقتصر إلى المعنى المحدد، أو تكون ضيقة النوعية المحددة بحيث تكون قاصرة عن الانطباق على النطاق الواسع أو التنوع الضخم للوقائع الأدبية. ويصل أبرامز إلى أن الموقف الأكثر فائدة هو تحديد عدد من السمات البارزة للنظرية والممارسة الأدبيتين المشتركة بين عدد من الكتاب المهمين للفترة الرومانسية في كل بلد من البلاد. وتلك السمات هي الجوانب المتميزة من الأغراض والإنجازات الرومانسية عند أشد الكتاب بروزاً وتجديداً خلال عقود معينة (في إنجلترا خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر) في اختلافاتهم المنظورة عن القواعد الكلاسيكية. (ربما يعاني هذا التعريف من الوقوع في دور منطقي لأن المقدمات تعتمد على النتائج، فأبرز الكتاب الرومانسيين هم الذين يحددون الرومانسية)، ولكن الآن لم يعد الدور مرفوضاً بالشدة نفسها التي كانت في السابق) والسمات البارزة للفرقة بين الرومانسية والكلاسيكية المحدثه هي كالاتي:

أولاً: تحبب التجديد بدلاً من التقليد في مواد الأدب وأشكاله وأسلوبه. لقد بدأ الشعر الرومانسي الإنجليزى مثلاً بما يشبه البيان "الثورى" وتقرير أهداف "ثورية" فى مقدمة الطبعة الثانية من القصائد الحكائية الغنائية *Lyrical Ballads* (١٨٠٠) التى كتبها وردزورث. وهذه المقدمة ترفض ما عرف بالأداء الشعرى *Paetic diction* (اختيار الكلمات "الشعرية" وتنسيقها للقرن السابق)، وتقرّح تناول مواد من "الحياة العادية" بواسطة اختيارات لغوية يستعملها الناس فى الواقع. وهذا تناول الجاد أو الدرامى (التراجيدى) لموضوعات هابطة فى لغة عادية، يخرق قاعدة من أهم قواعد الكلاسيكية الجديدة هى اللياقة *Decorum* التى تؤكد أن الأنواع الجادة يجب أن تتناول موضوعات رفيعة فى أسلوب راق على نحو مناسب. "ومن التجديدات" الأخرى لجوء كوليردج وكيتس وآخرين غيرهم إلى مجال الغيبى، والقصى فى المكان، والبعيد فى الزمان، وارتداء بليك ووردزورث وشيللى قناع الشاعر المتنبئ (مدعى النبوة) صاحب الرؤى، والقول برمزية شعرية عند بليك وشيللى مستمدة من نظرة إلى العالم ترى الأشياء (الموضوعات) مشحونة بدلالة تتجاوز صفاتها الفيزيائية، وكما قال شيللى "أنا أبحث دائماً فيما أرى عن شبه بشىء ما يتجاوز الموضوع الحاضر الملموس"

ثانياً: فى المقدمة التى كتبها وردزورث وسبقت الإشارة إليها، يصف الشعر الجيد باعتباره التدفق التلقائى لمشاعر قوية. ووفقاً لذلك كما سبق، لا يكون الشعر فى المحل الأول مرآة لبشر يقومون بأفعال، بل على العكس يكون عنصره الأساسى مشاعر الشاعر الخاصة. وبالإضافة إلى ذلك تكون عملية التأليف ما دامت تلقائية، على النقيض من التشكيل المحكم للوسائل من أجل تحقيق غايات متوقعة، كما يؤكد النقاد الكلاسيكيون المحدثون. فالتأليف الرومانسى عملية تعبيرية تبتعد عن التصوير الواقعى للحياة والعالم، لتكون متنفساً لحالات ذهنية قوية قد تكون متخيلة أو حلمية. وكل ذلك يصدر عن فرد حديث يقف وحيداً فى مجتمع ميكانيكى تنفك روابطه

ويكاد يتحلل إلى لا نظام. ويتناسب مع ذلك ابتعاد عن البنية المعيارية لتنظيم القصيدة ليحل محلها تنظيمها حول صور رمزية، وهجرة الأنماط المعيارية وقواعد التشخيص والحبكة فى الدراما والرواية، وصولاً أيضاً إلى أشكال رمزية فى عالم حلمى قد تكون أحداثه كابوسية.

فالشعر عند وردزورث انفعال يجرى تذكره فى هدوء التلقائية، متحرر من القسر وليس مصطنعاً أو مقيداً بقواعد ومواضع، ويصدر على نحو طبيعى كما تجىء الأوراق إلى الشجرة؛ أى أنه بدلاً من القواعد المفروضة من الخارج هناك القوانين العضوية لخيال الشاعر، فكل عمل شعري مثل نبات ينمو وفق مبادئه الداخلية إلى شكله العضوى النهائى.

ثالثاً: وإلى درجة ملحوظة يصير منظر الطبيعة الخارجية بنباته وحيوانه موضوعاً ملازماً للشعر الرومانسى، وهو يوصف بدقة وبدرجات لون حسية غير مسبقة. فالشعر يخرج من جانب فى المنظر الطبيعى أو تغير جانب فى هذا المنظر ويعود إليه. ولكن المنظر الخارجى لا يقدم من أجل ذاته بل كمؤثر فى الشاعر لكى يعكف على نشاطه الإنسانى الأكثر تميزاً: نشاط التأمل؛ فأهم القصائد الرومانسية هى قصائد تأمل حافل بالانفعال، تثيره ظاهرة طبيعية تستدعى مشاكل إنسانية مركزية. وقد أكد وردزورث أن ذهن الإنسان هو وكره، المكان الذى يلزمه ويتردد عليه والبقعة الأساسية لأغنيته، وهذا الذهن هو وعى وفكر وإدراك ومشاعر وإرادة وذاكرة وخيال ولا وعى.

رابعاً: وعلى حين كان الشعر الكلاسيكى الجديد عن الناس الآخرين، فإن الكثير من الشعر الرومانسى كان عن الشعراء أنفسهم، إما مباشرة أو على نحو يقبل التعرف (تشايلد هارولد لبايرون) ويكاد يشبه الاعترافات أو الإفشاءات الشخصية أو السير الذاتية. ولكن هذه الذوات التى تعترف لم تعد جزءاً من جماعة مترابطة، بل

صارت كائنات متفردة متوحدة مرتحلة منعزلة مضناة بالوحشة مستغرقة في بحث مراوغ. وكل هذه الصفات المترادفة عن وجود غير منسجم مع الكل، غير متكيف مع القيم السائدة للسلوك، يؤدي إلى شخصية الشاعر المتمرد بروميثيوس أو قابيل أو الشيطاني الخارج على القانون.

**خامساً:** عمق الوعد اللامتناهي للثورة الفرنسية في التسعينيات المبكرة للقرن الثامن عشر عند كتاب الفترة الرومانسية إحساساً بأن فترتهم عصر عظيم للبدايات الجديدة والإمكانات السامية. وصار كثير من الرومانسيين يرون الكائن الإنساني مزوداً بطموح نحو أهداف عليا بلا حدود تبصره ملكة الخيال. ويقول وردزورث إن قلب وجودنا متعلق باللامتناهي وهناك فقط، وبرغبتنا في شيء ما هو دائماً على وشك الوجود، كما أن الطموح اللامحدود بدلاً من أن يكون "عند الكلاسيكية" فيما سبق الزلّة التراجيدية، صار عندنا مجد الإنسانية وصيغة انتصار حتى في الإخفاق تتحقق على نقاهة الصغائر تمجيذاً للهدف السامي.

### تقديم دراسات أبرامز حول الرومانسية:

يرى أبرامز أن النظرية النقدية الأدبية لا تشبه علماً فيزيقياً أو اجتماعياً أو سيكولوجياً؛ فقصارى جهدها يتعلق بجمع الوقائع ولا يستهدف استنتاج تضافات بينها تمكن من التنبؤ بالمستقبل بواسطة الرجوع إلى الماضي، بل افتراض مبادئ تمكن من تفسير تلك الوقائع الجمالية نفسها وتقييمها بعد تبريرها وترتيبها وتوضيحها. ويقرر وين - سي - بوث Wayne. C. Booth في كتابه الفهم النقدي (Critical Understanding- The University of Chicago Press, 1979, pp.139- 176.) قراءة أبرامز في "المرأة والمصباح". "نزعة فوق الطبيعي الطبيعية" Natural Supernaturalism كما يلخصها وين بوث، تذهب إلى أن أفراد الجيل الأول من الرومانسيين الإنجليز والألمان استجابوا لما حكموا بأنه إخفاق الثورة الفرنسية، باعتباره



إخفاق دعاوى التحرير فى أيديولوجية التنوير الثورية، واتجهت استجاباتهم هذه إلى بناء نمط جديد للتحرير؛ للخلاص والفداء Redemption. وطرز ذلك النمط (بنيته) تتماثل مع الطراز المسيحى للسقوط من الفردوس ثم العودة إليه؛ أى أن نزعة الخلاص الرومانسى كانت إضفاء الطابع العلمانى على الطراز المتصل للميتافيزيقا الأوروبية؛ أى الارتداد النكوصى التفسيرى النهائى Regression. ويرى وين بوث أن أبرامز هو الأكثر اهتمامًا برصيد التوازيات أو التطابقات Congruences أو التماثلات Consonances بين وردزورث وأسلافه ومعاصريه ولاحقيه، بقدر ما يوجد من دعاوى سببية لهذه المقارنات التى قد تكون مرلوغة أو غامضة. وينقل وين بوث عن جيه هيليس ميلر J. Hillis Miller فيما يسميه أفضل مراجعاته النقدية فى التقاليد والاختلاف (Tradition and Difference" Diacritics 2 - Winter 1972) قائمة إنجازات لأبرامز، وذلك قبل أن يستدير ميلر لتوضيح أن كل قراءات أبرامز تمكن مساعلتها. وإنجازات أبرامز تبدأ بأن أحدا لم يسبقه فى القراءة الشاملة للشعراء الرومانسيين الإنجليز، فى ضوء معاصريهم الألمان من شعراء وفلاسفة؛ فلم يصف أحد بتلك القدرة على الإقناع تلك التجانسات، لا فى المفهوم المحدود فحسب؛ بل فى الخطة الأساسية المنظمة أيضًا بين مقدمة روزرث و"خريف شحاتة" Hyperion لهولدرلين، لتمثيل فلسفة الرومانسية الألمانية فى نموذج الرحلة التعليمية للابن الضال. ويوضح ذلك تشابهًا بين هذا النموذج و"المقدمة" أو "برومثيوس طليقًا"؛ كما لم يبرهن أحد بمثل تفصيل أبرامز القادر على الإقناع - كما ينقل وين بوث عن هيليس ميلر - على تطابق الاستعارات والمفاهيم والأساطير الأساسية للشعر الرومانسى مع نماذج وطرز وأساليب لم يخترعها الرومانسيون بطبيعة الحال، بل ورثوها عن التقاليد التوراتية والمسيحية والأفلاطونية الجديدة؛ فالرومانسية ليست إلا منظرًا فى دراما الأدب الأوربى الذى امتد خمسة وعشرين قرنًا. ويستمر تسجيل

إنجازات أبرامز الذى لم ينافسه أحد فى المناقشة الحكيمة حول ماذا يعنى إضفاء العلمانية على التقليد اللاهوتى بواسطة الشعراء والفلاسفة الرومانسيين، ولا حول البرهنة بمثل ذلك الوضع على استمرار طراز هذا التقليد فى الأدب الحديث. ويواصل وين بوث قراءته الخاصة لأبرامز فيرى أنه اعتبر وريزورث يتكلم باسم روح عصره (أكان هناك مثل هذا الشيء؟ روح للعصر أو للرومانسية أو بدلاً من السجية المتميزة هناك الريعان التجديدى كسمة بارزة) وعند أبرامز كان وريزورث الأكمل تمثيلاً لتلك "الروح" عند المقارنة بأى شاعر رومانسى آخر. فهو الذى أخذ السمات الرومانسية بأكبر قدر من الجدية، وجسدها بأكبر قدر من الاكتمال بالقياس إلى الشعراء الآخرين. ويذهب وين بوث إلى أن أبرامز تحدث عن هذه السمات التى تضم التوقع النبوى بهلاك وشيك للظالمين وأزمة سيرة ذاتية تشفيها تفاعلات شخصية بين الذهن والطبيعة وثيوديسية (عدالة الله فى إلهيات طبيعية وعناية إلهية وخلود الروح theodicy) الخيال الخلاصى التحريرى والرحلة الدوارة Circuitous journey. وعودة الابن الضال وقصائد وريزورث عند أبرامز تكاد تكون قصيدة واحدة ذات وحدة عضوية يتلاءم فيها الذهن مع الطبيعة، ويلوح فجر العصر الجديد الخلاصى المبتهج والحياة الجديدة والحقيقة الجديدة. وينقل وين بوث عن أبرامز ما يفسره بأن الأخير يرى أن الرومانسية كما تحققت فى وريزورث علامة على نقطة تحول رئيسية فى التاريخ الثقافى الغربى، جمعت فى نفسها تنوعاً من التيمات والموضوعات والأشكال الدينية من عصور مبكرة كلاسيكية وثنية وتوراتية، وأعادت تشكيلها فى نوع من الدين العلمانى (إن صح التعبير) كان الشعراء الكبار هم متبنوه. وهنا يقدم أبرامز كما يقول وين بوث، قضايا عن الأهمية النسبية للعصور. فقد قدم الرومانسيون لنا الكثير من اهتماماتنا المميزة لعصرنا الحديث، ولكنهم فى الوقت نفسه يختلفون جذرياً عنا؛ فقد رفض كثير من المؤلفين المحدثين الكثير من "الإيجابيات" الرومانسية (إن صح

القول). فالرومانسيون لم يروا أشعارهم فى خدمة فن مستقل بل فى خدمة - بكلمات وردزورث - خلاص البشر؛ ذلك أن الجماليات الرومانسية كانت كما سيقول الواقعيون فناً من أجل الإنسان ومن أجل الحياة.

وبالإضافة إلى ذلك لم يهدف الرومانسيون إلى بذل حياتهم فى هذا العالم بحثاً عن ثقافة جديدة كل الجدة، ولم يهاجموا فى استيئاس الثقافة الموروثة، بل تكلموا كأعضاء فيما أسماه وردزورث المجتمع العظيم الواحد الذى يضم النبلاء الأحياء والنبلاء الموتى وليسوا أعضاء فى ثقافة منوائه، كما نظروا لأنفسهم باعتبارهم يخدمون القيم السامية للحياة والحب والحرية والأمل والفرحة. وحينما كتبوا عن الكآبة واليأس - وكثيراً ما فعلوا - فإنهم حولوا هذه المسائل "السلبية" إلى إيجابيات رومانسية. ويمكن النظر كما يذهب أبرامز فى تفسير وين بوث إلى عمل وردزورث طيلة حياته كجهد كبير لتحويل شكوك عصره وسلبياته إلى شعر مقاومة وإنقاذ سيهبه الجنس البشرى فى الأزمنة القادمة. وعند وردزورث يكون التوحد مع ذاته ودنياه هو الحالة الأصلية والمعارية للإنسان، وعلامته هى امتلاء الحياة المشتركة واكتمالها وذلك شرط للفرحة. وهناك غير أبرامز مؤرخون آخرون لا يقرعون فى الرومانسية جميعها موقفاً إيجابياً إثباتياً خلاصياً فى وجه أهوال الحياة وإخفاقات الآمال الثورية، وتصدر عنهم قائمة كبيرة من الأسئلة عن معانى الرومانسية. والمؤرخون الآخرون: رينيه ويليك، وهوارد بمفورد جونز، وكلينث بروكس يرون أن التاريخ الحق للرومانسية له حبكة مختلفة وأبطال مختلفون. ويرى وين بوث معهم أن أبرامز يحكى قصة قابلة للتصديق فيما يتعلق بجزء ضيق من التاريخ، أغفل جوانب شاسعة من السياسة والكاثوليكية والأديان الشرقية، وأهمل عدداً كبيراً من الرومانسيين. ومن ناحية منهج العرض التاريخى فإن أبرامز اختزل الكثير من الارتباطات التاريخية المشروعة وأنواعها ودرجاتها فى مصطلحات تقليدية قليلة العدد؛ فهو يذكر ما يظنه السبب أو التأثير أو المصدر أو عملية المحاكاة أو الانسجيمات والارتباطات بين التوازيات

والأصداء. ويحذر وين بوث من استعمال أى مؤرخ لقصة بسيطة عن التعاقب الزمني: فى البداية كانت س ثم جاءت ص، كان يا ما كان أن الدنيا كانت متدنية ثم صارت علمانية، ونشأت آمال الخلاص السياسى ثم أحبطت، وجاء "أنبياء جدد حاولوا العثور على قوة خلاصية داخل ذهن الإنسان، وأعادوا تأسيس مقولات وثنية قديمة ودعوات على أساس علمانى، ثم ماتت هذه الدعوات تاركة إيانا حيث نحن الآن. أما من حيث القيمة الفنية للشعر الرومانسى فهناك سؤال موجه إلى أبرامز، هل يدافع عن الجودة الفنية بواسطة وضع العمل داخل تقليد أدبي؛ أى هل يمارس النقد الأدبي من خلال التاريخ، وهل يظل السؤال لماذا تكون قصيدة أفضل من قصيدة بلا إجابة أو إعادة وضع للسؤال؟!

### الرومانسية فى العالم العربى:

يذهب د. جابر عصفور فى كتابه ذاكرة للشعر (مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢ مكتبة الأسرة) إلى أن المجموعة الشابة ذات التطلع الرومانسى التى شاركت فى مجلة أبولو فى مصر، والتى صدر العدد الأول منها فى سبتمبر ١٩٣٢ ارتضت خطتها التعايش السلمى مع ما كان قائماً من التيارات الشعرية المختلفة، وذلك من منطق التميز وتأكيد الخصوصية، وعلى أساس من الحوار الذى لا ينفى حق الاختلاف والاجتهاد والتعددية فى الإبداع. وهذه المجموعة الشابة التى ضمت أسماء، منها : إبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، ومحمود حسن إسماعيل من مصر، وأبو القاسم الشابى من تونس ، ويوسف بشير التيجانى من السودان ، وغيرهم من شعراء الأقطار العربية، لم تعرف فى المجلة ومقالاتها الحدية المذهبية أو العنف القتالى اللذين اتسمت بهما جماعة الديوان التى ناصبت المدرسة التقليدية العداء (ص ص ٦٢ - ٦٣). ويدرّس جابر عصفور قصيدة نموذجية للرومانسية هى "ميلاد شاعر" لعلى محمود طه، التى نشرت للمرة الأولى فى العدد الثالث (المجلد الأول) من مجلة أبولو الذى

صدر في نوفمبر ١٩٣٢. وكانت القصيدة خاتمة العدد الذي تصدرته ترجمة ليالي الفريد دي موسيه التي عربها عن الفرنسية نظمًا إسماعيل سري الدهشان، وترجمة وداع هكتور للشاعر الألماني شيللر التي نقلها على العناني إلى العربية طبق الأصل الألماني. ويرى جابر عصفور أن قصيدة "ميلاد شاعر" هي "بيان" لنوعها من القصائد التي تتصف بسمة مائزة من سمات الرومانسية، حيث تتحول الذات إلى موضوع التداول وينعكس فيها الإبداع على نفسه. إن "ميلاد شاعر" قصيدة موضوعها هو فاعلها، وفاعلها يتأمل تصوره عن صنعه الذي يراه نوعًا من الإلهام أو نوعًا من الكشف الذي يضيء في داخله أو يهبط إليه كما تهبط النبوءة أو البشارة (ص ٧٥). وتقابل المجلة - في نشرها القصيدة خاتمة للعدد الذي افتتحته ترجمة ليالي الفريد دي موسيه - بين ما يرمي إليه "ميلاد" شاعر عربي السمات، وما تتطوى عليه "ليالي" شاعر غربي الملامح، يجمع بينهما الخيال المجاوز للتعقل الكلاسيكي، والوجدان الذي يفتح أبواب الفريدية على مصراعيها، والروح الذي يجمع بين السحر والنبوءة، فيهبط الأرض كالشعاع السني، معلنًا عهدًا جديدًا من الإبداع الذي يتصدر به الشاعر الكون ليؤكد تجسد النموذج الرومانسي في صعوده الواعد (ص ٧٦). وربما كانت عناوين القصائد وعنوان ديوان على محمود طه الأول "الملاح التائه" إيماءات دالة على المنزع الرومانسي: "على الصخرة البيضاء" و"الأجنحة المحترقة" و"الأمسية الحزينة" و"قبر شاعر". ويقدم جابر عصفور دراسة لشاعرين رومانسيين كبيرين هما محمود حسن إسماعيل المصري وأبو القاسم الشابي التونسي، ويعقبها بإشارات إلى كثيرين غيرهما ليصل إلى أن ما أطلق عليه اسم "شعر الوجدان" إنما هو شعر "وجدانات" متعددة الاتجاه والمنزع والأسلوب والتقنية بل والمدرسة، فهذه الوجدانات تتأبى على التصنيف المتعجل والقوالب وحيدة البعد والصفة (ص ١٠٢).

والكتاب الذي بين أيدينا بعيد كل البعد عن أي تناول تبسيطي للرومانسية في البلاد الأوروبية، بل يتتبع ملامحها تتبعًا تاريخيًا كما يتتبع ما أثارته من جدال

خصب، تتجاوز نتائجه المرحلة الرومانسية. وقد حاولت فى هذه المقدمة أن أقدم خطوطه العامة بقدر من الإيجاز قد يلقي الضوء على مشكلات راهنة. وهذا الكتاب قد يكون تصحيحاً للنظرة الاثرائية إلى الرومانسية، التى لا ترى فيها إلا الجوانب السلبية. إن الدكتور عبد القادر القط فى كتابه "فى الأدب العربى الحديث" القاهرة ١٩٧٨، قدم ما يشبه التقييم الموضعى للرومانسية، ووازن بين ما أسماه الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية فى الأدب الرومانسى. فالأولى مثل الذاتية يراها وجها مشرقاً فى ماضيه؛ لأنها تمثل الإيمان بقيمة الإنسان وفرحة الفرد بالاهتداء إلى ذاته التى ظلت ضائعة عصوراً طويلاً تحت الحكم المطلق والنظام الإقطاعى. لكن التناقض بين الرغبة والقدرة عند الرومانسيين فيما يرى الدكتور عبد القادر القط، أى بين المثال والواقع أدى إلى الشعور بالعجز والضياع ومن هنا أتى الجانب السلبي من الرومانسية وتصوير تجارب الحب الفاشلة، التى كانت لونها من الإسقاط يعكس عليها هؤلاء الشعراء إحساسهم بالفشل فى الحياة (ص ص ٨٢ - ٨٤). ويوجز الدكتور القط الجوانب السلبية فيما يسميها الحركة الرومانسية العربية مبيناً أن الأدباء والنقاد فى أيامنا درجوا على أن يعتبروا الرومانسية نوعاً غير مقبول (عند مناقشته للشاعر الرومانسى محمود حسن إسماعيل). وهذه السلبيات تضم التشاؤم والإسراف فى الذاتية والإفراط فى العاطفية، وعشق الطبيعة عشقاً يتجاوز الإعجاب بما فيها من جمال وجلال إلى جعلها ملجأ من شرور الحياة والناس، بالإضافة إلى ما فى التجربة الرومانسية من تهويمات ضبابية وبعد عن الارتباط بواقع المجتمع الذى يعيش فيه هؤلاء الشعراء وقضاياها السياسية والاجتماعية (المصدر نفسه).

ولكن الكتاب الذى بين أيدينا يتجاوز الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات والقواعد الأدبية فى التقييم والمدارس الأدبية الأثرية؛ ليقدم فهماً محيطاً شاملاً لأوجه اتجاه أدبى عميق الفاعلية والتأثير.

إبراهيم فتحى

## مقدمة

بقلم: مارشال براون

ترجمة: إبراهيم فتحي

نشأت كثرة من الافتراضات المسبقة والممارسات التي تسود الجماليات المعاصرة والنقد الأدبي المعاصر عن كتابات ترجع إلى العقود الرومانسية.<sup>(١)</sup> كذلك نشأت مواقف متعددة يبقى المناخ المعاصر معادياً لها. وهكذا، غالباً ما تعتبر الرومانسية جذراً للمواقف المعاصرة - بداية نزعة الحداثة التي تُرى على العكس باعتبارها رومانسية متأخرة، وبالمثل - وليس نادراً - باعتبارها مصدر المتاعب التي نحرر أنفسنا الآن أخيراً منها. "ومن الواضح أنه ليس لأي فترة من الماضي الحق في أن تكون أصل الحداثي (أو ما بعد الحداثي)، ولا تبدأ نزعة الحداثة أو ما بعد الحداثة في أي شيء أو باعتبارهما أي شيء آخر بخلاف ذاتيهما، مهما تكن عناصر من

(١) مجلدنا هذا المعنون "الرومانسية" يستهدف تمثيل نطاق الكتابة الذي احتفظ بأهميته وتأثيره من السنوات بين حوالي ١٧٨٠ و ١٨٣٠. ويظل شائعاً على الساحة الألمانية إطلاق اسم الرومانسية على بعض الكتابات، بينما يطلق على البعض الآخر (خصوصاً المرتبطة بجوته وشيللر وهمبولت) اسم الكلاسيكية. وفي البلاد اللاتينية والولايات المتحدة غالباً ما يطلق نعت رومانسي على كتاب معاصرين للفكثوريين البريطانيين، أما البيدر ماير Bieder meier (أصلاً في عرض الدمى الهزلي دمية تمثل السوقية ضيقة الأفق ويعد ذلك أطلق على طراز شائع من الأثاث والديكور، شاع لدى الطبقة الوسطى الألمانية الراضية عن الأحوال، ومن ثم على الحياة الفنية كلها)، ورومانسية إقرارها، فسيتم تغطيتها في المجلد السادس من هذه السلسلة، على حين أن بعض الشخصيات المبكرة وخصوصاً روسو ظهرت أولاً في المجلد الرابع.

وفي كتابها "الرومانسية والحيوية"، روتلج ١٩٩٣، دلت آن ميللور Anne Mellor بحجج مقنعة ضد تكتيل كل كتابات هذه العقود تحت صفة مفردة. وتظل الأسماء خطاطيف تعليق نافعة ولكن كان هدفنا أن تمثل في تنوعها كتابات فترة لا حركة.

الماضى قد ألهمتهما. ومع ذلك فهناك اتفاق عام حول أن الكتابة عن الأدب من الفترة بين ١٧٨٠ و ١٨٣٠ لها تأثير خاص على الحاضر.

وقد عُنِيَ النقد الأدبي على نحو متزايد منذ العصر الرومانسى، لا بالأعمال وحدها بل بالكتاب والقراء أيضاً. وحينما عُرِفَت مقدمة وريزورث للحكايات الغنائية الشاعرَ باعتباره "رجلاً يتكلم إلى رجال" أى أحدًا من البشر يتكلم إلى بشر، فإنها بكل تأكيد أكدت بمقربة الأدب (الرجل = الرجل العادى) وأغفلت وضع النساء والكاتبات، وقد نوقشت هاتان المسألتان فى هذا المجلد. ولكنه أيضاً يقدم قضية جديدة عن القيمة التوصيلية للأدب.

فالكتاب لا يكتفى بأن يزودنا بقدوات أخلاقية ويتأطير عالم ذهبى؛ لأن الأدب موجود لكى يُقرأ ويفهم. وهكذا حولت فصيلة مهمة جديدة من النقد الرومانسى اهتمامها إلى التأويل والتفسير: كيف يستوعب القراء ما يقوله المؤلفون؟. ونما النقد مرة واحدة (وإن لم يكن دائماً عند نفس الكتاب) أكثر اتصافاً بالطابع السيكلوجى، والطابع التكنولوجى، وهما وظيفتان غالباً ما التحمتا فى النظرية البلاغية الرومانسية وتجسيدياتها التفكيكية. كما نما النقد أكثر اتصافاً بالطابع الفسيولوجى، مع ازدياد الشعور بالحاجة إلى تعريف قراء من نوع معين. ونقد النوع المبكر الذى اهتم بقوانين التأليف الخاصة بأنماط مختلفة من الكتابة، يدرس الآن أغراضها المختلفة وجماهيرها المختلفة.

إلا أن شاعر وريزورث يتكلم إلى الرجال لا مع الرجال. ويحذاء دور القارئ يكون وضع الشاعر موضع تساؤل وخلاف فى الكثير من النقد الرومانسى. فالمؤلفون الرومانسيون لم يعودوا الممثلين الملهمين للنظام الإلهى، ولم يصبحوا بعد رجال التربية على مثال ماتيو أرنولد؛ فقد كانت لديهم صيغ متعددة خاصة بهم من مرجعية التأليف وتمكين للمرء أن يرجع بنظره إلى عتبة الرومانسية، حيثما نفث التبجر القديم روحاً جديدة ذات طابع شخصى فى ابتهاج لورنس شتيرن كثير النزوات: "اقرأ، اقرأ، يا قارئى الجاهل اقرأ" (تريسترام شاندى: ١١، ٣٦). وفى اللحظة نفسها أطلق إملاك



Emlac عند صامويل جونسون على الشاعر "مفسر الطبيعة ومشترع الجنس البشرى... وكائننا اسمى من الزمان والمكان (Rasselas, ch.10). وبطبيعة الحال ليس إملاك إلا معتوه صغير، حتى إنزاله إلى أرض الواقع بواسطة مواجهة المخيلة المختلة اختلالاً خطيراً، عند فلكي يظن في جنونه أنه يحكم السماوات. وهذه هي الكائنات التي تعد نماذج معادلة لنشيد الشكر الأبوللوني الموجه إلى الشعراء عند بيرسى شللي، باعتبارهم "مؤولي الأسرار" ومشترعي العالم (خاتمة "دفاع عن الشعر"). ولكن إذا زاد "عالم" شيللي التكلفة من ادعاءات إملاك الاجتماعية إلى ادعاءات الفلكي الكونية، فإنه في الوقت نفسه يخفف منها بسورة توالى النفى عنده؛ فشعراؤه "مفسرو" رؤية "لا سبيل إلى إدراكها"، وهم مشرعون غير معترف بهم (التشديد لى)<sup>(٢)</sup>. ومنذ أفلاطون كان الشعر من حيث تكوينه يلتزم خط الدفاع، ولكنه صار في الفترة الرومانسية - باستخدام ما كان حينئذ ما يزال معنى جديداً للكلمة - عصبياً nervous. أو قوياً مندفعاً.

وأخر خلف للشاعر الأفلاطوني بنشوة وحيه، كانت شخصية العبقرى السابقة للرومانسية، وعند هررد المبكر وكتاب آخرين من حركة العاصفة والاندفاع Sturm

(٢) قراءة إيرل واسرمان الأفلاطونية المحدثة عالية النغمة دونما خجل لقراءة "دفاع شللي، تتجاوز ما هو "غير معترف به، بل تسعى إلى تحييده، مدعية أن: التفاعل الشعري لا يدور إلا بين الشاعر وقصيدته، ولا يتضمن جمهوراً" (Shelley: A Critical Reading, Baltimore, MD: (The John Hopkins University Press, 1971, P.220)

ولكن فيما سبق، وفي فقرة مدعمة باقتباس تقبل من "الدفاع"، يقول واسرمان "إن نهاية تراجيديا آل شينشي The Cenci استبصار أخلاقي إداعي بواسطة الجمهور، استبصار لا تستطيع أن تثيره المسرحية وتوجهه في الجمهور إلا بواسطة تمثيل صحيح للطبيعة البشرية" (ص ١٠٢). ومن أجل قراءة أكثر حذراً، وأكثر اتساماً صراحة بتعاليم ماتيو أرنولد، على أسس مماثلة تذهب إلى أن قوة الشعر الفعلية والفعالة دوماً... ليست معترفاً بها لأنها ليست ملحوظة من جانب الجميع بمن فيهم الشعراء أنفسهم"، انظر بول هـ. فراي Paul H. Fry، مدى النقد، المنهج والإدراك في النظرية الأدبية، "New The Reach of Criticism: Method and Perception in Literary Theory." Haven.: Yale University Press, 1983, p.161، وبطبيعة الحال فإن اعتبار الشعراء أنفسهم في هذه المسألة يبقى موضعاً للسؤال.

Und - Drang - الألمانية، إذ غالبًا ما نجد شعراء مشهودًا لهم بعبقريّة منطلقة، حتى فى صيغة مركبة لا تقبل الترجمة، (تقترب من عبقرية خارقة القوة Kraftgenie). وقد قنن كانط نوكًا مماثلًا لإملاك، وحنينًا أوليا يشبه حنين شللى، حينما عرف العبقرية تعريفه المؤثر باعتبارها الموهبة (ملكة الطبيعة) التى تمنح القاعدة للفن (نقد الحكم. 46 S)، ولكنه وازن بين المدح والاستهانة بالنسبة لنواحى الغلو عند حركة العاصفة والاندفاع، بواسطة إصراره على الذوق والحرفة كشيئين أساسيين إضافيين، عندما تكون العبقرية خارج موضعها، أو يكون مسارها "منارًا للضحك بالكامل" (Vollen dslacher - Lich s 47). وحين بدأ الشعراء فى الإصابة بالجنون فعلاً، بدأت الدلائل تتوالى، وكانت التقارير عن كولنز Collins، وكوبر Cowper وكليير Clare، وصاد، وهولدرلن، وحتى بليك - بعيدة عن أن تكون مشجعة، كما لم تساعد الخديعة الانتحارية لتشارترتون، أو العنيدة لماك فرسون، قضية الأفلاطونية المحدثة. ويعظ وردزورث "شارترتون الولد الرائع" قسى العزم والاستقلال، والسكير روبرت بيرنز بالسطور الشهيرة: "نحن الشعراء نبدأ شبابنا بالفرح، ولكن من ذلك يجىء فى النهاية القنوط والجنون". وعلى حين أهدى كيتس إنديميون Endymion لذكرى تشارترتون، كانت الحالة المزاجية بعيدة عن السمو حينما استدعت رسالته إلى جورج فلتون مانيو "شارترتون على نحو متعاقب، هذا الشكسبير دافئ القلب" عمى ملتون "وهؤلاء الذين يكافحون بالجنح الذهبى اللامع للعبقرية، قاذفين بالفرفة بعيدًا كل وخزات الجراح التى يلقوها عالم لا يعرف الرحمة". وعلى نحو متزايد كانت سيكولوجيا العبقرية الشعرية - لا قوة إقناعها - هى التى تبرز للمناقشة. وبطبيعة الحال وعلى وجه العموم، كان شكسبير يبرز أعلى قمة من كل المنافسين، وإن لم يكن فى قائمة كيتس. ولذلك أصبحت المواجهات الرومانسية مع شكسبير محاسبة حاسمة نهائية لمذاهب إضفاء المشروعية على الإلهام، سابقة على الانقضاضات والإغماءات المحلقة بأجنحة إيكاروس عند بولدير وتينيسون، ونزعات الكمال

المتسلطة المنتسبة إلى البرج العاجى عند الرمزيين. وغالبًا ما كانت صراعات القراء لكى يفهموا، والكتاب لكى يفهموا، وخلق المبدعين لكى يكونوا فى المستوى المناسب فى النقد الرومانسى، يوازيها فى المقابل تحرر وتسام متزايدين للفن. فالواجبات الأخلاقية القديمة قد شحبت فى الزخارف الاجتماعية لذوق القرن الثامن عشر، كما تدهورت بقدر أدنى فى هجمات مثل هجمات روسو على طيش المنظر الجمالى. وكان آخر دفاع عن الشعر، وخصوصًا ذلك المرتبط بكانط وشيللر، هو تأكيد قيمة اللعب نفسه كقيمة أخلاقية رفيعة تحقق الطابع الإنسانى. ولا يصير الفن يمثل الدين، بل التمهيد له (هيجل) وحتى البديل له (شلنج وأتباعه). ويجىء الأعلى والأدنى معًا فى دلائل العرفان المثيرة للدوار المقدمة إلى المفارقة الرومانسية. ويمكن من تنوعات نقد العصر الرومانسى، استخلاص كل من الشكلائية النخبوية للحدثيين والسحر الرفيع المعادى للنخبوية لما بعد الحدثيين، على الرغم من أن كليهما يتجهان نحو تجريد الموتيفات الرومانسية من أبعادها الجلييلة الميتافيزيقية أو المتعالية.

وفى النهاية، لقد صار النقد فى العصر الرومانسى واعين بذواتهم حول موقعهم فى المكان والزمان؛ فعصر النهضة حتى فى تحوله نحو العصر القديم كانت فى ذهنه غايات تنتمى إلى الحاضر<sup>(٣)</sup>. وبالنزعة التاريخية عند هرذر باعتبارها عرضًا وسببًا، انشغل الرومانسيون بدورهم التاريخى ودرسوا الشعر فى نفتحته التاريخى، كما استخدموا أيضًا نظرية الشعر لتجسيد المصائر: وتصير اليوتوبيا مجالًا جماليًا يقطن المستقبل البعيد. كما لم يكن التفكير الموقعى الرومانسى محدودًا بالطابع الزمانى، على الرغم من أن الروابط غالبًا ما يتم إغفالها؛ فهو يصير جغرافيًا

(٣) انظر برهنة دانيال جافيتش Daniel Javitch الحديثة الدقيقة على أنه حتى الإحياء الأرسطى قد تصور استخدام وسائل العصر القديم من أجل غايات حديثة: "ظهور نظرية النوع الأدبى فى القرن السادس عشر"

"The Emergence of Poetic genre theory in the sixteenth Century Modern",  
Language Quarterly 59 (1998) PP. 139 – 69)

فى النزعة القومية المتصاعدة للثقافة الأوروبية فى تلك الفترة، مما أدى إلى تباعد متنام بين التقاليد الأدبية الأوروبية المتنوعة؛ وبصير سوسيولوجيًا فى الاهتمام المزدهر بالأغنية الشعبية، وعلى نحو أعم فى الكتابة للطبقات الدنيا وبواسطتها (فى الشعر أساسًا) والطبقة الوسطى (فى الرواية). وبالمثل فإن التفكير الموضعى قد استحدث الاهتمام المتنامى - وإن يكن ما يزال فى بدايته ودون استواء - بالنساء ككاتبات وقارئات للأدب، وأضفى على مناقشات الأدب والفنون الأخرى مزيدًا من الثراء وانتقاصا من طابع إصدار الأحكام بالنسبة إلى الفترات الأسبق، كما أنه فى النهاية نظم الاستعمال المركب للطبيعة فى الكثير من النقد الرومانسى، كنموذج وهدف وغياب مشبع بالحنين.

وتلك هى الموضوعات فى نظرة مختصرة سريعة ستعقبها الفصول القادمة. وقد اخترنا أن نتطلب مقالات أساسية عميقة تستقصى مساحات واسعة من كتابات الفترة الرومانسية، وتركز دراسات أخرى أكثر من دراستنا على هضم حقائق تشمل على وجه الخصوص معتقدات مؤلفين أفراد، وقد فضلنا أن ندع فصولنا تقدم نماذج لكيف فكر الرومانسيون وتجادلوا من خلال قضايا أكبر. فالفصول هى مقالات حقيقية تقدم المعلومات أساسًا، ولكنها فى النهاية أكثر انشغالاً بإبراز كيف عملت الأفكار الرومانسية، وكيف يمكن للنقاد المعاصرين أن يقوموا باستقصائها واستعمالها. وكان التحدى الخاص أمام كل مؤلفينا هو أن يتتبعوا موضوعاتهم على أساس عالمى، وأن يبينوا التماسك الذى يبقى مع تباعد التقاليد القومية.

ويمكن للتجريد الألماني أن يبدو خائفًا لدى الرومانسيين البريطانيين، كما يمكن للتجريبية البريطانية أن تبدو مبتذلة عند الأذهان الفلسفية، كما قد يبدو الفرنسيون فى تلك الفترة محدودى المجال أو يعانون من وهن عند الاثنين، وكان أحد أهداف مجلدنا هذا أن يبين كيف يمكن لكل تقليد أن يشيع الحياة والنور فى التقاليد الأخرى.

ولأننا رغبتنا في مجلد يكون مفيداً اليوم ولقراء الإنجليزية، لم نحاول أن نقدم كل أوجه النقد الأدبي من زاوية فترتنا على قدم المساواة؛ فالعناصر الباقية من عصور سابقة حيوية بالنسبة لوجهة نظر متوازنة لأيامنا، وينبغي تذكر أن كتاب هيو بليير Hugh Blair "محاضرات في البلاغة والأدب الرفيع" *Lectures on Rhetoric and Belleslettres* كان يُطبع مراراً ويُقرأ على نطاق أوسع إذا قورن بمقدمة الأغاني القصصية. ولكن كان لابد من اتخاذ الخيارات، وفي كتاب موجه للقراء المعاصرين فضلنا وردزورث<sup>(٤)</sup>. وبالمثل فإن موضوعات تبدو ذات أهمية محلية بدرجة أكبر تركت المجال لأعمال متخصصة، حيث يمكن العثور بالفعل على مناقشات حية. وهكذا فيما يتعلق بالأسلوبيات، فقد نحيث جانباً المناقشات الألمانية المستفيضة حول الاستعمال الصحيح للكلاسيكية، وإيماءات كلايست الفاتنة عن النثر، وحتى تشريح وردزورث للبيان الشعري والوزن، لصالح قضايا أقل تقنية وأكثر جهداً خاصة بالمفاهيم والأيدولوجية المتعلقة بالبلاغة، وهي التي نوقشت طويلاً في نقد العقود الحديثة. إن عدداً من القضايا والأنماط تمتد عبر مجلدي القرن الثامن عشر والرومانسية، الملخصات الأكثر نسقية لكانط وشيللر والجيليل والجميل والتصويري ستوجد في المجلد الرابع. حيث تقوم بتوليف خطوط تفكير أشد تبكيزاً، على حين أنها تظهر في مجلدنا على صلة بوثبات التجديد. وعلى العكس، لقد كانت نظرية فيلدنج في الرواية في أيامها غريبة الأطوار في شكلها ومادتها، وهي تعالج هنا على نحو أكثر اكتمالاً، في صلتها بالنظريات الألمانية في الرواية التي تابعت الخط من حيث تركه فيلدنج.

(٤) من أجل دراسة مكتملة وحافلة بالمعلومات بطريقة مؤثرة، لشريحة مما كان يكتب ويقرأ بالفعل في الفترة الرومانسية، انظر فريدريش زنجل:

Friedrich Sengle Biedermeier zeit: deutsche literatur in Spannungsfeld Zwischen Restawatin und Revolution Auin 1815 – 48, 3 vols Stuttgart art: Metzler, 1971–80, vol.1

ولا أعرف دراسات يمكن أن تشبهها بالنسبة لعقود أخرى وبلاد أخرى.

و"نحن" التي استخدمتها في هذا التقديم حقيقية، ولكنها ليست سعيدة. لقد كانت الخطة الأصلية للمجلد من وضع إرنست بهلر، وأنا لم أسهم فيها إلا بالقليل من التشذيب. وكان لابد أن تكون مسؤوليتنا المشتركة. وكان إرنست - كمحرر وكاتب مقال ومعلم وإداري وزميل وإنسان - قوة من قوى الطبيعة، وقد مات فجأة وفي قمة ممارسته التخصصية، قبل أن يستطيع أن يكتب الفصل الخاص به، أو التقديم، أو أن يرى المجلد كاملاً، وأنه لمن دواعي الحزن لا الفرح أنني أهديته لذكره.

وبعد إرنست، فإن عرفاني بالجميل يرجع إلى المشاركين، هؤلاء الذين انتهوا مبكرًا وانتظروا بصبر، وهؤلاء الذين مكثوا طويلاً مع مهمات صعبة؛ فنحن جميعًا مدينون لهم بقدر متساو. ويستحق اثنان شكرًا خاصًا، لأنهما حققا ببراعة مسؤوليات تقتضى السرعة جاعتهم متأخرة: تيريزا كيللي من أجل فصلها عن النساء في النقد الرومانسي، وديفيد سيمبون من أجل الفصل عن الفلسفة الذي حل محل فصل لم يُعط لإرنست لكي يكتبه. وقد كدح إريك شاد Eric Schad ساعات بلا عدد، يضبط الاستشهادات والاقتباسات، ويضيف المراجع (قوائم الكتابات)، ولا يستطيع المرء أن يتمنى مشاركًا في العمل أكثر منه تدقيقًا أو استجابة. وكانت جوزي ديكسون سندوتش كمبريدج بنفروسيتي بريس، بين شريحتين من كييفين تيلور؛ فقد انتظرت حينما كان الانتظار ضروريًا، واستجابت فورًا حينما ثارت الأسئلة، وجعلتني عمومًا متأهبًا.

إن منحة تفرغ سنة من جامعة واشنطن، وزمالة من مركز ودر ويلسون العالمي للباحثين، ورغم أنهما كانا يستهدفان مشروعًا آخر، قد ساعدا كثيرًا في هذا المشروع. وجين وإن لم تساعد كثيرًا ذات مرة، فإنها كانت دائمًا متاحة عند الحاجة إليها، كما كانت في فكري دائمًا.

\*\*\*\*\*

## الفصل الأول

### المقاييس الكلاسيكية فى الفترة الرومانسية

بقلم: بول هـ. فرأى

ترجمة: إبراهيم فتحى

إذا كان هذا الموضوع قد يبدو إما بالغ التدرج الجزئى وإما بالغ الوضوح بذاته؛ بحيث لا يصح إدراجه فى مجلد عام عن النقد الرومانسى، فربما يساعدنا هذا على استرجاع أنه عند رينيه ويليك، كانت مكانة النقد الكلاسيكى الحديث وسط الرومانسيين، هى القضية الحاسمة التى جعلت المجلد الثانى من كتابه "تاريخ النقد الحديث" ممكناً: أعتقد أننا يجب أن نعترف بأننا لا نستطيع الكلام عن حركة رومانسية أوروبية عامة إلا إذا اتخذنا وجهة نظر كلية متكاملة واسعة، ودرسنا ببساطة الرفض العام للمذهب الكلاسيكى الحديث باعتباره القاسم المشترك<sup>(١)</sup>. ولكن من الممكن لتلك الدعوى ألا تزيد عن تعميق الشك. لقد قدم لوفجوى حجته الشهيرة القائلة بأنه لا يوجد معيار مشترك من أى نوع بين كل الرومانسيات، كما أن ويليك الذى كتب رده المماثل فى الشهرة على لوفجوى أثناء عمله فى المجلد الثانى، لا بد أنه كان شغوفاً على وجه خاص فى ذلك الوقت، بالدفاع عن شرعية تعريفات شاملة للفترة بأكملها<sup>(٢)</sup>.

(١) رينيه ويليك: تاريخ النقد الأدبى ١٧٥٠-١٩٥٠ الجزء الثانى: العصر الرمانسى. René Wellek, A history of modern criticism: 1750-1950, vol. ii: The Romantic age, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, p. 2.

(٢) انظر آرثر لوفجوى حول التمييز بين الرومانسيات (١٩٢٤)، و رينيه ويليك: "مفهوم الرومانسية فى التاريخ الأدبى" "مصطلح رومانسى ومشتقاته"، وقد تم تضمينهما معاً بطريقة ملائمة فى "الرومانسية وجهات نظر" See Arthur Lovejoy, 'On the discrimination of Romanticisms' (1924), and René Wellek, 'The concept of "Romanticism" in literary history: the term "Romantic" and its derivatives', 1949, conveniently anthologized in *Romanticism: points of view*, Robert F. Gleckner and Gerald E. Enscoe (eds.), Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1970.

ويمكن أن نسأل: هل يمكن للاستثنائيين بايرون وشاتوبريان على سبيل المثال، أن يتم تسويغ تصنيفهما عقائرياً على نحو مقبول من أي وجهة نظر، وليس من وجهة نظر لوفجوى وحدها؟

على أنه مهما يكن رأى المرء وقوله في مناسبات أخرى، فليس هنا مجال للإصرار ما بعد الحدائى على أن النزعة الذرية التى تتجاوز بمساحة واسعة حتى نزعة لوفجوى، هى وحدها التى تستطيع أن تقدر تعقيد التاريخ الأدبى حق قدره (وعلى أى حال لقد سبق لموسيه ذلك عن الرومانسية عام ١٨٢٤)<sup>(٣)</sup> ويجب على المرء أن يفعل ما يستطيعه مستعيناً فى هذه الحالة بما فى دعوى ويليك من تدقيق يسهل إغفاله، نحن نستطيع أولاً أن نتفق على سبيل التجريب على أن ما رفضته روح العصر الرومانسى هو الكلاسيكى الحديث وليس بالضرورة الكلاسيكى أو نصوص العصر القديم ثم نطلق من هنا. وقد يكون ممكناً فى النهاية توضيح أن هناك شيئاً ما أكثر إبانة وأكثر تميزاً بحق وتعريفاً للذات وإن يكن أكثر تنوعاً من الاستقبال الرومانسى لكلاسيكية العصر القديم نفسها.

ونحن نفهم تقليدياً فى هذا السياق التناقضى من مصطلح "الكلاسيكى الجديد" سيادة ذوق أوبيتس Opits وجوتشيد Gottsched فى ألمانيا، وبوالو Boileau فى فرنسا وبوب Pope مع كتاب المقالات المنظومة الآخرين حول النقد، مثل روسكومون Roscommon فى إنجلترا (لوحظ بعبارة ذكية أن الكلاسيكية الجديدة هى اللحظة التى اتحد فيها الشعر والنقد). والفرق بين الكلاسيكية المحدثه والكلاسيكية فى معظم الأحوال يفسر نفسه بنفسه (مثل الفرق بين بوب وهوميروس أو حتى بين بوب وفيرجيل) ولكن يصعب كثيراً استبقاؤه كما سنرى، حينما ندرس تلقى

(٣) يقتبس لوفجوى ألفريد دى موسيه فى خطابات دو بوى وكونتونه "باعتبارها برهان الخلف (إبطال قضية

استناداً إلى فساد ما يلزم منها من نتائج). بالنسبة للجهود العنثية الرامية إلى تعريف الرومانسية.

(Romanticism, Gleckner and Enscoe (eds.), p. 66n.



نصوص النقد الكلاسيكي لهوراس كمثال واضح، ولكن لونجينوس Longinus أيضاً الذى بسطه وروّجه بوالو، كذلك أرسطو الأكثر إشكالاً من الجميع. وحيثما يقول وردزورث على نحو مثير للإزعاج، "أرسطو كما قيل لى..."، ثم يسىء فهم ما قيل له<sup>(٤)</sup> على حين يدعى الاتفاق معه، حتى على الرغم من أن مقدمة "القصص الغنائية" مأخوذة فى كليتها، هى أشد نصوص التأمل النقدى عداءً جذرياً للنزعة الأرسطية التى يمكن تخيلها، فإن حيرتنا لا تقف عند تركيزها على الاهتمام الاجتماعى التاريخى الملتصق بجهل وردزورث المزعوم (واستعداده المرح للاعتراف به) على خلفية المؤسسات الأدبية الأسبق، بل على السؤال البسيط: ما المقصود "بأرسطو": هل هو الأسطاغيري Stagyrite الكلاسيكى المحدث (نسبة إلى مدينته كما أعادت الكلاسيكية المحدثّة تفسيره)، أم الحكيم القديم الذى دافع عن شرف الشعر ضد هجوم أفلاطون، وما مدى أهمية ما يبدو من أن وردزورث فى هذا السياق كان يضع الحكيم القديم فى ذهنه ما دام يبدو فى الأماكن الأخرى بكل تأكيد، وقد استبق التوافق الحديث حول أن أفلاطون هو رومانسى مبكر Proto – romantic ، على حين أن أرسطو هو كلاسيكى مبكر.<sup>(٥)</sup> وإذا أخذنا الأمر باعتباره مسلماً به، ففى معظم الحالات نحن نعرف ما المقصود بالكلاسيكى الحديث، فالكل سيتفق على أن

(٤) ويليام وردزورث "مقدمة للأغاني القصصية الغنائية" الأعمال الكاملة لوردزورث.

William Wordsworth, "Preface to *Lyrical Ballads*" in *Wordsworth: Poetical works*, Thomas Hutchinson (ed.) Ernest de Selincourt (rev. edn), London: Oxford University Press, 1974, p.737.

(٥) يقال إن "الإنجليز" كما لاحظ وردزورث فى محادثة "بولانهم لأرسطو لا يملكون إلا نصف الحقيقة"، فإن فلسفة صحيحة يجب أن تحوى أفلاطون وأرسطو معاً، اقتباس من "أصدقاء قدامى: ذكريات من أصدقاء قدامى"، وهى مقتطفات من يوميات وخطابات كارولين فوكس.

*Old friends: memories of old friends, being extracts from the journals and letters of Caroline Fox*, Horace N. Pym (ed.) (1884) in *The critical opinions of William Wordsworth*, Markham L. Peacock, Jr (ed.), Baltimore, md: The Johns Hopkins University Press, 1950, p. 76.

أوضح مثال "الرفض الرومانسي" لتلك العقيدة التي ينطق بها باسم أبولو الكلاسيكي يمكن أن نجدها في قصيدة كيتس "النوم والشعر" ١٨١٧، فهناك تنديد بالشعراء الذين "يتأرجحون فوق حصان يتمايل ويظنونهم بيجاسوس (الحصان الأسطوري المجنح)، وتنتهي بما يلي:

ألف صانع ماهر ارتدوا أقنعة الشعر. إنهم عرق سيئ الطالع عاق

كفروا بالشاعر الغنائى ومصدر الإشراف فى وجهه

ولم يعرفوا ذلك، بل مضوا فى طريقهم

حاملين راية تعسة بالية.

مسجلاً عليها أشد الشعارات. وهنا وبحروف ضخمة اسم فرد هو بوالو.<sup>(٦)</sup>

وحتى هنا نجد الصفات المميزة مرتبة. وبمجيء ١٨١٩ كان كيتس نفسه يقرأ (ويحاكى هنا وهناك فى مصاص الدماء) شعر درايدن. ومن ثم، حتى على الرغم من أنه كان هناك ميل واسع لمسايرة جونسون Johnson فى اعتبار درايدن شاعراً أكثر دينامية من بوب (تماماً مثلما كان هوميروس وشيكسبير يعتبران أكثر دينامية من فرجيل وجونسون Johnson) فإنه يجب التسليم بأنه فى مدى سنتين صار ذوق كيتس أكثر محافظة. كما أن هذه هى الفقرة - أكثر من أى شىء آخر - التى أكسبت كيتس ازدياء بايرون "الرومانسي".

ومع ذلك تبقى الفقرة مثلاً ممتازاً، فاحتقار القواعد التى تعتبر قواعد ميكانيكية ومفروضة تحكيمياً، هو بعد كل شىء علامة مميزة للرومانسية لا يمكن إنكارها. ويمكن الاستشهاد بالكثير من النصوص الرومانسية التى يرى فيها التدهور، من

(6) John Keats, *the Poems of John Keats*, ed. Jack Stillinger, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1978, P.74.

الكلاسيكى إلى الكلاسيكى المحدث على وجه الدقة، باعتباره تحول المعيارى من ضرورة داخلية إلى قسر خارجى. وبين الرومانسيين الإنجليز دون شك، دائماً مع الاستثناء الصارخ لبايرون، وبالمثل باستبعاد المعاصرين أمثال أصحاب المقالات المنظومة (أبرزهم ويليام جيفورد William Gifford) كان شعر بوب يعتبر وافياً بغرض القواعد فى أفضل الأحوال، وحتى خاضعاً لمسألة - كان أول من أثارها بروج أكثر دفاعية جونسون Johnson - إن كان فى الحقيقة شعراً على الإطلاق.<sup>(٧)</sup>

وكان الشرير الأعلى عند بوب هو هوميروس. ولابد أن يصاب أى قارئ لسونيت كيتس عن هوميروس تشابمان بصدمة أنه قد قرأ هوميروس بوب، "ولم يترك أثراً عليه".<sup>(٨)</sup> ولدينا أيضاً اعتقاد وردزورث (الذى ظهر فى خطاب ١٨٠٨ إلى سكوت مشجعاً طبعة سكوت لدرائدين؛ ولذلك كان يقول كل ما يمكن قوله لصالح درائدين وفترته) بأنه سوف يلزم نصف قرن بالتمام لمحو اسم هوميروس بوب.<sup>(٩)</sup>

ومن الصعب فى التقليد الإنجليزى الإشارة إلى وقت لم تكن فيه الكلاسيكية المحدثه أو الكلاسيكية الكاذبة محلاً للهجوم<sup>(١٠)</sup> من قبل. ومقال السير ويليام تمبل مقال فى الشعر (1690 W.Temple's *Essay of Poetry*) وثيق الصلة

(٧) من أجل حجة تؤكد أن تلك فكرة مقبولة مأخوذ بها، لا يفرضها إلا هيمنة تاريخ وارثون الأدبى، وليست متسقة بالكامل مع الاستمرار الفعلى لبعض الأفكار الرومانسية والكلاسيكية المحدثه، انظر روبرت جريفين: Robert Griffin, *Wordsworth's Pope: a study in literary historiography*, Cambridge University Press, 1995, *passim*.

(٨) جيلبرت هايت: التقليد الكلاسيكى: تأثيرات اليونانيين والرومان فى الأدب الغربى. Gilbert Highet, *The Classical Tradition: Greek and Roman Influences on Western Literature*, New York: Oxford University Press, 1957, P. 416.

(٩) خطابات ويليام ودوروثى وردزورث: السنوات الوسطى. الجزء الأول. The Letters of William and Dorothy Wordsworth: the Middle Years, Part 1: 1806 - 1811, Ernest de Selincourt (ed.) Mary Moorman (rev) Oxford, Clarendon Press, 1969, P.191.

(١٠) التعبير الذى يحيل إلى أوبتز OPITZ هو لويلوبي: L. A. Willoughby فى: الحركة الرومانسية فى ألمانيا The Romantic Movement in German, New York, Russell & Russell, 1966, P. 7.

بالموضوع، بإدانتها "للمحدثين" لكونهم بالغى الإحكام والإتقان فيما يتعلق بالأسلوب والبيان، والعنصر متزايد الانتماء إلى لونجينيوس الذى سبق أن أشرت إليه فى مقدمات درايدن المتأخرة،<sup>(١١)</sup> هو نقد مسبق لأى تشبث متصلب بالانتظام، ذلك النوع من الأشياء الذى عبر عنه بأكثر الطرق تخشياً على سبيل المثال بواسطة المحدث تشارلس جيدون وسط معاصرى درايدن الأقربين. وكما يطرح والتر جاكسون المسألة: "فالمحدثون عموماً لم يشعروا أن القدامى مقيدون بقدر كبير بالقواعد، بل أنهم ليسوا على صواب بقدر كاف فى مراعاتهم لها"<sup>(١٢)</sup> ولكن المحدثين لم يتفوقوا قط فى تبادل للرأى حتى فى زمانهم، وتظل الكلاسيكية المحدثنة الصارمة فى إنجلترا بدرجة كبيرة فزاعة من الفن. وليس معنى ذلك القول إن الجو الأخلاقى والنفسى لعودة الملكية أو طراز الملكة آن (طراز معمارى وزينة شائع فى أوائل القرن الثامن عشر) كان دائماً رومانسياً مسبقاً. ويمكن الإشارة إلى عدد من الثوابت، مثل حقيقة أنه على طول تلك الفترة - كما كان شائعاً الشكوى أيام مدام دي ستايل على سبيل المثال - كان التحليل النقدي وحتى التنقيح النصي يستهدفان "الأخطاء" أكثر من "المحاسن"، ومما يوحى بإيمان لا يتزعزع أبداً بالقوة التشريعية للمقاييس، حتى إن لم تكن دائماً بدقة المقاييس نفسها. وبالمثل فإن من الكاشف بقوة - كما أظن - أن رسالة الأسقف توماس وورينجتون عن أصل اللغة، التفويض الإلهى لموسى (١٧٤١) *Thomas Warburton, the Divine legation of Moses* تتأى عن الفكرة (التي يمثلها هرر وروسو بعد جيل وماتزال سارية عند شيللى) فكرة أن اللغة المنبثقة مباشرة من الضوضاء الغليظة السابقة على

(١١) بول ه. فراي: مدى النقد: المنهج والإدراك فى النظرية الأدبية

Paul H. Fry, *The reach of criticism: method and perception in literary theory*, New Haven, ct: Yale University Press, 1983, pp. 87-124; Fry, 'Dryden's earliest allusion to Longinus', *ELN* 19 (1981), 22-4.

(١٢) بيت: من نطاقات المذاق الكلاسيكية إلى الرومانسية فى إنجلترا فى القرن الثامن عشر.

Bate, *From Classic to Romantic Premises of Taste in Eighteenth Century England*, New York; Harper, 1986, P.22-40.

اللغة، هي أساساً استعارة شعرية. وكل إفراط في المجاز في اللغة البدائية كان يرجع - كما يدلل ووربيرتون - إلى "سذاجة التصور" (١٣) ، ولم يتقدم المتكلمون نحو انغماس متحضر في الاستعارة إلا من خلال تعاقب مراحل. ومرة ثانية ليس من الحكمة افتراض أن عصيان بوب الشجاع، الذي ينتج بهاء يتجاوز ما يصل إليه الفن، هو دعم لأي شيء يتصل بما سيعد بعد ذلك "جليلاً"، على الرغم من أن إيماءة تحبيذ لونجينيوس واضحة بمافيها الكفاية. إن البهاء، أو الجمال المطلق بلا قواعد، له علاقة باللفظ الإلهي، وباللاتينية *Gratia* ، أى ما لا أعرف كنهه *Je ne sais quoi* ، صمام أمان لنطاق استدعى طوال القرن السابع عشر، بدلاً من "الجليل" الذي لعب دوراً معادلاً في القرن الثامن عشر (١٤). ولكن حتى لو صلحت هذه الاستثناءات بقدر ما؛ لإثبات أن الكلاسيكية المحدثة لم تكن قط أكثر من ميل في تاريخ الذوق الإنجليزي، فهذا في نهاية الأمر ما سار عليه التفكير زمناً طويلاً. وإذا كان لونجينيوس عند بوب يشبه بقدر ضئيل لونجينيوس عند جون دينيس J. Dennis (سير لونجينيوس المروّع)، فربما ما يزال أكثر شبهاً بنفسه عند بوب (حتى لو كان فقط ذاتاً أخرى في بيرى باثوس Peri Bathous عنوان رسالة بوب فن الغطس في الشعر، حيث يؤكد للقراء أنه سيقودهم كما كان ذلك من أيديهم بطريق النزول السهل إلى "باثوس" إلى القاع لنهاية المركز، المدى الذي لا يمكن تجاوزه للشعر الحديث

(١٣) اقتباس لرينيه ويليك في: "صعود تاريخ الألب الإنجليزي" يوضح التوقع اللفظي الملحوظ بدقة أنه لا يوجد مذهب قادر على قلب قيم وردزورث على نحو أكمل.

Rene Wellek, *The Rise of English Literary History*, Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1941, P. 88.

(١٤) انظر صامويل هولت مونك: "نعمة لا يدانيها الفن" (مجلة تاريخ الأفكار)

Samuel Halt Monk, "A Grace beyond the reach of Art" *Journal of the history of ideas* 5(1944) PP. 131 - 50

وأظن أنني كنت مخطئاً في الإحياء في "مدى النقد" (ص ٨٣) أن هذا المفهوم يتطلع إلى مصطلح هازليت *gusto* الذوق، فهو يرجع إلى الوراثة إلى تأكيد عصر النهضة على *Enargeia Sprezzatura* الطاقة والعنفوان، وأشعر الآن أنه فكر لا يرتبط إلا قليلاً بالازدراء *Sprezzatura*.. إلخ.

الحق. أكثر مما هو في بوالو، حتى لو كان بوالو قد نشر ترجمته للونجينيوس وتعليقه عليه مع كتابه هو فن الشعر *Art poétique* عام ١٦٧٤. وكان تأكيد بوالو الرئيسي يقع على ما عند لونجينيوس من قول عن الانسجام والإيقاع (التركيب *synthesis*)، أساساً في الفصل التاسع والثلاثين *Peri Hupsous*، والقليل جداً على تلك الأدوات اللغوية المشوشة الممزقة مثل ترتيب الكلمات غير المترابط أو المختلط التي أثرت أساساً في الذوق الإنجليزي. وكما يدل بيت Bate (من الكلاسيكي إلى الرومانسي ص ١٧٠ *Classic to Romantic*) وكما يفخر روبرت ساوثي R. Southey في عينات من أحدث الشعراء الإنجليز *Specimens of the later English poets* (١٨٠٧) وهو يستخف بالكلاسيكية المحدثه، إن للإنجليز عصر نهضة أدبية عظيمة يرجعون إليها.<sup>(١٥)</sup> ومعيارها كان شيكسبير المخالف للقواعد بدلاً من راسين الدقيق المنضبط (وفي جدال شهير كان ستندال أول كاتب فرنسي حسم الأمر لصالح الإنجليز). وفي تلك الأثناء لم يكن لدى الألمان في أوائل القرن الثامن عشر إلا نماذج باروكية ليتخيلوا أنفسهم جديرين بصقلها. إلا أن الألمان أنفسهم بدعوا في التراجع عن المعيار الكلاسيكي المحدث عندما اقترب الناقدان السويسريان بودمر وبرايتر Bodmer & Breitinger من جوزيف أديسون ١٦٧٢ - ١٧١٩ (كاتب المقالات والشاعر مؤسس الاسبكتاتور) ليدخلا ذوقاً يستجيب للشعر الإنجليزي في تقليد ملتون، مما أدى إلى درجة من تعاطف رومانسي سبق من هالزر إلى كلويشتوك يمكن مقارنته بما حدث في إنجلترا بين تومسون وكوير.

وهنا سؤال - يحوى الكثير مما بقى ليقال حول هذا الموضوع - يتعلق بكون وجهة النظر الرومانسية إلى الكلاسيكية المحدثه، باعتبار أنها في حقيقتها العميقة ليست إلا رومانسية مسبقة، لأن التمييز بين الكلاسيكية المحدثه والكلاسيكية لم يكن

(١٥) انظر ساوثي (تحرير) عينات من الشعراء الإنجليز المتأخرين

See Southey, ed., *Specimens of the later English Poets*, 3 vols, London; Long- man, 1807, 1: xxii - xxxi.

متاحًا بالفعل حتى بدأ المنظرون الألمان في التسعينات من القرن الثامن عشر يفصحون عن تصور للرومانسية، بحيث تفهم في تضاد مع إطار ذهني ينبغي احترامه لا التقليل من شأنه هو الكلاسيكية. وبمجرد ظهور ميل نحو الكلاسيكية عند شيللر وجوته والأخوين شليجل وهيجل، إلى جانب النزعة الهلينية المحدثّة عند الإنجليز، والتضاد النفاذ في كل مكان بين اليونان وروما (وسيرد الكثير عنه فيما يلي)، مالت الكلاسيكية المحدثّة لأن تصبح - بمعزل عن الضراوة الشاجبة عند كيتس - لا بوصفها مجرد عدو من قش، بل حصانًا ميتًا.

وبعض الملاحظات عن استقبال لونغينوس قد تجعل ذلك أوضح، على حين أنها تبين أن القضية ليست وفقًا على التضاد بين اليونان وروما. لقد كانت سلطة لونغينوس في أوجها، وربما بالعلو نفسه، في اللحظة الكلاسيكية المحدثّة، وفي رد الفعل الرومانسي المسبق ضدها، ولكن قبل تلك الفترة في عصر النهضة الذي رجع الرومانسيون إليه في تجاهل لعصر بوب، وبالمثل بعد تلك الفترة في عصر الرومانسية نفسه، كان من النادر أن يسمع أحد بلونجينوس. ومن المهم إدراك ما يترتب على تلك الحقيقة. لقد ظلت ترجمة إنجليزية مغمورة له في بواكير القرن السابع بواسطة توماس هول T. Hall غير مقروءة (يذكر ملتون لونغينوس في "حول التربية" ولكننا نشك بقوة في أنه قرأه)، وكانت ترجمة بوالو الفرنسية وحدها هي التي بدأت الموضّة التي أبقت عليها ترجمة ليونارد ويلستيد Leonard Welsted عام ١٧١٢. وحينئذ عندما اقترب القرن من نهايته كان لونغينوس ما يزال يُذكر من وقت لآخر، بواسطة الكتاب الرومانسيين الكبار الأوائل وتابعيهم، ولكن كان من الواضح أنه كف عن أن يكون مهما.

وليس ذلك صعب التفسير؛ فالنقاد والشعراء الذين أخذوا لونغينوس مأخذ الجد إذ يشبهون بعض الشيء القراء أصحاب القراءة التفتيحية له في الأزمنة الحديثة (توماس ويسكل T. Weiskel ونيل هرتز Neil Hertz وكاتب هذه السطور على

سبيل المثال) فهموا "الجليل" (أو السامى أو الرفيع) باعتباره نتيجة للبلاغة التى تعمل على توسيع وتنوع إمكانات تدريب على كتاب البويطيقا "فن الشعر" الذى ظل فى الأساس - بعد أرسطو - تقنية *Techne* أو حرفة. وليست تلك بالضبط وجهة النظر إلى الشعر، لا قبل ولا بعد تلك الفترة، فى الأزمنة التى اعترفت بالقوى السيكلوجية التى ليست شكلية حصراً، اعترافاً أوسع مدى - مثلما اعترف بها - كما ينبغى القول فى نص لونجينوس نفسه. فكل من الطاقة والعنفوان *Energeia* كما سبق أن قلت، والوجود بالفعل (تحقق الوجود بالقوة) *energeia* كانا مهمين جداً عند عصر النهضة، وفى القرن الثامن عشر بعد ذلك عندما يصير الجليل على نحو متزايد سيكلوجيا فى تحليلات متعاقبة من بيرك إلى كانط، ولم يعد مستقراً فى العالم الخارجى أو فى نسيج اللغة، بل يقف متبدلاً باعتباره ليس شيئاً آخر غير قوة الذهن نفسها، وقد حل محله مصطلح آخر هو "المخيلة" التى تصير حينئذ شاغلة المكان والتى تشير إلى قيمة ما بعد الشكل *meta formal* (الشكل الشارح الذى يتخذ الشكل موضوعاً لنفسه) فى الفترة التى تضع إنجازها فى مقابل الكلاسيكية لا الكلاسيكية المحدثة. ويلخص وردزورث فى خطاب عام ١٨٢٥ ما حدث بتأكيد أن اهتماماً بلونجينوس يربط الكلاسيكية المحدثة والرومانسية المسبقة معاً، يجب أن يكون فى أساسه اهتماماً بلاغياً.

"يندهش المرء من أنه كان ينبغى الافتراض للحظة أن لونجينوس يكتب عن الجليل، حتى بالمعنى الغامض الشعبى للكلمة عندما - ما الذى يوجد فى قصيدة سافو الغنائية من قرابة مع جلال حزقيال أو إشعيا أو حتى هوميروس أو أسخيلوس؟ لونجينوس يتناول الكتابة المبتوث فيها الحيوية والعاطفة والطاقة، أو إن شئت الكتابة الرفيعة - وأمثلة هذه وفيرة نجدها عند اسخيلوس وهوميروس - ولكن ما من شئ أسهل من توضيح بالبرهان الموجب والسالب أن *hupsous* عنده حينما تترجم بالجلال تخدع القارئ



الإنجليزي، عندما تستبدل بالترجمة جذر الكلمة. فالكثير مما ألاحظ أنك تسميه الجليل ينبغي أن أسميه بالرائع أو المهيّب" (١٦).

وربما هذا الشاهد عن مسافة نقدية معينة من الرومانسية المسبقة في المرحلة التي سبقتها، سيوضح جزئياً لماذا يمكن للكلاسيكية المحدثّة أن تبدو مستعيدة الاعتبار في حالات استثنائية مثل حالة بايرون، التي توضح مجادلته عام ١٨٢١ مع ويليام ليل بولز William lisle Bowles حول قيمة شعر بوب، وأن نموه تجاوز، أو على أى حال واصل البقاء وراء كتابة التاريخ الأدبي لوارتنوس، الذي ظل بولز الأكبر سناً واقعاً بالكامل في حباله. ويقال بولز في السيرة الشخصية لبوب من شأن نزعة المركزية الإنسانية عنده (التي ترى ضمناً باعتبارها غير دينية) ويعيب عليه فشله في تقدير جلال العالم الطبيعي. ويرد بايرون في سلسلة من خطابات إلى ناشره مقصود بها التداول أن كل المناظر الطبيعية جرداء عقيمة بدون آثار التاريخ الإنساني، وهو قادر على فعل ذلك لأنه يستطيع تلقائياً أن يردد ما افترضه كانط عن الجليل، بدلاً مما رده وارتنوس عن تقليد سبنسر، من أن الجليل مستقر في ذهن الإنساني وليس في العالم غير الإنساني. وهو يستطيع أن يسلم بلا قانونية الخيال وتعالى عصر النهضة، محرراً بذلك نفسه لكي يعيد فحص ما إذا كان - أو لم يكن - الموروث التقني والأخلاقي في شعر بوب أسمى على أية حال من بدائله قبل الرومانسية - بما في ذلك قراءته الخطأ "شعر البحيرة" عند وردزورث وجيله. ولكن مؤلف دون جوان (١١ - ١١١) باستدعائه عارفاً للأنشودة الرعوية المفقودة، هو في النهاية أقرب إلى الهلينية المحدثّة لشللي وكينس منه إلى كلاسيكية بوب المحدثّة. ومسافة بايرون هي المسافة الرومانسية من الانسجام المفقود، وليست مسافة ما قبل الرومانسية من صناعة ثقافية. ويُعرف عن أوجست فيلهلم شليجل أنه قال عن هرذر "إن أبحاثه عن موضوع الشعر

(١٦) خطبت وليام ودوروثي وردزورث: السنوات المتأخرة. الجزء الأول، ١٨٢١-١٨٢٨.

*The Letters of William and Dorothy Wordsworth: the later Years, Part I; 1821- 1828,*

Ernest de Selin court (ed) Alon G. Hill (rev), Oxford. Clalreudon Press 1976, P.335.

الشعبي والخرافي، يبدو أنها قادته إلى استنتاج أن ربة الإلهام لا يمكن تعهدها بنجاح إلا بواسطة أشد أتباعها فظاظاً".<sup>(١٧)</sup> وهنا يرى المرء مرة ثانية التضاد بين رد الفعل العنيف من جانب الرومانسية المسبقة، ضد أي تشذيب وكل تشذيب (بكل نزعة فرتية للعاصفة والاندفاع رافضة حتى العرامة القديمة لهوميروس لصالح أوسيان)، والحوار الودي بين الجيل المسمى بالرومانسي هنا بصوت شليجل وبين الكلاسيكية.

كل ذلك لمجرد دعم بقدر ما لمراجعة مبتذلة لشيء مبتذل : رد الفعل الرومانسي على المقاييس الكلاسيكية لا ينبغي المبالغة فيه، ولكن ينبغي أيضاً أن نأخذ الحذر حتى لا نؤكد كما يفعل أو هيدن O.Hayden أنه قد بولغ فيه في الماضي. فهو يدلل في مهاجمته لتحليل إم. إتش. أبرامز المعتمد كقانون في "المرأة والمصباح" للنقلة من مقاييس نقدية قائمة على المحاكاة إلى مقاييس قائمة على التعبير. على أن "الرومانسيين" (مثلاً، من المفترض أن كوليردج يقرأ بطريقة معينة مختلفة عن طريقة وردزورث) كانوا مهتمين لا بما هو تعبيرى بل "بنظرية إبداعية"، يكرهها هو بعد ذلك على التلاؤم مع المحاكاة، لكي يمد نفوذ أرسطو خلال الفترة الرومانسية<sup>(١٨)</sup>. ولكن المصباح يصدر ضوءه على شيء ما، فأبرامز بالفعل لا يدق مثل هذا الإسفين بين التعبيرى والإبداعى، ومن ثم يترك مكاناً أضيق لعدم الاتفاق مما يعتقد هيدن، ولم يرد أحد أن يزعم - مع الاحترام لهيدن - أن الرومانسيين هجروا أرسطو، على الرغم من أنه سيكون ضرورياً أن نوضح فيما يلى النقاط التى أبعدوا أنفسهم فيها عنه. وكان الزعم التقليدى دائماً ينحصر فى أنهم أعادوا تفسيره (باعتباره من القائلين بالتركيب العضوى لا الميكانيكى) وفى بعض الحالات باعتبارهم الكهنة مفسرى

(١٧) فيدلر (تحرير) محاضرات أ.و. شليجل فى الأندب الألمانى من جوتشد إلى جوته

H. G. Fiedler (ed) A.W. Schlegel's Lectures on German Literature from Gotsched to Goethe P 35. Basil Blackwell, 1944, (1833 notes by George Toynbee), Oxford:

(١٨) يوهان هايدن: النجم القطبى للقنماء. التقليد الأرسطى فى النقد الألبى الكلاسيكى والإنجليزى.

John O. Hayden, Polestar of the ancients: the Aristotelian tradition in Classical and English literary criticism, Newark, de: University of Delaware Press, 1979, esp. pp. 168-9.

المتشظى الذين يختلفون مع تأكيده على الوحدة الغنائية. ومن المؤكد مرة ثانية أن استعداد وردزورث للإقرار أو التظاهر بأنه لم يقرأ "فن الشعر" قط، يفتح المجال لفصل مثير للاهتمام في تاريخ المؤسسات الثقافية المتغيرة. وعلى حين أنه من الصواب الإشارة مع جيلبرت هاييت Gilbert Highet إلى أن "سُلِّي عرف عن اليونانية أكثر مما عرف بوب، فإن جوته عرف عن اليونانية أكثر مما عرف كلويشتوك (*The classical tradition*, P. 355) J. Hodgson أن نسبة، فيظل ما هو أكثر دلالة أن نتذكر مع جون هودجسون أن نسبة، وربما العدد المطلق من القراء على الأقل الذين لا يتطلبون ترجمات عن المؤلفين الكلاسيكيين، كان يتناقص بسرعة في زمن وردزورث،<sup>(١٩)</sup> ومهما كان التحول الرومانسي عن المقاييس الكلاسيكية كبيرًا أو صغيرًا، فإن ما يبقى مفتوحًا للجدال بقدر أقل كثيرًا هو ببساطة أن معرفة المقاييس الكلاسيكية كانت تتضاءل مع تغير خصائص توزيع السكان الذين يعرفون القراءة والكتابة، وأن ذلك كان أحد الأسباب التي جعلت كتابًا من الشباب مثل كيتس (ومن الظاهر وردزورث) يستطيعون تأكيد القوة الابتكارية بقدر من الجسارة أكبر مما كان يمكنه تخيله حتى ذلك الوقت. وحينما دعا إدوارد يونغ إلى "التأليف المبتكر" عام ١٧٥٩ كان يعرف أن الأشخاص المتعلمين الذين يمكن أن يطلق عليهم اسم الشاعر، كانوا في حاجة إلى كبح علاقتهم الوثيقة بالكتابات القديمة لكي لا يحاكوها. وبالنسبة لشاعر مثل وردزورث أو كيتس لم تكن الحاجة إلى جهد للكبح - بالنسبة إلى الشعراء القدامى على الأقل، وبقدر أكبر إلى النقاد القدامى - بهذا القدر من الإنهاك.

وربما كان أسلم الأشياء في القول عن جانب النموذج من الموقف الرومانسي نحو المقاييس الكلاسيكية، هو أنه بالتناقض مع الموقف الرومانسي المسبق يعد مفتقرًا إلى الثبات بدرجة كبيرة. ومن المظنون أن الأخوين شليجل وهما بقدر كبير

(١٩) جون هودجسون: من أجل ذلك...؟ *Wordsworth Was it for this...?* John Hodgson, *Virgilian Questionings*, Texas studies in Literature and Language 33 (1991)

على اتفاق حول التقليد الكلاسيكي، فعلى سبيل المثال (وكان فريدريش هو الذي بدأ مثل نيتشه ممارساً لفقه اللغة الكلاسيكية) بينما استطاع فريدريش أن ينتقد جوته بسبب الكلاسيكية المحدثة في برويلاين *Propyläen* استطاع أخوه أن يتبنى التكتيك الكلاسيكي المحدث الأعلى في نقد أرسطو بسبب التراخي تجاه الأنواع الأدبية، عندما حكم على الملحمة بواسطة قواعد المأساة. وبهذا قلب مثل هذه الآراء هناك الميل الغريزي للمهانة الذي يبدو موجهاً بدقة نحو تبسيط الميل للتطرف. وهكذا يجد المرء فريدريش شليجل يقول أشياء مثل: إنه من المدمر بدرجة متساوية للذهن أن يمتلك نسفاً أو لا يمتلك نسفاً. على المرء ببساطة أن يقدر الجمع بين الاثنين، أو مرة ثانية: "كل الدراسات الرومانسية ينبغي أن نجعلها كلاسيكية، وكل الدراسات الكلاسيكية ينبغي أن نجعلها رومانسية"<sup>(٢٠)</sup>. وبكلمات ويليك: "الأمر هكذا، وتريد مدام دي ستايل في "عن ألمانيا" أن يكون الأدب الألماني أكثر انتظاماً، أكثر اتصافاً بالذوق الحسن، وأن يكون الأدب الفرنسي أقل تقيداً بالموضوعات الصارمة، وأكثر حرية في الاستغراق في تخليق الخيال" (*History of Modern Criticism*, II, 229)

وربما يمكن تعقب المسؤولية عن هذا النوع من فعل الموازنة، بإيمانه بكفاءة الديالكتيك، بأشد الطرق مباشرة إلى خطابات فريدريش شيللر "حول التربية الجمالية للإنسان" (١٧٩٥) كما يمكن إرجاع مصطلحاته إلى "نقد الحكم" عند كانط (١٧٩٠) وفي نص شيللر تتراصف مفاهيم "نسق" و "كلاسيكي" مع دافع التشكيل *Form* *Trieb* في العقل المطلق *Categorical reason* (وكذلك مع عبادة العقل في

(٢٠) كلا القولين المأثورين استشهد بهما إرنست بهلر في مقالات مهمة حول هذا الموضوع.

انظر: "قضايا نظرية في التاريخ الأدبي"

*The Theoretical Issues in Literary History*, David Perkins (ed.), Cambridge, MA : Harvard University Press, 1991. PP.15

والثاني في أصول النظرية الأدبية الرومانسية.

*The Origins of Romantic Literary Theory*, Colloquia Germanica 2 (1988)121

الثورة الفرنسية) على حين أن الميل اللانسقى والرومانسى نحو دافع المادة Stoff trieb الإمبريقية الحسية، للفهم (مجازات الغرائز الدنيا التى ألهمت الثورة الفرنسية) "التربية الجمالية" التى كانت عند شيللر كما كانت عند جوته ليست إلا تحييد الغرائز الثورية بواسطة مرونة الذهن (دافع اللعب spieltrieb) تؤدى إلى تشكيلات منتصف الطريق التى تستبق على وجه الدقة وبالكامل، المودة الرومانسية نحو الكلاسيكى. وعلى سبيل المثال: الشئ المهم... هو تفرقة النزوة (الارتجال) من الجسدى، والحرية من الطبع الخلقى، للتوطئة الأولى مع القانون والتابع الثانى مع الانطباعات".<sup>(٢١)</sup> وفى الصياغات النهائية للتضاد بين الكلاسيكى Klassik والرومانسى Romantik، كما سنرى، يتجه (الجسدى) والمعنوى نحو أن يتبادلا الأماكن، ويظل كل منهما باقياً فى حالة اغتراب عن الآخر ولكن الخطوط بمجرد رسمها تبقى دون تغير، والحالة الناجمة عن الاعتماد المتبادل الديالكتيكى هو ما يحفظ الرومانسى فى الفكر الألمانى من أن ينظر إليه ارتقائياً فى أى وقت كخطوة متقدمة على منظور أسبق.

ولكن النظرة الرومانسية إذن، كان يفكر فيها باعتبارها ضرورة بمعنى من المعانى، تحديداً تاريخياً منبثقاً، ومع ذلك لا أحد حتى ستاندال، أول من أسمى نفسه بإرادته رومانسياً، كان مستعداً لتأكيد أنها كانت بالضرورة أفضل من النظرة الكلاسيكية. وفى الحقيقة، ابتداء من معنى شيللر (فى الشعر الساذج والعاطفى ١٧٩٥) أن الخيارات الوحيدة المتأخرة عن وقتها للشاعر "العاطفى" هى الأنواع الرعوية، والمرائى، والهجاء والمستمرة مباشرة وصولاً إلى "الوعى التعيس" لهيجل، وتكاد الرومانسية تُفهم باعتبارها أزمة اغتراب غبية، اجتثاث جذور متطرف للمثالى من أرض الواقع. وفى عبارات معينة لهؤلاء الكُتَّاب يقدم تى إى هيوم T. E. Hulme كاريكاتيرات للرومانسية بعد قرن ما تزال مناسبة:

(٢١) فريدريش شيلر: فى جماليات تعليم الإنسان. Friedrich Schiller, *on the Aesthetic Education of Man*, Reginald Snell (trans) New York: Unger 1965, P.30.

إنها تتطاول بعيداً في الغاز المحيط بها<sup>(٢٢)</sup> " وفي الحقيقة إن الكثير من الكتاب الذين نسميهم رومانسيين لا يرون أنفسهم رومانسيين بل ما بعد رومانسيين، وهم مماثلون جداً لاعتبارنا في تصورنا لأنفسنا كما بعد حداثيين، فهم ينظرون إلى الوراثة إلى الفترة من دانتي إلى شيكسبير وسيرفانتس باعتبارها رومانسية تماماً، مثلما لا يعترف هيجل في ظاهريات الروح على الوعي التعيس باعتباره مطابقاً لأي حالة معاصرة للأشياء بل لانبثاق المسيحية. وسأعود لتلك المسألة في الخاتمة.

وحقيقة أن هؤلاء الكتاب يرون أنفسهم باعتبارهم في وضع أداة تحليل مقارنة، هي بعينها التي تبينهم واقفين أو يصرحون بأنهم واقفون خارج وفوق أي وجهة نظر ثابتة، ربما تكون بعيدة عن أي صوت حقيقي بالكامل، وإن يكن قد امتلكته بتلك الصفة التي دعاها بايرون وفقاً لليدي بلسنجتون Blessington القابلية للتغير Mobility<sup>(٢٣)</sup> التي أطلق عليها كيتس : كفاءة التجرد الذهني negative capability ومازليت: التذوق المتنوع Gusto ، والتي أطلق عليها فريدريش شليجل قبل عشرين سنة: المفارقة.

(لم يكد عام ١٨١١ يمضي حتى أدخل كوليردج التمييز بين الكلاسيكي والرومانسي في إنجلترا، كما مرت سنوات أخرى عدة قبل أن تجعل رحلة ستايل الإنجليزية وترجمة جون بلاك لمحاضرات أ.ف. شليجل المصطلح مألوفاً، وفي خطابات بايرون لجوته أثناء تلك الفترة سألوه رأيهم في هذا التمييز، وربما يكون ذلك السبب في أن تقلب المنظور أخذ وقتاً أطول ليصير سمة للتفكير الرومانسي الإنجليزي، على الرغم من أن فريدريش شليجل أطلق على روايات جان بول

(٢٢) ت.إ. هيوم: "الرومانسية والكلاسيكية" في النقد: نصوص أساسية T. E. Hulme, 'Romanticism and Classicism' in *Criticism: the major texts*, Walter J. Bate(ed.), New York: Harcourt, 1970, p. 566.

(٢٣) مارجریت، كونتيسة بليسنجتون، محاورات اللورد بايرون مع كونتيسة بليسنجتون. Margurite, Countess of Blessington, *Conversations of Lord Byron with the Countess of Blessington*, London: R. Bentley, 1834, P.67.

ريشتر J.P. Richter المنتجات الوحيدة الرومانسية لعصر ليس رومانسيًا<sup>(٢٤)</sup>. وتبدو أعمال جان بول لنا شديدة الانتماء للحظتها، ومن الغريب عندنا كذلك أن استدال كان مستعدًا لأن يسمي نفسه رومانسيًا في راسين وشيكسبير، وإن يكن يبدو أنه يجسد في رواياته على وجه التحديد عدم الاستقرار الزئبقى لوجهة النظر (التي يجدها المرء أيضًا في كلايست، وفي الأنساب المختارة لجوته) التي تتجاوز - بالنسبة لمجرد القابلية للتغير - حتى تأثير الديالكتيك في بايرون أو بوشكين أو هايني، كما أنها أكثر رهافة من "الحوارية" أو الصبغة الروائية للأنواع الشعرية التي تنبأها التناول الباخثيني لتلك الفترة بوضوح من فريدريش شليجل.

ولم يكن ليفوت القارئ أن من الملائم في بعض الجوانب من وجهة النظر الحالية، أن نطوى شعر وردزورث ونقده المهمين، ونعيدهما إلى الرومانسية المسبقة. إن بليك الذي يقرأ حتى وردزورث على أنه كلاسيكي خبيث، كان قد تم استنجاهه مثل رينولدز ليخفض من قيمة الفن<sup>(٢٥)</sup>. ولكن ربما كانت أفضل نظرة إلى بليك نفسه أنه رومانسي مسبق، ولهذا السبب عينه، فإنه يشكل استثناء عريضًا، إلا أن معظم الكُتَّاب الذين يُعدون رومانسيين، ولكنهم يعدون أنفسهم واقعين في شرك في مكان ما حول الرومانسية والكلاسيكية، يتحققون بالكامل من أن الكلاسيكية في أحسن الأحوال وأسوأها، لحظة محدودة تاريخيًا لا يستطيع الدخول إليها مرة ثانية إلا بواسطة وسائل اصطناعية تمامًا، ولا أشعر أن تودوروف حينما يكتب، يتعرف بقدر كاف على الوعي الذاتي لهذه الفترة، وإن يكن على نحو يحيطنا علمًا. يكون المرء رومانسيًا أصلاً عندما يكتب تاريخ الانتقال من الكلاسيكيين إلى الرومانسيين، أو يظل كلاسيكيًا إذا تصور الاثنين متغيرين من جوهر واحد، ومهما

(٢٤) F. Schlegel, *Dialogue on Poetry and Literary Aphorisms* (حوار حول الشعر والأقوال الأدبية المأثورة) Ernst Behier and Romanticsm strvc (trans) Philadelphia, PA. University of Pennsylvania Press, 1968, P. 95.

(٢٥) شعر ونثر ويليام بليك، William Blake, *the Poetry and Prose of William Blake*, David V. Erdman (ed.) Garden City. NY Doubleday, 1970, P.625.

يكن الحل المختار فإن الكاتب يتبنى وجهة النظر الخاصة بإحدى هاتين المرحلتين ليحكم على الأخرى ويشوهها<sup>(٢٦)</sup>.

وأفضل القول إنه ليس التشويه بل الحنين الذي يقابله المرء في هذه اللحظة. وكان جزء من القدر، من الحتمية التاريخية التي يخبرها كتاب تلك المرحلة المسماة بالرومانسية، هو الإحساس بالحتمية التاريخية نفسها - النزعة التاريخية التي شبعهم بها صعودُ فقه اللغة الجاد؛ فالنزعة التاريخية باعدت بينهم وبين الكلاسيكية بطريقتين، فقد جعلت الجانب الثقافي مما دعاه كيتس المسيرة العظيمة للعقل، يبدو غير قابل لعكس الاتجاه، دون أن يبدو بالضرورة تقدمياً (لماذا ليست الفنون تقدمية (ارتقائية) لم يكن موضوع هازليت وحده) وأدخلت إحساساً بنسبية القيم كان نفسه في نزاع مع كلية (إطلاقية) المقاييس الكلاسيكية. وكل من قيّم الكلاسيكي باعتباره مصطلح مغايرة، كان بكلمات أخرى وبقدر ما، معادياً للكلاسيكية (وبطريقة ثانوية يصدق المثل على "التقليدي" المثال الاجتماعي المتلاشي، الذي يسبب شجن كل من روايات سكوت التاريخية والكوميديا الإنسانية لبلازاك). وقد تم اعتناق متضمنات وجهة النظر النسبية لأول مرة باسم الرومانسية بواسطة ستندال في راسين وشيكسبير، فهو يقول إن الرومانسية هي فن إعطاء الناس أعمالاً أدبية قادرة في الحالة الحاضرة لأعرافهم ومعتقداتهم، على إعطائهم أعظم لذة ممكنة، "على حين أن الكلاسيكية على العكس تعطيهم الأدب الذي منح أعظم لذة ممكنة لأجداد أجدادهم"<sup>(٢٧)</sup>، ولكن احتفاء ستندال هو الذي يعلن بدوره أن الرومانسية آيلة إلى الزوال القادم.

(26) Tzvetan Todorov, *Theories of the Symbol* Caroline Porter (trans) , Ithaca, Ny, Cornell University Press 1982, P. 289. Quoted, in a similar Context by Thomas Vogler, "Romanticism and liter ary periods: the future of the Past", *new German critique* 38 (1986) P.133

(27) 'Le romantisme est l'art de présenter aux peuples les œuvres littéraires qui, dans l'état actuel de leurs habitudes et de leurs croyances, sont susceptibles de leur donner le plus de plaisir possible. Le classicisme, au contraire, leur présente la littérature qui donnait le plus grand plaisir à leurs arrière-grands-pères.' Stendhal (Henri Beyle), *Racine et Shakespeare*, Henri Martineau (ed.), Paris: *Le Divan*, 1928, p. 43.



وغياب هذا النوع من التحذير تاريخي النزعة في البيانات الأدبية التي تعلن العصيان في بواكير القرن العشرين قد يكون مفيداً لتوضيح الطريقة التي حاولت بها المودرتزم (الحدثة) على خلاف الرومانسية الدخول من جديد الفردوس الكلاسيكي السرمدى بواسطة وسائل اصطناعية.

وفي سبيل التكفير عن المغامرات بتعميم حول وردزورث في هذا السياق الذي سيبدو بمعظم الطرق قابلاً للتعقل بما يكفي (لغة البشر الواقعية) "وأشكال الطبيعة الجميلة الدائمة"، يمكن بالكاد التفكير في أنها عرضة للتغير (المقدمة وردزورث، ص ٧٣٥) ولكن هناك القليل جداً من الكلاسيكي أو المعرفة بالكلاسيكي في الطريقة التي يدركان بها، ويجب أن أعترف الآن أنه ربما يكون أكمل تضاد تاريخي النزعة وأكثره إثارة للاهتمام بين الموضوعية الكلاسيكية والذاتية الرومانسية يوجد في وردزورث نفسه، في الخطاب إلى صديق لبيرنز Letter to a friend of Burns الفاتن والذي غالباً ما يجري تجاهله (روبرت بيرنز)

إن ما يهمننا في كتب الكتاب الكلاسيكيين هو فهمها والاستمتاع بها. ومن الصواب أن الأمر مع الشعراء خصوصاً - إذا كانت أعمالهم جيدة - أنها ستحوى داخلها كل ما هو ضروري لكي تفهم ويستمتع بها. وينبغي أن يتضح أن القدماء فكروا بهذه الطريقة، لأنه لم يعد قط للشعراء اليونان والرومان المبرزين إلا القليل والضئيل مما يذكر ولم يحفظ منه إلا أقل القليل. ومن المبهج أن نقرأ ما يختاره هوراس في ممارسته السعيدة لعبقريته لكي ينقله عن نفسه وأصدقائه، ولكنني أعترف أنني لا أبلغ من حب المعرفة، المستقلة عن جودتها الدرجة العالية التي تجعل من المحتمل أن أبتهج كثيراً لو سمعت أن سجلات الشاعر باللغة الأوسكانية من شمال إيطاليا Sabine وسجلات معاصريه المؤلفة على خطة بوزويل، قد استخرجت من الأرض وسط أطلال هيركيولانيوم... وعلى خلاف ذلك بكثير يكون الحال مع تلك

الفئة من الشعراء الذين تعتمد كتاباتهم على المعرفة المألوفة التي ينقلونها عن المشاعر الشخصية لمؤلفيهم، وتلك هي الحال مع تدفق عاطفة بيرنز Burns<sup>(28)</sup>.

ويصرخ القارئ غير محترس بعض الشيء بالتدفقات العاطفية التي تنتمي إلى السيرة الذاتية لوردزورث؛ فعند وردزورث تكذيب بكل تأكيد يقرر أن مثل هذه المشاعر بلا قيمة إذا لم تكن مشتركة بين الجميع، فالشاعر "رجل يتحدث إلى رجال" (المقدمة، وردزورث ص ٧٣٧)، ونحن نعرف أن وردزورث قد لا يكون قد أصدر مثل هذا التكذيب، ليشمل على الأقل بعض مشاعر بيرنز (ومن ثم إيماء التنازل في المناشدة الخاصة التي يعتقد أن بيرنز يستحقها). ولكن على الرغم من ذلك فإن النزعة التاريخية التي يوصى بها وردزورث في هذه الفقرة، هي بعد كل شيء أكثر راديكالية مما يعتقد معظم القراء المحدثين الذين يقرعون النظرية باعتبارها شكلانية أو تحليلية نفسية. وكأننا قد وجب علينا للتمشي مع نغمة وردزورث أن نقرأ أعمال مرحلة بروح متسقة معادية للنزعة القصصية، وأعمالاً أخرى بروح كاتب يعتمد الثروة. ومما يثير الدهشة أنه حينما تكون الآراء آراء وردزورث ولا نستطيع أن ننكر ولا يهم أى ممارسة قراءة تشبه ممارستنا بقدر أوثق، أن الروح الأولى هي التي يسبغ عليها احترام أكبر.

وهناك قضية تسترجع جداً ينتمي بدرجة أقل ثباتاً إلى العلاقة بين الرومانسية والكلاسيكية، سأعود إليها في الخاتمة. وفي هذه الأثناء على أى حال هناك المزيد ليقال عن عدم الثبات الذي أكدته في تضاد مع الاستقبال الرومانسي المسبق ذي الطابع النموذجي للكلاسيكية المحدثنة. وكحالة وثيقة الصلة بالموضوع لا تشر إلا القليل غير الاختلاط في النظرة الأولى على الأقل، تمنع في التأثير على سمعة هوميروس، (1795) *Prolegomena ad Homerum* لدراسة فريدريش أوجست فولف الرائدة، تمهيد لهوميروس، أول عمل بحثي يدافع على نحو موثوق بتخصصه، عن

(28) *The Prose Works of William Wordsworth*, 3 vol, A. B. Grosart (ed.) rev. edn.

New York : AMS Press 1967, 11:11 - 12

التأليف مجهول المؤلف متعدد المؤلفين للإلياذة والأوديسة. وقبل فولف كان هناك إجماع يجرى بناؤه حول هوميروس، فهو شاعر "فد التأهيل" يمارس سيطرة على الوحدات الثلاث، تسبق حتى إمام أرسطو بالأمر (هذه هي وجهة نظر جيلدون Gildon وآخرين) ولكنه كان أيضا على النقيض من فرجيل موهوبا "بالعبقرية"، وكان طابع كتابته "سريعا" مندفعًا بعنف" مؤثرا في الأعصاب " ومتفجرا بالطاقة (كانت هذه وجهة نظر درايدن وبوب من قبل، ونادرا ما جرى تحديها في العقود اللاحقة). وهنا مرة ثانية تثبت الكلاسيكية الجديدة والرومانسية المسبقة في علاقة كل منهما بالأخرى، وغالبًا في هذه الحالة حتى دون نزاع، على الرغم من وجود الكثيرين في العصر "الأوغسطي" الذين أثروا فرجيل (الذي لم يسبغ الطابع الرومانسي على مؤلفه *Lacrima rerum* (عالم الدموع) حتى آخر القرن التاسع عشر) والكثيرين في المرحلة اللاحقة الذين أثروا هوميروس بمقدار ما لا يعد هو نفسه مغاليًا في الكلاسيكية المحدثه بالنسبة لذائقة "العاصفة والاندفاع" وكل هؤلاء العاديين الذين تجمعوا معًا بواسطة جونسون وسط الكلمات الماثورة لديك مينيم الناقد Dick Minim the critic في الأيدلر *Idler* المتكاسل (أوراق مقدمة لـ يونيفيرسال كرونكل *Universal chronicle*) بين ١٧٥٨ و ١٧٦٠، ملاحظات شخصية المتكاسل الرقيقة والمدققة) واستمروا خلال المرحلة حينما تحقق فهم متنام متزايد الطابع التاريخي لهوميروس قبل فولف بواسطة توماس بلاكويل T.Blackwell (بحث في حياة وكتابات هوميروس ١٧٣٥) وروبرت وود (مقال في العبقرية الأصلية وكتابات هوميروس ١٧٦٩).

وأحد آثار كتاب فولف كان التقليل نوعًا ما من شهرة هوميروس في نفس الزمن الذي يتوقع فيه المرء أن تزدهر، حينما تواصل كثيرًا مقارنته بشيكسبير (يحتمى شيللر بعض الشيء في معاصرة مع فولف على نحو ما ملتبس بهوميروس، باعتباره

المثال المنفرد للشاعر الساذج، ولكن ربما كان ذلك جزءاً من التعقيد الذي أرغب في تأكيده) والحقيقة أن هوميروس ببساطة لم يكن يُذكر أو يُفكر فيه كثيراً قبل التسعينيات من القرن الثامن عشر، وينبغي أن يقرأ اقتتان كيتس المشبع بالهبة في سونيت ١٨١٦ جزئياً باعتباره احتجاجاً ليس مقنعاً تماماً ضد سيطرة التقليد الملحمي بواسطة ملتون في المرحلة السابقة.<sup>(٢٩)</sup> ولأسباب اشتهر التعبير عنها بواسطة شيطان ملتون وردتها الممارسة الرومانسية، جاء الذهن ليصير "مكانه الخاص" حالاً محل المظاهر الخارجية للأحداث الإنسانية، كما أن ملتون حل محل هوميروس بالطريقة نفسها التي حلت بها المخيلة محل الجلال البلاغي والمشهدى. ولا شك في أن دور ملتون كان أكبر كثيراً في إنجلترا منه في ألمانيا (على الرغم من أن ملتون كان متوسطاً بواسطة أديسون الذي غير الذائقة الألمانية في مرحلة أسبق) ولكن هناك أيضاً يظهر أن ملتون فقد الأرض.

وربما سيظهر أهم سبب لهذه التغيرات مرة ثانية في سياق ملاحظاتي الختامية، ولكنني أظن أن لفولف علاقة بذلك أيضاً. "رجال الأوب - يقول هايت Highet - وجدوا كتاب فولف مثبطاً للهمم. (التقليد الكلاسيكي ص ٣٨٥) وهو يشير إلى اتجاه جوته "هوميروس، هوميروس الأوسع" كعلامة على إحباطهم.<sup>(٣٠)</sup> ومن الصحيح كما يلاحظ أرنست بهلر إذابة مألوف فرد في كيان جمعي تحكمه "روح شعبية" أو "روح عصر" لم يكن شيئاً غير مؤلف أثناء المرحلة الرومانسية: إن أغنية النبلونجن، ودرامات شيكسبير وحكايات الجان التي جمعها الأخوان جريم ترد على

(٢٩) انظر قراءتي لهذه السونيت في "دفاع عن الشعر: تأملات في مناسبة كتابة:

*A Defence of Poetry: Reflection on the Occasion of writing*, Stanford, ca Stanford University Press, 1995, PP.147-52

(٣٠) جوته يخشى "أنك لا تستطيع أن تقرر أن هناك هوميروس قبل هوميروس" في "عن العمارة الألمانية مقالات عن الفن والأدب،

*Essays on Art and Literature* John Gearey (ed.), Ellen and Ernest von Nordhoff (trans), New York: Suhrkamp, 1986, P.8. Quoted in Behleri "Problem of Origin", P (4 - 31).

الذهن (مشاكل أصل ص ١٨) . ولا شك في أن هذا الاتجاه ليس غير ذي صلة بالانشغال - المسبق - المعادى للكلاسيكية مرة ثانية - بالشذرة التي نظرتها أول مرة حلقة فيينا. ولكن في الوقت نفسه طرح تفكيك هوميروس تحديًا قاسيًا على أفكار العبقرية الأصلية والوحدة العضوية. وإذا استطاعت في الحالة الأخيرة نظريات متنوعة عن الرمز أن تتوسط المتشظى والمتكامل، فقد كان من الأصعب تفسير (بقراءة أفلاطون على سبيل المثال دون عون من نزعة المراجعة الأفلاطونية المحدثه) كيف تستطيع العبقرية أن تظل مفهومًا تأصيليًا مقبولًا ظاهريًا عندما تفصل عما دعاه كوليريدج "الروح التشكيلية للمخيلة" (كأبة - قصيدة غنائية ، ١٨٠٢). ويستطيع المرء أن يرى هذه المسألة تلح مزعجة على الكثير من شعر كوليريدج حوالى الوقت الذى رأى نشر رسالة فولف "الروح الواحدة شاملة الوعي التى تتشكل بإطلاق الفكر الموجود فى كل مكان كل مونداته (جواهره الفردة) المشتبكة فى ترابط عاطفى) (قدر الأمم ١٧٩٦ سطور ٤٤ - ٧) أحد الأمثلة على تلك الجهود مثل "ماذا إذا كانت كل الطبيعة المبنوثة فيها الحياة ليست إلا قيثارات متنوعة التركيب (القيثارة الهوائية ١٧٩٥). ولكن كما كتب فخته إلى فريدريك شليجل عام ١٨٠٠ "ولكن من أين يجيء مصدر الفنان الأول الذى ليس قبله شيء" (٣١)

ولكن أن تستطيع القصائد - التى اعتبرت حتى الآن أعمالاً عبقرية - أن تفرض نفسها على القارئ بكل اكتفائها الذاتى، يعنى فى النهاية إما أن مذاهب العبقرية الخلاقة لم تكن فى صميم المسألة بعد كل شيء (مما يؤكد مقاييس الكلاسيكية فى المحاكاة) أو أن هذه القصائد لم تكن مثالية كاملة بصيغة الماضى التام Pluperfect كما أخذت (مما يعمل على مزيد من تآكل سلطة المقاييس القديمة). ومرة ثانية كان وردزورث، العجوز الآن وهو يكتب إلى هنرى نلسون كوليريدج فى ١٨٣٠ الذى تدبر الجمع بين وجهتى النظر هاتين بينما يتأمل التغير الكبير المضطرب فى مكانة هوميروس تأملاً مكتملاً: "إن كتب الإلياذة لم يكن

مقصودًا بها قط أن تصنع قصيدة واحدة، و.... الأوديسة ليست من عمل الرجل نفسه أو العصر نفسه بدقة. إن هوميروس لا يجيء بعد أحد إلا شيكسبير ... ولكن في الوقت نفسه لا أستطيع أن أفكر إلا أنك في بعض النقاط أسرفت في تقدير القصائد الهوميروسية وخاصة أساليب الحياة ، قواعد السلوك (*Letters : the later years, Part11, PP. 318 – 19*) هنا نجد ميلين مختلفين وبيدوان متناقضين يعملان في هذه الفقرة ويتآزران للوصول إلى غاية واحدة؛ الأول ينقص إنكار أن العبقرية الأصلية تنتمي إلى أى مؤلف مفرد انتقاصًا صريحًا من قيمة أى عمل، ولكن في الوقت نفسه يبدو أن فقدان المفترض لوحدة العمل يستدعى للذهن المقياس الكلاسيكي للوحدة الذى لا يرتبط بالإبداعية إلا بقدر أقل من اعتبارات المحاكاة، مثل "أساليب الحياة (قواعد السلوك). ويمكن إثبات أن هذين الميلين مع ذلك رومانسيان بسماتهما المتميزة - مع النزعة التاريخية المتضمنة في الاعتقاد الذى كان منتشرًا في ذلك الوقت أن الأوديسة هي قصيدة تالية للإلياذة، وذلك بمضاهاتهما بمعادلاتهما في الرومانسية المسبقة . بينما كان هوميروس عند وردزورث ليس كلاسيكيًا بقدر كاف، لأن معرفة أنه "هو" الذى يتصف بالافتقار إلى الوحدة الإبداعية تلون في الظاهر مسألة الوحدة القائمة على المحاكاة في القصائد الهوميروسية كذلك.

وعلى النقيض من ذلك فإن هوميروس في فيرتر جوتة مسرف في كلاسيكيته؛ لأنه ربط على نحو وثيق جدًا بمفاهيم البساطة الهادئة النبيلة التى جعلها فنكلمان طرازًا حديثًا . أوسيان هو الصوت الأصدق للمشاعر عند فرتر ربما بسبب أن القلائل جدًا من المعجبين بالقصائد الأوسيانية صدقوا زعم ماكفرسون أن أوسيان كان مؤلفًا مفردًا .

أما تاريخ سمعة فرجيل طوال هذه المرحلة فأقل تعقيدًا كما كان متنوعًا. وقد تعرض للاحتقار باعتباره أحد رجال الحاشية عند الأمزجة الراديكالية (بواسطة هوجو في المنفى على سبيل المثال) ، وكان يمدح بفتور في المناسبات الأكثر بعدًا عن

الهوى ، باعتباره "قمرًا في مدار هوميروس" (بواسطة هوجو في مقدمة "كرومويل".<sup>(٣٢)</sup>) على حين كان يجري تحتها جميعًا إعجاب بموهبة فرجيل المحضنة كشاعر كان من الصعب التعبير عنه إلا في مداينة المحاكاة المخلصة التي لا تدرك إلا إدراكًا خافتًا. إن المواضع الريفية في تحديد موقع المشهد وحركة المشاهد خلال المشهد (أنا أكون ... أنا أكون) وهي مواضع تنتمي إلى فرجيل وهوراس، كانت إلى حد كبير جزءًا من وصف المكان في الرومانسية المسبقة. وكان شعر التجوال *Spazirgang* ما يزال من الممكن الشعور به في قصيدة كيتس "إلى خريف" *To Autumn*, (And ... And... And now) (و... و... و الآن). وعمومًا هذا هو الجانب من فرجيل (سورته الانفعالية مرة ثانية لم تكن قد صارت بعد في المركز)، الذي استغلته الرومانسية. وكما يلخص بروس جريفر Bruce Graver المسألة: "إن النزعة التعليمية عند فرجيل تصوير الوصف عند وردزورث"<sup>(٣٣)</sup>. وفي الكلام عن ملتون باعتباره سلف وردزورث ، يحسن تذكر - كما يلفت نظرنا جريفر (بدايات وردزورث الريفية، ١٥٤) - أن وردزورث اعتبر أن ملتون شكّل شعره الحر على نموذج أوزان فرجيل السداسية.

وعلى أي حال فمن الأوضح أنه يبقى أن نسأل كيف وإلى أي مدى غيرت الذائفة الرومانسية سلطة النقد الأدبي القديم. وقد ناقشت الخوف المثير للدهشة إلى حد ما للونجينوس، ولكن في ذلك الوقت لم يكن تأثير لونجينوس معادلاً في تبجيله لتأثير هوراس وأرسطو: قديم نعم ولكنه لم يكن قد تم تقديسه إلا قريباً، ونتيجة لذلك كان عدد آخر من الأسماء التي يكثر الاستشهاد بها مثل سكاليجر وهابنسيوس وكورنى بطرق مهمة يبدون أفضل رسوخاً. إن هوراس القصائد الغنائية لم يفقد الحظوة قط. (وردزورث دائماً تقريباً أحسن الحديث عنه على سبيل المثال) ولكن

(32) Victor Hugo, Preface to *Cromwell*, Paris, 1949 p. 40

(33) Graver, "Wordsworth's georgic beginning", *Texas studies in literature and language* 33(1991) p.146.

هوراس التعليمي وخصوصًا مؤلف فن الشعر *De arte Poetica* كف تقريبًا بعيدًا تمامًا عن أن يكون مهمًا كحكم حتى على الرغم من أن الكثير من القصائد الهوراسية بقيت في اللغة باعتبارها حكمًا وأمثالًا بلا مؤلف. ومصير هوراس في هذا الصدد هو ببساطة مصير الرومانسية المحدثه ، وربما على نطاق أوسع (خارج فرنسا) مصير الثقافة الرومانسية عمومًا. ويمكن أن نرى هوراسين يكادان أن يكونا مستقلين حرفيًا في المرحلة الرومانسية منعكسين في الصياغة اللفظية الرائعة في مقدمة شللي لثورة الإسلام *The revolt of Islam*. وبالإضافة إلى ذلك، نجد لونجينيوس مرة ثانية مجرد ناقد من الصعب أن يكون القديس الحامي للرومانسية (المسبقة) فلم يكن لونجينيوس بمستطيع أن يكون معاصرًا لهوميروس ولا كان بوالو بمستطيع أن يكون معاصرًا لهوراس<sup>(٣٤)</sup>. وهنا لا يستطيع التماثل أن يصدق إلا إذا كان هوراس الناقد والسلف المباشر لبوالو قد تم نسيانه بالكامل إلى درجة أن التشوش المؤقت الذي يشعر به القارئ الحديث لا يدخل ببساطة في ذهن شيللي<sup>(٣٥)</sup>.

وقد سبق أن لخصت المدخل التقليدي إلى الاستقبال الرومانسي لأرسطو : إما أن (يشحب) ببساطة جزئيًا من النظر وإما أن تعاد إليه عاقبته ، دون أن يظل راعي الانتظام ، وكمنظر للشكل العضوي. هذا هو أرسطو، ووردزورث، وكوليردج على التوالي . وقد شهدنا مصير أرسطو في مقدمة وردزورث، ولكن في الحقيقة لقد استطاع الظهور بحيوية في قصيدة غنائية عنوانها إيماءات، وهي قصيدة برنامجية أفلاطونية مبنية على الكتاب العاشر من الجمهورية. حيث يجرى تحدى أرسطو، كما

(34) *The complete Poetical works of Percy Shelley*, 2 vols. Neville Rogers (ed.), Oxford: Clarendon, 1975, II : 104

(٣٥) في دراسة فريدة لهذا الموضوع "تأثير هوراس في شعراء القرن التاسع عشر الرئيسيين :

*The influence of Horace on the chief poets of the nineteenth Century*, New Haven CT: Yale university Press 1916

تحلل مارى ريببكا ثاير M, Rebecca Thayer أن شيللي في هذه الفقرة ، يغفل عامدًا هوراس كناقذ أدبي (ص ٤١) ولكننى أظن أن شيللي ببساطة ينسى أن أى أحد قد يعتبر هوراس ناقذًا أدبيًا .



يمكن القول مقدماً من وجهة نظر نقد أفلاطون للمحاكاة باعتبارها لعب أدوار حرباوية.

وفرح وكبرياء جديدين

يحفظ الممثل الصغير دوراً آخر

مالئاً من وقت لآخر "خشبة المسرح الفكاهية"

بكل الأشخاص نزولاً إلى سن الشلل

الذين تجلبهم الحياة فى عدتها

كما لو كانت رسالته بأكملها

هى المحاكاة بلا نهاية (١٠١ - ٧)

والاقتباس الذى يتضمن نظرية الأخلاط مأخوذ من صمويل دانييل، ولكننى أظن أنه ملون بالمفارقة الزمانية المتجهة إلى الأمام باستعمال جونسون Jonson واستعمال خلفائه، وذلك يدعم الكلاسيكية الجديدة للدور الذى لعبه أرسطو المدافع عن نظرية لعب الأدوار ابتداء من أطفال السادسة من العمر فى تضاد مع الصيغة الواحدة المثالية عند الطفل الأفلاطونى المعادى للتمسرح . وأهم اشتباك مع أرسطو فى المقدمة ليس "أرسطو كما قيل لى" بعد كل شئ ولكن الزعم المصنوع للقصاص القصصية الغنائية بأن "الشعور الذى جرت تنميته فيها يولى أهمية للفعل والموقف وليس لعلاقة الفعل والموقف بالشعور " (المقدمة - وردزورث ص ٧٣٥) . وذلك يجعل *Dianoia* (الفكر) مع بعض الخليط من *ethe* (الطبع / الشخصية أو الدور) فائق الأهمية على *praxis* الفعل، على حين أن أرسطو قد سجل عناصر التأليف الشعرى هذه بترتيب عكسى، وهذا هو الثورى حقاً فى معالجة وردزورث للقصيدة القصصية (وذلك إلى حد ما يضع تحفظاً على إثبات روبرت مايو R. Mayo أن القصائد فى هذا المجلد كانت تحمل سمات زمنها)؛ وليست هناك فقرة توضح بجلاء أكبر ما نسميه تقليدياً بالتحول الرومانسى نحو الذاتية. كما أن التهميد الموجز للمعتكف *Prospectus to the Recluse* الذى يجعل ذهن الإنسان مثواى، والمجال الأساسى لأغنييتى (وردزورث ص ٥٩٠) يزاوّل الخدمة نفسها للملحمة .

ويدلل ويليك عن كوليردج وهوجو خارج ألمانيا (تاريخ النقد الحديث ١١ ص ٣) على أن النزعة العضوية شديدة الأهمية عند هرذر، وعند جوته في علم النبات وعند الأخوين شليجل ولكنها لم تظهر مكتملة التكوين إلا عند كوليردج وهوجو. وهذا الصنف من الرومانسية هو الذى اجتذب الدارسين الأشد ميلاً إلى الديالكتيك من أورسيني Orsini إلى ماك فارلاند Mc Farland الذين أصبحوا من أشياع كوليردج نموذجياً ويميز ويليك نفسه بين الرومانسية العاطفية المرتبطة بوضوح بورذرورث والتي لا يتوقع أحد منها إلا القليل من القيمة النظرية و"بناء نظرة ديالكتيكية ورمزية فى الشعر" عقيدتها التأسيسية تعريف كوليردج للرمز فى كتيب رجل الدولة" بالإضافة إلى تأليه الخيال باعتباره "قوة توحيد التشكيل" esemplastic (مصطلح نحتته كوليردج من es عن اليونانية eis إلى داخل وem عن اليونانية Hen واحد بالإضافة إلى plastic ماله علاقة بالتشكيل = المترجم) والآن فى مثل كل هذا التفكير فى هذه المرحلة يجب الإقرار بأن تأثير أرسطو ضمنى بدرجة كبيرة - وهذا عرض ينبغى الرد المعاكس له - لتلاشيهِ من النظر أكثر إعادة تفسيره، ولكن مهما يكن القليل أو الكثير من أرسطو قد وضعه كوليردج المنظر الألبى دائماً فى ذهنه فإن كتاب فن الشعر المتسم بالنزعة العضوية الذى بزغ فى الترجمة والتعليق الإبداعيين الحديثين بواسطة إس إتش بوتشر S.H Butcher (١٨٩٤) والذى ظل مسيطراً طوال ازدهار النقد الجديد، ويليكَ نفسه لا يمكن فى الواقع تصويره بدون تأثير توسط كوليردج.

والفقرات الرئيسية هى تلك التى يصر فيها أرسطو على أن "أجزاء" المأساة تمتلك ترتيباً ضرورياً لا يمكن إعادة تنسيقه ، ويقول فيها أيضاً أنك لا تستطيع أن تجد كائناً حياً (zoon) أطول أو أقصر من المعدل . وعلى الرغم من أنه يبدو جلياً تماماً أمام معلقى العصر الحديث أن الحظر على تبادل الأجزاء يتعلق بتلك التى ترى بالعين المجردة (أنت لا تستطيع أن تضع خروجك exodos قبل نشيد الجوقة الاستهلالى parodos على سبيل المثال، ولكنك تستطيع أن تضع استعارة ما فى أى مكان تريد مادام لا يوجد الكثير جداً منها) وأن الفقرة التى يقال إنها تتعلق بالحياة العضوية الحيوانية هى بالفعل عن رسم تخطيطى Schema أو تصميم عام، وهو مالم يكن واضحاً على الإطلاق عند تلاميذ بوتشر . فقد ظنوا أن مثل هذه الفقرات

تذكر بأريخ فكر كوليردج. ولكن المكان الوحيد عند كوليردج حيث يظهر أرسطو بالفعل على السطح في هذا السياق الفصل السابع عشر من السيرة الأدبية يمكن ربما أن يقال أنه يريح الطرفين. والهامش الذى يقول بين أشياء أخرى أن "أرسطو قد ... طلب من الشاعر أن يشتمل الفردى على الكلى" يمكن أن يقال إنه أنشأ المراجعة ذات النزعة العضوية، ولكن الهامش كتب لتحذير القارئ ودفعه بعيداً عن الاعتقاد أن النص الرئيسى الذى يقول باسم أرسطو "أن أشخاص الشعر يجب أن ترتدى صفات نوعية. هو كلاسيكى حديث مستور: "لا تقل إننى أنصح بالتجريدات"<sup>(36)</sup> ومع ذلك فإذا وضع المرء هذه الفقرة بكاملها (الشعر مثالى لا يسمح بأى صفات غير جوهرية وما إلى ذلك). ويحذأ انقاذ جونسون Johnson لشيكسبير من عناصر استهجان ريمر Rymer وفولتير (قصته تتطلب رومانين أو ملوكاً ولكنه لا يفكر إلا فى البشر<sup>(37)</sup> العاديين). ولا شك فى أن كوليردج هو الأكثر اتصافاً بالكلاسيكية المحدثه ، ونزعة المحاكاة العليا من الاثنين. ومن الممكن التهويل فى قيمة ما سبق فلم يكن جونسون وحده الذى اقترض ستتدال حججه ضد الوحدات الثلاث، بل لسينج Lessing وديديرو وآخرون الذين قدموا مراجعات تنتمى إلى المحاكاة الدنيا لأرسطو لكى يعكسوا الزى العصري الجديد (موضة) لدراما بورجوازية أو فى حالة جونسون لكى يتلاءموا ببساطة مع اشتياق المتفرج المشروع للجدّة (كل لذة تتألف من التنوع) ، وربما أيضاً لدعم ذائقته الخاصة فى روايات ريتشاردسون وقد يكون كوليردج قد شعر بالفعل أن تلك المذاهب الخاصة بالمحاكاة غير فلسفية ببساطة أو أسوأ من ذلك، تعكس الانجراف التجريبي نحو نزعة تداعى المعانى Associationism التى تستدعى كتاب أرسطو فى النفس *De anima* ضدها كأداة وقائية فى السيرة (الفصل الخامس). ومع أخذ كل الآراء فى الاعتبار فإذا كان الأمر كذلك فلن يكون أرسطو فى الحقيقة هو الذى استخلص منه أرسطو أساس تأكيده الذى لا شك فيه على الشكل العضوى فى أماكن كثيرة أخرى ، وليس من المستطاع القول دون تحفظ لذلك

(36) Samuel Taylor Coleridge, *Biographia literaria* George Watsom (ed.) New York: Everyman, 1971, P.191,

(37) Johnson, "Preface to Shakespeare", in *Criticism the Major Texts*, Bate (ed.) P.210

إن هناك أرسطو "رومانسيًا" حتى نهاية القرن التاسع عشر (حينما بزغ أيضًا فرجيل رومانسيًا) نتيجة - إلى حد كبير - لتأثير كوليردج بل نتيجة - بقدر ضئيل جدًا لأرسطو طاليتة المفترضة.

وهكذا فإنني أظن من الصواب القول بعد كل شيء - دون الكثير من التحفظ - أن سلطة أرسطو ضعفت في المرحلة الرومانسية مع سلطة لونجينوس وهوراس وقد قرئ اليونانيان من خلال عيون جيل أسبق ، ولكن دون حماسة ذلك الجيل (وربما أيضًا لأنهما قرئا على الأغلب باللاتينية إن لم يكن بلغات حديثة) .

كما أن قمع الترشيح الذي صفت خلاله آراؤهما والذي أنتج صورتها التي تقوم بالخطر باعتبارهما الحكام والمشرعين لم تكن قد نحيبت جانبًا قط أو نادرا. وهكذا لم يستطع أرسطو ولونجينوس الإفادة إلا قليلاً من النزعة الهلينية المحدثه ومن التضاد المتزايد التعميم بين اليونان وروما بحبه لليونان. ويكتب هاري ليفين H. Levin لقد كان زعم الرومانسيين أن مدرستهم قد قامت بتثقيف التقليد اليوناني بواسطة التكرار لروما ... (ومن ثم) صارت العناصر الشكلانية والمتحذقة متماهية تدريجيًا مع الثقافة اللاتينية<sup>(38)</sup>، ومع ذلك فمن روما - كما في دانتي - نشأت الظاهرة عينها التي قامت في النهاية بتغريب الجيل الرومانسي بأشد الأنحاء حسماً عن الكلاسيكية ، وعلى الأخص عن الأثشودة الرعوية الأرضية التي كانت اليونان، ظاهرة المسيحية . وهذا الارتقاء كان واضحاً عند مدام دي ستايل إلى درجة أنها عكست التضاد التقبيمي المعتاد بين اليونان وروما وأصرت على أن روما بأعرافها الأكثر تهذيباً ولطف قواعد سلوكها مثلت بالفعل خطوة إلى الأمام نحو انبثاق المسيحية - بما جاءت به من تحسن في وضع المرأة .

وحتى شللي "الملحد" يصر في كتابه "دفاع عن الشعر" على أن عصر الفروسية بخلفيته المسيحية، يسجل خطوة إلى الأمام في معاملة النساء . ومهما تكن غرابة ذلك بالنسبة إلى آذان الناس اليوم ، فإن وضع النساء موضع تكريم كان استجابة إلى حد ما لدافع نسوي ، أعنى كيف قرأ شللي ومعاصره دانتي. تشترك

(38) Levin, *the broken Column: A Study in Romantic Hellenism*, Cambridge, MA : Harvard University Press 1931, P. 20

مسرحية فاوست الباكورة لجوته مع خلاص الحبيج عند دانتي (وهو خلاص أنثوى جوهرى أبدى يجذبنا نحوه) وحتى كتاب ماري ولستونكرافت "دفاع عن حقوق النساء" بأطروحته القائلة بأن النساء ينبغي أن يتحسن تعليمهن لكي يصرن رفيقات أفضل للرجال، تبدو في وضع أسوأ إذ يشير إلى ما في هذا التمجيد من تنازل. لقد اعتقد أوجست شليجل<sup>(39)</sup> "أن تبجيل القيمة الأنثوية الحقيقية" كان جزءًا من الروح المسيحية والرومانسية الشمالية.

ولم تكن جريتشن (عند جوته) أو بياتريس (عند دانتي) بل العذراء مريم التي يتشفعون بها لتقديم هذا الدور الجديد الرائع للنساء في تلك اللحظة التاريخية المحددة ، والتي كانت أيضًا العامل الرئيسي في تثبيت الديالكتيك الكلاسيكي - الرومانسي الذي ندرسه هنا . وتامًا كما افترق دانتي عن فرجيل في أعلى نقطة من المطهر لكي يتجاوز النقص الأرضي فإن الرومانسية أرجعت بحزن المحدودية الأرضية حتى لأشد اللحظات الكلاسيكية اتصافًا بالروعة الريفية المثالية إلى عدم قابلية الماضي للاسترجاع. ومن ثم إخضاع هوميروس لملتون أيضًا، الذي عاود طرد الآلهة الكلاسيكية وإن يكن بإحجام جلي.

وإن ترأصف الرومانسية مع المسيحية ربما يكون أكثر وضوحًا في فرنسا وألمانيا . ويناظر إصرار مدام دي ستايل على أن الشعر الرومانسي "مدين بميلاده لاتحاد الفروسية والمسيحية"<sup>(40)</sup>، عبقرية المسيحية *Le genie du Christianisme* حيث يقول شاتوبريان بطريقة تلفت الاهتمام "مع المسيحية وحدها جاء شعور محب للمنظر الطبيعي في ذاته ، بمعزل عن الإنسان" على حين كانت الكاثوليكية متزايدة التقوى عند الأخوين شليجل تبدو ببساطة معززة للرسم التخطيطي الهيجلي وفيه تكون الرومانسية تجددًا متفجرًا متأخرًا بعد ركود تتوسطه "نزعة الشك لهذا الوعي التعيس" المغترب عن الروح التي هي في جوهرها المسيحية. وربما يكون التصريح الحاسم ضد الكلاسيكية في هذا الصدد هو تصريح أوجست شليجل في "محاضرات حول الفن والأدب الدرامي" ولكن مهما يكن ما وصل إليه اليونان من نجاح رفيع في الجميل

(39) August Wilhelm Schlegel , *A Course of lectures on Dramatic Art and literature*, John Black (trans) London: Bohn, 1846, P.25

(40) Baronon Destail Halstein, *Germany*, 2 Vols, London jahn Murray, 1814, 1: 304

وحتى في الأخلاق، فإننا لا نستطيع أن نسيغ أى طابع أعلى على مدينتهم يفوق نزعة حسية مصفاة وذات نبل (مجموعة مقالات ص ٢٤). ولكن الإنجليز أيضاً وصلوا إلى هذه الآراء . فقد قبل هازليت شروط شليجل بما فيها تمييزه بين معبد دورى Doric ودير ويستمينستر ، كما أن كوليردج من جانبه بالمثل طابق بين الرومانسية وبزوغ المسيحية ، حيث سماتها المسيحية المميزة هي : واقعيتها ، وصفاتها التصويرية (المثيرة للصور الذهنية) هنا موقع العنصر القوطي ، تنوعها وتعقيدها، وسعيها الدعوب نحو اللامتأهي، وذاتيتها وخيالها.<sup>(٤١)</sup> ويرتكز العنصر الأسطوري الشعري الأكثر علمانية حتى عند الرومانسيين الإنجليز الهيلينيين الجدد على بنية مشابهة . "وتأنيب الضمير المتأخر للحب" هو مراجعة بايرون للانتقام (النقمة) الكلاسيكي في "لجنة الغفران" التي يقذفها من الكوليسيوم Coliseum مدرج روما القديم (تشايلد هارولد IV مع نيمة سعار الحوريات (الهياج العاطفي المحور) Nympholepsy الذي ينتهي هنا بقصة نوما Numa وإجيريا Egeria) واستدعاء مماثل - عند شيللي تلهم الأنثوى الجوهرى الأبدى Des Ewig - Weibliche (أسيا ، روح الحب) ، لتفك قيد بروميثيوس إيسخيلوس. والتقل الكامل للرعى الكلاسيكي في دون جون "هو حلاوته المرة؛ هشاشته ومحدوبيته وعماء على حين يدخل شللي في إعلانه" أن السر العظيم للأخلاق هو الحب "<sup>(٤٢)</sup> المكون الملزم الذي يمكن من إدراك التشابه في عدم التشابه المسمى الاستعارة ، وهو مكون كان يجب أولاً أن يظهر في منطق كتابة التاريخ عند شللي، حينما أدخلت الفروسية المثالية المفطورة على الحب وسيظهر كيتس مشكلاً لاستثناء جزئي هنا، على الأقل بمقدار ما يمكن أن يقال عنه إنه يغنى "شعر الأرض" (عن الجردة والجندب) الذي ليس مديناً إلا بالقليل لأي شيء ما عدا قراءة طبيعية المنزع بشدة لوردزورث المبكر واحتضان غير مقيد شديد الخصوصية للكلاسيكية عن طريق قاموس ليمبرير Lempriere. ولكن حتى عند كيتس تواصل التوترات المميزة البقاء . ولا شك في أن

(41) Herbert Weisinger, "English Treatment of the the Classic Romantic Problem", *Modern Language Quarterly* 7 (1946) P. 482

(42) Percy Bysshe Shelley, *shelley's Poetry and Prose* Donald Reiman and Sharon B. Powers (eds.) New York : Norton 1982) P. 487.

التركيب شديد وضوح الميكانيكية لسينثيا Cynthia والعذارى الهندية فى نهاية إنديميون Endymion يعنى تأنيب الوعى التعيس للشاعر المثالى الذى يدير ظهره لعذراء عربية فى ألاستور Alastor لشيلى ، ولكنها تظل مناورة خرقاء تلك التى تترك بيونا Peona لواحد فى حالة غير واعدة من الحيرة، وإذا كان فى جهد لاحق أكثر رشاقة تركت النافذة البابية مفتوحة فى الليل لاسترجاع الحب الدافئ لبسيخة Psyche سايكي ومع ذلك لم يكن كيوييد قد ظهر بعد . والفشل الذريع لثيا Thea فى دور الوساطة فى هيبيريون hyperion "الأول مع وضع مونيتا Moneta البغيضة الكالحة مكان ثيا فى الثانى، لا ينبغى أن يمنعا من أن نرى فى الواقع فى كل مكان من عمل كيتس الأسطورى الشعرى أن بنية التوسط الأنثوى تظل سليمة وهى بنية محمولة إلى الأمام من عبادة مريم العذراء فى المسيحية المبكرة.

هذا إذن أكثر التحولات الرومانسية حسماً عن الكلاسيكية .. "الحب" قد فهم زمننا طويلاً باعتباره تحسناً "حديثاً" للكلاسيكية (كما فى راسين وكورنى أو فى الدرامات البطولية التى أدخلها درايدن ودافينانت Davenant) ، ولكن سورة الحب الكلاسيكى المحدث كان من المحتمل بدرجة أكثر أن يكون مدمراً من أن يكون خلاصياً. وتختلف بالمثل المحايثة الخلاصية للأنثوية من الاستدعاء الكلاسيكى للملهمة على وجه التحديد فى أن "التسع" بعد كل شىء لم "تترنل" قط فى الواقع . (الإلهات الشقيقات التسع ملهمات الفنون والمعارف). فالشاعر ينادى إحداهن ببساطة لى يشير إلى توقع نوعى ثم يواصل مشاغله، كما أن البطولات الكلاسيكيات أيضاً لهن موضعهن اللائق . وتقدم الإنيادة the aeneid، نموذج دانتي \_ فى نواح كثيرة أخرى \_ نقطة التضاد : فاينياس لا تقوده كروسا Creusa بل هو الذى يفقدها ومن ثم يفقدها ، وقد ضللت ديدو Dido ولم تكن له علاقة على الإطلاق بالرزينة لافينيا Lavinia التى كانت عبادتها الرومانسية بواسطة تيرنوس Turnus ليست بذات نفع له، أكثر من التكتيكات المراوغة لأخته جوتيرنا Jutarna. وفى تلك الأثناء كانت فينوس وهى تلعب دور أثينا فى الأوديسة تنتمى إلى تقليد جماعة المحتالين التى يبدو أن الشعرية الأسطورية تشترك فيها مع الفولكلور الخاص بثقافات أكثر قدماً حتى من المسيحية المبكرة . ومن الواضح جداً أن الثمن الذى تدفعه النساء من أجل إضفاء النبل عليهن بواسطة الرومانسية هو فقدان الذكاء والشخصية . وإذا كانت البطلة فى

الكوميديا الكلاسيكية تتحو نحو أن تكون واسعة الحيلة وكان البطل يميل نحو أن يكون بلا جراءة، فقد بزغ الاتجاه العكسي في الكوميديات الميتافيزيقية للمسيحية والرومانسية، سواء في فرانكشتاين لماري شيللي أو بنفس القدر في أي مكان آخر. وعلى حين كانت الإلهة الكلاسيكية (التي يمكن لها بالسهولة نفسها أن تكون إلها مثل هرمز) تساعد أو تعوق فإن الوسيط السماوي الرومانسي إما أن يلهم العون الذاتي (بأشد الطرق إيلافاً في حالة مونيتا Moneta عند كيتس أو يخفق في فعل ذلك.

وإذا كنت بذلك قد عزلت خيطاً دائماً ينساب خلال التحول الرومانسي من الكلاسيكية فإنه يبقى أمامي أن أسأل في الختام إذا ما كانت تعريفات الرومانسية لنفسها وعلى الأخص الكلمة نفسها تعكس توافقها مع المسيحية المبكرة؟ وإذا تذكرنا إجماع الرومانسيين عن أن يسموا أنفسهم رومانسيين حتى وهم يعترفون بدورهم في الاغتراب عما هو كلاسيكي فيجب ألا يدهشنا أن نجد الكلمة مرتبطة على نحو متسق بالتطورات الوسيطية والحدثية المبكرة. فهي مشتقة وفقاً للسياق إما من كلمة اللغات الرومانسية؛ وهي ذلك الخليط من اللاتينية واللغات الحديثة أو من كلمة الرواية Novel التي تخط الأجناس الكلاسيكية في الجنس الأدبي الشامل *genus universale* الذي اشتهر في "حوار عن الرواية" عند فريدرش شليجل. وفي كلا الخليطين فإن ما يبرز إلى المقدمة هو الشذرة Fragment وإن غلبة النصوص غير المنتهية عمداً أو سهواً (إهمالاً) في أثناء تلك الفترة هي النتيجة الشكلية لتيمات معينة: الشعور بالاغتراب عن الطابع الكلي للنظرة الكلاسيكية بين أشياء أخرى مع الشعور بأن اللغة لا تستطيع أن توجد في أفضل أحوالها إلا وهي في علاقة مجاز مرسل *Synecdoche* (في علاقة يعبر فيها الجزء عن الكل والعكس) باللامتناهى. مثل الرمز *Symbol* عند كوليردج، ولا تكون في أسوأ أحوالها إلا كقصاصة أو كسرة يعلن مجرد نقصانها عن اللامتناهى بوصفه غياباً. والكلمة الأخيرة التي أشرت إليها للتو يمكن نسبتها إلى بليك Blake. وحينما كتب وردزورث متعجباً من إتقان تصميم تلازم الذهن الفردي مع العالم الخارجي والعكس أجابه بليك في ملاحظته الهامشية الشهيرة: لن تهبط إلى الاعتقاد بمثل هذا التلازم، فأنا أعرف أفضل من ذلك واستميج مقامك الرفيع عزاً. (الشعر والنثر ص ٦٥٦). وفي عيني بليك كانت نزعة وردزورث الطبيعية تجعل منه أحد أتباع الكلاسيكية. وتربط وجهة نظره إلى



الذهن والعالم بالعادات الأرستقراطية في الإدراك التي ظلت زمناً طويلاً تدعى الانسجام وفق الدرس الكلاسيكي باعتباره إقطاعية خاصة، ولكن نظرة واحدة إلى مقدمة وردزورث وحدها حيث ترفض كل العادات الأرستقراطية في البيان قد تقنعنا أن بليك مخطئ، ولكن المثال قد يكشف بدرجة من الوضوح المسافة التي قطعتها الرومانسية بعيداً عن المقاييس الكلاسيكية .



## الفصل الثانى

### التجديد والتحديث

بقلم: ألفريدو دى باز

ترجمها عن الإيطالية: ألبرت سبراجيا

ترجمة: لميس النقاش

فى هذا المقال أود مناقشة الأبعاد الابتدائية والحديثة للنقد الأدبى والفنى الرومانسى فى أوروبا. ولكن من المفيد أن نبدأ ببعض الملاحظات العامة حول التنوير؛ أولها أن العقل فى هذه الفترة كان منشغلاً بنقد العالم ونقد نفسه وبالتالى بتحويل العقلانية التقليدية بخصائصها الهندسية اللازمية. وتكمن أصول التحديث فى هذا التوجه الجديد للعقل والنقد، أى فى ظهور العقل النقدي وانتشاره فى كل المجالات.

ومن هنا يصبح النقد السمة المميزة للتحديث؛ فيبدأ التحديث باعتباره نقداً عبر مبادئ العقل والفلسفة والدين والأخلاق والقانون والتاريخ والاقتصاد والسياسة. ومن خلال هذا النقد تنشأ المفاهيم الرئيسية والأفكار الأساسية للتحديث وأهمها التقدم، والتطور، والثورة، والتحرر، والديمقراطية، والعلم والتكنولوجيا.

وقد تجلّى النقد فى مجالات عدة وبطرق مختلفة؛ أولها وأهمها نقد العقل نفسه، فى تخلى العقل عن المخططات متكلفة العظمة التى تجعله متماهياً مع الخير والكينونة والحق. كما أن العقل لم يعد مجرد موطن الأفكار، بل أصبح رحلة ومنهجية للاستقصاء يعتمد على المبادئ العلمية والتجريبية. وعبر النقد عن نفسه كذلك فى

المراجعة النقدية للغيبات وحقائقها التى لا تخضع للتغير. ولكنه أصبح أيضاً نقداً لليقين الموجود فى كل ما هو تقليدى من قيم ومؤسسات ومعتقدات. ومع روسو Rousseau ولاكلوس Laclos وصاد Sade، وتلك بعض ألع أسماء فقط، عبر النقد عن نفسه باعتباره مراجعة نقدية للعادات والأعراف، وتحول لتأملات حول الأهواء والمشاعر والحياة الجنسية، تأملات عادة ما كانت متجاوزة الحد؛ إذ صاخبها وعى واضح إلى حد بعيد بأن "حرية قول كل شىء" أحد الافتراضات المسبقة لكى يتسنى للفرد السيطرة على مصيره. ومع إدوارد جيبون Edward Gibbon ومونتسكيو Montesquieu يصبح النقد "نقداً تاريخياً". ويعد كتاب تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية الذى كتب ما بين عامى ١٧٧٦ و ١٧٨٨، بداية محاولات كتابة "تاريخ علمى"، كان مونتيسكيو - من منطلق الفكر الليبرالى - أول من عبر عن علاقة الاعتماد المتبادل بين كافة جوانب الحياة الاجتماعية من قضاء واقتصاد وقيم أخلاقية ودين، دون محاولة إدراج كل هذه "الكلية" فى نظام ثابت. ولكن النقد أيضاً كان يعنى اكتشاف "الأخر"، و"المختلف"، ثقافياً وعرقياً. كما كان يعنى تحولا فى منظور العلوم الطبيعية والفلك والجغرافيا وعلم الأحياء.

وفى النهاية أصبح النقد تاريخاً، فهو الذى نتجت عنه ثورات التحديث الكبرى التى استلهمت فكر القرن السابع عشر، وخصوصاً الثورة الفرنسية وثورات الاستقلال فى المستعمرات الأمريكية لإسبانيا والبرتغال.

يمكننا إذن وضع الفكر النقدى لعصر التنوير كأحد جذور التحديث. ومع ذلك فمن الإنصاف أن نضع الرومانسية كذلك كأحد هذه الجذور، حتى وإن كانت الجذور الرومانسية للعالم الحديث متواصلة ومعادية فى الوقت نفسه لجذور التنوير؛ بمعنى أن علاقة الرومانسية بالتحديث هى ذات الوقت علاقة تآلف وعداء. لقد كانت الرومانسية نتاجاً لعصر النقد وبالتالي للتنوير، ولكنها اعتبرت نفسها حركة تحول هائل للأداب والفنون والخيال والحساسية والذوق والأفكار. وبهذا المعنى يمكن اعتبار

الرومانسية مجازاً "ابناً متمرداً". فقد كانت مهمتها الأساسية إبراز نقد العقل النقدي بمعارضتها للزمن المسيحي (وهو زمن تاريخي وزمن أخلاقي يرتبط بالزمن الغيبي للأبدية)، وكذلك معارضتها للزمن الطوبوي لعصر التنوير. فالرومانسية تضع الزمن الآتئ للعواطف المتدفقة وللحب والدم في خصومة مع الجذور والتعاقب والتوهم الطوبوي. ومن هنا فعلى الرغم من جذورها التنويرية فإنها تمثل كذلك كما يطرح أوكتايفيو باز Octavio Paz نقياً للتحديث الخاص بعصر التنوير. (الصوت الآخر: الشعر في نهاية القرن *La otra voz: poesía y fin de siglo*). يمكن إذن فهم الرومانسية كنفي للتحديث ولكن في إطار التحديث أو بمعنى آخر كنفي حديث للتحديث.

لقد انتقد عصر التنوير الاغتراب الناتج عن تشوش الفكر وإغواء العواطف والمخيلة، بالإضافة إلى تحكم أشكال التوهم الجامحة في العقل. أما الرومانسية فقد رفضت بعنف كما يطرح جورج جاسدورف Georges Gusdorf نوعاً آخر من الاغتراب، وهو ربما من وجهة نظرنا أكثر خطورة، وهو اغتراب الوعي الواضح الجلي المكبل بتلك البراهين الموضوعية التي تحول بينه وبين المتطلبات الأساسية للوجود. (أسس المعرفة الرومانسية *Fondements du savoir romantique*) فمن وجهة النظر الرومانسية كما يشير جاسدورف فإن ما يمنحه الذهن من يقين ليس سوى شبكة عنكبوت مغزولة في الفراغ، غطاء من الوهم ينحو حتماً بعيداً عن الوجود الحقيقي مخاطراً بالله والذات. وكما نقرأ في كتاب يوجو فسكولو Ugo Foscolo الخطابات الأخيرة لجاكوبو أورتييس: "ما الإنسان إذا ما تركناه لعقله البارد الحسابي؟ كائن شرير بل وضيع الشر". (الأول من نوفمبر ١٧٩٧، الخطابات الأخيرة، ص ٣١).

ولكن لا بد أن نفهم أن معركة الرومانسيين لم تكن ضد العقل ولكنها كانت معركة في سبيل عقل أرقى وأرحب، عقل يتوافق مع ما عليه الكائن البشري من

تعقيد. لقد تصور عصر النهضة أنه اكتشف الصيغ القاطعة لحقيقة في حركة تقدم، صيغ قادرة على الوصول للكمال سريعاً. وقدمت الثورة الفرنسية الفرصة المشروعة في بعض جوانبها، لدعم العقل بالمبررات ولإعطائه قوة القانون في شكل دساتير وقوانين وتشريعات. ولكن مسار التاريخ كان عليه تدمير هذه المحاولات لتحجير عقل الإنسان. وقد عبر أكثر المفكرين المبدعين في العصر الحديث فيما بعد الرومانسية، وتحديدًا شوبنهاور Schopenhauer وكيركجور Kierkegaard ونييتشه Nietzsche، عبروا - كلٌ بطريقته - عن نقد صريح لتلك الحقبة وتلك الثقافة التي أعمتها الموضوعية و"الحقائق" الوهمية للتقدم، والتي كان من أهم آثارها تدمير الفرد في مجتمع الجماهير الذي لا يعرف تميزاً لأحد في ديمقراطية زائفة.

وتساعدنا الاعتبارات السابقة في اعتقادي على فهم نظري أفضل لمشكلة النقد الرومانسي وعلاقته بالتحديث. وقد طرح رينيه ويلك Rene Wellek - ولديه الحق في ذلك - أن "بالإمكان الحديث عن حركة رومانسية في النقد بمعنيين مختلفين تماماً: فبالمعنى الواسع هي ثورة على الكلاسيكية الجديدة والتي تعني رفضاً للتراث اللاتيني وتبنيًا لتصور عن الشعر يركز على التعبير عن المشاعر وتوصيلها، ثورة نشأت في القرن الثامن عشر وشكلت تياراً واسعاً أغرق كل بلدان العالم الغربي. وبالمعنى الضيق يمكن الحديث عن نقد رومانسي باعتباره تأسيساً لتصور جدلي ورمزي للشعر. (تاريخ النقد الحديث الجزء الثاني ص ٣). ولكن النقد الرومانسي كما يكشف لنا لاکو لبارث Lacoue-Labarthe ونانسي Nancy، يتعامل مع الكليات ومع الخصائص البسيطة المباشرة والجوهرية حتى عندما تتجه تلك الخصائص نحو الانفتاح لا الانغلاق. فقد استبدلت الرومانسية - وخصوصاً الرومانسية الألمانية - بمكان التفسيرات النقدية التقليدية والعقلانية لأشياء جميلة موجودة مسبقاً، مراجعة نقدية للفن. وتتسم تلك المقاربة الرومانسية بتناقض ظاهري؛ فالنقد لم يوجد بسبب وجود الفن، إنما العكس هو الصحيح فيقدر ما يكون هناك نقد، يكون هناك فن.

(Philippe Lacoue-Labarthe and Jean-Luc Lang Nancy, المطلق  
الأدبى (L'absolu litteraire))

وقبل أن ننقل لدراسة المواقف النقدية المختلفة ذاتها، يجب ملاحظة أن قدوم العصر الرومانسى كان إيذاناً بنفاد الصبر تجاه السلطة وكان رفضاً باسم المشاعر لكل القواعد. ويرى المرء هذا الوعى النامى فى أفضل صوره عند مفكرى عصر التنوير الأكثر تمللاً وحساسية. فمثلاً يؤكد رئيس الدير جان باتيست دى بو - Jean Baptiste Du Bos على سبيل المثال فى كتابه *Reflections sure la poesie et la peinture* (تأملات فى الشعر والرسم) عام ١٧٣٤ "الهدف الأول من اللوحة هو أن تؤثر فينا. فالعمل الذى يحرك مشاعر عظيمة فى المتلقى هو بالضرورة عمل ممتاز فى كافة جوانبه... وقد نجد عملاً متواضعاً ملتزماً بكل القواعد، وقد نجد عملاً يخرج على كل القواعد ولكنه عمل عظيم القيمة." وانطلقت المشاعر والحساسية لتحلل الصدارة مع حركة العاصفة والاندفاع، تلك الحركة التى مثلت أبرز تجلٍ لما قبل الرومانسية فى أوروبا، والتى كان جان جاك روسو أعظم مفكرها. ونجد فى رواية جوته أحزان الشاب فرتير تأكيدات من النوع التالى: "مهما نقل عن القواعد فهى تدمر الشعور الصادق بالطبيعة والتعبير الحقيقى عنها." (٢٦ مايو، ص ١١) لقد كان الرومانسيون والسابقون عليهم - بطريقة كانت متطرفة أحياناً وإن كان تطرفاً منبعه الولع العنيف بكل أشكال الإبداع - على وعى بأن القواعد الجمالية - مثل القانون المدنى - تؤدى إلى تجنب الفوضى ولكنها أيضاً كانت خالية من القدرة الإبداعية. وفى أفضل الأحوال فإن هذه القواعد تسمح بإبداعات صادقة وإن تكن عادية. وهكذا تراجع التصور الأكاديمى لأعمال مدرسية مطابقة لأسلوب المعيار العام، لنفسح المجال لتصوير ثورى عن العمل المتفرد والمبتكر، وكان ذلك جزءاً من رفض السلطة القائمة والراسخة فى الدوائر الفنية كما فى الدوائر السياسية.

ويتسم العصر الرومانسى برفض النموذج الموحد للجمال؛ إذ ساد الإيمان بوجود علاقة بين الأعمال الأدبية وأعراف الشعوب المختلفة ومؤسساتها وعبقريتها. ونجد هذه الفكرة بأشكال مختلفة؛ فى فرنسا فى فكر مدام دى ستايل Madame de Stael وشاتوبريان Chateaubriand، وفى إيطاليا فى فكر إلساندرو مانزونى Alessandro Manzoni. وهى فكرة نابعة من فكر القرن الثامن عشر تمكن النقد فى القرن التاسع عشر من خلالها أن يجد دروياً أكثر صلابة ومناهج أكثر إثماراً.

وعنوان كتاب مدام دى ستايل الصادر فى ١٨٠٠ بلىغ فى حد ذاته:

*De la littérature considerée dans ses rapports avec les institutions sociales*  
(عن الأدب مأخوذاً فى علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية). لقد حاولت ستايل بكلماتها أن تدرس أثر الدين والعرف والقانون على الأدب، وأثر الأدب على الدين والعرف والقانون. ولم تكن هذه الفكرة بوجود علاقات بين التجليات المختلفة للنشاط الاجتماعى لشعب ما جديدة. فبعد "المحدثين" وبعد جان بابتيست دى بو تم تطبيق الفكرة على الأدب. كما تستعير مدام دى ستايل فكرة التقدم اللامحدود للروح البشرية ولإبداعاتها، ولكنها تدفع هذه المبادئ لنتائجها التى لم يصل إليها أحد من قبل إلى هذا المدى.

فترى مدام دى ستايل فى الأدب شيئاً دينامياً خاضعاً لتغيرات العادات والسياسات. ودور النقد بالتالى لا يمكن أن يكون تأسيساً لعقائد جامدة. بل إن رسالته كما ترى ستايل هى وصف الروائع الإبداعية العظيمة وصفاً مفعماً بالحيوية. والنقد إذ ينشأ عن الأعمال نفسها يجعلها تتحدث عن جمالها فى انسجام مع الروح الحقة للفن. كما يحاول العمل النقدي إضافة إلى ذلك أن يأخذ بيد القارئ فيعلمه من خلال المشاعر العميقة ومشاعر الإعجاب أن يستمتع باكتشاف العمل الأدبي بما له من جمال. ومن هنا فبالإضافة للعبقريّة المميزة التى تسمح للنقاد بالارتفاع إلى



مستوى الأعمال الإبداعية العظيمة؛ أى إلى مستوى أعظم العقول، يحتاج الناقد كذلك لقدرات بلاغية متميزة ليتمكن من توصيل ما اكتشفه من أشياء جميلة لقرائه. وعليه أن يتحلى بنوع من البلاغة التفسيرية التى لا تخلو من "تمجيد المشاعر"، تلك الخاصية التى تميز "الشعر الحديث" كما ترى ستايل. فالناقد لا يجب أن ينصب نفسه حكماً على الكتاب السيئين بل من الأفضل أن يتجاهل هؤلاء، وعليه أن يكون المعلم الذى يستفيد من تأثيره المؤلفون أنفسهم؛ فيجب أن يجد المؤلف عند الناقد تقديماً للسمات المبدعة فيه تحثه وتشجعه. ومن وجهة نظر ستايل لا يمكن بدون إصلاح النقد أن يكون هناك إصلاح أدبى حقيقى.

وبعد كتاب مدام دى ستايل بعامين أى فى ١٨٠٢ صدر كتاب فرانسوا رينيه دى شاتوبريان عبقرية المسيحية وكان حدثاً مهماً بدوره. لقد كان على شاتوبريان كذلك أن يوضح العلاقة بين الدين والأدب فى إطار رغبته نفى ما ادعاه البعض عن الأثر السلبى للمسيحية على تقدم الفنون والآداب، وإثبات أن المسيحية - على العكس من ذلك - كانت مساندة للفنون والآداب. ولم تكن هذه بالفكرة الجديدة؛ ففى سياق المعركة بين القدماء والمحدثين كثيراً ما طرحت فكرة أن تفوق المحدثين راجع إلى تفوق ديانتهم على الوثنية القديمة. ولكن شاتوبريان يوظف هذه الفكرة توظيفاً منهجياً كاملاً بل والأهم أن موهبته الخاصة تضيف للفكرة مزيداً من الثراء. وهذا حقيقة هو ما يكسبه أهميته فى تاريخ النقد الأدبى. فلم تعد المسألة مجرد نقد لأديب يحكم على غيره من نفس الجيل أو الأجيال السابقة، بل على العكس من ذلك نحن بصدد رجل يملك من العبقرية ما يجعله بقدر العبقرية فى غيره لأنه يعرفها فى نفسه. لقد انتفى نقد العيوب وتصيد الأخطاء وأحياناً الدراسة السطحية للأعمال، إنما أصبح النقد بتعبير شاتوبريان نفسه "نقداً للأشياء الجميلة".

أما ألساندرو مانزوني فيمكن القول إنه باعتباره روائياً وشاعراً لم يكن فقط "منارة" من منارات الحركة الرومانسية الأدبية في إيطاليا (هو وإيجو فوسكولا Ugo Foscolo وجيكومو ليوباردى Giacomo Leopardi) ولكنه كان أيضاً ناقداً من الدرجة الأولى. وكان المبدأ المحورى فى حكمه النقدى والجمالى هو أن الشعر (الأدب) يجب أن يمثل ما هو حقيقى. ويجد هذا المبدأ أبلغ تعبير عنه فى كتابه *Lettre à Monsieur Chauvet sur l'unité de temps et de lieu dans la tragédie* (١٨٢٣) (خطاب إلى السيد شوفيه حول وحدة الزمان والمكان فى التراجيديا) ويؤكد مانزوني فيه أن مهمة الشعر هى استكمال عمل التاريخ من خلال الحدس وتمثيل الحياة الداخلية للشخصيات التاريخية التى لا يرصد التاريخ منها سوى أعمالها.<sup>(١)</sup> ويرتكز نقد مانزوني لقاعدة الوحدات الثلاثة أى وحدة الزمان والمكان والحديث، يرتكز على الإخلاص للحقيقة. فالالتزام بهذه القاعدة يؤدى إلى ما هو غير قابل للتصديق ومزيف، كما يظهر تحليله الدقيق للأعمال الدرامية، بما فيه المقارنة الرائعة التى يعقدها بين مسرحية عطيل لشكسبير ومسرحية زائير لفولتير وذلك فى خطابه لشوفيه.<sup>(٢)</sup> ويرى مانزوني أن الالتزام بقاعدة الوحدات الثلاث مسئول كذلك عن سيادة عواطف الحب العنيفة فى المسرح وخصوصاً فى المسرح الفرنسى، وهذه السيادة تفسر الإدانة الأخلاقية للمسرح لدى كتاب مثل بوسيويه Bossuet وروسو.

(١) فى مايو من عام ١٨٢٠ كتب الشاعر والأديب الفرنسى جان جاك فيكتور شوفيه Jean Jacques Victor Chauvet فى مجلة *Lycée francais* تحليلاً لمسرحية مانزوني *Comte di Carmagnola* (حكاية بلدة كارمانيو) والتى كانت قد ظهرت فى يناير من نفس العام. وقد ورد فى المقال بالإضافة إلى الملاحظات الإيجابية أن المسرحية أضعفها عدم التزام مانزوني بوحدتى الزمان والمكان، والتى تكمن أهميتهما ليس فى الحجة المعهودة حول مشكلة الواقع ولكن من أجل وحدة الحدث فى العمل أى الوحدة العضوية للعمل الفنى. وفى خطابه/مقاله رداً على ذلك قدم مانزوني تحليلاً معارضاً بكل حماس لاعتراضات شوفيه.

(٢) يرى مانزوني أن فولتير بسبب تقيده بوحدتى الزمان والمكان لم يكن لديه خيار إلا فرض الموقف الذى يؤدى إلى جريمة بطريقة غير طبيعية. أما مسرحية شكسبير على العكس من ذلك فتقع على مدى فترة من الزمن ضرورية لتطورها الطبيعى وبالتالي تصل الكارثة إلى ذروتها بشكل طبيعى وقابل للتصديق.

ويطرح مانزوني في المقابل منهجاً مسرحياً مختلفاً عن ذلك الذى يجعل المشاهد مشاركاً فى عواطف الشخصيات بما يحمله هذا من آثار أخلاقية سلبية، ويسمى ذلك المنهج المغاير بالمنهج "التاريخى". وهو منهج لا تعقه القواعد المتعسفة وقادر على تصوير الظروف والمشاعر بواقعيته الموضوعية والمتكاملة، ومن هنا فهو قادر على خلق أثر أخلاقى إيجابى. إن نموذج هذا المسرح المغاير ورمزه هو شكسبير الذى يعتبره مانزوني - بالإضافة إلى فرجيل - أحد أعظم شعراء الإنسانية خصوصاً قدرته على كتابة شعر يزخر بالشعور بالأهمية القصوى للقيم الأخلاقية. وسنجد دائماً فى نقد مانزوني توحداً بين الحكم الجمالى والحكم الأخلاقى نتيجة مبدئه القائل بأن معرفة الحقيقة هى هم الإنسان الأساسى وتصورها بإخلاص هو فى حد ذاته نوع من التعليم (أو الكتابة Scritti).

وقد كانت الرومانسية الألمانية المبكرة قد ساعدت على منح فكرة النقد مكانة مهمة ومتميزة. وينطبق هذا بخاصة على فريديك شليجل الذى قال فى حكمه على النقد: "لا يمكن نقد الشعر إلا شعراً. وليس للحكم النقدى أى حقوق مدنية فى مجال الفن ما لم يكن هو نفسه عملاً فنياً" (الشذرة النقدية ١١٧ فى كتاب الشذرات الفلسفية ص ١٤). وبالطبع لم يكن شليجل يعنى أن عرضاً لكتاب يمكن أن يكون على نفس الدرجة من الجمال أو القيمة كقصيدة لجوته (وكان إعجابه بجوته يفوق إعجابه بشكسبير أو دانتي أو سرفانتس). ولكنه كان يعتقد أن عملاً نقدياً ملهماً حقاً عليه أن يتضمن نفس القدر من الغنى الذى يتضمنه كثير من الأعمال الأدبية. وعندما كتب شليجل مراجعته لرواية جوته فيلهلم مايستر حدد بشكل ضمنى ما يمكن أن تكون عليه الرواية وما ينقص تلك الروايات العادية لعصره. وبالنسبة لشليجل النقد خلاق وبمعنى ما مستقل ولكن الأهم أنه ليس "خارج الفن"؛ إذ يمكن التأكيد على أن "الصورة النقدية هى عمل فنى نقدي". (الأثنيونوم الشذرة ٤٣٩).

وبعد سنوات "البطولة" في "بدايات الرومانسية" نجد عمليتين أخريين لشليجل من الأهمية بمكان تتناولهما "لتحديد" شخصيته النقدية:

الأول هو (تاريخ الأدب القديم والحديث) والذي يتميز بربطه بين "النقد" و"التاريخ" وبين "التأويل النقدي" و"معمل العملية التاريخية". والكتاب يتضمن سلسلة من المحاضرات التي ألقاها شليجل في فيينا في ١٨١٢، وهو بلا شك واحد من أول الأعمال في تاريخ النقد بمعناه الحديث. وفي المحل الأول يظل معيار الأعمال العظيمة التي وضعها شليجل في "دروسه" هو في جوهره المعيار الذي تبناه المؤرخون المعاصرون. ولكن التجديد الأهم يكمن في الجانب المنهجي. فقد حاول شليجل أن يجمع بين مدخل نقدي يحترم الخصوصية الشعرية للأعمال المفردة، ومدخل تاريخي شامل يعمل على فهم الأدب كمعمل كلي يتطور في سياق ارتقاء تاريخي.

أما نص شليجل الثاني فيتناول النقد الفني نفسه وتحديدًا الرسم، ويتضمن نصوصًا عديدة تنتمي زمنيًا وفكريًا لفترة اعتناق شليجل للكاتوليكية. ومن هنا جاء عنوان الكتاب (آراء وأفكار حول الفن المسيحي ١٨٢٢-١٨٢٥)، وهو الاسم الذي أعطاه شليجل نفسه لمجموعة من نصوصه عندما جمعها في عشرينيات القرن التاسع عشر أثناء إعداداته للأعمال الكاملة. ويهدف شليجل في هذه التأملات النقدية الفنية لتحديد مبادئ فن الرسم الإيطالي والألماني المسيحي في بداياته وكذلك فن المعمار القوطي. ثم يقيم تضادًا بين كل ذلك ومذهب الذهن المجرد (البارد غير الفعال) Intellectualism، وهو عامل انحطاط في الفن منذ عصر النهضة وما بعده، أدى في زمنه إلى نوع الكلاسيكية الجديدة كما هي عند مينج Mengs بما فيها من افتعال وتصنع وكذلك في الرسوم الفرنسية المعاصرة. وبالنسبة لشليجل لا يزدهر الفن إلا بالتواصل مع الشعور الديني حيث تكون الروح قد وصلت إلى قمة نموها الحر

والمثالى. هذا الشعور فى صيغته المسيحية كان وسيلة رسامى العصور الوسطى للوصول بأعمالهم إلى ذلك المعنى الرمزى الرفيع الذى احتوى - بأسلوب شامل ومتناغم - كل ما أصبح بعد ذلك متشذراً فى أنواع فنية مستقلة مثل رسوم المناظر الطبيعية والوجوه والطبيعة الساكنة. وقد ظل ذلك التمام المبتكر موجوداً فى أعمال كبار فنانى عصر النهضة مثل كوريجيو Correggio وليوناردو دا فنشى Leonardo da Vinci ورافيل Raphael ولكن رافيل نفسه لم يصل لهذا الكمال فى أعماله العظيمة والمشهورة المتأخرة، ولكن فى أعمال الفترة الوسطى التى يعيد فيها إحياء العديد من الإسهامات الأسلوبية المتباينة ولكن بهدف تكثيف التماسك.

ويرى شليجل كذلك أنه فى حين ظل فن النحت - الذى وصل لقمته عند اليونانيين - مرتبطاً بالبعد الجسدى، أصبح فن الرسم بقدرته على التشكل طبقاً لتجليات الحياة وظاهرياتها اللانهائية، فن الروح الحقيقى. ويرى شليجل أن الرسام يمكن أن يجد فى الشعر دليلاً له حيث إنه الفن الوحيد الذى يمكنه أن يتوسط بين الفنون الأخرى جميعها، ولكن يجب أن يتذكر الرسام أنه ليس شاعراً بالكلمات ولكن بالألوان. الرسم فن الحرية المطلقة للروح المتحررة من الضرورات العملية، وهو الطريق الأمثل للتوحد مع ما هو إلهى، وهو لا يكون قادراً على أشكال من التمثيل متنوعة تنوعاً هائلاً إلا إذا استطاع أن يجعل العنصر الروحى يسود على العناصر الطبيعية والعقلانية. ومن هذا المنطلق لا يعتبر فن الرسم الإيطالى، بالنسبة لشليجل، أميناً للمثال المسيحى، إنما كان فن الرسم الألمانى فى بداياته متمثلاً فى فان إيك Van Eycks ودورر Durer وهولبين Holbein، هو الفن المحصن ضد التقليد الكلاسيكى كما كان، على الرغم من التأثيرات المتبادلة بين المدارس المختلفة، يتميز بطابع قومى. أما الرسام الحديث فيستطيع أن يحرر نفسه من البلاغة المتجهة نحو الكلاسيكية باتخاذ الشعر الرومانسى دليلاً له. وحتى فى هذه الحالة فإن الرجوع إلى المصدر الدينى للمشاعر كما فعل الرسامون الأوائل هو وحده القادر على أن يصل

بالرسم الحديث إلى "الجمال المسيحى". فالجمال المسيحى على العكس من الجمال الكلاسيكى (والذى ينجذب بالأساس للمكونات الحسية والعقلية) يتميز بتطلعه نحو ما هو إلهى بشئى تجلياته من شد وجذب من الحنين المرهق إلى تجليات الإيمان والحب.

وتفضى بنا تجربة شليجل إلى الصورة الأعم لمفاهيم النقد الألمانية الرومانسى بشكل عام. ويمكننا الوصول إلى فهم أفضل من خلال الرجوع إلى تأويل فالتر بنيامين Walter Benjamin فى كتابه مفهوم النقد فى الرومانسية الألمانية (١٩١٨) والذى سأتخذ منه دليلاً لتفسيرى الخاص قبل الانتقال إلى الخصائص الأساسية لعلم الجمال لدى هيجل و"منهجه النقدى".

وطبقاً لبنيامين فإن النقد هو منهج التفكير الذى يتخذ من الفن موضوعاً له. بمعنى آخر فالنقد هو الوسيلة المعرفية الخاصة بالفن بوصفه فكرة ونتيجة. يكتب بنيامين "أن مهمة نقد الفن هى المعرفة بالمادة موضع التفكير أى بالفن. وكل القوانين التى تنطبق بشكل عام على المعرفة بالأشياء موضع التفكير تنطبق على نقد الفن." (بنيامين، "مفهوم النقد"، ص ١٥١) ومثل التفكير لا يمكن للنقد أن يتخذ موقفاً خارجاً عن موضوعه. فالمسألة ليست حكماً على العمل. وفى الواقع أنه مع الرومانسية وما بعدها تأسس مصطلح ناقد فى Kunstkritiker فى مقابل المصطلح الأقدم حكم فى Kunstichter.

يرفض الرومانسيون عقلانية عصر النهضة بما تحمله من اعتقاد جامد فى القدرة على الشك والحكم من الخارج. فيرفضون ما يسميه بنيامين "فكرة عقد محكمة للأعمال الفنية". (ص ١٤٣) ولكنهم أيضاً يرفضون بعض العقائد الجامدة للنظريات التى استلهمت حركة العاصفة والاندفاع والتى رأت فى الفن عملاً ناتجاً عن القدرة الخلاقة للفنان وذاتيته لا علاقة له بالحاسة النقدية. لقد كان التحرر من تلك العقائد

وتأسيس تصور عن النقد يعتبره جزءاً من التجربة الفنية من أعمدة النظرية الجمالية الرومانسية. ولقد مهد كانط الطريق ببحثه في تأكيد استقلال قدرة العقل ونقده "وبلاحظ بنيامين أن موضوع التفكير هو في العمق كينونة العمل الفني نفسه، ولا تكمن التجربة في التأمل حول كينونة بعينها، هذا التأمل الذي لا يمكنه أن يغير من كينونة الشيء كما كان النقد الرومانسي يريد، ولكن في عملية الكشف التي تتم أثناء التأمل والتي هي بالنسبة للرومانسيين عملية تكشف للروح متمثلاً في كينونة ما. (ص ١٥١).

إن قواعد الجمال لا علاقة لها بالنقد. فكل عمل تتوافق قوانينه مع شكله. والعمل الفني وحده قادر على توصيف وفرض الأدوات التي تسمح بالمعرفة به ونموه على يد من يتعامل معه؛ أي الناقد. والنقد هو عملية تأمل للعمل الفني؛ بمعنى أن النقد يقوى العمل ويرفعه إلى درجة أعلى من الوعي. ويسمى نوفاليس في كتابه شذرات ودراسات Fragmente und Studien (١٧٩٧-٨) هذه العملية بالتحول إلى الرومانسية. 'Romanitisieren ist nichts, als eine qualitative Potenzierung التحول الرومانسي ليس شيئاً إلا التفعيل الكيفي لما هو موجود بالقوة (نوفاليس ص ٣٨٤). فالقارئ يقوم بتنقية العمل وبشكله ويرتفع بأجزائه المختلفة بإضفاء معانٍ جديدة عليها. والعمل لا يكون فنياً إلا إذا كان قادراً على توليد أشكال أخرى وعلاقات أخرى. وهذه العملية التي ترفع من العمل إلى جوانب لم تكن مكتشفة من قبل تذكرنا بنظرية بنيامين في الترجمة: "فالترجمة، وتلك مفارقة، تقوم على نقل للأصل إلى تربة لغوية أكثر تحديداً إذ لا يمكن أن يقوم قارئ النص المترجم بمزيد من النقل من خلال تأويل ثان. وإن كان يمكن للنص الأصلي أن يعاد رفع أجزائه في فترات زمنية أخرى." (بنيامين: إضاءات Illuminations ص ٧٥) مثل تلك الملاحظات تحمل مزيداً من الأهمية إذا ما تذكرنا كيف قارن نوفاليس نفسه ما بين الترجمة والنقد، ورأى أن بعض الترجمات، التي يسميها

"أسطورية" تكون استكمالاً للعمل الأصلي: "الترجمة إما أن تكون نحوية أو تعديلية أو أسطورية. والترجمات الأسطورية هي أعلى هذه الأنواع في أسلوبها. فهي تمثل الشخصية الصافية والكاملة لكل عمل فني على حدة. فهي لا تقدم لنا العمل الفعلي ولكن مثال العمل." (نوفاليس Werke ص ٣٣٧).<sup>(٣)</sup>

وهذا الاستكمال النقدي ليس مقصوراً على كل عمل فني على حدة، ولكنه أيضاً جزء أساسي من الفن كوسيلة. فتلك القوة المستمدة من التأمل هي انغماس في الفن بكليته تصل العمل بكل عمل آخر تم بالفعل أو في طور التكون. "النقد إذن هو الوسيلة التي من خلالها تنفتح حدود العمل لترتبط منهجياً بالفن بلانهايتيه وتتحوّل من ثم إلى جزء من ذلك اللامتتهى." (بنيامين، مفهوم النقد، ص ١٥٢) وينضوى العمل في إطار فكرة الفن. ويمكن تفسير هذا الوصل المنهجي للعمل عن طريق التفكير كوسيلة، ومن خلالها يمكن تفسيره عن طريق نظرية العمل الفني كشكل.

ويترتب على هذه النظرية حول النقد ثلاث نتائج مهمة يصيغها بنيامين لتقييم الأعمال الفنية وهي الطبيعة الضمنية للحكم النقدي، واستحالة وجود معيار للقيم الإيجابية، وأخيراً عدم إمكانية نقد العمل الرديء. (١) يحدد المبدأ الأول أن الحكم على عمل ما لا يجب أبداً أن يكون صريحاً إنما يكون ضمناً في كونه نقداً رومانسياً: "قيمة العمل تعتمد اعتماداً كاملاً على قدرته على السماح بالنقد المستمد منه ... فإمكانية نقد عمل ما تدل في حد ذاتها على حكم قيمى إيجابى فى حق ذلك العمل؛ وهذا الحكم لا يقدم من خلال بحث مستقل ولكن من خلال واقع عملية النقد نفسها. (ص ١٥٩-٦٠) (٢) أما بالنسبة للمبدأ الثانى وهو استحالة عمل مقياس متدرج للتقيم الإيجابية فيمكننا القول مع بنيامين أن التقييم الضمنى للأعمال الفنية فى النقد الرومانسى موجود بالتحديد لأن هذا النقد لا يحمل أى مقياس متدرج للتقيم: "إذا

(٣) أفكار نوفاليس هذه جزء من كتابه ملاحظات متنوعة Vermischte Bemerkungen وهو النسخة

الأولى من حبوب لقاح Blütenstaub والذي ألفه ما بين عامى ١٧٩٧ و ١٧٩٨.



كان يمكن للعمل أن يكون موضع نقد فإنه إذن عمل فنى، وما عدا ذلك ليس بعمل فنى، وفى حين لا يمكن أن يكون هناك وسط بين هاتين الحالتين، فإنه لا يمكن كذلك تخطيط معيار للتباين بين قيمة الأعمال الفنية الحقيقية." (ص ١٦٠) (٣) بالنسبة للمبدأ الثالث، وهو عدم إمكانية نقد الأعمال الهابطة يقول بنيامين "ترى فى ذلك إحدى العلامات المميزة للمفهوم الرومانسى للفن ونقد الفن." (المرجع السابق). وقد عبر شليجل عن هذا المبدأ كما يرى بنيامين فى خاتمة مقاله عن ليسينج: "النقد الحقيقى لا يستطيع... تناول الأعمال التى لا تسهم بشئ فى تطور الفن... وبالفعل وطبقا لذلك لا يكون نقدًا حقيقيًا ذلك الذى يتناول ما لا يرتبط عضويًا بالثقافة والعبقريّة، ما هو غير متأصل فى الكل ولكل." (شليجل، كتابات الشباب *Jugendschriften* الجزء الثانى ص ٤٢٣، ورد عند بنيامين فى مفهوم النقد، ص ١٦٠) ويؤكد بنيامين أن "علامة الحدود التقنية" للموقف الكلى الذى يناظر بديهية عدم إمكان نقد الأعمال الرديئة، ليس فقط فى الفن ولكن فى كل جوانب الحياة الفكرية، هو "الإلغاء". وهو ما يعنى الدحض غير المباشر للأعمال النافهة عن طريق الصمت، أو المدح المتهكم، أو المدح الرفيع لما هو جيد. وتوسط التهكم فى فكر شليجل هو الصيغة الوحيدة التى يمكن للنقد أن يواجه بها مباشرة الأعمال النافهة. (بنيامين، "مفهوم النقد" ص ١٦٠).

ويتناول بنيامين كذلك مشكلة ذات أهمية أساسية لا تتعلق فحسب بالثقافة الرومانسية وإنما بالنسبة لثقافتنا أيضا، ألا وهى مشكلة المعرفة الذاتية والموضوعية فى علاقتها بالنقد كممارسة تأويلية. "إن النقد وهو فى الفهم المعاصر أكثر الأشياء ذاتية، كان بالنسبة للرومانسيين العامل المنظم لكل أشكال الذاتية وكل ما هو عارض واعتباطى فى تكوين العمل. وفى حين أن النقد فى التصور المعاصر يجمع ما بين المعرفة الموضوعية وبين تقييم العمل، فإن العامل المميز للمفهوم الرومانسى للنقد يكمن فى تحرره من أى تقدير ذاتى للعمل فى حكم للذوق." (ص ١٦٠-١) والنتيجة

من وجهة نظر بنيامين أن الحكم محايت فى المعرفة والبحث الموضوعى للعمل. "إن الناقد لا يصدر حكما على العمل، بل الفن نفسه هو الذى يصدر الحكم، إما بامتصاص هذا العمل فى وسيط النقد أو برفضه وبالتالي اعتباره دون مستوى أى اهتمام نقدى. ويجب على النقد باختياره الأعمال التى يتناولها أن يصل إلى أفضل مختارات من الأعمال. إن الهدف الموضوعى للنقد لا يظهر فى نظرية النقد وحدها؛ إذ إن صمود التقييم فى المسائل الجمالية، يظل صحيحاً تاريخياً، دليل مقنع على موضوعية ذلك التقييم، ويؤكد على الأقل صحة الحكم النقدى للرومانسية." (ص ١٦١)

كما أن الشكل الفنى يجب أن يعرض نفسه لتفسير الحدود، فلكى يجد إكماله فى مراجعته النقدية يجب أن يسمح بتدمير كماله المغلق. التدمير هو الشرط الضرورى لوجود العمل، شرط للمرور إلى المجال المتصل اللانهائى للأشكال الفنية. فالإلغاء تمهيد للاستمرار والسماح بدخول العمل إلى الوسيط (المجال النقدى) يحو ملامحه الخارجية ويحوه إلى لحظة فى الحياة الشاملة الممتدة للفن. إنه يعمل على تضمين العمل زمانياً؛ أى يفقد العمل ظاهره غير المبالى بتاريخيته والناتج عن انعزال العمل عن غيره وادعائه القدرة على الاكتفاء بذاته. فنسق الفن موجود فى صيرورته بمعنى أن المعرفة كلها هى تحول دائم. والمصطلح الألمانى التمثيل Darstellung والذى يترجم أحيانا بالعرض يمكن أيضاً أن يعطى معنى إعداد كيميائى. فالنقد هو نوع من التدخل السيميائى (أى تحول المعادن الخسيسة إلى معادن نبيلة) الذى يحول بغير رجعة نوعية العمل. عندما يتقدم العمل إلى وسيط الأشكال أى إلى المجال المتصل اللانهائى المحدد تاريخياً وزمنياً فإن عمقه الفنى يتأكد وتتأكد كذلك قدرته على الاستمرار.

لقد كان القرن التاسع عشر، "قرن الرومانسية"، قرن التاريخ. فقد أرسى المفكرون الكلاسيكيون مبادئ كلية وفكروا على أساس تلك المبادئ التى كانوا على

يقين من صحتها. أما روح القرن التاسع عشر فكانت روح الصيرورة. فالأفكار تصلح لمكان وزمان ظهورها ولكن ليس لكل الأمكنة والأزمنة وليس للأبد. وينطبق هذا على الأشكال الفنية ولكل حقيقة وكل معتقد وكل عمل قيمة نسبية. ويمكن فهم كل منها فهما مناسباً في علاقته بموقعه في الزمان والمكان. فتصبح الأعمال الفنية بهذه الطريقة رموزاً تاريخية أو تصبح ببساطة وثائق.

وقد قدم هيجل على مستوى علم الجمال صيغة تخطيطية ولكن مدهشة وملهمة لفلسفة الصيرورة تلك. وعمل هيجل الأساسى فى هذا المجال هو كتابه علم الجمال، وهو سلسلة من المحاضرات التى ألقاها فى برلين ما بين ١٨١٧ و ١٨٢٩ ونشرت فى ١٨٣٥ بعد وفاته. ومنهجه العام هو المنهج الجدلى، وبالتالي تتدرج الأفكار فى ثلاثيات: فتستدعى الأطروحة thesis نقيضها antithesis وبلى ذلك تركيب الاثنين فى وحدة على مستوى أعلى synthesis. ويطبق هيجل هذا الجدل على علم الجمال. ويشكل الجزء الثانى من كتاب علم الجمال نواة الكتاب، ويبين فيه هيجل، وهو الذى يعتبر الشكل الفنى أساسا التعبير الأولى عن الفكرة، يبين كيف تحول الفن من الرمزية إلى الكلاسيكية ثم الرومانسية.

الفترة الأولى هى فترة الرمزية والأسطورة والفن الشرقى، وهى من ناحية التصنيف المنهجى للفنون فترة العمارة. وفيها يكون السعى لإقامة علاقة بين الفكرة والشكل الحسى، ولكن تلك العلاقة لا تتحقق فى تلك الفترة. ويتميز الفن الرمزى بأن الفكرة فيه فى حالة بحث عن التعبير الفنى الحقيقى الذى مازال مجرداً غير محدد ولا يملك بعد المعيار المناسب ليظهر بانسجام مع العالم الحسى. ولذلك ففى محاولته للنفاذ إلى الوجود العيانى لا يستطيع الفن الرمزى أن يصل لاتفاق أو تماه كامل بين المعنى والشكل، ولكنه يصل فقط إلى تعبير رمزى يظل يكشف عن عدم ملاءمته. فالرمز فى الحقيقة هو الواقع الطبيعى الذى يميل إلى تمثيل مدلول بطريقة مجردة ومبهمه فحسب. وبالتالي فالأسد على سبيل المثال قد يمثل الأسد نفسه أو القوة التى

يرمز إليها. ولكن فى الشكل الشخصى للإنسان وحده يمكن للفكرة أن تجد تعبيراً تمكن من رؤية نفسه كذاتية حرة لا نهائية.

والفترة الثانية هى فترة الفن الكلاسيكى أى الفن اليونانى القديم متمثلة فى فن النحت. إنه العصر الذى يصبح فيه العمل هو فعل المثال ويحقق بحسم الوحدة بين الفكرة والشكل. الفن الكلاسيكى هو الفن الذى ازدهر فى فترة الإغريق والرومان وتميز بتوازن كامل وغير مسبوق بين الشكل والمضمون، بين الخارجى والداخلى، كما يظهر فى التوازن المهيّب لتمثيل الأبطال والآلهة المصنوعة من الرخام. ويرى هيجل - من خلال هذا التشخيص العام - الفن القديم متميزاً بعناصر الانسجام والتطهير على الرغم من إنه واع بالعناصر غير الأبولوجية فى ذلك الفن خصوصاً تلك الموجودة فى التراجيديا الإغريقية. ويعد ظهور الذاتية مع ترسخ المسيحية إيذاناً بانتهاء عصر الفن الكلاسيكى وظهور فن جديد يطلق عليه هيجل "الفن الرومانسى".

والفترة الثالثة هى فترة الرومانسية. ويمكن أن تتماهى مع الفن الحديث وعلى مستوى التصنيف المنهجى للفنون مع الرسم والموسيقى والشعر. فهى الفترة التى يمكن فيها للانهائية الفكرة أن تتحقق فقط فى تنهاى الحدس، فى تلك القابلية للتغير التى تنحو فى كل لحظة إلى إذابة الشكل العيانى. فوحدة الفن الكلاسيكى بين الفكرة والشكل، تلك الوحدة التى حلت محل عدم التطابق بين التعبير المحدود والمحتوى اللانهائى فى الفن الرمزي، لم يعد بالإمكان أن تجد تحققها المناسب فى الفن الرومانسى الحديث. فالفنون الرومانسية لم تعد تقدم ذلك التوازن الكلاسيكى المتألف بين المرئى والمطلق. وبما أنه لم يعد بالإمكان تصوير المطلق فى شكل مرئى مباشر عادت الفنون الرومانسية إلى المطلق غير المرئى. والنتيجة هى عدم التوازن والتدهور، بمعنى أن المضمون، وهو ذاتية الفكرة، يتجاوز حدود الشكل ويتطلب بالتالى أشكالاً أرقى يستطيع التعبير من خلالها ولا يمكن اختزالها فى الأشياء الملموسة والمحددة. فتصبح الفكرة على وعى بذاتها ونصل طبقاً للتصور الهيجلى

إلى "موت الفن". وهذا التعبير لا يجب فهمه على أنه اختفاء للفن نفسه إذ إنه في المطلق، تتعايش الروح والفن والدين والفلسفة تعايشاً أبدياً. ويمكننا بالأحرى فهم "موت الفن" بطريقة مزدوجة؛ فمن ناحية لم يعد الفن في العصر الحديث التعبير المناسب عن الروح، فالأنسب هو المقولات والمفاهيم الفلسفية والعلمية. ومن ناحية أخرى يكتسب الفن هوية جديدة، هوية يمكن تعريفها بمعاداة الكلاسيكية تتطابق في فكرها مع العصر الحديث فيما يتعلق بغيرها من العصور والهويات السابقة (أى الكلاسيكية) والغابرة قبل العصر الرومانسى.

وطبقاً لهيجل فالفن في مقصده النهائي كخالق "الجمال"، كالشكل الحسى للفكرة، هو أمر من الماضى بالنسبة إلينا. وفي فقرة شهيرة من كتابه علم الجمال يؤكد هيجل:

ولكن في حين نعطي هذه المكانة العالية للفن، من الضروري كذلك أن نتذكر أنه لا من حيث المضمون ولا من حيث الشكل يعد الفن الصيغة الأعلى والمطلقة لتعريف عقولنا بالهموم الحقيقة للروح....

من المؤكد أن الفن لم يعد يمنح ذلك التحقق للاحتياجات الروحية والتي جعلت الأمم في العصور السابقة تسعى إليه. ووجدت في الفن وحده تحققاً كان من الناحية الدينية مرتبطاً ارتباطاً حميماً بالفن. لقد مضى زمن الفن الإغريقى الجميل مثلما مضى العصر الذهبى لأواخر العصور الوسطى. إن تطور التفكير في حياتنا اليوم جعل إرادتنا وحكمنا في حاجة إلى التمسك بالاعتبارات العامة وتنظيم الجزئى على أساسها، مما يودى إلى سيادة الأشكال والقوانين والواجبات والحقوق والأمثلة السائرة العامة كأسباب محدّدة وتصبح هى المنظم الأساسى. ولكن تقديم إنتاج فنى مثير للاهتمام يتطلب عموماً نوعية حياة لا يكون العنصر الكلى حاضراً في شكل قوانين وأمثلة سائرة، ولكن نوعية تعطى الانطباع بالاتحاد مع الحواس والمشاعر تماماً كما

يكن الكلى والعقلى فى الخيال باتحاده مع المظهر العيانى الحسى. ومن ثم فإن شروط الزمن الحالى ليست ملائمة للفن. وليس الأمر كما قد يظن البعض مجرد إصابة الفنان نفسه بعدوى ما حوله من تفكير عالى الصوت ومن آراء وأحكام حول الفن أصبحت معتادة فى كل مكان، ربما ضللته فجعلته يدخل مزيداً من الأفكار فى عمله؛ لكن المسألة أن ثقافتنا الروحية بأكملها تجعل الفنان نفسه يقف داخل عالم التفكير وعلاقاته ولا يستطيع أن يقرر بإرادته أن يجرد نفسه منها، ولا يستطيع عن طريق تعليم معين أو ابتعاد عن علاقات الحياة أن يسعى وينظم عزلته الخاصة لتحل محل ما فقده.

فى كل هذه النواحي يظل الفن - فى أسمى رسالته - بالنسبة لنا شيئاً من الماضى. فقد فقدَ بالنسبة لنا أصل الحقيقة والحياة، وتحول عوضاً عن ذلك إلى أفكارنا بدلاً من الاحتفاظ بضرورته السابقة فى الواقع وموقعه المميز فيه.

هيجل علم الجمال الجزء الأول ص ٩-١١

لقد رأى هيجل أن الفن سينتفى من الوجود على الساحة حيث يتطلب الوعى الإنسانى بدافع من التاريخ أشكالاً أرقى من تلك التى يقدمها الفن فى سبيل التوصل إلى معرفة "الحقيقة". واعتبر هيجل أن الفكر العقلى والدين والفلسفة؛ أى كل النشاطات الأرقى للروح سوف تحل محل الفن وتأخذ دوره كرسل الحقيقة، وسوف يكشف الفن نفسه بوضوح هذا الانحطاط بأن يصبح أكثر فوضوية وفردية. وهذا هو أصل الحركة التى يرى هيجل أنها تميز ثقافة عصره ولكنها أيضاً - مع إجراء التعديلات الضرورية - تنطبق على مجىء التحديث، وهى الحركة من الفن إلى "الفلسفة" أو علم الفن. هى الحركة من الإبداع الفنى إلى التفكير حول الفن، ومن خلق فن إلى مساعلة معنى الفن ودلالاته وقيمه، ومن الإبداع الفنى إلى النقد كبحث

تأويل للمعانى فى داخل الأعمال ومن خلالها، ولكن مع تجاوز الواقع المادى لتلك الأعمال.

ما نثيره فىنا الأعمال الفنية الآن ليس مجرد الاستمتاع المباشر ولكنها تثير فىنا كذلك أحكاماً؛ إذ نتناول بالتفكير العقلى: (أ) مضمون الفن. و (ب) وسائل العمل الفنى فى العرض، ومدى الملاءمة أو عدم الملاءمة. وبالتالي فإن فلسفة الفن أصبحت حاجة أكثر إلحاحاً فى وقتنا الحالى من ذلك الزمن الذى كان الفن فى حد ذاته قادراً على منح الإنسان الإشباع الكامل. فالفن يدعونا إلى التمعن العقلى لا بغرض خلق الفن مرة ثانية، بل لكى نعرف فلسفياً ما يكونه الفن. (ص ١١)

أليست "فلسفة الفن" تلك التى يتحدث عنها هيجل هى نفسها النشاط النقدى؟ وإذا كان ذلك صحيحاً فإن التصور الهيجلى يصبح نقطة مرجعية أساسية فى الوعى بالدور المحورى للنقد فى إطار علم الجمال الحديث ونظرية الفن الحديثة فى تطورها من الرومانسية إلى الطليعة الفنية فى ذلك الزمن ثم إلى ما بعدها.

فهل، بالإضافة إلى الإفصاح عن هذه المشكلات ذات الطبيعة النظرية والتأملية، هل يؤد علم الجمال الهيجلى منهجية نقد نوعية؟ بالرغم من أن هيجل لم يصنع منهجاً نقدياً فإن القراءة المتأنية لكتابه علم الجمال تكشف عن بزوغ معيارين جديدين وهما معيار التاريخية ومعيار الأصالة والجدة.

بالنسبة لمعيار التاريخية لابد من التأكيد أن هيجل أدرك أن الأساليب المختلفة لا تقوم بالقياس لطريقة مثلى فى التعبير، بل إن كل أسلوب هو التعبير الأنسب لتلك اللحظة فى الفن وتلك اللحظة فى التاريخ. وبهذا يكون الإنتاج الفنى مرتبطاً بالتاريخ، وكل عمل فنى ينطلق كأنه إحدى لحظات الروح. ومن وجهة النظر الهيجيلية فإن اعتبار الأعمال الفنية جزءاً من العملية التاريخية، لا يقلل من قيمة تلك الأعمال بوضعها فى مصاف الوثائق المجازية أو الإيضاحية. فإذا كانت الأعمال الفنية

تكتسب معناها الكامل من خلال علاقاتها بزمنها وبيئتها، فإن ذلك ليس باعتبارها نواتج ثانوية لمجتمع ولكن بالإشارة إلى أعمال على نفس مصافها. فتكتسب تلك الأعمال معنى وقيمة بقدر ما تحتل مكانها فى حركة التطور لا تعود أبداً إلى الوراء. بل يمكن القول إن التاريخ لا يفسر الفن، إنما الفن باعتباره شهادة على الفكر المرتجى والمشيد، هو الذى يعطى المعنى للتاريخ. وهذا الرجوع إلى حركة تطور عامة للفن يمكن بمقتضاها الاعتراف بوجود عمل ما أو نفيه طبقاً لتوافقه مع المكان الجغرافى والزمان، يمكن أن نسميه معيار التاريخية.

أما فيما يتعلق بمعيار الأصالة والجدة فيمكننا القول إن هيجل قلّب العلاقة التقليدية بين الفكر والفن. فبدلاً من أن يرى فى الأعمال الفنية انعكاساً للفكر الاستدلالي ذى الطبيعة الدينية أو الفلسفية، يطرح هيجل بقوة الطبيعة المستقلة والأصلية للفن. فالفن ليس نشاطاً ثانوياً إنما هو ظاهرة إبداع أساسية وفكر أصيل فى جدته.

والروائع ليست مجرد انعكاسات أو ألعاب، إنما هى تعبير عن أعمق مشاعر البشر. والعمل الفنى له قيمته فى حد ذاته، وهو أقدر على التعبير كلما كان متحققاً فى شكل جديد وأصيل. إن الجدة فى النموذج الفنى تحل محل التواءم مع قواعد مدرسة ما.

وختاماً أنقل إلى فكر الشاعر الفرنسى شارل بودليير Charles Baudelaire. ومنظور بودليير النقدى أو منهجه يشكّلان جسراً مثاليّاً بين الرومانسية والرمزية وبالتالي بين الرومانسية والطليعة الفنية فى ذلك الزمن، خصوصاً السيريالية. فيصبح بودليير رسول التحديث المتحقق كاملاً والذى بدأه الرومانسيون.

ولنبداً بملاحظة أنه فى تجربة بودليير الإبداعية نجد علاقة متبادلة بين النشاط الإبداعى والنقدى بصفة دائمة. فمثلاً لا يوجد شعر ليس فى الوقت نفسه نقداً للحياة



وللوجود ورؤية مختلفة لقيمهما، فلا يوجد نقد حقيقي ليس بشعر في ذات الوقت، "طريقة شعور" مشتركة. وأحد أسس "المنهجية النقدية"، لبودليير يكمن في هذا الوعي الرومانسي باستحالة الفصل بين النقد والشعر، بين العاطفة والعقل، وبين النقد والميتافيزيقا: "إن الناقد الذي يصير شاعرًا هو معجزة، أما الشاعر فلا يمكن إلا أن يحتوى ناقدًا بداخله." (بودليير مقالات مختارة، ص ٢٠٨). وعادة ما تكرر ذلك المطلب لدى أصحاب أعظم التجارب الفكرية في الغرب، نذكر منهم فقط على سبيل المثال فالتر بنيامين Walter Benjamin ويول إلوارد Paul Eluard. وفي مقاله "صالون ١٨٤٦"، يعبر بودليير عن وعيه العام بأن "العاطفة... ترتفع بالعقل إلى مستويات جديدة"، وهو أكثر وعيًا تحديدًا بأن "النقد باطراد يحاذي الميتافيزيقا." (مقالات مختارة، ص ٣٩). والنتيجة هي أن "أفضل النقد هو النوع الشعري الممتع، وليس النقد البارد الرياضي الذي لا يظهر حبًا ولا كرهًا بدعوى تفسير كل شيء، والذي يتجرد من كل تعبير عن المزاج الخاص، ولكن بما أن الصورة الجميلة هي الطبيعية كما عكسها الفنان، فإن أفضل النقد هو انعكاس تلك الصورة بواسطة عقل حساس وذهن متقد. وبالتالي فأفضل نقد لصورة ربما يكون قصيدة سواء كانت سوناتا أو مرثية." (ص ٣٨)

ويمكن تحديدًا بالنظر إلى هذه العلاقة المتوقعة بين "النقد" و"الشعر" أن نفهم هجوم بودليير على كل "المذاهب". ونجد "امتداح المشاعر"، في مقابل "الروح النسقية" في تعبير جميل لبودليير في مقاله "المعرض العالمي" "Exposition Universelle, 1855" حيث يشير، ضمن أشياء أخرى، إلى أن:

النظام نوع من اللعنة التي تدفعنا إلى مراجعته باستمرار، فنحن بحاجة دائمة لاختراع نظام جديد، وهو مجهود مضمّن من أقسى ما يمكن للمرء أن يواجه من عقوبات ... ولقد قررت حتى أتجنب ويلات هذه الارتدادات الفلسفية أن أقبل بكل كبرياء موقعي المتواضع، فبالنسبة لي تكفيني نعمة الشعور، وأجد ملاذّي في الفطرة الساذجة التي لا تشوبها شائبة... ومن السهل أن نفهم أنه إذا ما اضطر أولئك الأشخاص

المسئولون عن التعبير عن الجمال، إذا ما اضطروا للإذعان لقواعد الأكاديميين ضيقى الأفق، فسيختفى الجمال من على وجه الأرض؛ حيث إن ذلك سيؤدى إلى صهر كل الأنماط والأفكار والإحساسات فى وحدة واحدة رتيبة وخالية من أى لمسة شخصية، وحدة شاسعة بحجم كل الملل والعدم. فالتنوع الشرط الضرورى للحياة sine qua non of life، سيمحى من الحياة. والحقيقة الأكيدة هى أن الأعمال الفنية المتنوعة سيظل بها شىء ما جديد يراوغ إلى الأبد كل القواعد والتحليلات المدرسية. (المقالات المختارة ص ٨١)

لقد كان النقد بالنسبة لبودليير هو الطريق المميز للبحث عن التحديث واختراعه والذي تمثل أعمال مثل زهور الشر وقصائد نثرية صغيرة الدليل الحى عليه على مستوى اللغة الإبداعية.

لقد كان بودليير معجباً دائماً بكثير من صفات الرومانسية ومبادئها، بل ويمكن أن نعزو له كثيراً منها، ذلك لأنه أساساً ارتبط بالرومانسيين نفسياً وعاطفياً ارتباطاً وثيقاً وصادقاً. ويمكن أن نجد كل الخواص المميزة للروح الرومانسية من السوداوية والتمرد والغموض واللانهائية، موجودة بدرجات متفاوتة فى التكوين المزاجى لبودليير. ويقدم لنا صمويل كرامر Samuel Cramer، بطل القصة القصيرة الوحيدة التى كتبها الشاعر فى ١٨٤٧ "حفلة الصخب" "La Fanfarlo" صورة دقيقة إلى حد كبير عن الملامح النفسية لمؤلفه. تبدأ القصة بالفعل بوصف للبطل على أنه "نوع طبيعة قاتمة تتخللها ومضات من ضوء براق، هو فى نفس الوقت كسول ومغامر، قادر على وضع خطط محكمة ببراعة ومواقف فشل ذريع تدعو للضحك." (ص ٢٨) هذه الشخصية المعذبة والممزقة بين الرغبة الصارمة وفداحة الفعل لها وشائج عميقة ومختارة بالرومانسية فى أشد أشكالها تقليدية وصرامة.

ولكن بودليير تجاوز الرومانسية واتخذ موقفًا نقدياً من "ثورتها الثقافية"، كاشفاً عن المصائد التى تكمن فى طريق المشاعر والذاتية، أو بالأحرى ما قد تصل إليه

من نمطية مبتذلة. وإذا كان بودليير قد اعتبر موسيه شاعرًا سيئًا، فقد كان ذلك بسبب رفض بودليير تفاخره الاستبطانى وتدفق عاطفته الغنائية الخالصة، والأهم من ذلك إغراقه فى كل أشكال السطحية الفنية وكسر القواعد. والنقطة الأخيرة بالتحديد هى العامل الحاسم فى فهم اهتمام بودليير من ١٨٤٥ وما بعدها بالمجموعات والحركات الصغيرة التى كانت ترغب فى العودة إلى الصرامة الشكلية وإلى جدية "الصناعة" الشعرية.

وكان بودليير صديقًا حميمًا لتيوفيل جوتييه Theophile Gautier الذى بعدما كان أحد رواد الرومانسية المناضلة، أطلق نظرية "الفن للفن". وقد أغوت النظريات "الشكلانية" مؤلف أزهار الشر لبعض الوقت، تلك النظريات التى ولدت فى الأربعينيات مدارس عديدة مثل المدرسة التشكيلية والمدرسة الوثنية L'ecole Païenne وتكشف أسماء هذه المدارس عن معنى مشروعها وخصوصًا الرغبة فى وضع حد للروحانية الرومانسية المسرفة، واستعادة الإيمان بالجمال الخالص "غير الدينى"، وتفضيل الكمال الشكلى على "الصميمية" العاطفية. وقد اكتسب بودليير من هذا الكمال الشعرى وبراعة نظمه، الأدوات اللغوية والتقنية وكذلك الوعى بأهمية البناء الشكلى للشعر وهو ما ترك بصماته على مجمل بناء أزهار الشر وعلى تكوين كل قصيدة بذاتها.

ولكن بعض جوانب شكلانية ١٨٤٥ ما لبثت أن أصبحت غير متوافقة مع طبيعة بودليير. فقد كان نوع "المادية الوثنية" فى تصريحات إيمان المدارس الجديدة متعارضًا مع الروحانية والصوفية لدى بودليير. كما أن الجانب طبيعى المنزع للحركة كان يتناقض مع تحفظ بودليير تجاه الاضطرابات العميقة فى الطبيعة البشرية. وبالتالي فقد بدأ بودليير مع بدايات ١٨٤٨ بالابتعاد عن جوتييه وأصدقائه. وكانت النتيجة أنه فى الوقت الذى كان جوتييه يدير فيه دفعة الشكلانية باتجاه يكاد يصل إلى التصلب التام، أدرك بودليير أنه لا كمال بغير عاطفة، ولا صناعة بغير مزاج خاص.

وكان معنى ذلك أن الفن والنقد كل فيما يخصه من عمل لا يمكن فصلهما عن "تقيف النشوة" على حد تعبير لويس أراجون الشاعر السريالى. لقد انزلق جوتيه بغير وعى إلى إحدى المصائد الأخيرة للكلاسيكية، فى حين بدأ بودلير عن وعى كامل عصر التحديث.

وعلى مستوى الممارسة النقدية خص بودلير الرسم بأهمية كفية وليس أهمية كمية فحسب. وهذا التفضيل لا يتطابق بالضرورة مع احتقار بديهى لأشكال التعبير الأخرى. صحيح أن النحت لم يعجبه عادة، بل وأثار فيه الضجر وسوء الفهم، ولكن الموسيقى، موسيقى ليست Liszt وبتهوفن Beethoven وفاجنر Wagner، كانت قادرة على خلق حالات مذهشة من الافتتان والتحليق الروحى فى نفسه. ومع ذلك فقد كان عقله وحساسيته منجذبين بصفة دائمة إلى الرسامين، لدرجة أن أحكامه النقدية فى المجالات الأخرى عادة ما يصيغها فى مجازات بصرية، مثلما يؤكد أن هيجو أصبح "رساماً بالشعر"، أو أن فاجنر يتميز فى "رسم الفضاء والعمق".

فلماذا يحظى الرسم بهذا التقدير لدى بودلير؟ تكمن الإجابة فى أن الموهبة الحقيقية لمؤلف أزهار الشر هى بالأساس موهبة بصرية، أو لنقل بالمعنى العميق للكلمة، إن بصيرته هى موهبته. فحينما يسمع بودلير أو يستمع أو يقرأ فهو يصور لنفسه الأشياء والمشاعر. فكل شئ من مجمل الأصوات وكلمات القاموس وروائح محلات العطور كلها تساعد نظاماً واحداً للتمثيل لدى بودلير، ذلك النظام الذى "يعرض" الصور، ويرسم "اللوحات". فالرسم - من وجهة نظره - هو الدليل الأوضح والأكثر مباشرة على قدرة الفن على تمثيل الواقع، فهو الفن الذى يتضح فيه حضور أو غياب الجانب الحسى فى اللعب بالألوان والخطوط. كما أن الرسم هو المساحة المميزة التى يمكن لنظريتين أن تتطابقا من خلال سطحها، نظرة الفنان ونظرة المشاهد، ومن ثم تتم دعوة ذاتيتين إلى تناظر بلا حدود على مساحة اللوحة المحددة. ولا يعتبر بودلير أن أعمال كبار الفنانين فى الماضى والحاضر مجرد مناسبة للجدل

النقدى حول الحكم عليها بل يجد فى تلك الأعمال تعبيرًا عن رغبات وانفعالات، ونفاذ منير إلى ظلمات غير المرئى وغير المفهوم. وأول "منارات" الماضى تلك والتي تضىء مسيرة التحديث هي بيتر بروجل Breughel the Elder وفوضى أحلامه. ونجد بعد ذلك آخرين منهم روبنز Rubens ورمبرانت Rembrandt ثم فاتو Watteau الذى أذاب البعد الطبيعى فى كرنفال من براعته، وجويا Goya الذى خلق "المقاربة الغرائبية" وأخيرًا ديلاكروا Delacroix الرومانسى الذى كان بولير يكن له إعجابًا بلا حدود. لقد وجد بودلير فى ديلاكروا التحديث المولود من الرومانسية والذى توضحه بجلاء المقارنة المطولة مع فيكتور هيجو فى "صالون ١٨٤٦":

فى أعمال [هيجو] لا يوجد ما يمكن أن نحده؛ إذ يستمتع بإظهار مهارته التى تلتقط حتى ورقة عشب أو انعكاس ضوء الشارع. أما [ديلاكروا] فتفتح أعماله طرقًا عميقة إلى أكثر المخيلات مغامرة. الأول يمتلك قدرًا من الرصانة أو لنقل قدرًا من الأنانية غير المكتثرة التى تغلف شعره كله بنوع غير محدود من التحفظ، وهى صفات لا تتوفر للثانى صاحب العاطفة المشاكسة والعنيدة التى تتناقض مع ما تتطلبه صناعته من صبر. فينطلق الأول من التفاصيل أما الثانى فمن الفهم الحميم لموضوعه، والنتيجة أن الأول لا يصل إلى أبعد من سطح الجلد أما الثانى فيخرج كل الأحشاء. ولأنه بالغ المادية وبالغ الاهتمام بالعناصر الخارجية للطبيعة فقد أصبح السيد فيكتور هيجو رسامًا بالشعر، أما ديلاكروا فقد كان، باحترامه الدائم لمثاله وعن غير وعى فى أغلب الأحوال، شاعرًا بالرسم. (ص ٤٢)

وإذا كان ديلاكروا "شاعرًا بالرسم"، فذلك لأنه كان قبل كل شىء قادرًا على أن يجعل الواقع يتكلم، وأن يستخرج منه كلمته السرية التى يحتفظ الفنان والمشاهد بها فى الذاكرة. يرى بودلير فى فن ديلاكروا "تقنيات دعم ذاكرة الجمال"، فلوحاته تنطلق من أصلها فى الذاكرة وتتحدث إلى الذاكرة. ويعود بودلير كثيرًا إلى صفة الفن

الأساسية باعتباره تعبيرًا متأصلًا في الذاكرة العاطفية يلمس الذاكرة العاطفية. (انظر كتاب دومينيك رينس بودليير والتحديث الشعري D. Rince Baudelaire et la *modernite poetique*) ويتحدث عن "فن يدعم الذاكرة"، لدى كونستانتين جايز Constantin Guys، ويكتب أن أغلب أعمال كورو Corot تتمتع بهبة خاصة وهي الوحدة، إحدى ضرورات الذاكرة" (بودليير الأعمال الكاملة، الجزء الثاني ص ٤٨٢) وأما عن بودان Boudin فيكتب أن بعض الفنانين لو رأوا "بضع مئات من دراسات الباستل (الإسكتشات) المرتجلة أمام البحر والسماء، لفهموا ذلك الذى يبدو أنهم لا يدركونه وهو الفرق بين الإسكتش واللوحة. ومع ذلك فبودان - والذى يحق له أن يفخر بإخلاصه لفنه - يعرض مجموعته بمنتهى التواضع. فهو يعرف حق المعرفة أن كل هذا يصبح لوحة عبر الانطباع الشعري الذى تستعيده الذاكرة بإرادتها". (ص ٦٦٥) ويكتب عن تانهوزر Tannhauser لفاجنر قائلاً إنه يلاحظ "ابتداءً من الموازين الموسيقية الأولى أن أعصابنا تتذبذب فى تناسم مع اللحن، ويرتفع كل من هو من لحم ودم وذاكرة". (المقالات المختارة، ص ٢١٠) وأخيرًا، نشير مرة أخرى إلى واحدة من أجمل الاستعارات فى مقارنة بودليير بين ديلاكروا وهيجو، وهى أن الذاكرة عند ديلاكروا وغيره من رسامى الحياة الحديثة "تفتح الطرق العميقة إلى أكثر المخيلات مغامرة". (ص ٤٢)

ويصبح الخيال هو مركز جماليات التحديث، هو الملكة الأقرب إلى رؤية العالم فى مجمله والحديث عنه وعرضه. وفى تأكيده على هذه الخاصية لدى ديلاكروا كان بودليير ملتزمًا بالهموم النظرية التى عبر عنها ديلاكروا نفسه. ففى جزء من يومياته التى يقدم فيها بعض التعريفات لقاموس الفنون الجميلة، كتب ديلاكروا يقول:

الخيال: هو الصفة الأولية التى يحتاجها الفنان. وجودها لا يقل ضرورة عند محب الفن. فلا أتصور أن يشتري شخص لوحة إذا كان محروما من الخيال: ففى هذه

الحالة يحتل الغرور مكان الخيال، إلى الدرجة التي تجعل الصفة الثانية غير موجودة. وعلى الرغم من غرابة الأمر فإن معظم الناس لا يتمتعون بهذه الصفة. وهم لا يفكرون فقط للخيال المتوهج والحاد والذي يجعل المرء قادرًا على رؤية الأشياء بطريقة حيوية، والذي يقدم لهم السبب وراء وجود الأشياء، ولكنهم أيضا يفقدون الفهم الواضح للأعمال التي يشكل الخيال العنصر المهيمن بها ... ورغم أن كل شخص لديه إحساس وذاكرة، فإن أولئك الذين يتمتعون بالخيال الذي يفترض أنه يتشكل من هذين العنصرين قليلون. وعند الفنان يعمل الخيال على ما هو أكثر من تصوير بعض الأشياء لنفسه، فهو يجمع بينها في سبيل الهدف الذي يسعى إليه، فالخيال يعطيه الصور التي يشكل منها بإرادته. أين إذن الخبرة المكتسبة التي يمكن أن تعطى ملكة التكوين؟

(ديلاكروا، اليوميات، ص ٥٦٠-٥٦١)

وفي مواجهة ديلاكروا ومعاصريه لم يكف بودليير من ناحيته عن إثارة ذلك التساؤل الأخير. بالنسبة له لا يمكن أن يكون الخيال مجرد وضع صور للواقع أو ذكرى له. ولهذا فهو لا يقدر ولا يفهم جيدًا نسخ التماثيل التي يعتبرها شديدة الخنوع: "قهي فظة وعيانية مثل الطبيعة، وهي في نفس الوقت غامضة وغير ملموسة؛ إذ إنها تظهر العديد من الوجوه في المرة نفسها." (بودليير، الأعمال، ص ٤٨٧) ولهذا لا يثق في التصوير الفوتوغرافي، على الرغم من إعجابه وصداقته مع نادار Nadar. فيكتب في صالون ١٨٥٩ أن الفوتوغرافيا تحمل خطر تدنى مستوى الفن إلى مجرد ممارسة صناعية للتسجيل. وبسبب الفوتوغرافيا "يفقد الفن احترامه لنفسه يوميًا، ويخضع للواقع الخارجي ويصبح الرسام أكثر ميلا إلى رسم ما يراه وليس ما يحلم به." (ص ٦١٩). وبدلاً من محاولة نقل أو محاكاة الطبيعة يتصفح ديلاكروا قاموسه الضخم ويرجع إليه

بعين واثقة وثاقبة. إن تخيل تكوين ما بالنسبة له يعنى تجميعاً لعناصر معروفة ومرئية مع أخرى موجودة داخل الفنان. ومن وجهة النظر هذه يكتسب التحديث بمعنى ما طابعاً ثورياً. وهو يكتسبه كما أشار بعض النقاد بمعنى التحول باسم الخيال من جعل الأولوية للحقيقة الموجودة في الواقع إلى حقائق الأنا التي تسعى إلى الواقع، تسعى إلى كشف ذلك الواقع وتسميته. ومرة أخرى يحدث التخلي عن مجمل البناء الكلاسيكي لتمثيل الواقع كحاكاة لدور معطى مسبقاً، لصالح جماليات الحدس والإيحاء. (انظر Rince, Beaudelaire).

إن السيادة الشاملة للخيال في نظرية التحديث وكذلك تصدر المخيلة الشعرية والنقدية الجديدة والمدققة، ولذا عند بودلير طريقة حياة كثيرة التطلب بكل ما فيها من قيود ومتاعب ومنع أيضاً. ويستدعي بودلير كل هذا في نقده للأدب والرسم من خلال تعبير "بطولة الحياة الحديثة". وفي الجزء الأخير من "صالون ١٨٤٦" بعنوان "حول بطولة الحياة الحديثة"، سعى بودلير لفهم "جوهر" هذا التحديث، كيف نعيشه، وكيف نتخلله، وكيف نكون أبطاله ورسله. وفي خلال هذه العملية يظهر الوعي المتضمن أحياناً والصريح أحياناً أخرى الذي سيظهر لاحقاً في كل من الرمزية والسريالية، وهو أن "البطل الحديث" سواء كان فناناً أو ناقدًا أو متفرجاً هو القادر على ترجمة، أي علمنة، القدسية المتعالية للمطلق إلى نسبية الزمن الدنيوية للوجود الإنساني. ويقوم بذلك إذ يغرق نفسه، وهو الخالق بين مخلوقاته، في كل ما هو معاصر له من فضاءات وأشياء عادية، وكل "تفاصيل" واختلافات "الحياة اليومية الواضحة والجليلة. فهو الذي يخلق، منذ الرومانسية وما بعدها، كل "عظمة"، و"تعاسة" الإنسان الحديث.



## الفصل الثالث

### الثورة الفرنسية

بقلم: ديفيد سيمبسون

ترجمة: لميس النقاش

لقد أصبح تاريخ الأدب والثقافة مهمة صعبة فى ضوء وصاية ما بعد الحداثة. فلم يعد أحد يحبذ السرديات الكبرى أو الصالحة للتطبيق على كل شىء، ولم يعد بالإمكان طرح تسلسل هيجلى يصف التطور العضوى للأحداث عبر الزمن، أو العلاقة المحايثة بين الظواهر فى الزمن بالشكل الذى طرحه القائلون التقليديون بتاريخ ذهن *Geistesgeschichte*. وتتخذ التحذيرات السائدة شكل وصايا أخلاقية تقول بأن المزيد من السرديات الكبرى هو مزيد من القمع المرفوض. ولكن الصعوبات معرفية كذلك، وربما ذلك هو الأمر الأكثر إلحاحاً: فكيف لنا أن نعرف أن أمراً ما مرتبط بآخر فى سياق تاريخ ما أو ثقافة ما؟ ماذا نعى بقولنا "روح العصر" كما كان يتكلم هازلitt وكثيرون غيره؟ وكيف يمكن أن نمنع أنفسنا من تحويل أبسط وأصغر الحكايات إلى سرديات أكبر سواء من خلال الافتراض الضمنى أو الإضافة التجريبية؟ ربما يظل أضمن تاريخ للأدب هو التاريخ الأكثر تقليدية: ذلك الذى يبرز تأثير كاتب أو كتابة ما على كاتب آخر أو كتابة أخرى موضعاً ذلك بالنصوص وينتهى الأمر. ولكنه من الصعب أن نقصر أنفسنا على مثل هذا النوع من التاريخ الأدبى لأننا ورثنا عن التنوير الاستعداد لتحقيق ما هو أكثر بكثير من ذلك، أى استكشاف وتفسير الأدب والنقد الأدبى كجزء لا يتجزأ من الثقافة والتاريخ على أوسع نطاق.

وقد عمل ما نسميه الثورة الفرنسية من البداية كأحد نماذج هذه المشكلة - وكأحد حلولها- أى مشكلة السبب والنتيجة فى علاقة الثقافة والتاريخ. وعلى العكس من غيرها من "الثورات" التى تمتلئ بها روايات المؤرخين والنقاد مثل الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة السكانية والثورة الاستهلاكية وغيرها، كان للثورة الفرنسية بداية واضحة فى ١٧٨٩ ونهاية فى ١٨١٥ إن لم يكن قبل ذلك. ولكن يمكن القول إنه لم تكن هناك ثورة فرنسية واحدة، وإن أولئك الذين هلكوا لسقوط الباستيل فى ١٧٨٩ كانوا أنفسهم من استتكر التطورات اللاحقة سواء إعدام الملك، أو عصر الإرهاب، أو غزو سويسرا (الذى كان فى الواقع أكثر أهمية من الموضوعين الآخرين فى تغيير الرأى العام الأوروبى)، أو ظهور القنصل وبعده الإمبراطور (نابليون). ومع ذلك فقد كان هناك سعى منذ اللحظة الأولى لخلق ثورة واحدة بمرسوم بلاغى. فحتى فى يناير ١٧٩٠ كانت الصحافة الباريسية تشير إلى الثورة، ولم تكف عن هذا قط.<sup>(١)</sup> وأصبحت الثورة بمقتضى اسمها وحده نقطة مرجعية إجبارية فى كل إعادة صياغة للتاريخ فى القرن الثامن عشر وما بعده فى فرنسا وفى كثير من الدول الأوروبية كذلك. وفى ذكرى مائتى سنة على الثورة فى ١٩٨٩ لفت فرانسواز فيوريه Francois Furet الانتباه كثيرًا بإعلانه، بعد طول انتظار، أن الثورة انتهت: فقط بعد عملية مؤلمة بدءًا من الجمهورية الثالثة وانتهاء بالجمهورية الخامسة حررت فرنسا نفسها أخيرًا من الشعور القسرى بضرورة تكرار الطقوس وإعادة التأويل العملى لسنة ١٧٨٩.

(١) انظر

See Mona Ozouf, 'Revolution', in eds. François Furet and Mona Ozouf, *A Critical dictionary of the French Revolution*, Arthur Goldhammer (trans.), Cambridge, ma and London: Belknap Press, 1989, p. 810.

وقد بدا هذا التكرار عملياً في ١٨٣٠ و ١٨٤٨ و ١٨٧١ ونظرياً طوال القرن التاسع عشر.<sup>(٢)</sup>

وبالنسبة للمراقبين من الدول الأوروبية الأخرى وخصوصاً بريطانيا فقد كان يرضيهم تماماً إعلان الثورة منتهية بحلول ١٨١٥ على الأكثر، بل ربما قبل ذلك التاريخ بكثير. أما ما يخص مسألة تأثير الثورة على الأدب والنقد الأدبي فقد كان رأى معظمهم إما ملتبساً أو سلبياً. وكان الرأى السائد أن للثورة الفرنسية آثارها القوية للغاية على السياسة الأوروبية والنظرية السياسية والتاريخ الاجتماعى. وقد اتخذ المعلقون والحكومات مواقف مختلفة مع الحرية وضدها، وإزاء أنواع الحرية المختلفة، وكذلك فعلت الحركات الثورية المختلفة فى نضالها ضد شرعية هذه الحكومات ذاتها. وقد استعانت حركات التحرر الوطنى باختلاف أطرافها (فى ألمانيا وإيطاليا على سبيل المثال) وكذلك الحركات الديمقراطية بحقوق الإنسان<sup>(٣)</sup> واعتداء الإنسان على حقوق الغير بحيث كان حتمياً أن تتقاطع بلاغيات الثورة مع أدبيات الثقافات الوطنية التى تأثرت بها. ويمكن أن نجد بين نقاد الأدب والمؤرخين أحكاماً مثل تلك التى أطلقها تين Taine والذى كتب (بعد ذلك، فى ستينيات القرن التاسع عشر) أنه "عشية" القرن التاسع عشر "بدأت الثورة الحديثة العظمى فى أوروبا. وتغير جمهور المفكرين

(٢) انظر على سبيل المثال

François Furet, *Interpreting the French Revolution*, Elborg Forster (trans.), Cambridge University Press, 1981.

لمسح تاريخى ممتاز بما أحاط أعمال فيوريه انظر:

Bernadette Fort, 'The French Revolution and the making of fictions'. in Bernadette Fort (ed.). *Fictions of the French Revolution*. Evanston, il: Northwestern University Press, 1991. pp. 3-32.

(٣) يشير المؤلف هنا إلى إعلان حقوق الإنسان والمواطن وهو أحد الوثائق الأساسية للثورة الفرنسية أصدرته الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٦ أغسطس ١٧٨٩. (المترجمة)

والعقل الإنساني، ومع هذه التغيرات ظهر أدب جديد.<sup>(٣)</sup> ولكننا نكتشف حين نمضي في قراءة تاريخ تين أن الثورة لم تبدأ في ١٧٨٩ (على الأقل بالنسبة لإنجلترا) ولكن مع المبادرات الجمالية والأسلوبية لبرنز Burns وكوبر Cowper، وكان كلاهما قد نشر أهم أعماله قبل اندلاع الثورة الفرنسية. فقولُه "ومع هذه التغيرات" لا يعين إذن نقطة تاريخية بقدر ما ينزعها من مكانها؛ فالتغيرات كانت قد بدأت بالفعل في استجابة لتاريخ أقدم من ١٧٨٩. والأدب والتاريخ السياسي يسيران قدما في طرق مترابطة ولكن ليس بمنطق الأسباب والنتائج. ومن هنا يمكننا على أقل تقدير تصور أن "الثورة" التي كتب عنها تين كان يمكن حدوثها حتى من غير ١٧٨٩.

وتطرح هذه الأسئلة نفسها في إعلان فريدريش شليجل Friedrich Schlegel الشهير في شذراته في العدد ٢١٦ من الأثينيوم *Athenaeum*: "لقد شكلت الثورة الفرنسية وفلسفة فيخته Fichte، ورواية جوته فيلهلم مايستر أعظم اتجاهات العصر."<sup>(٤)</sup> وكلمة "اتجاهات" Tendenzen توحى ولا تحدد قدرة سببية؛ فترك تلك الظواهر الثلاثة معلقة بشكل ما بين كونها أسبابا أو نتائج أو أعراضا أو تماثلات. وفيما بعد يقوم شليجل بتعريف الثورة على أنها "محور الشخصية القومية الفرنسية وقيمتها." (ص ٢٣٣) - أى عرض لشيء سابق عليها وليست أصل النظام القومى الجديد. وفي مناسبة أخرى تصبح "مجازا تمثيلا رائعا حول مذهب المثالية المتعالية (الترانسندنتالية)." (ص ٢٦٣) ولا يوجد تحديد مستقر لأى نتيجة بسيطة يمكن أن تكون ثورة ١٧٨٩ هى السبب وراءها. لقد كانت الثورة على جانب كبير من الأهمية

(٣) راجع:

Hippolyte Taine, *History of English literature*, H. van Laun (trans.), 4 vols., Philadelphia, pa: Altamus, 1908, iii: 381.

(٤) راجع

Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the Fragments. Peter Firchow (trans.). Minneapolis, mn: University of Minnesota Press. 1971. p. 190.

ولكن ما هى هذه الأهمية وكيف نصفها أمر متروك للغة التلميحات والإيحاءات. وفى حين أنه لا يمكن تجاهلها فإنه لا يمكن كذلك أن نعتبرها السبب الرئيسى أو العنصر الوحيد فى أى تغير ثقافى أو تاريخى بعينه.

وبين الاثنين - تين وشليجل - يمكن إجمالاً تحديد التقييم السائد فى النقد الأدبى للعلاقة بين الثورة الفرنسية والأدب وتلقيه. ولن نجد بين النقاد الذين خاضوا فى مهمة ربط الأدب بالتاريخ والمجتمع إلا عدداً قليلاً، إذا وجدنا أصلاً، يطرح أثراً محدداً كانت الثورة - والثورة وحدها - هى السبب فيه. ويرجع هذا إلى حد ما إلى أن أحداث ١٧٨٩ نفسها يمكن تفسيرها على أنها أحد الآثار المترتبة على عصر التنوير - العصر السابق على تلك الأحداث - وثقافته الفلسفية. إن إلقاء اللوم فى كل شىء على روسو والفلاسفة الموسوعيين كان سياسة مفضلة للصحافة البريطانية المحافظة طوال التسعينيات من القرن الثامن عشر، كما انجذب الراديكاليون كذلك لمثل هذا الربط سعيًا للتأكيد على مسألة التأثير الهائل لكاتب وأفكار مثل كتبهم وأفكارهم. ومثل تلك التفسيرات جعلت من التغيير السياسى نتيجة لا سبباً للثورات الفكرية والروحية، وصحيح أنها وضعت المفكرين والأدباء (والأدبيات) -الذين نشروا أفكارا يمكن ربطها بأثر رجعى أو تنبئ بالتغيرات الاجتماعية الثورية- فى دائرة الخطر، إلا أنها شكلت كذلك دعماً لأهمية المنتمين إلى ثقافة فرعية من كتاب وفلاسفة يعمل أغلبهم خارج حدود الحصانة الأكاديمية، ومن ثم كان اعتمادهم على الرأى العام اعتماداً كبيراً.

ومن هنا رأى كثير من المعلقين أن أحداث ١٧٨٩ وما تلاها هى محصلة لاتجاه تاريخى كان قد تشكل بالكامل أصلاً فى النظرية الجمالية والفلسفية، وكان فقط بانتظار اللحظة المناسبة ليتحقق مادياً فى شكل سياسى؛ وهو تفسير ساعد عليه استدعاء الثوريين الدائم لسلطة روسو وغيره، وكذلك نشاط المتقنين وانخراطهم فى إعادة تنظيم الحياة السياسية الفرنسية مثلما فعل كوندورسيه Condorcet. وقد استعاد المؤرخون فى أواخر القرن العشرين ذلك الاتجاه مؤكدين على أهمية "العقليات"،

ومجددين الإيمان بقدرة الثقافة والصيغ الرمزية على خلق الأحداث التاريخية، في محاولة لعدل كفة الميزان التي مالت في اتجاه النماذج السياسية والاقتصادية البحتة للتغيير الثوري. وفي عالمنا المعاصر عادت بقوة أنظمة الترميز الاجتماعي الأيديولوجية والجمالية لتحل مكانًا بارزًا في التفسير التاريخي؛<sup>(٥)</sup> (مع الفرق أن المحرك الآن هو أشكال التمثيل الثقافي وأعراضه المتلازمة وليس أفرادًا من الكتاب).

ولكن دعوى أسبقية الأفكار على الأحداث لم تكن الفكرة الأساسية التي تم طرحها لتقديم العلاقة بين الأدب والنقد الأدبي من ناحية والثورة من ناحية أخرى. فهذه الفكرة كانت تصلح للتطبيق على "الفلاسفة الموسوعيين" أكثر من أولئك الذين نعتبرهم الآن أدباء، وإن كان كتاب مثل فولتير وديدرو وروسو وغيرهم قد تجاوزوا الحدود بين الاثنين بوضوح. ولعله بالنسبة لتراث النقد الأدبي سواء المعاصر للثورة أو اللاحق عليها، كانت المسألة الأهم هي إزاحة أو تفادي ١٧٨٩ في صياغة التواريخ الحاسمة لتشكيل ما سمي بالحركة الرومانسية. ففي فرنسا على سبيل المثال كان هناك اتفاق عام على أن الحركة الرومانسية بدأت كحركة تقليدية في مواجهة الروح العلمانية للعقد الأول بعد الثورة. فالأحداث/النصوص التي عادة ما يشار إليها في هذا السياق هي كتاب شاتوبريان Chateaubriand عبقرية المسيحية في ١٨٠٢ أو كتابات مدام دي ستايل الأولى. كما كان التأثير المتأخر لهذه الكتابات وغيرها من الكتابات المشابهة هو ما دفع بالحركات الرومانسية الأوروبية إلى العشرينيات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر إن لم يكن بعد ذلك. وقد أدى هذا إلى الإبعاد التاريخي ما بين الحركات الرومانسية الأوروبية وأهم أحداث الثورة الفرنسية. حتى إن الحركة الرومانسية البريطانية - التي تعتبر من أولى الحركات - يكشف تاريخ

(٥) مثال جيد على هذا الاتجاه

Lynn Hunt, *Politics, culture and class in the French Revolution*, Berkeley, CA, Los Angeles, CA, London: University of California Press, 1984.

تأسيسها المتفق عليه وهو ١٧٩٨ (تاريخ صدور ديوان حكايات غنائية) يكشف ابتعاداً مهماً عن الأحداث الفرنسية الحاسمة من ١٧٨٩ إلى ١٧٩٥. كما أن التأثير الأعظم لفريدريش شليجل كان فى دوره الكاثوليكي التقليدى أثناء العقد الأول من القرن التاسع عشر وليس فى نظرياته الجمالية الثورية فى العقد الأخير من القرن الثامن عشر. (١)

وقد حدث إعادة تخطيط زمنية على مستوى أكبر مما أشرنا إليه بالنسبة لموقع الثورة الفرنسية فى تاريخ الأدب الذى يغطى فترات زمنية أطول؛ إذ جاءت الأحداث المهمة فى سياق ذلك التاريخ ضمن سياق التطور "الحديث" السابق بكثير على ثورة ١٧٨٩، كما جاء الأدب نفسه استجابة لدورات تاريخية مختلفة عن تلك التى يحركها مجرد التغير السياسى. وفى سياق هذا النموذج ربما تظل الثورة الفرنسية لحظة مهمة

(١) لا يهدف هذا المقال إلى تقديم الرومانسية الأوروبية بكل تفاصيلها فهذا أكبر من نطاقه وأبعد من قدرات صاحبه. ومؤرخو الرومانسية الإسبانية ما زالوا يشيدون مقولات تعريفية تمتد إلى أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كما يجب أخذ الاستخدامات المحافظة والليبرالية للمصطلح، بالإضافة إلى الاتجاهات الإقليمية الراسخة فى الاعتبار. انظر على سبيل المثال: E. Allison Peers, A history of the Romantic movement in Spain, 2 vols., 1940; rpt New York and London: Hafner, 1964;

وحديثاً صدر:

Derek Flitter, Spanish Romantic literary theory and criticism, Cambridge University Press, 1992.

ولمقدمة حول النقد الرومانسى فى إيطاليا انظر:

René Wellek, A history of modern criticism, 1750-1950, vol. ii: The Romantic age, New Haven, ct: Yale University Press, 1955, pp. 259-78.

انظر كذلك مقاله الميم:

René Wellek, "The concept of Romanticism in literary history" reprinted in his *Concepts of criticism*, New Haven, CT and London: Yale University Press, 1963, pp. 128-98.

ونجد مجموعة مقالات مهمة حول الاستجابة الألمانية بالذات للثورة الفرنسية فى:

*Die französische Revolution im Spiegel der deutschen Literatur*, Claus Träger (ed.), Frankfurt am Main: Röderberg, 1979.

ونجد عرضاً تأويلياً وملخصاً لهذه المادة فى:

Ernst Behler, 'Die Auffassung der Revolution in der deutschen Frühromantik', in *Essays in European literature in honor of Liselotte Dieckmann*, Peter Uwe Hohendahl, Herbert Lindenberger and Egon Schwarz (eds.), St Louis, wa: Washington University Press, 1972, pp. 191-215.

في تطور الحداثة، ولكن ادعاءها الأهمية المستقلة يتضاءل، كما يتضاءل تأثيرها المستمر على الثقافة الأدبية. فقد كانت النماذج الإرشادية موجودة ومستقرة حتى قبل الثورة الفرنسية. ولكن بعد ١٧٨٩ أصبحت الرغبة متزايدة في نموذج للحداثة طويل المدى في التاريخ الأدبي، وبذلك يساهم في السعي للتمييز بين التأثيرات العميقة المتجلية في الفن والأدب وبين الاضطرابات السطحية التي تستجيب للتحويلات السياسية المحضة.

وقد عين هيجل على سبيل المثال بداية الروح "الرومانسية" في العصور الوسطى المسيحية، حين أصبحت "الحياة الداخلية الخالصة عملاً روحياً أصيلاً لأقصى درجة، ومن ثم كمبدأ يتزايد عدم اكتراثها بالعالم الموضوعي"<sup>(٧)</sup>. أما شيلينج Schelling فقد حدد نشأة هذا التوجه المحتوم للداخل \_ الذي يظهر مجدداً بالطبع في الصياغات العديدة للأنما الرومانسية - حدده بعصر الإصلاح الديني. فقد أدى حلول البروتستانتية محل الكاثوليكية في كثير من بلدان أوروبا إلى العزلة عن المجال العام وقطع سبل التواصل مع الله [عن طريق رجال الدين]، وكل ما حملته هذه العزلة من مخاوف هائلة ومن حقوق وحرقات خاصة. وهذه العزلة هي المصدر الذي يعتمد عليه أدب الحداثة ويكتشف إمكانياته.<sup>(٨)</sup> لقد أدى الإصلاح الديني بالطبع إلى تقسيم الدول تقسيماً حاسماً بين دول بروتستانتية ودول كاثوليكية، ومن هنا فإن طرح هذا التقسيم في مقدمة تفسيرات تاريخ الأدب يستدعي كذلك التمييز بين الآداب القومية المختلفة، وخصوصاً في ضوء الدور الذي لعبه الإصلاح الديني في عملية

(٧) راجع

G. W. F. Hegel, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), 2 vols. (continuously paginated), Oxford: Clarendon Press, 1974, pp. 518, 609.

(٨) انظر على سبيل المثال بعض المقتطفات من *The philosophy of art* ومقال *On Dante in relation to philosophy* (إلى الإنجليزية) في:

David Simpson (ed.), *The origins of modern critical thought: German aesthetic and literary criticism from Lessing to Hegel*, Cambridge University Press, 1988, pp. 232-47.



تشكيل الدولة وتماسكها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وقد كان كتاب توماس وارتن Thomas Warton تاريخ الشعر الإنجليزي (١٧٧٤-١٧٨١) المثال الأكثر استفاضة ضمن المحاولات العديدة في القرن الثامن عشر لتأسيس أصول الأدب الإنجليزي تأسيساً صلباً غير عرضة للتداعى جراء ثورة شعب آخر. وبعد ذلك بوقت قصير يأتي توماس كامبل Thomas Campbell ليردد تلك الفكرة كإحدى المسلمات معتبراً أن "إنجلترا شخصيتها الأدبية المستقرة منذ نهاية القرن السادس عشر."<sup>(٩)</sup> أى أن الأدب قد استقر بحلول الثورة الإنجليزية (في ١٦٤٩ و١٦٨٨) وكان بالتالى قادراً على الحفاظ على الاستمرار القومى الحيوى فى أثناء الفترات العصيبة سياسياً.

أما نشوء الشخصية الأدبية الفرنسية فقد جرت العادة على تحديدها بفترة ديكارت وراسين، تلك التركيبية من العقلانية والكلاسيكية التى أضاف إليها القرن الثامن عشر مذهب التحررية الدينية والسلوكية. وقتها لم تكن للثقافة الأدبية الألمانية مكانة قومية، ويمكن القول إنها بدأت فى التشكل فى زمن الثورة الفرنسية، ولكن حتى هنا نجد الكل يلجأ إلى النماذج القوطية السلفية فى رسم حدود تلك الشخصية واتجاهاتها. فقد اختتم أوجست فلهم فون شليجل محاضرات حول الفن الدرامى والأدب الشهيرة بدعوة لأدب ألماني يستخدم أحداثاً ألمانية، أحداثاً "قومية تماماً" حتى قبل وجود تلك الأمة، وإلى العمل على نشر "الوحدة التى لا تقهر" بين كل الألمان.<sup>(١٠)</sup> أما أخوه فريدريش فقد تنبأ بدور خاص للألمان فى "اليقظة الداخلية العظيمة" التى تحدث فى أوروبا بأسرها عن طريق حب "التقاليد القديمة والشعر الرومانسى" الذى

(٩) راجع

Thomas Campbell. *Specimens of the British poets*. 7 vols., London: John Murray. 1819. i: 104.

(١٠) راجع

A. W. Schlegel, *Lectures on dramatic art and literature*, J. Black (trans.) rev. A. J. W. Morrison (ed.), London: Bohn, 1846, pp.528-9.

يشكل البديل "الثورات الدامية."<sup>(١١)</sup> أما فيخته فقد حدد دورًا خاصًا للغة الألمانية في تجاوز الفروقات السياسية بين الولايات والإمارات المتحدة بالألمانية، وكذلك في نشر ما تتميز به من علاقة وثيقة وملائمة بين الكلمات والأشياء. وقد استدل الألمان، وإن كان بالنفي، على الطريق الصحيح بمحاولة الابتعاد عما شهدته فرنسا من مآسى في تسعينيات القرن الثامن عشر. فيجب أن يسبق التعليم التغيير السياسى واللغة هي مفتاح التعليم. فاللغة الألمانية بقدر ما تتأى عن الميل إلى الكلمات والأصول اللغوية اللاتينية الدخيلة على الألمانية، تكون بالنسبة لفيخته ذات تماسك بدائي "قابلة للفهم المباشر والمحدد" وذات حيوية أقرب إلى "قوى الطبيعة". ويمثل هذه الطاقة والأصالة يمكن للشعر أكثر من غيره نشر "الثقافة الروحية" عبر الشعب بأسره وهو ما لا يمكن أن يحدث في ثقافة لغة لاتينية كالثقافة الفرنسية.<sup>(١٢)</sup>

أصبحت الثقافة القوطية، تلك الثقافة الوطنية التقليدية لشمال أوروبا حيث أغلب الدول البروتستانتية وما تحمله من طاقة بدائية، العامل المشترك الموحد للأدب الإنجليزي والألماني والإسكندنافي، على سبيل المثال، وهو عامل يميزها جميعا عن الأدب الفرنسي الذي يميل للعقل والتهذيب والفكاهة اللامحة والتجريد والمكانة الاجتماعية الرفيعة. وقد استقر هذا التقسيم للأدب القومية قطعا قبل ١٧٨٩ وأدى إلى انتشار النماذج البدائية، على سبيل المثال، ومنها الحكايات البطولية النرويجية والملاحم المنتسبة إلى الشاعر الإيرلندي أوسيان Ossian، ولكن المؤكد أن هذا التقسيم استمد طاقة متجددة مع تحالف كثير من تلك الدول والثقافات في مواجهة

(١١) راجع

Friedrich Schlegel, *Lectures on the history of literature, ancient and modern*, John Frost (ed.), Philadelphia, pa: Moss & Co., 1863, p. 382. Like Schiller, Schlegel held out hope for an aesthetic revolution; see Behler, 'Die AuCassung der Revolution', p. 214.

(١٢) راجع

Johann Gottlieb Fichte, *Addresses to the German nation*, George Armstrong Kelly (ed.). New York and Evanston, il: Harper & Row, 1968, pp. 57, 59, 68.

فرنسا، ومع الحاجة لتحديد أو بالأحرى إعادة تحديد "الحرية" عامة أو التجسيد القومي المعين والمختلف لما تعنيه الكلمة في فرنسا. وحتى قبل ١٧٨٩ كانت هيمنة فرنسا ثقافيًا على بقية أوروبا في انحسار. فعندما رفع التحالف الشمالي "القوطي" السلاح في وجه الجمهورية، كانت حربًا عسكرية بقدر ما كانت دفاعًا عن الثقافة القومية (والتي وجدت تجسيدًا ملائمًا في كتاب ستايل المهم عن ألمانيا). ومن هنا كان الانتصار الأخير في وترلو هو أيضًا انتصارًا للحضارة القوطية. وقبل وترلو بكثير كان التحول إلى جماليات ما قبل الكلاسيكية قد بدأ في الظهور في فرنسا نفسها. وبالفعل كثيرًا ما تم وصف الرومانسية الفرنسية على أنها بدأت مع العودة إلى البدائية وإلى الماضي وإلى المسيحية كما هو واضح في ميل شاتوبريان للقوطية، وبدأت معها ما يقرب من قرن أو أكثر من الصراعات بين الروائيين حول تعريف الروح الثورية. وقد حدث تحول مماثل في الثقافة الألمانية مع اعتناق الأخوين شليجل للكاتوليكية والرغبة في الانفتاح على القرون الوسطى، وهي حركة مماثلة للحركة الرومانسية الأدبية في فرنسا في ذات الوقت الذي كانت فيه جزءًا من نضال سياسي قومي موجه ضد فرنسا بالذات. وفي بريطانيا أعلن ويليام بليك أن "القوطية شكل حي" في حين أن الأشكال الإغريقية أشكال "هندسية" بحتة، وتتعارض مع الخيال الخصب الذي اكتشفه في الكتاب المقدس وفي التراث البدائي وتراث السكان الأصليين والتراث العبراني.<sup>(١٣)</sup> وقد اتخذ المحافظون البريطانيون موقفًا بالغ الحساسية تجاه ما استشفوه من العنصر المنتسب إلى اليعاقبة في الأدب والفلسفة الألمانية في العقد اللاحق على ١٧٨٩، ولكن بحلول ١٨١٥ استطاعوا قبول بعض الكتابات باعتبارها دليلًا روحيًا إلى أوروبا

(١٣) راجع

*The complete poetry and prose of William Blake*, revised edn David V. Erdman, Berkeley, CA and Los Angeles, CA: University of California Press, 1982, p. 270.

الجديدة، رغم أن هذا القبول لقي معارضة بين أولئك الذين حاولوا إحياء "عبادة الجنوب" الجديدة باسم المشروع الليبرالي.<sup>(١٤)</sup>

ولكن هذه العلاقة البسيطة بين الأدب والسياسة الوطنية، كما تطرحها ستايل مثلاً، واجهت تشكيكاً وإضعافاً ساهم فيه عملان من أعمال النقد الأدبي لتلك الفترة تميزتا بالعمق، وطرحتا دوراً للتجربة الجمالية في الإحياء والتجديد على المستويين الأخلاقي والنفسي، وأعنى بهما كتاب شيلر Schiller حول التربية الجمالية للإنسان ومقال شيللي Shelley "دفاع عن الشعر". ويبدو لي من المعقول طرح الثورة الفرنسية كعامل أسهم في توسيع الهوة بين هذين الاتجاهين في النقد الأدبي، وهما النقد التاريخي والنقد الجمالي كما نسميهما اليوم (ويستقى "النقد الشكلائي" من الاثنين على نحو متباين). لقد سعى شيلر متبنيًا فكرة كانط واسعة التأثير حول الحكم الجمالي الواردة في كتابه نقد الحكم الجمالي (والتي عادة ما أسيء فهمها)، سعى إلى صرف الانتباه من المشهد السياسي إلى الحياة الداخلية لعقل الفرد: "عن طريق الجمال وحده يمكن للمرء أن يصل إلى الحرية."<sup>(١٥)</sup> وبدون الحرية الداخلية تلك لا يمكن لأى مؤسسة سياسية أن تواصل الحياة بشكل أصيل، ولعل واحدًا على الأقل من تفسيرات مقال شيللر يوحى بأن المؤسسات السياسية جميعها غير أصيلة بحكم تعريفها. فتقسيم العمل الضروري في المجتمعات الحديثة، "الفصل الحاد بين الرتب والوظائف" (ص ٣٣) يخلق فقط "شكلًا آليًا من الحياة الجماعية" وانفصالًا حتميًا بين العمل والمتعة (ص ٣٥)، وهو الأمر الذى شغل وريدزورث وكارليل كذلك. فتقسيم العمل خير للمجتمعات ولكنه شر للكائن الاجتماعى الفرد، والتناقض يظل قائمًا أبدًا.

(١٤) انظر

Marilyn Butler. *Romantics, rebels, and reactionaries: English literature and its background, 1760-1830*, New York: Oxford University Press, 1982, pp. 113-37.

(١٥) راجع

Friedrich Schiller. *On the aesthetic education of man*, Elizabeth M. Wilkinson and L. A.

Willoughby (ed. and trans.), Oxford: Clarendon Press, 1967, p. 9.

ولطالما ظل هذا "الصدع داخل الإنسان بدون رأب" لن تستطيع الحلول السياسية وحدها أن تقدم شيئاً. (ص ٤٥)

ويرى شيلر أن قدرة القيمة الجمالية على الإبراء تعمل أفضل ما يكون في حالة الفرد أو في حالة حلقة صغيرة من الأفراد متشابهى الفكر. كما أن تجربة الجمال ليس لها "نتائج"، "ولا تتدخل في مسائل التفكير ولا اتخاذ القرار" (ص ١٦١). وبهذا المعنى فآثارها الصحية آثار نفسية تكمن في عملية اللعب والخيال وليس في أى منتج واقعى سواء خلقت عملاً فنياً أو خلقت مفهوماً. ونجد نفس هذه الأولويات والنماذج الإرشادية مصرحاً بها في كتابات إ. أ. ريتشاردز في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، كما استمرت ضمناً في كثير من النقد الأدبي اللاحق. فالأدب لا يكون كذلك حقاً إلا إذا تجنب النزعة التعليمية أو نفاها، وهو يستمد حيويته كلها من تحاشى الوعظ الأخلاقى. وقد كانت كتابات شيللى التعبير الأقوى عن هذا الموقف فى الثقافة الإنجليزية، فمقاله "دفاع عن الشعر" يعد من روائع نظرية النقد فى بريطانيا. والشعر عند شيللى هو الطاقة الثورية الخلاقة فى الكتابة والثقافة كلها، تلك الطاقة التى تكشف عن نفسها فى اللغة ولكنها لا تقتصر عليها. ويعتمد إبداعها على تحررها من الغرض الأخلاقى وكذلك الغاية العملية، كما يعتمد على كونها خارج السيطرة الواعية للشاعر. فيعمل المبدأ الشعري على نشر المتعة والبهجة، فيسمو بنا إلى أبعد من "الضباب الغائم لعالم الفرد الضيق" وأبعد كذلك من حدود المعتقدات والاختلاف السياسى.<sup>(١٦)</sup> والشعر بالنسبة للغة والثقافة هو كالحب بالنسبة للعلاقات بين الأشخاص؛ إذ يعتمد كلاهما على الطاقات التأليفية للاستغارة التى تجمع بين عناصر متعارضة، "وتحيل كل الأشياء إلى جمال حبيب". (ص ٥٠٥)

(١٦) راجع

*Shelley's poetry and prose*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York and London: Norton, 1977, p. 497.

وبالنسبة لشيلى يمكن رصد الشعر وقدرته تلك على مدى التاريخ الإنسانى، فربما تخسف مؤقتاً لكنها لا تغرب للأبد. ويمكن أن نقرأ طرحه باعتباره دفاعاً عن فكرة تقدمية الشعر، ضد الفكرة الشائعة التى عبر عنها بيكوك (صاحب "عصور الشعر الأربعة" والتى كتب شيلى نصه ردّاً مباشراً عليها) تلك الفكرة التقليدية نوعاً والتى ترى أن الشعر فى تراجع فى سياق حضارة التحديث. ولكن النموذج الذى يقدمه شيلى ليس نموذجاً تقدمياً فحسب بالمعنى الذى يصوره به بعض ثوريى العقد الأخير من القرن الثامن عشر معنى التقدم؛ أى نمو مطرد للعقل والحضارة نابع من تداول الحقيقة من خلال الأشكال الشعبية المتاحة. وصحيح أن شيلى يدافع عن شعراء جيله فى إنجلترا واصفاً إياهم بنبع "الحياة النابضة" وأحد جوانب "الإرادة القومية البازغة والحرّة بكل عظمتها"، (ص ٥٠٨) ولكن فى السياق الأوسع للتاريخ فإن دفاعه يعتمد على تبرير من قبيل تحصيل الحاصل بالضرورة. فالثقافة تزدهر بازدهار الشعر العظيم وبالتوافق معه، ولا تزدهر إذا فشلت فى إدراك الشعر العظيم الكامن فيها. والشعر هنا (بالمعنى الواسع الذى يستخدمه شيلى) هو العنصر الذى يجدد الحياة فى الثقافة وهو بالتالى لا ينفد طالما استمرت الحياة نفسها. ولكن تشريعه "غير معترف به" (ص ٥٠٨) حيث يجب أن يظل خارج حدود المذاهب والمؤسسات. فالتقدم يحدث بمصادفة فوضوية وليس عن طريق التنمية المتراكمة باستمرار (أو بمقدارها). وربما يبقى الشعر كامناً لقرون قبل إعادة اكتشافه وتوظيفه. وهو يحمل "قوى داخله بذور تجديد ذاته ومجتمعه معاً" (ص ٤٩٣) وكل كلمة كأنها "جمرة فكر مشتعلة لا تنطفئ أبداً". (ص ٥٠٠) ولكننا لا يمكن أن نعرف مسبقاً موعد توهج شعلتها ولا كيف تعاود انتقادها، ولذلك فإن عملية وصف أثر الشعر دائماً ما تكون مصاحبة له أو لاحقة عليه، ولا تكون أبداً متنبئة به. لقد أنقذ شيلى مبدأ التقدم، عقيدة الثوريين الأوائل، ولكنه فعل ذلك عن طريق الفصل بين التقدم وبين التاريخ التجريبى والأوامر التشريعية. وقد كان الأمر كذلك بالنسبة لهيجل، فقد كان طرحه فى فنونولوجيا

الروح يتطلب تصورًا فضفاضًا لتاريخ تختزل تفاصيله إلى أقصى حد ليتسع دون اعتراض لتلك الصيغة التي ترى عبر التاريخ الإنسانى روحًا Geist تتطور لتصل بنفسها إلى الكمال. أما نموذج شيللى فلا يهدف للوصول إلى غاية بعينها، وكأنه تقديس للعملية الإبداعية ذاتها. فمنطق هذا النموذج الإرشادي الذي يقدمه - على الرغم من كل ما يقوله في سبيل نفى ذلك - هو منطق العود الأبدى لا التحقق الغائى. وبهذا المعنى يظل مثل شيللر أمينًا لروح الحكم الجمالى لكائط الذى تكمن قوته في حياده التاريخي والتجريبي.

وبعد "دفاع" شيللى من أقوى الأعمال الرومانسية التي دافعت عن قدرة الشعر (أو الأدب) الاجتماعية والتاريخية، رغم ما شابه - كما حاولت أن أوضح - من قصور نقدي واختزال. وقد كان شيللى بالفعل ابن تراث من الثقافة الأدبية اعتبرت من المسلمات انفصال الأدب الجيد عن القيود الاعتيادية للزمان والمكان. وكان هذا الانفصال هدفًا في حد ذاته، حتى تكون القدرة على التذوق الأدبي إشارة، من خارج الحياة السياسية، على وضع اجتماعي مميز، يستخدمها المستبعدون من مركز الحياة السياسية (أى من "البرجوازية" كما نقول أحيانًا)<sup>(١٧)</sup> وبالتالي كان على شيللى - من ناحية - أن يحضض وجهة النظر السائدة التي ترى أن الإبداع الفنى والأدبى كان على أفضل وجه - كما يرى هازلبيث - "لحظة خروج هذه الفنون للحياة، على يد من عاشوا في مجتمع همجى في كل جوانبه بالمقارنة بإبداعه الفنى والأدبى".<sup>(١٨)</sup> وهذا هو الفرق بين الفنون والعلوم: فالأولى تصل للكمال منذ اللحظة الأولى، أما الثانية

(١٧) حول هذا الموضوع انظر

Terry Eagleton, *The function of criticism: from 'The Spectator' to post-structuralism*, London: Verso, 1984; and *The ideology of the aesthetic*, Oxford: Blackwell, 1990.

(١٨) راجع

*The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967, xviii: 6.

فلا تصل أبداً إليه. ومن ناحية أخرى كان على شيللى أن يعمل على مواجهة فكرة أن أفضل فن أو أدب هو الذى ينفصل عن أى قيمة استعمالية وعن قوى التغيير التاريخي. فنجد كثيراً من النقاد يخلص إلى أن عنف الثورة الفرنسية كان عاملاً اضمحلالاً للأدب الفرنسي والأوروبي. فمثلاً رأت مدام دي ستايل في الثورة عاملاً تقدمياً على المدى البعيد ولكنها رأت آثارها المباشرة "سيئة على الأخلاق والأدب والفلسفة".<sup>(١٩)</sup> ومن تبعها من الأكاديميين عبروا بشكل أكثر مباشرة عن ذلك. فكتب سانت بيف في ١٨٤٩ بعد عام واحد من ثورة أخرى، معتبراً العقد ما بين ١٧٨٩-١٧٩٩ "عقداً ثورياً كله، بلا هدنة، مزقته الكوارث المستمرة".<sup>(٢٠)</sup> وعندما يتركز الانتباه كاملاً على النتائج المباشرة وحدها، يتم تعليق الثقافة الأدبية. وباستثناء فترة وجيزة في ١٧٩٥ لم يكن هناك أمان للكاتب الجاد ولا وقت فراغ كاف للإنتاج الفني. ومع نهاية القرن ظهر كتاب جوستاف لانسون الذى شق مساراً جديداً لتاريخ الأدب الفرنسي (١٨٩٤) مؤكداً على هذا الأمر. فقد كان عقد الثورة بالنسبة للأدب "فترة انتقالية" أنتجت "كتابات غير ذات جدوى" لا تصيف إلى أدبنا غير نقل الورق الذى كتبت عليه.<sup>(٢١)</sup> وقد قدم ويليام هازليت بعض الملاحظات المماثلة حول الأثر السلبي للثورة الفرنسية على الأدب والثقافة في بريطانيا. فقد وجد أن الاستقطاب الحاد الذى يميز البلاغيات الثورية بين "رفيع ودنى" أدى إلى اختزال مغل من شأنه تدمير التقاليد الإنجليزية التى تقدر قيمة "الفطنة اللامحة والفكاهة" والظلال المختلفة للحياة

(١٩) راجع

Madame de Staël, *The influence of literature upon society*, Daniel Boileau (trans.), 2nd edn, 2vols., London: Henry Colburn, 1812, ii: 95.

(٢٠) راجع

C.-A. Sainte-Beuve, *Chateaubriand et son groupe littéraire sous l'empire*, Maurice Allem (ed.), 2vols., Paris: Garnier, 1948, i: 38.

(٢١) راجع

G. Lanson, *Histoire de la littérature française, remaniée et complétée pour la période*



(أى مادة الأدب الجيد)، كما أن ذلك الاستقطاب يدفع باتجاه الاهتمام بالمصلحة القومية كرد على التهديدات الخارجية.<sup>(٢٢)</sup> ولا يعزو هازليت التغيرات فى الأدب الإنجليزى مباشرة إلى الثورة ولكنه يعزوها مثل شليجل وتين لنفس العواطف والأفكار التى أنتجت الثورة. "وفى نفس الوقت، أطلقت "مبادئ وأحداث" ١٧٨٩ تيارات صاعدة ظلت موجاتها تتردد كقوة دفع تسرع من حركة الطاقات التاريخية المتجسدة فيها. وبالتالي تحول الأدب البريطانى، على يد مجموعة "شعراء البحيرات"<sup>(٢٣)</sup> من "التقليد التابع لأقصى حد والكتابات المكررة المستأنسة إلى أقصى درجات التفرد والمفارقة." فى عملية لم يعد بموجبها "بالإمكان تحمل أى شىء راسخ."<sup>(٢٤)</sup>

وقد ميز هازليت وغيره من المعلقين على الأقل ثلاث وظائف محددة لقوة الدفع تلك القادمة من الثورة الفرنسية، وهى التى كانت كامنة بالفعل فى روح العصر ولكن الثورة أسرعت به لدرجة رأتها الغالبية تهوؤاً بالغاً. وأعنى: موضوعة الموضوعات اليومية العادية (تماشياً مع روح الديمقراطية)، وتسلب تأمل الذات وبالتالي النرجسية، وأخيراً عادة التنظير.

ونبدأ أولاً بذلك الميل لوضع الناس العاديين فى مواقفهم العادية داخل الأدب توافقاً مع الروح الشعبية للديمقراطية والذى أثار جدلاً واسعاً عرف أكثر ما عرف فى الاستجابة لمقدمة وردزورث للطبعة الثانية من حكايات غنائية (١٨٠٠). ولقد كان مجرد ظهور هذه الشخصيات إساءة واضحة للذوق واللباقة، وهى شخصيات شملت - كما يقول هازليت - "المجرمين المحكوم عليهم بالنفى إلى خليج بوتانى،

(٢٢) راجع

*Complete Works, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967, vol. xviii: pp. 400-1.*

(٢٣) الإشارة إلى منطقة البحيرات فى إنجلترا Lake District والتى أتى منها مجموعة كبيرة من الشعراء المؤسسين للحركة الرومانسية ومنهم ويليام وردزورث وصامويل تيلور كوليردج وروبرت سمثى وغيرهم. (الترجمة)

(٢٤) المرجع السابق vol. V: pp. 161-2

والمتشردات والعجز وأكثر من خلق الله من بنات خانعات والصبية البلهاء والأمهات المجنونات"، وكان ذلك كله وليس المضمون السياسي الصريح أو المعارض للقصاصد هو سبب الاحتجاج العنيف.<sup>(٢٤)</sup> وصحيح أن شخصيات بيرنز Burns لم تكن تختلف عن ذلك كثيراً، إلا أن شعره كان قبل الثورة، كما أن كتابته بالعامية الإسكتلندية جعلت أعماله محصورة بشكل ما إذ أضفت على تلك الأعمال عنصراً محلياً بصورة جذابة. أما وردزورث فقد قدم دعاوى نظرية مفصلة ومدققة حول قيمة المفردات المأخوذة عن "اللغة الحقيقية للناس بانفعالها الحي"، وقد جاءت هذه الدعاوى ضمن فكر اقتصادي سياسي معروف للجميع وإن كان غير صريح ينتقد ثقافة العاصمة والتي يعتمد عليه أكثر الكتاب لكسب عيشهم.<sup>(٢٥)</sup> لقد أعادت فكرة تمثيل "الإحساس الحي" شبح روسو بكل ما يحمل من تداعيات ثورية، وقد بدا ذلك بالإضافة إلى إضفاء قيمة على "اللغة العادية"، تهديداً لسيطرة النخبة المثقفة على توزيع مقاييس الذوق. لقد كان في إشارة وردزورث إلى "القوانين الأولية لطبيعتنا" مخاطرة أن يصبح أشبه بفيلسوف، في حين كان سعيه لخلق توازن بين "الفكر" و"الوجدان" محاولة لتكثيف عنصرى الشخصية القومية الفرنسية في الإنجليزية حيث وصم التراوح العنيف بينهما أسوأ المواقف المتطرفة لتسعينيات القرن الثامن عشر.<sup>(٢٦)</sup>

(٢٤) المرجع السابق p. 163

(٢٥) راجع:

*The prose works of William Wordsworth, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974, vol. i: p. 118.*

لدراسة كاملة حول هذا الاقتصاد السياسي واتساقه انظر كتابي:

*Wordsworth and the figurings of the real, London: Macmillan, 1982, pp. 122-69;*  
وكذلك كتابي:

*Wordsworth's historical imagination: the poetry of displacement, London and New York: Methuen, 1987, pp. 56-78.*

*Prose Works, vol. 1: pp.122, 126. (٢٦)*

ولم يكن وريزورث نفسه قريباً من ثقافة الجماهير أو جمهور القراء البازغ. لقد كان يدافع عن نسخة معدلة ومنقحة من الثقافة الشعبية، وعدد النقاد الذين وصفوا توجهاته هذه فيما بعد بالرجعية لا يقل عن أولئك الذين وصفوها بالثورية. وهو لم يكن يتوجه للناس العاديين بقدر ما كان يمثل اللغة العادية لمجموعة خاصة من القراء المتعلمين. لقد كان مشروعه خلق بديل "للإثارة العنيفة والغليظة" الموجودة فى الثقافة الأدبية الشعبية، والتي عزاها إلى التغيرات السياسية والاجتماعية وسرعتها المجنونة كما عزاها "للتوق إلى أحداث غير عادية كتلك الأخبار التي تنتقل كل ساعة عبر وسائل الاتصال السريعة."<sup>(٢٧)</sup> ومع ذلك فمجرد قبوله لاتجاهات ديمقراطية معروفة، ورغم ما أضفاه عليها من نظام وانضباط، كان كفيلاً بإثارة استياء أولئك الذين بثت سرعة تداول المواد المطبوعة فيهم ارتباكاً وخوفاً. لقد كان ثوار التسعينيات من القرن الثامن عشر من أمثال جودوين Godwin وبين Paine وثلول Thelwall وبعض السابقين عليهم من الفرنسيين كانوا يعتقدون أن الطباعة ستكون العامل المؤدى إلى الثورة فى العالم. ولأنهم كانوا أبرياء من أى تصور معقد للأيديولوجيا فقد اعتقدوا أن اتساع جمهور القراء سيعنى تأصل حقائق الحرية السياسية (والأفضل أن يكون ذلك بالإقناع سلمياً لا بالعنف الثورى). وقد كتب هازليت بعد ذلك واصفا الثورة الفرنسية بأنها "النتيجة البعيدة ولكن الحتمية لاختراع فن الطباعة." فالكتب تشكل الرأى العام، والرأى العام يصنع الثورة.<sup>(٢٨)</sup> ويمثل هذا الإيمان فى قدرة الكلمة المطبوعة لا عجب أن أجيال الحركة الرومانسية كانت منشغلة بمسألة ما ينشر. وقد لاحظت مدام دى ستايل أن أحد آثار حب الإنجليز للعمل المريح هو تمضيبتهم لوقت الفراغ دون تمييز بين الغث والسمين: "العمل المستمر سواء العمل العقلى أو العضلى يجعل العقل يقبل

(٢٧) المرجع السابق p.128

(٢٨) Complete Works, vol. xiii: p. 38

أى نوع من الترفيه، طالما كان به من الغرابة ما يكسر الملل المعتاد أو "الكآبة".<sup>(٢٩)</sup> وهذا بالضبط ما شغل وردزورث كذلك. فتحت ضغط التحديث أصبحت المخيلة القومية تميل للميلودراما وفقدت الحساسية لظلال المعانى غير المباشرة للغة والمشاعر وأصبحت تستجيب فقط "للصيغ اللغوية المبهجة والتأفهة" وللاثارة العنيفة والغليظة.<sup>(٣٠)</sup> وقد كانت الميلودراما بالطبع علامة مميزة وأساسية فى جماليات الثورة الفرنسية. ولقد ساد الشعور فى كل مكان من العروض العامة الكبيرة التى تنظمها الدولة إلى المسارح وأماكن القراءة الخاصة أننا بصدد زمن يحتاج إلى رسائل واضحة وزاخرة وتفرقاً بينا بين الجيد والسيئ وبين الصواب والخطأ. فمن أجل تداول سريع للمعلومات المهمة كان الوضوح والبساطة أمرين مطلوبين سواء تحقق ذلك بتجريد الموضوعات أو بالتمثيل الميلودرامى.<sup>(٣١)</sup> ويرجع ما كان معروفاً عن الرومانسيين من "معاداة الأشكال المسرحية" بشكل كبير إلى رفضهم لجماليات الظهور العلنى والاستجابة الفورية، وإن كان هذا الرفض قد ارتبط كذلك بالجدل المعادى للثقافة الشعبية ولتعبير النساء علناً عن مشاعرهن.<sup>(٣٢)</sup> كما أن المعلومات المطبوعة التى

.Influence of literature, vol. i: pp. 307-8 (٢٩)

.Prose works, vol. i: pp. 116, 128 (٣٠)

(٣١) المرجع الأساسى لدراسة وضع الميلودراما هو

Peter Brooks, *The melodramatic imagination: Balzac, Henry James, melodrama, and the mode of excess*, New Haven, CT and London: Yale University Press, 1976.

انظر أيضا

Mona Ozouf, *Festivals and the French Revolution*, Alan Sheridan (trans.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988; and Ronald Paulson, *Representations of revolution (1789-1820)*, New Haven, CT and London: Yale University Press, 1983.

(٣٢) انظر

Marc Baer, *Theatre and disorder in late Georgian London*, Oxford: Clarendon Press, 1992.

وفيه دراسة وافية حول أعمال التمرد فى كوفنت جاردن فى ١٨٠٩ ويخلص إلى أن مياومة المسارح كانت غير محددة على أقل تقدير ولم تكن ثورية تماما. وانظر كذلك:

Julie A. Carlson, *In the theatre of Romanticism: Coleridge, national-ism, women*, Cambridge University Press, 1994,

ويطرح وجود عنصر معاد للحركة النسائية فى المعركة ضد المسارح.

انتشرت حول الحرب الأوروبية كانت هي نفسها ميلودرامية الصياغة، حيث مالت الصحف إلى تفضيل تلك القصص الوطنية التي يأتى فيها الحدث "الحاسم" تلو الآخر. ويتفق لانسون مع سانت بيغ في وصف تسعينيات القرن الثامن عشر بعقد الخطابة والصحافة السياسية التي ما لبثت أن أثارت فى الجمهور العام الرغبة فى كل جديد ومثير.<sup>(٣٣)</sup> وقد لاحظ كولريدج فى ١٨١٤ ما شعر به وردزورث فى ١٨٠٠ ألا وهو أن "هذه الأوقات العصيبة دفعت بالآلاف إلى اكتساب عادة القراءة بل تكاد تكون قد جعلت منها ضرورة"، وعلى الكاتب فى زمن السلم أن "يضع هدفًا له الحفاظ على ذلك عن طريق الإحلال التدريجى للمواد الأقل إثارة والتي وإن كانت أقل كثيفًا إلا أنها أبقي أثرًا".<sup>(٣٤)</sup>

لقد أخذت الهوية بين الأدب "الجيد" وإرضاء الجماهير المتنامية من القراء تتسع على مدى القرن الثامن عشر. وقتها اعتبر البعض أن ما حدث من إتاحة الكلمة المطبوعة للنساء - كاتبات كن أو حتى قارئات - وكذلك للمسرحيات التافهة، والروايات عامة والروايات القوطية خاصة، هو أمر لا يجوز، بل أمر يشكل خطرًا اجتماعيًا. ولم يتفجر هذا الجدل مع الثورة الفرنسية ولكنها جعلته أكثر إلحاحًا، كما قدمت دفعةً لأولئك الباحثين عن شيء ما فى تجربة القراءة يمكن أن يعمل على ردع الثورة سواء بالإصلاح الإيجابى أو بتفعيل بديل من التجربة الجمالية لا تحمل أى تبعات عملية على الإطلاق. وبهذا المعنى فقد ساهمت الثورة فى خلق جهاز تعليمى يفسح مكانًا مهمًا للأدب "الجيد" ونقد أدبى يدلنا على الفرق بين الأدب الجيد والأدب الردىء. وقد أقر فرانسيس جيفرى وهو أحد أهم المعلقين على أعمال الرومانسيين بأن الشعر الجيد "عادة لن يكون هو الشعر الأكثر شعبية". وقد رأى - وفى رأيه هذا كثير

<sup>(٣٣)</sup> Lanson, Histoire de la littérature française, p. 856

<sup>(٣٤)</sup> راجع:

'On the principles of genial criticism', in Biographia literaria, edited with his aesthetical essays, J. Shawcross (ed.), 2vols., Oxford University Press, 1962, vol. ii: p. 220.

من وردزورث على الرغم من انتقاداته الشهيرة لوردزورث - أن يكون هناك سلم متدرج من الاستجابات يربط بين القراء المؤهلين وغير المؤهلين بدلاً من تصور هوة غير قابلة للوصل بين الاثنين. فطالما "كانت صفات القصيدة التى تمنح المتعة للناقد المرهف والمدقق فى جوهرها ... هى نفسها التى يسعد بها أكثر معجبيها خفة"، فإن هناك إمكانية لعملية تعليمية توسع من فئة القراء القادرين على الاستجابة المناسبة.<sup>(٣٥)</sup> إن هذا التركيز على القراءة المتأنية والدقيقة والذى سيصبح العلامة المميزة للنقد الأدبى فى كتابات إ.أ.ريتشاردز والنقد الجديد فى الولايات المتحدة يستمد كثيرًا من طاقته الثقافية والتاريخية من ذلك الإدراك ذاته لما فى الأدب من قدرة على تعليمنا الاستجابة الدقيقة. فإذا كان الفرنسيون فى تسعينيات القرن الثامن عشر قد مارسوا القراءة المتسعة للأدب السيئ فاستخلصوا منه السطحى والمتعجل إلى حد الخلل، فإن البريطانيين فى العقد الأول من القرن التاسع عشر وما بعده سوف يتعلمون قراءة الأدب الجيد بمنتهى التأنى مدركين أن لا ضرورة للوصول إلى استخلاصات من هذه القراءة.<sup>(٣٦)</sup> ونجد النقد فى القرن العشرين يأسون "للاستجابة الجاهزة" بنفس اللغة تقريبًا التى انتقد بها سابقوهم من الرومانسيين إطلاق العواطف بلا رادع وإطلاق الأحكام المتسعة. فقد أراد وردزورث تشجيع ذلك التأنى فى القراءة والاستجابة، وفى سبيل ذلك خفف شعره إلى الدرجة التى كاد أن يصبح فيها شعرًا لا يستحق أى اهتمام جدى؛ فقد كان على القراء الاجتهاد فى قراءة شعر وردزورث سعيًا وراء دلالة لما كان يبدو للوهلة الأولى لا أهمية له على الإطلاق. وفى ١٨١٥

(٣٥) فرانسيس جيفرى فى مراجعة لرواية سكوت: سيدة البحيرة ١٨١٠ فى:

Francis Jeffrey, Contributions to the 'Edinburgh review', 4 volumes in 1, Boston, ma: Phillips, Sampson and Co., 1854, pp. 368-9. Francis Jeffrey, Contributions to the 'Edinburgh review', 4 volumes in 1, Boston, ma: Phillips, Sampson and Co., 1854, pp. 368-9.

(٣٦) انظر

Chris Baldick, The social mission of English criticism, 1848-1932, Oxford: Clarendon Press, 1987.

أوضح وريزورث أن كل القراء الشباب وكثير من القراء الأكبر سنًا من غير المتعلمين، كانوا ليخضعوا لتأثير المشاعر المنطرفة لولا التأثير الرزين للشعر الجيد؛ في حين أن هذا الشعر نفسه قادر على إيقاظ المشاعر العميقة في القارئ الجاد الناضج والذي فقد صلته بمشاعره نتيجة دور العقائد والاستعدادات المسبقة في قتل هذه المشاعر. (٣٧)

الشعر الجيد إذن يعمل ضد الثورة. ويتطلب لتفسيره نفس فعل الخيال الذي حدده كولريدج على أنه يتمثل في "التوازن أو التوافق ما بين الأضداد أو الصفات المتعارضة".<sup>(٣٨)</sup> وكلما مضى به العمر رأى كولريدج في الدين والكتاب المقدس مصدرًا اجتماعيًا للتعليم الأدبي عند الجماهير والذين - كما تضمن كلامه - لا يستطيعون أن يتولوا بأنفسهم تقدير الأدب الجيد والاستمتاع به. وقد أثر ألا يوسع من دائرة أولئك القادرين على الحكم بأنفسهم فلا تشمل غير عدد صغير من النخبة المثقفة ثقافة رفيعة. ولكن بالطبع في إطار الثقافة الديمقراطية الليبرالية العلمانية التي كان يخشاها كولريدج خشية عميقة كانت الثقافة الأدبية تعمل تحديدًا على منح أكبر عدد خبرة التكوين الذاتي وخلق "المعايير" أكثر مما كان متاحًا من قبل. وكان المكان الخاص للشعر في هذه العملية يعتمد بشكل غير قليل على وضعه باعتباره أبطاً التجارب في القراءة. أما وظيفته التعليمية فقد دعمتها على الأقل الدروس المستفادة من الثورة الفرنسية. وقد أوضح كولريدج هذا في كتابه السيرة الأدبية عند حديثه عن "التأثير الإيجابي للدقة اللغوية للحيلولة دون التطرف والتعصب." (الجزء الثاني ص ١٤٣) كما أشار إلى أن وريزورث (بعد تطهره الكامل من نواقصه بالطبع) مثال على ذلك.

(٣٧) *Prose Works*, iii: 62-5. Compare the remarks on metre in the 1800 preface, i: 148-9.

(٣٨) راجع:

*Biographia literaria*, James Engell and Walter Jackson Bate (eds.), 2 vols.. London and Princeton, nj: Routledge and Kegan Paul and Princeton University Press, 1983, ii: 16.

أما العنصر الثانى "قوة الدفع" القادمة من الثورة فقد كان التحول إلى الوعى الذاتى وهو ما أدى كما يقال عادة إلى التمركز حول الذات. وهى ظاهرة تعود- إذا ما رجعنا للأصول البعيدة للأدب "الحديث"- إلى الإصلاح الدينى البروتستانتى والذى جعل الفرد يتحمل تقرير مصيره ويتحمل ضغوطاً تفوق ما كان عليه تحمله داخل الثقافة الكاثوليكية. وهنا أيضاً لا يمكن اعتبار الانشغال بالذاتية بدعة من بدع ثورة ١٧٨٩، ولكن سنوات الثورة فى رأى العديد من النقاد قوت بشكل جنى هذا الموروث، من ناحية بسبب وجود روسو ذلك الكاتب الأبرز فى مجال تحليل الذات على مدى تاريخ الأدب حتى ذلك الوقت، ومن ناحية أخرى بسبب الميل الواضح لعبادة الذات الذى كان واضحاً وسط اليعاقبة وبعد ذلك فى شخصية نابليون. ولا يمكن هنا نسيان الصورة النظرية التى رسمها توكوفيل لما سيكون عليه الأدب حتماً فى ثقافة ديمقراطية حيث سيكون ذا طابع "جريء وقوى" بدلاً من أن يتصف بالانتظام والانضباط، كما أن مؤلفيه بعد حرمانهم من الموضوعات التقليدية للشعر "لن يثيرهم فى الواقع إلا استطلاع ذواتهم " فى محاولتهم لتأسيس مكان لهم فى محراب الشعر.<sup>(39)</sup> والمطالبون بمكان كثيرون والمنافسة شرسة. ومع تساؤل أهمية أصل الإنسان العائلى ونشأته يصبح الأسلوب بمثابة التوقيع الخاص لصاحبه. ويرى شيلر فى بحثه حول الشعر الساذج والعاطفى فى ١٧٩٥ أن العصر الحديث ينجذب بحنينه للماضى إلى ذلك العالم القديم الذى لا يدفع بالإنسان دفعا نحو الوعى بالذات، ومع ذلك ليس بالإمكان استحضار هذا العالم من غير الأشكال المحكومة بالوعى الحاد بالذات. وقد رأى دى كوينسى مستشهداً بفيخته أن الثورات زادت من الاتجاه، الذى كان سائدا بالفعل؛ إذ تحول العقل المبدع إلى تأمل داخل ذاته. ورأى هازليت أن "روح اليعقوبية" تهديد مباشر "لروح الشعر" الأكثر حرية بسبب تحويل "كل الإعجاب

(39) Alexis de Tocqueville, *Democracy in America*, 2 vols., New York: Random House, 1945, ii: 62-3, 77.



عند الشاعر (وهو جوهر الشعر) إلى إعجاب بذاته. إن روح الشعر اليعقوبى هى النرجسية الكاملة.<sup>(٤٠)</sup>

وأعظم الأمثلة على تلك "النرجسية الكاملة" فى الثقافة الرومانسية البريطانية كانت بالطبع وردزورث وبايرون. فقد قدم كلاهما النماذج العكسية التى تشكل على نقيضها مثال الشعر الأكثر حرية، شعر متعدد الجوانب وشعر عالمي، يتطلب كفاءة التجرد واتخاذ مسافة جمالية موضوعية negative capability لا الجليل النرجسى. وفى نفس الوقت كما يقول لنا شيلر فإن تلك المثل البديلة تتطوى على حنين للماضى وتتنظر إلى الوراء إلى زمن لم يكن الشاعر يحتاج فيه بسبب ضرورات تاريخية إلى الظهور فى عمله الإبداعى. (وكانت الأمثلة المعتادة التى تقدم هنا هى هوميروس وشكسبير). وتأتى إعادة اكتشاف الثقافة الكلاسيكية من شيللى وحتى ماثيو أرنولد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالرغبة فى مواجهة ذلك الانشغال بالنفس الذى كان ميراث العقيدة "التطهيرية" والشعر الرومانسى بقدر ما كان الأولوية الملموسة لاقتصاد المقالين النفعى.

لم يعط بايرون أى وقت لوردزورث حيث اعتبره شخصاً رجعيًا من الناحية السياسية، ولكن كلاهما تعرض لنفس الاعتراض النقدى بسبب نرجسيتهما الأدبية. وهنا مرة أخرى نرى ما يبدو للقارئ الحديث انفصالاً عجيباً بين "مضمون" الشعر وتقييمه النقدى. فلم يبد نقاد الرومانسية وكتاب المراجعات اهتماماً "بالرسالة" التى تحملها القصيدة بقدر اهتمامهم بالكلمات المستخدمة والصناعة الشعرية والالتزام العام بمفاهيم اللياقة والنوق. وحتى مجلة معاداة اليعقوبية فاضحة المحافظة قدمت الطبعة الأولى من حكايات غنائية تقديمًا طيبًا، كما قارن فرانسيس جيفرى بين كراب

(٤٠) راجع:

The Collected writings of Thomas De Quincey, new edition, David Masson (ed.), 14vols., Edinburgh: Adam and Charles Black, 1889-90, x: 430; Hazlitt, Complete works, vii: 144.

وجولدميث، وهى المقارنة التى لابد لمن يعقدها الآن التعرض للانتماء السياسى المختلف لحد العداء لكل منهما، ولكن جيفرى يتغاضى عن هذه الاختلافات أو يفشل فى إدراكها لأنه لا يرجع إلا إلى المقولات الجمالية.<sup>(٤١)</sup> وبنفس الروح يعتبر هازليت أن بايرون "ليبرالى" على المستوى السياسى فقط، أما "عبقريته فمترفعة وأرستقراطية". ففى بعديه الجمالى والشكلى نجد شعره "معتمداً على ذاته" "ولا يحكمه أى قانون غير اندفاعات إرادته الخاصة".<sup>(٤٢)</sup> ويتردد فى نقد هازليت لبايرون ما يسوقه فى نقده لوردزورث كذلك ولنفس السبب: فكلاهما نرجسى. وقد كان هذا هو الحكم التقليدى على بايرون من قبل الكتاب السابقين. فقد ربط جون ويلسون بينه وبين روسو من حيث خلقه صوراً لانهائية من نفسه كما عبر جيفرى عن وجهة نظر سائدة حول مسرحياته التى رأى أنها لا تتضمن شيئاً من الدراما؛ فكل الشخصيات نسخ من نفسه.<sup>(٤٣)</sup> وبالطبع كان لبايرون تأثير قوى على الرومانسية الأوروبية، ولكن حتى هنا نجد أن ما يسجل فى الغالب هو القدرة الفردية بقدر مماثل لنداء العقيدة السياسية. وبالنسبة لمازىنى الذى ربما وجد فى الفردية الجذرية مسألة ثورية نتيجة وجوده فى ثقافة كاثوليكية، فقد اهتم كثيراً "بمبدأ الفردية" ومع ذلك فهو أيضاً وحده غير كاف لتحقيق الليبرالية على المدى البعيد.<sup>(٤٤)</sup>

لقد كان النقاد إذن أكثر تأثراً بالعواقب المحتملة للتحول باتجاه الذات من تأثرهم بالتحول إلى الطبيعة والذى كان العنصر المألوف الآخر لما أصبح يعرف لدينا بالرومانسية. ونجد الجمع بين العنصرين فى تحليلات مثل تحليل شيللر فى حول الأدب الساذج والعاطفى حيث التحول إلى الطبيعة أحد أعراض رفض المجتمع

(41) *Contributions*, pp. 380-1.

(42) *Byron: the critical heritage*, Andrew Rutherford (ed.), New York: Barnes & Noble, 1970, p. 270.

(٤٣) المرجع السابق p.147؛ p.319. *Jeffrey, Contributions*.

(44) *Byron: the critical heritage*, p.330.

الإنساني المعقد (وغير العضوى) ودافع إضافي للغوص والتأمل في الذات. ولكن تغليف وردزورث على أنه شاعر الطبيعة، وحتى إن كان ذلك على حساب كل ما يستحق الاهتمام في شعره، وليس تقديمه كشاعر الجليل النرجسى، كان كفيلاً بجعله مقبولاً بالنسبة للتقاليد الأدبية والتعليمية، وهو ما فعله ماثيو أرنولد. وقد قدم جون مورلى فى ١٨٧٠ فهماً بارعاً لبايرون على أنه شاعر "الفردية الميلودرامية" ومن هنا تهديده المزيج للثقافة الناشئة للنقد الأدبي وطموحاتها التربوية للإعلاء من شأن القواعد السوية. لقد منح المزاج والذكاء بايرون "تلك الغزارة والقوة التى جعلته سيد المشاعر الثورية المتألق وملأت أعماله بشخصيات متنوعة وأحداث تتغير بحرية وبمختلف المشاعر العميقة وبحركة دائبة وإثارة."<sup>(٤٥)</sup> أو بعبارة أخرى جعلته المترجم الفعال لصخب العصر المعنوى؛ أى أن بايرون كان تهديداً بعودة ذلك الذى حاول وردزورث وغيره من الكتاب المعادين للميلودرامية كبته؛ أى كل ما يدعو إلى الاستجابة العاطفية القوية متنافياً مع التخصص البازغ عن قراءة وثيقة متأنية ومحكومة ومدرية. فلم تكن وحدها معتقدات بايرون المعلنة ولا سلوكه الشخصى الفاضح وحدهما سبب تهميشه من قبل النزعة التربوية التى فضلت شكسبير على ميلتون وقبلت وردزورث أساساً بتجاهلها لما اعتبره معاصروه غير مقبول فيه ألا وهو الشخصية الثورية وتصويرها فى شعره.

إن حالة بيرون دليل على مدى تعقيد مسألة استخلاص نتائج مؤكدة حول أثر الثورة الفرنسية على الثقافة الأدبية. فها هو أرسطو قراطى ذو ميول ليبرالية ولكنه ذو غرائز ترشحه للإقصاء، و"رومانسى" يفضل شعر القرن الثامن عشر بكل ما يثيره هذا التفضيل من جدل. ويكشف العنصر الثالث "لقوة الدفع" الثورية بعضاً من هذه التعقيدات. فبمجرد التحول إلى النظرية جاء الاعتراض عليها وتصادم الجدل (إذ

(٤٥) المرجع السابق p.395. ويلاحظ مورلى Morely كذلك ثورة بايرون "من أجل حقوق للفرد غير مشروطة فى مواجهة العائلة." (p.404).

مرة أخرى لم نكن بصدد لحظة جديدة تمامًا)، وأصبح هذا الجدل هو الملهم والمفسد للنقد الأدبي منذ ذلك الحين. وقد وصف تين وهو يسترجع بعين ستينيات القرن التاسع عشر الحركة الرومانسية، و"دخول الفلسفة إلى الأدب بهدف تغييره وتوسيع نطاقه"، بحيث "تحول كل شاعر إلى النظرية ووضع في مقدمة ديوانه، بشكل سابق على إنتاجه لفن جميل، مبادئ عمله، ثم لم يبدع إلا وفق ذلك المنهج المرسوم سلفاً". ولم يكن ذلك مقبولاً عند تين إذ رأى فيه "انتهاكاً للأدب" و"تحويله لشيء جامد" وألقى باللوم في تلك المبادرة على الألمان في الأساس.<sup>(٤٦)</sup> وقبل ذلك بثلاثين عاماً لاحظ هايني Heine تأثير الأخوين شليجل على تأسيس "دراسة نقدية للأعمال الفنية في الماضي" بالإضافة إلى "وصف طريقة تفسير عليها الأعمال الفنية في المستقبل"، ولكنه أعرب في مكر عن رفض لأن يعتبر عملهما "نظرية محددة" لها سلطتها.<sup>(٤٧)</sup> ولكن فريدريش شليجل كان قد رتب جدول أعمال باتجاه التنظير حين اعتبر أن تاريخ الشعر الحديث يجسد ذلك النداء "يجب على كل فن أن يصبح علماً، وكل علم فناً، ويجب أن يكون الشعر والفلسفة شيئاً واحداً".<sup>(٤٨)</sup>

وهذا القول بالطبع كان تهديداً لواحد من الحدود التقليدية التي جرى الاعتقاد أن بقاءها ضروري لوجود "الأدب" والنقد الأدبي أصلاً، فقد قام تعريف كليهما على خلفية قصور كل من التاريخ والفلسفة (كما نجد مثلاً في مقال شيللى "دفاع عن الشعر"). أن ذلك التركيب الجدلي الذي طرحه شليجل هو حقاً ما زال محل نزاع في

(46) *History of English literature*, vol. iii: 442-4

(٤٧) راجع

Heinrich Heine, *The Romantic school and other essays*, Jost Hermand and Robert C. Holub (eds.), New York: Continuum, 1985, pp. 16-17.

(٤٨) Schlegel, 'Lucinde' and the fragments, p.157. وقد طرح هذا الجانب من عمل مجموعة بينا في خلق المفهوم الحديث للأدب كتاب:

Philippe Lacoue-Labarthe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Philip Barnard and Cheryl Lester (trans.), Albany, ny: State University of New York Press, 1988.

الجدل الدائر حول ما بعد الحداثة.<sup>(٤٩)</sup> وكان قد لقي مقاومة شرسة في ذلك الوقت. وكما هو معروف فقد تم فتح النار على وردزورث من جراء مقدمته لحكايات غنائية أكثر بكثير مما حدث بسبب قصائد نفس المجموعة عند نشرها من غير "النظرية". أما كولريدج الذي حاول على مدى حياته زرع عادة التفكير المنهجي أو الفلسفي في علم الجمال، فقد عانى من الإقصاء باعتباره ميتافيزيقياً مغلّ العقل. ولعلنا يمكن أن نقرأ السيرة الأدبية على أنها مجهود، وإن كان غير موفق؛ لجعل النظرية الأدبية أكثر ألفة عن طريق مزجها مع سيرة حياة.

ومرة أخرى فإن صورة الثورة الفرنسية والتي عادة ما تم تقديمها على أنها نتيجة أوهام المنظرين والميتافيزيقيين، قد لعبت - كما يبدو - دوراً في تقوية مشاعر التعصب وبعض الميول التي كانت موجودة من قبل.<sup>(٥٠)</sup> فقد كان هناك - على الأقل في بريطانيا - التزام متبلور بالحفاظ على الأدب والنقد الأدبي مستقلين عن المناهج والنظريات والمذاهب وكذلك بعيداً عن الاصطلاحات المتخصصة. وقد كتب جيبون يهاجم "الوله بالمناهج" على حساب "الاهتمام بالتخصيص" والذي يجب أن يكون مهمة الأدب والنقد بالتزامهما بما في "قلب الإنسان وبتصوير الطبيعة بأشكالها". فالنقد لا يمكن تعلمه عن طريق "الحفظ ولا الممارسة"، ولا هو مجرد "حقائق التأمل العقلي" التي تظل "نظرية خالصة". فالناقد الجيد "يرتبط بما هو جميل

(٤٩) انظر كتابي:

*The academic postmodern and the rule of literature: a report on half-knowledge*, Chicago, IL and London: University of Chicago Press, 1995.

(٥٠) انظر:

Seamus Deane, *The French Revolution and Enlightenment in England, 1789-1832*. Cambridge, ma and London: Harvard University Press, 1988; Margery Sabin, *English Romanticism and the French Revolution*, Cambridge, ma and London: Harvard University Press, 1976; David Simpson, *Romanticism, nationalism, and the revolt against theory*, Chicago, IL and London: University of Chicago Press, 1993.

وغيرها.

أكثر مما يرتبط بالقواعد.<sup>(٥١)</sup> وجيبون هنا يعبر عن رأى متفق عليه على الأقل منذ أيام مجلة سبكتاتور (المشاهد) *The Spectator*، رأى يدعمه الدور المنوط بالأدب والقراءات الأدبية داخل هذه الثقافة؛ أى تحرير الإنسان من القيود الصارمة للعمل المهني والجدل السياسى. ويدخل النقد الأدبى إلى فصول الدراسة الجامعية منذ أواخر القرن التاسع عشر، ظلت تلك الأولويات باقية فى محاولة للفصل بين النقد الأدبى وغيره من فروع المعرفة والدراسة (بعدما أصبح واحدًا من تلك الفروع). وفى نفس الوقت كان القرب من الفروع الأخرى للمعرفة يتطلب شيئًا من التنازل والقبول بالمناهج الأكثر صرامة، حتى يتمكن النقد الأدبى من التمشى مع غيره والظهور على الأقل بمظهر مقبول مهنيًا. ومن هنا بدأت المعركة التى لم تنته بعد حول "نظرية الأدب".

وبالفعل زاد التنافس بين الأدب والنظرية حدة مع سنوات الثورة، ومع التوجه البريطانى "المعادى للنظرية" باعتبارها همًا فرنسيًا على مدى التاريخ، لم تكن النظرية لتجد فرصة فى بريطانيا. إن ما لاقته محاولات إراسموس داروين لكتابة علم الأحياء (والجنس) شعيرًا من مقاومة شرسة كان بسبب خرقها للحدود المرسومة لكل مجال بقدر ما كان بسبب ما مثلته من تهديد بتقديم معلومات خارجة لقراء الأدب وخصوصًا النساء منهم. وعلى الرغم من الاهتمام الأوروبي الواسع بفلسفة الطبيعة *Naturphiosophie* الألمانية بما تحمله من طموحات تركيبية صريحة، يبدو أن الأثر طويل المدى للثورة الفرنسية، خاصة على الثقافة المتحدثة بالإنجليزية، تمثل فى مزيد من الفصل بين الأدب من ناحية والعلم وكل لغة دقيقة محددة من ناحية أخرى، وهو اتجاه ربما كان حتميًا قبل ذلك الوقت نتيجة التقدم الهائل والتخصص فى مجال

(٥١) راجع

Edward Gibbon, An essay on the study of literature, London: Becket &amp; De Hondt. 1764, pp. 3, 28, 62, 65.

العلوم والرياضيات. فلقد كتب بليك بوضوح وجلاء أن "العلم هو شجرة الموت" أما "الفن فهو شجرة الحياة".<sup>(٥٢)</sup> وكتب هازليت ببلاغته المعهودة حول مخاطر "محدودية وندرجسية العمل الفلسفي"، بكافة أشكاله، "لأن النشاط المكثف لواحدة من القدرات البشرية بالضرورة يمنع الإعمال المفروض والطبيعي للقدرات الأخرى". والإفراط في ذلك لابد أن يهدد النمو الطبيعي للشعور الأخلاقي والمشاعر الاجتماعية؛ ولابد أن يؤدي للتجريد البارد والجاف؛ إذ يبدو أن هؤلاء الناس يتخلون عن الوظائف الحيوانية ويتركون الجسد (الإطار) مسترخياً. ومن هنا نجد الشكوى من نقص الحساسية الطبيعية ودفع الارتباط في هؤلاء البشر الذين كرسوا أنفسهم تماماً للعمل في علم ما أو فن ما.<sup>(٥٣)</sup>

ولا شك أن هازليت يعيد هنا صياغة الفكرة التي كانت قد أصبحت في ذلك الوقت فكرة مألوفة حول تبعات تقسيم العمل، ولكنه يطبقها بقوة خصوصاً دفاعاً عن التأثير التحرري لقراءة وكتابة الأدب الجيد. ويمكننا أن نرى في ذلك تصوراً مستقبلياً لإغريقية ماثيو أرنولد، والهجوم الشرس الذي قام به ف. ر. ليفيز على س. ب. سنو وعلى دعاوى المعرفة العلمية، بل نرى حقيقة المبادئ التي تأسس عليها علم تدريس الأدب (وقد كانت إعادة تفصيل المسرح "الجاد" جزءاً من هذا) خلال الجانب الأعظم من القرنين التاليين.

وكلما ابتعد الأدب والنقد عن النظريات والمناهج، كانا أكثر اهتماماً بالتخصيص (لا التعميم) أي بجزء أو حالة بعينها وبأشكال المعرفة المحددة. إن اعتبار الخاصية المميزة للعمل الجمالي هي استقلاله عن المضمون التجريبي والهدف

(٥٢) راجع

Complete poetry and prose of William Blake, rev. edn, David V. Erdman and Harold Bloom (eds.), Berkeley, ca: University of California Press, 1982, p. 274.

(53) Hazlitt. Complete works, IV: 117.

الوعظي، هو تأكيد على أهمية صحة عقول الأفراد لا عقول الجماعات العامة، وقد كان هذا أيضاً شكلاً من الاهتمام بالتخصيص. ولكن بعد ١٧٨٩ كان هناك تأكيد مرة أخرى، وأكثر من أى وقت مضى، على أن مضمون الأدب وهدف النقد الأدبي يتعلقان بالخاص والجزئي لا العام والنسقي. وهنا نجد عبارات بليك مرة أخرى نموذجية. ففي تعليقاته على أعمال السير جوشا رينولدز كتب بليك: "وحدها القدرة على تخصيص حالة بعينها دليل الجدارة؛ وفي تعليقه على لوحته رؤيا يوم الحساب يعبر بليك عن اعتقاده أن "ذلك الذى يدخل إلى الشخصيات فيميز بكل دقة بين سلوكياتها ونواياها وبين مختلف الطباع، هو وحده صاحب الحكمة والإحساس، وعلى أساس هذه القدرة على التمييز يقوم كل فن." وقد أحزنه الاتجاه نحو المقاييس العامة ومثل بيرك اعتبر فرنسا مسئولة عن ذلك: "منذ الثورة الفرنسية والمواطنون الإنجليز نسخ تقاس فروق طفيفة بينهم، وتلك بالتأكيد حالة من الرضا والانسجام، ولكنها لا تتوافق معى شخصياً."<sup>(٥٤)</sup> وبنفس الروح، يأتي فى تفسير تين للثورة الفرنسية أن الكارثة السياسية مردها إلى الميراث الفرنسى المعادى للتمثيلات ذات الطابع الجزئي لا الكلى."<sup>(٥٥)</sup> وكان كولريدج قد نشر وصفا لقصور "العقل ... مجرداً ووحيداً" والعلم الكونى الذى لا بلد له، والعمل الخيرى الذى لا يعرف الجيرة والقراية، باختصار، كل هذه الادعاءات التى تحملها فلسفة الثورة الفرنسية والتى تفضل التضحية بالشخص "الواحد" فى سبيل المثال الضبابي "للكل".<sup>(٥٦)</sup> ومن ثم على الأدب التركيز بعناد على "الواحد" أكثر من ذى قبل، ومن هنا تبدأ عبادة الاستثنائي وغير القابل للاختزال،

(54) *Poetry and prose of Blake*, pp.641, 560, 783.

(٥٥) انظر: Furet and Ozouf, *Critical dictionary*, p.1015.

(٥٦) راجع

Samuel Taylor Coleridge, *Lay sermons*, R. J. White (ed.), London and Princeton, NJ: Routledge and Kegan Paul and Princeton University Press, 1972, p.63.



والمثال الواقعي والخبرة المعيشة، وكلها أشياء ستميز كثيرًا من النقد الأدبي للفترة اللاحقة وخصوصًا في بريطانيا.

وبالنسبة لهازيليت كان الأدب بصفة عامة "والشعر الدرامي" بصفة خاصة أفضل السبل لإغراء الجمهور بعيدا عن الانشغال بالثورة الفرنسية ونتائجها. لقد دفعتنا هذه الأحداث تجاه التركيز على "التقدم العام للعقل، والتقلبات الكبيرة في أحوال البشر"، بكل الآثار السلبية التي حددناها من قبل. أما الشعر الدرامي فيعود بنا إلى تأمل "معاناة واحدة" و"حزن خاص بشخص بعينه" في "أكثر الظروف صعوبة وتفردا" ويقصر انتباهنا على "مشاعر الحب والكراهة المحددة بأشخاص وأماكن بعينهم." (٥٧) إن نرجسية ووردزورث وبايرون تقف حائلاً دون هذا التخصيص، كذلك الهوس النظرى لجودوين والرواية "اليقوبية" التي وجدت في تسعينيات القرن الثامن عشر وما لبثت أن اختفت. أما أصحاب النظريات مثل هيجل بسرديته الكبرى عن انبثاق الروح Geist والنثر الفلسفي (التعميمي) عن انتهاء الفن فيصبح عندهم التزام الأدب بالخاص عائقاً. ومن هنا يشيد هيجل بجوته - على سبيل المثال - على قدر تجاوزه "لمادته المحدودة" وبث طاقات التاريخ الأوسع في أعماله. (٥٨) ولكن سيبقى بالنسبة للتراث البريطاني الحافز التخصيصي مسيطراً سواء في الرغبة في أدب إقليمي (بيرنز ووردزورث وكليمر وهاردي) أو في تصوير الأشخاص العاديين وحياتهم العادية إلى حد ما (أوستن ولورانس وبمعنى ما على الأقل جويس في رواية يوليسيس).

إن أحد الجوانب المهمة لهذا التخصيص المحلي أو الأسرى المنزلي في الأدب والنقد الأدبي والتركيز على الحياة العائلية بكل تداعياتها من الشعور الريفى براحة البال والبيت والمدفأة والشعور الوطني بالاكتماء الذاتى (والذى يكتسب قوة خاصة بالطبع في زمن التوسع الاستعماري)، كان إعادة تعريف دور النساء: قارئات وكاتبات. فعلى مدى القرن الثامن عشر قويت أكثر فأكثر هوية الأدب كانشغال مؤنث

(57) Hazlitt, *Complete works*, XVIII: 305-06.

(58) Hegel, *Aesthetics*, pp. 191, 262, 1110.

وذى طابع أنثوى.<sup>(٥٩)</sup> فقد تزايد عدد النساء اللاتي كتبن أدباً ولأنه بحكم تعريفه [أدب النساء] كان يصدر بالإنجليزية وكان معروفاً أنه لا يتطلب أى نوع من التفكير شديد الاتساق، فقد أصبح عدد متزايد من النساء (والرجال العاديين) ممن لم تتح لهم فرصة التعليم العالي قُرَّاء حقيقيين أو متخيلين لذلك الأدب. إن اقتحام المرأة (كما رآه البعض) للمجال الأدبي العام كان موضع جدل قبل ثورة ١٧٨٩، وأصبح كذلك بشكل متزايد بعد الثورة على الرغم من الدلائل على الطريقة غير الكريمة التي تعاملت بها الثورة مع النساء بعد انحسار موجة الحماس الديمقراطي الأولى.<sup>(٦٠)</sup> ولكن حكايات ببرك حول دهاء النساء العنيفات، بالإضافة إلى الرسائل المتحررة جنسياً للمسرحيات الألمانية التي انتشرت (مترجمة) في التسعينيات من القرن الثامن عشر، كانت كافية لضمان تحول وضع المرأة إلى نقطة حوار أساسية في فترة الثورة. أما الكتاب المتعلمون من الرجال، والذين كان لهم مصلحة مهنية في الحفاظ على الصورة المثقفة للأدب والقراء، فقد استطاعوا استخدام ذلك التأكيد الجديد على ضرورة التخصيص بطريقة تلي من شأن الأدب بشكل عام (وبالتالي من شأن أنفسهم) وتحد في نفس الوقت من مجال المرأة داخل هذا الأدب. ويشير فرانسيس جيفرى في عرضه لأعمال فيليشيا هيمانز في ١٨٢٩ إلى أن "عمل المرأة المناسب والطبيعي هو تنظيم الحياة الخاصة بكل عناصرها ومشاعرها وهمومها." ومن هنا ينمو لدى المرأة "وعى دقيق بعناصر الشخصية والسلوك"؛ أى المعرفة المثالية لكتابة الأدب. ولن يكون هذا بالطبع هو الأدب كله، ولا يظهر في أعمال هيمانز نفسها "عبقريّة لافتة أو عظيمة". ولكنها تقى بالغرض على الأرجح في نطاق الطبقة الوسطى التي تتوجه لها الرواية الأسرية والشعر الغنائي. أما ترجمات هيمانز فقد لاقت استحساناً بسبب تحويلها

(٥٩) انظر

Nancy Armstrong, *Desire and domestic fiction: a political history of the novel*, New York and Oxford: Oxford University Press, 1987.

وغيرها.

(٦٠) انظر Staël, *Influence of Literature*, ii: 156-74

النماذج المتطرفة و"المنفرة" للأدب الأجنبي إلى الإنجليزية؛ أى أنها قامت بمهمة التدجين الثقافى لصالح الثقافة الإنجليزية. وضعفها هنا هو نفسه مصدر قوتها؛ فقدرتها على استيعاب ما هو "لطيف ورقيق ومتناسق" ولا شيء غير ذلك، حال بينها وبين نقل أى شيء "عنيف ومفرط".<sup>(٦١)</sup>

تلك هى صورة الأدبية فى العصر الفيكتورى فى خطوطها العامة، وهى الصورة التى قاومتها بعناد كثيرات من كاتبات العصر الفيكتورى. وعندما كانت النساء بسبب تحررهن على المستويين السياسى والشخصى، ذلك التحرر الذى كان متخيلاً بقدر ما كان واقعياً، مدعاة لارتعاد الكثيرين خوفاً فى بداية زمن الثورة، أصبحت النساء الآن مصدر قوة بديلة عن التسمى الذكورى، ذلك الشكل "العنيف والمفرط" الذى بدا (ولنتنكر بايرون) النتيجة الطبيعية لروح الثورة. فإذا كانت النساء المنطلقات استدعين المشهد التسمى كما كان الأمر بالنسبة لبيرك، فإن نساء مثل هيمانز قادرات على المساعدة فى إبعاد هذا المشهد عن الأجيال القادمة. ولأن هذا التحديد المبني على النوع الاجتماعى كان متوافقاً تماماً مع الوظيفة العامة للثقافة الأدبية فى المجتمع البرجوازي، فقد عمل على تأكيد الدور الأثنوى بالمعنى الاجتماعى لهذه الثقافة الأدبية فى علاقتها بالأعمال العلمية الناشئة والأعمال النفعية والمهنية. وهذا أيضاً يمكن ربطه بأحداث الثورة الفرنسية، وإن كان لا يمكن اعتباره السبب الوحيد بأى معنى من المعانى.

كيف إذن نلخص أثر الثورة الفرنسية على النقد الأدبي الرومانسى؟ لقد رأينا استجابات متنوعة فى الثقافات الوطنية المختلفة وأيضاً فى الثقافات الساعية لخلق وطنيتها. وبشكل عام أكدت الثورة على النماذج الإرشادية والقوالب الجاهزة التى كانت موجودة بالفعل بنفس القدر الذى عملت على هزها، وربما يمكن استثناء فرنسا من ذلك التعميم حيث تعامل الكثيرون مع الثورة كانقطاع جذرى مع الماضى. وبدعمها

(61) Jeffrey, *Contributions to the Edinburgh Review*, pp.473-4.

لفكرة أولئك الذين رأوا أن الأدب العظيم ليس فحسب أدب زمنه ولكنه أدب كل زمان، عملت الثورة على تحدى النقد الثقافى والتاريخى لعصر التنوير (وإن لم تتمكن من هزيمته) وهو النقد الذى سعى لفهم الأدب فى علاقته بالاتجاهات السياقية الأخرى. وقد زادت الثورة من العلاقة المتوترة بالفعل بين الثقافة الشعبية والثقافة النخبوية، وأبرزت مجدداً قدرة التعليم الأدبى على التآرجح كوسيط بين الثقافتين. والمؤكد أنها أثرت فى إبعاد الثقافة الفرنسية والأدب الفرنسى عن أى حق فى تمثيل الثقافة الأوروبية أو العالمية. ومن الصعب القول إن الثورة الفرنسية خلقت نوعاً أدبياً جديداً بعينه، باستثناء الرواية اليقوبية فى تسعينيات القرن الثامن عشر التى ما لبثت أن انتهت من الوجود. ولكنها عززت من الميل البريطانى لتشجيع التعامل الحر مع الأفكار والمشاعر وتركت فى الثقافة البريطانية شعوراً بمزيد من الاحتقار العميق "للنظرية" أكثر من ذى قبل. وأكدت أن النموذج الإرشادى الذى يقر به الأدب البريطانى فى مجمله هو النموذج المضاد للمدينة، النموذج الإقليمى والريفى (فقد كانت الثورة دائماً تتمثل على أنها حدث باريسى). وعلى الأرجح عملت الثورة على تحديد وضع النساء فى الثقافة الأدبية التى تبجل فوق كل شىء قدسية المشاعر القلبية والأهمية الكبيرة لتماسك العلاقات الإنسانية. ولكل هذه الأسباب وغيرها يصعب القول إن عمل الثورة الفرنسية قد انتهى بالنسبة للنقد الأدبى حتى هذه اللحظة.

## الفصل الرابع

### الفلسفة الترانسندنتالية والنقد الرومانسي

بقلم: ديفيد سيمبسون

ترجمة: لميس النقاش

إن التحدي الذي لا بد أن يواجهه أغلب دارسي الرومانسية في لحظة ما من عملهم هو النظرية والفلسفة. ولكن تلك لم تكن الحال دائماً. فإن كان من المؤكد أن الرومانسيين أنفسهم كان عليهم مواجهة هذا التحدي، وهو ما يبدو جلياً في حياة كولريدج وأعماله، فإن من جاء بعدهم من معلقين وجدوا طرقاً لتجنب تلك المواجهة. فنجد جون ستيوارت ميل John Stuart Mill يدافع في سيرته الذاتية عن قراءة وردزورث كشاعر للعواطف وليس للأفكار، وعن قدرة تلك القراءة على مداواة القارئ نفسياً، ويواصل ماثيو أرنولد Matthew Arnold ذلك الاتجاه إذ يوصي بتجاهل كل محاولات وردزورث للتفكير المنهجي، والتركيز بدلاً من ذلك على علاقته الحميمة بالطبيعة<sup>(١)</sup>. لقد رأى كلاهما في وردزورث شاعراً عظيماً وفيلسوفاً عديم القيمة، ومن هنا أصبح وردزورث إحدى حالات الفصل النوعي بين الشعر والفلسفة، ذلك الفصل الذي شغل كثيراً من النقاد بدءاً من السير فيليب سيدني Sir Philip Sidney وآخرين غيره لاحقاً. إن الفكرة العامة حول "الأدبي" كانت بالفعل على مدى الأربعمئة أو الخمسمئة عاماً الماضية تقتضض ضمناً أن الأدب ليس فلسفياً، فالأدب يدلنا على نوع من الحقيقة ومن تجربة الخيال يختلف عن الأنواع المرتبطة بالتفكير المجرد

(١) انظر:

John Stuart Mill, *Autobiography*, John M. Robson (ed.), London: Penguin, 1989, pp. 120-2;  
Matthew Arnold. preface to *The poems of Wordsworth*, London: Macmillan, 1879.

والحجج المنطقية. ونفس تلك الفكرة العامة كانت تقتض أن الأدب يختلف عن التاريخ؛ يختلف عن جمع وترتيب الحقائق والوثائق وعن السرديات الكبرى للتغير في تاريخ العالم.

ولكن النقد لم يكن دائماً على مثل هذا النقاء. ففي السبعينيات من القرن العشرين - وخصوصاً في الولايات المتحدة - ارتبطت الرومانسية بوضوح بتطور نظرية الأدب وبأساسها الفلسفي. وبعد ذلك كانت المحاولات الطموح الأبرز في مجال دراسات الحركة الرومانسية هي الدراسات التاريخية، أي محاولة وضع كبار الكتاب في إطار حياة زمانهم وفكره، وتعويض النقص في معرفتنا بذلك التراث الأدبي عن طريق استرجاع ومناقشة كتاب آخرين (بمن في ذلك النساء) والذين تم تجاهلهم أو إقصاؤهم على أنهم لا يستحقون اهتماماً. أما محاولة التمسك بنموذج للأدب لا هو فلسفي ولا هو تاريخي فقد تراجعت بين سندان أحد البديلين أو مطرقة الآخر، وأحياناً تحت ضغطهما معاً.

وعلى الرغم من تحول الاتجاه للتاريخ مؤخرًا، فقد ارتبطت الرومانسية لفترة طويلة بالفلسفة واستغرقت فيها، وخصوصاً الفلسفة الألمانية، ولقد أثار هذا سخط بعض النقاد، بل وما زال يثير سخط البعض. فيعترض هيپوليت تين Hippolyte Taine المؤرخ الأدبي الفرنسي الكبير في القرن التاسع عشر على أن "الروح الفلسفية.. أغرقت الأدب في متاعب وصراعات مضيئة" بسبب الانشغال الرومانسي "بعلم الجمال" و"النظرية" والانجراف في الكتابة "على أساس منهج مسبق" (٢) وقد خلص بعض القراء في ذلك الزمن ويعدّه إلى أن كولريدج فقد موهبته الشعرية بعد اهتمامه بالفلسفة، وأن القارئ يستطيع تذوق قصائد وردزورث أفضل إذ ما تجاهل مقدمته لحكايات غنائية التي أضافها في ١٨٠٠، وأنه مما يحسب لكيتس حصافته التي

(٢) انظر:

H. A. Taine, *History Of English Literature*, H. Van Laun (tans.) 4 vols.. Philadelphia. PA: Altemus, 1908, I: 442-3.

دعته إلى أن ينأى عن تقديم تصريحات نقدية منهجية تتجاوز الكلام المتداول والبسيط لرسائله.

وكانت مقاومة النقد الأدبي للحظة الفلسفة في الرومانسية مقاومة كذلك بالتداعي للسياسة بل وللثورة. فقد آمن كثير من المعلقين البريطانيين في العقد الأخير من القرن الثامن عشر والعقد الأول من القرن التاسع عشر، آمنوا أو اختاروا الادعاء أن الفلسفة والنظرية كانتا السبب في الثورة الفرنسية، ومن هنا كان تلوث الأدب بالفلسفة يبدو تهديداً ليس فقط لاستقلال الخيال ولكن لسلامة العرش والكنيسة<sup>(٣)</sup>. فكان الإيمان بقدرة التفكير المنهجي والنظرية أو فائدتهما يعد سمة يعقوبية، وبالتالي يتحدد موقف القارئ أو المستمع بالترحيب أو الرفض طبقاً لموقفه السياسي. وكانت الشخصيات الأساسية في هذا السياق فرنسية: منها العقلانيون مثل فولتير *Voltaire*، والماديون مثل هلفيتيوس *Helvetius* وميتري *Mettrie* وفي المقدمة قبل الجميع كان رجل العواطف الذي طالما كان تركيبه الشديد مربكاً؛ وأعنى جان جاك روسو *Jean-Jacques Rousseau*، والذي مثل تهديداً (وخصوصاً بعد نشر الجزء الثاني من كتابه الاعترافات) على المستويين الجنسي والسياسي، تهديداً شهوانياً وعقلانياً. ولقد تم تصنيف المنظرين السياسيين البريطانيين من أمثال بين *Paine* وبريستلي *Priestley* وجودوين *Godwin* كجزء من هذا التراث الفرنسي وتم التعامل معهم على هذا الأساس، وكان ذلك على يد المدافعين عن المؤسسة<sup>(٤)</sup>. ومن كان يقرأ من

(٣) لمناقشة أكثر تفصيلاً انظر:

David Simpson, *Romanticism, nationalism and the revolt against theory*, Chicago. IL and London: University of Chicago Press. 1993.

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر

Margery Sabin, *English Romanticism and the French tradition*, Cambridge, MA and London: Harvard University Press. 1976; Seamus Deane, *The French Revolution and Enlightenment in England, 1789-1832*. Cambridge, MA and London: Harvard University Press. 1988; Marilyn Butler (ed.), *Burke, Paine, Godwin and the Revolution controversy*, Cambridge University Press, 1984.

الشعراء والروائيين أيًا من هذه الشخصيات أو يشير إليها، أو ينشغل بالفلسفة كان يعرض نفسه للمعاملة ذاتها.

لقد كان التراث البريطاني شديد الانعزال يعاني من تعصب أعمى لدرجة أن بدت كل الفلسفات الأجنبية مثار تهديد له. وكان الكتاب الألمان مغمورين على وجه خاص؛ إذ نادرًا ما كان هناك من يعرف الألمانية تحدثًا أو قراءة، كما أن فرصة السفر والتبادل السهل للمعلومات كانت محدودة أثناء الحروب مع فرنسا والتي سادت تلك الفترة التي تسمى (في بريطانيا) بالرومانسية. وبالإضافة إلى ذلك كانت الأفكار السائدة في الفلسفة الألمانية في أواخر القرن الثامن عشر بالغة الصعوبة والتقنية، بل إنها ما زالت كذلك بالفعل. فعند كانط كنا نجد الفلسفة الترانسندنتالية والتي ليست مثالية مكتملة التطور. بمعنى أنه في حين كان يكتب في مواجهة صريحة مع الماديين كان يعترض على التركيبات الكبرى التي تؤلف بين العقل والطبيعة، والذات والموضوع، وهو ما شغل بعضا ممن جاءوا بعده، نذكر أهمهم شيلينج وهيغل. ولهؤلاء الذين جاءوا بعده، والذين تأثروا بكانط ولكن انتقدوا محاولاته المتشككة والسلبية لتحجيم مجال الوصف الفلسفي الدقيق ليكون فقط تفكير العقل في العمليات العقلية، نخص هؤلاء بمصطلح الترانسندنتالية المثالية. إن هذا التمييز يصعب الوصول له حتى في وقتنا الحالي، على الرغم من امتلاكنا ميزتي النظر إلى الخلف والترجمات المتخصصة. أما بالنسبة لمعظم الرومانسيين فيكاد لا يكون لذلك التمييز وجود. لقد كان فهم المترجمين والمعلقين الإنجليز الأوائل لأعمال كانط، كنموذج أساسي، فهما محدودًا إلى حد التشويه الكامل للأصل<sup>(٥)</sup>. وحتى مدام دي ستايل Madame de Stael ذات النظرة العالمية والتي ترجم كتابها المهم حول ألمانيا إلى الإنجليزية في ١٨١٣ وكان

(٥) لتفصيل ذلك انظر



نصاً أساسياً في تقديم الجيل الثاني من الرومانسيين للفكر الألماني، كان تقديمها لخصائص فلسفة كانط مختصراً ومبهماً؛ "لقد أراد كانط أن يعيد تأسيس الحقائق البدائية والنشاط العفوى للروح، والضمير في القيم الأخلاقية، والمثال في الفنون".<sup>(٦)</sup> وكان يهتم ستايل أن تدرج كانط في نموذج الروح القوطية الذي كان استحضاره في ذلك الوقت في سياق بديل فكر ينتمي لشمال أوروبا المحافظ بشكل عام، عوضاً عن إمبراطورية النور والعقل الفرنسية المتوسطة<sup>(٧)</sup>. ومن هنا تجد ستايل في كانط عقلية توكيدية لا عقلية نقدية، والتزاماً شافياً بفكرة "إننا يجب أن نكون لدينا فلسفة للإيمان وللحماس، فلسفة تؤكد عن طريق العقل ما تكشفه لنا المشاعر". (ص ٩٤) أما الحجج البالغة التعقيد الواردة في نقد الحكم، الثالث في مجموعة النقد العظيمة لكانط، والوحيد الذي يهتم أساساً بعلم الجمال، فإن نقلها قد اختزلها فيما يشبه المحاكاة الهزلية لكانط. فحين يكتب كانط عن افتراض إجماع لأحكام الذوق، تبدى ستايل إعجابها بتقديمه الجمال "كصورة موجودة دائماً في كل روح" (ص ٨٩)، وصفة تستدعي "مشاعر إلهية في أصلها" (ص ٩١) تصبح الفلسفة هنا كأنها أداة للتعالى فهي "تلهمنا بضرورة الارتقاء بالأفكار والمشاعر غير المحدودة" (ص ١٣٦).

ونجدنا هنا أمام إحدى الحالات التي يمكن أن يؤدي فيها عدم إمكانية فهم كانط إلى تقديمه وكأنه داعية للتجربة التي لا يمكن التعبير عنها. لقد تعرض كانط لنفس مصير غيره من كبار المفكرين - ماركس وفرويد وهيكل أمثلة بارزة لذلك - إذ اعتبر مسئولاً عن كافة أشكال التأثيرات في روح عصره ودائماً ما يتم

(٦) انظر:

Baroness de Staël, *Germany*, 3 vols., London: John Murray, 1813, III: 73.

(٧) انظر:

Marilyn Butler, *Romantics, rebels and reactionaries: English literature and its background, 1760-1830*, Oxford and New York: Oxford University Press, 1982, pp. 129-37.

استحضاره بهذا المعنى ولكن قلما يقرؤه أحد بعناية. فما الملامح الأساسية لمقولات نقد الحكم؟ وما ميراث تلك المقولات لدى الرومانسيين وما تلاهم من فلسفة علم الجمال؟ ما إسهام كانط ومن جاءوا بعده في تكوين نقد أدبي تحديداً؟ هذه هي الأسئلة التي سأحاول تناولها فيما يأتي من هذا المقال.

لن يجد دارس الأدب في قراءته الأولى لنقد الحكم شيئاً مألوفاً، فهو كتاب لا يكاد يشير إلى أعمال فنية ويتجاهل الأدب تجاهلاً تاماً. وقد كان ذلك نتيجة إصرار كانط على تجنب التوزع في التفاصيل التجريبية بمعنى الكلام حول هذا الكتاب وتلك اللوحة وذلك التمثال وهكذا؛ إذ اعتبر ذلك عائقاً في وجه صياغة فلسفة منهجية لعلم الجمال. وفي محاولته لخلق علم جمال فلسفي كان كانط يعمل كذلك ضد التراث البريطاني السائد في القرن الثامن عشر، والذي أخذ منه فيما عدا ذلك الكثير. فاللورد كامس Lord Kames على سبيل المثال والذي كان كتابه مبادئ النقد الصادر في ١٧٦٢ أحد الأعمال المنتشرة في القرن الثامن عشر في علم الجمال، يعد قارئه "بنوع من النقد البشوش والبهيج" وليس "البحث المعتاد المضي" ذلك الذي سيسعى له كانط لاحقاً<sup>(٨)</sup>. وأعلن كامس أنه شخصياً "شديد الحساسية لما يشعر به الناس عامة من نفور من التأمل المجرد" (الجزء الأول ص ٢٦) أما هيو بلير Hugh Blair الذي أصبح كتابه محاضرات في البلاغة والأدب (١٧٨٣) يدرس في الجامعات في القرن التاسع عشر، فقد كان يرى أن النقد "فن إنساني متحرر" يتطلب قدراً أقل من "الصرامة" التي يتطلبها المنطق والأخلاق<sup>(٩)</sup>. وهو يتحدث صراحة عن قيمة الذوق الحسن في ملء

(٨) انظر:

Henry Home, Lord Kames, *Elements of criticism*, 6th edn, 2 vols., Edinburgh, 1785, I: 13.

(٩) انظر:

Hugh Blair, *Lectures on rhetoric and belles lettres*, 1783, rpt Philadelphia, PA: Troutman & Hayes, 1853, p. 13.

ساعات الفراغ " للعاملين في مجالات جادة" بما هو مثمر، فهؤلاء "لا يستطيعون أن يستمروا على نفس المنوال من جدية الفكر دائما، "فتكون متعة الذوق إنعاشاً للعقل بعد الجهد الذهني والدراسة المجردة المضنية" (ص ١٤). وقد عبر أديسون Addison عن نفس الفكرة في مجلة سبكتيتور *The Spectator* لقد تشكل علم الجمال البريطاني في القرن التاسع عشر، مع بعض الاستثناءات، ومنها هتشنسون Hutcheson، في سياق ثقافة التهذيب لا التحليل الفلسفي.

وقد أخذ كانط عن سابقه البريطانيين كثيراً من المادة الواردة في نقد الحكم. فقد كان كامس كذلك مهتماً (وإن كان بقدر أقل منهجية من كانط) بالجمال كصفة ذاتية تبدو موضوعية، وكمقولة تأسست بعيداً عن الميول والرغبات الشخصية، وكمبدأ للتواصل له ما يوازيه في التجربة الأخلاقية. ولكن المؤكد أن كانط لم يكن مهتماً بالتحكيم بين الذوق الجيد والردىء، فقد كان اهتمامه منصباً على الملكة العقلية التي تجعل أحكام الذوق ممكنة. فقد كان الحكم الجمالي بالنسبة له يعد قادراً على ملء المساحة ما بين تصورات الفهم *verstnd* التي تحكم نظرية المعرفة، والتي كانت موضوع كتابه نقد العقل الخالص *vernunft*، وما بين أحكام العقل المتضمنة في الأحكام الأخلاقية والتي تناولها بالتحليل في نقد العقل العملي. فالأحكام الأخلاقية (في تعريفها الدقيق) ليس لها أى مرجعية في العالم الواقعي، ولا تعتمد على قدرتها على التواصل. ورغم اعتمادها على تصورات العقل الخالص فإن الأحكام الأخلاقية نهائية في حد ذاتها ولا تحتاج إلى تأكيد خارج عنها. فأنا - طبقاً لكانط - لا أقوم بالصواب لأننى أتوقع أن يفهمه الآخرون أو يمتدحون سلوكي. أما الوظائف المعرفية فهي توجهننا ناحية العالم، رغم أنها تتطلب بحثاً ميتافيزيقياً في المقولات القبلية للعقل للوصول إلى ما يدعم مشروعيتها. وفي نقد الحكم يتناول كانط بالدراسة الأرضية التي تقع بين الاثنين. وما أثار اهتمامه في أحكام الذوق، على سبيل المثال رأينا في شيء ما أنه جميل، هو أننا نتعامل مع هذه الأحكام التي نطلقها وكأنها تستند إلى مرجعية

مثلها مثل وظائف الأحكام العقلية أو الأخلاقية؛ بمعنى أنني على يقين أن هذا الشيء جميل بقدر ما أنا على يقين أن هذه طاولة. ولكن في حين أن أغلب البشر الطبيعيين لا يختلفون طويلاً على ما إذا كانت هذه طاولة أم لا، فنادرًا ما نجد إجماعًا حول ما هو جميل. ولكن هذا لا يمنع أن أفترض أن يتفق معي فيما أقوله كل إنسان عاقل أو أنه يجب أن يفعل ذلك. فحكم الذوق حكم ذاتي، ولكنه يقدم نفسه على أنه موضوعي. فحين أسمى شيئًا ما جميلًا فإنني أتوقع أن يتفق معي الجميع رغم أنني لا أستطيع أن أدعو لهذا الاتفاق على أساس مرجعية تصورات الفهم.

إن هذه المعضلة دليل مهم بالنسبة لكانط على أن حكم الذوق يتعلق بالجانب الترانسندنتالي للعقل البشري، ذلك الجانب الذي يتجلى لنا عن طريق عالم الأشياء الخارجية ولكنه هو نفسه ليس جزءًا من ذلك العالم. وهذا هو ما يريد أن يصل إليه، وهو ما يفسر قراره عدم تشويش عمله بإشارات مستمرة إلى هذا العمل الفني أو ذاك ونوعية تلقيه. فما يهمه ليس الأعمال الفنية أو الأدبية، بقدر ما تدل عليه استجابتنا لتلك الأعمال بالنسبة للذاتية (الترانسندنتالية). وبالفعل فإن تناول الحكم الجمالي يحتل نصف كتاب نقد الحكم فقط. الجزء الأول من النصف الأول من الكتاب، وهو بعنوان "تحليل الجمال"، يصور الجمال على أن أساسه التنزه عن الغرض، ويعتمد على شكل العمل لا مضمونه، وبالتالي يميل إلى افتراض وجود إجماع عليه. ففي نهاية المطاف إذا ما نظرنا إلى الاختلافات التي تفصلنا بعضنا عن بعض (ما يحبه كل منا وما يكرهه ومنظور كل لاهتماماته والحاجة أو الرغبة إلى الإشباع التجريبي) فإن ما يبقى من المفترض أن يكون مشتركًا بين كل الملاحظين. وأكثر الفنون ملائمة لإثارة هذه الاستجابة هي الفنون البصرية لا الأدبية. فالتمائيل والأشكال واللوحات كلها تتوجه مباشرة للحدس الشكلي وإلى التمييز والفصل ما بين هوية الأشياء الشكلية وبين هويتها التجريبية، ذلك الفصل الذي يشكل أهمية كبيرة في تعريف كانط للحكم الجمالي. وفي "تحليل الجليل" وهو الفصل الأخير من الجزء الأول - نقد الحكم، ينتقل كانط من مناقشة الحدود إلى اللاحدود. إن تجربة الجليل تشترك مع مبادئ العقل أكثر مما تشترك مع تلك الخاصة بالفهم والتي تحدد الحكم حول الجمال.

وبالتالى فإننا نطلق على شيء ما "جميل" رغم أننا نفهم فى النهاية أن الجمال ليس تجريبياً، فى حين أننا لا نميل إلى أن نصف شيئاً ما بالجلال (بل نصف مشاعرنا نحوه) لأننا نكون بصدد شيء يتميز بالحركة واللاحدود. ولهذا السبب فالجليل يشترك مع الأخلاق أكثر مما يشترك مع الحكم التجريبي، ويسهل الاقتناع بوضعه الذاتى الخالص.

إن الحجج التى يطرحها كانط لتوفيق الجمال والأخلاق تأتى عن طريق الجليل والجميل، وهى حجج صعبة وغير نهائية وتتوزع على مدى الجزء الأول من نقد الحكم. الجمال "رمز" للأخلاق بمعنى أن الجمال يشابه الأخلاق الحسنة من حيث المشاعر التى يثيرها فينا، رغم أن الإدراك (الحدسى) للجمال لا يندرج تحت مفاهيم الأخلاق، ولا تحت أى مفهوم آخر. وهذه العلاقة الرمزية هى مصدر المتعة التى نجدها فى الجمال. مثلما يحدث مع الخبرة الأخلاقية فإن الجمال "يمنحنا متعة وافتراساً بأن الجميع سيتفق على ذلك، وهو ما يمنح العقل شعوراً بالارتقاء والتسامى يفوق مجرد المتعة الحسية التى تمنحها الحواس"<sup>(١٠)</sup> وجمال الطبيعة يتفوق من هذه الناحية على الجمال الفنى؛ إذ إن الأخير أكثر بعداً عن الأخلاق بحكم أنه شيء مصنوع وبالتالي له غرض (المحاكاة أو الإمتاع) يتدخل الوعى به مع حكمنا المباشر. (٤٢) أما جمال الطبيعة فهو أقرب للجليل والذى يكشف عن نفسه أيضاً من خلال الظواهر الطبيعية. ولا علاقة له بالغايات؛ إذ إنه لا غرض له. ومع الجليل تحديداً لا نتحرك من الجمال إلى الأخلاق ولكن بالعكس. ويقول كانط إنه بدون تربية أخلاقية سيبدو الجليل وكأنه محض شيء مربع (ص ١١٥) ويعيد كانط فى الفقرة الأخيرة من الجزء الأول لنقد الحكم مسألة أولوية الأخلاق باعتبارها "التمهيد الحقيقى

(١٠) انظر:

*The critique of judgement*, James Creed Meredith (trans.), 1928; rpt Oxford: Clarendon Press, 1980, i: 224.

لإرساء قواعد الذوق". (ص ٢٢٥) الأخلاق تسبق الجمال في ثقافة الإنسان وليس العكس. ولكن هذا لم يمنع كثيرين ممن جاءوا بعد كانط من الرجوع إليه في كل ما ساقوه حول القدرة الأخلاقية الأساسية للجليل وللجميل بما في ذلك الجمال الفني.

ولعل مما يثير الدهشة أن ندرك أن كانط لم يكن مهتمًا بالمرّة بقدرة الفن أو اللغة على الوصول إلى الجليل. لقد كان ذلك الاهتمام الميراث الذي أكد عليه التراث البريطاني كما هو واضح في كتابات بيرك Burke وكامس Kames وبلير Blair وغيرها. فقد تبعوا لونجيني Longinus في تناولهم للجليل الذي كان أساساً تناولاً بلاغياً ومخصصاً لتقديم فقرات مختارة من هوميروس وفرجيل وشكسبير وميلتون وأضرابهم من الأدباء.<sup>(١١)</sup> أما كانط فيلجأ في الصيغتين اللتين يحددهما للجليل، وهما الرياضى والدينامى، إلى الطبيعية ويأخذ منها الأمثلة على ما يحفز العقل على الوعى بجلال العقل نفسه. أما الجزء الثانى من نقد الحكم فهو "نقد الحكم الغائى"، وهو يتناول أفكارنا حول الغائية فى علاقتها بالإجراءات المدركة للعالم الفيزيقي. ولا يوجد بهذا الجزء أى حديث عن الفن. وإن كانت ملاحظات كانط حول اندراج الأجزاء تحت الكل مثل اندراج الوسائل تحت الغايات، والأسباب تحت النتائج، قد أمدت نقاداً (مثل كولريديج) وفلاسفة (مثل شيلنيج) جاءوا بعد كانط، أمدتهم بنماذج إرشادية لوصف مثال للعمل الفني مستقي من مؤشرات الشكل العضوى. إن اعتبار كانط الممثل الأول للحظة الفلسفة فى الحركة الرومانسية يجعلنا نخلص إلى أن النقد أخذ من الفلسفة أكثر مما كانت الفلسفة على استعداد للتخلي عنه. وأحد التصورات عن كانط تحدد مهمته فى وضع الحدود الصارمة والتأكيد على أن القول يقتصر على مجال التجربة التى ينطبق عليها بدقة. وطبقاً لذلك التصور فإنه علينا أن نخلص إلى

(١١) يجد القارئ مقدمة جيدة ومختارات لأهم المعالجات البريطانية للجليل فى:

Andrew Ashfield and Peter de Bolla (eds.), *The sublime a reader in British eighteenth-century aesthetic theory*. Cambridge University Press. 1996.

يؤكد المحرران فى مقدمتهما على استمرارية بلاغية الجليل فى التراث البريطانى.

أن من جاعوا بعد كانط ومن تناولوا أعماله بالتفسير قد أساءوا فهمه؛ إذ انطلقوا في اتجاه تدمير كل الحدود التي أضنى نفسه في وضعها. ولا يقتصر هذا التوجه على نقاد الأدب، فبعض ممن نطلق عليهم فلاسفة قاموا بنفس الشيء. ولكن هناك تصوراً آخر عن كانط، وهو التصور السائد في المراجعات الحديثة، والذي يرى أن اتساق حججه مجرد تجريب أصلاً بل وأحياناً ما تتناقض حججه نفسها تماماً. وهذا التصور عن كانط يجعل كل شيء مسموحاً، فالمسافرين لم يكونوا أقل أمانة والتزاماً للأستاذ مما كان هو نفسه لنفسه. فيرى بعض المعلقين أن المنهج الكانطي منهج منفتح في جوهره حتى في محاولاته لخلق منهج مغلق، في حين يرجع البعض تلك الثغرات إلى الظروف التاريخية لإنتاج كانط العقلي في علاقته بغيره من الفلاسفة (هيردر Herder وأنصار سبينوزا Spinozists وهيوم Hume وهتشيسون Hutcheson) وكذلك الضغوط العامة للتنظير لمساحة من الحرية في إطار ثقافة التقيد<sup>(١٢)</sup>. فمن الواضح أن محاولة كانط للتعبير عن الذاتية (الترانسندنتالية) كانت إذن استجابة لعالم أصبح فيه الحكم على أساس الخبرة العملية والتفسير التاريخي لهما أهميتهما المتزايدة. وبذلك لمست محاولته

(١٢) تشمل الأمثلة على وجهة النظر الأولى المراجع التالية:

Jean-Francois Lyotard, *Lessons on the analytic of the sublime*, Elizabeth Rottenberg (trans), Stanford University Press, 1994.

وكذلك

Paul de Man, *Aesthetic ideology*, Andrzej Warminski (ed.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1996.

وتشمل الدراسات التاريخية المهمة المراجع التالية:

John H. Zammito, *The genesis of Kant's "Critique of judgment"*. Chicago, IL and London: University of Chicago Press, 1992.

وكذلك

Howard Caygill, *Art of judgment*, Oxford: Blackwell, 1989.

ويقدم زاميتو Zammito عرضاً وافياً لمحاولات كانط الحد من مد حركة العاصفة والدفع.

انظر أيضاً:

Frederick C. Beiser, *The fate of reason: German philosophy from Kant to Fichte*, Cambridge, MA and London: Harvard University Press, 1987, pp. 153-8.

وفيه يرى الاهتمام بالغائية في نقد الحكم استجابة مباشرة (ومتأخرة) لهيردر وفورستر.

عصباً حساساً في ثقافة الطبقة الوسطى النامية فيما يتعلق بالأدب والفنون الجميلة. فقد عملت هذه الثقافة جاهدة لتصور الإبداعات العظيمة للمخيلة البشرية وكأنها بشكل ما خارج سيطرة الزمن والتغير والتاريخ وبالتالي خارج كل أشكال النزاعات والإحباطات التي تطبع الحياة العادية في عالم الحياة اليومية. في "مقال في النقد" يقول بوب Pope عن هوميروس إنه صاحب الطبيعة الصامدة والحقيقة العامة التي تكتسب قيمة إضافية مع مرور الزمن، على عكس كثير من أعمال البشر (ومنهم شعراء آخرون) والتي تخضع بالضرورة للتحلل والتغير. وكان صموئيل جونسون يعتقد أن شكسبير ربما تكون له نفس المكانة إذا ما أخذنا المسافة الكافية منه لنستطيع تجاهل ما في مسرحياته من مراوغة وكلام طنان. لقد بدت الذاتية (الترانسندنتالية)، أيًا ما كان معناها كنموذج فلسفي، بدت بالنسبة لكثيرين أنسب ما يكون للفن وللفنانين. الزمان والمكان هما أداتان لتلك الذاتية وليس سيديها. وهذا أحد عناصر الرسالة التي جعل كيتس "جزته اليونانية" تتحدث بها إلينا بحصانها ضد الفقد عبر الأجيال.

ولكن العبارة ذات الصيت التي يفرضها كيتس على التجربة في نهاية قصيدته الشهيرة "الجمال هو الحق والحق هو الجمال" كانت دائماً محل خلاف، ليس بسبب النسخ المختلفة التي اختلفت في وضع علامات الترقيم وبالتالي في معنى الجملة، أو لنقل ليس بسببها فحسب؛ إذ إن ما في هذه الكلمات من نقد أدبي مصاغ شعرياً كان ومازال محل جدل لا ينتهي. إن الربط التقليدي بين الحق والجمال أعاد صياغته (بشكل مختلف) كل من بوالو Booileau وشافتسبري Shaftesbury وكان محل تساؤل عند كانط<sup>(١٣)</sup> الذي أصبحت هذه الكلمات بالنسبة له لا تمثل أشياء في العالم ولكن صفات للذاتية (الترانسندنتالية). إن ذلك الجزء من حجج كانط الذي يمكن قراءته كإسهام في الشكلية النقدية (انظر على سبيل المثال ١٤-١٧ من

(١٣) انظر:

Ernst Cassirer, *The philosophy of the Enlightenment*, Fritz C. A. Koelln & James P. Pettegrove (trans.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1951, pp. 286-7, 313-14.



نقد الحكم) لا ينسب الجمال إلى الحق، إنما إمكانية توصيل حكم الذوق هي ما يهمه (٨-٩) وبهذه الطريقة يكاد يزيج تمامًا بلاغة الذات والموضوع إلى المجال الذاتي. وهو ما جعل كثيرًا من قراء كانط غير راضين عن هذا التحديد لفائدة المقولات الخاصة بالعالم الموضوعي، وما يتضمنه ذلك من فرض وضع منعزل لعقل الإنسان وقلبه.

كان أهم هؤلاء شيلر، والذي تميزت استجابته لكانط في ذات الوقت بالانتهازية الفلسفية وبالتأثير البالغ على العديد من النقاد اللاحقين بمن في ذلك أمثال ماثيو أرنولد Matthew Arnold وهربرت ماركوز Herbert Marcuse<sup>(١٤)</sup>. ويقوم شيلر في كتاباته النقدية بإعادة صياغة ما أخذه عن كانط في سياق بلاغة مثالية وذات نزعة تاريخية في ذات الوقت، وبذلك تشكل نموذجًا لمحاولات تطبيق الحجج الواردة في نقد الحكم على ظواهر أدبية أو ثقافية نوعية في المكان والزمان. وفي عدد من مقالاته النقدية يعبر شيلر عن قلقه بخصوص التناظر بين الجانب العقلي والجانب الحدسي كما يصفهما كانط. وهو قلق يميز غيره من قراء كانط (ويشمل ذلك كولريدج) قلق حول ما تطرحه الفلسفة النقدية من انقسام للطبيعة الإنسانية بدلاً من توحيدها؛ حيث لا يتخذ العقل وضعه المناسب إلا على حساب الحواس وخبرة الحياة العملية. وفي كتابات مثل "الفائدة الأخلاقية للسلوك الجمالي" و"حول التناقض والسمو" يقدم شيلر الأراضية المشتركة بين الفطرة الأخلاقية والحسية، فيطرح في المقال الأول قدرة الذوق على تعويض الفضيلة الأخلاقية أو الإعداد لها حين يستحيل الوصول إليها بطرق أخرى، وفي المقال الثاني يطرح قدرة الجمال على التوحيد والتوفيق بين الحس والعقل، وأن

(١٤) انظر:

Dieter Heinrich, "Beauty and freedom: Schiller's struggle with Kant's aesthetics", in *Essays in Kant's aesthetic*. Ted Cohen and Paul Guyer (eds.), pp. 237-57.

الإنسان صاحب الأخلاق الحقّة يستطيع أن يثق فى ميوله الحسية واستجاباته العفوية باعتباره صاحب "نفس جميلة" (Schöne Seele).

وفى حين كان شيلر مخلصاً إلى حد بعيد لكانط فى كتاباته حول الجليل، فإن مقولاته النقدية المطولة تختلف إلى حد كبير عن نقد الحكم؛ إذ تأتى فى سياق ذى طابع تاريخى صريح<sup>(١٥)</sup> فى حول الشعر الساذج والعاطفى يحلل شيلر ثقافة التحديث وأدبه ويراها ثقافة مدفوعة قسراً نحو الوعى بالذات فى تأملها لإنتاجها وإجراءاتها، أى مدفوعة إلى حوار بين العقل ونفسه. وحدهم اليونانيون استطاعوا الدمج الكامل بين الأشياء والمشاعر، بين الذات والآخر، وبين الواقعى والمثالى. إن الصورة التخطيطية التاريخية، السابقة على تلك التى قدمها شيلينج وهيجل والتالية على تلك التى قدمها هيردر (أحد أهم منافسى كانط) شكلت بالضرورة عامل ضغط فى مواجهة ذلك النموذج المعيارى للذات الإنسانية فى المثالية الترانسندننالية. ولقد أدرك كانط ذلك وهو ما يفسر مجهوده الدؤوب فى وصف ما يبقى من الذاتية بعد استبعاد كل المحددات العارضة. ولكن شيلر أراد، تحديداً، الاهتمام بما هو عارض. وبحته الأساسى حول الثقافة الجمالية للإنسان والذى نشر لأول مرة فى ١٧٩٥ يعود مجدداً إلى اليونانيين باعتبارهم تجسيداً لكل دروب الانسجام التى فقدناها، ويضع الجدل حول علم الجمال بالكامل فى سياق الجدل حول تقسيم العمل الذى شغل مفكرى الاقتصاد السياسى للقرن الثامن عشر (سميث Smith وفرجسون Ferguson وكامس Kames وغيرهم) وهو ليس مجرد جدل ذى طابع تاريخى فى سياقه التاريخى، ولكنه أيضاً تهديد بتفسير الاستجابة الجمالية والذوق الجميل باعتبارهما ملكاً مقصوراً على مجموعة بعينها فى المجتمع تمثل

(١٥) بعض (وليس كل) كتابات شيلر حول علم الجمال مترجمة إلى الإنجليزية فى:

Friedrich Schiller: essays, Walter Hinderer and Daniel O. Dahlstrom (eds.), New York: Continuum, 1995.

القادرين على امتلاك الثروة والوقت الضروريين لجعل الإنسان قادرًا على أن يكون نزيها عن كل غرض، وهو ما يتناقض مع كونهما المساحة المشتركة في العمق بين الإنسانية جميعها، تلك التي تؤهل، كما نذكر، للولوج إلى نطاق المثالية الذاتية الترانسندنتالية. ورغم أن كانط يعترف كجميع الناس تقريبًا (نقد الحكم، ص ١٦٠) أن الذوق الجيد لن يكون أبدًا شائعًا بين جميع البشر فعليًا وواقعيًا، لكنه معنى بالتقليل من التمايز الشائع وطرح افتراض الإجماع العام الذي نقوم به حين نقدم حكمًا على أساس الذوق.

وصحيح أن شيلر في كتابه الثقافة الجمالية يستخدم عددًا من الحجج التي استقأها أو طورها من كانط، إلا أنه يقدم نموذجًا أكثر تطورًا على المستوى النفسي لدافع اللعب الذي يعتبره جوهر التجربة الجمالية التي لا يمكن لها أن تكون في شكل خالص (حيث يستحيل التحرر التام من كل المحددات أيًا كانت)، ولكن يمكننا فهم التجربة الجمالية وتعزيزها بأقصى الأشكال المتاحة من خلال علاقتنا بالأعمال الفنية الأصيلة. لقد أفسح كانط مكانًا للعب الحر للعقل في المجال الجمالي، وكذلك لدور Geist (العقل والروح) و"العبقرية" في الأجزاء ٤٩ و ٥٤ من النقد، ولكنه كان متحفظًا إلى حد ما في بلاغته وتأكيداته حتى لا يرى على أنه يوافق على عبادة المشاعر عند حركة "العاصفة والاندفاع" والتي كانت تؤمن بالتلقائية التامة وبعدم جدوى كل أشكال "النقييد" ص (١٦٤)<sup>(١٦)</sup>. أما شيلر فهو يولي هذا الجانب اهتمامًا أكثر من كانط ويضيف تحليلًا مطولًا "للدوافع" (Triebe) التي تحكم السلوك الإنساني. ونجد عنده دينامية السيكلوجية متناغمة مع التأكيد على الزمان التاريخي الذي ميز هيردر وفكرة القوة أو الطاقة (Kraft) لدى فخته، والعقل -

(١٦) على الرغم من النقييد يرى Zammito في كتابه Genesis ص ٣٠٥ أن "القدرة الميتافيزيقية لمفهوم الروح Geist المثالي كانت كامنة بالفعل في التأملات المكبوتة لإيمانويل كانط، خصوصًا في الكتاب الثالث من سلسلة النقد.

الروح Geist لدى هيجل والإرادة Wille لدى شوبنهاور، وكلها تهز المطامح اللازمية لفلسفة كانط النقدية. وقد تبع النقاد اللاحقون والذين التقطوا مجاز "اللعب الحر للعقل" (مثل أرنولد Arnold وليفيز Leavis) تبعوا شيلر بالأساس وإن كان كانط يلوح غائماً في الخلفية خافت الصوت Sotto voce.

ولا يهم شيلر بالمرة تركيز كانط على الحكم عامة (وما الحكم الجمالي إلا أحد أشكاله) وعلى قدرة الحكم على الوصول للآخرين ودوره المحوري. فعلى العكس من كانط يهتم شيلر اهتماماً بالغاً بوجود الشخصية الجمالية في الحياة العملية (وليس نظرياً)، تلك الشخصية التي يجسدها بوضوح في أبطال وبطلات المآسى التي كتبها شعراً مرسلأ. وهنا يطرح بحوية تفوق كانط كثيراً ما يراه حنوذاً على إمكانية اتصاف الشخصية الجمالية بالكلية المتجاوزة للزمان والمكان. (وهو مرة ثانية غير معنى بالترفة الدقيقة التي يشرحها كانط لتوضيح أن ما يعنيه هو افتراض الكلية لا الكلية في حد ذاتها) فيرى أولاً أن التجربة الجمالية هي أساساً ودائماً هبة من الطبيعة؛ أى أن بعض الناس لا يتمتعون بها إطلاقاً. (الخطابات ٢٢ و٢٦) إن الناس جميعاً خلقوا بالقدرة على الإحساس بجمال المظهر الخارجى لذاته فجميعهم يملك أعياناً وأذائاً وحواساً غير لمسية (وهو ما يمكن أن يكون شيلر قد أخذه عن نفاذ بصيرة كامس فى ذلك الموضوع). ولكن الشروط التاريخية والثقافية الأمثل وحدها (كما حدث فى اليونان) يمكن أن تجعل مثل هذه الإمكانيّة متحققة للجميع فيما عدا أقلية ضئيلة.

وينطوى حس شيلر التاريخى على اعتراف بأن اهتمامه بالتجربة الجمالية هو رد فعل صريح على فشل خطط الدولة العقلانية (الثورة الفرنسية) على تحسين وضع الإنسان بقدر حقيقى وجاد. والمفارقة هنا تكمن فى اعتبار أن كمال التجربة الجمالية يقاس بالدرجة التى تبعد فيها عن السياسية ولا تكون جزءاً من التربية النظامية التى ترعاها الدولة. أو يمكننا القول إن الرسالة الموجهة لمثل تلك الأساليب التعليمية هي

ضرورة تشجيع مساحة معينة يمكن للتجربة الجمالية فيها أن تقوم بعملها من دون أن تنطبق عليها المعايير العامة للمساءلة والإنتاجية. وبمعنى آخر فالتجربة الجمالية تصبح مفيدة؛ إذ تبعد بقدر الإمكان عن التعرض للمطالب النفعية<sup>(١٧)</sup>.

ربما تكون الفائدة الكبرى للتجربة الجمالية هي الحفاظ على صورة الاكتمال أو تجربة للاكتمال في عصر الانقسامات: انقسامات داخل النفس وكذلك تقسيم للعمل الذي تتشبه به النفس في هويتها المعاصرة، كما يرى شيلر في رسالة ٦. وهذه الوظيفة التعويضية الضمنية أثر كانط عدم مناقشتها؛ إذ إنها تهدد وضع التجربة الجمالية في علاقة مع القوى التاريخية الأكبر وهو ما يهدد وضعها البادئ في التكون كعنصر خارج الزمان والمكان. كما أنها يمكن أن تكون نذيرًا بوضع التجربة الجمالية نفسها في سياق تاريخي، وهو ما لم يكن اليونانيون، كما يشير شيلر ضمناً، بحاجة إليه، أما نحن فيمكننا إبقاؤها على قيد الحياة كمفهوم وحسب يتحقق عن طريق بعث نقدى واع بذاته. إن هذا البعد التعويضى لتتقيف الذوق كان واضحاً بجلاء لدى أديسون وستيل (مجلة سبكتينور) ولكنه كان معادياً بوضوح لصياغة علم جمال فلسفى خالص. ويسهل اليوم أن نرى كيف أن جزءاً كبيراً من الجدل حول عظمة تشوسر وشكسبير وسبنسر وميلتون المستمرة من عدمها كان مرتبطاً بمسألة الثقافة القومية وبانفتاح المساحة المتاحة لحق إبداء الرأى الأدبى والنقدى والتى كانت أوسع من تلك المتاحة على أساس الثروة والملكية وحقوق التصويت. فالمشاركة فى النقاش حول القيمة الأدبية كانت متاحة

(١٧) يمكن أن نجد بعضاً من أفكار كانط حول أساليب التعليم فى نقد الحكم ٦٠. ولأن كانط كان مهتماً بالتواصل فهو أقل تفرذاً من شيلر فى مفهومه لفائدة تتقيف الذوق. انظر أيضاً كتابات شيلر عن المسرح وخاصة

'Die Schaubühne als eine moralische Anstalt betrachtet' (1784).

وكذلك مقدمة كتاب:

*Die Braut von Messina.*

وعنوانها

'Über den Gebrauch des Chors in der Tragödie' (1803).

لكثير من الرجال ولكل النساء الذين لم يكن لهم قول في انتخاب من يمثلهم، ومن هنا فإن التأكيد على أهمية الإحساس بالمظهر الخارجى والتتزه عن الغرض واعتبارهما عناصر كافية للمشاركة فى هذا النقاش، كانت ولا شك مسألة تنظيم وضبط فى زمن كانت فيه المصالح بأنواعها والممتلكات العينية مقصورة على قلة محدودة.

ومن هنا يمكن القول إن التجربة الجمالية تؤدي وظيفة مراوغة، فهي من ناحية تؤدي وظيفة تعويضية تسمح لمن لا يملك فى الحياة الواقعية أن يمتلك شيئاً ما فى شكل الاستجابة للفنون الجميلة، ومن الناحية الأخرى تطرح نموذجاً ديمقراطياً وعاماً للذوق لا يكون للثروة أو الوضع الاجتماعى فيه أية أهمية.<sup>(١٨)</sup> ولقد أكد علم الجمال الفلسفى - صراحة أو ضمناً - على الوظيفة الثانية وإن حمل شيئاً من الأولى. ومن ثم فالتجربة الجمالية ليس لها "سياسات" واضحة أو واحدة ولا أثر تاريخى معروف مسبقاً. إن الدفاع عن المثال اليونانى الكلاسيكى، كما فعل شيلر وآخرون، هو دعوة لحالة من الحنين للماضى فى إطار حاضر غير مرضٍ، وهو كذلك دفاع عن صورة طوباوية لإعادة صياغة محتملة للمستقبل، صورة ناقصة ولكنها تظل أفضل من الموجود. إن التاريخ والوعى التاريخى الذى حاول كانط فى كل من كتبه الثلاثة النقد أن يزيحه لم يعد بالإمكان الابتعاد عنه. فهو يعود ليس فقط من خلال مجهودات شيلر وفخته لترجمة المثالية الترانسندنتالية إلى لغة القارئ العادى<sup>(١٩)</sup> ولكن أيضاً من خلال شيلينج وهيجل.

(١٨) انظر

Terry Eagleton, *The function of criticism*. London: Verso, 1984; and *The ideology of the aesthetic*. Oxford: Blackwell, 1990.

(١٩) انظر :

Simpson (ed.), *German aesthetic and literary criticism*, pp. 71-113.

ومع علم الجمال الفلسفي لشيلينج نكون قد انتقلنا تماماً من الفلسفة الترانسندنتالية إلى المثالية الترانسندنتالية. وهناك العديد من النتائج المترتبة على هذا التحول. ونكتفى في هذا العرض بالإشارة إلى أن شيلينج كان على استعداد للمضى أبعد من شيلر في نشر روح الاكتمال وما يدعمها من ميتافيزيقيا في مناطق كانت فلسفة كانط فيها إما مترددة (كالعلاقة بين الجمال والأخلاق) أو سلبية من حيث التمهيد (التمييز بين الأعمال الفنية والأشياء عامة واستجابتنا لها، والفصل بين العقل والحساسة، بين الظاهرة والشيء في ذاته noumena وبين الدين والفلسفة، وبين الإنسان والطبيعة). ويظهر من جديد سبينوزا ووحدة الوجود على الساحة الفلسفية، ويعاد صياغة (بل تشويه) الجزء الثاني من الكتاب الثالث في النقد لكانط وهو "نقد الحكم الغائي"، وذلك ليناسب فلسفة الطبيعة التي حاول كانط متعمداً أن يسبق إليها. وحده شيلينج دون شريك من الفلاسفة العظام جعل من التجربة الجمالية - على الأقل في مرحلة ما من حياته - العنصر الجامع في مذهبه، متمشياً مع روح الحكمة التي أطلقها فريدريش شليجل وصارت مثلاً، وذلك في "الشذرات النقدية"، رقم ١١٥، التي يقول فيها "كل فن يجب أن يكون علماً، وكل علم فناً، والشعر والفلسفة عليهما أن يصحبا شيئاً واحداً".<sup>(٢٠)</sup> ويظهر هذا في نظام الترانسندنتالية المثالية لـ ١٨٠٠، حيث تفضيل الفنون الجميلة على الفلسفة نفسها

(٢٠) انظر:

*Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the fragments*, Peter Firchow (trans), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press. 1971. p. 157.

نجد مناقشة مفصلة لأهمية هذه العبارة لدى:

Philippe Lacoue-Labarthe and Jean-Luc Nancy, *The Literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*. Philip Barnard and Cheryl Lester (trans). Albany, NY: State University of New York Press. 1988.

على أساس قدرة الفنون الجميلة، على إثبات وتجسيد وحدة العقل والطبيعة.<sup>(٢١)</sup> وما بين عامي ١٨٠٢ و ١٨٠٣ قام شيلينج بإلقاء مجموعة محاضرات ( لم تنتشر إلا في ١٨٥٩ ) حول فلسفة الفن تناول فيها بالدراسة العميقة التوتر ما بين التاريخي والمثالي أو المعياري (والذي أطلق عليه شيلينج "المطلق") وهو ما تجاهله كانط وأعاد شيلر طرحه<sup>(٢٢)</sup>. وهو يقدم طرحه في بلاغة تحسم إيجابياً جميع النقاط التي قدم فيها كانط طرحاً متشككاً أو غير نهائي. فيرى أن مثال الجمال موضوعي ويوجد في العالم في شكل أعمال فنية، والجمال والحقيقة متطابقان. ولكن شيلينج لا يدرج الأعمال الفنية العظيمة في إطار نموذج للتطور التاريخي، على العكس من هيجل الذي كانت محاضراته في علم الجمال في ١٨١٨ (والتي نشرت

(٢١) انظر:

Simpson, *German aesthetic*, pp. 1' 19-32.

والنص الكامل مترجم إلى الإنجليزية في:

Peter Heath, *System of transcendental idealism (1800)*, Charlottesville, VA: University of Virginia Press, 1981.

كما تجدر الإشارة إلى إحدى الشذرات القصيرة والتي من غير المعلوم بشكل مؤكد إن كان مؤلفها هولدرلين Holderlin أو هيجل أو شيلينج، وهي تعود إلى منتصف التسعينيات من القرن الثامن عشر وهي بعنوان:

'Das älteste Systemprogramm des deutschen Idealismus'

وقد كانت تلك الشذرة محل نقاش طويل في الدراسات الألمانية باعتبارها أول تخطيط للترانسندنتالية المثالية، وللرجوع للنص، انظر.

"The oldest system-program of German idealism", in *Friedrich Holderlin: essays and letters on theory*, Thomas Pfau (trans. and ed.), Albany, NY: State University of New York Press, 1987, pp. 154-6.

انظر أيضاً:

Rüdiger Bubner (ed.), *Das älteste Systemprogramm: Studien zur Frühgeschichte des deutschen Idealismus (Hegel-Studien, suppl. no. 9)*, Bonn: Bouvier, 1973.

(٢٢) انظر:

*The philosophy of art*, Douglas W. Stott ed. And trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press (1989).

يمكن الرجوع إلى التصدير الذي كتبه للكتاب وكذلك مقدمة المترجم لعرض واف لمحاضرات شيلينج.



لأول مرة في ١٨٣٥) أكثر تأثيرًا بكثير من محاضرات شيلينج. بل يرى أن ما هو حق وواقعي في الفن يظل كذلك في كل عصر ومكان وسوف يطرح عزرا بوند Ezra Pound هذه الفكرة ضمن بيان الحركة التصويرية) فتلك هي هوية الفن الثابتة الميتافيزيقية. وهذا ما يجعل باستطاعتنا تلقى الفن الإغريقي (الذي يمثل قمة التجربة الجمالية بالنسبة لشيلينج ولشيلر كذلك) كما هو فعلاً وكما كان وسيكون إلى الأبد. فطالما كان الفن فناً عظيماً فإنه يتجاوز التأثير (الجوهري) للمكان والزمان، حتى عندما يستحيل إنتاج هذا الفن مجدداً في مكان وزمان مختلفين (مثلما الحال في الثقافة المسيحية التي تعتمد على الفصل بين الزماني والأبدى) وشيلينج لا يعمل فحسب على أساس فكرة روح العصر Zeitgeist، ولكن على أساس نقطة مرجعية خارج التاريخ في روح المطلق Weltgeist وبسبب التكافؤ الأساسي لكل الفن العظيم في علاقته بالمطلق، فإن شيلينج لا يجد نفسه مضطراً لتفضيل ثقافة على أخرى أو فترة تاريخية على غيرها. وإن كانت بعض الثقافات تتيح أشياء لا تتيحها غيرها، ومن هنا نجد تفوق كاليدرون (والكاثوليكية) على شكسبير (والبروتستانتية) ولكننا لسنا بصدد تاريخ يسير بشكل تقدمي بالمعنى الهيجلي (والقومي) تاركاً وراءه الماضي في تقدمه نحو هدف في المستقبل، ذلك لأن المطلق قد تبدى في الأعمال الفنية العظيمة ولا يمكن أن تكون هناك نقطة تتجاوز المطلق الذي تحقق من قبل.

في مرحلة متأخرة من حياته انتقل شيلينج بعيداً عن علم الجمال وتوجه للدين وإلى "الأسطورة"، على حد تعبيره، ووجد فيها الطاقات المنظمة لمذهبه الفلسفي. ولكنه كان قد أسهم إسهاماً كبيراً في علم الجمال الفلسفي بمحاولته للجمع بين التاريخية والمثالية. ولم يكن التوجه التاريخي ولا الوعي التاريخي بالأمر الجديد؛ إذ نجد لدى هيردر خاصة وصفاً مفصلاً لتجذر الأعمال الفنية في الزمان والمكان، والدعوة لنقد تاريخي بدون فرض قيمة وبدون نظام تاريخي (سواء افترض هذا النظام التقدم مع

الزمن أو التأخر)، وهو ما يجعل منه مبشراً غير عادي لكل من التزم بشكل من أشكال المثالية<sup>(٢٣)</sup>. أما شيلينج فيريد الاثنين معا؛ فهو يقول على سبيل المثال إن دانتي تحكمه ظروف الحياة في العصور الوسطى المسيحية، وإن شكسبير تحكمه تلك الشروط الخاصة ببداية أوروبا الشمالية (البروتستانتية) الحديثة، بحيث يمكن قراءة الملامح الثقافية لكل فترة ومكان من خلال تلك الكتابات، ولكنه في الوقت نفسه يريد أن يحافظ على مكون عابر للتاريخ في الفن العظيم الذي يجسد المطلق، أما نقد هيردر الذي لا يقدم تقييما والذي يلتزم بالتاريخ فهو كما نرى يتوافق أكثر مع فهمنا المعاصر لما يجب أن نتبعه في قراءتنا للماضي، وإن كان ذلك الطموح في سرد "ما حدث بالفعل" قد حاصرت ضغوط متزايدة. ولكن ما يتضمنه نظام شيلينج من قيمة تراتبية يجعل بعض الأعمال نموذجية عن غيرها وبغض النظر عن الزمان والمكان، كان له من الجاذبية لدى نقاد الأدب ما يفوق غيره.

ولكن الشخصية المسيطرة في التراث المثالي لم تكن شيلينج بل كانت هيجل. ولن نجد في أي مرحلة من مسيرة هيجل لحظة يحتل فيها الفن الصدارة كما كان لدى شيلينج في كتابه نسق المثالية الترانسندننتالية. بالنسبة لهيجل فإن تطور العقل - الروح (Geist) الذي يحدث على مدى التاريخ الإنساني لن يكتمل إلا بعد أن يمر خلال الجمالي إلى دوائر الدين والفلسفة العقلانية والتي تجد تعبيرها الصحيح في النشر. وهو لا يعني أن البشر سيتوقفون ببساطة عن إبداع أعمال فنية؛ فغريزة الفن

(٢٣) انظر على سبيل المثال:

*Reflections on the philosophy of the history of mankind (1784-91)*, Frank E. Manuel (abridged and trans.), Chicago, IL: University of Chicago Press, 1968.

إن نسبة هيردر ليست مطلقة على الدوام، فهو يركز أساساً على أوروبا ونجد عنده بعض الأفكار حول التقدم عبر التاريخ. ومع ذلك فهو يؤكد بوضوح على الكمال الموجود في أزمنة أخرى وأماكن غير أوروبا.

كانت وستظل دافعاً أساسياً. وتلك الأعمال الفنية ستظل سجلاً لخصائص اللحظة التاريخية التي تنتمي إليها؛ بحيث تكون دراستنا للفن بمثابة دراسة للتاريخ أيضاً. وهنا يشترك هيجل مع شيلينج ومع كثير من النقد الأدبي اللاحق عليه في هذا التأكيد، ولكن (هيجل) يختلف عن شيلينج في أنه يعتبر أن اللحظة التي كان الفن فيها ممثلاً للعقل-الروح (Geist) على الوجه الأكمل هي لحظة تنتمي للماضي البعيد، إلى زمن اليونان القديم. هناك فقط قبل الثقافة المسيحية وروحانياتها وما تبع ذلك بالضرورة من وعى بالذات، كان يمكن للعمل الفني باكتفائه الموضوعي (وهنا يعد النحت النوع الأساسي) أن يكون ممثلاً ملائماً للعقل - الروح<sup>(٢٤)</sup>. ولقد مضى ارتقاء العقل-الروح الروح منذ ذلك الوقت في اتجاه الخروج من التشكيل المادي (والذي كان المعمار في عصور ما قبل الكلاسيكية أحد أشكاله الأكثر بدائية) والتوجه إلى التشكيل غير المادي. وأصبح الأدب بحكم ممارسته كتابة أكثر شكل فني مرموق في الزمن الحديث، ذلك الزمن الذي يعطى الأولوية للحياة الداخلية للوعي. ويظل هذا صحيحاً حتى مع تلاشي أهمية الفن نفسه في الزمن الحديث وعدم تشبع الفن بالدلالة التاريخية كما كان الوضع لدى الإغريق. وضمن الأدب الحديث نجد أن الشعر هو الشكل الأدبي الأول باعتباره أكثر الأنواع المتاحة بالكلمة تعبيراً عن الوعي بالذات والجانب الروحي للإنسان. وبخلاف الموسيقى يظل الشعر مرتبطاً بالشكل الخارجي ويمكنه بذلك أن يعبر درامياً عن المواجهة بين الشكل والروح، تلك المواجهة التي كانت من الأهمية بمكان بالنسبة لمفهوم هيجل عن الوعي الذاتي المتصاعد. نجد بالفعل الشعر الغنائي المكتوب في زمن هيجل على النقيض من المعمار، فالمعمار يعتمد اعتماداً تاماً على الشكل المادي بحيث لا يكاد يستطيع التعبير عن أي

(٢٤) العرض الكامل نجده في:

Hegel's Aesthetics: lectures on fine art. R. M. Knox (trans.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1975.

مضمون روى على الإطلاق. أما الشعر الغنائى فهو يقع فى مخاطرة التخلّى التام عن الجانب المادى والدخول تمامًا فى الجانب الروحى. وبما أن جوهر الفن هو التأليف ما بين المادة والروح فإن الشعر الغنائى يعدّ إيدانًا بالانتقال المحايث للعقل/الروح من دائرة الفن متجاوزة الجمالى.

وقد اشتهر عن هيجل تطويعه الحجج الفلسفية لتتناسب النماذج القومية الألمانية حول الدولة، وكثيرًا ما عرضه ذلك للنقد (يتضح ذلك فى كتاب فلسفة الحق) ويظهر التجلى الجمالى لذلك عن حقّ فى تمجيده الشعر الألمانى من ناحية، وكذلك فى خلق علم جمال يتبنى فى مجمله المركزية الأوروبية صراحة (وأكثر حتى منه عند شيلينج). فهو يعتبر المسيحية صاحبة الدور الحاسم فى تاريخ العالم، فمع زمن المسيحية جاء للعالم مبدأ الوعى بالذات، ذلك المبدأ بالغ الأهمية الذى يكتمل تحقّقه مع العقل/الروح المطلق. وبالتالي فإننا لا نجد عند هيجل إلا القليل من الاهتمام الجاد والعناية بالفن والثقافة غير الأوروبية، وهو الأمر الذى شغل شيلينج فى كتابه فلسفة الفن وفريدريش شليجل فى كتابه حول لغة الهنود وحكمتهم، (والذى نشر فى ١٨٠٨) وغيرها. فقد أدرج بلدان كالصين والهند فى مصاف التاريخ البدائى. وكان أحد أشكال التعبير عن ذلك الاستبعاد هو تفضيل اللغة القائمة على أساس الأبجدية، ذلك التفضيل الذى يشكل محور رواية هيجل للتاريخ وكأنه النص البروتستانتى المقدس برؤيته للعالم وقد امتدت على نطاق واسع. فالتقدم (التاريخ الحقيقى) لا يتحقّق إلا مع الوعى بالذات والخبرة الخاصة (غير الجمعية) مع النفس التى لا غنى عنها فى سبيل تعزيز ذلك الوعى. والكتابة الأبجدية تسهم فى ذلك بسبب بساطتها التحليلية وقيامها على أساس الحد الأدنى بحيث لا تتطلب من العقل إلا أقلّ التفات فى تجاوز صعوبات التمثيل المحض (تلك الصعوبات التى ستظل الكتابة بالعلامات التصويرية غارقة فيها) يتجاوز تلك الصعوبات إلى تأمل عمليات العقل ومن ثمّ إلى علم فى طريق تقدم كذلك. فالكتابة التى تحاكي الخارج (الكتابة

بالعلامات التصويرية) تنمى التبعية، ومن هنا جاءت فكرة أن المجتمعات الشرقية هي التربة الخصبة للحكم المستبد<sup>(٢٥)</sup>. وبنفس المنطق إذا كان الغرب متفوقا على الشرق بخلفه للأبجدية، فإن الكتابة هي الشكل الأكثر تفوقا ضمن الأشكال التعبيرية في الغرب من حيث التعبير عن وعى الروح بذاتها. (فالكتابة تتيح للمرء تلك الخبرة الخاصة مع النفس بل وتشجعها). وهنا يبدو غريباً أن يكون تفوق الشعر على غيره من أشكال التعبير الفني هو تحديداً بسبب أنه ليس أسمى الأشكال الفنية<sup>(٢٦)</sup>. قد نحسد الإغريق على متعة الجهل بالحياة الداخلية وتوحدتهم مع الشكل الطبيعي (كما يفعل شيلر)، ولكن عزاءنا هو الاقتراب أكثر من الروح المطلق المتخيلة في ذلك الشكل الفني المتلاشى أى الشعر. ولم يكن هيجل الوحيد الذى رأى محورية الشعر لما أطلق عليه هو نفسه (فيما بعد) الرومانسية، للفور يأتى شيللى للذاكرة ضمن تلك الكتابات بالإنجليزية، ولكن هيجل بالتأكيد كان الأكثر تفصيلاً ومنهجية فى عرضه لأسباب ذلك. أن فكرة أن الفترة الرومانسية كانت زمن الشعر وليس النثر ظلت قائمة على مدى القرن التاسع عشر وحتى بعد ذلك فى القرن العشرين. وربما يمكن القول إنها مازالت قائمة حتى اليوم.

ومثل شيلينج وشيلر لم يكن هيجل راضياً عن ازدواجية المنهج الكانطى، وهو المنهج الذى اعتبره نموذجاً أولياً وأصيلاً ولكنه للأسف مُقَيّد، ويُرجع الفضل لشيلر فى التثام الانقسام داخل العقل وتصحيح ما اعتبره كانط بذاتيته وإصراره "القلبية" الكانطية مؤكدة الذاتية (علم الجمال ص ٦٠-٦١). ولكن يظل هناك عنصر مهم فى علم الجمال الكانطى ثابت لدى كل المثاليين الذين لحقوه والذين اختلفوا معه فى أشياء

(٢٥) انظر

Lectures on the philosophy of history: J. Sibree (trans.), New York: Dover, 1956. Part 1. "The Oriental World".

(٢٦) قارن ٥٣ فى نقد الحكم.

أخرى كثيرة؛ ذلك العنصر هو الإصرار على الاستقلالية الكاملة لحكم الذوق والجمال عن أى غرض أو رغبة. وهذا الاتفاق يؤكد ولا شك مدى التهديد الذى استشعره أولئك الساعون للتعبير عن مكان للقيمة الجمالية مع نهاية القرن التاسع عشر من قوة الرغبة والغرض، والغرض، فى وسط علماء الاقتصاد السياسى - يرتبط بمزيد من تقسيم العمل البادى فى اقتصاد التحديث (والتوسع السكانى). وكان الشعور هو أن التخصص فى مكان العمل سينتج تخصصًا فى العقل بحيث لا يستطيع الشخص الذى تدرب على مجموعة محددة من المهام ومن طرق التفكير أن يظل منفتحًا للمتعة والاستجابات المختلفة والمتنوعة. لقد كان تهديدًا موجهًا لتفتح العقل نفسه. لقد رأى شيلر حوله ثقافة تتكون من شظايا للطبيعة الإنسانية، وقدم وريزورث نظريًا ما ترتب على ذلك لقراء الأدب فى مقدمته لديوان حكايات غنائية عام ١٨٠٠؛ حيث يصف سكان المدنية "موحدى الوظائف" التى تجعل منهم أناسًا غير قادرين على أى متعة سوى تلك المتعة الغارقة "فى الإثارة العنيفة والمبتذلة"، والتى يلجأون إليها هربًا من الرتابة والاعتراش<sup>(٢٧)</sup>. وعلى نفس المنوال عبر صموئيل جونسون عن قلق على اللغة الإنجليزية خشية انتشار المفردات الخاصة التى جاءت مع الاقتصاد التجارى الدولى والنمو المتزايد للأعمال والمهام المختلفة تقنيًا والذى سينتج بالضرورة مفردات تبتعد أكثر وأكثر عن اللغة العادية وتدرج المزيد والمزيد من المصالح المهنية المحدودة.

وبذلك كان لدى كائط واجب تاريخى وثقافى وملح وقوى يعمل داخل تعريفه للجميل على أنه ذلك الذى يمنح المتعة بغض النظر عن أى غرض. ومع كل ما حملته الحياة المعاصرة من تقسيم البشر بعيدًا عن بعضهم (بما فى ذلك تقسيم العمل بين الجنسين الذى قامت بتحليله ونقده مارى فولستونكرافت

(٢٧) انظر:

*The prose works of William Wordsworth*, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (ed.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974, I: 128

(Mary Wollstonecraft) وقعت التجربة الجمالية تحت ضغط من كافة الجوانب؛ إذ أصبحت إحدى المواضيع القليلة (إن لم تكن الموضوع الوحيد) الذي يسعى الإنسان فيه إلى إجماع ما بين البشر (كما كان الأمر لدى كانط نفسه) أو يفترض ذلك الإجماع أو يتخيله. ولقد ظل هذا التأكيد محوريًا في كتابات شيلر وكتابات هيجل. والمصلحة (أو الغرض)، ذلك التجلي النفسى للاقتصاد المعتمد على تقسيم العمل، ليست الشيء الوحيد الذى يجب على الإنسان أن يلغيه فى التجربة الجمالية، بل يجب أيضًا أن يلغى الرغبة، ذلك الدافع الجسدى النفسى للامتلاك والسيطرة والاستحواذ، الذى كان حتى قبل تقسيم العمل أساسًا للطبيعة الإنسانية وللعقد الاجتماعى والجنسى. ومن هنا تصبح التجربة الأصلية للفن تجربة تحرر ليس فحسب من قيود العمل الوظيفى ولكن من الحاجات الملحة فى الطبيعة الإنسانية ومن الحياة العملية للشخص ذاته فى العالم. هذا هو المكان الذى يحتله الفن فى كتابات شوبنهاور الذى عارض هيجل معارضة عنيفة ولكنه اتفق معه ومع كانط فى ذلك الإيمان الأساسى بكون الفن (والتسك كذلك) مخرجًا من الخضوع لتحكمات عالم محكوم فى كل جوانبه الأخرى بإرادة خارجة عن مجال المعيار الأخلاقى ولا سيطرة لأحد عليها<sup>(٢٨)</sup>. وعند هذه النقطة تلتقى الرؤية التشاؤمية لشوبنهاور والرؤية التقدمية لهيجل للتأكيد على التحرر من الرغبات فى تجربة الجمال.

ولكن يصعب تصور ظهور إجماع مماثل فى النقد الأدبى الرومانسى فى بريطانيا. فمن بين الكتاب الكبار، وحده كولريدج هو الذى حاول الانخراط الكامل فى الفلسفة الألمانية، وهو انخرط كانت محصلته محل خلاف دائم سواء بين نقاد ذلك الزمن الذين أرجعوا كل ما لدى كولريدج من إبهام وصعوبة إلى الفلسفة الميتافيزيقية الألمانية، أو بين النقاد والكتاب الأحدث الذين حاولوا تحديد ما استقاه كولريدج من المصادر الألمانية وما قام بانتحاله أو تعديله من مصادره

(٢٨) انظر

The world as will and representation. E. F. J. Payne (trans.), 2 vols., New York: Dover, 1969, vol. I, SS 36ff.

الألمانية<sup>(٢٩)</sup>. وكثير مما أثار مشكلات لدى القراء المتحدثين بالإنجليزية في السيرة الأدبية كان مستقى من شيلينج، رغم أنها اقتباسات غير مباشرة بدرجة يصعب معها أن نستشف منهجا ينتمى لشيلينج في ثنايا كتابات كولريدج<sup>(٣٠)</sup>. لاشك أن أفكار كولريدج حول كمال العمل الفني والوحدة العضوية وغيرهما من الموضوعات المتعلقة بعلم الجمال، كلها متأثرة تأثراً واضحاً بالمثالية الألمانية، وإن كان من غير المقبول أن نقصر التأثير على كولريدج على هذه المصادر. لقد أسهم في تكوين عقل كولريدج أكثر من تراث والعديد من الكتاب والفلاسفة بحيث يصعب حقاً أن نحدد بثقة مصدر فكرة ما أو تركيز على أخرى. وعلى سبيل المثال لا يقدم كولريدج أى صياغة للعنصر التاريخي من فلسفة علم الجمال لدى شيلينج، وهو الجانب الذي نكاد نجزم أن كولريدج لم يكن على وعى به، (انظر السيرة الجزء الأول: ص ١٢٠ و ١٢١) ولكنه لا يقدم كذلك مسألة الصدارة الفلسفية للفن على المطلق كما تظهر في كتاب شيلينج النسق، والذي كان كولريدج على معرفة به. وتبدو مسألة الالتزام بالشكل العضوي والتي تميز نقده لوردزورث في السيرة معتمدة اعتماداً كبيراً على روح الفلسفة المثالية، ولكن هذا المفهوم نفسه كان محل إشكالات بين كانط وشيلينج. (انظر مقال جول بلاك في الكتاب الذي بين أيدينا). ومع ذلك ففكرة الشعر الذي يعيد "روح الإنسان كاملة

(٢٩) هناك مجلدات من الأدبيات حول هذه القضية. وكبداية يمكن الرجوع إلى :

Gian N. G. Orsini, *Coleridge and German idealism: a study in the history of philosophy*. Carbondale, IL and Edwardsville, IL: University of Southern Illinois Press, 1969; Norman Fruman, *Coleridge, the damaged archangel*, New York: Braziller, 1971; and Thomas McFarland, *Coleridge and the pantheist tradition*, Oxford: Clarendon Press, 1969.

لبيلوجرافيا مفصلة يجب الرجوع إلى الأعمال الكاملة لصامويل تايلور كولريدج (تحت الطبع).

*Collected works of Samuel Taylor Coleridge*. Kathleen Coburn et al. (eds.)

(٣٠) ورغبة في أن نكون أكثر تحديداً يمكن الرجوع إلى تعليقات المحررين. انظر على سبيل المثال تفسير المحررين للفرق الشهير بين الخيال الأولى والثانوى في:

*Biographia literaria*, James Engell and W. Jackson Bate (eds.), 2 vols., Princeton University Press, 1983, I: 304-5.



للفاعلية" (الجزء الثاني ١٥-١٦) التى ستتردد (مرارًا وتكرارًا) فى كتابات النقاد بعد كوليريدج من أمثال أرنولد وريتشاردز وليفيز يبدو أن كوليريدج استقاها من أعمال شيلر وشيلينج.

ويعنى آخر فكليريدج لم يكن ليجد هذه الفكرة فى كتابات كثيرة ممن سبقوه مباشرة فى بريطانيا؛ إذ كانت الروح عامة آنذاك ما زالت روح الخبرة والتجريب العملى. فعندما يكتب هيوم عن الصعوبات التى تواجه تعريف مقياس للذوق، فإنه يؤكد على تلك المشكلات التى تحكم التوحيد القياسى للشروط التجريبية، وإن كان تكرار الشروط التجريبية المترابطة ببعضها يجعل من الممكن تدريب الذوق واختباره من خلال عامل الزمن<sup>(٣١)</sup>. إن هيوم يناقش الذوق فى علاقته "بأشكال وخصائص" الأشياء (ص ٢٣٣) مستعينًا بمفردات لوك وبويل. ونجد نفس اللغة فى كتاب أرشيبالد أليسون مقالات حول طبيعة الذوق ومبادئه (إدنبره ١٧٩٠) حيث نجد دفاعًا عن فكرة الفقرة المسيطرة لتداعيات المعانى فى أحكام الذوق، جنبًا إلى جنب فى تنافر مع دفاع عن العلاقة بين الأحكام اللانقة و"المشاعر البسيطة" والنّى استقاها أليسون من الصفات الأولية لدى لوك وبالتالي من الأشياء فى ذاتها. وقد كان مصدر ارتياح بالنسبة لهيوم وبليز، ومن قبلهما كذلك بوب وجونس، إمكانية الاعتماد على تكرار التجربة للتأكيد على حقيقة مسألة بعينها، ومن هنا كان استمرار بعض الأعمال الفنية على مدى فترات تاريخية ممتدة، والإشارة هنا إلى أعمال هوميروس وفرجيل بالأساس، دليلاً على وجود مقياس واحد للذوق. وهم غير معنيين هنا بإعادة "روح الإنسان كاملة للحياة" ولا هم معنيون بالعلاقة بين الأعمال العظيمة والهوية الميتافيزيقية التى يمكن أن تتجلى

(٣١) انظر:

David Hume, 'Of the standard of taste', in *Essays moral, political and literary*, Eugene F. Miller (ed.). Indianapolis, IN: Liberty, 1985, pp. 226-49.

من خلال تلك الأعمال. لقد كان دخول دراسة الأدب إلى الجامعات وإلى النظام التعليمى عامة مدفوعاً أساساً من أولئك المتمرسين على الدراسات البلاغية و"الأدب الرفيع"، أما إمكانيات علم الجمال من الناحية الفلسفية فلم تكن تحظى إلا باهتمام قلة محدودة. وكان آدم سميث الذى طرحت محاضراته فى جلاسجو كأساس لتطوير النقد الأدبى الأكاديمى، أقرب إلى عالم بلاغة منه إلى فيلسوف ميتافيزيقى، ويمكن القول إن اهتمامه كان اهتماماً بالأمر المباشر كمشروعه لتكوين مواطنين إنجليز من سكان إسكتلنده، ولم يكن لديه أية طموح لإعادة كتابة للفلسفة أو علم الجمال<sup>(٣٢)</sup>.

أما ما يؤكد أنه أو يطرحه العديد من هؤلاء الكتاب البريطانيين هو وضع أحكام الذوق فى مكانها فى السياق التاريخى والاجتماعى. بالنسبة لهيوم (كما بالنسبة لشيلر) يظل الذوق الجيد ملكية مقتصرة على النخبة. فقليل من الناس يمكنهم تخطى انحيازاتهم الثقافية والشخصية إلى الدرجة التى تجعل بالإمكان الاعتماد على أحكامهم ("حول معيار الذوق" ص ٢٤٣) وبالتالي فإن البحث فى علم الجمال هو دائماً ما يكون بحثاً فى الظروف التاريخية والاجتماعية. إن الذوق الجيد على المستوى التزامنى صفة للثقافة المهيمنة، وقوة قادرة على نشر المدنية والانضباط الاجتماعى (كما هو الحال عند كامس)، أما على المستوى عبر الزمنى (diachronically) فالفن والأدب سجل لحالة الثقافة نفسها فى أزمنة وأماكن مختلفة. وكما رأينا فإن كانط لم يكن مهتماً بتحليل الأدب فى حد ذاته كتعبير عن الانحياز الأيديولوجى، الأمر الذى يضعه على الجانب الآخر من

(٣٢) انظر:

Robert Crawford. *Devolving English literature*, Oxford: Clarendon Press, 1992.

ويليام هازليت الناقد الأدبى البريطانى الأعظم فى ذلك الوقت، الذى أطلق على منهج كانط أنه "أقصى درجات العبث المتعمد والمفرع التى اخترعها الإنسان" (٣٣).

ومن هنا نجد أن الصياغة الترانسندنتالية فيما بعد كانط للتجربة الجمالية إما كمقولة تتجاوز العالم أو تجسد العالم كانت ميراثاً من الخلاف داخل النقد الأدبى. فهى صياغة تدفعنا لاعتبار تجربة الأدب غير مؤثرة أو لا فائدة منها كما يطرح بعض أصحاب النظرية النفعية المتطرفين. وفى نفس الوقت تطرح عدم النفع هذا تحديداً باعتباره مفيداً لثقافة غارقة فى انشغالها بالاستحواذ وبالإنفاق. وبهذه الطريقة تعيد صياغة طاقتها التاريخية فى شكل دافع ضد حركة التاريخ. وهو التناقض الذى عمل عليه شيلر، وشيللى فى "دفاع عن الشعر"، ووردزورث فى مشروعه إلغاء التمييز بين العمل والترفيه عن طريق إبداع جديد للمتعة مثمر ومشحون بالطاقة. وبهذا التصور للمشروع الجمالى استحال حل مسألة إتاحة الفن للعامة أم للخاصة، وظلت القضية مثار جدل عنيف على مدى تاريخ النقد الأدبى اللاحق للرومانسية. ويكاد يكون من ضمن تعريف التجربة الجمالية أنها لا يمكن أن تتحقق فى ظل ثقافة تلتزم بمزيد من تقسيم العمل وقد وصلت فى ذلك إلى نقطة اللاعودة. ولكن هذا تحديداً هو ما يجعل من التجربة الجمالية ذلك الشئ الثمين والضرورى؛ إذ يستطيع بعض الناس أن يعيشوا هذه التجربة أصلاً. بأن يصبحوا متخصصين فى الإبقاء على عقيدة الاستجابة غير المتخصصة. وبهذا يكون دور التجربة الجمالية بالضرورة دوراً يوتوبياً وتحررياً. وهو دور سيتعرض حتماً لسوء الفهم ولن يهتم به سوى الأقلية. كما أنه دور يتضمن بالضرورة الدعوة لحياة أفضل ومستقبل مختلف. كما أنه من المحتم أن يفرض على من يلعب هذا الدور (من كتاب ونقاد) عملية وعى بالذات صعبة

(٣٣) انظر:

*The complete works of William Hazlitt*. P. P. Howe (ed.). 21 vols, 1930-4: rpt New York: AMS Press, 1967, XVI: 123.

وتتسم بالصراع؛ إذ يواجهون المصير المفزع بأن يكون الفن والنقد أنفسهم مجرد أشكال من تقسيم العمل، وكأنها نشاطات لإمضاء وقت فراغ وترفيه في معارض مسموح بها، على سبيل التعويض (بل والتكامل) مع الثقافة الحديثة غير الإنسانية وغير الجمالية والتي تصبح كذلك بشكل متزايد مع تقدمها وتطورها. إن الفهم لتطور علم الجمال عند كانط وفي الفلسفة المثالية الترانسندنتالية يؤدي إلى تصور أن القضايا الحديثة حول الغاية والهدف من الفن لا تطرح بهدف الحل بل بهدف أن تتكرر وكأن ذلك من صميم تعريفها. وفي نفس الوقت فإن ذلك الدافع القسري في اتجاه الوعي الذاتي، و(بعد كانط) في اتجاه التحليل التاريخي بالإضافة إلى التحليل النقدي الوعي بذاته، يشير إلى أن هذه القضية نفسها لها تاريخ يمكن استدعاؤه لمزيد من التمهيد، مثلما لا يمكن لهذا التاريخ أن يترك الذات التي عاشت خلاله وخطت له.

## الفصل الخامس

### الطبيعة

بقلم: هيلموت ج. شنايدر

ترجمة: لميس النقاش

(١)

لعل فكرة الطبيعة هى الفكرة الأكثر إجمالاً وقدرة على استحضار مشاعر وأفكار من بين غيرها من الأفكار المرتبطة عادة بالحركة الرومانسية وفنونها. لا ينافسها فى هذا الدور سوى مفهوم إبداعية العقل البشرى وقدرة المخيلة الشعرية. وكلتا الفكرتين وثيقتا الارتباط. "فالطبيعة" الرومانسية هى أساساً مساحة من الخيال، يستدعى الخيال منها (أى من الطبيعة) بدوره أغلب صوره الجمالية. ويذخر الأدب والرسم الرومانسيان بتمثيلات للطبيعة النقية ومشاهد من البساطة والهناء، وإدراك صادق لظواهر جزئية من العالم الطبيعى، ورؤى جسور عن تتاغم الطبيعة ككل مع العالم الإنسانى. وهناك بالطبع كذلك خبرة الوحدة، والمغامرة فى التيه أو اليأس منه، والمناظر الطبيعية المثيرة للفرع والخوف؛ إذ ترمز إلى هجران روح ابتعدت عن مراسى العالم المألوف. لقد كانت الطبيعة بشكلها الخارجى هى الموضوع المفضل فى الفترة الرومانسية للتعبير عن تحرر الذات الإنسانية من القيود التقليدية للدين والمجتمع والولوج إلى الأغوار السحيقة للنفس. لقد صاحب ما واجهته الذات من حرية فرضتها على نفسها وشعور بالفقد للانتماء "الطبيعى"، تكوين عاطفى ثرى ومنقسم إلى أبعد الحدود، بنفس القدر الذى أوجد توقاً لا حدود له إلى تلك الوحدة والتتاغم المفقودين اللذين لم يزل صداهما يتردد بعد فى "الطبيعة".

وبالفعل يمكن تعريف الحركة الرومانسية في أوروبا ما بين ١٧٧٠ و ١٨٣٠ وتفسير وحدتها وخصوصيتها، رغم التنوع والاختلاف فيما بين أفراد الحركة وكذلك بين الوسائل والأنواع الفنية، والتواريخ، وأخيراً وليس آخراً بين مختلف القوميات وتراثها؛ على أساس النظر للحركة الرومانسية باعتبارها رد فعل جمالي، وتعويضاً عن الاندفاع المتسارع نحو التحديث. فقد تكونت الرومانسية وحنينها إلى الماضي في فترة شهدت تنامياً سريعاً في وتيرة التحديث في كل مجالات المجتمع والحياة ثقافياً وسياسياً وتكنولوجياً واقتصادياً، إلى آخره. ولقد مثلت الثورة الفرنسية ذلك الحدث الواحد العظيم الذي أخرج عملية التحديث الهائلة تلك إلى الوعي. وينطبق هذا خصوصاً على ألمانيا وإنجلترا، البلدين اللذين اتخذوا موقف المتفرج فانطلق فيهما جدل حول خصائص وأثار تلك الصدمة التاريخية التي شكلت قطيعة مع الماضي. وبالنسبة لمعاصري الثورة وبغض النظر عن ولائهم السياسية، وقد كان الكثيرون من الرومانسيين الأوائل بمن فيهم وردزورث وكوليردج وفريدريش شليجل بداية من أشد المعجبين بالمثل الثورية، قبل أن ينقلبوا على ما رأوه من تشوه دموى وخيانة لمسار الثورة، شكلت الثورة الفرنسية بالنسبة لهم انقطاعاً لا رجعة فيه مع النظام القديم وقدم مستقبل لم يتحدد بعد ولا يمكن التنبؤ به، حاملاً الوعود ولكنه في الوقت نفسه محفوف بمخاوف عميقة. وفي هذا الصدد بين القديم والجديد أصبحت "الطبيعة" كلمة السر المميزة والمعبرة عن الماضي المفقود وكل ما يمكن أن يجسده، لقد كانت كفيلة بخلق عالم سحري من الأمن والحماية تحكمه سلطة خيرة، فكانت بمثابة رمز لطفولة ثقافية.

عند منعتف القرن كانت الوحدة التي صاغها عصر التنوير بين "العقل" و"الطبيعة" باسم "التقدم" قد انفرطت، وبدلاً من أن تكون الطبيعة الأساس الوجودي المسلم به من أجل تقدم لا نهائي أصبحت تعتبر مهددة في جوهرها بسبب العقل البشري. ولكن هذا التحول العميق في المنظور لم يمثل تحولاً جذرياً عن قيم المذهب

الطبيعى لعصر التنوير بما فيه من تقدمية وكلية تتطبق على كل زمان ومكان، بل كان بداية إعادة تقييم دقيق لكل من العقل والطبيعة. فأصبحت "الطبيعة" موضع حنين وأشواق ملتبسة ومتناقضة ولكنها كانت أيضاً تملك الإمكانيات الضرورية لاستعادة العقل مرة أخرى تحت جناحيها، لقد مثلت الطبيعة بالنسبة للعقل قوة قبلية مما أعطاها وضع الذات كلية القدرة والشمول. ولكننا سنرى كيف أن القسمة الثنائية التقليدية بين "الذات" و"الموضوع" نفسها تم تقويضها فى المفهوم الجديد.

ويسبب هذا الدور الملتبس، يبدو مهما الرجوع للأصول الفكرية لتلك الفكرة ضمن النتائج الثقافية المترتبة على الثورة. وبداية، فقد أدرك المعاصرون أن "الطبيعة" كانت مثلاً مسترجعاً من الماضى، وشكلت تأملاتهم النظرية أساساً لعلم الجمال الرومانسى. وقد ارتبط عندهم اقتران الرومانسية والطبيعة بالوعى بالتحديث الذى بدأ فى الفن والشعر، وهو التحديث الذى امتزج الترحيب به والدعم له بقدر مماثل من الشعور بالخسارة. ونجد مع منتصف التسعينيات بحثين تأسيسيين، فى ذروة كلاسيكية فايمر Weimar فى ألمانيا، فقد سعى فريدريش شيلر مع الشاب فريدريش شليجل إلى تعريف فلسفى للفن المعاصر على خلفية تحولات ذلك العصر التى اعتبرها سبباً فى أن يصبح النموذج الجمالى الكلاسيكى قديماً ومهجوراً، وإن لم يكن أبداً أقل قيمة. والنصان "حول الشعر الساذج والشعر العاطفى" (Über naive und sentimentalische Dichtung, 1795) و"حول دراسة الشعر اليونانى"، (Über das Studium der griechischen Poesie, 1795-97) يمكن اعتبارهما الإسهام الأخير، ويمكن القول إنه الإسهام الأكمل فى الجدل فى أوروبا العلمانية حول المفاضلة بين القدماء والمحدثين querelle des anciens et des modernes. ويمنح كلا من الكاتبين الفنانين الإغريق والرومان المكانة الجمالية الأرقى لأن أعمالهم تظل ضمن حدود العالم "الطبيعى" المحسوس، فهم لم يكونوا بحاجة إلى عمل شئ سوى خلق المزيد من جمال ذلك العالم الحى. وفى المقابل كان على

المحدثين أن يقايضوا - رغما عنهم - الموضوعية التشكيلية لهذا الكون البديهي، بعالم أوجده العقل وصياغته المجردة وإشكالية التأمل الذاتى للعقل الذى يعكف على حياته الداخلية. ولكن ما كان يحسب خسارة على مستوى الكمال الجمالى كان مكسباً من ناحية المضمون الروحي. وطبقاً لذلك العزاء النظرى فإن الفن الحديث يعبر عن السعى اللانهائى للعقل البشرى نحو تحقيق إمكاناته. وفى خطوة حملت مزيداً من الالتفاف الجدلى والحاسم اعتبر شيلر وشليجل أن الظرف الحديث ضرورة من أجل أن يتمكن الإنسان من إدراك المرحلة الماضية من الفن الكلاسيكى. "فالطبيعة" كما عرفها القدماء تظهر بجلاء من منظور من فقدوها وأصبحت شيئاً يتوقون إليه، أو كما يقول شيلر أصبحت "مثالاً". ولم تقتصر هذه الفكرة الثاقبة على حدود الإطار المرجعى للجدل حول المفاضلة بين المحدثين والقدماء، إنما امتدت لتشمل القضية الفلسفية الأساسية الخاصة بإعادة بناء الماضى من منطلق الخيال المبدع. إن "الطبيعة" كموضوع جمالى - سواء كانت "الطبيعة" الكلاسيكية للقدماء، أو المناظر الطبيعية، أو الطفولة إلخ - تنطلق دائماً من افتراض الغياب والفقد، وهى مختلفة اختلافاً لا يحى عن الذات العاقلة التى تسعى تحديداً إلى إلغاء هذا الاختلاف، تسعى إلى هويتها وتجليها ووضوحها كوجود خالص.

لقد نسب شيلر هذا المنظور المبني على الاختلاف إلى مفهومه "العاطفى" والذي لا يحمل ذلك الاختلاف، ويقابله عنده الموضوع "السادج" الذى يخلقه. وقد كانت هاتان المقولتان "السادج" و"العاطفى" بتناقضها الجدلى عاملاً محورياً فى تشكيل الرؤية الذاتية الحداثية للرومانسيين الألمان الأوائل وفى تطوير خطاب علم الجمال الفلسفى التاريخى. هذا بالإضافة إلى ما شكله من إضاءة للأهمية المحورية لمفهوم الطبيعة فى علم الجمال الرومانسى والنظرية الأدبية الرومانسية، فتعريفهما للفن والشعر يعتمد أساساً على العلاقة بالطبيعة: "لقد كانوا (أى القدماء) يشعرون



على نحو طبيعي، أما نحن (المحدثون) فنشعر بما هو طبيعي *Natürliche*<sup>(١)</sup>. إن ما يخلق المثال العاطفي للطبيعة هو نقص أساسي في الذات في العصر الحديث وهذا ما يميز أيضاً وضع الفن الحديث ووظيفته عموماً. فعلى الفنان أن يكون دائماً، طبقاً لشيلر - "المحافظ على الطبيعة" - وهو ما يعنى بالنسبة لفنان العصر الحديث أن "يسعى للطبيعة المفقودة"<sup>(٢)</sup>. والفن الحديث - سواء كان الفن العاطفي أو الرومانسي - ليس إلا بحثاً حثيثاً ومستمرّاً عن ذلك الكل الشامل المفقود. وفي سياق المخطط الفلسفي التاريخي فإن هذا السعى يتوجه إلى هدف طوبائي ألا وهو استعادة الطبيعة عن طريق العقل في أقصى تطور له. فيمكن استبصار حضارة قادرة - في حالة كمالها النهائي - على تحرير الطبيعة من وضعها كموضوع للسيطرة، ورفعها إلى مصاف الشريك والصدیق. إن التحرير الطوبائي للطبيعة الخاضعة والمستباحة إيدان بالانتصار الأخير على الاغتراب في مستويات الحياة الإنسانية كافة.

وإذا ما انتقلنا من شيلر وشليجل في ألمانيا إلى وردزورث في إنجلترا، فإننا نجد في مقدمة ديوان حكايات غنائية ١٨٠٠ نصّاً على نفس القدر من الأهمية بالنسبة للرومانسية البريطانية، وتعريفاً مماثلاً للشاعر على أنه "الصخرة التي تحمي الطبيعة الإنسانية، المدافع والهامي، الذي يحمل أينما ذهب الحب والعلاقات الإنسانية"<sup>(٣)</sup>. وإن كان وردزورث لا يقدم بالضبط نقداً لاغتراب الحضارة الحديثة عن الطبيعة، بقدر ما يقدم تقييماً إيجابياً لقدرة الشاعر للتعبير

(١) انظر:

Friedrich Schiller, 'Über naive und sentimentalische Dichtung' (1795). *Sämtliche Werke*, Herbert G. Göpfert (ed.), Munich: Carl Hanser, 1960, v: 711.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١٢.

(٣) انظر:

William Wordsworth, Preface to *Lyrical ballads, with pastoral and other poems* (1802). in Stephen C. Gill (ed.), *The Oxford authors: William Wordsworth*, Oxford and New York: Oxford University Press, p. 606.

الكامل عن "الطبيعة الإنسانية". أما نقده المباشر فقد كان موجهاً إلى البلاغة اللغوية للتراث الكلاسيكي الجديد، والذي كانت حيله بحاجة إلى أن تتزاح وتفسح المجال "للغة الواقعية للطبيعة". وهو ما يستدعي للذاكرة الثورة على الشعر الرسمي لعصر التنوير في ألمانيا على يد حركة العاصفة والاندفاع في سبعينيات القرن الثامن عشر، التي أطلقت الصراع بين التعبير الطبيعي للإبداع غير المصطنع من ناحية و"التزييق الكاذب" في الفن والبلاغة. وبعد ذلك بعشرين عامًا هاجم شيلر مثال التعبير المباشر، وأخذ على روسو وشعراء الطبيعة اختيار طريق سهل للهروب، وتجنب أعمال العقل. فبالنسبة لمثالي فايمر Weimar، يجب على شعر الطبيعة الحقيقي ألا ينصاع إلى الرغبة الارتدادية ولكنه عليه أن يطمح إلى أعلى "مثال" للعقل، الذي لاغنى له أبدًا عن البيان الراقى والتمثيل الرمزي<sup>(٤)</sup>. ومن هنا لو كان لشيلر أن يتعرف على دعوة وردزورث للغة شعرية بسيطة (وما كتبه تطبيقًا لتلك الدعوة) لكان قد عارضها واعتبرها دعوة لحركة طبيعية فجأة. (وينطبق نفس الكلام على جوته الذي كان منذ زمن قد ابتعد كثيرًا عن الفترة المبكرة لعمله فرتر).

وتبدو "الكلاسيكية" الألمانية في غير محلها تاريخيًا بالمقارنة بإنجلترا وفرنسا. فقد كان باستطاعتها الجمع بين الشكل الكلاسيكي والمضمون الحديث عن طريق التحول الحاد ضد الاتجاهات "النثرية" السائدة في ذلك العصر. وقد أمدت تلك المهمة المستحيلة للدمج بين القديم والحديث المشروع الكلاسيكي طابعًا بنائيًا تضمينيًا. وشارك "الرومانسيون" الألمان الأوائل متحلقين حول الأخوين شليجل في هذا الجدل، وإليه ترجع تلك الدرجة العالية من الوعي الذاتى بأنفسهم "كمحدثين"، والحقيقة أن هذا كان أحد أسباب الرافد النظرى المميز للحركة في ألمانيا. ولكن الاختلافات بين

(٤) نخص بالذكر هنا مقالاً يشمل مراجعة لشاعر معروف في ذلك الوقت من كتاب شعر الطبيعة، ويضىء كثيرًا من جوانب هذا التسامى للطبيعة:

Friedrich Schiller, 'Über Matthiasons Gedichte' (1794), in *Sämtliche Werke*, vol. v.

القوميات المختلفة لا يجب أن تعمينا عن نقاط الاتفاق الأساسية. فإن كان صحيحاً أن وردزورث لم يكن على الإطلاق ينتمى للمثالية التاريخية الفلسفية، إلا أن شعرية "الدفاع عن الطبيعة الإنسانية" التى قدمها تظل حديثة؛ فالشاعر مدعو للانضمام "لرجل العلم" لبث الحياة فى نتائج المعرفة المجردة. فالتعاطف الشعرى مع الطبيعة لا ينأى عن التحليل العلمى، ولكنه يعترف به ويجعله مرتبطاً على القلب والروح. ومن خلال اللغة "البسيطة" للشاعر "تتحول" النتائج التى توصل إليها العلم إلى رابطة عالمية للمجتمع الإنسانى. وعلى المستوى العاطفى والفردى، وليس "الارتدادى" بأى حال من الأحوال، يتخذ الشعر صفة تصالحية تقترب من المفهوم الطوبائى للمنظرين الألمان.<sup>(٥)</sup>

لقد أراد الكتاب الرومانسيون جميعاً الحد من غربة الإنسان عن الطبيعة. فى أواخر التسعينيات من القرن الثامن عشر عبر الكتاب الألمان والإنجليز - كل على حدة - عن اعتراضهم على العقلانية الأحادية التى باعدت ما بين البشر وبين حياتهم الداخلية والعالم الخارجى وبين بعضهم بعضاً. لقد كان رينيه ويليكن على حق حين رأى منذ عقود أن وحدة الرومانسية الألمانية والإنجليزية والفرنسية وانسجامها الداخلى يركز على "السعى لتجاوز الانفصال ما بين الذات والموضوع، وما بين الذات والعالم، وما بين الوعى واللاوعى"<sup>(٦)</sup>. ومن هذا المنظور تبدو الرومانسية وكأنها تصحيح للمسار الذى اتخذه التاريخ الفكرى الأوروبى منذ عصر النهضة وعملية التحول الدعوى للعلمانية والعقلانية. تلك العملية التى اكتسب فيها الإنسان الفرد استقلاله عن الله وعن ممثليه فى الأرض

Wordsworth. Preface, pp.606ff.

(٥) انظر:

(٦) انظر:

René Wellek, 'Romanticism re-examined', in *Romanticism reconsidered: selected papers from the English Institute*, Northrop Frye (ed.), New York & London: Columbia University Press, 1963, p. 133.

عن طريق إخضاع الطبيعة. ولقد شعر الشباب المثقف مع بداية القرن التاسع عشر - ذلك الشباب الذي اكتسب ثقافته مع استقرار الروح العقلانية لعصر التنوير - أن ثمن هذه الحرية كان باهظاً للغاية. وعندما كان مفترضاً طبقاً للوعد الديكارتي أن يصبح الإنسان "سيد الطبيعة ومالكها"، وجد الإنسان نفسه مواجهاً بعالم تم ابتذاله إلى أن أصبح آلياً وبيلا روح، ولم يعد للإنسان من دور سوى أن يكون الأداة التي تتلاعب بذلك العالم. ومن هنا كانت "الطبيعة" بالنسبة لكانط - الذي جاء بعد ديكارت بقرن ونصف وتبع السعى الفلسفي لديكارت في الفصل بين العقل والمادة - كانت لا تعنى سوى "وجود الأشياء كما تحددها القوانين العامة"<sup>(٧)</sup>. وعندما قرأ جوته في شبابه مع أصدقائه في السبعينيات كتاب هولباخ *Systeme de la nature, Holbach* نظام الطبيعة وجدوه مثيراً للكآبة بسبب نظريته المادية "الميتة والبشعة"، فقد وجدوا في دراسته غير ما تمنوه "من شمس ونجوم، وكواكب وأقمار، من جبال ووديان وأنهار وبحار، وكل ما هو حي متفتح فيها"، بل رأوا أنفسهم في ظلمة الإلحاد الموحشة؛ حيث لا وجود لكل ما في الأرض من أشكال وكل ما في السماء من أجسام"<sup>(٨)</sup>. ونجد نفس الإحباط يتردد في الجيل اللاحق في ملاحظات لا تحصى حول الطبيعة والحياة الإنسانية التي تحولت إلى رتابة آلية مهددة بالموت الوشيك إن لم تبعث للحياة بروح جديدة منسجمة مع روح الإنسان.

(٧) انظر:

Immanuel Kant, *Prolegomena zu einer jeden künftigen Metaphysik, die als Wissenschaft wird auftreten können*, § 14, in *Werkausgabe*, Wilhelm Weischedel (ed.), Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1977, p. 159.

(٨) انظر:

Johann Wolfgang Goethe, *Aus meinem Leben: Dichtung und Wahrheit*, Klaus-Detlef Müller (ed.), Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1986, p. 535 (Part iii, Book xi).

إن "الجيل الرومانسي" - ومصطلح الجيل بمعناه الدقيق كمقولة سيكوسوسيولوجية يمكن تطبيقه هنا لأول مرة في تاريخ الفكر - كان عليه مواجهة ما اعتبره المحصلة البائسة للروح الحديثة للتحليل العلمي والمراجعة النقدية العلمانية والمذهب النفعي. وفي نفس الوقت لم تكن أبداً العودة إلى عالم ما قبل التحديث خياراً مطروحاً. بل إن الحل الرومانسي لما أصاب العالم الحديث من "فقدان للسحر" (كما سيطلق عليه ماكس فيبر لاحقاً) هو استعادة سحر العالم بالشعر. لقد كان من الضروري استعادة ما تبدد من أسطورة وسحر، واستعادة العلاقة التي قُطعت ما بين الإنسان والطبيعة بواسطة وسائل جمالية. وكان استقلال الفن، ذلك المفهوم حديث التأسيس، هو الأساس، ولم يكن يفهم منه أن التجربة الجمالية حبست نفسها في حدود متواضعة، بل إنها اعتبرت نفسها صاحبة الحقيقة "الأسمي" بشكل مطلق في كل المجالات الثقافية والاجتماعية بما في ذلك المجالات العلمية والسياسية. وفي إطار هذا النوع من التفكير كانت الوظيفة العامة لذلك التوجه من الفن للطبيعة هي التوكيد الوجودي بل والميتافيزيقي. إن إعادة الخلق السحري التي يقوم بها الشعر أو كما أطلق عليها الكتاب الألمان إضفاء الرومانسية على العالم لم تكن لتفضي إلى عالم الحكايات الخرافية الوهمي. إنما إلى اكتشاف إبداع الخالق الذي كان مدفوناً في الأرض. أو تفضي بالنسبة للرومانسيين إلى البدء في خلق جديد. فبالنسبة للتفكير الرومانسي فيما يخص الطبيعة يكاد الاكتشاف والاختراع أن يتطابقا. وهنا نصل إلى التناقض الأساسي في المشروع الرومانسي. فقد اعتبر أن الطبيعة في وضعها الحالي مشيئة ومستعبدة، فكان الابتعاد عنها لخلق عالم جديد من خلال العقل الذاتي غير المحدود والذي يمتلك قدرات أشبه ما تكون بالقدرات الإلهية، ومع ذلك يسعى إلى ما يطمئنه في النهاية من خلال التجاوز إلى الطبيعة "الحقة". وهو مشروع بدا أحياناً تقدماً وأحياناً أخرى رجعيًا على حسب المنظور ونقاط التركيز، ولكن بشكل عام، ورغم ما يغلف الأمر من نغمة محافظة، زادت قوتها مع تراجع الحركة - وخاصة في ألمانيا - على المستويين الفردي والجيلي، فإنها لم تكن حركة رجعية وكانت

طموحاتها في البداية طموحات ثورية. لقد ظل الرومانسيون الألمان الأوائل على وجه التحديد أبناء وبنات فلسفة عصر التنوير ونجمه الساطع كانط، الذي جمع بين شعور عميق بنواحي قصور العقل وبين مجهود مضن لتجاوز ذلك القصور على أساس استقلال العقل الذي حازه عن جهد وحق الفرد في التحقق الذاتي. وفي تسعينيات القرن الثامن عشر نجد إحدى الشذرات الفلسفية المهمة غير المعروف مؤلفها وإن ارتبطت بمجموعة الأصدقاء من طلاب توبنجن Tubingen شيلينج وهودرلين وهيجل، تعلن عن "أسطورة العقل" الجديدة الوشيكة<sup>(٩)</sup>. وكان على العقل المتحرر من الجسد أن يتجسد مرة أخرى في الشعر، ويستعيد الشعر الطبيعة التي تحولت إلى الآلية، ويتأسس مجتمع شعري ليس عن طريق الوحي الخارق للطبيعة أو للإنسان، ولكن كنتاج لعقل واع بذاته. ويدعو ذلك النص التأسيسي الموجز إلى تحرير العقل من تهديد قوى الخوف الأسطوري والضرورة الفيزيقية، وهو هم عصر التنوير، وكذلك من الدافع القسري القاتل للروح لاستعباد الطبيعة واستغلالها، حتى يمكن التواصل مع الطبيعة كشريك يقف على قدم المساواة. وبعد ذلك بقرن ونصف صاغ ثيودور أدورنو هذا المشروع الطوبائي بل الصوفي بروح تنتمي للرومانسية الأولى، وإن قلل من دور الذات المستقلة. التنوير الحقيقي هو ما يتجاوز الأدوات العقلانية عند بيكون في سبيل تحقيق التحرر ليس من العقل ولكن من أجل ما يشكل "الآخر" بالنسبة للعقل<sup>(١٠)</sup>. التنوير متحقق، كما يطرح أدورنو، سيكون "الطبيعة المدركة حسياً من خلال اغترابها"<sup>(١١)</sup>.

(٩) انظر:

*Mythologie der Vernunft: Hegels 'ältestes Systemprogramm' des deutschen Idealismus,*

Christoph Jamme and Helmut Schneider (eds.), Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1984.

واليوم هناك تصور جدى أن شيلينج هو مؤلف تلك الشذرة.

(١٠) انظر:

Theodor W. Adorno, *Ästhetische Theorie*, Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1970, p. 98.

(١١) انظر:

Max Horkheimer and Theodor W. Adorno, *Dialektik der Aufklärung: philosophische Fragmente*, Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1997, p. 57.

## (٢)

إن التصالح بين "العقل" - أداة الاستقلال الإنساني - و"الطبيعة" التي فصل نفسه عنها، أو استعادة الطبيعة عن طريق تطور ثقافي كامل، يمثل رؤية طوبائية، يعيد من ناحية الحركة الرومانسية إلى فكرة عصر التنوير عن التقدم التاريخي، ولكنه من الناحية الأخرى يستبدل بالتقدم الخطي المستقيم الشكل الدائري، أو بالأحرى الحلزوني للعودة إلى الأصل<sup>(١٢)</sup>. ولكن إذا كان العقل هو القوة الحاسمة في هذه العملية، فهل الدور المنوط بالطبيعة إذن هو محض دور سلبي؟ وكيف يمكن للطبيعة - وهي "الآخر" المستقل عن العقل الإنساني - أن تشارك في الكشف عن نفسها بتلقائية لذلك العقل؟ وكيف يمكن لصوتها أن يستعاد من حالتها المغترية؟

أما السؤال الأكثر حسماً فهو: ألا يمكن اعتبار العقل المبدع "الشعري" مجرد طريقة أخرى، أكثر حنكة وشمولاً، لممارسة سيادة الإنسان على الطبيعة؟ وهو ما يفضي بنا إلى الوظيفة الأساسية للشعر من توسط ومصالحة. لقد اعتبرت الفلسفة الألمانية المثالية الاغتراب الحديث خطوة جدلية ضرورية من أجل الوصول إلى تقدير وإحساس "أرقى" بالطبيعة، في حين اعتبر وردزورث وحلقته أن رهافة الحساسية لجمال الطبيعة وقيمتها المتعالية هي العدة "الطبيعة" للشاعر الحديث، وفي كلتا الحالتين كان الشعر، والفن بشكل عام ضمناً، يحظى بدور المدافع والبدل عن الطبيعة، المتحدث باسمها وبالنيابة عنها. وفي نفس الوقت كان دوره يتجاوز مجرد تمثيل البديل. لقد أصبحت "شعرية" الفن بالمعنى

(١٢) الدراسة التي تعد المرجع الأساسي في مسألة الشكل الدائري للعودة من الاغتراب والانقسام وما بعدها في الرومانسية الأوروبية هي:

M. H. Abrams, *Natural supernaturalism: tradition and revolution in Romantic literature*, New York & London: Norton, 1973.

الرومانسي المميز، في تحالف مع الطبيعة داخل عقل الإنسان نفسه. ومن خلال هذه "القوة الطبيعية" أصبحت الذات مرتبطة ارتباطاً حميماً مع العالم الخارجي حتى قبل أى نشاطٍ واعٍ. فهناك انسجام موجود مسبقاً بين العقل والطبيعة، على العقل أن يصيغه لفظياً ويصقله حتى يطور من إمكاناته الكامنة. يقول وردزورث في تناوله للطفل في قصيدته "استهلال" مقدماً صياغة للبرنامج: "لقد منحته [الطفل] المشاعر قوة/ سرت في ملكات الحس البازغ/ ومثل أداة العقل الواحد العظيم/ خلقت الخالق والمتلقى كليهما/ تعمل، ولكن بالتوافق مع عملها/ الذى تراه أمامها"<sup>(١٣)</sup>. أما "العقل الواحد العظيم" فهو بالطبع العقل الإلهي، وهو ليس العقل المنفصل عن الكل والذى يضع نفسه فى مواجهة هذا الكل، إنما هو الطاقة الإبداعية الشاملة والجامعة وتتمثل أدواتها وانعكاسها فى حساسية الطفل - أى الفنان ضمناً - وفعاليتها.

ومن منظور الكتاب الرومانسيين كان على الشعر أن يستعيد العقل الأصلى الجامع، والذى أطلقت عليه الفلسفة المثالية الألمانية مصطلح Geist، أو "المخيلة الأولية" التى وصفها كوليردج "بالأداة الأساسية لكل إدراك حسى إنسانى، وتكرار فى العقل المتناهى لفعل الخلق الإبداعى الأبدى للأنا اللامتناهية"<sup>(١٤)</sup>. وعلى الشعر أيضاً أن يطلق (مرة أخرى) عملية الصيرورة الأبدية التى تقف العقلانية الأدائية أحادية الجانب عائقاً فى سبيلها. فإذا كان العلم يشق "كالسكين الحاد" الطبيعة الصديقة" فيقتلها ولا يترك وراءه سوى "محض حطام

(١٣) انظر:

William Wordsworth, *The prelude* (1850), II: 255ff. *The prelude 1799, 1805, 1850: authoritative texts, contexts and reception. Recent critical essays*, J. Wordsworth, M. H. Abrams and S. Gill (eds.), New York & London: Norton, 1979, pp. 79ff.

(١٤) انظر:

Samuel Taylor Coleridge, *Biographia literaria* in *The Oxford Authors: Samuel Taylor Coleridge*, H. J. Jackson (ed.), Oxford & New York: Oxford University Press, 1985, p. 313.



ينتقض ويموت" فإن الشعر يعيد لها الحياة واللغة "كما لو كان من خلال شراب روى (geistvollen)<sup>(١٥)</sup>. و"الشعر" هنا لم يعد "الفن و"الصنعة" التي وضعها الكلاسيكيون في مقابل الطبيعة؛ بمعنى فرض نظام له بنيته على مادة في حالة من الفوضى. لقد دعت نظرية علم الجمال الأرسطية والتي سادت أوروبا منذ عصر النهضة، إلى محاكاة شكل النظام المتضمن في الطبيعة أو الذي وضعه الخالق فيها. فالفنان يتبع البنية المعيارية الموجودة أصلاً للعالم كما خلق أو يتبع الأعمال "الكلاسيكية" الأقدم محاكاةً نفس بنيته. إن "الطبيعة" التي روجت لها الجماليات الكلاسيكية لتكون نموذجاً للفن كانت هي الكون الذي خلقه الله ذلك العمل الفني الأعظم، وسيظل الفن الإنساني بالضرورة مشتقاً منه. ولقد ظل هذا النظام التراتبي بلا تغيير أساسي طوال القرن الثامن عشر. وظلت أبيات بوب الشهيرة "اتباع الطبيعة أولاً واجعلها الحاكمة لعقلك/ بمقياسها الحق، الذي لا يحيد"<sup>(١٦)</sup>. تشكل المعيار الوجودي بالإضافة للمعيار الجمالي، وإن كان في صورة معقلنة "تنويرية". لقد كان شعر وصف الطبيعة في عصر التنوير والذي كان منتشرًا في إنجلترا كما في ألمانيا وكان يعد شكلاً مهماً خرج منه لاحقاً الرومانسيون، قد سعى لخلق تصالح ما بين التجريبية البناءة للعلم الحديث والفكرة الموروثة عن الكينونة الميتافيزيقية الموجودة مسبقاً، وهي في شعر بوب مرة أخرى "الطبيعة غير الخطاء الساطعة، لا تزال بضوء إلهي/ واحد واضح لا يتغير في الزمان والمكان../ هو نبغ الفن ومنتهاه وحكمه". إلا أن الرومانسية تركت هذه الأرضية الميتافيزيقية، وحاولت في نفس الوقت أن تستخلص ما هو جذري في المقاربة العلمية الحديثة للعالم، وأن تجد بديلاً عن النظام الكوني المنهار ونسق

(١٥) انظر:

Friedrich von Hardenberg (Novalis), *Die Lehrlinge zu Saïs in Schriften*, Paul Kluckhohn and Richard Samuel (eds.), Stuttgart: Kohlhammer Verlag, 1960, I: 84.

(١٦) انظر:

Alexander Pope. "An essay on criticism", lines 68C. *Poetical works*, ed. Herbert Davis, London: Oxford University Press, p. 66 (الطباعة في الأصل تشدد على ملكة الطبيعة)

تماثلاته بين العالمين الفيزيقي والأخلاقي الذي يقدم العالم المادى وما يناظره فى العالم الأخلاقى. ولقد وجدت الإجابة فى ذلك المبدأ الجديد للإبداعية الإنسانية والذي كان متأصلاً فى الفاعلية العابرة للذوات والدينامية المتمثلة بقدر متساو فى العقل أو الروح Geist وفى "الطبيعة".

لقد ميزت الفلسفة الرومانسية بين ذات "مطلقة" وذات نسبية تنقسم بهدف التعرف على نفسها فتخلق العالم الموضوعى، عالم لا أنا. إن الفرضية الأساسية للفلسفة المثالية هى أولوية الوحدة المطلقة لأننا الترانسندنتالية على الانقسام بين الذات والعالم الموضوعى، وهى الفرضية التى يشترك فيها كل الممثلين الألمان للرومانسية المسبقة Fruhromantik بما فى ذلك هولدرين ونوفاليس والأخوان شليجل. وكانت "المخيلة" (أو Einbildungskraft اللفظ الألمانى الأكثر تفاعلاً والذي استحضره كوليردج) المعادل الشعري، والمبدأ الأساسى الذى يوحد الإبداع الروحى، والذي موضع نفسه (عن غير وعى) إذ فصل الطبيعة عن عقل الفرد، ثم عاد مرة أخرى إلى وحدتها الأصلية عن طريق الاعتراف الواعى بوحدة تلك الثنائية. إن المخيلة هى الوسيلة التى يواجه من خلالها العقل العالم باعتباره من صنع العقل نفسه، وكأنه "الخالق والمتلقى معاً". وهو ما أطلق عليه فريدريك شليجل "القدرة الموضوعية الكلية للروح الإنسانية"<sup>(١٧)</sup>. فالطبيعة إذن ليست مجرد إسقاط أو إنشاء من صنع العقل، ولا هى "ما وراء" غريب لا سبيل للوصول إليه أو فهمها؛ فكلتا الفكرتين تناظر طبيعة متصورة باعتبارها عكس العقل وخصمه والتى يطلق عليه الفهم أو العقل (Verstand أو Vernunft) وليس الروح Geist. وفى المقابل نجد الطبيعة شريكاً محباً ومتجاوباً تربطنا بها علاقة عميقة تفوق كل تصور، وإن ظلت تحتفظ باستقلالها الأساسى عنا نحن الكائنات المحدودة بعالم الخبرة الواقعية. ومن هنا تظل الطبيعة المتخيلة وسيطاً بين الذات

(١٧) انظر:

Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe. Ernst Behler (ed.). XII: 421 (from *Kölner Vorlesungen*, 1804).

والموضوع، بين الداخلي والخارجي، بين الفاعلية والسلبية، مساحة تتوقف فيها هذه الاختلافات عن الفعل أصلاً. و"المطلق" ذلك الذي بحكم تعريفه لا يمكن الوصول إليه، أصبح الوصول إليه ممكناً من خلال "الصورة". لقد كان شعر الطبيعة الرومانسي يرمز لهذا الإنجاز للمخيلة *Einbildungskraft* بصورة شعرية توحى بالانصهار المتميز بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، وربما تكون صورة "النسمات" أو الريح التي تعبر عن الطبيعة الحية مثلما تعبر عن إلهام الشاعر هي أهم تلك الصور<sup>(١٨)</sup>، بالإضافة لغيرها كآلة الهارب العولسي (إله الرياح)، والصدى، والشفق والحجاب و"التحويم" (*Schweben*).

ولكن كما يظهر من خلال هذه الصور فإن المخيلة فشلت في تقديم أرض صلبة تقف عليها بالذات. فعلى عكس المأمول لم يتمكن التعزيز اللامحدود للقدرة الإبداعية للعقل على درء شبح الأناوحدية الذي انتاب النفس في العصر الحديث منذ ديكرات بعد التمكن الذي حققته ذاتياً، بل إنه زاد من وطأة حضور ذلك الشبح، فقبل عصرنا هذا كان العقل المفكر والعالم المادي كلاهما مدينًا بوجوده لسلطة عليا مثل النومين عند كانط *numinous* "الأشياء في ذاتها"، سلطة تتجاوز القدرة الترانسندنتالية للمعرفة الإنسانية. وجاء الفلاسفة والشعراء الرومانسيون - أولئك الذين حملوا ميراث الانفجار في الإنتاج العلمي والتكنولوجي غير المسبوق، والذين تفتحو على ما بدا من إمكانيات لا نهائية لقدرة العقل على الإبداع - جاءوا ليعبروا عما بداخلهم من لوعة على انهيار محتمل لعالم صنعوه بأيديهم ولن يبق منه شيء. وقد صاغ جان بول ريشتر *Jean Paul Friedrich Richter* الروائي الألماني وصاحب النظرية العميقة في علم الجمال التي تضمنت نقداً (ذاتياً) للحركة الرومانسية في ١٨٠٤ *Vorschule der Asthetik*

(١٨) للمزيد راجع:

M. H. Abrams. 'The correspondent breeze: a Romantic metaphor', in M. H. Abrams (ed.), *English Romantic poets: modern essays in criticism*, New York, London and Oxford: Oxford University Press. 1960.

صاغ عبارة "العدمية الجمالية" ليشير لذلك الاتجاه<sup>(١٩)</sup>. ومن هنا جاء التآرجح الواضح بين طرفي النقيض "بين النشوة الإبداعية والاكتئاب العدمي، وهو ما عبرت عنه أعمال تلك الفترة؛ كالخطابات الأولى في رواية فترت لجوته في ١٧٧٤، الذي يمجّد بطلها القوة المانحة للحياة التي تعتم بصدره ثم ما يلبث أن يسقط في الفراغ لحظة أن تغادره تلك القوة، وعند كوليردج الذي يرثي في قصيدته "الكرب" "نحن لا نأخذ سوى ما نعطيهِ / وفي حياتنا فقط تحيا الطبيعة"<sup>(٢٠)</sup>. ونجدها أيضًا في الرؤى الشعرية الكابوسية لنهاية العالم عند جان بول، وفي رواية فرانكنشتين Frankenstein لماري شيلي، وفي نقد كيتس وهازليت "للأنانية" التي تستغل الجمال لدى وردزورث في تأملاته للطبيعة<sup>(٢١)</sup>.

ومرة أخرى نجدنا بصدد المفارقة الرومانسية الأساسية وهي "اختراع" الطبيعة أو "اكتشافها". لقد كان من الرومانسيين من أكد على أن ثمن اكتساب تلك القدرة الهائلة والمتزايدة في العالم الحديث قد يكون ارتدادًا إلى الإيمان الديني عن رغبة جارفة في اليقين الميتافيزيقي المفقود، ولكن الاتجاه الأساسي للرومانسيين كان في صالح تعزيز مبدأ الإبداع الإنساني غير المقيد للعصر الحديث وإعادة توجيهه. صحيح أن عالم الظواهر الموضوعي كان بحاجة إلى ما ينقذه من التقلب على يد العقل الأداتي، ولكن ذلك العالم بلغ مكانته الطوبائية القادرة على البقاء على يد القدرة المستقلة للمخيلة. وهذا لا يعنى بالطبع أنه بالنسبة للمخيلة الرومانسية لم تكن الطبيعة سوى وهم أو غلاف من المشاهد الخداعة (كما كانت بالفعل أحيانًا)، ولا أن البحث عن الظاهرة الطبيعية الفردية لم

(١٩) انظر:

Jean Paul, *Vorschule der Ästhetik*, §2 in *Werke*, Norbert Miller (ed.), Munich: Carl Hanser, 1963, v: 31ff.

(٢٠) راجع:

'Dejection: an ode' in *The Oxford authors: Coleridge*, 1985, p. 114.

(٢١) للمزيد راجع مقالاته عن وردزورث وكذلك:

'The character of Rousseau', in *Selected writings*, Jon Cook (eds.), Oxford & New York: Oxford University Press. 1991.

يكن أمراً حقيقياً. فالممارسة الشعرية - تحديداً للكتاب الإنجليز - أظهرت التزاماً مخلصاً للعالم الموضوعي المستقل. ولكن كما يوضح الجدل على شعر وردزورث فإن مسألة "موضوعية" تمثيل الطبيعة ظلت قضية خلافية. فالرغبة الشديدة للذويان في العالم الموضوعي كانت تعويضاً عن الخوف العكسي من الفراغ. وربما يمكننا القول إن افتراض إخلاص تلقائي للعالم الموضوعي كان في حد ذاته مثلاً "عاطفياً"، وحتى ١٨٣١ كان توماس كارليل يضع المزاج الشعري "المسكون" تماماً بالعالم الموضوعي" في مواجهة "الحالة المريضة للأدب الواعي بذاته" في أعمال مثل *فرتر*،<sup>(٢٢)</sup> وهناك عدد هائل من الملاحظات مثل تلك التي قدمها كوليردج في مرحلة مبكرة مؤكداً - قبل تعرفه على الفلسفة الألمانية - على "الوحدة المتينة والسلسلة بين العالم الفكري والعالم المادي"<sup>(٢٣)</sup>. كلها ملاحظات تحمل تفاؤل التقوى. ومرة بعد مرة يسعى النشاط الشعري إلى تحقيق تلك الوحدة، شاهداً على ذلك القلق الوجودي بأن الإبداع نفسه يعنى إعادة الحياة للطبيعة - أو في صياغة شليجل "القدرة الموضوعية الكلية للروح الإنسانية" - ما هي إلا صورة أخرى لتوجه العالم الحديث لاستخراج جوهر العالم.

لم يكن هناك مخرجٌ منطقي من الدائرة التي حولت تعالى الإله الخالق إلى التعالى الداخلي للعقل الإنساني. ومنذ ما يزيد عن نصف قرن أثار أرثر لفجوى جدلاً بين الباحثين في الرومانسية من أصحاب التوجه الإنجليزى حول التمييز ما بين التوجه إلى "النزعة البدائية" وبين "نزعة الإنشاء العقلي" في أدب النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وقد اعترض لفجوى على أن الاتجاهين قد نسباً بلا تمييز وبغير وجه حق إلى الرومانسية. وفي رأيه أن الرومانسية (وخصوصاً في ألمانيا) كانت مدفوعة بواسطة نزعة إنشاء عقلي. حدثية أكيدة، في حين أن

(٢٢) انظر:

Thomas Carlyle. 'Characteristics' (1831) in *Romantic criticism*. R. A. Foakes ed. (The English Library). Columbia, SC: University of South Carolina Press. 1968. pp. 148ff.

(٢٣) مقدمة لـ *Pamphlet anthology of sonnets*, 1796

"النزعة البدائية" أو "الطبيعية" كانت تنتمي لأصحاب المذهب العاطفي الأوائل، للمرحلة "الروسية"، (نسبة إلى جان جاك روسو) في تاريخ الأدب<sup>(٢٤)</sup>. ولكن الحقيقة أن كلا الاتجاهين قد عملا معاً عن قرب. وإذا كانت الكلمة نفسها دليل فإن تعريف شيلر الحدائي "للعاطفية" أو Sentimentalisc. والتي كانت نقطة انطلاقنا، يؤكد الارتباط الداخلي ما بين جانب الإنشاء العقلي وجانب الاسترجاع. وهو إذ ينتقد الأدب "العاطفي" واسع الانتشار في عصره بسبب تعثره في منتصف الطريق بين وهم الطبيعة بما فيه من حنين إلى الماضي ("البدائية") وبين المثال الروحي الذي يدفع للأمام، يفترض شيلر أن كلا منهما يقوم على الآخر. فالرومانسية أو الشعر العاطفي "الحقيقي" بالمعنى الذي يستخدمه شيلر هو المذهب العاطفي بعدما تطور إلى التأمل الذاتي حول شرطه الحدائي؛ فهو يعترف بالدافع الطوبائي الكامن فيه ويؤكد، ويستعيد صلابته الإحساس بالطبيعة وموضوعيتها في سعى جمالي إنشائي يحوى مهمة فلسفية وتاريخية. (وفى نفس الوقت فإن هذه المهمة تحديداً التي ظلت بشكل أساسي مكوناً رئيسياً للرومانسية هي التي وضعت الرومانسية على أقصى الرافد الرئيسي ذى نزعة الإنشاء العقلي المكون للحدائفة).

لقد أمدت المناظر الطبيعية باعتبارها التصور والتمثيل الجمالي للمظهر الخارجى للطبيعة فى شكل صورة، الرمز الأساسى لقدرة المخيلة على تحويل الأشياء. مصطلح "رومانسى" نفسه بمعناه الحديث يبدو أن استخدامه بدأ أولاً فيما يتعلق بالمناظر الطبيعية.<sup>(٢٥)</sup> وحتى فى أقصى تجريدها حملت الفكرة الرومانسية

(٢٤) راجع:

Arthur Lovejoy. "On the discrimination of Romanticisms" in M. H. Abrams (ed.), *English Romantic poets: modern essays in criticism*, New York: Oxford University Press, 1960 (first 1924. then in Arthur Lovejoy, *Essays in the history of ideas*, 1949).

(٢٥) راجع:

Lilian R. Furst. *Romanticism in perspective; a comparative study of aspects of the Romantic movements in England, France and Germany*, London: Macmillan, 1969.

عن الطبيعة دائماً إحياءً بالعينى والحسى، البصيرة والبصر، التى من دونها لم يكن بالإمكان تصور سحرها. ويرى الفيلسوف يواشيم ريتير Joachim Ritter فى مقال مهم غير معروف فى العالم المتحدث بالإنجليزية إلا قليلاً، أن خبرة المناظر الطبيعية الحديثة حلت محل تراث النظرية "theoria" عند الكلاسيكية والعصور الوسطى، وهو التأمل الفلسفى لكون مغلق والذى أصبح قديماً مهجوراً من بعد كوبرنيكوس ومقارنته العلمية والتكنولوجية للطبيعة.<sup>(٢٦)</sup> فبدلاً من الواقع "المعطى" ("الطبيعى") للخلق الإلهى، نجد المناظر الطبيعية خلقاً جمالياً "لكل". فالذات لم يعد يرضيها أن تتلقى العالم من يد الخالق بل تحتاج لمزيد من التأكيد عن طريق فهمها الحسى (البصرى أساساً)، أو "خارجيتها" وهو المصطلح الذى أخذه كوليردج عن بيركلى، وإذا ما تبعنا أطروحة ريتير فإن "المناظر الطبيعية للعقل" فى الرومانسية كانت أكثر من مجرد تعبير رمزى عن حالة شعور داخلى، لقد حققت وظيفة ضمان أنطولوجى.

لقد كان مشروع المثالية الألمانية هو المصالحة ما بين الاستقلال الذاتى للذهن الإنسانى واستقلال العالم. وكما هو معروف فقد هاجم خلفاء كانط مقولته سيئة السمعة "الشئ فى ذاته"، والتى لم تمثل لهم مأزقاً منطقياً فحسب، إنما وضعت حدوداً لا يمكن تحملها تحد من نشاط العقل فى صياغة العالم. ومع ذلك ففى حين كان مبدأ فخته "الأنا المطلقة" (الذى خلق الازدواجية التجريبية لما هو "أنا" وما هو "لا أنا") ملهمًا للرومانسيين الأوائل فى إيمانهم بالطاقة غير المحدودة للإبداعية، فإن هذا المبدأ سرعان ما تمت مهاجمته باعتباره اعتداءً عنيفاً وظالماً على عالم الخبرة العملية وعلى الطبيعة. وانتصرت الفكرة الرومانسية عن "إنقاذ

(٢٦) راجع:

Joachim Ritter, 'Landschaft: zur Funktion des Ästhetischen in der modernen Gesellschaft' in *Subjektivität: sechs Aufsätze*, Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1974.

الطبيعة" متغلبة على الفكرة المثالية لمبدأ التقدم الفكري المطلق. وفي قصة بعنوان المتدربة في سايس يقوم نوفاليس بمحاكاة ساخرة لتفضيل فخته للمعرفة "المطلقة" القبلية على الطبيعة التجريبية، فيقول "جالسون قرب ينبوع الحرية ننظر، إنها المرأة الشعرية العظيمة التي تكشف فيها الخليفة كلها نفسها بوضوح وصفاء، وفيها تسبح كل الأرواح والمعبودات الرهيفة للوجود الطبيعي، وهنا نرى كل الغرف مفتوحة أمامنا. فلماذا إذن نحتاج للتجوال المتعب في العالم الموحد للأشياء المرئية؟ إن العالم الأكثر نقاء يستقر داخلنا في هذا الينبوع"<sup>(٢٧)</sup> وكما سنرى لاحقاً فإننا نجد في هذه العبارة المتطرفة بعض الحقيقة، ولكنها حقيقة جزئية فقط.

وكانت الخطوة الحاسمة للخروج من المأزق هي التي اتخذها الشاب شيلينج؛ ففي سنوات عمله أستاذاً بجامعة بينا في الفترة ١٧٩٨ - ١٨٠٠ وقريباً من فيمار وفي علاقة حميمة مع الشعراء الرومانسيين الشباب، قام شيلينج بتطوير فلسفة الطبيعة التي أصبحت ذات تأثير كبير على الرومانسية الألمانية، وعلى الرومانسية الإنجليزية وإن كان بطرق غير مباشرة في أغلبها.<sup>(٢٨)</sup> وحتى حين لم يكن هناك تأثير تاريخي قابل للإثبات فإن فلسفته (المبكرة) هي بلا شك الإسهام

Novalis, *Die Lehrlinge zu Saïs, Schriften*, I: 89.

(٢٧) انظر:

(٢٨) لقد كان كولريدج بالطبع هو أهم هذه الوسائط وهو يقتبس اقتباسات مطولة في الفصول ١٢ و ١٣ من السيرة الأدبية عن أعمال شيلينج الذي يطلق عليه "سلفي الألماني". كما أنه يهاجم فيخته بسبب "عدائه للطبيعة المتبجح والمبالغ في انتمائه للرواقية" (ص ٣٣٤) راجع الفصل السادس من:

René Wellek, *A history of modern criticism*, vol. I, New Haven, CT: Yale University Press, 1955.

وللوقوف على الدور المميز الذي لعبه هنري كراب روبنسن في توصيل أفكار شيلينج للدوائر الإنجليزية والفرنسية راجع:

Ernst Behler, 'Schellings Philosophie der Kunst in der Überlieferung Henry Crabb Robinsons' in *Studien zur Frühromantik und zur idealistischen Philosophie*, Paderborn: Schöningh, 1988.

وبالإضافة إلى كولريدج نجد تأثير شيلينج واضحاً وبخاصة على إمرسون، (انظر لاحقاً).



النظري الأهم لعلم الجمال الرومانسى حول الطبيعة. وبالتالي فإن شيلينج يعد نقطة مرجعية بامتياز لسبر المزيد من العمق فى تناقضات المخيلة الرومانسية حول الطبيعة.

### (٣)

لقد دعا بوب الإنسان إلى النظر إلى العالم الخارجى وكأنه عمل فنى صنعه الله ولا يمكن سبر أغواره؛ "كل ما فى الطبيعة عمل فنى وإن لم تدركه".<sup>(٢٩)</sup> وكان يقصد وقتها ضرورة الإيمان بكل ما أبدع الله بشكل كامل حتى وإن كان العقل الإنسانى عاجزاً عن استيعابه إلا فى شذرات صغيرة. ونجد عند شيلينج كذلك الطبيعة نتاجاً لتصميم هائل، ولكن عنده يصبح العقل الإنسانى هو صاحب المنتج اللاوعى، فى مرحلة "سابقة" (زمنياً ومنطقياً كذلك) على مواجهة الإنسان للطبيعة على أساس العلاقة الثنائية. وبظل العقل الإنسانى بوظيفتيه المعرفية والأداتية منفصلاً عن الطبيعة التى تشيأت لتصبح الآخر الغريب، إلا إذا توصل العقل إلى تلك المرحلة الأرقى من المعرفة والتى يتعرف فيها على العالم الموضوعى باعتباره من صنعه هو؛ أى من صنع الروح. ويطلق شيلينج على هذه المرحلة النهائية من التصالح ما بين الخارج والداخل، والتى تسعى إليها كل معرفة وكل خبرة، "الحدس العقلى" *intellektuale anschauung*. وقد كان ذلك المفهوم تحدياً للفلسفة الكانطية، التى حددت المعرفة الإنسانية بنطاق الحواس. لقد أكد كانط أن المعرفة الإنسانية تتبع دائماً، بشكل لاحق وغير كامل، فعل الإنتاج، ولا يمكن إلا "للمودج الأصلى الفكرى" الإلهى، أو للحدس العقلى *anschauende Vernunft* الوصول إلى معرفة أو خلق العالم فى فعل واحد

(٢٩) انظر:

Pope, 'An essay on man'. I. line 289 in *Poetical works*, p. 249.

متطابق بحيث يتعرف على نفسه باكتمال فى الموضوع وعلى الموضوع فى نفسه. أما شيلينج فقد سعى لأن يجهز الذهن الإنسانى بمثل هذا العقل الحدسى.

لقد اتخذ شيلينج من العمل الفنى نموذجًا على كسر الحاجز بين العقل المتناهى واللامتناهى. ومن هذه الناحية يكون كانط فى كتابه نقد الحكم ١٧٩٠ رائدًا له؛ إذ إنه وضع أساس علم الجمال المثالى الألمانى عامة، ولكن بالنسبة لكانط فإن العمل الفنى، "عمل العبقرية" كما كان يطلق عليه، كان عليه تحذير واضح بأنه "كما لو كان". لقد كان مجرد رمز للوحدة الإشكالية والمتعالية أبدًا - غير القابلة لأن تكون حدسية ولا قابلة للمعرفة ولا حتى يمكن تأكيدها تأكيدًا إيجابيًا - تلك الوحدة بين الطبيعة والحرية، والعمل الفنى رمز يقدم نفسه للعقل كما لو كان طبيعة تتفق تلقائيًا مع عدتنا المعرفية، كما لو كانت الطبيعة تعلن من خلاله للعقل عن رضاها بسيطرته، أو بلغة الرومانسيين كما لو كانت الطبيعة من خلاله تلقى الإنسان بوجهها المبتسم وتتواصل معه. وعند شيلينج تحولت تلك الرمزية فى الفن "كما لو كان" إلى حقيقة ميتافيزيقية راسخة. إن العمل الفنى الجمالى فى حضوره المادى يحقق ذلك التكافل الموجود مسبقًا وغير الخاضع للتفكير بين العقل والإنتاجية غير المحدودة للطبيعة، ومن ثم يتجلى فى ماهية العالم الذى على الفيلسوف أن يعيد بناءه "ويتذكره". الفن كما يؤكد شيلينج إذن هو الحدس العقلى فى حالته الموضوعية.

بالنسبة لشيلينج تتحدد مهمة الفلسفة، وبعد موت أشكال المعرفة الميتافيزيقية ذات الطابع الجوهري، فى إظهار هذا التماهى المطلق ما بين العالم والروح. إن الفلسفة تقتفى أثر الروح Geist لتتعرف بأثر رجعى على الطريق الذى سلكته منذ انفصالها عن الطبيعة. "كل تفلسف هو تذكر للمرحلة التى كنا

متوحدين فيها مع الطبيعة<sup>(٣٠)</sup>. وفي نفس الوقت فإن عملية التذكر هذه تدفع نحو استرجاع الوضع السابق مرة أخرى في المستقبل: "ستصبح الطبيعة الروح المرئية، وتصبح الروح الطبيعة غير المرئية"<sup>(٣١)</sup>. ولكن الفن بالفعل يقدم بذلك الحدس الواحد المتناهي ما لا يستطيع التفكير النظري تحقيقه إلا من خلال ما تصل إليه الأخريات<sup>(٣٢)</sup>، ذلك العلم الإشكالي. وحيث إن التفكير الانعكاسي (التفكير بصيغة ثنائية الذات والموضوع) يعنى دائماً وبالضرورة "الانقسام"، فإن الأرضية المتماهية بين العالم والعقل هي بالضرورة تراوغ التفكير الواعي، لكن التفكير "النظري" يحاول أن يتغلب على معضلة الثنائية ويستعيد وحدة "اللاوعي" مع الطبيعة التي انفصل عنها العقل (المتناهي). وفي رحلته اللانهائية والمتعرجة للوصول إلى التعرف الذاتي باعتباره المبدأ الإبداعي المنشأ في الطبيعة وبوصفه طبيعة، يجد العقل في الفن ملاء حسيًا يبعث على الاطمئنان. "الفن إذن يمثل للفيلسوف أسمى خير ممكن، حيث إنه يفتح له قدس الأقداس بمعنى ما حيث يشتعل الأبدى والأزلى في وحدة واحدة، كما لو كان في لسان لهب مفرد، ما قد انفصل في الطبيعة وفي التاريخ." هذا نص مأخوذ عن الفقرة الختامية لكتاب منهج فلسفة التعالي (الترانسندنتالي) المثالية (١٨٠٠)، وهو العمل الذي أكد بقوة على وظيفة الفن الرائدة بالنسبة للفلسفة النظرية. ويمضى شيلينج في نفس القول الشعري مستدعيًا "الطبيعة" باعتبارها الفضاء الغامض "لأوديسة الروح": نظرة الطبيعة التي يشكلها الفيلسوف لنفسه بشكل صناعي Kunstlich، فالفن هو الأكثر أولية والأكثر طبيعية. وما الطبيعة، كما نسميها، سوى قصيدة ظلت مغلقة على نفسها

(٣٠) انظر:

F. W. J. Schelling, *Allgemeine Deduktion der Physik*, in *Sämtliche Werke*, K. F. A. Schelling (ed.), Stuttgart: Cotta, 1856-61, IV: 77.

(٣١) انظر:

Friedrich Wilhelm Joseph von Schelling, *Einleitung zu: Ideen zu einer Philosophie der Natur*, in *Ausgewählte Schriften*, Manfred Frank (ed.), Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1985, I: 294.

(٣٢) علم الآخرة eschatology جملة الآراء المتعلقة بنهاية العالم ومصير الإنسان من موت وبعث وحساب وجنة ونار وتسمى أيضاً أخريات (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٩) (المترجمة).

فى لغتها السرية. ولكن إذا كان للغز أن يكشف عن نفسه ستتبدى لنا لحظتها أوديسة الروح التى تاهت عن نفسها فى روعة بحثها الخادع عن نفسها. فالمعنى يطل من خلال العالم الحسى فقط وكأنه يطل من خلال الكلمات [الكثيرة]، فقط من خلال الضباب الغائم [تتجلى] أرض المخيلة التى نسعى إليها<sup>(٢٢)</sup>.

نجد هنا الحكاية الفلسفية الأصلية لما سعت إليه الرومانسية من بحث، بحثها عن الطبيعة التى تكشف عن نفسها للعقل وكأنها اكتمال للمعنى الموجود فى العقل. الطبيعة قصيدة غير مدركة لما فيها من شعر (أو شعرية بمعنى أصح) طالما لم تدرك الروح تمامًا أنها المؤلف لتلك الطبيعة (لاحظ هنا كيف تتجاوز اللغة المفهومية للفلسفة فى صور شعرية فتؤدى ما تؤكد). وبالعكس، فإن الشعر بمعناه الدارج والمتاهى هو إنتاج أعمال شعرية تشارك فى عملية الإنتاج الكونية تلك، فكتابة الشعر محاولة - جزئية ومتمشدة أبدًا - لقراءة الطبيعة وكأنها قصيدة، لفك شفرة اللغة المنسية. وباعتبارها "مجازًا كليًا للروح"<sup>(٢٣)</sup> ('Universal tropus des Geistes', Novalis) تدعو الطبيعة بل تطالب بقراءة مبدعة، وهى قراءة بدورها استجابة لإبداعية العقل الذى يعمل بالطبيعة بلا وعى والذى يعيد إبداعها مرة أخرى فى إنتاج الأعمال الجمالية.

ولكن على الرغم من كل الإرهاقات الجدلية فى العلاقة ما بين الطبيعة والعقل، فإن هذا لا ينفى ما فى هذه العلاقة من طابع مرأوى أساسى. إن التفكير المثالى بشكل عام ينم عن "علاقة نرجسية بنفسه"<sup>(٢٤)</sup> فى حين تكشف "الفلسفة

(٢٢) انظر:

Schelling, *System des transcedentalen Idealismus in Ausgewählte Schriften*, I: 696.Novalis. *Schriften*. II: 600

(٢٣) انظر:

(٢٤) انظر:

Ernst Behler, 'Die Kunst der Reflexion: Das frühromantische Denken im Hinblick auf Nietzsche' in *Studien zur Romantik*, p. 116.

الأعلى" عن ميل إلى اقتران محرم عند "التفكير فى زواج الطبيعة والروح".<sup>(٣٥)</sup> أما نوفاليس فيشير إلى الجانب الإيجابى فى تناوله "عملية احتضان الذات" باعتبارها المصدر الأساسى لعلاقتنا الشبقية بالعالم، ولكنه ما يلبث أن يضيف أن الشبق الذاتى يظل سراً. فى هذا الفهم يصبح مبدأ الفلسفة بمثابة القبلية الأولى - أصل العالم الجديد - بداية النظام المطلق للزمن - إدراك التوحيد بالذات النامى إلى ما لانهاية".<sup>(٣٦)</sup> تلك القبلية الأولى، يمكننا بشكل عام أن نترجمها إلى الوهلة الأولى على أنها ليست إلا الأم التى ننوق إليها. ولكن العقل لا يتوقف أبداً عن التفكير ولا يصل إلى تحقيق لحظة اكتمال نهائية. يقول فريدريش شليجل "تعتبر المثالية أن العالم مثل عمل فنى أو قصيدة إلا أنه لا يعرف ذلك من اللحظة الأولى".<sup>(٣٧)</sup> وتظل القراءة المتمعنة للعالم مثالا لفهم كلى للطبيعة لا يمكن الوصول إليه، أو بكلمات نوفاليس "نظام من التمثيل المتبادل للكون" (Wechselrepräsentationslehre des Universums)<sup>(٣٨)</sup>. إن (إعادة) خلق نص الطبيعة أدى إلى انفتاح النص الرومانسى على لعب لا نهائية للدلالات تقدم نفسها للبطل وللقارئ وتتسحب منهما فى ذات الوقت. وبالعمل على المسافة الفاصلة بين الغريب والمألوف، الجديد والقديم، واللاواعى والواعى، الحلم والعالم، أو الداخلى والخارجى، يحل التعرف على الطبيعة عن طريق الفن محل تكرار القول السابق طبقاً لمبدأ المحاكاة الطبيعية imitation naturae. إن "الوحدة المتينة والجميلة بين العالم الفكرى والعالم المادى" (كوليريدج) لابد أن تنجز وتثبت نفسها المرة تلو الأخرى عن طريق عملية مستمرة من التغريب الشعرى، إن الأشياء المرئية فى عالم

(٣٥) المرجع السابق (III: 375)

(٣٦) انظر: Novalis, Schriften, II: 541 (no. 74)

(٣٧) انظر: Kritisches Friedrich-Schlegel-Ausgabe, xii: 105.

(٣٨) انظر: Novalis, Schriften, III 266.

نوفاليس الأرضى تصبح مرئية أصلاً عن طريق إبعادها عن المسار الطبيعى للحياة و"انعكاسها فى ينبوع" الوجود الداخلى للعقل الإنسانى. إن الروتين اليومى واختزال الطبيعة على سطح آلى يعطى ألفة كاذبة لإدراك نمطى وممارسة نمطية تناقض الهاجس العميق للعقل بالتناغم الذى كان فى الماضى والذى سيكون فى المستقبل. وبالتالي فالوصول لحقيقة الطبيعة يمكن استعادته فقط - وهى مفارقة - عن طريق تغليف الطبيعة بغلاف من الغموض يحث العقل على السعى إلى أعماقها بحثاً عما هو عجيب وفى نفس الوقت مألوف إلى أعماق الحدود.

فى شذرة نثرية قصيرة Die Lehrlinge zu Sais (المتدربون فى سايس، التى كتبت فى ٩ - ١٧٩٨ ونشرت فى ١٨٠١ بعد وفاة نوفاليس) اختار نوفاليس قدس الأقداس فى مصر القديمة كرمز لموقع هيروغليفى لمناقشة فلسفية حول حقيقة الطبيعة. ولا يجد الراوى الشاب تلك الحقيقة فى أى من الآراء المختلفة التى يسمعها حوله (رغم أن تلك الآراء مجتمعة تقترب من الحقيقة، فالطبيعة هى "التواصل اللانهائى") ولا يجدها كذلك فى "تلال الأوراق والأشكال الغريبة" المتراكمة فى الغرف وكأنها معارض للطبيعة المعاصرة. ولكنه يجدها فى رواية قصة خرافية بسيطة. وهى قصة عن شاب مثل الراوى نفسه يترك بلده وحبيبته بحثاً عن الحقيقة التى لا يعرفها "حيث تقطن أم الأشياء العذراء المقنعة"، وفى مزيد من المضاعفة بلا نهاية mise en abime (أى الصورة داخل الصورة والمسرحية داخل المسرحية وإضاءة السرد لبعض جوانب القصة الإطار والتناص كخاصية لطبيعة اللغة فى الشعر والسرد القصصى - المراجع) يغلب النعاس البطل الشارد ويرى مناماً، "إذ لم يكن يسمح سوى للحلم أن يصل به إلى عمق قدس الأقداس..". الحقيقة إذا لا يمكن الوصول إليها عن طريق اختراق الأسرار المادية للطبيعة (وهو شىء يجب الإشارة إلى أن نوفاليس كغيره من الرومانسيين لم يتجاهله عملياً بالمرّة) ولكن عن طريق كشف للنفس الشاعرة. إن الشاب وهو

مغتربٌ عن عالمه المعتاد وغير راضٍ عن ألفة المعتاد يكافأ بتلك الهبة غير الأرضية وهي ماضيه: "بدا كل شيء له معروفاً تماماً ولكن في بهاء لم يره من قبل، لقد اختفت ظلال العالم الأرضي حتى آخرها وكأنها تبخرت في الهواء، وهناك رفع الغطاء الرقيق الرائع واستلقى روزنبليتش بين ذراعيه"<sup>(٣٩)</sup>. لقد عادت أوديسة الروح إلى موطنها؛ عادت للمناظر الطبيعية للطفولة، للألم وللحب الأول وقد تحولت بأعجوبة إلى صورة شعرية.

إذا ما جردنا مدار الاغتراب الرومانسي الذي يكاد وجوده أن يكون كلياً وعدنا من الخلفية الفلسفية والفلسفية التاريخية، يمكن أن نصف ذلك المدار بأنه أداة شعرية. فباكتشاف العقل للطبيعة وبحث العقل خلال الطبيعة خلق الخيال لنفسه ألفة جديدة مع العالم. إن "الرحلة الدائرية"<sup>(٤٠)</sup> من الطبيعة إلى العقل ومن ثم العودة للطبيعة، هي رحلة لا تنتهي أبداً بل تظل في دائرة شفافية الذات الكاملة. لقد اعتقد فيخته أن العقل قادر على الرجوع إلى تلك الأرضية التي كانت الوحدة متحققة فيها سابقاً والتي استمد منها العقل وجوده، ولكن من تبعه من الرومانسيين كانوا أكثر تردداً؛ إذ رأوا أن العقل يفترض أرضيته ولكنه لا يمكنه "استيعابها" على شكل مفاهيم،<sup>(٤١)</sup> وأن الصور الشعرية للطبيعة والتي يقدمونها هي الوسيلة الوحيدة نصف الشفافة - كالغطاء الرقيق والضباب الخفيف وضوء ما قبل الشروق - التي تستطيع بها الروح التعرف على ذاتها. وفي كل مرة تغلق فيها الدائرة، مثلما أغلقت في نهاية قصة نوفاليس القصيرة التي اقتبسناها للتو، يظل إغلاقاً مؤقتاً، مجرد وعد آخر بعالم طوبائي مطلق حيث "العالم يصير حلماً

(٣٩) المرجع السابق. (I: 93ff.)

Abrams, *Natural supernaturalism*. esp. chs. 3 to 5.

(٤٠) راجع:

(٤١) نجد لدى مانفريد فرانك Manfred Frank تأكيداً على هذه النقطة بأولوية الوجود في التفكير الرومانسي

المبكر في العديد من الدراسات، راجع على الأخص:

„Die philosophischen Grundlagen der Frühromantik“. *Athenäum* 4 (1994).

ويصير الحلم عالمًا<sup>(٤٢)</sup>. إن المصادرة الرومانسية عن العلاقة المتبادلة بين العقل والطبيعة، وبين الروح والمادة، استدعت من الشاعر تحويل كل ما هو خارجي إلى العالم الداخلي، واستدعت أيضًا التجاوز الدائم والمستمر على جوانية الروح عن طريق التوجه إلى آخرة العالم المادى وبهذه الطريقة تكشف تصاعديًا العالم المتعالى فى داخلنا. ومرة أخرى يعرض نوفاليس الفكرة بإيجاز بليغ: يمكننا فهم "كل ما هو غريب فقط إذا ما جعلنا من أنفسنا غرباء (Selbstfremdmachung) نغير أنفسنا ونلاحظ أنفسنا"<sup>(٤٣)</sup>.

إن تعالى الطبيعة باعتباره الوحدة الشاملة المراوغة أبدًا للعقل الواعى تنعكس فى النهاية فى المكانة الأنطولوجية للعمل الفنى نفسه. فالفن - ولنذكر أنفسنا - هو بالنسبة لشيلينج وأتباعه المكان الوحيد حيث يلتقى العمل مع "المطلق" - وإن كانت المفارقة أنه مطلق يتخذ شكلاً متاهياً وحدساً موضوعياً. فالعمل الفنى يواجه العقل بالصورة (المحدودة) لإبداعيته غير المحدودة، ومن خلال الفن كموضوع، مستقل ذاتياً فى العالم الخارجى، تفاجئ "الطبيعة" العقل باستقلالها الذاتى، وبالنسبة للنشاط الإبداعى للفنان يؤكد شيلينج على "التناغم غير المتوقع" بين الجانب الذاتى والجانب الموضوعى الذى يسمح للإبداع الإنسانى "الحر" أن يتطابق مع ضرورة العملية الطبيعية. "من خلال هذه الوحدة، يشعر [النشاط الإبداعى الواعى] بالمفاجأة والقداسة، بمعنى أنه سيعتبر أن الطبيعة العليا قد وهبته ذلك عن طيب خاطر، فأصبح المستحيل ممكناً"<sup>(٤٤)</sup>.

(٤٢) انظر Novalis . *Schriften*. I: 319

(٤٣) المرجع السابق (no. 820) (III: 429)

(٤٤) انظر: Schelling, *System des transzendentalen Idealismus*. I: 683.



وتشير اللغة الدينية الجلية هنا إلى أن تراث النعمة الإلهية يتجسد هنا فى "هبة" الفن. إن تجربة التعرف الجمالى تتميز بتلك المنحة والنعمة الخارجة عن السيطرة الإنسانية. وعلى الرغم من التأكيد النظرى على الوحدة السابقة فإن الوصل ما بين العقل والعالم يشكل "اكتشافاً" بمعنى تأكيد كونه حدثاً لم يكن فى الحسبان. وبذلك يصبح العمل الفنى رمزاً "للمطلق" الذى لا يمكن الاستغناء عنه ممثلاً لعدم إمكانية تمثيله<sup>(٤٥)</sup>. إن الفن يمثل ذلك التناغم المطلق والمراوغ وغير القابل للتصور ولا للعرض بين العقل والطبيعة تحديداً لأنه لا يدين بوجوده إلى مجرد إنجاز ذاتى ولكن للحدوث المفاجئ لما هو موضوع أو للطبيعة.<sup>(٤٦)</sup>

ويذخر الشعر الرومانسى بلحظات من تلك الغبطة العارضة حيث تومض صورة الطبيعة فى العقل الإنسانى فى لحظة. تعرف مفاجئة، مؤكدة للذات على الرابطة العاطفية التى تربطها بالعالم الخارجى. وتكمن وظيفة الصورة الشعرية للطبيعة فى تلك الحركة الدائرية من التوجه للخارج والتوجه للداخل، من الانشطار والتوحد، تكمن فى تأكيد تعالى الخارج على أنه ذلك تعالى الخاص بالعالم الداخلى غير المعروف (بعد)، وكذلك - حيث إن الدائرة لن تكتمل تماماً أبداً - تعالى التأليف بينهما. ومن هنا فعندما يعترف كوليردج أنه "يبدو أننى فى النظر إلى الأشياء فى الطبيعة أسعى إلى - أو بمعنى آخر أسأل عن - لغة رمزية لشيء ما بداخلى كان موجوداً بالفعل منذ الأزل، وليس تأملاً لشيء جديد"<sup>(٤٧)</sup> فإنه لا يدعو إلى إسقاط نفسى ذاتى فى مواجهة الاكتشافات العلمية، إنما همه هو ما تفضى إليه الطبيعة الخارجية من اكتشاف وإفصاح شعرى لذلك الجانب الغريب

(٤٥) تمثيل غير القابل للتمثيل" هو تعريف للعمل الفنى تتكرر صيغته لدى نوفاليس، انظر: Novalis. *Schriften*. III: 685 (no. 671). and p. 376 (no. 612).

(٤٦) انظر: Schelling, *System des transzendentalen Idealismus*. I: 683ff.

(٤٧) وردت فى: Frye, 'Drunken Boat', in *Romanticism Reconsidered*, pp. 10ff.

وغير المطروق بعد من النفس. إن الأشياء في الطبيعة تتحدى من ينظر إليها حتى يلتفت بداخله "ويتأملها" في مرآة روحه عن طريق ترجمتها إلى اللغة التي تعيد تفاعل الصلة البدائية المنسية ما بين الذاتى والموضوعى. وعلى العكس من ذلك حين يعنى بليك تلك "الأشياء في الطبيعة" التي "تضعف وتقتل وتمحو الخيال في داخل".<sup>(٤٨)</sup> فإنه يهاجم الأشياء كما تدركها "العين المادية أو الخاملة"، والتي هي عين المراقب المحايد الذي يستخدمها ليرى "من خلالها وليس بها"<sup>(٤٩)</sup>. إن ذلك "النظر بالعين" المرغوب به ما هو إلا انكشاف الخيال الإنسانى باعتباره أرضًا للعالم الخارجى: "فى أعين الإنسان الذى يملك الخيال، تصبح الطبيعة هي الخيال ذاته"<sup>(٥٠)</sup>.

والنمط الرمزي لمثل تلك "الرؤية" للخيال هو الحلم. وفي المحصلة النهائية فإن الطبيعة الرومانسية هي الطبيعة في الحلم. ففي الحلم لا ينسحب العقل الشعري من العالم الخارجى إلى مجال عشوائى من الجوانية ولكن يهذى بهذا العالم في "موضوعيته الحقيقية" والتي تطوق وتتجاوز الذاتية الإنسانية. فى أرض الحلم، يفقد العقل نفسه ويجدها فى ذات الوقت، فهو يفقد الهوية المحدودة العقلانية للحياة اليومية، هويته كذات فردية يجد الهوية الحقيقية "مع" الطبيعة. وفي رواية نوفاليس غير المكتملة هينرس فون أوفتردينجى Heinrich von Ofterdingen كان على البطل الفنان أن يجد حلمه الأول - الحلم الشهير حول "الوردة الزرقاء" - متحققًا فى نهاية رحلة بحثه، ولكن هذا التحقق لا يجب أن

(٤٨) انظر:

William Blake, *Marginalia to Wordsworth*, quoted in Geoffrey H. Hartman *Wordsworth's poetry, 1787-1815*, New Haven, CT: Yale University Press, 1962, p. 218.

(٤٩) انظر:

William Blake, *Poetry and prose*, GeoCrey Keynes (ed.), Oxford University Press, 1946, p. 617 ('Vision of the Last Judgment').

(٥٠) ورد فى خطابه إلى تروسر ٢٣ أغسطس ١٧٩٩ في:

*Romantic Criticism 1800-50*, R. A. Foakes (ed.), Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1968, p. 19.

يفهم على أنه تحقق رغبة محرّكة لفرد. ولكن في إطار بناء الحلم للنص الشعري نفسه كان على جوانية الروح وبراندية العالم أن ينصهرا ويصبا بالآتالي وحدة لا تتفصم. ويصبح الحلم الشعري (لا الحلم السيكولوجي) متطابقاً للعمل الفني، والذي يصبح بدوره الرمز المرئي لما أطلق عليه شيلينج "نقطة السواء" بين الذاتي والموضوعي، أو بين العقل والطبيعة، أي "المطلق".

#### (٤)

في ضوء غموض الطبيعة المتصورة كفضاء من الغياب عن الواقع واستعادته، يبدو من غير المجدي أن نحاول تصنيف كل شاعر على أساس موقفه في داخل منظومة العقل - الطبيعة؛ بحيث يكون "الأناي" هو الذي يفرض إرادته على الظواهر الطبيعية من ناحية ويكون "صاحب العقل المتعاطف" هو من يخضع نفسه لاستقلال إرادة تلك الظواهر من الناحية الأخرى<sup>(٥١)</sup>. هناك بالطبع اتجاهات مختلفة ومواهب في تأمل كل ظاهرة، يكون فيها الشعراء عامة دعاة أكثر اقتناعاً من الفلاسفة. ولكن ظلت المعضلة الأساسية، وهي ضرورة إنقاذ التعددية اللانهائية للعالم عن طريق فعل مستقل للخيال الإنساني - بغض النظر عن إعادة وضع هذه الملكة للعقل ضمن فاعلية مسبقة، ظلت كما هي. ولقد لخص إمرسون في لغة حماسية الأساس الفلسفي للترانسندنالية في أن "الكون هو تخارج للروح"<sup>(٥٢)</sup>. والشاعر هو القادر على استعادة مضمون الكون الروحي عن طريق قراءة لغة الكون الرمزية وبذلك يتم "مرور العالم إلى روح الإنسان، فيتغير

(٥١) راجع:

Frederick Garber, 'Nature and the Romantic mind: egotism, empathy, irony', *Comparative literature* 29 (1977), pp. 193-212.

(٥٢) انظر:

Ralph Waldo Emerson, 'The poet', *Selections from Ralph Waldo Emerson: an organic anthology*, Stephen E. Whicher (ed.), 1960, Boston, ma: Houghton MiBin Company (Riverside Editions), p. 227.

هناك ويعود ليظهر كحقيقة جديدة أرقى".<sup>(٥٣)</sup> أما ذلك التضمين العجيب للعالم كآخر (وخصوصًا في الفصل الأخير من مقاله الشهير "الطبيعة") حيث يمجّد سيطرة الإنسان على الطبيعة التي تخضع لتفوق الإنسان الروحي عليها، فيجعل منه أقرب إلى معاصر حقيقي لماركس. ولكن إمرسون يؤكد على أن العقل القادر على الخيال أعلى مرتبة من العقل التكنولوجي أو الأدوات الصرف والذي هو بالطبع جزء متضمن داخل العقل القادر على الخيال. ونموذجه هو الشاعر الذي يكشف الجوهر العميق للظواهر الطبيعية في لغة ليست "فناً ولكنها طبيعة ثانية، تنمو من الأولى، مثلما ينمو الغصن من الشجرة" وكأن الطبيعة - كما يقول إمرسون - تعتمد نفسها<sup>(٥٤)</sup>.

وعلى الطرف الآخر من ذلك الطيف أكدت الرومانسية المتأخرة في ألمانيا بشكل متزايد على الجانب الموضوعي في مواجهة الخطر الذي رأيته في الذاتية المفرطة. وبالنسبة لجوزيف فون إيكندورف - أشهر شاعر رومانسي في ألمانيا في القرن التاسع عشر - كانت الطبيعة تمثل الإبداع الإلهي، الذي يتواصل مع الإنسان عن طريق لغة "هيراوغليفية". ومهمة الفنان الأساسية هي ترجمة تلك الرسالة، وبذلك يتسم عمله بقدر أكثر من التلقّي السلبي غير سابقه من الرومانسيين الأوائل. وهنا تواجه الإبداعية الذاتية حدودها ليس في مطلق للعقل سابق أو فائق الذاتية (الترانسندنتالية الداخلية)، وإنما في الترانسندنتالية الموضوعية لعمل الله. لقد تم وضع مادة "شعر الطبيعة" بقوة فيما يتجاوز القدرة الإنسانية. ولكن ظل هناك احتياج لفك الشفرة، فالطبيعة لا تتكلم إلا إذا دفعتها الذات المتجاوبة لذلك. ومن هنا فإن أولية الطبيعة على الإنسان لم تكن نتيجة لكونها

(٥٣) المرجع السابق p. 230.

(٥٤) المرجع السابق p. 231.

حقيقة موضوعية ولكن لأنها رمز للإله وبصمته<sup>(٥٥)</sup>. إن تلك الوظيفة للترجمة التي تقوم بها الذاتية (الشعرية) هي ما يميز مفهوم إيكندورف للشعر عن مفاهيم غيره من الرومانسيين المتأخرين عن الشعر الشعبي Volkspoesie، كما يقدمه أتشيم فوم أرمين والأخوان جريم؛ حيث رأوا أن الذات الجماعية المجهولة هي الموكلة من المثال "المطلق"؛ وفي كتاباتهم "تكشف الطبيعة عن نفسها بنفسها" عن طريق الشعب Volk نافية أى عنصر للذاتية العقلانية<sup>(٥٦)</sup>.

وأبرز المفاهيم الجمالية لترانسندنتالية الطبيعة في مواجهة مفهوم القدرة الخلاقة للعقل كان مفهوم الجليل. إن ظواهر الجليل في الطبيعة الخارجية، مثل الجبال ذات الأخاديد والمنحدرات الجارفة، والعواصف الرعدية العنيفة، والمحيطات الشاسعة، وضخامة الأفق المفتوح أو السماء ذات النجوم، تفوق القدرة البشرية على الاستيعاب الحسى والفهم عن طريق الخيال، إن ذلك السحق الكامل للقدرة الإنسانية على الاستيعاب المادى، يجعلهم يؤكدون فى أسى أولوية العالم الموضوعى وسيطرته. ولكن هذا ليس إلا نصف تجربة الجليل. فقد كانت جماليات عصر التنوير، وهى التى اكتشفت الجليل فى الطبيعة، قد ركزت على ما يجده العقل من "بهجة" غريبة فى تلك الأشياء التى تهدده، بل ويسعى لتلك الأشياء لما فيها من إثارة محسوبة لمزيج من مشاعر "الرعب الجميل" أو "الطمأنينة الممزوجة بالرعب"<sup>(٥٧)</sup>، التى من شأنها تقليص الأنا وتضخيمها فى

(٥٥) انظر:

Alexander von Bormann, *Natura loquitur: Naturpoesie und emblematische Formel bei Joseph von Eichendorff*. Tübingen: Niemeyer. 1968. p. 105.

(٥٦) راجع على سبيل المثال:

Jakob Grimm. *Kleinere Schriften*, Berlin: Duemmler. 1869. IV: 35.

(٥٧) انظر

Edmund Burke, *A philosophical inquiry into the origins of our ideas of the sublime and beautiful*. James T. Boulton (ed.), London 1958. p. 136.

نفس الوقت، فهي تضخمها عن طريق تقليصها. ومرة أخرى فقد كان شرح كانط الترانسندنتالي للتجربة (المبنى على وصف بيرك الفنونولوجي الرائع) في نقد الحكم هو الذى عرض المسألة فى غاية البلاغة والإيجاز<sup>(٥٨)</sup>. وقد عزا كانط الشعور بالرفعة الذى يوحى به الجليل لا للموضوع، والذى ما هو إلا مادة محفز، إنما إلى الذات نفسها. فى وسط تفككه الحسى والجسدى يكتشف الجسد مقاومة من ملكة أرقى بداخله، ومن خلاله يرتفع على المجال الحسى ويجد وقفة ثابتة فى النظام المعرفى والأخلاقى للعقل Vernunft. وأكثر من ذلك فالعظمة المربعة التى ينشرها الموضوع "الجليل" هى فى المحصلة الأخيرة مدينة لإسقاط غير معترف به من العقل نفسه، كما يقول كانط: "تمويه للخيال". والعقل وحده يملك القدرة على مد الأشياء المتناهية فى العالم الخارجى إلى اللانهائية، وهو يقوم بذلك عن طريق عمل الخيال الذى يمتد ليتجاوز حدود المشروط تحت الواجب العقلى؛ للسعى وراء الكلية غير المشروطة ومن خلال انهيار قدرة الخيال التى تجاوزت قدراتها "يجلب" العقل قدرة غير المشروط، ويدفع الموضوع الخارجى العملية إلى الحركة وبذلك يصبح التمثيل السلبي للمطلق.

وترجع فتنة الجليل إلى حد كبير إلى أن الطبيعة فى الجليل تلبست إحدى خصائص الإله المتعالى "الرهيب"، وبذلك قدمت الموضوعات الطبيعية الجلييلة نوعاً من البديل للإيمان الدينى المتضائل. وفى نفس الوقت، تشير إلى الطريقة التى تم منح الذات الإنسانية ذلك التعالى الخاص بالعالم الآخر. فى جماليات الجليل تتفوق الذات على الموضوع كما تتغلب المحايثة على التعالى والخيال على الواقع والعقل على الخيال. وكانت النتيجة أن ساد تعظيم الذات عند الأنا على اللاأنا غير القابل للفهم، ساد الإيجابى على السلبي، والتمثيل على ما لا يقبل تمثيلاً. فى مقطع شهير من قصيدة "استهلال" يصف فيها وردزورث عبور ممر

(٥٨) راجع الفقرات حول

\*Analytic of the Sublime\*, Critique of judgement, §§ 23-9.

سيمبلون في جبال الألب، نجده يعلى من شأن الخيال باعتباره القدرة على تجاوز الواقع - وهنا يشير الواقع إلى المناظر الطبيعية الجبلية للجبال كما يشير إلى الحماس الأول الذي يتذكره للثورة الفرنسية وما تسببت فيه من إحباط مفاجئ - ثم يجعل لحظة محو الجليل للعقل يتبعها " اغتصاب الحكم " عن وعى للقوة الأعظم في النطاق الداخلي:

قوة رهيبة انطلقت من تيه العقل

كما بخار أول يغلف

فجأة مسافر وحيد. كنت تأثها؛

توقفت لا أحاول النفاذ خارجاً

ولكنى أستطيع الآن أن أقول لروحي الواعية

"أعترف بمجديك" : بتلك القدرة

على الاستيلاء، حين يأفل

ضوء الحواس، ولكنه يكشف في ومضة

العالم غير المرئي.<sup>(٥٩)</sup>

لقد أكد بول دي مان وجيفرى هارتمان وغيرهما على تلك اللحظة المحورية من عدم الإبصار، والتي تميز الطبيعة الرومانسية عن التراث وتكرر مبدأ محاكاة الطبيعة imitation naturae والاعتماد على البصر لدى عصر النهضة، مبتعدة عن الخارجى فى اتجاه الداخلى مؤسسة لاستقلال الخيال <sup>(٦٠)</sup>. ومن

(٥٩) انظر: Wordsworth, *The prelude* (1850), VI, lines 594ff.

(٦٠) راجع:

Paul de Man. 'Wordsworth and Hölderlin', in *The rhetoric of Romanticism*. New York: Columbia University Press, 1984, esp. pp. 55ff. 'The Intentional Structure of the Romantic image', in *Rhetoric*, pp. 11 C. GeoCrey H. Hartman, 'A poet's progress: Wordsworth "via naturaliter negativa"', *Modern philology* 59 (1961/62) esp. Pp. 220ff.

الناحية الأخرى فإن عدم الإبصار هو أيضاً بصيرة؛ "الومضة التى تراها العين الداخلية"<sup>(٦١)</sup>. فتكشف حقيقة الطبيعة والتى تحتاج بدورها لمن يمثلها "ويجعلها مرئية" فى المجازات والرموز الهيروغليفية، والشارات. ولقد أكد دى مان تحديداً على "الحنين للموضوع" عند الرومانسيين فى محاولة لإيجاد الفعل المنشئ للغة فى الأسبقية الأنطولوجية للعالم الحسى (والتي يرى عَرَضاً، أن وردزورث غير معنى بها فى الفقرة محل الدراسة)<sup>(٦٢)</sup>. فى الموضوع الجليل يطفئ نفسها بمعنى ما، لتصبح التمثيل المعكوس "لتيه العقل". ولكن هذا التعالى الذاتى للطبيعة إلى "عدم" اللحظة الإبداعية يمكن ببساطة أن ينقلب إلى قوة ذاتية للذات الساعية والصانعة للحظات ضعف باعتبارها علامة قوة، تختبر بمعنى ما "إلى أى حد وكيف/ يكون العقل القائد والسيد - والحس الخارجى/ الخادم المطيع لإرادته"<sup>(٦٣)</sup>. تتدرج إذن الآخريّة تحت الأنا، كما يبدو مرموزاً إليه فى الصورة الأخيرة لجبل مونت سينودون/ رمز العقل/ الذى يتغذى على اللانهائية، التى تنبت/ فى النتيه المظلم - الخيال الكبير الذى يصور ذاتاً لا يهددها اللامحدود بل إنها بمعنى ما تسيطر عليه بل وتخلقه<sup>(٦٤)</sup>.

(٦١) راجع قصيدة وردزورث: 'I wandered lonely as a cloud' Wordworth.

(٦٢) انظر:

De Man, 'Intentional structure', *Rhetoric*, pp. 15ff.

(63) Wordsworth, *Prelude* (1850), XII, lines 221 ff.

(٦٤) المرجع السابق: XIV, lines 70ff, راجع كذلك:

Thomas Weiskel, *The Romantic sublime: studies in the structure and psychology of transcendence*.

Baltimore, MD and London: The Johns Hopkins University Press, 1976, pp. 48ff.



## الفصل السادس

### النماذج العلمية

بقلم: جول بلاك

ترجمة: لميس النقاش

#### المجاز الشعري والنموذج العلمى

إن ما يميز القرن ونصف القرن السابق على الفترة الرومانسية ليس فحسب تلك الاكتشافات العلمية الكبرى والمتتالية التى لم يسبق لها مثيل، إنما ميزه كذلك ظهور مجالات جديدة تمامًا من المعرفة العلمية. من ميكانيكا نيوتن إلى الكيمياء، ومن علم الأحياء إلى علم النفس، تتطرق كل من هذه المجالات إلى ظواهر طبيعية أصبحت تستعصى أكثر وأكثر على قدرة الإنسان العادى على الملاحظة. فقد كان فهم مثل هذه الظواهر يتطلب استخدام الاختراعات التكنولوجية (التليسكوب والميكروسكوب) ولا يتسنى استيعابها إلا عن طريق استخدام المعادلات الرياضية ونماذج المفاهيم النظرية.

وفى وسط التجريد العلمى المتنامى، بدا للبعض وكأن الكتاب الرومانسيين يشنون حملة شجاعة ولكنها عقيمة فى النهاية، لحفظ ماء الوجه. فيصر جوته على أن الأشياء الطبيعية لا يجب دراستها بشكل موضوعى صرف - "فى حد ذاتها وفى علاقة كل منها بالآخر"<sup>(١)</sup> - إنما يجب رؤيتها فى علاقتها بالملاحظين أنفسهم. وهاجم بليك بمرارة رؤية العالم الميكانيكية عند نيوتن، وحتى كوليردج، فرغم إعرايه

(١) انظر:

Walter D. Wetzels. 'Art and science: organicism and Goethe's Classical aesthetics'. in *Approaches to organic form*, Frederick Burwick (ed.), Dordrecht: Reidel, 1987, p. 75.

عن إعجابه باكتشافات نيوتن العلمية، فقد عبر عن أسفه لتلك السلبية التي تتسم بها الأجساد المادية في مخطط نيوتن للطبيعة، بل كان الأسوأ بالنسبة له سلبية مفهوم نيوتن عن العقل نفسه. فيكتب "إننا بحاجة لنفوس المئات من أمثال السير إسحاق نيوتن لتكوين شكسبير واحد أو ميلتون واحد. ويضيف "لقد كان نيوتن محض مادي - فالعقل في نظامه دائماً سلبي - متفرج كسول على العالم الخارجي".<sup>(٢)</sup> وقد عبر وردزورث أفضل تعبير عن رغبة الرومانسيين بالمقاربة العلمية للطبيعة في بيت يقول: "إننا نقتل كي نتمكن من التشريح".

ولكن مثل هذا النقد للتجريد والمادية عند نيوتن لا يعنى أن الرومانسيين كانوا معادين للعلم في حد ذاته. فكما يكشف لنا بياننا الحركة الأدبية الإنجليزية الأهم في تلك الفترة، ونعني مقدمة وردزورث لحكايات غنائية ١٨٠٢ ومقال شيللي "دفاع عن الشعر"، ١٨٢١، فإن أغلب الكتاب الرومانسيين اعتبروا أن كلا من الشعر والعلم مسعى إنساني يكمل بعضه بعضاً. لقد وصف وردزورث الشعر على أنه "التعبير العاطفي القوي لما هو موجود في سحنة العلم كله"، وهو كذلك "أول وآخر المعرفة كلها"، فالشعر لن يكتفى "باستعداده لاقتفاء أثر العلم ... ولكنه سيكون بجانبه، يحمل المشاعر وينشرها بين موضوعات العلم نفسه".<sup>(٣)</sup> أما بالنسبة لشيللي فقد كان الشعر "هو في الوقت نفسه، مركز المعرفة ومحيطها، إنه هو الذي يستوعب كل العلم وهو الذي يجب أن يرجع إليه كل علم".<sup>(٤)</sup> ومثل هذه المقولات تشير إلى أن الرومانسيين كان لديهم قبول بالعلوم ما دام هناك اعتراف بأصلها الشعري. ويتناقض مثل هذا

(٢) انظر:

'Collected letters of Samuel Taylor Coleridge', E. L. Griggs (ed.), Oxford University Press, 1956-71, vol. II, p. 709.

(٣) انظر الأعمال النثرية لوردزورث:

The prose works of William Wordsworth, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser, Oxford: Clarendon Press, 1974, vol. I, p. 141.

(٤) انظر نثر شيللي:

Shelley's prose, David Lee Clark (ed.), New York: New Amsterdam Books, 1988, p. 293.

الانفتاح تجاه الاستقصاء العلمي تناقضًا حادًا مع المعارضة الشرسة للتحديث وللتقدم العلمي عند حركات فنية لاحقة مثل ما قبل الرافئلية وغيرها من المجموعات المرتبطة بالنزعة الجمالية للقرن التاسع عشر.

لم يكن الكتاب الرومانسيون بالضرورة معادين للتفكير الفلسفي أو لاستخدام النماذج النظرية كوسيلة لفهم وتمثيل الحقائق العميقة حول العالم الطبيعي، وتعتمد لغتهم الاستعارية على مخزون من النماذج الميتافيزيقية وعلى "مفاهيم لاستيعاب الواقع أقدم وأقل دقة ولكنها أكثر شمولاً من النظريات العلمية الحديثة حول بناء الأشياء والنظام الذي يجمعها"<sup>(٥)</sup>. وفي قصيدة "آلة الهارب الهوائي" ١٧٩٥ التي تعود لمرحلة شباب كوليردج - استخدم كوليردج مثل تلك الصورة الشعرية للطبيعة:

ماذا لو أن الطبيعة النابضة كلها

ليست سوى آلات هارب مختلفة التركيب،

تتردد ارتعاشاتها في الفكر، مشمولة،

بنفحة فكر طيبة ورحبة،

هي روح كل منها، وهي الإله الحاكم لها جميعًا.<sup>(٦)</sup>

تأتي هذه الأبيات لتختتم سلسلة من التماثلات في القصيدة، تنتقل من التشبيه إلى الاستعارة؛ حيث يدفع الشاعر بالصورة المركزية إلى حدودها القصوى مستخدمًا

(٥) انظر: Wetzels, 'Art and science', pp. 72-3.

(٦) يناقش إيان وايلى مسودة مبكرة لهذه الفقرة فيما يتعلق بدراسات كوليردج العلمية المبكرة في كتابه: Ian Wylie discusses an early draft of this passage with respect to Coleridge's early scientific studies in *Young Coleridge and the philosophers of nature*, Oxford: Clarendon Press, 1989, pp. 3-4.

الموتيف الجسدي في آلات الهارب لأغراض ميتافيزيقية. فآلة الهارب صورة ميكانيكية (فهى آلات منفصلة عن بعضها، مفردة، ومصنوعة، تتكون كل منها من أجزاء هي الأخرى منفصلة بعضها عن بعض) ويعيد كوليردج صياغتها كصورة عضوية (كيان عضوى طبيعى، يتكون من أجزاء متبادلة الاعتماد، وهى بدورها جزء من كل أكبر يعتمد بعضه على بعض). ولكن هذه الاستعارة العضوية لا تعمل أساساً كنموذج خارجي، الطبيعة المخلوقة (natura naturata)، بقدر ما تعمل كنموذج لعملية الإبداع الشعرية نفسها، الطبيعة الطابغة (natura naturans)، والتي يشارك فيها مباشرة الإله، "نفحة الفكر" التى تشكل الكل. ويستحيل الوقوف خارج هذا النموذج، مستشهدين بالإله أو مستخدمين الفكر وسيلة لتأمل الطبيعة موضوعياً، فكلاهما: الإله والفكر متضمن ومستتب بالفعل فى هذا النموذج الذى يشتمل على كليهما. فمن غير الواضح، - بشكل مختصر - ، إذا ما كانت الصورة التى قدمها كوليردج عن "آلات الهارب العضوية" \_ والتي يشكل الفكر فيها جزءاً لا ينفصل عن الطبيعة، وبشكل الذات جزءاً لا يتجزأ من الموضوع \_ هى مجرد استعارة شعرية أم نموذج ميتافيزيقي (إن لم يكن علمياً). ومثل قول نوفاليس "اللغة آلة موسيقية للأفكار"،<sup>(٧)</sup> فإن الصورة التى يقدمها كوليردج تشير إلى العلاقة غير القابلة للانفصام بين العقل والعالم المادى.

وحين يستخدم الكتاب الرومانسيون مثل هذه الاستعارات الشعرية المعقدة، فإنهم لا يفعلون ذلك إمعاناً فى المجاز الطريف اللماح للشعراء الميتافيزيقيين، أو محاولة لتقديم تفسير وصفى وحركى للطبيعة، إنما كانوا بصدد تطوير نماذج ميتافيزيقية للطبيعة، وهى النماذج التى قدمت الطبيعة، من ناحية، باعتبارها صيرورة

(٧) انظر:

Novalis. *Schriften*. Paul Kluckhohn and Richard Samuel (eds.), 2nd edn. Stuttgart: Kohlhammer. 1960-75, vol. III, p. 360.

إبداعية عقلية، ومن الناحية الأخرى قدمتهم أنفسهم على أنهم نتاج ومثال ودليل على هذه الصيرورة ذاتها. وإذا ما دفعت هذه النماذج إلى حدودها القصوى، فإنها لا تستقيم حتمًا ويكون من اللازم القيام بضبطها على نحو ملائم. ومن هنا، فعندما يستخدم شيللي صورة "قيثارة الريح"، في بداية مقاله "دفاع عن الشعر" لوصف الإنسان (بدلاً من صورة كوليريدج عن "الطبيعة الحية") فإنه يقر بعدم صلاحية هذه الصورة:

ولكن هناك مبدأ في داخل الإنسان، وربما في داخل كل كائن قادر على الشعور، يعمل بشكل مخالف لعمل القيثارة فلا يصدر الألكان فحسب إنما يخلق تناغمًا كذلك، عن طريق الضبط الداخلي للأصوات والحركات الصادرة مع المشاعر التي تصدر عنها. وكأن القيثارة قادرة على ضبط أوتارها على حركات من يضربها في تناسب دقيق للصوت، مثلما كيف الموسيقى صوته ليلائم صوت القيثارة. (٢٧٧)

وإذا كانت القيثارة صورة محدودة الجدوى للإبداع الإنساني، فإن الأكثر صعوبة هو إيجاد استعارة شعرية تجعل من الشعر نفسه قابلاً للفهم. ولعل الصورة الأكثر نجاحًا من بين الصور العديدة عن الشعر التي يجربها شيللي في مقاله، هي النموذج "العلمي" للضوء، والذي "يحوّل كل ما يلمسه، فيتغير كل شيء يتحرك في نطاق حضوره المشع بتعاطف مبهّر إلى تجسيد للروح التي يتنفّسها..." (٢٩٥). ولكن في حين أن هذه الرؤية للشعر مبنية على نموذج التصور العلمي المعاصر عن قدرة ضوء الشمس على بث الحياة في العالم المرئي،<sup>(٨)</sup> فإن مثل هذا الاستخدام للنماذج العلمية لابد من إيجاد تصالح ما في النهاية بينه وبين قول شيللي أن الشعر "هو الذي يستوعب العلم كله، وهو الذي يجب أن يرجع إليه كل العلم." يقول هيردر

(٨) انظر:

Ted Underwood, 'The science in Shelley's theory of poetry', *Modern language quarterly* 58 (1997), pp. 298-321.

ويختر أندروود مع ذلك من أن القول بأن هذه النظرية للشعر كانت مبنية على "نموذج" علمي، هو نوع من التقليل من أهمية العلاقة... فشيللي كان يمكنه أن يكون متسقا في جنله إذا ما قال إن الأفكار العلمية التي استعارها كانت أصلا نابعة من المخيلة الشعرية.

"إن ما نعرفه، نعرفه فقط عن طريق التماثل،"<sup>(٩)</sup> ويمكن الاعتماد على ما يسميه نوفاليس 'den Zauberstab der Analogie'،<sup>(١٠)</sup> [العصا السحرية للتماثل] حين لا تستطيع الملاحظة المنطقية والتجريبية أن تعطى معرفة إمبيريقية موجبة. وكأنما في تعبير عن رفض ضمنى لمشروع الجمعية الملكية Royal Society في أواسط القرن السابع عشر لتطوير خطاب علمي "يستبعد كل أساليب المبالغة والاستطراد واللغة الطنانة" و"يعود [باللغة]" إلى حالة "النقاء البدائي" و"الوضوح الرياضى"،<sup>(١١)</sup> قام الرومانسيون من أمثال نوفاليس وفريدريش شليجل بصياغة خطاب فلسفي شعري لا تكون فيه المعرفة مباشرة ولا عسوية، ولكن يدخلها التوسط بكثافة عن طريق الاستعارات والنماذج وغيرها من الأساليب الرمزية، وهذا غير التحريف الصارخ للغة من خلال الأساليب البلاغية للسخرية والمبالغة والاستطراد. ولكن في حين أن العقول الأكثر رزانة مثل هيردر وجوته ظلت مدركة "أن نماذج الخطاب العلمي واستعاراته لا تتطابق مع الطبيعة"،<sup>(١٢)</sup> وبالتالي فهي محدودة في فائدتها، فقد كان الكتاب الرومانسيون يميلون - عن قصد أو عن غير قصد - إلى تجاهل الفرق بين النماذج الاصطناعية والطبيعية. وكما يقوم اليوم المدافعون الأكثر ثورية وعلمية عن "الحياة الاصطناعية"، فقد أضفى الرومانسيون على استعاراتهم دلالات جديدة وكأنها في ذاتها أداة لتعليم القواعد "أرجانون"،<sup>(\*)</sup> قادر على توليد المعرفة. فكلويردج على سبيل المثال يعزو القدرة الإبداعية الأسمى للوجوس logos الإلهي وإمكانية

(٩) انظر:

Johann Gottfried Herder, 'Vom Erkennen und Empfinden der menschlichen Seele', in *Sämtliche Werke*. B. Suphan (ed.), Hildesheim: Georg Olm, 1967, vol. VIII, p. 170.

(١٠) انظر:

Novalis, *Schriften*, vol. III, p. 518.

(١١) انظر:

Thomas Sprat, *The history of the Royal Society of London*, London, 1667, p. 112.

(١٢) انظر:

Karl J. Fink, *Goethe's history of science*. Cambridge University Press, 1991, p. 90.

(\*) أرجانون: "وسيلة لاكتساب المعرفة وبخاصة مجموعة المبادئ الخاصة بالبحث العلمي والفلسفي" (المعجم الفلسفي، القاهرة: مجمع اللغة العربية ١٩٧٩). (الترجمة)

التوليد الهائلة للغة الإنسانية، في حين أن نوفاليس وجوشيلف هنريش شوبرت تعاملوا مع الطبيعة نفسها باعتبارها خطاباً.

### الشكل العضوى

إن ولع النقاد الرومانسيين بإرجاع القدرة على الخلق والإنتاج إلى اللغة، جعلهم يميلون إلى استخدام التماثل ما بين العمل الشعري والكيان العضوى. ويمكن وراء هذا التماثل مفهوم الوحدة العضوية الذى يعود إلى أفلاطون والذى تتفق بمقتضاه أجزاء العمل بعضها مع بعض ومع العمل ككل،<sup>(١٣)</sup> ولقد اتخذ هذا المفهوم، متخفياً في الشكل العضوى، أهمية غير مسبوقة في النقد الرومانسى. ويوضح كوليردج التباين بين الشكل "الآلى الذى يأتى حين نفرض على مادة معينة شكلاً مسبقاً"، وبين الشكل العضوى "الأصيل، الذى يتشكل من خلال تطوره من الداخل، ويتطابق اكتمال تطوره مع كمال شكله الخارجى".<sup>(١٤)</sup> وكانت الكائنات الطبيعية (خصوصاً النبات) نموذجاً للأعمال الفنية (خصوصاً الشعر)؛ ومن هنا كان الإبداع الشعري يتضمن، على حد قول م. هـ. أبرامز، "ترجمة استعارية إلى مقولات ومعايير التفكير، لخصائص الشيء النامى والذى يفتح شكله الداخلى ويتمثل بداخله عناصر غريبة عنه، حتى يصل إلى اكتمال وحدته العضوية المركبة".<sup>(١٥)</sup> ولكن وكما يلاحظ و. ك. ويمسات فيما أن القصيدة "لا تشبه في الواقع النبات كثيراً"، حتى عندما تشتمل على "صور نباتية"،

(١٣) انظر :

G. N. Giordano Orsini, *Organic unity in ancient and later poetics*, Carbondale, IL: Southern Illinois University Press, 1975, p. 21.

(١٤) المحاضرة الثامنة من سلسلة محاضرات ١٨١٢-١٨١٣ والتي أقيمت في ديسمبر ٢٠١٣، وكذلك المحاضرة التاسعة من سلسلة ١٨١١-١٨١٢ والتي أقيمت العام السابق.

*The collected works of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.). Princeton, NJ, Princeton University Press, 1969-, vol. V, part I, p. 495.

(١٥) انظر :

M. H. Abrams, *Natural supernaturalism*. New York: Norton, 1971, p. 432.

فإن كوليردج يؤكد على الجانب الوراثي في هذا التماثل، (والذي أطلق عليه ويمسات العقيدة النفسية، المتعلقة بوعي المؤلف ولا وعيه)، وليس "العقيدة الموضوعية" أو البنائية "المتعلقة بالشكل الشعري".<sup>(١٦)</sup>

بتأكيد على الجانب الذاتي للشكل العضوي، ذلك الجانب المتعلق بمسألة النمو، يقلل كوليردج من أهمية الجوانب الأخرى للمفهوم من اكتمال وتمثل وتضمين داخلي، واعتماد متبادل.<sup>(١٧)</sup> مع ملاحظة أن "القياس الرومانسي بين النبات والإبداع الشعري كان يميل إلى مماثلة الشعري والنباتي عن طريق جعل الشعر تلقائيًا بأقصى قدر من الجذرية؛ أي غير قصدي وغير واع" (٢٢) ويلقى ويمسات تحذيراته:

لأصحاب نظرية الجمال العضوي ... عند تعاملهم مع القصيدة ... أن يخطوا بحذر تجاه استخدام التماثل مع الكائنات الحية بالغة التتافر. وربما الاكتفاء بحدود التصور ما بعد كانطي للخصائص الجمالية في شكله الأكثر نقاء: مثل خصائص التفرد والخصوصية التي تميز كل عمل جمالي مكتمل، وأولوية الكل على الأجزاء، وتناسق الأجزاء بعضها مع بعض واعتمادها المتبادل، وكذلك تفرد الأجزاء وعدم قابليتها للاستبدال وعدم وجود أي منها سابقا على العمل الجمالي ككل أو خارجه. (٢٦)

ومع الاعتراف بأنه لولا إبداع الرومانسيين لمفهوم الشكل العضوي "لكان علينا اليوم ضرورة اختراعه"، يحذر ويمسات من أن المفهوم أصبح اليوم "مستقرًا وثابتًا" للغاية في النقد المعاصر "بحيث يثير لدى أصحاب المذهب المثالي - سواء أصحاب

(١٦) انظر:

W. K. Wimsatt. 'Organic form: some questions about a metaphor'. in *Romanticism: vistas, instances, continuities*, David Thorburn and GeoCrey Hartman (eds.). IthaCA: Cornell University Press. 1973. pp. 20-1.

(١٧) لا نجد عند جوته مثل تزميت كوليردج في هذه المسألة. فبالنسبة له يعني تطبيق النموذج العضوي في الفن، فعليًا، جعل الواقع شفافًا بحيث يبدو فعلًا ذلك الاعتماد الفريد بين الجزء والكل وبين الخاص والعام والذي يمكن للمرء ملاحظته.



العقلية المجازية أو الحرفية - تساؤلات لها وجاقتها. " (٢٦-٧) وبقي على نقاد ما بعد البنوية مثل بول دي مان تفكيك استعارة الشكل العضوي بل وحتى مفهوم الاستعارة نفسه باعتباره حجر الزاوية في النقد الشكلي عند كوليردج.<sup>(١٨)</sup>

ولم يكن كوليردج وحده من استخدم النموذج العضوي كمماثل وراثي إن لم يكن شكلياً للشعر. يقول توماس دي كوينسي معترضاً على "الآلية المجردة من الحياة" للكتابة النثرية في القرن الثامن عشر، ومنتقداً كتابات د. جونسون لأنها لا تدع "الحقيقة [أبداً] تنمو أمام أعيننا في ذات الوقت الذي تقوم بتقديمها لنا. فلا تقدم أعماله النثرية أى صيرورة أو ارتقاء أو حركة من الصراع الذاتى أو إعداد وتمهيد."<sup>(١٩)</sup> وإلى جانب الوصف شبه العلمى عند شيللى للشعر باعتباره الضوء القادر على التحويل فى مقاله "دفاع عن الشعر" نجد الصورة التى نتوج عمل شيللى استعارة عضوية دون موارد؛ إذ يتم وصف الشعر فيها على أنه "يعتبر فى ذات الوقت الجذر والزهرة لكل نظام فكرى، فالشعر هو الشكل الذى ينبع منه الكل وهو الذى يزين الكل، وهو الذى، إذا أصابه عطب، امتنع عن منح الثمار والبذور، وحرّم العالم القاحل من الغذاء والاستمرار فى تطعيم شجرة الحياة." (٢٩٣)

(١٨) انظر:

Paul de Man, 'The rhetoric of temporality', in *Blindness and insight*, rev. edn. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1983, pp. 187-228 *The rhetoric of Romanticism*, New York: Columbia University Press, 1984.

(١٩) انظر:

*The collected writings of Thomas De Quincey*, David Masson (ed.), Edinburgh: Adam and Charles Black, 1890, vol. X, pp. 270-2. Cited by D. D. Devlin, *De Quincey, Wordsworth and the art of prose*. London: Macmillan, 1983, pp. 105-6.

والذى يعلق أن تأكيد دي كوينسي على كلمة 'ينمو' بكتابتها كلها بأحرف كبيرة يدل على حاجته لإبداع نثر عضوي (وهي الكلمة التي يستخدمها) واستكشافى. " (ص ١٠٦)

لقد ورثنا، بكل ما يحمل هذا الميراث من خير وشر، مفهوم الرومانسيين للشكل العضوي،<sup>(٢٠)</sup> بل ورثنا كذلك عاداتهم في التفكير بالرمز والتماثل. ولكي يتضح لنا ذلك يكفي أن نراجع تاريخ محاولات وصف ظاهرة الرومانسية نفسها، فنجد المدافعين عن الرومانسية يغويهم اقتباس الاستعارات من الكتاب الذين يحلون أعمالهم. إن المناقشات النقدية للرومانسية عادة ما تظهر كيف أن نموذجًا واحدًا للعقل للطبيعة وللذات أو للنص الشعري استبدل به نموذجًا آخر: مثلاً مجاز الآلة الكيان العضوي، بصورة المرأة المصباح، وبشكل الدائرة القطع الناقص.<sup>(٢١)</sup> إن المدى الذي نطبق فيه هذه النماذج ودرجة حرفيتها يلعب دورًا كبيرًا في تحديد فهمنا للرومانسية.

### فلسفة الطبيعة: النماذج الميتافيزيقية للطبيعة

لقد تبع الرومانسيون دعوى كانط في استخدامهم الواسع للنماذج الميتافيزيقية في اجتهداتهم الفنية والعلمية - وكانت دعوى تتناقض بشدة مع الميراث الوضعي والتجريبي للتفكير العلمي الحديث - إذ ترى بأن العلوم الطبيعية قائمة على أسس

(٢٠) راجع فينك Fink:

رغم أننا لا ننظر لتقافتنا التقنية على أنها مؤسسة على الشكل العضوي، فإن أغلب الأدوات العلمية هي بشكل ما معتمدة على مبركات نموذج طبيعي. "تاريخ الفرد يعيد إنتاج تاريخ النوع.

("Ontogeny recapitulates Phylogeny", in *Approaches to organic form*, Burwick, p.90.)

ويقدم فينك مثال الكمبيوتر الذي يعتبر "تمثيلًا بسيطًا للمخ البشري".

(٢١) راجع ملاحظة مورس بيكهام "أن الاستعارة الجديدة ليست آلة ولكنها كائن عضوي."

Morse Peckham, "Toward a theory of Romanticism", *PMLA* (March 1951), pp. 5-23

أما بالنسبة للدائرة والقطع الناقص فراجع:

Marshall Brown. *The shape of German Romanticism*. Ithaca, NY: Cornell University Press. 1979

M. H. Abrams. *The mirror and the lamp*, New York: Oxford University Press, 1953.

ميتافيزيقية.<sup>(٢٢)</sup> ولكن أطروحة كانط أن الظواهر الطبيعية القابلة للمعرفة مؤسسة في مجال غير قابل للمعرفة من الأشياء في ذاتها الفائقة للحس، هذه الأطروحة تم تطويرها على يد المفكرين الرومانسيين بطرق جعلت هذا المجال الميتافيزيقي متاحاً ومفهوماً. لقد امتدت حركة ما بعد كانط التي بدأها فيخته، وهو من اعتبر أن العالم المادى موضوع من جانب فعل لا واع للمخيلة المنتجة" ( Productive Einbildungskraft)، فتوسعت على يد شيلينج في ذلك الصنف العلمى للرومانسية والمعروف بفلسفة الطبيعة Naturphilosophie. لقد تعامل شيلينج مع الظواهر الطبيعية التي درسها العلم التقليدى باعتبارها أعمالاً أنتجتها قدرات توليدية سابقة عليها قامت بتشكيل العقل والطبيعة كليهما. وفي كتابه Von Der Weltseele (١٧٩٨) روح العالم قام باختزال الاستقطاب الأولى الذى أوجده كانط بين التجاذب والتنافر إلى استقطاب بين الثقل (Schwere) والخفة (Licht) ومنهما تنبثق كل القوى ذات القطبين الموجودة فى الطبيعة: المغناطيسية، والكهرباء، والتفاعلات الكيميائية، والنشاطات العضوية وحتى النشاطات النفسية.

وقد قدمت فلسفة الطبيعة نماذج ميتافيزيقية مفيدة للكتاب الرومانسيين الذين كانوا يميلون للعلوم. وقد رأى جان بول فى نسق شيلينج بكامله "استعارة مغناطيسية"

(٢٢) راجع:

Immanuel Kant, *Metaphysische Anfangsgründe der Naturwissenschaft* (Riga: Hartknoch. 1786).

قارن بين قول كوليريدج "إن منهج العلم يفترض مسبقاً منهجاً للفلسفة" فى:

(autograph notebook no. 28 f21v; cited by Trevor H. Levere. *Poetry realized in nature*. Cambridge University Press. 1981. p. 4)

وفى موضع آخر يردد كوليريدج اعتراضات شيلينج على فلسفة كانط، انظر:

Raimonda Modiano. *Coleridge and the concept of nature*. Tallahassee, FL: Florida State University Press. 1985. pp. 153-60.

ممتدة<sup>(٢٣)</sup>، أما كوليرج الذي أقر أن حضوره محاضرات همفري ديفي حول الكيمياء كانت بهدف زيادة رصيده من الاستعارات، فقد وجد قاموساً شعرياً فنياً في فلسفة الطبيعة. وإن كان فيما بعد ١٨١٨ قد انتقد بشكل متزايد تلك المقاربة بسبب تجريدها الشديد وإغراقها في مبدأ وحدة الوجود [مذهب الحلول]. وميلها الإلحادي لجعل الطبيعة مطلقاً، في حين كان هو يرى في الطبيعة تراتباً بنوياً يتوسطه نسق من التمثيلات الرمزية للطبيعة.<sup>(٢٤)</sup> وقد أكد جوته كذلك على منهج يميز ما بين التمثيلات الرمزية للطبيعة، مميزاً بين أربعة أنماط لغوية للتعبير عن الطبيعة: وصف الواقع الطبيعي "على أساس الظواهر الطبيعية، ووصف "المثال الجمالي باستخدام الاستعارات البلاغية، والإشارات الراجعة إلى الذاكرة" بناء على علاقات عشوائية، وأخيراً الأوصاف الحسابية المبنية على الحدوس المتطابقة التي هي في أسمى معانيها متطابقة مع المظاهر."<sup>(٢٥)</sup>

وعلى الرغم من أن وعى جوته المبكر بدور الاستعارة في الدراسة العلمية قد لاقى ترحيباً لبراعته في استباق آراء بعض فلاسفة العلم في القرن العشرين،<sup>(٢٦)</sup> فقد أدرك غيره من الكتّاب المعروفين أكثر بالانتماء للرومانسية الدور الأساسي للنماذج

(٢٣) انظر:

Jean Pauls *Sämtliche Werke*, E. Berend (ed.), Weimar, 1960, vol. IV: p. 166.

(٢٤) يلاحظ موديانو Modiano "إصرار كوليرج على أن يكون مفهوم الوساطة... جزءاً أساسياً من نظام الطبيعة" (Coleridge, p. 182) وإن اعتقاده "إذا كان للطبيعة أن تقترب بأي شكل من الحياة الداخلية للمطلق، لابد أن تشمل قواعدها على نظام للتعبير الرمزي" (ص ١٨٦).

(٢٥) انظر:

Johann Wolfgang von Goethe, *Die Schriften zur Naturwissenschaft* (Leopoldina- Ausgabe), K. Lothar Wolf et al. (eds.), Weimar: Hermann Böhlau Nachfolger, 1947-, Abt. i, xi: 56-7. (٢٦) ذلك فإن فينك (Goethe's history of science, pp. 46, 86-7) يلاحظ أن النقاد الحاليين للخطاب العلمي مثل ماكس بلاك Max Black وتوماس كوهين Thomas Kuhn يبدون وكأنهم وصلوا لنفس النقطة التي وصل لها جوته بعد عمر من التأمل والعمل بالعلم، أي تلك النقطة التي ندرك فيها أن لغة العلم وما يحدث في الطبيعة "ليستا متطابقتين" و"أن العلم والشعر يتقاسمان الخصائص المجازية للغة".

كأدوات نظرية في العلم. فقد تصور نوفاليس الطبيعة على أنها نظام كتابة مشفرة (chifferschrift)<sup>(٢٧)</sup> يمكن الكشف عن أسرارها على يد علماء الجيولوجيا وغيرهم ممن تدربوا في العلوم. وكانت الشذرة التي كتبها في ١٨٠٢ *Die Lehrlinge zu Saïs* تهدف أن تكون "رواية رمزية حقيقية عن الطبيعة".<sup>(٢٨)</sup> ويطل روايته التي كتبت في *شفرات* Heinrich von Ofterdingen (١٨٠٢) كما يوضح رالف فريدمان هو بطل سلبى رمزي "يقوم على المستوى التخيلي بكل الإجراءات الأساسية للجدل الرومانسي المبكر"، بحيث "تمحو الذات واللذات في النهاية كل منهما الأخرى، كنتاج لصيرورة لا متناهية، يتحولان فيها إلى الذات المطلقة".<sup>(٢٩)</sup> ومن المفهوم أن يكون خطاب نوفاليس الشعري الفلسفي أكثر رمزية وتجريداً من أغلب رفاقه الرومانسيين، باعتبار أنه تبع لبينتس وكانط في اعتقادهما بأن المعرفة العلمية تعتمد على النموذج الرياضي: "لو استطعنا فقط أن نشرح للناس ونوضح كيف أن اللغة تسلك سلوك المعادلات الرياضية، التي تخلق عالمها الخاص بها، وتتفاعل فقط مع بعضها، ولا تعبر عن شيء إلا طبيعتها العجيبة، وأنها لهذا السبب تحديداً قادرة على التعبير، لهذا فقط هي مرآة للتفاعل بين الموضوعات".<sup>(٣٠)</sup> فبدلاً من أن نتبع فلسفة الطبيعة التي تختزل الفكر العلمي بل وقوى الطبيعة نفسها إلى قطبية أولية، يطرح نوفاليس استبدال ثنائية شيلنغ اللانهائية غير قابلة للاختزال بثنائية الأسماء عنده.<sup>(٣١)</sup> مثل هذا المخطط واضح في أعمال نوفاليس الإبداعية الكبرى التي تتضمن تعدداً للأصوات والمنظورات تبدو وكأنها كلها متشابهة.

(٢٧) انظر: Novalis, *Schriften*, I: 79.

(٢٨) انظر: 23 February 1800 letter to Tieck (Novalis, *Schriften*, IV: 323).

(٢٩) انظر:

Ralph Freedman, *The lyrical novel*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1963, p. 19.

(٣٠) انظر: Novalis, *Schriften*, II: 672.

ويؤكد لونز أوكن Lorenz Oken كذلك على أولوية الرياضيات في المجالات الرئيسية للمعرفة، انظر

Brown, *German Romanticism*, pp. 19-20.

(٣١) انظر: Novalis, *Schriften*, III: 432.

راجع كذلك: John Neubauer, *Novalis*, Boston, ma: Twayne. 1980. p. 36.

وبالإضافة إلى النماذج العضوية والمستقاة من علم المعادن ومن الرياضيات، وجد الكتاب الرومانسيون في الكتاب المقدس نموذجاً نصياً حاسماً. وبالفعل فإن تعريف شليجل، الذي يعتبر تحصيل حاصل، للرواية على أنها "كتاب رومانسي"، (*Ein Roman ist ein romantisches Buch*)<sup>(٣٢)</sup> يمكن مراجعته من قبل رفاقه من الرومانسيين الذين كان الكتاب المقدس بالنسبة لهم هو الكتاب المقدس (بأداة التعريف). ولكن في حين كان الكتاب المقدس يعتبر بالنسبة لكتاب مثل شليجل ويليكم أساساً لدين جديد رومانسي أو ثوري، فإنه بالنسبة لنوفاليس وكوليريدج أمدهما بنموذج للاستقصاء العلمي. لقد كانت فلسفة نشأة الكون عند كوليريدج تعتمد على سفر التكوين حيث ربط ما بين مراحل الخلق المختلفة وتراتب القوى الذي طرحته فلسفة الطبيعة. أما نوفاليس فقد رأى أن مشروعه الموسوعي - *Allgemeines brouillon*، والمعتمد على دراسته في التعدين في فرايبيرج - "إنجيل علمي، نموذج واقعي ومثالي، والبذرة التي تخرج منها كل الكتب."<sup>(٣٣)</sup> إن هذا الاستخدام الرومانسي للكتاب المقدس للأغراض "العلمية"، والذي أعيد إحياءه مؤخراً في هوس البحث عما تخفيه أجهزة الكمبيوتر من رسائل من الكتابات المقدسة،<sup>(٣٤)</sup> يقف على النقيض تماماً من اهتمام جوته الأكثر جدية في تاريخ النص المقدس ونقده، ومحاولاته للتمييز بين الواقع التاريخي والرمز الشعري في قصص بعينها في الكتاب المقدس.<sup>(٣٥)</sup>

(٣٢) انظر:

Friedrich Schlegel, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, ed. Ernst Behler, Paderborn: Schöningh, 1958-79, II: 335.

(٣٣) انظر:

Novalis, *Schriften*, III: 363.

(٣٤) انظر:

Michael Drosnin, *The Bible code*, New York: Simon & Schuster, 1997.

(٣٥) ومن هنا نجد ذلك الاجتهاد في التفسير "كما يطلق عليه فينك Fink، في محاولة تحديد المدة الزمنية

الدقيقة التي جاب فيها بنو إسرائيل الصحراء بعد خروجهم من مصر - (Gothe's history of science, p.62)

## الأيدولوجيات العلمية

لقد قدم فلاسفة الطبيعة أساساً منطقياً لمفاهيم أساسية في الرومانسية مثل الشكل العضوي والاستقطاب الدينامي، ولكنهم كثيراً ما تعرضوا للسخرية بسبب تأملاتهم الميتافيزيقية واستخدامهم غير المحكوم للغة.<sup>(٣٦)</sup> ولم تقدم أعمالهم كشفاً عن معرفة واقعية جديدة تدعمها التجربة، إنما طرحوا تماثلات متخيلة معتمدة على فرضيتهم بوجود اتجاه تطوري وحيد يشكل الطبيعة (النظرة التكوينية) (الجينية) التي امتدت بسهولة لتشكيل الشعر وغيره من الفنون باعتبارها إبداعات عضوية)، وفرضية اعتماد كل الحيوانات على مخطط واحد (النظرية البنائية التي ثبت أنها أقل ملاءمة للفنون). أما أكثر تماثلاتهم لفتاً للنظر فهي تلك المتضمنة لتوازيات مع البيولوجيا الوراثية مثل حس شوبرت وج. ف. بلومباخ للتوازي بين مسار التاريخ الإنساني وتاريخ الكرة الأرضية،<sup>(٣٧)</sup> أو محاولات لورنرز أوكن وج. ف. ميكل وبعدهما إرنست هيكل للربط بين مراحل تطور الجنين عند الحيوانات الأعلى وبين سلسلة من الأشكال البالغة عند الحيوانات الدنيا التي بدت وكأنها أسلافها التطورية.<sup>(٣٨)</sup> اليوم لا يمكن الدفاع عن مثل هذه الآراء من الناحية العلمية بل إنها تعتبر غير معقولة. ولكن أولئك المنتقدين لفلسفة الطبيعة والذين ينكرون عليها أهميتها العلمية يسيئون تقدير ما لأطروحات تلك الفلسفة من سطوة وسيطرة. إن فكرة تطور الكائن الفرد الذي يلخص نشوء أو تطور النوع - أي فكرة أن التطور الجنيني للكائن يوازي تاريخ تطور النوع -

(٣٦) انظر:

H. A. M. Snelders, 'Romanticism and Naturphilosophie and the inorganic natural sciences 1797-1840', *Studies in Romanticism* 9, no. 3 (Summer 1970), pp. 193-215.

(٣٧) انظر:

Nicholas A. Rupke, 'Caves, fossils, and the history of the earth', in Andrew Cunningham and Nicholas Jardine, *Romanticism and the sciences*, Cambridge University Press, 1990, pp. 241-59.

(٣٨) يقدم ستيفن جاي جولد Stephen Jay Gould مسحا مفيدا لنظريات التطور التي طرحتها "فلسفة الطبيعة" في:

Stephen Jay Gould, *Ontogeny and phylogeny*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1977, pp. 38-47.

أصبحت اعتقاداً مقبولاً فى فكر القرن التاسع عشر.<sup>(٣٩)</sup> ونجد تصورات عن التوازى فى التطور بين الفرد والنوع بادية فى "نظريات الثقافة" عند الرومانسيين وفى روايات تكوين الشخصية Bildungsromane.<sup>(٤٠)</sup> ومازالت فكرة الحفاظ على الخصائص السالفة تثير اهتمام علماء الأحياء، وهى الفكرة التى كانت النتاج الطبيعى لنظرية التلخيص، وهى ترى أن النوع يتطور عن طريق الاحتفاظ بالملاحم الشابة للأسلاف. إن المجاز الشعري لوردزورث "الطفل أب الرجل" ربما تثبت صحته العلمية بشكل لم يكن لوردزورث أن يتنبأ به.<sup>(٤١)</sup>

ويظل الجدل دائراً بين مؤرخى العلوم حول ما إذا كانت الاكتشافات الكبرى القليلة التى قام بها علماء ارتبطوا بالحركة الرومانسية، مثل الكهرومغناطيسية لعالم الطبيعة الهولندى هانز كريستيان أورستيد، والكهروكيميا لدافى (والتي تعزى كذلك، طبقاً لدعوى البعض، إلى يوهان فيلهلم ريتز، وهو الذى اكتشف الأشعة فوق البنفسجية على كل حال)، قد تمت بإلهام من فلسفة العقل النظرى لكائط وشيلينج، أم بالرغم من تلك الفلسفة. أما على مستوى دارسى الأدب فمن المتوقع أن نجدهم من ناحيتهم مهتمين باستقصاء أثر التطورات العلمية على الكتاب الرومانسيين الأفراد.<sup>(٤٢)</sup> ورغم ما فى مثل هذه المناقشات من إضاعة فإنها عادة ما تتغاضى عن الفرق الأساسى بين العلوم الإنسانية والطبيعية - وهو الفرق الذى كانت كتابات الرومانسيين

(٣٩) إن فكرة التلخيص هذه استطاعت أن تصمد فى مواجهة الهجوم المبكر لكارل إرنست فون باير فى ١٨٢٨، بل مضت وازدهرت إثر نظرية داروين للنشوء والتطور، وبدعم من لويس أجاسيز لاقت قبولاً فى الولايات المتحدة، وظلت تدرس فى كتب العلوم المدرسية حتى نهاية القرن.

(٤٠) انظر:

Fink, 'Ontogeny recapitulates phylogeny', pp. 91C.

(٤١) انظر:

Stephen Jay Gould, 'The child as man's real father', in *Ever since Darwin*, New York: Norton, 1977, pp. 63-9.

(٤٢) انظر دراسات أولت Ault ودى ألميدا de Almeida وجرابو Grabo ونيسبت Nisbet وستيفنسون Stephenson وروايت Wyatt. وي طرح ويلي Wylie مسألة ما إذا كان اهتمام كوليردج بالميكروالعلوم قد ساهم فى كتابته الشعرية أم قوضها، ويتخذ رأياً مخالفاً بعض الشيء للغير بالنسبة لمعاداة كوليردج لنظرية نيوتن.



تعلنه عن غير قصد منهم، حتى حين سعوا لتأكيد ذلك الحس الداخلي حول الوحدة الضمنية بين الطبيعة والعقل. عادة ما يفترض أن العلوم الطبيعية دقيقة ويمكن التنبؤ بنتائجها، في حين أن العلوم الإنسانية غير دقيقة ولا يمكن التنبؤ بنتائجها، هذا إذا ما اعتبرناها علومًا من الأصل.<sup>(٤٣)</sup> وفي كتابه العلم الحديث يطرح جيامباتيستا فيكو، أحد السابقين على الحركة الرومانسية، أن الشيء الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يطمح بمعرفته بقدر ما من اليقين والتمام هو الأعمال الفنية والمؤسسات التي صنعها الإنسان بنفسه. أما العالم الطبيعي، ذلك الإبداع الإلهي، فهو يتجاوز قدرتنا على الإدراك ولا تكون محاولة فهمه عن طريق "الميتافيزيقا العقلية" التي تقول بأن الإنسان يصبح الشيء نفسه عندما يفهم ذلك الشيء، وإنما عن طريق "الميتافيزيقا المتخيلة" والتي تبين أن الإنسان يصبح كل الأشياء في عدم فهمه لها.<sup>(٤٤)</sup> إن الميتافيزيقا المتخيلة هي علم بدائي وأسطوري، شكل وسطي من المعرفة يعتمد على المجازات الشعرية والدفاعات النفسية التي في غياب تفسيرات ممكنة الإثبات لأسباب الظواهر الطبيعية، تقدم معنى مؤقتًا. وفي زمننا الحاضر، فقد عبر هارولد بلوم بدقة عن تلك الفكرة البصيرة لدى فيكو في ملاحظته أن "الشعر يولد من جهلنا بالأسباب،"<sup>(٤٥)</sup> في حين طور جورج كانجو الميتافيزيقا المتخيلة لتصبح عصرية في مفهومه "للأيدولوجية العلمية". وهو يشير إلى "الأنساق التفسيرية"، تلك الاستبصارات التأملية التي يطلقها العقل في محاولة ملء الفجوات التي لا يمكن تفاديها في المعرفة العلمية. إن الأيدولوجيات العلمية تسبق "خلق مؤسسة العلم" في مجال ما، كما

(٤٣) راجع تفسير ميشيل فوكو في نظام الأشياء (The order of things, New York: Random House, 1970) أن العلوم الإنسانية "ليست علومًا بالمرّة، فالمقاييس التي تحدد وضعيتها والتي تعطيها جذورًا في "الإستيمية" (النسق المعرفي المرحلي) الحديثة تجعل من المستحيل عليها في نفس الوقت أن تصبح علومًا، وإذا ما طرحنا السؤال إذن لماذا تسمى كذلك؟، فيكفي أن نتذكر أن ذلك متعلق بالتعريف المنتمي إلى آثار المعرفة لجنورها الذي استدعى وتلقى نقل نماذج مستقاة من العلوم. (ص ٣٦٦)

(٤٤) انظر:

The new science of Giambattista Vico, Thomas Goddard Bergin and Max Harold Fisch (eds.), 1948: rev. edn. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984, p. 130.

(٤٥) انظر: Harold Bloom. Poetry and repression. New Haven, CT: Yale University Press. 1976, p. 5.

"يسبقها علم في مجال مساعد يقع بشكل غير مباشر ضمن مجال رؤية الأيديولوجية".<sup>(٤٦)</sup>

ويساعدنا مفهوم الأيديولوجية العلمية على رؤية الحركة الرومانسية كمرحلة انتقالية بين فترتين من العلم المؤسسي. ويتضح ذلك الوضع الانتقالي للحركة الرومانسية أكثر ما يتضح فيما يتعلق بعلم الأحياء ونظرية النشوء والتطور وعلم النفس. فمع غياب علم أحياء متطور يعتمد على نظرية الخلية (وهي النظرية التي أصبحت ممكنة فقط بعد ١٨٢٩ مع اختراع ميكروسكوب أوسع قدرة من السابق)،<sup>(٤٧)</sup> وغياب تفسير داروين للنشوء والتطور اعتماداً على الانتقاء الطبيعي (والتي لم يكن بالإمكان صياغتها إلا بعد أن أثبت كوفير الانقراض كواقع حقيقي، وبعد إثبات عدم صحة رؤيته الغائية لتطور الكائنات)<sup>(٤٨)</sup>، وغياب رؤية دينامية للوعي باعتباره مجال الرغبات المكبوتة (والتي لم تكن تحظى باهتمام جدى إلا بعد أن اكتسب الطب النفسى مصداقية في مجال الطب بحلول نهاية القرن التاسع عشر)، يمكن القول إن الحركة الرومانسية دعمت أيديولوجيات علمية مثل النزعة العضوية والتطورية والمادية الحيوية والازدواجية النفسية.<sup>(٤٩)</sup> وكان الطموح الأقصى لكثير من الرومانسيين (وظل

(٤٦) انظر:

Georges Canguilhem, *Ideology and rationality in the history of the life sciences*, Arthur Goldhammer (trans.), Cambridge, MA: The MIT Press, 1988, p. 38.

(٤٧) انظر:

L. S. Jacyna, 'Romantic thought and the origins of cell theory', in *Romanticism and the sciences*, Cunningham and Jardine, pp. 161-8.

(٤٨) انظر:

Joel Black, 'The hermeneutics of extinction: denial and discovery in scientific literature', *Comparative criticism* 13, E. S. ShaCer (ed.), Cambridge University Press, 1991, pp. 147-69.

(٤٩) فيما يتعلق بالمادية الحيوية انظر:

Timothy Lenoir, 'Kant, Blumenbach, and vital materialism in German biology', *Isis* 71 (1980). pp. 77 - 108.

لم تكن الحركة الرومانسية الداعمة لهذه الأيديولوجيات العلمية فحسب إنما كانت هي نفسها تعرف على أنها إحدى هذه الأيديولوجيات ولها برنامجها الشعري والسياسي. انظر

J. McGann, *The Romantic ideology*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1983.

كذلك لبعض علماء اليوم) هو التوحيد ما بين العمليات العضوية والنفسية في نظام مفهومي واحد. ويمكن توضيح العلاقة بين النقد الرومانسي والعلوم بعرض موجز لوضع الأحياء وعلم النفس في بداية القرن التاسع عشر؛ إذ إن النماذج المستخدمة في هذه التخصصات الجديدة هي أيضاً التي شكلت النقد الرومانسي وشعريته.

### النموذج البيولوجي

عندما أعلن ميشيل فوكو أنه "حتى نهاية القرن الثامن عشر، ... لم تكن الحياة قد وجدت، إنما كان هناك كائنات حية فقط"،<sup>(٥٠)</sup> كان يقصد أن مفهوم الحياة لم يكن متصوراً في أنساق التصنيف التي سادت العصر الكلاسيكي. وعلى العكس من التاريخ الطبيعى للقرن الثامن عشر الذى صنف كل نوع من النبات والحيوان على أساس معايير عشوائية نوعاً ما، وافترض أن الكائنات الحية هي ببساطة نتاج أصول سابقة التشكيل، شهدت بداية القرن التاسع عشر ظهور مصطلح جديد هو "البيولوجيا"، والذى نحتة لامارك في ١٨٠٢ ووصفه جوتفريد تريفيرانوس في نفس العام على أنه "علم الحياة". وبدلاً من تحديد ملامح الكائن الحي كامل التطور فإن ذلك العلم الرومانسي<sup>(٥١)</sup> سعى للكشف عن المبادئ المحايثة والقوانين الأساسية التي تحدد تطور الكائنات الحية في المقام الأول، وكان ذلك هدف كوليردج في كتابه *نظرية الحياة*. وعليه فإن فوكو يربط ما بين الرومانسية وبين "سيادة النموذج البيولوجي (الإنسان، والنفس الإنسانية، والمجموعة التي ينتمى إليها، ومجتمعها واللغة التي يتكلمها، كل هذه الأشياء توجد في الفترة الرومانسية وكأنها كائنات حية وقد كانت بقدر ما حية بالفعل، لقد كان نمط وجودها عضوياً ويتم تحليله على أساس الوظيفة."<sup>(٥٢)</sup>

(٥٠) Foucault, *Order*, p.160.

(٥١) راجع إشارة هيرموني دي ألميدا Hermione de Almeida إلى الأحياء باعتبارها "قرع من فروع المعرفة

يمكن أن ينشأ ويزدهر فقط في الفكر الرومانسي" في

(*Romantic medicine and John Keats*, New York: Oxford University Press. 1991, p. 63).

Foucault. *Order*. p. 359. (٥٢)

إن أصحاب النزعة الطبيعية من الرومانسيين قد قتلوا الطبيعة بحثاً عن النماذج البيولوجية الجوهرية.<sup>(٥٣)</sup> إن مفاهيم جوته في ثمانينيات القرن الثامن عشر عن Urplanze و Urtier كانت محاولات لصياغة مخطط مثالي واحد للتنوع الهائل للنباتات المزهرة والحيوانات الفقارية. ولكن بالرغم من سعيه لإيجاد مثال في الطبيعة - يشبه نوعاً المفهوم القديم للنموذج المثالي في الفنون<sup>(٥٤)</sup> - فجوته كان يعارض التداعي الحتمي لأفكار أفلاطون الترانسندنتالية. ودائماً ما حاول في كتاباته الأدبية تحقيق درجة ما من التفرد، مثل الشخصيات التي رسمها في فيلهلم مايستر. ومع ذلك فقد أصر نوفاليس على أن تلك الرواية تم بناؤها على أساس "مبدأ التنويعات" حيث الشخصيات كلها تنويعات لنمط واحد - وهو المبدأ الذي كان ينوي أن يعرضه في هنريش فون أوفترديدين، روايته "ضد مايستر".<sup>(٥٥)</sup>

وباعتباره شكلاً أولياً أو صورة أولية فإن Urbild يعد تركيبة غريبة مما أطلق عليه كليفورد جيرتر نماذج من أجل الواقع ونماذج للواقع. وهو بشكل ما مثل النظام الوراثي، يحقق "تواصل النسق" في الكائنات الحية عن طريق ما يتضمنه من خطة أو

(٥٣) انظر:

Timothy Lenoir, 'Morphotypes and the historical-genetic method in romantic Biology', in *Romanticism and the sciences*, Cunningham and Jardine, pp. 119-29; p. 122.

(٥٤) لم يحدد جوته "إلى أي درجة" يرتبط الطموح العلمي ... للسيطرة على الكل ... بالدوافع الإبداعية والمحاكية للطبيعة" (*Die Schriften*, Abt. I, IX: 7) ورغم أن فينك يعتقد أن "المدخل العام لتعريف نوع" عند جوته في كتاباته عن المورفولوجي في منتصف التسعينيات من القرن الثامن عشر، "هو ما يميز تحوله من العلم الرومانسي إلى العلم الكلاسيكي" (*Goethe's history of science*, p.24) ويتساءل المرء ما إذا كان "العلم الرومانسي" يسبق المرحلة الكلاسيكية، أم أنه مثل الفن الرومانسي لاحق على تلك المرحلة. (٥٥) لمناقشة مستفيضة للاستقبال المتنبس للرومانسيين (أساساً فريدريش شليجل ونوفاليس) لرواية جوته انظر:

Ernst Behler, 'Wilhelm Meisters Lehrjahre and the poetic unity of the novel in early German romanticism', in *Goethe's narrative fiction: the Irvine Goethe symposium*, William J.

Lillyman (ed.), Berlin: de Gruyter, 1983, pp. 110-27.

شفرة أصلية قابلة للتوالد. ولكن في حين أن الشفرة لا يمكن اختزالها ولا هي تشبه ما ينتج عنها من نسق معروف، فإن Urbild تمثيل رمزي خالص وظيفته ليست تقديم مصادر معلومات يمكن بمقتضاها خلق نسق لعمليات أخرى، إنما وظيفته تمثيل تلك العمليات بأنساقها والتعبير عن بنائها في وسيط بديل.<sup>(٥٦)</sup> وكان لجوته معاناته مع المشكلة، خصوصاً بعدما قال له شيللر في ١٧٩٤ إن رسمه المخطط "للنبات الرمزي" ليس بالتجربة الحقيقية وإنما هو فكرة ( 'das ist keine Erfahrung, das ist eine Idee' )<sup>(٥٧)</sup> - وهو إطرء مزعج بالنسبة لجوته الذي كان يريد أن يفصل نفسه عن كل تنظير مجرد. وكان الحل الذي قدمه بعد ذلك هو تقديم مفهوم Urphanomen في كتابه *Farbenlehre* (١٨١٠). فعلى العكس من النماذج المثالية والكائنات البدائية، فإن الظواهر الأولية كانت قابلة للملاحظة. ومثل "الظاهرة المركزية" عند كوليردج،<sup>(٥٨)</sup> كان بإمكان العلماء البحث عن الفكرة في التجربة،<sup>(٥٩)</sup> ورؤية العام في الخاص، "ليس كحلم أو ظل إنما كوحى حى مباشر حول ما هو مستغلق."<sup>(٦٠)</sup>

(٥٦) انظر:

*The interpretation of cultures: selected essays by Clifford Geertz*, New York: Basic Books, 1973, p. 94.

ويستخدم هنري إلنبرجر Henri Ellenberger مصطلحات جريتز عند ملاحظته أن جوته يعتقد أن أوريفلانز Urpflanze (نبات بدائي) نموذج لكل النباتات، وكل نوع من النبات يأخذ عنها بدرجة ما" (The discovery of the unconscious, New York: Basic Books, 1970, p.203)

(٥٧) انظر:

Goethe, *Die Schriften zur Naturwissenschaft*, Abt. I, IX: 81.

(٥٨) يجد ليفر Levere أن مفهوم كوليردج "ربما يكون أقرب من Urphanomen للتراث الأفلاطوني" بما أنه كان في نفس الوقت ظاهرة ورمز لفكرة، تجسد القانون، "وليس مجرد تمثيل (Poetry, pp. 93-4).

(٥٩) انظر:

Goethe, *Die Schriften zur Naturwissenschaft*, Abt. I, X: 277.

انظر أيضاً:

Nisbet, *Goethe and the scientific tradition*, pp. 39-43.

(٦٠) انظر:

Goethe (*Maximen und Reflexionen*, no. 314), *Sämtliche Werke*, XVII: 775.

وعلى الرغم من التشابه السطحي ما بين Urphanomen عند جوته والنماذج الأصلية لفلسفة الطبيعة (مثل "الفقارة النموذجية" عند ريتشارد أون باعتبارها أساس تكوين الحيوان<sup>(٦١)</sup>) والكريستال عند أوكن باعتباره نموذجاً أصلياً جيولوجياً) فقد ظل جوته يتبنى موقفاً نقدياً من الأشكال النظرية غير المتغيرة التي تدعى تفسير العمليات الطبيعية المركبة. أما عنده فعلم المورفولوجي يعتمد بالأحرى على المفهوم العضوي للتكوين أو bildung لإنجاز مهمة أكثر تواضعاً وهي وصف الظواهر القابلة للملاحظة. وفي النهاية وصل جوته إلى رؤية المشكلات العلمية لزمه باعتبارها مشكلات منطقية تتعلق بالترميز والاتصال. وقد وصف في ١٨٣٠ الجدل ما بين كوفير وجيفوري في علم الحيوان الفرنسي على أنه أزمة ناتجة عن صراع الاستعارات<sup>(٦٢)</sup> وسعى إلى توضيح أن استخدام الكلمة في الخطاب الفرنسي، وفعلياً في السجلات بين رجال رائعين، تؤدي إلى سوء فهم واضح. نحن نعتقد أننا نتحدث بنثر خالص في حين نكون بالفعل نتكلم مجازياً. [ Man glaubt in riner Prosa ] zu redder und man spricht schon tropisch ويتم تطبيق المجازات بأشكال مختلفة واستخدامها بمعنى متصل وبهذه الطريقة لا ينتهي الخلاف وتصبح المشكلة غير قابلة للحل.<sup>(٦٣)</sup>

(٦١) انظر:

Philip F. Rehbock, 'Transcendental anatomy', in *Romanticism and the sciences*, Cunningham and Jardine, pp. 144-60, and Ronald H. Brady, 'Form and cause in Goethe's morphology', in *Goethe and the sciences*, Frederick Amrine, Francis J. Zucker and Harvey Wheeler (eds.), Dordrecht: Reidel, 1987, pp. 257-300; esp. pp. 262-7.

(٦٢) انظر:

Fink, *Goethe's history of science*, p. 89.

يلاحظ فينك أن جوته "أختزل أغلب الملاحظات حول العلم إلى أسئلة حول اللغة" (ص ٤٤)

(٦٣) انظر:

Goethe, *Die Schriften zur Naturwissenschaft*. Abt. i. x: 398.

وردت في فينك (Goethe's history of science, p.44) الذي يلاحظ أن "فهم جوته للأساس اللغوي لتغير النماذج الإرشادية في تاريخ العلم ... يبدو متفرداً" (ص ٨٧).

والمؤكد أن جوته نفسه استخدم الاستعارات استخدامًا كبيرًا كنوع من خلق التماثل ما بين الإنسان والمجالات الطبيعية، مشيرًا لقطعة المغنطيس على أنها كائن يحمل الصفات الذكورية والأنثوية، ولألوان على أنها "أفعال" الضوء و"معاناته" (Taten und Leiden) وفي ١٨٠٩ في رواية Die Wahlverwandschaften صاغ العلاقات الإنسانية على نموذج التفاعلات الكيميائية.<sup>(٦٤)</sup> ولكن حساسيته للغة مكنته من فهم ما غاب عن أغلب زملائه من العلماء - وهو أن الأزمات الكبرى في تاريخ العلوم كانت لدرجة ما نتيجة لحدود المنطق وعدم صلاحيته. وبشكل مختصر يمكن القول إن جوته قد جمع ما بين استبصارات طوبولوجية ومجازية؛ اعترافًا بحاجة العلوم للنماذج المجازية (البصرية والتجريبية في مقابل المجردة والقابلة للقياس)، وللغة المجازية (اللفظية والاستعارية في مقابل اللغة الدقيقة والرياضية).

### نماذج العقل: اللاوعي الرومانسي

لقد عاش علم الأحياء باعتباره "علم الحياة" لمدة ثلاثين عامًا تقريبًا التي اعتبر فيها الباحثون أن الكائن العضوي هو وحدة الحياة الأساسية. ومع تطور علم الأحياء إلى مجال دراسي من مجالات العلوم الحديثة - أي عندما حلت الخلية محل الكائن العضوي، الجزء محل الكل، كموضوع للدراسة - لم يعد علم الأحياء علمًا رومانسيًا. والطب الرومانسي هو - في نظر البعض - تلك "الفترة الانتقالية ما بين ميلاد العيادة واكتشاف الخلية". وهي فترة انتقالية هي نفسها متضمنة في "التغير [الأكبر] في النماذج الإرشادية السائدة من الفيزياء النظرية للأحياء التطبيقية والتي ظهرت مع التحول من قرن لآخر."<sup>(٦٥)</sup> وينظرة أوسع فإن الرومانسيين كانوا في منتصف الطريق

(٦٤) انظر:

Nisbet. *Goethe and the scientific tradition*, p. 16.

(٦٥) انظر:

De Almeida. *Romantic medicine*, p. 3.

ما بين نيوتن وفرويد، وكان اكتشاف علوم الحياة نقطة محورية في التحول من العلوم الطبيعية المؤسسة إلى العلوم الإنسانية الناشئة.

إذا تجاوزنا اهتمام الرومانسيين بعلم الأحياء ذلك العلم الجديد الذي تعامل مع الحياة بوصفها موضوعاً للدراسة، نجد أنهم استحدثوا تلك المقاربة للمعرفة المتألمة للذات التي يصبح فيها الإنسان (أو الوعي الإنساني) هو نفسه موضوع العديد من حالات الدراسة لعلم الأحياء. ولأن العلوم الإنسانية كانت تفتقد لذلك الموضوع المحدد الذي تنطبق عليه القوانين العامة كما هو الحال في العلوم الطبيعية، فقد اهتمت بالذات الفردية، التي كانت كل منها مختلفة ومتفردة. لقد كانت تلك المجالات البحثية الناشئة تعتمد على نوع جديد من النماذج، وهو "الافتراض التاريخي"<sup>(٦٦)</sup>، الذي كان طريقتها في تحديد نفسها كمجال دراسي أكاديمي. لقد تم وضع الأساس للعلوم الإنسانية أثناء الفترة الرومانسية على يد كانط وبلومباخ وألكسندر فون هامبولدت في علم الأنثروبولوجيا، وعلى يد كريستيان جوتليب هاين وفريدريش شليجل وفريدريش كروزر في الميثولوجيا المقارنة، وهيردر والأخوين جريم وفيلهم فون همبولدت في الفلسفة واللغويات، وعلى يد الأخوين شليجل في الأدب المقارن، وفريدريش شيليرماشر في علم التأويل. ولكن العلم الأهم ضمن العلوم الإنسانية التي أنشأها الكتاب الرومانسيون قد يكون علم النفس (السيكولوجي).

إلى جانب احتفائهم بتلك الشخوص الرجالية العظيمة في الميثولوجيا الكلاسيكية من أمثال بريموثيوس وهيرون، نجد الشعراء الرومانسيين قد أعادوا الاعتبار لإحدى الشخصيات الأكثر تواضعاً وهي شخصية بيسيته Psyche وقد أضفوا عليها دلالات جديدة. فلم تعد رمزاً للمفهوم الديني والفلسفي القديم للروح، إنما أصبحت مرتبطة بالمفهوم البيولوجي الحديث للحياة والنظريات النفسية الناشئة حول العقل. ويشير ذكر كيتس لتلك الآلهة "المولودة حديثاً" في "أغنية لبسيته" إلى الطبيعة المفارقة لتلك الشخصية باعتبارها تشخيصاً لروح البحث والشك عند الإنسان التي

(٦٦) انظر:

Paul Dumouchel, 'The role of fiction in evolutionary biology', *SubStance* 71/2 (1993), pp. 321-33; p. 323.



أدت إلى سقوط الآلهة. ومع ذلك فإن هذه النظرة لبسيشه تظل منسجمة مع نظرة عصر التنوير للعقل باعتباره نشاطاً واعياً. إن الإنجاز النقدي الكبير للرومانسيين، كجزء من محاولتهم للتغلب على جدلية عصر التنوير التي تضع الأسطورة والعقل على طرفي نقيض، هو بحثهم قبل فرويد بقرن في العمليات اللاواعية الهائلة للعقل.

لم يكتشف الرومانسيون اللاوعي، فقد كان الجانب المظلم للعقل معروفاً بأشكال مختلفة منذ القدم، وفي القرن الثامن عشر تم وضعه في إطار مفهوم السوائل المغناطيسية والكهرباء الحيوانية، التي يفترض أن المسمريين كانوا يتحكمون بها في شكل مبكر من أشكال التنويم المغناطيسي. ولكن في العصر الرومانسي أصبح دور العمليات اللاوعية ونطاقها في الحياة الإنسانية وفي الإبداع الفني أمراً معترفاً به على نطاق واسع.<sup>(٦٧)</sup> وعادة ما يرجع الفضل لشييلنج في إعادة صياغة المفهوم الأفلاطوني الجديد للروح الكونية في الطرح ما بعد ديكرتي القائل بأن الطبيعة والإنسان يتحددان من خلال مبدأ واحد للتنظيم لا يصل إلى مرحلة الوعي إلا عند الإنسان.<sup>(٦٨)</sup> ويكلمات ألبرت بيجنين "اللاوعي عند الرومانسيين ليس مجمل المضامين القديمة المنسية أو المكبوتة للوعي (فرويد) ولا هو الوعي في حالته اليرقية (الينيتز) ولا حتى منطقة غامضة وخطرة (هيردر). إنه الجذر للإنسان، نقطة انطلاقه إلى عمليات الطبيعة الشاسعة."<sup>(٦٩)</sup> وبهذا المعنى الواسع، يصبح اللاوعي ما يطلق عليه فوكو "الموضوع الأكثر أساسية" في العلوم الإنسانية، "فهو" ليس مجرد مشكلة

(٦٧) انظر:

Lancelot Law Whyte, *The unconscious before Freud*, 1960; rpt. London: Friedmann, 1978, p. 125; Albert Béguin, *L'âme romantique et le rêve*, 1939; rpt. Paris: Corti, 1946, p. 70.

(٦٨) رأى آلان ريتشاردسون Alan Richardson مؤخراً أن الكتاب الرومانسيين لم يكتشفوا اللاوعي كما نعرفه، إنما قاموا بلفت الانتباه للوظائف اللاواعية المتنوعة التي يقوم بها عقل داخل العقل، ورأى أن الرومانسيين لم يستبقوا التحليل النفسي بقدر ما استبقوا علم المخ الحديث.

'Romanticism and the unconscious: building a mind', paper presented 23 January 1998 at the American Conference on Romanticism in Athens, Georgia.

(٦٩) انظر: Béguin, *L'âme*, p. 76.

فى إطار العلوم الإنسانية يمكن النظر إليها على أنها مشكلة صادفها العلم من خلال خطواته، إنما هو مشكلة فى المحصلة النهائية تشارك العلم الوجود نفسه.<sup>(٧٠)</sup>

وإذا ما ذهبنا أبعد من إدراك الرومانسيين للأثر العميق لللاوعى فى الوجود الإنسانى، فإننا نجد أنهم اكتشفوا أن لللاوعى بنية؛ وهو اكتشاف لم يحدد فقط كتاباتهم النقدية والإبداعية إنما كان ضرورياً لتأسيس علم النفس والعلاج النفسى كعلوم حقيقية. ولم يكن إصرار كانط على عدم إمكانية معرفة العالم فى ذاته ليعوق الرومانسيين الذين لم يحبطهم إنكاره إمكانية وجود علم للنفس أو علم "لحساسية الداخلية".<sup>(٧١)</sup> والنظرية الرومانسية الأكثر اكتمالاً حول اللاوعى نجدها فى دراسة كارل جوستاف كاروس فى ١٨٤٦ وعنوانها *Psyche, zur Entwicklungsgeschichte der Seele*، التى تصف تطور الروح من اللاوعى إلى الوعى باعتباره عملية بيولوجية لا عملية عقلية أو روحية. (كان كاروس طبيباً بالإضافة لكونه رساماً وصاحب نظريات) ومثلما عند كيتس "بسيشه المولودة حديثاً"، يتطور الوعى عند كاروس متأخراً فى إطار تطور الفرد بعد المرحلة الحيوية لللاوعى فى خلال الوجود الجنينى (عندما يظهر "الوعى التكوينى" الذى ينظم النمو العضوى)، وفى فترة لاحقة على الفترة التى سبقت الوجود الجنينى وهى فترة أطول وأسبق (وقت كان الفرد خلية داخل جسد أمه). الواضح أن كاروس ذهب أبعد كثيراً من فرويد - الذى قرأ له - فى إرجاعه للدافع اللاوعى إلى مراحل مبكرة فى التطور الإنسانى.

ورغم ما قد نجده فى مثل هذه المضاربات الفكرية فى علم النفس من عدم علمية، فإنها تدحض الفكرة الشائعة بأن اكتشاف بنية اللاوعى "بدأت فقط فى القرن

(٧٠) انظر: Foucault, Order, pp. 372, 364.

(٧١) انظر: Kant, Metaphysische Anfangsgründe, p. x.

العشرين.<sup>(٧٢)</sup> تلك النظرة التي تتجاهل ما يطلق عليه هنرى إنبرجر "العلاج النفسي الدينامي الأول" في الفترة من ١٧٧٥ إلى ١٩٠٠، الذي شهد "تشوء نموذج جديد للعقل الإنساني ... يعتمد على ازدواجية الوعي واللاوعي في النفس المنقسمة psychism".<sup>(٧٣)</sup> ومن وجهة نظر هارولد بلوم فإن النموذج الصراعى للعقل الذى قدمه بليك لا يسبق فرويد بقرن من الزمان فحسب إنما يتجاوزها فى عمقه: "يتيح بليك ... وجود فكرتين شديدتى الاختلاف عن الصراع داخل الضمير الإنسانى، واحدة بين هذا id والأنا الكابحة ضد الأنا العليا، والأخرى بين العناصر الفاعلة والعناصر السلبية فى النفس الحقيقية".<sup>(٧٤)</sup> أما المثال الآخر لنموذج جينامى فهو وصف ج. ه. شوبرت للفرد على أنه "تجم مزدوج" ذو مركزين - الأنا أو روح الفرد، ووعى بالذات (Selbstewusstsein) أو روح العالم التى يتصل بها الفرد فى "لحظات كونية"<sup>(٧٥)</sup> معينة. وظاهرة "انقسام النفس" dipsychism لا تشكل فقط روايات جان بول (Flegeljahre) و إ. ت. أ. هوفمان (kater Murr)، ولكنها استخدمت لتفسير العملية الإبداعية عند الرومانسيين أنفسهم. ويطرح أحد النقاد فى بداية القرن العشرين نظرية مؤداها أن نوفاليس كان له شخصيتان - واحدة طبيعية وعادية وأخرى شعرية قادرة على الرؤية الخيالية - وقد نمّت كلتاها جنباً إلى جنب منذ كان طفلاً.<sup>(٧٦)</sup>

(٧٢) انظر: Whyte. *The unconscious*, p. 63.

راجع ما ذهب إليه جان بودريار Jean Baudrillard من أن "اللاوعي قد تم ابتداعه مع التحليل النفسى" *Seduction*. Brian Singer (trans.), New York: St Martin's Press, 1990. p. 80.

راجع كذلك الهامش ٦٨ فيما سبق.

(٧٣) انظر: Ellenberger, *Discovery*. p. 111.

(٧٤) انظر: Harold Bloom, *Blake's apocalypse*, 2nd edn. New York: Anchor, 1965, pp. 263-4.

(٧٥) انظر: Ellenberger, *Discovery*, pp. 205, 729.

(٧٦) انظر:

Jean-Edouard Spenlé. *Essais sur l'idéalisme romantique en Allemagne*. Paris: Hachette, 1904.

تم استخدام المفهوم المتعلق بذلك فى علم النفس الرومانسى وهو cryptonesia من أجل تفسير حالات السرقات الأدبية. انظر:

Ellenberger, *Discovery*, p. 170

ومن المستبعد اليوم أن نجد باحثاً يرى تناقضاً ما بين حياة نوفاليس "الطبيعية" والمهنية وما بين عمله بالشعر،<sup>(٧٧)</sup> خصوصاً وأن مهنته كمهندس وإداري في مجال التعدين قد تم دراستها وبشراة من قبل غيره من الكتّاب الشباب فيما بين ١٧٩٠ و ١٨٢٠ في ألمانيا ما قبل التصنيع.<sup>(٧٨)</sup> ولم يمنع التدريب المتطور الذي تلقاه نوفاليس على يد أبراهم جوتلوب فرنر في المعهد الشهير بفرايبيرج Bergakademie، لم يمنع نوفاليس من الإشارة في أعماله الأدبية إلى المفهوم القديم عن المعادن باعتبارها أشبه بالمواد العضوية التي "تنمو" فعلياً داخل رحم الأرض - وهو اعتقاد "استمر يعمل بقوة كاستعارة حاكمة" في أدب ذلك الزمن.<sup>(٧٩)</sup> وقد صاغ وجهة النظر هذه صراحة شويرت، الذي كان زميلاً لنوفاليس كطلاب في فرايبيرج، وهو الذي عين مكان "مملكة المعادن ... على الحدود بين عالمين" من غير العضوى والعضوى، وصولاً إلى اللاوعى والوعى.<sup>(٨٠)</sup> ويوصفه "بنية عميقة" أدبياً فقد قدم المنجم

(٧٧) في حين رأى هانز ماير Hans Mayer أن نشاطات نوفاليس المهنية والشعرية تعتبر متناقضة، فإن نقاداً لاحقين مثل جيرهارد شولتز Gerhard Schulz لم يروها كذلك. (n.1) (Neubauer, Novalis, p.173) ولاحظ بهلر Behler (ص ١٢٥-٦) أنه في رواية هنريش فون أوفتردينج Heinrich von Ofterdingen تتأوب بين عالمى الحياة الخارقة والحياة العادية، العالم الداخلى للنفس والعالم الخارجى، وهو أسلوب نوفاليس الأدبى الذى يمثل رمزياً الاتسجام بين العالمين".

(٧٨) من ضمن معاصرى نوفاليس والذين درسوا التعدين هناك كليمنس برنتانو، وإيشندروف، وهنريش ستيفنز، وثيودور كورنر، وألكسندر فون همبولت، وفرانز فون بادر، وجوتتيلف هنريش شويرت. ورغم عدم دراسته للتعدين فقد شارك جوتته في محاولات إعادة افتتاح مناجم للنحاس والفضة في ١٧٧٦ في وادى المنو.

(٧٩) انظر:

Theodore Ziolkowski, *German Romanticism and its institutions*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990, p. 31.

(٨٠) انظر:

Gotthilf Heinrich Schubert, *Ansichten von der Nachtseite der Naturwissenschaft* (Dresden: Arnold, 1808), p. 201.

وردت في زيولكويوسكى Ziolkowski الذى يقول إن كتاب شويرت "المرجع المدرسى الأساسى لفلسفة الطبيعة الرومانسية" (German Romanticism, p.31)

للرومانسيين استعارة أساسية لللاوعي أزلحت الاستعارة الكلاسيكية عن العالم السفلي الذي يقطنه أطيايف من الموتى. ومن موتيفات التعدين الرومانسية إلى استعارات علم الآثار عند فرويد، جرت العادة على خلق مفهوم اللاوعي من خلال صور غير أرضية. ومنذ فرويد كان الاعتراف بشكل متزايد بالطبيعة الاستعارية الخالصة لللاوعي.<sup>(٨١)</sup>

ونجد في الكتابات الإبداعية للرومانسيين أكثر الاستبصارات اللافتة حول اللاوعي والتي طورتها فيما بعد نظرية التحليل النفسي. ويفكر المرء في كوليريدج الذي ترجع كاثلين كويرن الفضل له في اختراع كلمة "ما دون الوعي" subconsciousness<sup>(٨٢)</sup> وفي بليك الذي يصفه هارولد بلوم "بإستبصار عميق في علم النفس المخطط بالمقارنة بفرويد"<sup>(٨٣)</sup> وفي جوته الذي قرر يونج أنه منشغل باللاوعي في الجزء الثاني من روايته فاوست؛ وفي إ. ت. أ. هوفمان الذي بنى قصته... على حادثة في كتاب شوبرت *Ansichten*؛ وفي شيلنج الذي قام بتعريف الخارق للطبيعة uncanny على أنه "اسم لكل شيء كان يجب أن يظل... سرًا خفيًا ولكنه ظهر للنور."<sup>(٨٤)</sup> وكان هذا التعريف بالإضافة إلى قصة "Der Sandmann" لهوفمان، مصدرًا رئيسيًا لمقال فرويد في ١٩١٩ "الخارق للطبيعة"؛ وفي إدجار آلان

(٨١) ومن هنا تأتي فكرة دونالد ب. سبنس Donald P. Spence أن اللاوعي عند فرويد "استعارة تطفو بحرية"، وكان لها حياة وإرادة خاصة بها"

*The Freudian metaphor* (New York: Norton, 1987), p. 39.

(٨٢) انظر:

*The notebooks of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957-), notes to II: 2915 and IV: 4540.

(٨٣) انظر:

Harold Bloom and Lionel Trilling, *Romantic poetry and prose*, New York: Oxford University Press, 1973, p. 10.

(٨٤) انظر:

The standard edition of the complete psychological works of Sigmund Freud, James Strachey (trans.), London: The Hogarth Press, 1958, XVII: 224.

بو الذى مثلت قصته "الخطاب المسروق" حالة مثالية لما طرحه جاك لاكان من أن بنية اللاوعى تماثل بنية اللغة.

وبالإضافة إلى تأملاتهم الخاصة ببنية اللاوعى فقد استبق الرومانسيون التحليل النفسى وغيره من العلوم الإنسانية من خلال المقاربة الوراثة (الجينية) التى أدخلوها إلى الدراسة العلمية. لقد رأينا هذا فى الأنواع العضوية المثالية وراء فكرة جوته عن التحول، (the Urpflanze and Urtier) التى خضعت للتحول فى فكره، لتصبح فيما بعد Urphanomen فى عمله عن نظرية اللون. وقد استخدم جوته هذا المصطلح للإشارة إلى الظواهر الأولية التى يمكن رصدها فى الطبيعة مثل المغناطيسية واللون، ولكنه كان أيضا يرجع اهتمامه العلمى باللون شخصياً إلى "ظاهرة أولية": فبدلاً من دراسة ما يحدث للضوء إذ يمر من خلال المنشور كما وصفه نيوتن، فإن جوته ينظر إلى المنشور وتدهشه الألوان الزاهية التى تظهر على أطراف الأشياء.<sup>(٨٥)</sup> وبالفعل فإن جوته قد أرجع المعرفة العلمية الخاصة به إلى مشهد أولى، فيما يشبه كثيراً ما سيقوم به فرويد فى حالة المعرفة الجنسية. يتساءل إنبرجر "بماذا نطلق على عقدة أوديب وقتل الأب الأولى، إن لم يكن Urphanomene التى يتم طرحها على أنها للإنسانية كلها ويتم وصفها فى الأفراد فى مراحل تحولهم المختلفة؟ بالنسبة لفرويد، لا يهم ما إذا كان قتل الأب الأولى قد اقتراف فعلاً أم لا، مثلما لم يهتم جوته بإذا ما كان Urpflanze موجوداً فعلاً كنوع من أنواع النبات. المهم فقط هو العلاقة التى يمكن استخلاصها فيما يتعلق بالثقافة والدين والنظام الاجتماعى الإنسانى وفيما يتعلق بسلوكية الفرد."<sup>(٨٦)</sup> إن Urphantasia لفرويد، الذى يقال إن ما ألهمه لدراسة الطب كان قراءته كتابات جوته عن الطبيعة، هو

(٨٥) انظر:

Fink, Goethe's history of science, pp. 32, 35.

(٨٦) انظر:

Ellenberger, *Discovery*, p. 204.

المعادل في التحليل النفسي الحديث لمفهوم en جوته Urphanom في العلوم الطبيعية، الذي يطلق عليه إنبرجر "المفهوم الأساسي للفلسفة الرومانسية".<sup>(٨٧)</sup> ونجد فرويد في وصفه للخيالات الأولية كميراث خاص بالنشوء النوعي تتجاوز تجربة الفرد الخاصة، يمثل ذروة التراث الرومانسي للعلوم الألمانية التي هدفت إلى "الكشف عن تاريخ توليدي للطبيعة من خلال "الحس الأصيل".<sup>(٨٨)</sup> ومن غير المستغرب أن نجد أن منتقدي التحليل النفسي الكثيرين في نهاية القرن العشرين يعيدوا استخدام نفس الحجج التي استخدمت قبل ذلك لإنكار فلسفة الطبيعة الرومانسية واعتبارها علمًا زائفًا.

### نماذج الحياة الجنسية

إذا كان ثمة مشهد رئيسي في العلم الحديث فهو ولا شك المشهد الأسطوري لاكتشاف نيوتن للجاذبية بعدما رأى تفاحة وهي تقع في حديقة إنجليزية. وفي مزحة لها عمقها يربط بايرون قصة سقوط ثمرة الفاكهة التي دشنت الثورة العلمية بقصة ثمرة الفاكهة المشنومة التي انجذبت إليها حواء في حديقة أخرى ودفعت إلى سقوط الإنسانية من النعمة الإلهية. ويوحى السطر القائل "سقط الإنسان مع تفاحة، ومع

(٨٧) المرجع السابق ص ٢٠٣.

(٨٨) انظر:

Cunningham and Jardine, 'Introduction', *Romanticism and the sciences*, p. 5.

يرى الكثيرون من مؤرخي الفكر في فرويد استكمالاً للمشروع الرومانسي. ففي حين يقرر إنبرجر أنه "يكاد لا يكون هناك مفهوم واحد لدى فرويد أو يونج لم تكن فلسفة الطبيعة والطب الرومانسي قد استبقت"، يجد ميشيل دي سرتو Michel de Certeau أن فرويد يكمل النقد الرومانسي لمفهوم الفرد في عصر التنوير. وفي حين أحالت فلسفة عصر التنوير والفلسفة مهمة دراسة الأهواء والعواطف في القرن التاسع عشر إلى "التخصصات الأدبية"، فإن الفرويدية "ترتبط مجددًا أهمية العواطف والبلاغة والأنب" بإدراجها جميعا في خطاب علمي كانوا قد تم إقصاؤها عنه. انظر:

(*Heterologies*, Brian Massumi (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1986, pp. 25-6).

ولكن بعض الكتاب الرومانسيين أبدوا اهتمامًا بالعلوم، ودرسوا العواطف في شكل علمي بالإضافة إلى الشكل الأدبي.

تفاحة صعد" (دون جوان الجزء العاشر) إن اكتشاف نيوتن والعلم الحديث ربما منح الإنسانية الوسيلة التي تتجاوز بها السقوط الأول من الجنة.<sup>(٨٩)</sup> ولكن سخرية بايرون الشهيرة، والمعادين للنظرية النيوتنية من المعاصرين أمثال جوته ويليكم، والصلاقة الفكرية لشخصيات مثل فاوست وفرانكشتاين كلها تشير إلى استباق رومانسي لنظرية الشك الحديثة التي ترى أن "التقدم" في المعرفة العلمية ربما أغرق الإنسانية في "سقوط ثانٍ" مفاجئ أكثر بكثير من السقوط الأول.<sup>(٩٠)</sup>

في سفر التكوين وفي الفردوس المفقود لميلتون، كان اهتمام المشهد الرئيسي في الجنة لا ينصب على المعرفة العلمية بأى معنى من معانى التقدم بقدر ما كان منشغلاً بالفعل البدائي للوعي الجنسي. ويتضح من عنوان قصيدة بايرون أنه كان يفكر في التقدم الجنسي بقدر ما كان يفكر في التطور المعرفى للعلماء. (وكذلك السخرية من نيوتن العازب "الشخص الوحيد في هذه الدنيا الذى اشتبك، منذ آدم، مع السقوط أو التفاح" (x. i. 7-8) أو - كما هو مفهوم ضمناً - اشتبك مع امرأة، بما أن حواء عادة ما يلقي عليها باللوم لمسئوليتها عن السقوط.) المعرفة الجنسية هي أكثر من مجرد استعارة للمعرفة العلمية، وكما يشهد الكتاب المقدس والأدب والعلم (سفر التكوين وميلتون وفرويد) فإنها ببساطة أول أشكال المعرفة.

وفى ضوء ما يراه الدين بمدارسه التقليدية من إرجاع للمعرفة والمتعة الجنسية إلى الإرادة الإلهية للتكاثر، فإن فعل "التوحد جسدياً" يمكن تبريره بغير المتعة الجنسية باعتباره الوسيلة لتحقيق أمر الله فى الإجاب والتكاثر. وفى فلسفة الطبيعة الرومانسية أيضاً كان يتم النظر إلى الجنس على أنه طبيعى لأنه عملية منتجة، وكانت نشأة

(٨٩) راجع نهاية كتاب كليست Kleist بعنوان *Über das Marionettentheater* قهله علينا إن أن نأكل مرة أخرى من شجرة المعرفة حتى نعود مجدداً إلى حالة البراءة؟

Heinrich von Kleists Werke, Wilhelm Waetzoldt (ed.), Berlin, n.d., v: 79).

(٩٠) انظر:

Stephen Spender, *The struggle of the modern*, London: Hamish Hamilton, 1963, p. 26.



الكون نفسها توصف بأنها فعل خلق ميتافيزيقي. ويقول أوكن "إن الإبداع نفسه ليس إلا عملية إخصاب" وكان "التنبؤ منذ البداية بأن الجنس هو الرابطة المقدسة التي تحافظ على الطبيعة كلها"، وأن "كل من ينكر الجنس لا يملك استيعاب لغز الكون".<sup>(٩١)</sup> أما النتائج الكارثية لإنكار العلاقة ما بين التناسل جنسياً عند الإنسان والخلق الإلهي فقد صورتها ماري شيللي في روايتها فرانكنشتاين Frankenstein (١٨١٨)، ففي الكائن المخلوق معملياً تواجه مباشرة إزاحة الإله والمرأة من فعل تكون الجنين وولادته.<sup>(٩٢)</sup>

ولكن التكاثر والإنجاب لا يفسران ما أعطاه الرومانسيون للجنس من أهمية. متجاوزين الاستعارة، فإن الحب الجنسي قد منح الرجل والمرأة فرصة استعادة الكمال المفقود الذي كان قبل انقسام الجنسين. وقد كان لثيوصوفية theosophy جاكوب بوهيم Jakob Bohme تأثيرها في هذا المجال، كاشفاً عن أن الخطيئة "الأصلية" في الجنة كانت السقوط الثاني بعد السقطة الأهم التي حدثت عندما حاول آدم الذي كان أصلاً كائناً مكتمل الذكورة والأنوثة معاً Androgynous "معرفة" نصفه الأنثوي: العذراء الإلهية صوفياً. ونتيجة شيق آدم، فرق الله ما بين الجنسين وأعطى كلاً منهما "أعضاء حيوانية [thierische Glieder] للتناسل".<sup>(٩٣)</sup> وفي تطويعه الرومانسي لمخطط بوهيم، يعطى فرانز فون بادير قيمة كبيرة للاتحاد الجنسي بين البشر باعتباره الوسيلة الوحيدة لاستعادة كمال الجنس المكتمل الذكورة والأنوثة معاً. وقد صور نوفاليس وفريدريش شليجل في شبابه ذلك الكائن المكتمل الذكورة والأنوثة

(٩١) وردت في: Beguin, L'ame, p. 67

(٩٢) انظر:

George Levine, 'The ambiguous heritage of Frankenstein,' in *The endurance of Frankenstein*, George Levine and U. C. Knoepfelmacher (eds.), Berkeley, CA: University of California Press, 1979, p. 8.

(٩٣) انظر:

Jakob Böhme, *Sämmtliche Werke*, K. W. Schiebler (ed.), Leipzig: Barth, 1922, V: 95. Sara Friedrichsmeyer, *The androgyne in early German Romanticism*, Bern: Peter Lang, 1983, pp. 30-1.

على أنه رمز للكمال والاكتمال المثالي Urphanomen الذي يمكن خبرته فقط بشكل لحظي في الاتحاد الجنسي، ويمكن التعبير عنه فقط في أشكال متشذرة. وتخليل كوليردج عصر ذهبي كان فيه الجنسان متطابقين تقريباً، يملكون "من الاختلاف فقط ما يسمح وما يدعو لذلك القلق الرقيق وفي النهاية اتحاد الحب الطاهر والارتباط الفردي، كل يسعى إلى محبوبه بدافع من الارتباط الطبيعي بين كيانهما..."<sup>(٩٤)</sup> ولم ير على الإطلاق كثير من الرومانسيين في الحياة الجنسية شهوة أدت على يد المرأة إلى سقوط الرجل، بل خلقوا رؤية جنسية للخلق حيث يستطيع الرجل والمرأة الوصول إلى الاتحاد والخلاص. وفي تلك اللحظة التي لم تعد فيها الحياة الجنسية موصومة بكونها أول حالة عبرت فيها الإنسانية عن رغبتها الحرام إلى المعرفة (العلمية)، أصبح بالإمكان أن تكون مجالاً للدراسة العلمية قائماً بحد ذاته.

إن بداية علم النشاط الجنسي بدأت في القرن السابع عشر مع اكتشاف خلايا البويضة والحيوان المنوي، وهو الاكتشاف الذي "حدد بداية برنامج بحث طويل بحثاً، عن التماسل الجنسي في كل مكان."<sup>(٩٥)</sup> وبنهاية القرن كانت الطبيعة الجنسية للنباتات قد أصبحت معروفة، مما أوحى للياوس بالإشارة إلى البراعم على أنها "زفاف الأزهار" الذي يقدم له مبدأ لنظام للتصنيف. وقد مدح كوليردج هذا النظام ولكنه وجد أن عالم الطبيعة السويدي قد اختزل الحياة الجنسية إلى "مخطط من التصنيفات والعلامات المميزة" وأخفق في استيعاب "الحاجة الداخلية للجنس نفسه."<sup>(٩٦)</sup> وفي كتابه الحب والنبات The loves of the plants حاول إراسموس داروينس أن يقوم بالمهمة التي قام بها لوسرييان أي

(٩٤) انظر:

The collected works of Samuel Tayl or Coleridge, IV: The friend, I: 7.

(٩٥) انظر:

Thomas Laqueur, Making sex, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1990, p. 172.

(٩٦) انظر:

Coleridge, The Friend, i: 466-7.

كتابة بحث علمي في شكل شعري، أما جوته فقد وجد أن نظريات الحياة الجنسية للنباتات فجة.<sup>(٩٧)</sup>

إن "الثورة [الحقيقية] في الآراء العلمية حول الحياة الجنسية"<sup>(٩٨)</sup> تزامنت مع الرومانسية. فمع الشعور بطغيان الحياة الجنسية في الطبيعة سرى وعى بالاختلاف بين الجنسين أنفسهم. لقد تم تبني "نموذج الجنسين" الجديد من قبل فلسفة الطبيعة الرومانسية والتي اعتبرت "الاختلاف في الجنس أحد التقسيمات الثنائية الأساسية في الطبيعة، وهي هوة غير قابلة للعبور، لم تولد من التضاد الفيثاغوري إنما من الأصول الإنجابية نفسها ومن الأعضاء التي تنتجها."<sup>(٩٩)</sup> ومع تأكيد الصور التقليدية للنوع الاجتماعي،<sup>(١٠٠)</sup> فقد أتاح الوعي المتزايد بالاختلاف الأساسي في طبيعة الجنسين إعادة دراسة العلاقة بين التماسك والمتعة الجنسية - وخصوصاً عند النساء - وبحلول العشرينيات من القرن التاسع عشر كان رفض التصورات التقليدية "أن الاغتصاب يتناقض مع الحمل"، وأن "المرأة لا يمكن أن تصبح حاملاً إلا برضاها."<sup>(١٠١)</sup> يمكننا إذن أن نقدر حدة الذهن التي تمتع بها كليست في روايته

(٩٧) انظر:

Adolf Portman, 'Goethe and the concept of metamorphosis', in Goethe and the sciences, Amrine et al. (eds.), pp. 133-45.

(٩٨) انظر:

Londa Schiebinger. The mind has no sex?, Cambridge, ma: Harvard University Press, 1989, p. 189.

(٩٩) انظر: Laqueur, Making sex, p. 172.

(١٠٠) انظر نقد شيبينجر Schiebinger لوصف لاقور Laqueur "لإعادة تقييم الأعضاء التماسلية عند المرأة، والذي يعتبر تبسطة عنصراً واحداً في ثورة أوسع بكثير... فيحلول تسعينيات القرن الثامن عشر قدم علماء التشريح في أوروبا كلاً من الجسد الذكري والجسد الأنثوي باعتبار أن لكل منهما غاية مختلفة؛ فالقوة الجسدية والفكرية للرجل، والأمومة للمرأة" (The mind, pp. 190-1)

(١٠١) Laqueur, Making sex, p. 162.

راجع كذلك الرواية التي حققت أعلى مبيعات Le medecin de Pecq (1839) لمؤلفها ليون جوزلان Leon Gozlan وفيها يتسبب رجل يعاني من المشي أثناء النوم في حمل امرأة بينما هو في تلك الحالة، ثم لا يتذكر بعدها ما حدث. وهناك مثال مشابه في رواية لويلي كولينس Wilkie Collins بعنوان The

moonstone

لاغتصاب بطلّة وهى فاقدة الوعي فى قصته 'Die Marquise von O\_' فى ١٨٠٨. اعتماداً على الحكمة الطبية والقانونية التقليدية فإن قراءة القصة الأصليين كانوا ليخلصوا إلى أن الماركيزة الحامل "سلمت" بإرادتها نفسها للكونت!

وفى حين أن نظرة الكنيسة الوظيفية الضيقة للاتصال الجنىسى على أنه وسيلة للإبقاء على النوع قد تمت مراجعتها من قبل كتاب مثل شليجل ونوفاليس الذين قدموا العلاقات الجنىسية فى إطار من الشبق والغموض، إلا أن المتعصبين الدينين لم يكونوا أشد المعارضين للآراء الرومانسية عن الحب، ولا أكثر من استولى عليه الفكرة المسيطرة حول التناسل. فرد الفعل المعادى للرومانسية وجد أقوى من يمثله فى صاى، من ناحية، وخيالاته المبرمجة حول التحايل على العمليات التوليدية للطبيعة بكل الطرق الممكنة، ومن الناحية الأخرى على يد شوبنهاور الذى شكك بقوة فى كون الدافع الجنىسى هو الوهم الأكبر للإنسانية، خدعة من الإرادة الكونية لضمان التناسل والحياة الدائمة. وبطرفى النقيض هذين: الإباحية وجنون الاضطهاد تشكل هامش الآراء الرومانسية التقليدية عن الحياة الجنىسية باعتبارها نشاطاً خلاقاً يصل بالإنسان إلى الخلاص. وفى ذلك الشك الجذرى وشبه العلمى عند صاى وشوبنهاور واجهت التصورات الوردية للرومانسيين حول الحياة الجنىسية تحدياً فلسفياً أكبر من أى حكم قهرى دينى أو ثقافى.

لقد رأينا كيف أن عدداً متنوعاً من المفاهيم شبه العلمية \_ الشكل العضوى، والاستقطابات، والظواهر الأولية، وحركة اللاوعى والكائن المكتمل الذكورة الأنوثة - تحدد الخطاب النقدى والشعرى للرومانسية. هذه المفاهيم لا تعمل فقط كنماذج ميتافيزيقية للعالم المادى ولكنها إبداعات شعرية من الخيال فى حد ذاتها. والقراءة النقدية للرومانسيين تحتاج إلى الانتباه لتلك النماذج التى تولد الكثير من الصور الرئيسية الموجودة فى النصوص الأدبية للفترة. وأحد المشاكل بالنسبة لقراء اليوم فى

تناولهم للنصوص الرومانسية هى أننا قد ورثنا بعض هذه النماذج التى أثرت على طرقنا فى رؤية العالم والإحساس به وفى قراءة الأدب. وما لاحظته محررو مجموعة حديثة من المقالات النقدية حول مفهوم "الطبيعة" ينطبق علينا اليوم أكثر حتى مما ينطبق على الرومانسيين؛ "بشكل متزايد تم تبنى النظريات والنماذج العلمية تحديداً كاستعارات ثقافية لها تأثير مادى على تحويل "طرق الرؤية" و"بنية الشعور".<sup>(١٠٢)</sup> وعلينا أن نتذكر أن هذه النماذج العلمية التى استقاها الرومانسيون من العلوم الطبيعية أصبحت الأساس لمجالات دراسية جديدة نوعاً تسمى العلوم الإنسانية. ولا يجب أن ننسى أن أحد هذه المجالات الجديدة للدراسة كانت تحويل الدراسة الأدبية إلى مؤسسة فى المجال الأكاديمي<sup>(١٠٣)</sup> - نقصد هنا النقد الأدبي نفسه.

(١٠٢) انظر:

*Future natural*, George Robertson et al. (eds.), London: Routledge, 1996. p. 4.

(١٠٣) انظر:

Philippe Lacoue-Labarthe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute*, New York: State University of New York Press, 1988:

"سيظل علينا أن نفهم لماذا كانت الرومانسية هى الحركة الأدبية الأولى التى طالبت بالدخول إلى الجامعة - إلى العالمية - من أجل الاكتمال هناك، ومن أجل أن تفقد نفسها فى ذات الوقت وبنفس الحركة، مدشنة بذلك التاريخ الحديث للكذب برمته فى الجامعة (أو الجامعة فى الأدب)" (ص ٨٢)



## الفصل السابع

### الدين والأدب

بقلم: إى. إس. شافر

ترجمة: إبراهيم فتحي

تشهد العلاقات الوثقى بين الدين والأدب فى معظم المجتمعات على الدور الحيوى للمخيلة فى مجال القيم الإنسانية. ولكن الألفاظ العلمانية التى تصاغ فيها هذه القضية ظلت صفة مميزة للفترة الممتدة من مراجعات عصر التنوير النقدية للدين، إلى الأشكال المتنوعة للدفاع عن العقائد الدينية فى القرن التاسع عشر التى قد تبدو مرتدية اللغة التقليدية. ويظل جدول الأعمال العلمانى ومصطلحاته مسيطراً على التفكير الحالى.

ولذلك فإن تلك الفترة تحدد نقلة كبرى فى العلاقات بين الدين والأدب. ويمكن التعبير عنها بواسطة القول بأن الأدب يصير الشريك المسيطر، فإذا كانت الصيغة "الدين والأدب" قد عبرت عن تراتب واضح فى بداية الفترة، فقد أصبح علينا أن نتكلم عن الأدب والدين. ويجد النقد رسالته فى معالجة هذه النقطة.

لقد توجهت المراجعات النقدية للتنوير إلى جذور ادعاءات التفسيرات الدينية بسلطة فائقة للطبيعة وبصواب عقلانى، وبإلهام إلهى مستمد من كتب مقدسة. وغالباً ما استخدمت تلك المراجعات نغمة هادئة كانت الصيغ الأدبية من الهجاء (السخرية) والتهكم (المفارقة) أدوات إقناع فعالة لها. وكان كتاب ديفيد هيوم "محاورات حول الدين الطبيعى" (١٧٧٦) وخصوصاً فى مقاله "عن المعجزات" (١٧٥٢) واحداً من الأعمال الرئيسية التى تقلب النظر فى هذه الادعاءات. لقد برهن الكتاب على عدم

اتساق جذرى فى مزاعم الأحداث الخارقة (المعجزة) الفارقة للطبيعة بما فيها "النبوة" (بمقدار ما لا يمكن إبطال القانون الطبيعى). ويمثل ذلك واحدًا من الانتصارات الرئيسية الأولى للنظرة العلمية الى العالم على النظرة الدينية<sup>(١)</sup>. أما الرسالة اللاهوتية السياسية لسبينوزا (١٦٧٠) *Spinoza Tractatus theologico politico* التى تسائل معصومية الكتب المقدسة، وتأسف لكون "التعقيبات البشرية قد قبلت بوصفها مدونات إلهية"<sup>(٢)</sup>، على حين أن "الرسالة" تزعم التطابق الخارجى مع سلطة الوحي)، فقد كان لها تداول سرى طوال القرن الثامن عشر رغم إدانة سبينوزا بالإلحاد. وقد جرى امتصاص حجه لتتخلل أعمال جون تولاند John Toland وكونيرز ميدلتون Conyers Middleton التى تتصف بنزعة التأليه الطبيعى deism (أو الربوبية التى تقول بكون محكوم بقوانين طبيعية. ولذلك يمكن للعقل بالشواهد أن يستنبط وجود مدبر حكيم داخل الكون وليس مفارقًا له - المترجم). وفى اتجاه آخر اقترح كتاب "الأخلاق" لسبينوزا جوهرًا إلهيًا شديد التجريد كان عند البعض بمثابة مذهب وحدة وجود pantheism الإحدى (لأنه ينكر على الله الوجود كذات مشخصة) ولكنه أثبت عند كثير من الرومانسيين اتصافه بجاذبية دائمة<sup>(٣)</sup>. وقد أكدت "الحركة النقدية الأعلى" لنصوص الكتاب المقدس التى صدرت عن سبينوزا (واستجمعت قواها عند جيه إس سملر J. S. Semler وجيه جى أيشهورن J. H. Eichhorn حتى حياة يسوع *Life of Jesus* (١٨٣٥) بقلم دى. إف سترأوس D. F. Straus) ملائمة

(١) انظر:

David Hume, *Of Miracles*. In: *Enquiries concerning human understanding*, ed. A. Selby-Bigge.

وقد أعيدت طباعة عدد من محاولات دحض حجج هيوم فى "هيوم: حول المعجزات فى:

*Hume on miracles*, Stanley Tweyman (ed. with an introduction), Bristol: Thoemmes Press, 1996

[Reviews].

(٢) سبينوزا: الرسالة اللاهوتية السياسية.

Spinoza, *Tractatus theologico-politicus*, S. Shirley (trans.), Leiden: E. J. Brill, 1991, p. 8.

(٣) كلمة وحدة الوجود جرى تداولها بمعنى إيجابى عند جون تولاند فى كتابه وحدة الوجود Pantheism عام

١٧١٨.



تطبيق التخصص التاريخى العلمانى على الكتب المقدسة كما قامت بغربة نصوص العهد القديم وأصول تأليفها وتواريخها وعملية تكوين متن الكتابات الدينية الصحيحة وسننها canon، وفحص العلاقة بين ذلك المتن والأسفار المحذوفة (المشكوك فى صحتها وانتسابها apocrypha) وإرجاع جذورهما معاً إلى الأساطير والخرافات والتقاليد الأدبية للمجتمعات التى أنتجت فيها أول مرة. ودخل العلم الساحة مرة ثانية مع الفرض القائل بأن الأرض يجب أن تكون أقدم زمناً بكثير مما يسمح به التسلسل الزمنى فى العهد القديم. وسبقى علم الجيولوجيا (دراسة طبقات الأرض وتواريخ نشوئها) واحداً من التحديات الرئيسية لصدق العهد القديم لما يزيد عن مائة عام. وقد علق دارس جيولوجى قائلاً "كم كان افتراض القدم السحيق للكرة الأرضية مدمراً لمصادقية التاريخ الموسوى، ومن ثم للدين والأخلاق"<sup>(٤)</sup>. وبالمثل هاجم كتاب "تقد العقل الخالص" (١٧٨١) لكانط الأساس العقلى للتصورات الدينية، متحدياً البراهين الرئيسية على وجود الله (الأنطولوجى والكوزمولوجى والطبيعى الإلهى أو دليل التصميم "التدبير المحكم")، وزعم النفس الجوهرية الكلية (قوة الحركة المبنوثة فى العالم) وزعم الخلود. وباستعمال النقائض antinomies أثبت كانط أن الحجج أو الأدلة أمكن إنشاؤها ابتداء من تصورات لاهوتية ثم أدت إلى نتائج عكسية لا يمكن الحكم بالفصل فيما بينها، لذلك فهذه التصورات اللاهوتية عقيمة تافهة وليست جزءاً من الاستعمال الصحيح للعقل.

وضد هذه المراجعات النقدية المدمرة قامت حركة مضادة اتخذت أشكالاً متعددة. وقد سبق عند منتصف القرن الثامن عشر الشروع فى إضفاء القيمة على ما ليس عقلانياً، على ما تم إطلاقه فى تعارض مع الادعاءات الإطلاقية عن سمو

(4) Kirwan, *Geological essays*. 1799; quoted in C. C. Gillispie, *Genesis and geology: a study in the relations of scientific thought, natural theology, and social opinion in Great Britain, 1790-1850*. Cambridge, ma: Harvard University Press, 1951, p. 55.

العقل. وهذه القيمة المنوطة بالعقلانية، بالوجدان كمصدر للمعرفة وخصوصاً فى الدين قد أكدتها طوائف النقوى البروتستانتية Pietist مثل أخويات هيرنوتر Herrnhüter أو مورافيا (فى بلاد التشيك) ومجموعة جون ويزلى Wesley من أصحاب "الوجد الصوفى" حديثة التكوين من الميثوديين (أتباع الحركة البروتستانتية الأنجليكية Methodists) التى نقلها جيه جى هامان J. G. Haman إلى المجالات الأدبية فى كتابه "أشياء سقراطية جديدة بالتذكر" "Socratic Memorabilia" (١٧٦٠). وقد اكتسبت حجة "الحاجة" إلى الدين (بصرف النظر عن قدرته على التبرير العقلى) أرضاً أحياناً بإعادة تأكيد القول التقليدى "بالخطيئة الأصلية" أو بالمصطلح الكانطى "أشر الجذرى"، أو على نحو متزايد "الحاجة السيكلوجية للبشر".

ونجد تقنية مقاومة نموذجية فى تأسيس حجج دفاع على أساس من أرض التنوير المكتسبة حديثاً، أى استخدام وسائل التنوير بتقييم عكسى. وربما تحولت أنجح حركة مضادة إلى التقييم الإيجابى الموضوع على الأسطورة التى كانت تُحيت فى استهزاء باعتبارها مجرد خرافة بواسطة التنوير. وقد أشار كتاب روبرت لوث Robert Lowth "محاضرات حول الشعر المقدس للعبرانيين" (١٧٤٩) إلى أن العقيدة الدينية تأسست فى ماثورات شعر وأساطير شعب معين. ودرس العهد القديم بوصفه أدباً أو أدباً شرقياً. فضلاً عن ذلك فإن تعقيبه على سفر إشعيا (١٧٧٨) *Book of Isaiah* بالغ التأثير باعتباره نمط التلفظ النبوى أو اللغة اللاعقلانية مفككة الترتيب المنتشية للنبوءة، قدم نموذجاً أسلوبياً جديداً. كما أن الشخصية الألمانية الرئيسية جيه جى هربر J. G. Herder فى موضعه عند نقطة التحول بين التنوير والرومانسية تابع هذه الفكرة فى "روح الشعر العبرى" (١٧٨٢) واصفاً بزوغ العهد القديم عند نقطة الابتداء حينما كانت اللغة نفسها معبرة وشعرية. فأناجيل العهد الجديد كانت شكلاً من الشعر الشفاهي، سجلت بالكتابة بعد زمن أبعد بقدر ملحوظ من الأحداث التى تؤدى

الشهادة عنها افتراضيا. وستصبح فكرة شاعر العشيرة "bard" باعتبارها صوت أعمق معتقدات الجماعة الروحية وأشدّها حميمية من أهم أفكار الرومانسية. وبدأت التضمنات السلبية لما هو بدائي تنقلب. ومن داخل معسكر "النقد الأعلى" نشأ شكل من حجج الدفاع يعيد الاعتبار والقيمة الإيجابية إلى الأساطير والحكايات التاريخية الخرافية التي كان فوليتير وبابل Bayl وهيوم قد طابقوا مستهزئين بينها في المسيحية وبين الأساطير والحكايات التاريخية الخرافية في الأديان الأخرى مطابقة تامة. وبإيجاز بدأت تلك الخرافات التي تعتقها كل الأديان في هذا الرغم والتي يستطيع العقل وحده أن يخلص الجنس البشري منها تكتسب قيمة إيجابية. يمكن لها كما أوضح هردير في "أفكار نحو فلسفة لتاريخ الجنس البشري" أن تُرى باعتبارها وثيقة الارتباط بالمنجزات الثقافية للمجتمعات المختلفة، وكلها مكتسبات ثمينة دائمة أحرزها الجنس البشري وليست مجرد خطوات تقدمية تصعد من البدائية إلى المدنية.

ومرة ثانية كان كانط هو الذي أقام أشد الحجج فاعلية ودقة ضمن مراجعته النقدية لطبيعة وقدرات العقل. ففي "نقد العقل العملي" (١٧٨٨) أوضح أن الأخلاق تعتمد على الاستخدام العملي لبعض الأفكار التي لا تستطيع أن تجد أي برهان عليها في الدائرة الفلسفية أو العلمية وعلى الأخص فكرة "الحرية" (في مواجهة التحديد المادى الفعلى لكل الأشياء في الدائرة الفيزيائية). وفي "نقد الحكم" (١٧٩٠) وهو بحثه عن الجماليات قدم تلك المجموعة من الأفكار التي تعد الأكثر قابلية للتصديق والإثمار والتي يستطيع بواسطتها الأدب والفنون الأخرى تأكيد أهميتها. وبينما لا تمتلك الأفكار تجسيدا في الأشياء فإن الفن وحده يستطيع تشكيل موضوعات في العالم هي تذكارات لقدرة الذهن على تشكيل الدلالة من خلال مصادرات العقل العملي: الحرية وخلود النفس والله، أي من خلال الأفكار المنظمة، أفكار صنع الترتيب والتنسيق والتنظيم التي ليس لها بخلاف ذلك موضوعات مناظرة. وفي نفس الوقت لأن الأشياء أو الموضوعات التي تصفها ليست في الطبيعة الفيزيائية فإنها

تهيئ "اللعب الحر" للملكات الإنسانية. وسيشيد مثالير ما بعد الكانطية وستشيد الحركة الرومانسية بناء موقعيهما انطلاقاً من هذه التلميحَات الخصبة، وستكون لوظائف المخيلة الإبداعية دورها كأسس دفاعية للتجربة الدينية، متحولة من السلطة العقائدية الجامدة والمؤسسية إلى إضفاء المشروعية على الأفكار التلقائية ذاتية الاستخلاص (التأملية) الأساسية بالنسبة للدين. وبهذه الوسيلة تتقلب الأهمية النسبية للدين والأدب. وذلك لأن الأدب قدم أشد الأمثلة إقناعاً لقدرة المخيلة على تحقيق الطاقات الإنسانية في إحداث انسجام طوعى بلا قسر بين الملكات. وهكذا يصل الفن إلى امتلاك الكثير من الأرض التي ظل الدين يشغلها. وقد وصلت أفكار كانط خلال تسعينيات القرن الثامن عشر إلى الجماعة الأدبية الأوسع عن طريق توسط مقالات فريدريش شيللر Friedrich Schiller المهمة عن وظيفة الفن وخصوصاً مقالات "فى التربية الجمالية للإنسان" وبدأت النماذج المقولبة (الصور النمطية) الرومانسية الأكثر رواجاً فى التشكل. إن كتاب "تعبيرات جياشة من قلب راهب محب للفن" (1797) *Herzensergießungen eines Kunstliebenden Klosterbruders* بقلم فاكنرودر Wackenroder وتيك Tieck يصور الفنان المبدع فى هيئة متخيلة لموسيقى شاب تراجيدى، هو وسيلة ناقلة للغة الفن التى تهدف إلى أن تكون حاملة لدلالة خالصة ليست مفهومية (منطقية استدلالية).

ولكن حل كانط فى توازنه الحساس تطلب وقتاً ليلى الإقرار. وقد وجدت أعمال ويليام بالي William Paley مثل "وجهة نظر فى شواهد المسيحية" (1792) و"اللاهوت الطبيعى" (1794) رواجاً حتى بعد أن أزلت مراجعات كانط النقدية أسس "أدلته" عن وجود الله فى أشكال الطبيعة المخلوقة، بل لقد ظلت نصوص بالي مقررّة على الطلبة فى كمبريدج حتى فى القرن العشرين. وربما يرجع

ذلك إلى حقيقة أن قوانين نيوتن قد حُوِّلت في إنجلترا إلى دليل طبيعي لاهوتي على تدبير الله المحكم وقوته وجماله التي تحتفل بها العظات والأشعار طوال القرن<sup>(٥)</sup>.

ويبين عمل صغير ذائع الشهرة في التاريخ الطبيعي مثل الملاحظات الثاقبة من جانب رجل الدين المبجل جيلبرت وايت Gilbert White عن هجرة الطيور أثناء قيامه بجولاته الأبرشية أن الانتظامات في الطبيعة كانت تفسر باعتبارها تأكيداً لشريعة الله<sup>(٦)</sup>. وأثناء نشر كتابات بالي فضلاً عن ذلك كانت هناك حاجة ملحة لتأكيد نظام إلهي وعقلاني في الكنيسة والدولة في وجه الثورة الفرنسية، وسرعان ما تلقى بالي التمجيد.

وفي إنجلترا كان أول من امتلك حجج كانط ونشر تلك الاستراتيجيات الحديثة بالكامل هو صمويل تيلور كوليريدج Coleridge (١٧٧٢-١٨٣٤) عندما كان طالباً في كيمبريدج وبعد ذلك في بريستول في التسعينيات من القرن الثامن عشر كان يتحرك في الدوائر الراديكالية المنشقة وخصوصاً تلك المسيحية التي لا تؤمن بالثالوث أي الموحدة Unitarian. وفي كلية يسوع اتصل بوليام فرندي William Frend وانتسب في بريستول إلى حلقة توماس بيدوز Thomas Beddoes. وكانت محاضرات كوليريدج في بريستول عام ١٧٩٥ - راديكالية سياسياً ولاهوتياً واطلع على النقد الأعلى الجديد للكتاب المقدس الذي تحدى الشواهد التاريخية للمسيحية بواسطة

(٥) لعرض كيف ضم الاهتمام الديني نيوتن لأغراضه انظر:

James Jacob, *Robert Boyle and the English Revolution: a study in social and intellectual change*, New York: B Franklin, 1977.

وكذلك كتاب "نيوتن ومزامير" الذي يلخص تفسير نيوتن في ضوء اللاهوت الطبيعي التقليدي:

J. E. McGuire and P. M. Rattansi, 'Newton and the pipes of Pan', Notes and records of the Royal Society of London 21 (1966), pp. 108-43.

ويوضح كتاب "نيوتن يطلب الوحي" انتشار تلك الأفكار والصور في شعر القرن الثامن عشر:

Marjorie Nicolson, *Newton demands the muse: Newton and the eighteenth-century poets*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1946.

Gilbert White, *The natural history of Selborne* (1789), Paul Foster (ed.), Oxford University Press, (٦) 1993.

مسألة تحديد أوقات الكتابة وتحديد المؤلف بالنسبة إلى العهدين القديم والجديد معًا. وقد عكس تصميمه على كتابة حياة ليسينج Lessing (أروع منكر للعقيدة)، وعلى الذهاب إلى ألمانيا لجمع المواد، وعيه بالأهمية الحاسمة لوجهة نظر لسنج القائلة بأن الشواهد التاريخية للمسيحية لن تصمد للفحص. فالشك يحيط بالأديان التاريخية التي تبني دعواها على تداخلات إعجازية مفترضة من جانب إله في نظام الطبيعة بفضل تلك الدعوى نفسها، كما أن الكتب المقدسة بمجرد إخضاعها للاختبارات ذاتها مثل الوثائق العلمانية ستكون أسسًا غير جديرة بالثقة لمثل هذه الدعوى في هذا الادعاء أو كما يفصح لسنج المسألة "لن تصلح الحقائق التاريخية الحادثة (ممكنة الوجود المفقورة إلى غيرها contingent) أبدًا برهانًا على الحقائق الضرورية للعقل"<sup>(٧)</sup>. وقد شملت الحقائق التاريخية الحادثة الوحي والمعجزات والنبوءة وكذلك وقائع حياة يسوع التي لا يوجد عليها شهادة موثوقة بها. فالدين يجب أن يُعاد تأسيسه على قاعدة روحية يمكن أن تثبت الحياة في حقائق العقل. وقد وضع ذلك جدول أعمال كوليردج طوال حياته. أما "شواهد" بالي فقد أحاطها بالازدراء. كما استمع في ألمانيا في جامعة جوتنجن Göttingen عام ١٧٩٧-١٧٩٨ إلى محاضرات إيشهورن J.G. Eichhorn الذي سبق لكتابه "مدخل إلى العهد القديم" ١٧٧٠ أن تحدى النص، والذي انطلق الآن إلى الأرض المحفوفة بقدر أكبر من الخطورة، أرض العهد الجديد. وكان كوليردج مطلعًا على الحجة القائلة بأن الأنجيل لم يكتبها الرسل وأنها كتبت بعد زمن طويل من الأحداث التي تصفها. وبالإشتراك مع تحديات التنوير لمزاعم المعجزات قوضت تلك التحديات للنص فكرة الإلهام المطلق التام plenary inspiration للعهد القديم، وبقينا فكرة إملاء الروح القدس، فالكتاب المقدس ينبغى أن يخضع مثل أى نص تاريخي دنيوى آخر للتدقيق فى المصادر واللغة وممارسة

(٧) ليسينج "حول برهان الروح والقوة في كتابات لاهوتية مختارة:

G. E. Lessing, 'On the proof of the spirit and of power', *Theological writings: selections in translation*, Henry Chadwick (ed.), London: Adam and Charles Black, 1956, p. 53.

وكان هذا أكثر مقالات لسنج تأثيرًا.

التحرير والمراجعات اللاحقة. وخلال التسعينيات من القرن الثامن عشر وسع إيشهورن طريقة تناوله لسفر التكوين باعتباره أسطورة شرقية لتمتد إلى أجزاء معينة من العهد الجديد. وقد نشرت النتائج الكاملة في "مدخل إلى العهد الجديد" (١٨٠٤ - ١٨). وهكذا كان إمام كوليردج بأفكاره أسبق من النشر<sup>(٨)</sup>. وبمجيء زمن كتاب بوهان فريدرش شتراوس "حياة يسوع" (١٨٣٥) كان يُنظر إلى العهد الجديد باعتباره قد تشكل بواسطة التوقعات الأسطورية الموضوعية في العهد القديم. كما استمد كوليردج من إيشهورن الفكرة المراجعة المهمة عن المتن التوراتي، فالكتابات التي ينبغي إدراجها في الكتاب المقدس لم تضعها الروح القدس، ولا سلطة الكنيسة ببساطة، بل وضعها "التقليد" tradition مُفسراً باعتباره التصديق assent المتصل من جانب الجماعة المسيحية. ويعني ذلك أن قانونية ومعيارية الكتاب المقدس ينبغي تجديدها في كل جيل، وأن الجماعة المسيحية ينبغي صيانتها وإعادة تشكيلها (إصلاحها) حتى يمكن لمثل هذا التجديد أن يحدث. كما أن الحفاظ على التصديق الجمعي لمعيارية الكتب المقدسة يتطلب إعادة بناء التجربة الماضية ضمن نسق الاعتقاد التاريخي للجماعة وكذلك إعادة البناء وفق مصطلحات تتطلب التصديق الحالي<sup>(٩)</sup>. وسنكون هذه الأفكار جوهرية في أعمال كوليردج اللاحقة، في "اعترافات روح متسائلة" *"Confessions of an inquiring spirit"*، وفي هذا العمل يقترح عن طريق إنكار الإلهام المطلق التام قراءة العهد القديم باعتباره عملاً جمالياً من أعمال المخيلة الإنسانية، وفي "أدوات مساعدة للتفكير" *Aids to reflection* الذي اقترح حلاً جمالياً لمشاكل الإيمان في عصر عقلاني. وفي كتاب "تستور الكنيسة والدولة" يقترح تصوراً لأهل الفكر clerisy أو فئة مثقفين تتألف جزئياً من رجال الكنيسة وجزئياً من أعضاء علمانيين. وقد انشغل كوليردج بتشكيل تجمعات داخل المجتمع تستطيع

(٨) كويلاخان ومقووط أورشليم. المدرسة الأسطورية في النقد التوراتي وأدب الدنيا

E. S. Shaffer. 'Kubla Khan' and 'The Fall of Jerusalem': the mythological school in Biblical criticism and secular literature, 1770-1880. Cambridge University Press. 1975. pp. 21-3.

(٩) المصدر نفسه. ص ص ٨٤-٦.

توسيع التعليم والحفاظ على الثقافة ضد هجمات النزعة التجارية. إن خواطر مثالية مثل جمهورية الآداب والمتحف الثقافى<sup>(١٠)</sup>، الكومنولث ( دولة مصلحة الشعب المثالية)، والدستور<sup>(١١)</sup> (ولاءات الجماعة غير المكتوبة التى رسخها الزمن) والكنيسة القومية أو "أهل الفكر" كان لها تجليات عملية قوية فى أواخر العشرينيات من القرن التاسع عشر. وفى هذه الصيغ من إعادة بناء التجربة الجماعية لعب الخيال دوراً رئيسياً.

ويظهر عرض كوليردج لقوة الخيال فى سيرة شخصية أدبية (١٨١٧) *Biographia literaria* وهو يقوم بتطويع عرض شيلنج فى نسق الفلسفة الترانسندنتالية (*System of transcendental philosophy* (1800)، على حين يقدم أمثلة نقد تطبيقية لإبداع موضوعات فن مناظرة من تجربته هو. وفى السيرة يكون مثال العبقرى الذى يجسد الخيال الشعرى هو شيكسبير، والمثل الذى يعطيه كوليردج مستمد من جليل sublime بيرك وكانط، كما يقدم بدوره بذرة تصور ماثيو أرنولد عن محك الشعر وهى سطران من فينوس و أدونيس:

انظر فكما ينطلق نجم ساطع من السماء

كذلك ينزلق هو فى الليل من عين فينوس<sup>(١٢)</sup>

وفى مجمل عمل كوليردج يتخذ كل من ملتون ووردزورث مكانيهما باعتبارهما تجسديين لسمو الخيال. وفى مدخل الفصل الثالث عشر من السيرة وعنوانه "فى

(١٠) ناقش كوليردج هذه فى السيرة الأدبية:

*Biographia literaria*, J. Shawcross (ed.), Oxford University Press, 1907, ch. 3.

(١١) ظلت مفردات مثل الكومنولث مثلاً أعلى سياسياً لم يتحقق فى كومنولث كرومويل قصير العمر. أما "الدستور" بالتعارض مع ذلك فقد اكتسب عند بيرك قيمة ولقاءات الجماعة غير المكتوبة التى رسخها الزمن (ص ١٢).

(١٢) السيرة الأدبية (الفصل ١٥، ص ١٨)



الخيال" عبارة مقتبسة من ملتون تنتهى بسطور كبير الملائكة لآدم مما يوحي بالتماثل بين "الشكل العضوي" فى الطبيعة وملكات العقل<sup>(١٣)</sup>.

إن إحدى السمات المميزة للخيال باستعمال التماثل بين الشكل العضوى فى الطبيعة وفى ملكات الذهن هى قدرته على خلق عوالم جديدة، ومن ثم على تقديم ذكريات عما لم يعد موجوداً، أى قدرة الذهن على أن يخلق من خلال أفكار تأملية ما لا يستطاع إطلاقاً البرهنة عليه عقلياً. تلك الأفكار التى أفردتها كانط ذات أهمية فائقة للبشر على الرغم من عدم قابليتها للبرهنة: غائية الحياة، مآلها أو مقصدها؛ الحرية التى بواسطتها يتم إمكان الفعل الأخلاقي؛ النفس؛ فكرة عن الذات تتجاوز ما هو كاف ببساطة للإمساك معاً بتعدد الإدراك الحسى وتباينه. وهذه الأفكار لا غنى عنها للإنسانية كما دلل كانط وتابعه شيللر. إن شعراً يضطلع بهذه المهمات السامية سوف يمتلك بطبيعة الحال جدية عالية ولكنه لا يحتاج إلى موضوعية صريحة دينية مثل الفردوس المفقود لميلتون أو إيماءات الخلود لوردزورث. كما أن التقاليد الوجودية والتأويلية والظاهراتية التى طورت هذه الاتجاهات الفكرية قد أكدت انطلاقاً من "نقد الحكم" (١٧٩٠) لكانط فكرة الحياة (معمة من القسم الثالث الحاسم حول الحكم الغائى الذى قدم بذرة الفلسفة الرومانسية) وفسرت "تظرية الحياة" عند كولريديج بهذا

(١٣) وهكذا يبرز الساق الأخضر بخفة من الجذر

تبرز منه الأوراق بخفة أكثر

وفى النهاية: الزهرة المكتملة تنبعث منها الروائح العطرة

الأزهار وثمارها غذاء للإنسان

تشف بالتدريج طامحة لأن تصير روحاً حية لكانن حى:

للذهن معطية حياة ومعنى الخيال والفهم

من حيث تتلقى الروح العقل

والعقل هو وجودها الخطابي والحدسى (الفردوس المفقود. الجزء ٤٧٩-٨٨)

المعنى<sup>(١٤)</sup>. وإن القسمين الجمالي والغائي من "نقد الحكم" توحدهما موضوعية الخلق، ومن ثم فإن الخيال يسلط ويسقط إدراكًا وإسراعًا ولحظة حياة ووعيًا. وعند كولريدج فإن شكسبير متعدد الأدوار والأوجه ما زال يستأثر بالمجال باعتباره نموذج العبقرية المبدعة. وإن أبياتًا من قصيدة شيكسبير "فينوس وأدونيس" نعرف أنها مستخرجة من جنس غنائي عند أوفيد هو نقيض النزعة الدينية. وإن يكن الجنس الأدبي ليس العامل المحدد عند الرومانسية، وبرهان العبقرية الأصلية عندها هو أن "يرشق" الشاعر حياته الخاصة كما لو كانت سهمًا في صوره مهما يكن جنسها الأدبي الظاهري غير الحقيقي أو مادة تناولها. وهذا الوعي الذي يوقظنا على الكفاءة الإنسانية في مجال الأفكار التأملية هو أيضًا أساس التجربة (الخبرة) الدينية. وسطور شيكسبير تتصف بسمات تنتسب إلى اللحظة الجلية بواسطة جماليات القرن الثامن عشر: سرعة غامرة، وكثافة غامرة وكلية totality غامرة وتعتمد بدورها على أصل ديني هو بالتحديد كلمة الله الخلاقة "ليكن نور" fiat lux. وإذا انتمى الدين والأدب إلى أوسع طرق الحياة، كما يضع الدكتور جونسون المسألة، فإن مخطوطة متأخرة لكولريدج تحوى محاولة صياغة نسقية لآرائه، لقد اتخذ نقده لشيكسبير انعطافة فلسفية أخرى، أعلى النل المنحدر للمعنى وإن عرضه المنقضي. لعدمية ياجو وثيق الارتباط بفحص الشر الجذري في الشروح Aids<sup>(١٥)</sup>. وتشكل نظرية الجليل الاتجاه الرئيسي للاستمرار بين جماليات القرن الثامن عشر وجماليات الرومانسية. كما يتحول الجليل البلاغي عند لونجيناس إلى عملية تبلغ ذروتها في تفعيل قوى الذهن.

(١٤) هناك تفسير لمسار الأفكار اللاهوتية في أوروبا في:

Rudolf Makkreel, *Imagination and interpretation in Kant. The hermeneutical import of the 'Critique of judgment'*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1990. pp. 88-9.

(١٥) انظر:

E. S. Shaffer, 'Iago's malignity motivated: Coleridge's unpublished "Opus magnum"', *Shakespeare quarterly* 19 (1968), pp. 195-203.

ويعد شرح الخيال وشرح شيكسبير باعتباره نموذج العبقرية المبتكرة ذات الأصالة ينتقل كوليردج في الفصل الرابع عشر من السيرة الذاتية لتقييم وردزورث في سياق التعاون بينهما في القصائد الحكائية الشعبية (١٧٩٨). وهنا يجرى إسقاط وخلع موضوعات التناول السيكلوجية على موضوعات فوق طبيعية (غيبية) مركزيا بالدين. وقريب منهما هو ما ندعوه اليوم سيكلوجيا. ومن المتفق عليه عمومًا أن بعض أروع إنجازات الرومانسية يقع في هذا المجال. وكان موضوع تناول الحكايات الشعبية الغنائية الغيبية ... "قَالَأحداث والشخصيات الفاعلة كان عليها أن تكون جزئيًا على الأقل فوق طبيعية". وليس ذلك الاختيار لموضوع التناول مصادفة بل كان إمكان مواجهة ما فوق طبيعي هو القضية المطروحة. وصار السؤال إلى أى مدى تحول الادعاء إلى أرض سيكلوجية بارزًا. وأضحت السيكلوجية واقعًا لدى كل كائن إنسانى فى أى وقت مهما اختلف مصدر الضلال أنه واقع تحت تأثير غيبى<sup>(١٦)</sup>. وكانت دائرة اختصاص كوليردج هى الإسقاط projection الذى بواسطته يخلع الفرد لا شعوريًا سمات ودوافع وصفات كامنة فى شخصية آخر، أو ينسب دوافعه النفسية إلى الغيبى، أما مجال وردزورث فكان إظهار أن يقدم حضور الغيبى فى الحياة المشتركة.

"فى هذه الفكرة يرجع أصل خطة القصائد الحكائية الشعبية (الغنائية) التى تم فيها اتفاق على أن يخلع كل ما عندى من مساعى كائنات فوق طبيعية على مشاعر سيكلوجية أو على الأقل رومانسية، ولكن لنقل من طبيعتها الباطنة اهتمام إنسانى

ومظهر حقيقة كافيان لتدبير الحصول لتلك الظلال من الخيال على اللجوء إلى تعليق الحكم مؤقتاً أى إلى الارتفاع عن إصدار الأحكام للحظة، وهو ما يشكل الإيمان الشعري.

وكانت مهمة وردزورث "أن يستثير شعوراً مماثلاً للشعور فوق الطبيعي":  
 "كان للسيد وردزورث من ناحية أخرى أن يقترح لنفسه كهدف أن يمنح فتنة الجدة لأشياء يومية مألوفة وأن يستثير شعوراً مماثلاً للشعور فوق الطبيعي بإيقاظ اهتمام الذهن من سبات ولا مبالاة العادة وتوجيهه نحو فتنة العالم وعجائبه أماناً، إنها كنوز لا تستنفد ولكن نتيجة للألفة والقلق الأناني تكون لنا عيون دون أن ترى وآذان دون أن تسمع وقلوب دون أن تشعر أو تفهم".

وتبين صياغة كولريدج أن الكثير مما هو ليس دينياً بجلاء عند وردزورث يمكن أن يعد ملحاً بالدين. وهذا الوعي بإمكان ما فوق الطبيعي متخللاً التجربة العادية قد يحضر لإيقاظ الحياة الدينية. وحينما كتب عن أثر وردزورث تحدث عن الإعجاب الذى شعر به شبان ذوو حساسية قوية وأذهان قادرة على التأمل، وأنه متميز بكثافة وأكد أقول بتوجهه الديني. ومع ذلك فكما استثارت أشعار وردزورث عن الحياة العادية المشتركة شعوراً مماثلاً للشعور الغيبي فإن استجابة القارئ لتأكيد اليومى علامة على تحول حاسم نحو أهمية الاهتمام بالحياة الداخلية أطلق عليه تشارلس تيلور الرنين فى الذات (ترديد الأصداء فى الذات). إن معنى الظواهر الطبيعية كما تتردد أصدائها داخلنا يعكس معنى لقي تعبيراً عنه واقعياً فيها. ولكن النفاذ إلى هذا المعنى يتطلب أن ننعطف باطنياً<sup>(١٧)</sup>.

(17) Charles Taylor, *Sources of the self: the making of the modern identity*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989, p. 301.

إن المعادلة الجزئية بين الغيبي والرومانسي تكشف عن مركزية الغيبي فوق الطبيعي للرومانسية، على الرغم من أنها تتضمن مرة ثانية أن مادة التناول ليست الغيبي نفسه، بل الأساس السيكولوجي له، أي التفسير العقلي للقدرة الإنسانية على التجربة الغيبية منظورًا إليها في ضوء إيجابى بدلاً من ضوء يفضح الزيف. وكان كولريدج مهتمًا على نحو خاص بتأثيرات تعطى انطباعًا قويًا عن الغيبي وإن كانت قابلة للتفسير علميًا. على سبيل المثال الطيف المكسور أو إسقاط ظل الملاحظ أمامه في شكل ضخم حينما تكون الشمس مائلة للغروب<sup>(١٨)</sup>. وكان ذلك هو الأثر الذى استغله أيضًا جيمس هوج في رواية "ذكريات واعترافات خاصة لأثم مبرأ" (١٨٠٨) مرهصًا نفسيًا بظهور الشيطان الذى هو فى حقيقته إسقاط لإطلاق العنان للأهواء الذى يتوافق مع ذواتنا<sup>(١٩)</sup>. إن الجليل المبني علميًا شاملاً أشكالاً متحورة من الطيف المكسور لا يزال حاضرًا فى الأدب الحالى.

والفقرات عن مشروع الحكايات الشعبية الغنائية من السيرة الأدبية هى من بين الأقوى تعبيرًا وتأثيرًا فى النقد الرومانسي. ولكن كولريدج اقتفى أثر مسألة الغيبي فى كل مكان من كتابته ورأى من الضرورى فصل الإشارة الغيبية الحقيقية من التأثيرات المبهرجة الكاذبة التى كانت منتشرة ذائعة فى العالم كله. وهى التى هددت بالخط من قدر التجربة الأصيلة تمامًا. ودون كلل ويكل فطنته النقدية هاجم ما هو حسى مثير فقط، غير مكتمل النمو فى فكرة بيرك القائلة إن ما يوقع الرعب فى النفوس هو المكون الأساسى فى تجربة الجليل. وقام بمراجعة البحار القديم حاذقًا القوطى الزائف من النسخ المبكرة. وكتب عرضًا نقديًا لرواية لويس الراهب وأشباهها من الأعمال

(١٨) هذا الأثر مذكور فى المجلات العلمية:

M. Jordan in J. F. Gmelin's *Göttingisches Journal der Wissenschaften* i. part 3 (1798), pp. 110-14.

ويترجم كولريدج التقرير فى الدفاتر ١، مدخل ٤٣٠ (مايو ١٧٧٩).

(19) André Gide, Introduction to James Hogg. *The private memoirs and confessions of a justified sinner*. London: Cresset, 1947, p. xv. Gide perceived that Henry James's *The turn of the screw*, like Hogg's story, presented supernatural apparitions that were the product of 'mental derangement' vividly experienced by the narrator.

القوطية وهاجم بضراوة الأعمال الدرامية الخادعة التى ملأت الساحة وخاصة أعمال كوتزيبو Kotzebue (الذى كتب عهود العشاق على سبيل المثال التى استخدمتها جين أوستن فى مانسفيلد بارك، كورقة عباد الشمس لكشف الحساسية الزائفة) وكذلك مقلديه الإنجليز مثل مسرحية برترام لتشارلس ماتيورين (Charles Maturin) (٢٠). وهو يفصل برقة ولكن بحسم بين قدرة شيكسبير وشيللر على الإحياء بما فوق الطبيعى وبين مجرد الإثارة المدغدة للمشاعر لكوتزيبو (والذى كان يتم الخلط بينه وبين شيللر وكان يترجم فى التسعينيات من القرن الثامن عشر بواسطة المترجمين أنفسهم). وتميزت كل أعماله ببقظة رومانسية رفيعة تبرزت مما أطلق عليه ماريو براز Mario Praz الأجزاء السفلى للرومانسية. وبهذه الطريقة وحدها يمكن الحفاظ على إشارات دينية جدية. ويمكن القول إن ماري شيللى فى روايتها القوطية فرانكنشتين، وكذلك فى بروميثيوس المعاصر (١٨١٨) أفادت من هذه المناقشات واعتمدت على الحظر الدينى لمنافسة قدرات الإله على الخلق فى تحقيق رعب حقيقى وتجريم ومسوخ للشخصية الشاملة دكتور فرانكنشتين ومسوخ المشوه. وهكذا قامت باستكشاف سيكولوجيا الذنب التى حلت محل التحليل اللاهوتى للخطيئة، كما فى رواية كالب وليامز لجودوين (١٧٩٨). وحتى فى اللاهوت الرومانسى الصرف فقد صنف شلايرماخر أديان العالم تبعاً لطبيعة التجربة الفردية وكيفها عند المؤمنين بها. وعلى الرغم من أنه ظل، وفقاً لهذه المعايير، قادراً على القول بسمو التجربة الباطنية الذاتية المسيحية مثلما رأى هيجل (٢١) أديان العالم بوصفها لحظات جوهرية وإن تكن لحظات تابعة فى المسيحية. وهذا المقرب المقارن السيكلوجى أدى فى النهاية إلى

(20) Coleridge, 'Review of M. G. Lewis, *The monk*', in *Shorter works and fragments I*; and 'Critique of *Bertram*', *Biographia literaria*, ii, ch. 23.

(21) Hegel, *Lectures on the philosophy of religion*, E. B. Spiers and J. Burdon Sanderson (trans.), London: Kegan Paul, 1895, i, pp. 76-7, 262-3.

"تنوعات التجربة الدينية" من نزعة عملية واستكشافية بعيدة عن الانعزالية عند ويليام جيمس (١٨٩٥).

وفى بواكير العشرينيات من القرن التاسع عشر وكولريدج يحول اهتمامه الكامل إلى مسائل دينية. كتب اعترافات روح متسائلة قاصداً كتابة مقدمة لكتابه "أدوات مساعدة على التفكير العميق" Aids to Reflection. وتلك الاعترافات واحدة من أشد التصريحات إقناعاً وأكثرها جانبيه لقضية التخلّى عن كل فكرة الإلهام التام المطلق (تأليف النص المقدس بكامله بواسطة الروح (القدس) لصالح قراءة الكتاب المقدس بالطريقة نفسها التى نقرأ بها الأدب. ونحن نتكلم الآن عن "الكتاب المقدس بوصفه أدباً" دون أى إحساس بهول الخطوة. ولكن كولريدج نشر "أدوات مساعدة" بدون الاعترافات، إما لأسباب عملية أو لسبب أكثر احتمالاً هو خشية أن تظهر شديدة الراديكالية. وحينما نشرت الاعترافات عام ١٨٤٠ بعد وفاته أثارت فى الحقيقة سباب الأعضاء المحافظين للكنيسة ولعنتهم، من خلال وسيط الكتابات الدينية السابقة مثل الأقوال المأثورة عن روبرت ليتون R. Leighton فى القرن السابع عشر التى تستخدم إطاراً للكتاب. وإعادة قراءة كولريدج لما فى القرن السابع عشر من شعر وكتابات دينية تشكل إعادة بناء متخيلة إبداعية للماضى، وبدونها، كما دلت شلايرماخر، لم يكن من المستطاع وجود استمرار للجماعة الدينية أو الأدبية. وعموماً إن تأسيس كولريدج الجمالى "للدن الروحى" كان الحل الذى وجد أعظم قبول لدى المجموعة المتنامية من المؤمنين الذين رأوا أن أدلة (براهين) صدق المسيحية يحسن أن تكون روحية أكثر من أن تكون تاريخية أو فلسفية أو علمية. وتشبثت اعتذارياته ودفاعاته المتألقة بأسسها واحتفظت بها مصونة طوال القرن التاسع عشر مادة جذورها أيضاً فى الشباب أنصار التعالى الترانسندنتالى فى نيو إنجلاند بواسطة تقديم الكاتب

صاحب التأثير جيمس مارش الذى أدرك الأساس الكانطى<sup>(٢٢)</sup> لـ "أدوات مساعدة" وذلك فى طبعتها الأمريكية (١٨٢٨) وأسدى حل كولريدج الكثير لمنح برنامج كفاء لأهل الفكر أو فئة المتقنين clerics قدمه فى كتابه "حول دستور الكنيسة والدولة" (١٨٢٩)، وهؤلاء جزئياً داخل الكنيسة وجزئياً خارجها، الذين سينفذون مهمة التعليم الثقافى للأمة ولا ينبغى الخلط بين كنيسة كولريدج القومية والكنيسة الإنجيلية أو كنيسة الدولة الرسمية لإنجلترا، ولا حتى أى كنيسة مسيحية. إنها فكرة يخدمها ويقدمها أهل الفكر (المتقنون) الذين مهمتهم تأسيس المدينة بالصقل عن طريق التعليم، بالتطوير المنسجم لتلك الصفات والملكات التى تتصف بها إنسانيتنا<sup>(٢٣)</sup>. وإذا لم تتم تلبية الالتزام بالتعليم والصقل من جانب الدولة فإن الشعب لابد أن يعفى من التزاماته المتبادلة نحو الدولة، لأن أفرادهم فقدوا الحرية المعنوية الأخلاقية (بالمعنى الكانطى) التى تؤهلهم لأداء هذه الواجبات.

ومن المهم طوال تلك الفترة أن "الدين" الذى يتعلق بطرق متغايرة بالشعر نادراً ما كان دين مؤسسة نوعية، بل كان يشكل أو يتطلب كياناً مثالياً سواء كان "كنيسة العقل" عند كانط بأهل فكرها Klerisei (مصدر صياغة كولريدج فى الإنجليزية لمصطلح Clerisy) أو التناظرات الملائكية لكنيسة أورشليم الجديدة عند إيمانويل سوينبرج Swedenborg (١٦٨٨ - ١٧٧٢) فكرة كنيسة قومية أو "الجماعة التاريخية" (التي يتم فيها تفسير ذلك التاريخ أو إضفاء سرد متخيل عليه على أنحاء

(22) On the Transcendentalists see René Wellek, *Confrontations: studies in the intellectual and literary relations between Germany, England, and the United States during the nineteenth century*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1965, pp. 155-7; and Marjorie Nicolson, 'James Marsh and the Vermont transcendentalists', *Philosophical review* 34 (1925), pp. 28-50. On the hermeneutic programme of reanimation of the past, see E. S. ShaCer, 'Coleridge and Schleiermacher: the hermeneutic community', in *The Coleridge connection: Essays for Thomas McFarland*, Richard Gravil and Molly Lefebure (eds.), Basingstoke: Macmillan, 1990, pp. 200-32.

(23) Coleridge, *On the constitution of the church and state according to the idea of each*, John Barrell (ed.), London: Dent & Sons, 1972, pp. 33-4.



متباينة)، وتصبح " الفكرة " (التي لم تعد قابلة للبرهنة العقائدية الجامدة) حاملة للقيمة في العالم سواء من خلال العملية التاريخية الارتقائية جدليًا كما هي الحال في ظاهريات الروح لهيجل (١٨٠٧) أو خلال الفن الذي يلخص لحظة تحقيق الروح (كما في كل الأنظمة الجمالية التي تسير في إثر كانط)<sup>(٢٤)</sup>. وقد تميزت الفترة الرومانسية بارتياحها في المؤسسات (سواء مؤسسات النظام القديم - "كل المؤسسات ينبغي أن تمحى إلى الأبد"، وهذا الاستبعاد ينبغي أن يقر قانونًا)<sup>(٢٥)</sup> - وبعد ذلك في توابعها التي لا تحقق إرضاء سواء الثورية أو المعادية للثورة) وبإعادة خلقها الإبداعية في الأدب وقد وصف وردزورث المتجول في قصيدة الزهرة *the excursion* باعتباره مستغرقًا في مشاركة حميمة ساكنة تتجاوز الطقوس الاحتفالية المعيبة للصلاة والعبادة<sup>(٢٦)</sup>. وكانت إعادة الاختراع الشعرية لطقوس العمد والبلوغ والتناول التي غالبًا ما توضع داخل معابد وقباب أو هياكل متخيلة (نجد بعضها عند شيللي معلقة مع سحب منسوجة بالسكر وأجنحتها أكثر إشراقًا بألقها الخاص من سماء أوج النهار (ثورة الإسلام أسطر ٥٨٩، ٥٩٧ - ٨) إحدى سمات أدب تلك الفترة، كما كانت سمة لتقويم الثورة الفرنسية العلماني. وهذه المؤسسات المعاد اختراعها أرهصت بإعادة تأسيس لودفيج فويرباخ للطقس الديني في التجربة اليومية في "جوهر المسيحية" (١٨٣٠). وقد نجد استثناء جزئيًا في حركة الإحياء الكاثوليكي التي عمّت القارة الأوروبية وخصوصًا في فرنسا ما بعد نابليون أثناء العشرينيات من القرن التاسع عشر، عندما تحالفت سلطة الدولة والعقيدة الدينية من جديد أي التاج والمذبح بواسطة جوزيف دي ميستر Josef de Maistre ولويس بونالد Louis Bonald وبيير سيمون بالانش Pierre-Simon Balanche وقد كتب الأخير الملحة النثرية

(٢٤) انظر توافقًا واسعًا من المفكرين إلى ميل هيجل في كتاباته الأخيرة للمطابقة بين الدولة البروسية ولحظة تحقق الروح باعتباره خيانة لاستنصاره الفلسفي الخاص.

(25) Wordsworth, *The prelude* (1805), in *The prelude 1799, 1805, 1850*, Jonathan Wordsworth. M. H. Abrams and Stephen Gill (eds.). New York: Norton. 1979. ix.527-8.

(26) Wordsworth, *The excursion*, i. 215-16.

مدينة التكفير *La ville de expiation* (١٨٢٧) مسترجعاً فعل القصاص الإلهي وكفارة الأمم من خلال المعاناة الفردية في التاريخ. وبعد ذلك أعطى فكتور هوجو هذه الموضوعية الدينية تحريفاً علمانياً تهكمياً في قصيدته الكفارة *L'expiation* حيث يتحقق تكفير نابليون عن ذنبه ليس بهزيمته أو موته وحيداً، بل بواسطة صعود محدث النعمة الدعي نابليون الثالث. أما القسيس المتطرف في انتمائه إلى فريق الجبل فيليبسيته روبر دى لامينييه Felicité Robert de Lamennais الذى وجه جهوده نحو السلطة المؤسسية للكنيسة وحاول أن يحرضها ضد دولة فاسدة، فقد عانى ما يشبه نبذاً مأساوياً من جانب سلطة البابا التى صادرت كتبه وحزمتها، وعلى الأخص "أقوال مؤمن" *Paroles d'un croyant* الذى كتب بأسلوب توراتى كاسيح داعياً إلى ديمقراطية الكنيسة الأولى<sup>(٢٧)</sup>. فقد كان للإحياء الكاثوليكي جانب جمالى، كما كان له جانب سياسى ربما عبر عنه أفضل تعبير كتاب شاتوبريان Chateaubriand عبقرية المسيحية *Le Genie du christianisme* (١٨٠٢) الذى استحضّر فى أسلوب نثرى رفيع إسهامات المسيحية المعنوية والشعرية والفنية فى تطور الإنسانية. وفى ألمانيا أيضاً استجاب الجيل الثانى من الرومانسيين، ومنهم كليمنس برنتانو Clemens Brentano على سبيل المثال لطقس الكنيسة الرومانية الجمالى الذى نسب إليه هداية عدد من المؤمنين الجدد. وعلى الأخص الناقد المجدد فريدريش شليجل Friedrich Schlegel. ولكن هذا الإحياء جاء إلى إنجلترا متأخراً فى شكل تحول نيومان Newman إلى روما عام ١٨٤٥. وعلى الرغم من كتب نيومان الدفاعية المرموقة، لم يجد الإحياء الكاثوليكي صوتاً شعرياً أصيلاً إلا فيما بعد فى شخص جيرالد مانلى هويكنز (١٨٤٤-٨٩). ويشمل شعر كوليردج نفسه قصائد حول موضوعات دينية سافرة تمتد من شعر عن تيمات عمومية إلى معالجات حميمة

(٢٧) كان تأثير لامينييه على حركة أكسفورد ملحوظاً. عن استقبال أفكاره الدينية فى إنجلترا انظر :

W. G. Roe, *Lamennais and England: the reception of Lamennais's religious ideas in England in the nineteenth century*, Oxford University Press, 1966, pp. 93-114.

شخصية للفرع والخطيئة والياس. ويجب على المرء لكى يصل إلى أكثر الرويات مباشرة للتجربة القابعة وراء تلك المعالجات أن يذهب إلى دفاثره الخصوصية وبعض خطاباته وملاحظات هوامشه. وهذه التجارب الخصوصية (التي فاقمتها غالبا تأثيرات لم تستوعب بالكامل لإدمان الأفينون) تلقى ضوءاً أيضاً على شواغله الفلسفية، مثل اعتقاده أن الإرادة بلا عون قد تكون قاصرة عن رفعنا إلى "مملكة الغايات" كما يسميها كانط حيث يرشد الأمر (الواجب) المطلق *Categorical imperative* (وهو حكم يصلح لأن يكون قاعدة كلية) أفعالنا. وحيث الأشخاص جميعاً غايات فى نواتها وفى كثافة فزعه الخصوصى وتأثيره على فكرة الدين وكذلك فى سكه لأسلوب نثرى شعرى فلسفى يمكن مقارنته بالكاتب الدانماركى سورين كيركجور Soren Kierkegaard الذى تضرب جذور استكشافه للفرع (الجزع) *angst* خلال يومياته وعلى نحو أكثر تجريباً صورياً لمفهوم الفرع، ولإعادة تفسيره المفعم بالحيوية لقصص الكتاب المقدس (الخوف والرعدة *Fear and trembling*) ولعرضه فى قص متخيل لبدائل الحياة (على سبيل المثال يوميات مغو *diary of aseducer* فى "إما أو" فى نطاق مماثل من الفكر الفلسفى الألماني. وهذا القلق (الحصر) وهو نفسه علامة للروح (كلما تضاعلت الروح تضاعل الجزع كما يضع كيركجور المسألة)<sup>(٢٨)</sup>، هو جزع العدم الذى يتتبعه هيدجر وسارتر فى التقليد الوجودى اللاحق وكذلك يتتبعه التحليل النفسى<sup>(٢٩)</sup>. ويصير تقابل الأضداد نفسه وجهاً لجلد الجليل. وتشير قصيدة كوليردج "تأملات دينية" *Religious musings* ١٧٩٥ إلى استخدام صور الكتاب المقدس فى خدمة الأفكار السياسية وخصوصاً صور نهاية العالم من سفر الرؤية، وهو واحد من أكثر النصوص تعرضاً للاستشهاد الواسع أثناء الفترة الثورية. وغالباً ما

(28) S. Kierkegaard, *The concept of dread*, Walter Lowrie (trans.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957, p. 41.

(29) Thomas McFarland, 'Coleridge's anxiety', in *Coleridge's variety: bicentenary studies*, John Beer (ed.), Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press, 1974. pp. 160-163. suggests This approach; there is no full study.

تحدث الشعر اللاحق عن "الأشياء الأخيرة" بطريقة عميقة تتقارب مع المجاز التمثيلي allegory. ولكن الشعر الذى تتغرس داخله تلك الشواغل فى خصائص ذهنية أفعمت بالحيوية هو الذى يتكلم بأشد عرامة: تعاطف المتكلم من مبعده مع تجربة صديقه فى "الحياة الواحدة داخل جوانحنا وبعيداً" عن تعريشة شجرة الليمون؛ سجنى"، أو التوق لتحويل العالم الداخلى وكذلك العالم الخارجى فى "اكتئاب: قصيدة غنائية": "أيتها السيدة نحن لا نحصل إلا على ما قدمنا". وفى الملاح القديم المهيّب *The ancient mariner* يمكن التعرف على تيمات دينية عن الخطيئة والقصاص والنعمة يجرى استنفادها فى مشهد طبيعى مثير للانفعال، وتتداخل فى نسيجها آثار فوق طبيعية قد يقدمها مزاج الراوى سهل التصديق. إن الملاح (مثل صيادى السمك فى الأنجيل) يقدم الشهادة عن تجربة نبول وجفاف لا يمكن أبداً نسيانها أو إلغاؤها بالتفسير. بيد أن رمزية القصيدة هى مزيج مرهف من المسيحية وأسطورية الطبيعة.

ليست خافئة وليست حمراء مثل رأس إله

بزغت الشمس الرائعة

ثم أكد الجميع أننى قتلت الطائر

الذى جلب الضباب والسديم (٩٧-١٠٠)

إن استحضار الإله بالنفى وتكثيف التضاد بين الإله والشمس، وعدم يقين الإشارة اللونية والسرعة الموحية بالرهبة لشروق الشمس فى صيغة فعلية شبه مهجورة (بزغت uprist) تتلوها صدمة الاتهام كما لو كانت ذات الإله لا تبزغ إلا للترويع وإصدار الأحكام بالاتهام. كما يسترجع تداخل الصور الوثنية والمسيحية رهبة بدائية وعدم قدرة على التنبؤ بمسار الأحداث وينسق مرجعية الملاح، فيختل توجه طاقم

السفينة والقارئ. فالقصيدَة تنقل تجربة دينية في نمطها الأصلي ليست رهينة مذهب أو عقيدة<sup>(٣٠)</sup>.

لقد أصاب كوليردج هدفه رغم انتقاده في ذلك الوقت على ما أسماه ساوثي Southey "محاولة هولندية للسطو على الجلال الألماني" ( هولندية هنا تعنى شجاعة مصدرها نشوة الخمر - المترجم) على الأقل في هذه الحالة عند قيامه بتمثيل شخصيات خارقة للطبيعة، التي لم تعد المجازات التمثيلية للخطيئة والموت المألوفة الصادرة عن ملتون وقرن من الأداء التصويري قادرة على تمثيلها، بل باستمدادها من المشهد الرمزي الطبيعي لكل المخلوقات المستعدة لتوحى بما هو فوق طبيعي. وفي مراجعته النقدية لشعر وردزورث في "السيرة" لم يدخل كوليردج إلى مناقشة النظائر المماثلة analogues التي يقدمها وردزورث لما هو خارق للطبيعة بل بالأحرى إلى ما قد يحبط التأثير - البيان اللغوي التبسيطي، الهبوط المفاجئ من الرفيع إلى المبتذل، الأوزان الشعرية غير الملائمة. ومنذ ذلك الوقت كانت قصيدة "دير تنترن" Tintern Abbey هي التي تحظى بأكبر قدر من التعليق بين قصائد "الحكايات الغنائية" Lyrical ballads، فالقناع الشخصي الغنائي الذي يقوم بزيارة جديدة لمشاعره عندما يرى مرة ثانية دير تنترن من ضفة نهر واى way (شرقى ويلز وغربى إنجلترا) يتحدث عن حس جليل، عن شيء امتزجت عناصره أعمق امتزاج / ومسكنه نور الشمس الغاربة / والمحيط المألن والهواء الحى والسماء الزرقاء وفي ذهن الإنسان (سطور ٩٦-١٠٠). وفي بعض الأحيان اعتبرت قصيدة لوردزورث سافرة النزعة الدينية هي: قصيدة غنائية تأملية إيماءات الخلود Ode : intimations of

(٣٠) من التعليقات الكثيرة على هذه القصيدة انظر: Robert Penn Warren في مجموعة المقالات التي حررها جيمس بولجر James Boulger بعنوان Twentieth century interpretations of the rime of the ancient nations تفسيرات القرن العشرين لقافية الأمم القديمة.

*immortality* تمثل النقطة من التأكيد المتبنى لوحدة الوجود وتغلغل القوة الإلهية في الطبيعة إلى موقف مسيحي (أنجليكاني) أكثر تقليدية. وهذا التحول مرتبط أيضاً بإحساسه "بفشل" الثورة الفرنسية (كان يكتب في ذلك الوقت أجزاء الافتتاحية *The prelude* التي تتناول رحلاته الفرنسية) وكذلك بنضج شخصى جديد، حل فيه بدلاً من "توهج الإلهام" "الذهن الفلسفي". وقد دار جدال خصب حول إن كانت نقطة التحول هذه مؤشراً لبداية تدهور سيحيل شعره اللاحق وليس فقط شعره الدينى إلى المرتبة الثانية. كما دلل ليونيل تريلنج Lionel Trilling على نحو مقنع (من وجهة نظر علمانية) أن شعر النضج "موسيقى الإنسانية الهادئة الحزينة" المسموعة من قبل فى "دير نتنن" ليس أقل قوة إبداعية من شعر الفرحة الشابة<sup>(31)</sup>. وقد تركز الجدل على الصيغ المختلفة "للافتتاحية".

ففى إعادة كتابة وردزورث لملمحة سيرته الذاتية "الافتتاحية" التى اكتملت أجزاءها الثلاثة عشر عام ١٨٠٥ وإن جرت مراجعتها مراراً ولم تنشر إلا بعد وفاته (١٨٥٠) غير عبارات كثيرة وأبياتاً كثيرة لجعلها مسيرة لاستقامة العقيدة المؤسسية:

١٨٠٥ - فى المكان

الأكثر قداسة الذى عرفته من روى نفسها (x. 379-80) ١٨٥٠

١٨٥٠ - فى آخر مكان للملاذ - روى نفسها (x.415)

١٨٠٥ - الشعور بحياة لا منتهية، الفكرة العظيمة

التى نحيا بها، اللانهائية والله (xII.183-4)

١٨٥٠ - الإيمان بالحياة بلا نهاية، الفكر المستدام

(31) Lionel Trilling, "The Immortality ode", *The liberal Imagination: Essays on Literature And Society*, Garden City, NY: Doubleday, 1950, pp. 123-51.

### للكائن الإنسانى، الأبدية والله (xIV.204-5).

وصار التأكيد على الشعور اللانهائى بالحياة - وهو العلامة المميزة للحساسية الرومانسية - الاعتراف بالإيمان التوحيدي بالخلود (الحياة) الأبدية للروح. ولم تنتشر الصيغة الأولى، صيغة ١٨٥٠، للافتتاحية التى قرأها وردزورث بصوت عالٍ ٍ على كوليردج إلا فى القرن العشرين، ولأن الصيغتين نشرتتا جنباً إلى جنب فقد نشرت مراجعات مختلفة متعددة للقصيدة عبر حياة وردزورث كلها. وقد دلل ناقد محدث (هوارد إرسكين هيل Howard Erskine Hill على أن افتتاحية ١٨٥٠ أعادت على نحو مقنع تقديم تيمة القصيدة الرئيسية للرحلة عبر زيارة كنيسة الدير العظيم Grande Chatreuse (التى تظهر فى قصيدة وردزورث المبكرة " صور مختصرة وصفية" *Descriptive sketches* (١٧٩٣) وكذلك فى الصيغ الأكثر تبكيزاً من الافتتاحية، وفى الحقيقة فى الكثير من الشعر والنثر المعاصرين). وبذلك أصبحت " الرحلة" أو السفر سيرورة دينية بالكامل<sup>(٣٢)</sup>.

فى الربوع المختلفة من السماء المنحنية

يقف صليب يسوع منتصباً كما لو أن

أيدى القوى الملائكية قد ثبتته هناك

نصباً تذكاريّاً فى انحناءة تبجيل بواسطة ألف عاصفة

(١٨٥٠ - الافتتاحية ٤٨٣ - VI ٦)

(٣٢) هوارد راسكين هيل: فى شعر المعارضة والثورة من درايدن إلى وردزورث.

ولكن الأهداف والأعراف المتباينة للحج، والسياحة العظمى والتأمل الجمالي في "مواضع الزمان" تحتاج إلى ملاحظة مدققة<sup>(٣٣)</sup>. وكانت صياغة "كما لو" *as if* في هذه العبارة واسعة الاستعمال في هذه الفترة مع تشبيهات بدرجات متفاوتة من الاختلاف، ( كلمة "مثل" تساعدنا عبارات من قبيل "أنا أفكر"، و"يبدو" وغيرها التي تستخدم كاف التشبيه) تقدم صوراً دينية ووجهات نظر دينية لم يعد الكاتب يصادق عليها حرفياً<sup>(٣٤)</sup>. إن "كما لو" ذات أهمية خاصة لأنها مستمدة من "كما لو" الكانطية *"als ob"*، محور الفعل الأخلاقي؛ فالمرء لكي يكون كائنًا أخلاقياً يجب أن يسلك "كما لو" أنه حر الإرادة، على الرغم من أن كل موضوعات العالم محتمة مادياً. وفي مخطوطات كوليردج المتأخرة حيث حاول تقديم صياغة نهائية لمذهبه، بنيت الحجة على قضية شرطية جارية على عكس الوقائع (قضية أن نفى شيء يثبت نقيضه).

والقليل من القراء المحدثين هم الذين يتوجهون إلى قصائد وردزورث صريحة النزعة الدينية أو المذهبية، مصلى سيثويت *'Seathwaite Chapel'* أو مثيلات تعبدية *'Devotional incitements'*، أو السونيتات الكنسية *'Ecclesiastical sonnets'* تلك التي أدت بليزلى ستيفن Leslie Steven للزعم بأن "مذهبه الأخلاقي متميز وجدير بالعرض مثل مذهب الأسقف بتلر Butler، وفي الحقيقة إن قراءة قريبة العهد لاقطة للنظر لقصيدة "دير تنترن" قد اختارت أن تقف على غياب ذكر المتشردين داخل الكنيسة المهمة<sup>(٣٥)</sup>. ولكن الفجوة بين أتباع وردزورث الذين انتظروا منه حكمة لاهوتية وأولئك الذين قدره كشاعر كان ماثيو

(33) Geoffrey H. Hartman, 'The halted traveller', in *Wordsworth's poetry 1787-1814*, New Haven CT: Yale University Press, 1964, pp. 3-30.

(34) Susan J. Wolfson, 'The formings of simile', *Formal charges: the shaping of poetry in British Romanticism*, Stanford, CA: Stanford University Press, 1997, pp. 63-99.

(35) Marjorie Levinson, *Wordsworth's great period poems: four essays*, Cambridge University Press, 1986, pp. 14-57.



أرنولد قد بينها، بل إن وردزورث نفسه على الرغم من أنه مثل كثير من الرومانسيين استعار أحياناً ألفاظاً دينية لوصف "رسالة" الشاعر "الروح المتفانية" (٣٦)، فقد أسهم في التمييز بين "الدين في الشعر" و"الدين المنظوم" وعزف عن تناول "أسرار الدين" (٣٧). كما اختار أرنولد وهو يدافع عنه كشاعر، وفي الحقيقة كشاعر أوربي عظيم، أن يمتدحه بسبب تصويره "لأفكار أخلاقية" أى أفكار عن "الإنسان والطبيعة والحياة الإنسانية" بكلمات وردزورث، موضوعات اقترح وردزورث وكوليردج المبكر لكتابة "قصيدة فلسفة رائعة" عن "الإنسان والطبيعة والمجتمع". ونحن نتعرف هنا على التحول الكانطى نحو الإنقاذ غير المباشر للدائرة الدينية من خلال الفكرة الأخلاقية المصوّرة جمالياً. وحينما التقط أرنولد طرف الخيط من كوليردج فقد أكد بوجه خاص على "فكرة الحياة": إن شعراً يتمرد على الأفكار الأخلاقية هو شعر يتمرد ضد الحياة، إن شعر عدم الاكتراث بالأفكار الأخلاقية هو شعر عدم الاكتراث بالحياة (ماثيو أرنولد، مقدمة لقصائد وردزورث) (٣٨).

ويمكن أن نصف سمات معالجة وردزورث للفكرة الأخلاقية في أشعاره المتأخرة بواسطة "فكرة مستدركة" *After thought* وهى إحدى مجموعة السونيتات *sonnet sequence* (١٨٢٨) التى أبيتها الخمسة فى نهايتها هى:

"كفى، إذا كان لشيء من أيدينا قوة

على أن نحيا ونسلك ونحقق أهداف الساعة المقبلة.

(٣٦) افتتاحية وردزورث ١٨٥٠.

(37) Wordsworth, *Essay supplementary to the preface of 1815*, in *Prose works*, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974; and letter to Henry Alford, 20 February 1840, *The letters of William and Dorothy Wordsworth: The later years*, part iv, Alan G. Hill (ed.), Oxford: Clarendon Press, 1988, p. 23.

(38) Matthew Arnold, *Preface to Poems of Wordsworth*, p. xvi. The Preface was reprinted as 'Wordsworth' in *Essays in criticism*, Second Series, 1888, but should be read in the context of his illuminating selection of Wordsworth's short poems.

وإذا كنا نمضى نحو المقبرة الصامتة  
عبر الحب وعبر الأمل والهبة المتعالية للإيمان،  
فإننا نشعر أننا أعظم مما نعرف<sup>(٣٩)</sup>.

وهبة الإيمان المتعالية" حاضرة هنا، ولكنها خاضعة للفكرة التأملية الحافلة بالجلال عن العظمة الإنسانية التى يتم الشعور بها فى شكل جمالى، وليست موضوعاً "للمعرفة".

وإذا كان كوليردج حتى ذلك الوقت هو أشد المدافعين ذكاء ورهافة عن الدين، وهو الذى قام بتحديثه وفقاً لأشد المراجعات النقدية راديكالية دون أن يقترب معاصروه من الإقرار الكامل بتلك الحقيقة، فقد تميز الجيل الأحدث سناً من الرومانسيين الإنجليز بدرجة أكبر من نفاد الصبر. أما التقليد الراديكالى الذى كان كوليردج جزءاً منه فى شبابه فقد تم دفعه إلى الأمام فى حلقة وليام جودوين William Godwin مؤلف "العدالة السياسية" ١٧٩٤ ومارى ولستونكرافت Mary Wollstonecraft (مؤلفة حقوق المرأة) إلى الجيل القادم عندما وحدثت ابنتها مارى هدفها مع بيرسى بيش شيللى Percy Bysshe Shelley (١٧٩٢-١٨٢١) المصرح بإلحاده والراديكالى السياسى والشاعر. وقد اشتد الهجوم على الشعراء الأكبر سناً ووردزورث وكوليردج وساوثى Southey الذين اعتبروا مارقين من فرقة من الإخوة الذين أقسموا على موالاة قضية واحدة هى قضية الارتداد (عن الثورة) فى تقوى وصلاح كما يصور هازليت الوضع<sup>(٤٠)</sup>. وأصبح الهجوم شديداً بوجه خاص بعد سقوط نابليون، حينما خرجت قوى الإصلاح السياسى عن فترة التوافق القسرى أثناء الحرب ضد فرنسا. وفى هذه الفترة الفاصلة نسيت المصادر الراديكالية لمذهب التعالى فى النقد

(39) *Poems of Wordsworth*, p. 220.

(40) William Hazlitt in the *Examiner*, 5 April 1817.

التنويرى عندما اتجهت الدولة فى كل من ألمانيا وإنجلترا نحو اليمين، ونشرت "النظرية العضوية" للدفاع عن النزعة المحافظة. واتسم الهجوم باستعمال اللغة الدينية فى الهجاء السياسى، وهو ما يتضح من عبارة هازليت. وكان بايرون حليفه فى هذا، ومامن هجوم على الجيل الأقدم من الشعراء "المرتدين" أحدًا أو أكثر إضحاكًا من فقرته الهجائية عن استقبال ساوذى بواسطة القديس بطرس عند البوابات الموشاة باللؤلؤ فى رؤيا القيامة (الحساب) *Vision of Judgment*. بيد أنه على الرغم من استهزاء بايرون فإن هناك أثرًا من المذهب الكالفينى الذى تربى عليه وعلى الأخص فى "البطل البايرونى" المقدر عليه الهلاك بسبب خطيئة أو زلة خفية أو فعل شرير (أحيانًا التفكير فحسب فى إتيان شر أو عمل إجرامى أو فعل قاده إليه آخرون).

ويتركز التعارض بين الجيلين بأحد درجة فى القصيدتين عن مونت بلانك Mont Blank (أعلى جبال الألب) بقلمى كوليردج وشيلي. وتشير القصيدتان إلى واحدة من التيمات الرئيسية للجيل (وهو مصطلح جمالى تزايد إزاحته للجمال كمقياس للقيمة الجمالية) هى عظمة المشهد الطبيعى للجبل. وكانت لحظة الجلال قد توسع شرحها تفصيلًا فى مسار القرن الثامن عشر، مستوعبًا نظرة لونجينا Longinus الإغريقية عن "الطبيعة العظمى" باعتبارها ملهمة المباراة (المحاكاة) الإنسانية نحو استجابة مسيحية مركبة تشمل الروح والخشوع فى وجه القدرة الإلهية، كما تشمل تأكيد أفعال الله الخيرة فى النظام الطبيعى. وقد أكد مقال بيرك "مبحث Inquiry أهمية غريزة حفظ النفس التى أدت إلى تعليق الفعل فى لحظة الرعب التى يتم فيها إعلاء كل المدركات الحسية قبل إفساح المجال للفعل العملى (الصراع أو الفرار). وفى عرض كانط النقدى هناك إنكار لحرفية الدليل الطبيعى اللاهوتى على وجود الله (أو الحجة بدءًا من النظام والتدبير Design)، ويحدث عمل الجليل من خلال قوة المخيلة الإنسانية فى خلق الوحدة بدءًا من المدركات الحسية، وبواسطة ذلك يجرى التذكير بأفكار التأمل العقلية. وهكذا أدى استحضار جلال

الطبيعة إلى تأكيد القدرة الإلهية من ناحية والقدرة الإنسانية من ناحية أخرى. وقد أعاد كوليردج صياغة القصيدة التأملية للشاعر الدنماركي الألماني فريدريك برون Friedricke Brun *"Chamouni beym Sonnenaufgabe"* في قصيدته "ترنيمه قبل شروق الشمس على وادي شاموني" *Hymn before sun-rise in the Valley of Chamouni*. وقصيدة برون مصاغة في سلسلة من الأسئلة الصوفية على غرار أسئلة ويليام بليك، عن القوة التي شكلت هذا المنظر. وفي القصيدة الأخيرة تجيب الطبيعة نفسها: إنه يهوه Jehovah، كما تؤكد صيغة كوليردج صوت الله الذي يمكن الرمز لقدرته الجلييلة على الخلق باللحظة المتجمدة للهاوية المغطاة بالجليد، على حين أن قصيدة شيللي، التي تتعمد معارضة كوليردج تعيد تفسير الصوت بمعنى سياسى والحادى.

إن لك صوتاً أيها الجبل العظيم

يلغى شفرات الخديعة والترهيب الضخمة

وإن لم يكن مفهوماً من الجميع

فإن الحكماء والعظماء والطيبين

يفسرونه ويجعلونه محسوماً

أو يشعرون به بعمق<sup>(٤١)</sup>

(مونت بلانك. أبيات كتبت في وادي شاموني. سطور ٨٠-٨٣).

وتشير "شفرات الخديعة والترهيب الضخمة" إلى الصلة الجذرية المألوفة بين القهر السياسى والمتواطئين معه باسم الدين (الكهانة). وذلك يفصح عن دور

(41) GeoCrey Matthews and Kelvin Everest (eds.), *The poems of Shelley*, vol. i, 'Mont Blanc. Lines written in the Vale of Chamouni', pp. 532-41. (See headnote for further references to Shelley's atheism at Mont Blanc).

الوسطاء من البشر. وفي المقطع الخامس يصير الجبل "بلا صوت" ويكون الصمت أعظم من كل هذر الكهانة.

وربما كان كوليردج بدوره يشير إلى تناول وردزورث لجلال قمة الألب سواء في قصيدته المبكرة من "صور قلمية وصفية" (١٧٩٣) التي اقتبسها كوليردج في "السيرة الشخصية الأدبية" وفي الفقرة الأكثر شهرة من الافتتاحية عن "عبور الألب". وقد حول وردزورث تجربة فشله في إدراك اللحظة المرتجاة طويلاً لحظة عبور القمة إلى استحضار المخيلة وقواها في خلق الدلالة: فالمواردية المتعالية في إرجاع الجليل إلى القدرة الإلهية تسجل هنا بالكامل. فالأطراف المتعارضة لمنظر الألب .

كانت جميعاً تشبه عمل ذهن واحد،

ملامح نفس الوجه، أزهاراً على شجرة واحدة

شخوص سفر الرؤيا الهائلة

أنماط ورموز الأبدية

المتعلقة بالأول والآخر والأوسط وما لا نهاية له

(افتتاحية (١٨٠٥) ٧٢-٥٦٨ VI

وعلى الرغم من الصراع بين الأجيال، تمكن رؤية كوليردج و وردزورث وشيللي باعتبارهم يستعملون الشعرية المضمرة نفسها للمخيلة، وبحولون التعبير عن التجربة الدينية بدرجة ما من الصراحة إلى نمط علماني. وقد تبني شيللي لغة الأفلاطونية التي لها ميزة كونها وثنية للتعبير عن الرسالة السامية للمخيلة الشعرية. في "دفاع عن الشعر" كوسيلة للمثالية الجمالية والسياسية. ولكن أفلاطون كان قد تم تمثله زمنًا طويلاً داخل الفكر المسيحي. ويؤكد الإدماج التقليدي للمجازات الأفلاطونية في التفكير الديني في الغرب والتلاقى المتجدد بين الأفلاطونية، وخصوصاً

في أشكالها الأفلوطينية المحدثّة، والمثالية الألمانية وجود قرابة وثيقة بين تناول كل من كوليردج وشيللى للجليل كتقنية لتجسيد أفكار القيمة كما شعر وردزورث (الذى رفض استعمال المعبد اليونانى الرومانى باعتباره عقيدة بالية) بأنه قادر فى قصيدة "الخلود" على استعمال أسطورة أفلاطونية للتعبير عن فكر مسيحي، تماماً كما استعمل شيللى أساطير أفلاطونية لتجسيد آمانيات ثورية ومعادية للدين.

بيد أنه لا شك فى أن الشعر بأسلوب الجليل عند قراء ما يزالون يألّفون بالى Paley (ويليام بالى ١٧٤٣ - ١٨٥٠) فيلسوف لاهوتى وفيلسوف منفعة) أكثر من كانط، أو أكثر من أدوات مساعدة Aids له تأثير فى ترسيخ الإيمان موح بالعزاء فى الطبيعة خالقاً صلة تعاطف بين خليفة الله والجنس البشرى وداعياً إلى جماعة مؤمنين. وقد كتب جورج جروت George Grote إلى أخته بقدر معين من التهكم عام ١٨٢٣ "إن الإحساس الممتع بالجدارة merit الذى اعتادت المشاعر الدينية أن تجلبه لك فى الأزمنة الغابرة ما زالت تلك المشاعر تقدم نفسها لك لكنك تشعرين أنها لم تعد تستطيع أن تجد موطناً لقدم فى صدرك، فإن الشعر يستطيع أن يمدك به" (وقد أوصى جروت بدلاً من ذلك بمبدأ بنّام فى المنفعة باعتباره القاعدة الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها. ومن المفترض أنه متفق مع بنّام فى أن المسمار مفيد مثل الشعر). وتعزز تجربة قراء كثيرين طوال القرن التاسع عشر أن وردزورث على وجه الخصوص ظل محتفظاً بهذا التأثير، وشهادة جون إس ميل J. S. Mill فى سيرته الذاتية Autobiography عن قدرة شعر وردزورث على شفاؤه بعد موت والده هى الأوسع شهرة. وفى المدى الطويل أسهم نجاح الاستراتيجية الجمالية فى تصور مؤداه أن الشعر يمكن أن يملأ مكان الدين ("الشعر هو دين منسكب بغزارة") وإطالة بقاء النعمة المترتبة دينياً فى النقد حتى زمن تى. إس. إليوت.

ويمثل كوليردج أكمل وأكفأ استجابة بريطانية من خلال الجماليات الرومانسية والشعر للأزمة العقلية فى الفكر الدينى والمؤسسات الدينية التى تتناظر أزمة

شلايرماخر (١٧٦٨-١٨٣٤) وهيجل (١٧٧٠-١٨٣١) فى القارة الأوروبية، على حين يمثل شعر وردزورث أنجح متن من الأعمال الشعرية حيث يفترض ويستند انسجام بين الحياة الداخلية وعالم الطبيعة. وكان لعملهما وأهميتهما المتآزرين صدق قوى خلال القرن فى بريطانيا. ومن ناحية أخرى مثلت حلقتا جودوين Godwin وشيللى تلك المعارضة الراديكالية عبر جيلين التى طورت نطاقاً واسعاً من الوسائل ذات الصفات المميزة ابتداء من القصيدة التأملية المطولة والغنائية الأقصر (المشتركتين مع وردزورث وكوليردج) إلى الهجاء السياسى والدراما الكونية والشعر السياسى الذى كان دور القسيس والكنيسة فيه وجهاً للقهر ثم الرواية القوطية. وقد أنتج الجيلان نقداً أدبياً ومراجعة ثقافية مشبعين بالشواغل السياسية. وقد كان فى تلك الفترة أن جاء إلى الوجود "النقد" كما نعرفه الآن.

وكل الحركات قامت بإنشاء تاريخ أدبى جديد وسلسلة أنساب أدبية جديدة (أصول واستمراريات genealogy) أما الرومانسيون فكانوا نشطاء على الأخص فى إعادة صياغة الماضى. وكانوا يقدمون أنفسهم (وكان ذلك أكثر بروزاً وصراحة فى النظرية القارية -نسبة إلى قارة أوروبا- عند شيللر وفريدريك شجل وشاتوبريان) باعتبارهم معادين للكلاسيكية؛ أى باعتبارهم أوروبيين مسيحيين، ذاتيين وروحانيين. وكان ذلك عند شيللر مرتبطاً بحنين إلى وثنية كلاسيكية أكثر امتلاء بالحيوية استجابت مباشرة للطبيعة، وعند شيلجل، وخصوصاً بعد تحوله إلى الكاثوليكية، كان دانتى هو الشاعر المتدين بامتياز الذى جاء إلى الصدارة من جديد مع استرجاع الفترة الوسيطة. وصارت ترجمات أعماله وخصوصاً كما يبدو فى ترجمة هنرى فرانسيس كارى Henry Francis Cary التى عرضها كوليردج عام ١٨١٤ فى مراجعة تستحسنها تقدم دانتى باعتباره رومانسياً (على الرغم من أن شيللى وبايرون وكوليردج قرعوا الأصل). وقد وازى هذا التطور مثيله عند الرومانسيين الألمان وخصوصاً فريدريش شيلجل الذى كان شكسبير عنده شاعر المخيلة العظيم أما دانتى

فهو شاعر التعالي. وإذا كانت إعادة اكتشاف دانتي قد بدأت بالحادثة السردية أوجولينو Ugolino، فقد تلتها بقية الجحيم Inferno والأحداث اللاحقة وخصوصاً حادثة باولو Paolo وفرانشيسكا Francesca العاشقين الشابين عشقاً غير مشروع (النشيد الخامس) التي أصبحت نقاطاً مرجعية مفضلة. كما أنهى كوليردج كتابه الأخير "حول دستور الكنيسة والدولة ١٨٣٠ باقتباس من فردوس Paradiso دانتي يؤكد أن نور العقل الساطع كان يمكن أن يرى لو لم يطمسه إعتام تخيلات زائفة (falso immaginar)<sup>(٤٢)</sup>. وجاءت قصيدة شيللي الأخيرة "انتصار الحياة" ١٨٢٢ ملتزمة بالمقطع الشعري الثلاثي الأبيات terza rima<sup>(٤٣)</sup> الذي نظم فيه دانتي الكوميديا الإلهية. فقد اتفق الجيلان الرومانسيان المتعارضان بطرق كثيرة جداً في أن يقدموا فروض الولاء لدانتي.

وإذا كان كوليردج ووردزورث يمثلان التيار الرئيسي لضروب التوفيق بين الأدب الحديث والمراجعة النقدية للدين، وكان شيللي وبايرون يواصلان الهجوم على اللاهوت التأويلي في صيغه الجديدة بينما يتبنيان لغة المخيلة فإن الشاعر والمفكر الأكثر أصالة الذي حاول إقامة تركيب بين الدين والأدب كان ويليام بليك William Blake (١٧٤٣ - ١٨٢٧). وقد تم في السنوات القريبة إدماجه في الحركة الرومانسية على أساس من سلسلة قصائده الأسطورية التي تستخدم الأساليب التوراتية لتوصيل إعادة بناء ذات طابع شخصي وحساسية متفردة لأساطير سقوط الإنسان وخلصه، من قالا "Vala" (١٧٩٨) إلى المخلوقات الأربعة الحية The Four Zoas - ١٨٠٠- (رمزيتها في سفر حزقيال وشبهها بالإنسان ولكل منها أربعة وجوه

(42) Coleridge, *On the Constitution of the Church and State*, pp. : 162-3.

(٤٣) تم إرجاع الفضل إلى شيللي في إحياء الشكل الشعري عند دانتي داخل الشعر الإنجليزي ولا يضاهيه إلا إليوت في قصيدة Little Gidding. انظر:

Timothy Webb, *The Violet and the crucible, Shelley and translation*, Oxford Clarendon Press, 1976, pp. 326-9



وأربعة أجنحة وترمز إلى قدرة الله وحركتها وحضورها الروحي في كل مكان - (المترجم) اللتين تعرضان سرديته الأسطورية بأعظم اكتمال، إلى "ملتون" Milton (١٨٠٤) و"أورشليم" Jerusalem (بدأها عام ١٨٠٤ ونقشها بالحفر ١٨٢٠). وإدماج قصائده المبكرة أغاني البراءة والتجربة "Songs of innocence and experience" (١٧٨٩ - ٩١) يجعل انطلاق الحركة الرومانسية متطابقاً على نحو ملائم مع الثورة الفرنسية. وقد حاول البعض حتى أن يدمجوا "الصور الوصفية الموجزة الشعرية"<sup>(٤٤)</sup> Poetical sketches (١٧٦٤). ولكنه كان دائماً شخصية متفردة. فما دام قد انتمى إلى جيل أسبق من وروزورث وكوليردج فإن جذوره تتعمق في القرن الثامن عشر، ويوصفه نقاشاً بحكم المهنة (يحفر على النحاس ثم يطبع ماحفره) فإنه ينتمى إلى طبقة أرباب الحرف لا إلى الطبقة الوسطى مثل وردزورث وكوليردج ولا إلى الطبقة العليا مثل بايرون وشيللي. وكانت شهرته كشاعر ضئيلة في أيامه، وكانت الصحف تصمه باعتباره "مجنوناً تعيس الحظ" زمن معرضه الفاشل (١٨٠٨)، على الرغم من أن كوليردج كتب عنه مستحسناً عام ١٨١٥. ولم يبدأ شعره في أن يعرفه القراء إلا حينما طور دي جي روسيتي D.G. Rossetti وهو شاعر رسام آخر اهتماماً به في منتصف القرن التاسع عشر.

لقد كان على اتصال بحركات دينية راديكالية وخصوصاً المنتمية إلى نزعة سويدنبورج Swedenborg وورثة المذاهب البروتستانتية في الحروب الأهلية (وما يزال دورها في القرن الثامن عشر مسألة خلافية)، كما تحرك في الدوائر السياسية الراديكالية لجمعية المراسلة في التسعينيات من القرن الثامن عشر. وتجسد

(٤٤) يدلل نورثروب فرأى أن الصور الموجزة الشعرية تقدم الخطوط الخارجية الأساسية لأسطورة بليك التي تعد نموذجاً أصلياً، انظر:

Fearful symmetry: a study of William Blake, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1947, p. 182.

أشعاره المبكرة المعنونة "تبوءات" Prophecies فى السنوات التى تلت الثورة مباشرة رموز التطورات فى السياسة الجارية أولاً فى أمل ثم فى إحباط متزايد. لذلك أعادت القصائد الأسطورية صياغة آماله فى خلاص للإنسان داخل شكل أقل فورية وأكثر انصافاً بالتخيل المكتمل - السقوط المزدوج والخلاص المزدوج التوراتى والميلتونى فى الوقت نفسه. وهكذا تشابك الدين والثورة تشابكاً وثيقاً فى رؤى أمله كما كان الأمر بالنسبة إلى شخصيات الحرب الأهلية الذين يرى البعض أحياناً أنه ورثهم، كما أن صلته الشخصية المباشرة بنص الكتاب المقدس تذكّر بالمخيلة التطهيرية (البيوريتانية)؛ فهو الشاعر الذى يقترب أكثر من نمط "العراف المتنبئ" الذى يصفه كوليردج فى "السيرة الأدبية" بقدر من التوق المكتتب بأنه يمتلك شكلاً مباشراً من الحدس قد انغلق بالنسبة إلى عصره، متخذاً من ياكوب بويمه Jakob Boehme صانع الأحذية المتصوف الألمانى فى القرن السادس عشر مثله الأساسى. فبليك وحده بين الرومانسيين المتأخرين الواعين بذواتهم هو الذى تجاسر على ادعاء رؤيا مباشرة بقوله "إن النبيين إشعيا وحزقيال تعشيا معى الليلة الماضية" (زواج الجنة والنار - صحيفة محفورة ١٢) فقد كان على يقين من أنه شاهد رؤى، وأنه رسم ووصف ما شاهده.

وقد ثار جدال كثير حول محاولات من جانب المؤرخين لإثبات استمرارية المذاهب الثورية للحرب الأهلية، مذاهب الحفارين ودعاة التسوية وخصوصاً أتباع ماجلتون Muggletonians (لودويك ماجلتون Lodowick Muggleton ١٦٠٩ - ٩٨، تطهرى إنجليزى زعم بأن الشيطان تجسد فى حواء وأنكر الثالوث وسجن فى وقت متأخر بتهمة الزندقة - المترجم) حتى زمن بليك<sup>(٤٥)</sup>. ولكن لا شك فى أن بليك كان معارضاً لإطلاقية القانون الأخلاقى الموروث antinomian أى معتقداً بمذهب

(45) F. G. A. Pocock, Christopher Hill, and E. P. Thompson have all argued for this link, in varying degrees.

أن الإيمان بالمسيح قد أبطل قانون العهد القديم<sup>(٤٦)</sup>، ومذهب التعويل على الإيمان بدلاً من الأعمال في شكله المتطرف يمكن أن يعفى المصطفين the elect (الذين اختارهم الله) من أى تثريب على أى فعل من أفعالهم. ولكن بليك لم يكن قائلاً بجبرية القضاء والقدر predestination أى مؤمناً كالفينياً بالمختارين بواسطة الله، الناجين بصرف النظر عن المثوبات والعقوبات المستحقة deserts. وعلى أى حال فقد استخدم موقع القضاء والقدر بكل نقائضه ضد أى قوانين قهرية تنسب إلى الله والطبيعة والإنسان، وصار ذلك فكرة أساسية فى شعره، موقدة الاحتجاج ضد قانون أبوى مزعوم الألوهية أب لا أحد . أو أريزون Urizen (ممثّل ملتح لإله قمعى بالسلب يقدم النواهى فى أسطورة بليك الشخصية) من جانب الدولة والكنيسة والعائلة. وفى أغاني البراءة والتجربة ينهل من ترانيم أيزاك واتس Isaac Watts وجون وشارلس ويزلى Wesley فى أشكاله الشعرية خادعة البساطة ومن أدب المواعظ الأخلاقية والدينية للأطفال التى حولها إلى دعوى لمطالب المجهورين الأطفال والفقراء والمستغلين والمكبوتين. وهنا لعبت الكنيسة وقساوسها دوراً قمعياً ليس فحسب باعتبارهما عملاء منافقين لسلطة الدولة، بل باعتبارهما كوابح للفرحة وكل لذات الحواس.

وكما كتب فى " حديقة الحب":

ورأيت أنها ممثلة بالقبور

وشواهدا توجد حيث كان ينبغى أن توجد الأزهار

وكان القساوسة فى الأردنية السوداء يواصلون جولاتهم

ويقيدون بالعوسج أفرأجى ورغباتى (أبيات ٩-١٢)

(46) E. P. Thompson, *Witness against the beast: William Blake and the moral law*, Cambridge University Press, 1993.

وكما أن أشهر قصائده "أيها النمر، النمر المشتعل توهجاً في غابات الليل" هي تصريح قوى بالزعم بقوة إلهية ملتبسة، خلاقة وهدامة معاً، تهجر فكرة القرن الثامن عشر عن عدالة وخيرية إلهية.

ويجد موقفه المصطبغ بالنقائض (معارضة القانون الأخلاقي الإطلاقي) تعبيراً قوياً عنه في الأقوال المأثورة بين أطواء قصيدة "زواج الجنة والنار" (١٧٩٠ - ٣) الذي يتحدى كما يعكس الافتراضات الأخلاقية العامة لكى يحرر طاقات التغيير من قيودها. "وبدون أصداد لن تحدث مسيرة تقدم" وهو يتكلم بصوت الشيطان ويعلن قواعد حكمة الجحيم: السجون مبنية بأحجار القانون والمواخير بلبنات الديانة الزائفة" ونمور الغضب أكثر حكمة من خيول الوصايا (صحيفة ٩)، ويظهر يسوع باعتباره محرراً، ويوضع إنجيل المسيح في تناحر مباشر مع القانون الأخلاقي (الشكلي): أقول لكم ما من فضيلة تستطيع الوجود دون خرق (التفسير الزائف) لهذه الوصايا العشر... كان يسوع كله فضيلة وكان يسلك وفقاً لدوافعه الباطنة لا وفقاً للقواعد - صحيفة ٢٣. ويعاود هذا المسار الفكرى الوقوع عند بليك، بالغاً ذروته في "الإنجيل السرمدى" (١٨١٨) وهو الاسم المعطى للإنجيل مفسراً بوصفه متعارضاً مع القانون (قواعد السلطات) (تومبسون - شهادة - ص ١٩) (Thompson, Witness).

وفى القصائد الأسطورية تم امتصاص اللحظة الثورية داخل سيرورة كاملة النمو من ازدواج سقوط وخلص - وهى شخصية وتاريخية فى آن واحد - كما تقع لحظة عنف مطهر فى قاع السقوط الثانى. ويتم تصور الخلاص فى ألفاظ توراتية، فى طورين الأول بوصفه بيولا Beulah أو أرض إسرائيل الرمزية (أشعيا ٤: ٦٢) وبالعبيرية حرفياً يعنى المرأة المتزوجة) ثم بوصفه أورشليم الجديدة التى تعقب الدمار الشامل ونهاية العالم فى سفر الرؤيا، وهو سفر استمر الشك فى اعتماد توافقه مع السنن الكنسية طويلاً، ولكنه احتفظ بشعبيته عند كل صنوف القائلين بالمجتمع الألفى

السعيد. ولكن قصائد بليك الأسطورية المطولة لم تقرأ إلا في القرن العشرين، واعتُبرت صعبة وذات طابع خصوصي مطلق مثل لغة العوالم الأسطورية الرومانسية الأخرى، وخصوصًا في الغنائيات التأميلية المتأخرة لفريدريش هولدرلين F. Hölderlin. وقد قِيلَت حجج من قبيل أن التيار اليقووبي عندما مضى اتجاهه الريادى نحو الانحسار داخل الحلقات المغمورة في السنوات الأخيرة من تسعينيات القرن الثامن عشر، وعندما تزايد انعزال بليك لم تعد له "لغة قابلة للقبول أو الدحض"، كما قِيلَت ضد ذلك حجة أن بليك كان يستخدم "المصطلح المعروف جيدًا لنزعة المجتمع الألفي" (وهو ليس لغة ذات طابع خصوصي). ولا شك في وجود مصطلح لتلك النزعة، ولكن من المضلل استخلاصه من منشقى القرن السابع عشر على الكنيسة، فقد كان بليك عصرًا تمامًا بمقياس زمانه، ولم يكن يسوع في تفسيره هو يسوع "القديس" بل يسوع المجتمع الذى يتطلب تحريرًا في نهاية القرن الثامن عشر. فقد كان جيد الإمام بالمصطلحات السياسية الجارية وبالنقد الحديث للكتاب المقدس. وبينما توجد بعض المساحات المشتركة مع القائلين بالمجتمع الألفي السعيد مثل أخوة ريتشارد Richard Brothers (المسجون أفرادها عام ١٧٩٧) وجوانا ساوثكوت Joanna Southcott بادعائها أنها ستلد المخلص الثانى (التي واصلت حركتها البقاء بعد أن لم يتحقق المجيء الثانى للمسيح كقاض طوال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر) أساسًا من خلال استخدام أنظمة صور الكتاب المقدس عن الدمار الشامل ونهاية العالم والنفمة المعلاة "لنبيوءة"، فإن لغة بليك هى نتاج أدبى مركب امتزج فيها شكل ولغة ملتون ومقلدى الجليل الملتونى فى القرن الثامن عشر بالقصة الشعبية الشعرية والترتيلا و"الخطوط الخارجية الوترية" لمخيلة بصرية فريدة<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٧) إى إس شافر: سفر الرويا العثمانى، أنبياء وأصحاب روى فى نهاية القرن الثامن عشر.

E. S. Shaffer, 'Secular apocalypse: prophets and apocalypics at the end of the eighteenth century', in *Apocalypse theory and the ends of the world*, M. Bull (ed.), Oxford: Blackwell, 1995, pp. 137-58.

وفي النهاية إن بليك أيضًا هو داعية للمخيلة الرومانسية. "فلم تتأهض شعريته المتسمة بالفاعلية والملتزمة سياسيًا وجهة نظرية المثل الأعلى الكانطي لفن منزه عن الأغراض" يمثل كوليبردج ووردزورث<sup>(٤٨)</sup>. فاستعمال بليك للمخيلة يحول شكل وموضع المقدمة المنطقية لشافتسبري وأكنسايد Shaftsbury & Akenside عن القدرة الحدسية على الاستجابة الجمالية ليعممها شاملة كل أحكام الإدراك الحسي، وبذلك تمثل توازنًا أكثر من أن تمثل تنمية عكسية للإنشاء التخيلي لموضوعات الرغبة في أفكار العقل<sup>(٤٩)</sup>. إن مذهب المثل (الأشكال) الأبدية Eternal forms قد يكون في أول الأمر أفلاطونيًا في الأصل، ولكن النزعة الترانسندنتالية الكانطية وبعد الكانطية كانت هي نفسها حركة أفلاطونية محدثة. فكلاهما مدين دينيًا مركبًا لجماليات بيرك. وبمصاحبتها لمجال الدين أو عنايتها به أصبح من الواضح لجميع الأطراف أن العاطفة الدينية ظلت قوة يمكن استدعاؤها من خلال المخيلة التي أعيدت صياغتها من جديد، ويمكن استعمالها استعمالات كثيرة ذات طابع معارض في الأغلب وعلماني على نحو متزايد.

(٤٨) هذا الرأي الذي عبر عنه جيروم ماك جان Jerome McGann في الأيديولوجية الرومانسية، استقصاء نقدي 1985 *The Romantic ideology, a critical understanding* يمثل سلسلة كاملة من الكتب لكشف زيف "الأيديولوجية الجمالية" في جهل ظاهري بمصادرها في التعريف الفلسفي للطبيعة الوهمية للمفاهيم اللاهوتية.

(49) Jonathan Mee, :Is There an Antinomian in the House? In *Historicizing Blake*, S. Clarke and D. Warrall (ed.) New York: ST Martin's Press, 1994, p. 16. 290

## الفصل الثامن

### نظرية اللغة وفن الفهم

بقلم: كورت مولر - فولمر

ترجمة: إبراهيم فتحى

لأنه حتى الرغبة فى التواصل لا يمكن توصيلها إذا لم يكن البشر قد فهم بعضهم بعضًا فى الأصل قبل حدوث فهم متفق عليه.

أوجست فيلهلم شليجل August Wilhelm Schlegel

لا يفهم أحد نفسه بأن يكون ذاته فحسب، بل بأن يكون أيضًا شخصًا آخر فى الوقت عينه.

فريدريش شليجل Friedrich Schlegel

١-١

### البويطيقا (الشعرية) واللغة والتأويل

لم يطرأ انشغال دائم الإلحاح بمشاكل اللغة تشارك فيه معظم الكتاب الرومانسيين على اختلاف أذهانهم كاستجابة متأخرة، بل لقد دفعتهم بالأحرى شعريتهم الجديدة التى طرحت فكرة أولوية المخيلة المبدعة على النسق الموروث من القواعد والمواضع إلى التركيز على الوسيط الشعرى؛ أى على اللغة نفسها إلى وضعهم فى مسار صدام لا مع جماليات القرن الثامن عشر الكلاسيكية المحدثه وحدها، بل أيضًا مع الآراء اللغوية التى ورثوها عن فلاسفة التنوير ومنظريه. إلا أن الفلسفة الكانطية والمثالية التى تشاركوا فى معتقداتها الأساسية، على الرغم من تأكيدها الطبيعة

المبدعة للذهن الإنساني وأنها نسبت وظيفة تشكيلية للمخيلة، لم تتجب أى فلسفة جديدة فى اللغة. وفى واقع الأمر كان صعود الفكر اللغوى وإزدهاره أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر بقدر كبير جزءاً من التقاليد التجريبية والعقلانية إلى درجة أن صار هذا المشروع اللغوى بأكمله فى عيون المثاليين معيباً. وهكذا شعر الرومانسيون بأن من واجبهم أن يتساءلوا بأنفسهم عن القضايا الأساسية للغة؛ أى علاقتها بالفكر وطبيعة الواقع والإبداعية الإنسانية، وأن يصوغوا بإحكام نظريات لغوية وثيقة الصلة بمساعيهم الخاصة. وكانت تلك طريقتهم فى القطيعة مع التقاليد العقلانية والتجريبية والنماذج التمثيلية المتأصلة فى الأدب. لذلك ليس من المستغرب أن يكون الأدب الرومانسى قد كشف عن تصور جديد مختلف للغة يمكن أن نشير إليه عمومًا بوصفه رومانسيًا<sup>(١)</sup>، بل أن يكون كبار الكتاب مثل الأخوين شليجل ونوفاليس وشلايرماخر فى ألمانيا ومدام دي ستايل وبنيامين كونستانت فى فرنسا وصمويل تيلور كوليردج فى إنجلترا قد صاغوا تصورًا متسقًا للغة صارع وجهات النظر التقليدية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر المرتبطة بأسماء هوبز وديكارت ولوك وكوندياك وحل محلها. والإلهام هنا مستمد -بدلاً من ذلك- من مجموعة مختلفة من المفكرين، من ليبنتس Leibniz، وميكائيليس Michaelis وروسو وهردر وفوقهم جميعهم كانط وفخته وفلسفتها الجديدة عن العقل.

## ٢-١

إذا كان انشغال الرومانسيين باللغة فرعاً نما مباشرة من شعريتهم الجديدة، فإن الأمر نفسه يصدق على اهتمامهم بالتأويل أو بكلمات شلايرماخر "فن التفسير" إلا أننا يجب أن نميز بين هذا الفن ونظريته عن الفن من جهة، وموقف الرومانسيين

(1) See Helmut Gipper, 'Sprachphilosophie in der Romantik' in Marcelo Dascal (ed.), *Sprachphilosophie, Philosophy of language, La philosophie du langage, Ein internationales Handbuch zeitgenössischer Forschung*, Berlin, New York: de Gruyter, 1992, i: 197-233 and my earlier 'From aesthetics to linguistics: Wilhelm von Humboldt and the Romantic idea of language', in *Le Groupe de Coppet: actes et documents du deuxième Colloque de Coppet 10-13 juillet 1974*, Geneva: Slatkine; Paris: Champion, 1977. pp. 195-215.



الجديد من الشعر والأدب والفلسفة والثقافة التي تصاحبها من جهة أخرى. وكان ما يهتمهم في المحل الأول فهم متعاطف للفردية والروح الإبداعية المتجلية في نواتج الذهن أكثر من أي محاولة حصيفة للحكم على تلك النواتج بواسطة مقاييس الجماليات الكلاسيكية المحدثة سابقة التصور. وكان للروح الشعرية عند الرومانسيين تجسيدات كثيرة في أفراد مختلفين وآداب قومية قديمة وحديثة. بيد أن قبول تعددية الأرواح الفردية تضمن أيضاً تأكيداً لوجودها المتميز. فقد ظنوا أنه بالاعتراف بالروح المبدعة في ثقافات أخرى وعقريات أخرى يصير المرء مدركاً لفرديته التي يصعب محوها. ويعنى ذلك عند الرومانسيين عبور حدود آدابهم القومية واستكشاف ما يقع في الخارج والذي أفصح عنه هردير أول مرة وجاء الأكثر فاعلية في كتاب مدام دي ستايل "عن ألمانيا" (١٨١٠-١٨١٣) الذي لم يكن فحسب أول تصوير لثقافة قومية أخرى، بل كان أيضاً شهادته على النزعة الأممية (العالمية) الرومانسية الجديدة، والذي تمتع بعد ترجمته إلى الإنجليزية بنجاح عاجل ورواج بين قراء نوى تأثير في إنجلترا وأمريكا. ويتيح لنا التفتح إزاء أعمال من آداب قومية أخرى وامتلاكها وهو ما تميز به كتاب أوروبا الرومانسيون أن نلم بالبعد اللغوي الذي هو جزء ضروري من الموقف الجديد. ونجد عند النظر إلى الأخوين شليجل وتييك Tieck في ألمانيا، ودام دي ستايل في فرنسا أو كوليردج وكارلايل في إنجلترا أن هؤلاء الكتاب لم يقفوا عند دراسة لغات حديثة أخرى لكي يقرعوا الأدب المكتوب فيها بل تعدوا ذلك إلى الانشغال النشط بمشروع ترجمتها. وغالباً ما أمعنوا التفكير في هذا النشاط من التوسط الثقافي. لذلك فعلى هذه الخلفية يجب النظر إلى المداخل المتنوعة للتأويل والفكر التأويلي. وبمقدار ما يتعلق الأمر بالترجمة كانت هناك علاقة تبادلية نامية باستمرار بين ممارسة الترجمة والنظرية التأويلية بالمعنى الضيق<sup>(٢)</sup>. وقد نمت تصريحات شلايرماخر وهمبولت Humboldt النموذجية عن طبيعة الترجمة الأدبية ووظيفتها

(2) Antoine Berman, *The experience of the foreign: culture and translation in Romantic Germany*. Tr. S. Heyvaert, Albany, NY: State University of New York Press. 1992.

من هذه البيئة وأبرزت مرة أخرى البعد اللغوي وخصوصيته المميزة للتأويل الرومانسي لأن ما يميزه عن اللاحقين الأكاديميين ذوى النزعة التاريخية مثل آست Ast ودروسين Droysen وبويك Boeckh وديلتاي أكثر من أى شيء آخر هو توجهه اللغوي. فمفهوم لغوية كل فهم أمر مستقر فى قلب الفكر التأويلي لشللايرماخر وهمبولت كليهما. ومن ثم فقد صحب صعود التأويل مدخل جديد إلى اللغة، وفى الحقيقة إن هذا المدخل يجب أن يعتبر متطلبًا مسبقًا لا غنى عنه للتأويل.

## ٢- مفهوم جديد للغة

١-٢

تتجلى التصورات الرومانسية حول اللغة فى طرائق متعددة وفى أنواع مختلفة من النصوص، وكثيرًا ما توجد الأفكار اللغوية مندمجة فى النصوص الأدبية والشعرية كما فى قصيدة كوليردج "الملاح القديم" أو على نحو أكثر بروزًا فى قصيدة نوثاليس "المتدربون فى سايس" *The apprentices in Saïs* (ميناء فى نلتا النيل كانت عاصمة ملكية للأسرتين الرابعة والسادسة والعشرين) حيث استعملت رمزية العلامات الأوغسطينية (التفسير المجازى للتاريخ، الثنائية الأفلاطونية للجسد والروح، الحس والعقل، العوالم التجريبية والواقع المتعالى عند القديس أوجستين - المترجم) للوصول إلى فكرة التناظر بين الذهن والطبيعة. وفى أغلب الأحوال كانت التأملات اللغوية جزءًا من نصوص نظرية أطول أو أقصر كما هى الحال مع ف. شليجل ومدام دي ستايل. إلا أن الشيء الأكثر أهمية كان تلك العبارات النظرية المباشرة التى أنتجها الكتاب المرتبطون بالحركة الرومانسية المبكرة، وهى لا تمثل إلا صيغًا مختلفة من وجهة النظر اللاتمثيلية فى اللغة، والتى هى سمة مميزة للحركة الرومانسية المبكرة ابتداء من حوالى ١٧٩٥ حتى ١٨١٦. وتنعكس القطيعة التى حدثت بين الرومانسية الراديكالية لمجموعة بينا Jena والكتاب اللاحقين فى الاختفاء

الملحوظ لانشغالها الملح بالمشاكل اللغوية. ولم نعد نجد مثل هذا الانشغال وسط أمثال أرنييم Aranim وأيشندورف Eichendorff وبرنتانو Brentano (كليمنس فون). وثمة تباين متساوى القدر بين انشغال الرومانسيين الأوائل بالفلسفة اللغوية ووجهات النظر التي اعتنقها بعد ذلك ممثلو التخصص الأكاديمي الجديد المسمى اللغويات التاريخية. فالأخير قد أطلق عليه غالبًا بطريقة مضللة صفة الرومانسي أو وصف بأنه فرع نام من الحركة الرومانسية. وفي الحقيقة إن مؤرخي الأدب والثقافة حينما يناقشون الأفكار الرومانسية في اللغة لا يرجعون عادة إلى الشعراء والنقاد والمنظرين المنتمين إلى الحركة الرومانسية بل إلى لغويين من أمثال راسك Rask وجریم وبوب Bopp<sup>(٣)</sup>. وقد بلغ تماهى فقه اللغة الهندية الأوربية التاريخي مع الرومانسية من القوة درجة أدت بفوكو Foucault (في كتاب الكلمات والأشياء المترجم إلى الإنجليزية باسم نظام الأشياء *The order of things*) إلى أن يختار بوب Bopp بدلاً من همبولت باعتباره التجسيد الشخصي الأصلي للنموذج الإرشادي اللغوي الجديد الذي حل محل النموذج التمثيلي الكلاسيكي للغة عنده<sup>(٤)</sup>. ولكن إنشاءات بوب التصنيفية لسلسلة النسب التاريخية هي أبعد ما تكون عن الأفكار اللغوية للرومانسيين. فلم يشاركهم راسك أو جریم أو بوب مفهومهم الفلسفي للغة، ويبدو أن ما كان لدى هؤلاء اللغويين من قول عن هذه المسائل شديد السذاجة والبدائية عند المقارنة بالقضايا النظرية المركبة التي أبدعها الأخوان شليجل ونوفاليس وشلايرماخر أو همبولت. ووسط هؤلاء كان همبولت هو الذي - لكي يقيس القدرة الإنسانية على اللغة - ترجم شواغله الفلسفية إلى برنامج للبحث التجريبي وخلق لغويات مثلت في أبعادها الكلية والمقارنة شبيهاً حقيقياً بالمعالجة الموسوعية لتاريخ الأدب الأوربي عند الأخوين شليجل. ولكن لغويات همبولت مثل تصور الأخوين

(3) Helmut Gipper and Peter Schmitter, *Sprachwissenschaft und Sprachphilosophie im Zeitalter der Romantik*, Tübingen: Günter Narr Verlag, 1979.

(4) Michel Foucault, *The order of things. An archeology of the human sciences*, New York: Vintage Books, 1973, pp. 280-94.

شليجل لتاريخ أدبي مقارن لم تدخل التيار الرئيسي الأكاديمي كما جرى تجاهلها بعد وفاته من جانب الممثلين الرسميين للتخصص. فابتداء من البداية نفسها هجرت اللغويات الهند أوروبية المنتصرة أى اهتمام بالمسائل الفلسفية للغة<sup>(٥)</sup>. ومن الناحية الأخرى قام همبولت وأوجست فون شليجل ونوفاليس بتثوير لغة الفلسفة وتطوير مواقع تتجاوز كثيراً مدى واهتمام أجيال متعاقبة من اللغويين الأكاديميين الذين صارت اللغة عندهم موضوعاً معزولاً للبحث العلمى<sup>(٦)</sup> ولكن التحول اللغوى الذى افتتحه كتاب دى سوسير Saussure "دروس فى علم اللغة" فى وقت مبكر من القرن العشرين قد أعاد إلى المناقشة الكثير من المشاكل التى حاول لغويو القرن التاسع عشر نسيانها إعادة فيها الكثير من العنف والقوة.

## ٢-٢

كان أوجست فيلهلم شليجل (١٧٦٧-١٨٤٥)، أكبر الأخوين،- بين الكتاب والمنظرين الرومانسيين- أول من صارت اللغة عندهم قضية حرجة. وقد كتب إليه شقيقه فريدريش فى خريف ١٧٩٥: "مازلت أنتظر بنفاد صبر "خطاباتك الشعرية". فما أكثر ما سنأتى به من أشياء طيبة وجميلة.

دون شك سيوجد الكثير الذى سيكون جديداً وغريباً على.. فنحن نبدأ من حدوس ومفاهيم شديدة الاختلاف<sup>(٧)</sup>. وتشير الحدوس والمفاهيم شديدة الاختلاف إلى المشاكل اللغوية التى أثارها المدخل الجديد للأخوين إلى النظرية الأدبية. وكان فى نطاق فلسفة اللغة على وجه الدقة أن قام أوجست بشىء قريب من المدخل

(٥) حول هذه القضية انظر على: الأم السنسكريتية وعرى اللغات جنوبى المحيط، دفن علم اللغة عند همبولت 'Mutter Sanskrit und die Nacktheit der Südseesprachen. Das Begräbnis von Humboldts Sprachwissenschaft', *Athenäum: Jahrbuch für Romantik* i (1991), pp. 109-33.

(٦) لاحظت ذلك من قبل إيفا فيزل Eva viesel فى عملها التجديدى الذى طال تجاهله: فلسفة اللغة لدى الرومانسية الألمانية.

*Die Sprachphilosophie der deutschen Romantik*. Tübingen: Mohr, 1927, p. 215.

(7) *Friedrich Schlegel's Briefe an seinen Bruder August Wilhelm*, Oskar Walzel (ed.), Berlin: Speyer and Peters, 1890, p. 242.

الترانسندنتالي (الداخلي القبلي) إلى النظرية الأدبية الذي حاوله شقيقه فريدريش؛ أى تقديم أساس لغوى للشعرية الجديدة. ويرجع قصر دوره داخل الرومانسية بطريقة خاطئة على دور الناقد المترجم الموجود فى كل مكان الذى تمثل إسهامه الأساسى فى مجرد مساعدة أفكار شقيقه "الجديدة" على تحقيق نجاح عالمى إلى إهمال طويل الأمد للبعد اللغوى للرومانسية عمومًا وللإنجاز اللغوى لأوجست فيلهلم خصوصًا<sup>(٨)</sup>. وقد ظهرت خطابات الشعرية فى جريدة شيللر *Die Horen* باعتبارها "فى الشعر والعروض واللغة". ويقدم المقال بحثًا رائعًا حول طابع الخطاب الشعرى، ويثير قضايا أخفقت الشعرية المعيارية التقليدية فى تناولها. وكان الرهان حول مسألة إن كان الإيقاع والبحر الشعرى ينتميان على نحو متأصل إلى الخطاب الشعرى أم كانا مجرد سمات متعارف عليها وزينيات للكلام. وكان شليجل يعتقد بتأصلهما. وما دام إثبات ذلك يستدعى تحليلًا دقيقًا للعلاقة بين الشعر ووسيطه اللغوى، فقد كرس شليجل قسمًا رئيسيًا من مقاله للنقد اللغوى. ومن الواضح أنه قد أعد نفسه إعدادًا جيدًا لهذه المهمة لأن تحليله يكشف عن معرفة ذات مستوى شديد الحداثة والجودة بفلسفة اللغات الإنجليزية والفرنسية الألمانية فى القرن الثامن عشر.

وموقف شليجل الابتدائى متفق اتفاقًا وثيقًا مع وجهات نظر هرذر وروسو حتى دون ذكر لاسميهما. وفى متابعته للجدال حول أصل اللغة نجده يرفض نظرية الأصل الإلهى للغة والتفسير التقليدى المناهض لها الذى قدمه الفلاسفة التجريبيون. فسواء اعتبرنا الله هو الذى علم البشر اللغة أم اعتقدنا أنهم أنفسهم هم الذين سموا

(٨) انظر فيليب لاكو - لابات وجون لوك نانسر فى كتابهما الرائج: المطلق الأدبي:

Philippe Lacoue-Labarthe and Jean Luc Nancy: *The literary Absolute*, Philip Bernard and Cheryl Lester (trans.), Albany, NY: State University Press of New York, 1988.

وقد أخفقا فى مناقشة البعد اللغوى للنظرية الأدبية الرومانسية تمامًا، وبينما اعتبر المذهب الفنى *Kunstlehre* أحد نصوصهما الرئيسية بخذاء حوار حول الشعر، لم يأخذا ذلك فى الاعتبار. وقد بدأ الراحل إرنست بيeler Ernst Behler فى نشر طبعة نقدية جديدة من محاضرات أوجست شليجل تشتمل على المحاضرات التى لم تنشر حتى الآن. انظر: طبعة

نقدية للمحاضرات *Kritische Ausgabe der Vorlesungen*, Paderborn, Schöningh, 1989, Vol. I.

الأشياء بأسمائها "بالطريقة نفسها التي تعتمد بها أطفالك" فإن مناصري كل من الرأيين يفترضون مسبقاً القدرة اللغوية الإنسانية، أى القدرة على "تثبيت واسترجاع أفكارنا من خلال العلامات"، وهو ما يعنى أن الناس فهموا بعضهم بعضاً قبل أن يمتلكوا وسائل الفهم<sup>(٩)</sup> (عند هررل فى نقده لكوندياك عن أصل اللغة إن الكلمات كان يجب أن تنشأ قبل وجود كلمات). وحينما يناقش شليجل أصل اللغة فهو لا يعنى تتبع اللغات الطبيعية الموجودة حالياً إلى ماضيها فى لغة أصلية *Ursprache* مشتركة الأمر الذى يعتبره مهمة مستحيلة تتطلب "قفزة إيمان لا تخطئ"، بل يعنى بالأحرى "نظرية فلسفية" عن كيف يجب أن تكون اللغة قد نشأت، أى نموذجاً نظرياً بكلمات أخرى سيفسر كيف تعمل اللغة فى كل الأزمنة. وعند شليجل هناك ثلاثة تفسيرات فقط ممكنة. إما أن تستمد اللغة من الانفعالات وإما من محاكاة الأشياء وإما من مزيج يجمعها. وما دام الكلام البشرى يحوى عناصر انفعال وعناصر محاكاة معاً فلا يبدو مقبولاً إلا البديل الثالث. ولكن المشكلة التى تواجه شليجل هى كيف يستطيع الوصول إلى تصور موحد للغة سيتغلب على الصعوبات الملازمة لوجهة النظر التمثيلية أو إذا استعملنا لفظ تشارلس تيلور فى "اللغة والطبيعة البشرية" وجهة النظر الإشارية التى يشترك فيها بالتساوى التقليدان العقلانى والتجريبي، ويمثلها مفكرون متباينون تباين

(٩) خطابات حول الشعر، قياس المقطع واللغة، أوجست فيلهلم شليجل، فى كتابات نقدية وخطابات، تحرير إدجار لوفر، شتوتجارت: كولهامر، ١٩٦٢، المجلد ١، اللغة والشعر.

'Briefe über Poesie, Silbenmass und Sprache', August Wilhelm Schlegel, *Kritische Schriften und Briefe*, Edgar Lohner (ed.), Stuttgart: Kohlhammer, 1962, vol. i, *Sprache und Poetik*, p. 150.

وهذه العبارات ترد صدق كتابات هررل "أصل اللغة" فى نقدنا لتفسير كوندياك لأصل اللغة الذى يتضمن لديه أن "الكلمات كان يجب أن تنشأ قبل وجود كلمات". يوهان جونفريد هررل، أعمال مختارة، تحرير برنارد سوبهان، برلين، ١٨٩١.

Johann Gottfried Herder *Sämtliche Werke*, Bernard Suphan (ed.), Berlin: Weidmannsche Buchhandlung, 1891, v: 20.

ديكارت وهوبز ولوك<sup>(١٠)</sup>، وكيف في الوقت نفسه يستطيع تفسير علاقتها بالتعبير الإنسانية الأخرى مثل الإيماءات والموسيقى والأغنية والرقص.

فإذا كانت اللغة وفقاً لأنصار وجهة النظر الإشارية تحاكي الأشياء، فمعنى ذلك أن العلاقات اللفظية تنوب عن الأشياء بوصفها تمثيلاتها بالعلامات وأن الأشياء والمعاني توجد مستقلة وسابقة على تمثيلها بواسطة العلامات. وهنا تدرك اللغة بوصفها مجرد أداة لتوصيل معان ثابتة - وذلك بعيد جداً عن استحضار شليجل للقوى الشعرية للغة في بداية المقال. وهكذا لم يكن من الممكن الوصول إلى تصور موحد للغة كما رغب شليجل بواسطة الربط بين نظريتي أصل اللغة لتكوين موقف ثالث. وبدلاً من ذلك استدعى الأمر مدخلاً جديداً تماماً. وعلى الرغم من أن مقال *Horen* يقصر عن القيام بذلك، فإن شليجل يعطى لقرائه إشارة إلى كيف أن على مثل هذا المدخل أن يجمع استبصارات هرذر اللغوية إلى مثالية فيخته؛ أي أن تصور هرذر للروية *Besonnenheit* (تدبر وتعقل *Prudence*) عليه أن ينصهر مع فكرة فيخته عن النشاط التلقائي للذهن الإنساني.

## ٢-٣

### من أجل فهم فيخته أفضل مما فهم نفسه

كانت المثالية الترانسندنتالية لفخته نقطة بدء وعامل تحفيز من أجل خلق لا يقف عند الشعرية والنظرية الأدبية الرومانسيتين وحدهما بل يشمل الفلسفة اللغوية كذلك. ولكن على حين أن إدماج أنماط تفكير فيخته في النظرية الأدبية الرومانسية تمت دراسته الموثقة جيداً لا يمكن مد القول نفسه على تأثيرهما في فلسفة اللغة الرومانسية. وربما لم يكن هناك تصوير أفضل للمثل السائر الرومانسي الذي كثيراً ما

(١٠) تشارلز تيلور، "اللغة والطبيعة البشرية"، في: الفاعلية الإنسانية واللغة، أوراق فلسفية، مطبوعات جامعة كميريدج، ١: ٢١٥-٤٧.

Charles Taylor, 'Language and human nature' in *Human agency and language, philosophical papers*, Cambridge University Press, 1985, i: 215-47.

يستشهد به والقائل "بأن على المرء أن يفهم مؤلفاً ما أفضل من المؤلف نفسه" من الطريقة التى ستفهم بها مجموعة بينا (وكوليردج فى هذه المسألة<sup>(١١)</sup>) فلسفة فخته أفضل من منشئها.

وقد كتب نوفاليس فى "شذراته اللغوية المنطقية" إن على المرء أن يعتبر فخته مكتشفاً لطريقة جديدة تماماً فى التفكير لم تمتلك لغتنا اسماً لها بعد. وحتى إذا لم يكن المكتشف نفسه هو الفنان الأكفأ والأكثر عبقرية لامتلاك أدواته الجديدة- كما يؤكد نوفاليس، "فمن المحتمل أن يوجد أو سيوجد أفراد أفضل كثيرًا فى إضفاء طابع فيخته (*Fichtisieren*) من فخته نفسه. وستجىء إلى الوجود أعمال فن شديدة الروعة بمجرد أن نبدأ كفنانين فى اكتساب طابع فيخته<sup>(١٢)</sup>.

وستثبت نظرية اللغة أنها أرض شديدة الخصب لإضفاء طابع فخته على الرغم من التناقض الظاهرى فيما يبدو من أن تأثير فخته على فلسفة اللغة كان بالسلب للوهلة الأولى. فالمثالية الألمانية بعد أن أكملت ثورة الفكر الكوبرنيقية لم تكن مهتمة بإنتاج فلسفة جديدة للغة. وقد سبق لكانط فى فلسفته النقدية حينما فرق تفرقة حاسمة بين مكونات الذات المثالية والتجريبية أن أشار ضمناً إلى أن التمثيلات الذهنية يجرى إنتاجها بواسطة آلية للذهن مستقلة عن التجربة والاستعمال اللغوى<sup>(١٣)</sup>. وتبدو الأمور مماثلة لذلك عند فخته فى البداية. فحينما كان يحاول فى "أورجانون العلم" (*Wissenschaftslehre*) تحديد خطوط إجراءات الذهن وهى تطيع نسفاً لا واعياً من

(١١) حول انشغال كوليردج باللغة وعلاقة نظرياته اللغوية بنظريات لايبنتس وهردر وروسو وفيخته وهمبولت، انظر:

James C. McKusick, *Coleridge's philosophy of language*, New Haven, ct: Yale University Press, 1986.

(12) Novalis, *Schriften*, Richard Samuel, Hans-Joachim Mähl and G. Schulz (eds), vol. ii, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1965, 'Logologische Fragmente', no. 11, p. 524.

(13) Lia Formigari, *Signs, science and politics: philosophies of language in Europe, 1700-1830*, Amsterdam Benjamins, 1993, 169-71.



القواعد وأن يستتبط نسق هذه القواعد، ظل يعالج إنتاج المعرفة، وتأسيس الذات لنفسها، الأناء، كنشاط معرفي محض مستقل عن اللغة. وعلى أى حال فقد رأى منظرو اللغة أن اللغة تتوسطها. وهكذا فإن مدخلهم يحكمه قصد إلى إعادة تعريف نموذج فخته للإنتاج العقلي على أسس (فى حدود أو ألفاظ) لغوية، وهو شئ اعتقدوا أن فيخته نفسه أخفق فى فعله. ولكن فيخته كان هو نفسه الذى هيا المناسبة عام ١٧٩٥ بمقاله "حول القدرة اللغوية الإنسانية وأصل اللغة" ليقدم ما يمكن بحق أن نسميه التحول اللغوى الرومانسى. وكان مقاله هذا أول (وآخر) محاولة من جانب فيلسوف مثالى لإحياء الفلسفة اللغوية تحت لواء المثالية الترانسندنتالية. ولأن المؤلف لم يدفع بمدخله الترانسندنتالى (الأولانى الجوانى) بعيداً بما فيه الكفاية كانت محاولته ناجحة جزئياً فحسب، وظلت حججه تكشف عن تشبث بالتصور التمثيلى للغة الذى كان مميزاً للعقلانيين والتجريبيين. لقد افترض ديكرارت ولوك أن المعانى والأفكار سابقة فى وجودها على التعبير عنها من خلال العلاقات اللغوية كما أنها مستقلة عنه. وفى تمسكه بهذا رأى عزف فيخته اللغة بأنها "التعبير عن أفكارنا من خلال علامات اعتباطية"<sup>(١٤)</sup>، جاعلاً بذلك من اللغة وصيفة التفكير بدلاً من تصورهما كعضو للفكر نفسه.

وقد يكون ذلك السبب فى النقد الحاد من جانب الأخوين شليجل لمقالة فيخته. وفريدريك لا يرى إلا شيئاً واحداً إيجابياً فيها يلخصه كالتالى: "إن من لا يبين كيف كان على اللغة أن تنشأ يجب أن يبقى فى بيته. فكل فرد يستطيع أن يحلم بكيف كان من الممكن أن تظهر. وقول شليجل (مردداً صدى صياغة فيخته فى بداية المقال) يعبر عن تصور أساسى فى نظريات اللغة الرومانسية. فمن الآن فصاعداً لم تعد

(١٤) "حول القدرة اللغوية الإنسانية وأصل اللغة، بقلم فيخته (١٧٩٥).

'Von der Sprachfähigkeit und dem Ursprung der Sprache' (1795), Johann Gottlieb Fichte, Gesamtausgabe, R. Lauth and H. Jacob (eds.), Stuttgart-Bad Cannstatt: Frommann, 1966, iii: 97.

مسألة أصل اللغة ينظر إليها من وجهة النظر الممتازة لكوندياك وروسو وهردر في إنشاءاتهم اللازمية ذات الطابع التاريخي أو للوك وبركلي في نماذجهما المعرفية، ولكن كانت المحاولة قد اتخذت بكلمات فيخته "لاستنباط ضرورة اختراع اللغة من طبيعة العقل الإنساني نفسه" (ص ٩٧). وبالنظر من هذه الوجهة الممتازة تصير مشكلة أصل اللغة مشكلة القدرة الإنسانية على اللغة التي تستدعي تحليلاً ترانسندنتالياً. وهى مهمة لم ينهض بها فيخته فى مقاله. ومع ذلك فإن النص يحوى استبصاراً شديداً لأهمية أغفله فريدريك تماماً فى نقده، ولكن شقيقه ونوفاليس وهمبولت كلاً بطريقته الخاصة سيجعله ملكاً له: استمداد اللغة من التفاعل (تبادل التأثير) بين البشر. وعند فيخته يمتلك البشر دافعاً يودى بهم إلى البحث عن تجليات للعقلانية (*Vernunftmassigkeit*) خارجهم، أن يدخلوا فى صلة مع أمثالهم"، والبحث عن اعتراف متبادل من خلال توصيل أفكارهم وآرائهم. وعندما يدخل البشر معاً فى علاقة من هذا النوع فإن الفكرة "تستثار" داخلهم لإظهار آرائهم من خلال علامات اعتبارية وفى كلمة: فكرة اللغة. ومن ثم فإن الدافع للعثور على علامات للعقلانية خارج أنفسهم يأوى الدافع الخاص لخلق لغة (ص ١٠٣).

فالتفاعل ومن ثم الوجود الإنسانى عند فيخته لا يكون ممكناً إلا من خلال سيورة المشاركة فى الأفكار والآراء. ويتكشف "الأنا" أو ذات أورجانون العلم (*Wissenschaftslehre*) فى النهاية بوصفه مفهوماً تفاعلياً، وتتجذر شروط إمكان المشاركة المتبادلة فى القدرة اللغوية للإنسان. وهكذا تتخذ اللغة وظيفة حاسمة لتشكيل العلم الإنسانى. فبدون اللغة ليس من المستطاع وجود ما بين ذوات هو الذى يؤسس الإنسان ككائن عاقل روحى. وفى ظاهريات الروح لهيجل (١٨٠٧) سينجم الوعى الذاتى والاعتراف المتبادل عن صراع الحياة والموت كما صوره هوبز؛ حيث يهيمن السيد على العبد. ويقف فيخته عند الطرف النقيض من هذه المسألة، فاللغة عنده هى وسيلة التفاعل التواصلى الذى من خلاله وحده يمكن تحقيق الاعتراف المتبادل.

## ٢- نظريات اللغة: قضايا واتجاهات

١-٣

كان تلميذ فخته أوجست فرديناند برناردى August Ferdinand Bernhardt (١٧٧٠-١٨٢٠) صهر الشاعر لودفيج تيك Ludwig Tieck فى برلين، والناقد الأدبى المرموق هو الذى فصل وطور أفكار معلمه وجعل منها فلسفة شاملة للغة. وكتابه الأورجانون اللغوى Sprachlehre ١٨٠١<sup>(١٥)</sup> يعلّق السؤال الاستهلالي (كما كان الأمر عند أوجست فيلهلم شليجل قبله وعند كوليردج فى "سيرته الأدبية" فيما بعد<sup>(١٦)</sup>) (الذى أفصح عن قصده تحقيق حسم للجدال الطويل حول الطبيعية الحقّة للبيان (الأداء) الشعرى Poetic diction) بطبيعة ووظيفة الخطاب الشعرى. وكما سيتضح فإن اللغة باعتبارها "أداة الشعر" سيثبت برناردى أنها هى نفسها شعرية، وأن قوة الكلام الشعرى هى قوة اللغة نفسها فى تأسيس العالم الإنسانى.

وتبرهن مؤلفات برناردى على نحو مقنع على تبادل الاعتماد بين الفكر الشعرى واللغوى والتأويل الذى هو أمانة الخطاب النقدي الرومانسى، ولكن تبادل الاعتماد هذا هو أيضاً دال على رفض الكتاب الرومانسين للمفهوم الكانطى التقليدى عن ذات إنسانية مستقلة عن اللغة شكلت أساس نقد العقل. وفى الحقيقة يمكن اعتبار فلسفتهم فى اللغة محاولة لإعادة صياغة تصور الذات الإنسانية فى حدود (مصطلحات) لغوية. ويوضح برناردى فى مؤلفاته (كما فعل نوافليس فى دراساته للعلامات وهمبولت فى كتاباته اللغوية) أن العقل الإنسانى Vernunft لكى يوجد ما بين المفاهيم المنطقية والمخيلة يجب أن ينطلق بإفصاح عن نفسه، وأن يأتى بشيء

(15) August F. Bernhardt, *Sprachlehre*, 2 vols, Berlin: H. Fröhlich, 1801.

(١٦) يكتب كوليردج سيرته الذاتية الأدبية

(*Biographia literaria*, J. Shawcross (ed.), London Oxford University Press, 1965, 1907, 1:1)

بقصد تحقيق حسم للجدال الطويل حول الطبيعة الحقّة للبيان (الأداء الشعرى).

ما إلى المثل (العرض، التصوير) *Presenation*. ولكن ذلك يتطلب ذاتاً "تعرض" وأخرى تستقبل العرض *Darstellung*<sup>(١٧)</sup> من الأولى. وفي الحياة الفعلية يعنى ذلك أن شخصاً يخاطب آخر يتصل به، وعندما يحدث ذلك فى رأى برناردى تتحول اللغة إلى كلام. وجوهر الكلام إذن عنده كما هو عند همبولت والأخوين شليجل وشلايرماخر ونوفاليس يتألف من حوار (*Gesprach*). ولكنه اعتقد أن اللغة نفسها تزود الكلام البشرى ببنيتها الحوارية. لذلك يحاول فى الجزء الأول من أوجانونه اللغوى أن يكشف الغطاء ضمن البنى النحوية للغة "آثار" أصلها الحوارى<sup>(١٨)</sup>. (هذه هى طريقته فى إعادة تعريف المفهوم الديكارتى عن النحو العالمى بلغة المثالية المتعالية. والدليل الأقوى على الأصل الحوارى وجده فى نسق الضمانات الشخصية). كما طور فى الجزء الثانى نظرية عن الخطاب العلمى والخطاب الشعرى.

### ٣ - ٢

حينما امتدح أوجست فيلهلم شليجل مؤلفات برناردى فى جريدة شقيقه أوروبا *Europa* عام ١٨٠٣ كان قد تغلب على نقائص محاولاته المبكرة. فشارك بالكامل برناردى فى وجهات نظره المتعلقة باللغة وبنيتها الحوارية وأهمية فلسفة اللغة لفهم الشعر والأدب والثقافة عموماً. إلا أنه عبر عن أفكاره الخاصة فى هذه المسائل فى

(١٧) مفهوم العرض *Darstellung* يقع فى مركز الفكرة المناهضة للمحاكاة عن اللغة التى يعتقها الرومانسيون، لذلك يمكن ألا تترجم بالإنجليزية إلى *representation* (تمثيل). والظاهر أن شيلنج كان أول من استعمل المصطلح بهذا المعنى لوصف طبيعة الفن فى كتابه "نسق المثالية الترنسندنتالية"، ١٨٠٠، وهو كتاب اتسعت قراءات ومناقشات الرومانسيين له.

(١٨) هذه هى طريقة برناردى فى إعادة تعريف المفهوم الديكارتى عن قواعد النحو الكلية (العالمية) بلغة المثالية الترنسندنتالية. وقد اعتقد أنه عثر على أقوى شواهد الأصل الحوارى فى نسق الضمانات الشخصية. وقد شرع همبولت الذى درس مؤلف برناردى فى استقصاء تجريبى واسع النطاق عن أنظمة الضمانات فى عدد كبير من اللغات. وحول ذلك انظر خطابه فى الأكاديمية "حول المثلى" (١٨٢٧) وحول تجانس ظروف المكان مع الضمانات الشخصية فى بعض اللغات (١٨٢٩) وهى التى قدمت بعض الدعامات اللغوية لنظرية هابرماس فى الفعل الاتصالى.

سلسلة من المحاضرات بين عامي ١٧٩٨ و١٨٠٤ انعقدت في بينا وبرلين<sup>(١٩)</sup> وكشفت عن الفلسفة الرومانسية الجديدة على نحو نسقى أمام ساحة عمومية - وهكذا هيأت المسرح لنشرها في ألمانيا وفي الخارج. وفي هذه المحاضرات جرى التعبير عن الموقف الرومانسي من اللغة بطريقة موثوق بها ومتسقة<sup>(٢٠)</sup>.

ونستطيع أن نفرّد بعض المكونات الرئيسية لحجج شليجل التي تساعدنا في تلخيص موقفه وفي قياس محيط المفهوم الرومانسي للغة الموجود عند معظم الكتاب الآخرين. وأولها هو محاولة التغلب على القسمة الثنائية في نظريات اللغة طوال القرن الثامن عشر التي تفسر أصل اللغة انطلاقاً إما من التوصيل عند الحيوانات وإما من المواضعة الاعتبارية. ولن يصلح الربط على نحو بسيط بينهما، كما أن القائلين بالمواضعة من ناحية أخرى قد غفلوا عن أنه "حتى الرغبة في التواصل لا يمكن توصيلها إذا لم يكن البشر قد فهم بعضهم بعضاً في الأصل قبل حدوث أي فهم متفق عليه".

وحل شليجل للمشكلة ماثل في إعادة تفسير هرذر من وجهة نظر معدلة لمذهب فخته. فبدايات اللغة عنده متوافقة مع "التحركات الحيوية الأولى لنوع إنساني من الوجود، فالاثنتان في الحقيقة متطابقتان"، ولكن كان من خلال اللغة أن "انتزع الإنسان نفسه بعيداً عن الطبيعة، وقام بتكوين نفسه". وهكذا وجد تكوين الذات أو وضع الأنا الذي عرّفه فخته (مادام الوضع عنده هو الفعل الأولى الذي تقوم به الأنا حين تخلق ذاتها) بأنه النشاط الخالص للأنا في "أورجانون العلم" انعطافاً لغويّاً.

(١٩) هذه هي محاضرات في علم الجمال *Über philosophische Kunstlehre* أو الأورجانون الجمالي لعامي ١٧٩٨-٩، وهذا التعبير المنحوت حديثاً يوازى مصطلح فخته أورجانون العلم، وهناك صياغة أكثر تنقيحاً منه من ١٨٠١-١٨٠٢ ومحاضرات في موسوعة العلوم، ١٨٠٣.

(٢٠) أنا مدين للراحل إرنست بيكر الذي قدم لي تجارب طباعية لنسخته من كتاب أوجست شليجل، محاضرات عن موسوعة العلوم من ١٨٠٣ لتتشر في المجلد الثاني من قضايا نقدية *Kritische Ausgabe*.

وجعل شليجل "النشاط الخالص للذات" عند فخته مسؤولاً عن الكلام البشرى وتكوين الذات كليهما، ولكنه اعتبر أنه من خلال الكلام تجئ الذات حقيقة إلى الوجود؛ لأنه دون القدرة على الفعل تلقائياً بدلاً من رد الفعل ببساطة على ما تفرضه البيئة سيفتقر البشر إلى أى إدراك للاستمرار وهوية الذات. وبواسطة المقارنة وحدها بين انطباعات وانطباعات أخرى يمكن وجود أى معنى للاستمرار. وعلى أى حال فإن المفترض مسبقاً فى هذا النشاط الذهني هو قدرة على تبين (تثبيت) الانطباعات خلال رموز واسترجاعها إرادياً. وهذا على وجه الدقة هو كيف يعرف شليجل الكلام<sup>(٢١)</sup>.

وثانياً: إنه على الرغم من أن القدرة اللغوية سمة إنسانية شاملة فإن اللغات الطبيعية هي نواتج جماعية (*Vereinwerk*) وسائل كما هي نواتج للاختلاط الاجتماعي (*Geselligkeit*) فى مجتمع أو أمة معينة. وقد اعتقد شليجل مثل فخته وتابعيه الرومانسيين الآخرين أن اللغة تنشأ عن الرغبة فى إقامة رابطة جمعية بين كائنات عاقلة وأن الكلام هو وسيط الاعتراف المتبادل بينهم.

وثالثاً: ليست اللغة آلية استجابة سلبية للمؤثرات والإحساسات الخارجية وليست نتاجاً للاختراع الاعتبارى بغرض تمثيل مجال مستقل من الأشياء أو المعانى أو الأفكار؛ بل هي - وهنا يستيق شليجل صياغة همبولت الكلاسيكية، فاللغة هي العرض التشكيلي *bildende Darstellung* لها جميعاً، وبذلك تكون "شعرية" فى ماهيتها<sup>(٢٢)</sup>، وأخيراً تستقر القدرة التشكيلية (أو الشعرية) للغة فى قدرتها الترميزية. ومن ثم يكون مفهوم الترميز السمة المميزة الأورجانون الجمالى عند شليجل فهو الموضع الذى تلقى فيه جماليته ونظريته اللغوية. ولتحقيق ذلك كان عليه أن يحول تعريف شلينج للجميل من "اللانهاى معروض على نحو متناه" إلى "العرض الرمزي للانهائى". فإذا كان كل

(21) August Wilhelm Schlegel, *Kritische Ausgabe der Vorlesungen*, i: 6.

(٢٢) أطلق همبولت على اللغة اسم العضو الذى يشكل الفكر:  
*Gesammelte Schriften*, A. Leitzmann (ed.), Berlin : Behr, 1903-36, vii: 152.

الفن مفهومًا بوصفه رمزياً وجب أن يكون الشعر نمطه الأصلي لأنه ينشأ عن عملية الترميز التي هي اللغة وبنى عليها. والعالم عند شليجل لا يوجد بالنسبة إلينا إلا من خلال الفعل الترميزي للغة. لذلك لا يمكن الحكم على اللغات باعتبار استعاراتها وصورها تتأظر أو لا تتأظر واقعاً ما مفترضاً يُسبب إليه<sup>(٢٣)</sup>، ولكن بدلاً من ذلك لا يوجد الواقع بالنسبة إلينا إلا من خلالها. ومثل فيكو وهردر وروسو قبله يؤمن شليجل بأولوية الاستعارات على الخطاب المجرد. فاللغة هي دائماً شعرية في أول الأمر ولكن عندما تبدأ الاستعارات والمجازات في الدلالة على ظواهر عقلية فإنها تحول إلى تقليدية. ولكن لغة ما لا تستطيع أبداً أن تصير لا شعرية بالكامل وستظل دائماً محتقظة ببعض العناصر الشعرية. كما تحيا اللغات وتغتني بواسطة إنتاج سلسلة متصلة من المقارنات (التشبيهات)، كما تجيء استعارات جديدة وتصير العلامات علامات لعلامات أخرى؛ وبذلك نمثلك ما يسميه همبولت "شبكة اللغة" التي تحيط بكل متكلميها. والكلمة هي أكثر من علامة لأنها تمثلك فردية خاصة بها ويسبب الوجه المحدد الذي من خلاله تعرض شيئاً أو موضوعاً لنا، وفيما يتعلق بما يسميه نوفاليس "هالتها" أي حقيقة أن كلمة ما تتجاوز وظيفتها كعلامة بواسطة عكسها لموقعها التاريخي داخل اللغة. وليست هذه آراء شليجل وحده فهي آراء نوفاليس وهمبولت وشلايرماخر كذلك.

### ٣ - ٣ - ١

ولأن فلسفة اللغة في القرن الثامن عشر كان مرساها في المفاهيم السميوطيقية، أى تصويرها للعلامة، فقد صارت هذه القلعة الحقة للنموذج التمثيلي للغة الهدف الرئيسي للهجوم والنقد من جانب الرومانسيين. وكان من أبرزهم أوجست فيلهلم شليجل كما رأينا، وكذلك كوليردج، وجيرمين دى ستايل (منذ الوقت المبكر لعام

(٢٣) نيتشه على سبيل المثال في مقاله الذي كثيراً ما يستشهد به "حول الصدق والأكاذيب بمعنى خارج الأخلاق" يقيس اللغة من مفهوم خارجي "لواقع" ويكرر وجهة النظر التقليدية القائمة على الإشارة والتمثيل والتي أدخلها أرسطو أول مرة في مؤلفه "عن التفسير".

١٨٠٠) وف. شليجل بغاراته المؤثرة (وإن لم تكن حاسمة) المتوغلة في بقاع الفكر اللغوي التي لم ترسم خرائطها<sup>(٢٤)</sup>. ونحن مدينون لنوفاليس وفيلهلم فون همبولت بأكبر هجمة عظيمة النتائج، وبأكبر تحويل لاحق لمفهوم العلامة. ويمكن أن نسمى ما حاولا إقامته علم علاقات ترانسندنتالي بمعنى أنهما اهتمتا بشروط إمكان التوصيل من خلال العلامات اللغوية. وفي حالة همبولت لم يقف ذلك العمل عند تشكيل أساس نمط جديد لعلم اللغة أيضًا. أما نوفاليس فلم يكن قادرًا بسبب موته المبكر على إكمال مشروعه الطموح عن نظرية علامات شاملة. فما كتبه (وما كتبه همبولت فيما يتعلق بذلك الأمر) حول هذا المشروع لم ينشر حتى القرن العشرين. ولو كانت كتاباتهما قد نشرت في وقت أكثر تبكييرًا لسلب من الكثير من أعمال دي سويسير وتابعيه ما نسب إليها من أصالة.

### ٣-٢-٣

يعتبر الكثير فريدريش فون هاردينبرج Hardenberg أي نوفاليس (١٧٧٢-١٨٠١) أحد مؤسسي نزعة الحداثة الجمالية الذين مهدوا الطريق لشعر وشعرية الكتاب الرمزيين مثل مالارميه Mallarme ورامبو Rimbaud. وكان ذلك على الأغلب مستندًا على بعض الأقوال المأثورة المتألقة؛ وكان أطولها وأبلغها تصريحًا قطعة من أربعين سطرًا معنونة "حديث منفرد" (مونولوج) Monologue وهي تصور اللغة باعتبارها نسقًا مكثفًا بذاته؛ "معنى بنفسه وحدها دون نظر إلى ما يقصده القائلون. إنها تنشئ عالمًا لنفسها مثل معادلات الرياضة التي لا تلعب إلا مع نفسها" (كتابات Schriften II. ٦٧٢). ومهما تكن الدلالة التي قد يعزوها المرء لهذا النص فإن مركز فلسفة نوفاليس في اللغة يوجد في دراسة العلامات (السيموطيقا) ونظريته في العلامة (نفس المرجع ص. ص. ١٠٨-١٠) فذلك هو إسهامه الأكثر تركيزًا وتجديدًا في

(٢٤) حول آراء ف. شليجل اللغوية انظر:

Heinrich Nüsse, *Die Sprachtheorie Friedrich Schlegels*, Heidelberg: Winter, 1962.

وفيه يدرس أهمية كتابه اللغة وحكمة الهندود (١٨٠٨) في الدراسات اللغوية للقرن التاسع عشر.



فلسفة اللغة عند الرومانسية.<sup>(٢٥)</sup> وفي إثارة القضية الأساسية عن كيفية الحصول على الحقيقة "خلال" وسيط اللغة طرح نوفاليس للتساؤل استقلال الفكر عن اللغة الذي دافع عنه فخته. ومثل فخته قبله حدد مشكلة اللغة على أسس من العلامات ولكنه بعد ذلك افترق عنه. ومن الضروري أولاً لاستيعاب حجة نوفاليس توضيح فهمه للعلامة اللغوية الذي سجل قطيعة جذرية مع تقليد القرن الثامن عشر في فهم العلامات، حيث نقلت العلامة من موقع الانفصال السابق ووضعت داخل سياق توصيلي. وقد ميز نوفاليس أولاً بين الوسيط الدال (الصوت أو الحرف) الذي سماه العلامة، والمدلول. ولأن علامة ما دائماً ما يقصد بها شخص ما فهي تسمى عنده "حسناً مشروطاً". وذلك تعريف حاسم لأنه يدخل الفلسفة الكانطية المثالية إلى دراسة العلامات. فإذا كانت المفاهيم بدون الحدوس عمياء كما قال كانط، فإن العلامة لكي تدل على مفهوم يجب أن تعتمد على الحدس لكي تفهم كعلامة. ولكن كيف تستطيع العلامات أن تعبر عن تفكيرنا؟ ويعتبر نوفاليس التفكير نشاطاً ذهنياً لا يشغل مكاناً، سيروية حدوث حر لعزل متتابع "لأفكار؛ أما الكلام والكتابة من ناحية أخرى كمنشطين ينتجان العلامات فهما سيرويتان مكانيتان "لعزل متتابع" للعناصر، فهما "عرضان مكانيان محددان للتفكير"، ولكن لأن أنشطة الكلام والكتابة تتضمن التتالي (التتابع) أيضاً، فإن الاثنتين تلتحقان معاً بما يعتبره كانط الشكلين الأساسيين لحدسنا الحسي أي الزمان والمكان. وبإيجاز فإن العلامات المنطوقة والمكتوبة تضم عناصر مكانية وزمانية<sup>(٢٦)</sup>، وذلك إنجاز لا يستطيع التفكير وحده أن يحققه كما ظن نوفاليس.

(٢٥) عن علم علامات نوفاليس وأهميته لفلسفته وكتاباتاته الأخرى انظر كتاب: نوفاليس، علامات الثورة.

Wm. Arctander O'Brien, *Novalis: signs of revolution*, Durham, nc: Duke University Press, 1995, Part iii, pp. 77-118.

(٢٦) ينسب إلى سوسير عادة اكتشاف "خطية العلامة اللغوية"، ولكن لقد عبر نوفاليس وهمبولت عن هذه الفكرة قبله بزمان طويل.

وفى تعارض مع سوسير وكثير من البنيويين وما بعد البنيويين الذين يعتبرون العلامة هي الصلة بين الدال والمدلول، فإن نوفاليس فى ترجمته لمفهوم الاعتراف المتبادل التفاعلى عند فخته إلى نموذج توصيلى مركّز على العلامات تبين طبيعة العلامة فى علاقة ذات أربعة أجزاء؛ فهى تتألف من "دال أول" أى شخص ما يرسل الدلالة وثانيًا من العلامة نفسها وثالثًا ما يدل (بالبناء للمجهول) عليه بواسطتها، ورابعًا ما دامت العلامة موجهة دائماً على شخص ما، إلى "دال ثانٍ" يجب مثل "دال أول" أن يؤدى فعلاً من أفعال الدلالة (أو ممارسة علامائية *Semiosis*) لكى يفعل "الحدس المشروط" المقصود من جانب العلامة. وبعبارة أخرى فإن نوفاليس يعرف العلامة بواسطة وظيفتها داخل نموذج توصيل، وما يميز هذا النموذج أنه ليس متصورًا كما هى الحال فى الكثير من النظريات المعاصرة بوصفه نوعًا من نقل المعطيات (البيانات) من "مرسل" إلى "متلّق"، بل بوصفه يستدعى فاعلين متساويين يركّز تواصلهما على أفعال متبادلة لإنشاء الدلالة. ولكى يمكن وجود تلاق للمعنى بين الفاعلين افترض نوفاليس وجود دائرة "تجانس" مشتركة يمتلكانها، وحاول أن يسهب فى تفصيل الطبيعة الدقيقة لهذا التجانس عبر تحليل شديد التقنية استخدم فيه نظرية كانط فى المخططات الذهنية، ولكن تحليله توقف دون أن يكتمل وإن كان يوحى بأن نموذج العلاماتى فى التوصيل ينبغى أن يعد جزءًا من نسق أكبر فى اللغة.

وإذا كان نوفاليس قد أعاد تعريف تصور العلامة ووضعها فى سياق التوصيل ما بين الذات فإن فيلهلم فون همبولت (١٧٦٧-١٨٣٥) هو الذى - فى نص قصير شديد الإحكام عنوانه "التفكير والكلام" (١٧٩٥-٦) - حلل بنية العلامة اللغوية فى علاقتها بالتفكير<sup>(٢٧)</sup>. وكانت فلسفة القرن الثامن عشر قد اعتبرت العلامات شبيهة بفتة من الموضوعات (الأشياء) يمكن إلصاق المعانى بها بطريقة ما. ثم اكتشف

(٢٧) فيلهلم فون همبولت: التفكير والكلام.

Wilhelm von Humboldt, *Denken und Sprechen*, 1795-6, *Gesammelte Schriften* VII, pp. 581-3.

همبولت بتركفز اهتاماه على فعل الكلام بدلاً من ذلك أنها تمتلك تشاكلاً (ترتفبباً متناسفاً لأجزائها *Conformation*) مركباً نجم عن عملفة بنائفة يقوم بها الذهن الإنسانى وأوضح أن الكلام فئألف من ضم لخطى ربط (تمفصل)، سلسلة أصوات الدوال، وأفكار المدلولات. وما اكتشفه همبولت فشفرف إلفه علماء اللغة اليوم بأنه مبدأ التمفصل المزدوج وفعبر زاوفة فى اللغويات البنفوفة الءفءفة. ولكن هناك أيضاً جانباً فلسفياً فى ءلفل همبولت. فإذا كان الفكفر فئألف من عملفة إمعان النظر، من ءربة باطنة ءءلق بإءراكنا *reflecting* كما فذهب همبولت أى من "الفعل الذى بواسطته ءمفر الذات المفكرة نفسها من فكرها" فهى لن ءسطفع أن ءفعل ذلك إلا بمساعءة الكلام. فلكى ففصل المرء من فبار الوعى أفكاراً مفرفة وفعء مقارنة بفنها وفعفر إءءاها عن الأءرى، وكذلك لكى فعى المرء نفسه باءءباره مءمفراً مفصلاً عن هءه الأففال فإنه فءءاج إلف اللغة. وعءء همبولت كما عءء أوجسء فىلهم شلفل فكون فعل الكلام مقوماً (مؤسساً) للوعى بالءاء، ونسطفع أن نرى كفف ءسطفع ءأملاء همبولت فى العلاماء أن ءءم نمونجاً لغوياً للأساس ءرانسنءنءالى للفلسفة لم فءمه المفكرون المءالبون. وفى كءاباؤه اللغوفة اللاحقة قام بءءمفة أفكاره لفجعل منها نمونجاً ءوصفلفياً مكءمل النضج للكلام وأشار إلف الطرفق نحو هءه الفروع من الفلسفة ءأوفلفة والنظرفة النقءفة فى القرن العشرفن ءفى ءءاول أن ءرسى أسس علوم الإنسان والمءءمع فى القبلى (السابق على ءربة سبفاً منطفقياً *the Apriori*) عءء الجماعة الكلامفة (٢٨).

(٢٨) انظر: أبلف، فبلى ءءوفل وأسس العلوم الإنسانفة، فى "الإنسان وللعالم": العءء الخامس من المءلة الفلسفة العالمفة، ١٩٧١، ص ص ٣-٣٧.

K.O.Apel, The Apriori of Communication and the Foundations of the Humanities, in *Man review* 5 (1972) pp. 3-37. and *World: an international philosophical*

وعن ءفن هابرماس لهمبولت انظر "رءه" فى نظرفة الفعل ءوصفلفى،

A. Honneth and H.Joas (eds), Cambridge, MA: *The Theory of Communicative Action*, MIT press, 1991, pp. 214-50.

## ٤. النظريات التأويلية: فقه اللغة وتصور الفهم

### ١-٤

على الرغم من القبول الواسع لفكرة أن الفلسفة التأويلية ونظريات التفسير في القرن العشرين تضرب جذورها في الرومانسية المبكرة فإن معرفتنا بنظرياتها وممارساتها التأويلية المركبة ما تزال محدودة النطاق إلى حد ما. وتمس الحاجة إلى تعلم الكثير من الإسهامات الفعلية للمؤلفين الأفراد وعلاقتهم بالتقليد التأويلي وتبادل الأفكار المكثف الذي حدث بينهم، قبل الشروع في تقييم مكتمل لمتنهم الفكري المهم. وحتى وقت قريب انصب الاهتمام النقدي على نظريات التأويل الأكاديمية في القرن التاسع عشر وممثليها الكبار شلايرماخر في آخر أيامه وتلميذه عالم الكلاسيكيات بويخ Boeckh والمؤرخ درويسن Droysen والفيلسوف ديلتاي<sup>(٢٩)</sup>. إلا أن معظم أفكارهم كانت قد نشأت في المناخ الفلسفي والأدبي لرومانسية بينا وامتدادها في برلين خلال السنوات من ١٧٩٥ إلى ١٨٠٥. وكما اتضح لاحقاً كان الأخوان شليجل وهمبولت ونوفاليس وأخيراً شلايرماخر هم الرواد الحقيقيون. ولكي نفهم النزعة التأويلية الجديدة ونقيم إنجازاتها تقييماً صحيحاً يجب أن نميز بين مكوناتها الأساسية. الأول يتعلق بتحويل فقه اللغة الكلاسيكي إلى علم ثقافي مهمته تحدد بالتحقق النقدي من أصالة متون النصوص الباقية من الحضارة اليونانية والرومانية عبر عملية إعادة بناء وتصنيف وتفسير تستهدف إعادة بناء الثقافات التي أنتجتها في كليتها. وقد أدى هذا التحويل إلى الأنساق الموسوعية لفقهاء اللغة والمؤرخين في القرن التاسع عشر،

(٢٩) كما - على سبيل المثال - في كتاب جادامر واسع التأثير "الحقيقية والمنهج". ومن المفارقات أن التأويليات الأكاديمية كانت بقدر ما نتاجاً لتقليد شفاهي. ولم تشر نصوصها الأساسية إلا قاربة نهاية القرن. ولم يظهر كتاب درويسن Droysen "التاريخ" *Historik* إلا في القرن العشرين.

وشكل تاريخ العلوم الإنسانية حتى اليوم<sup>(٣٠)</sup>. والمكون الثانى هو "النظرية التأويلية العامة" أو النظرية التأويلية بالمعنى الدقيق باعتبارها مجازاً مستقلاً للبحث. وهذا المكون محوره تصور الفهم. إلا أن فيلهلم فون همبولت وفريدريش شليجل فوق الجميع مسؤولان بدرجة كبيرة عن تحويل فقه اللغة، على حين أن شلايرماخر يجب أن يشهد له بالسبق فى خلق نظرية تأويلية موحدة مؤسسة على تصور فلسفى ولغوى للفهم.

#### ٢-٤

ويمكن أن نجد تعبير فريدريش شليجل (١٧٧٢-١٨٢٩) عن آرائه التأويلية فى أعلى درجات التصريح داخل قسم من دفاتره الأدبية المسماه "حول فلسفة فقه اللغة" من ١٧٩٥-٦. وعلى الرغم من أنها لم تنتشر إلا فى القرن العشرين<sup>(٣١)</sup>، فإن الكثير من أفكارها نوقشت مناقشة واسعة بين أفراد مجموعة بينا، كما نجد غالباً تعابير مماثلة حول هذه القضايا فى كتابات أعضاء آخرين من المجموعة وفى كتابات همبولت المبكرة. إلا أن نص شليجل شديد الثراء مركب وموج وكثيراً ما يكون حافلاً بالتناقض فى صياغاته وهو يستكشف العلاقة بين الفلسفة وفقه اللغة. ويجب أن يقرأ باعتبار المحاولة لتحويل فقه اللغة التقليدى الشكلى إلى تخصص تاريخى بواسطة إمداده بأسس نظرية جديدة وإثرائه "بدراسة مادية" للمدنية القديمة لكى تجعله جزءاً من

(٣٠) أفضل ممثل معروف لهذا النوع هو أوجست بريك A. B. Boeckh فى كتابه "موسوعة ومنهجية علوم فقه اللغة".

*Encyclopedia and methodology of the philological sciences*, 1877.

(٣١) انظر كتاب فريدريش شليجل "فلسفة فقه اللغة"، وكل الإحالات لهذه الطبعة:

'Friedrich Schlegel's *Philosophie der Philologie*. Mit einer Einleitung herausgegeben von Josef Körner', in *Logos: Internationale Zeitschrift für Philosophie und Kultur* xviii (1928) no. 1, pp. 1-72. Friedrich Schlegel, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler et al. (eds.), Paderborn Schöningh, xvi: *Zur Philologie*, Hans Eichner (ed.). pp. 33-81.

"الدراسة ذات القيمة الإنسانية لتاريخ النوع الإنساني"<sup>(٣٢)</sup>. وفي إعادة بناء مفهوم شليجل لفقه اللغة سيكون من الخطأ الاعتماد على استعماله لمصطلح التأويل وقراءة معنى حديث نلصقه به. ويصدق ذلك بالمثل على همبولت الذي لم يستعمل هذا المصطلح في نظرية الفهم عنده. وفي التقليد الأكاديمي درس همبولت وشليجل كلاهما الكلاسيكيات في جامعة جوتينجن على نفس المعلم، كريستيان جوتليب هيني، فقد كانت فلسفة التأويل أحد مكونات التخصص الأكاديمي الكلاسيكي مع نقد النصوص وقواعد اللغة وتحال إلى شرح النصوص العبارات الغامضة أو الصعبة. ومن ثم فكلمة التصور التأويلي (بمعنى التأويل عندنا الآن) لفقه اللغة كعلم تاريخي نقافي عند شليجل، والتأويل كتفسير للنصوص يبقى جزءاً متميزاً من تخصص فقه اللغة على الرغم من أنه أصر على الاعتماد المتبادل "المطلق" بينه وبين النقد.

وفي الحقيقة يرى شليجل العلاقة بين الأنشطة المختلفة للتخصص الكلاسيكي باعتبارها علاقة تأويلية (بمعنى التأويل عندنا) لأن التفسير متضمن فيها كلها: "التفسير لا يستطيع أن يبدأ إلا حيثما ومع المرء الذي يكون واضحاً تمام الوضوح إزاء اللغة. ومن الجلى أن قواعد النحو مطلوبة أيضاً للتأويل ولكن الأمر يصدق بالمثل على الشعرية.

(*kritische Friedrich - Schlegel - Ausgabe*, Xvi: 48)، ولكنه يرى في مسألة إن كان ينبغي أن ينسب إلى النقد أم إلى التأويل الأهمية الأولى "تقيصة حقيقية". كما يدل أيضاً على أن "فلسفة للتأويل" ينبغي أن تسبق خلق موسوعة لفقه اللغة أي المعالجة النسقية للمضامين والمصادر والإجراءات الخاصة بفقه اللغة. ولكنه لم يشرح ماذا ينبغي أن تشبه "فلسفة التأويل" هذه. إلا أن الظاهر أنه يرى أن

(٣٢) هذه الصياغة من شذرة الأثينيوم *Athenaeum* ٤٠٤ تردد صدى صياغة همبولت من مقاله 'حول دراسة العصر القديم الكلاسيكي' من ١٧٩٣، 81-255، *Gesammelte Schriften*، المخطوطة التي ربما عرف بها شليجل. كما أن أجزاء من نص همبولت أدمجت فيما بعد بواسطة ف.أ. فولف F.A.Wolf في عرض علوم العصر القديم المنشور في ١٨٠٧: *Darstellung der Alterumswissenschaft*.

النقد هو جوهر فقه اللغة: "ويجب أن يصير علماً قائماً بذاته" (ص ٥٠ و ٤٨ و ٥٥ و ٦٩). ولكنه نقد قد تشرب تماماً بالحساسية التاريخية والجمالية لدراسة فقه اللغة، وفي الحقيقة كان معنى أن تكون فقيه لغة هو أن تتعهد بالرعاية نمو حاستك التاريخية. وعلى الرغم من أن تصور شليجل لفقه اللغة جمع بين فكرة تخصص تاريخي وثقافي شامل والدعوة إلى نقد جديد، فإن هذا النقد لم يكن سيطبق إلا على نصوص العصر القديم الكلاسيكية ذات الطبيعة "الجمالية" أو "التاريخية". وكان ينبغي استبعاد الأعمال "السياسية" و"الأخلاقية" والكتاب المقدس كذلك لأنه ليس كتاباً كلاسيكياً (ص. ٧٤). وسنجد بين المستبعد من مجال فقه اللغة ليس فقط الكثير من أنواع النصوص المهمة ثقافياً، بل فترات كاملة من التاريخ الثقافي والأدبي. وهناك سبب لهذا التعريف الحصري لفقه اللغة. فعند شليجل يعتمد فقه اللغة على فن التفسير، وهذا الفن لا يستطيع أن يبدى نفسه في أكمل ضوء إلا حينما يعالج تلك الأعمال ذات الطبيعة السيموطيقية (المتعلقة بدراسة علامات اللغة) (ص. ٤٦) التي تمثل كما يقرر في إحدى شذاراته "ما هو كلاسيكي وما هو أبدي محض" (شذرة أثنسيوم ٤٠٤). وبمعالجة مقصورة على مثل هذه النصوص الباقية دوماً يجد الناقد "كل شيء ملتحمًا معاً... النقد الشعري والنحو والمنتمى إلى فقه اللغة والتاريخي والفلسفي" (شذرة ٤٧).

ولكن ينبغي أن نلاحظ متسائلين ألم تصل إلينا الأعمال السياسية والأخلاقية والدينية بسبب طبيعتها السيموطيقية؟ وهل هي أقل أهمية بأى درجة بالنسبة إلى التاريخ الثقافي للأمم من منتجاتها الجمالية؟ وفي أحد الأمثلة تأمل شليجل في فقه اللغة لكي يقدم مشروعاً لمعالجة الآداب القومية الحديثة (شذرة ٤٨). ولكن لقد كان الأخ الأكبر في محاضرات برلين ما بين ١٨٠٣-٤ حول "موسوعة العلوم" هو الذي تجاوز نواحي القصور في أساس مدخل أخيه بواسطة تصور فقه اللغة علماً تفسيريّاً

شاملاً يحوى لغات وآداب الأمم الأوروبية الحديثة<sup>(٣٣)</sup>. وفيما يتعلق بنظرية التأويل كان شلايرماخر هو القادر على التخلص من الالتباسات فى كتاب فريدريش شليجل "فلسفة فقه اللغة" بواسطة تركيز اهتمامه على أفعال الفهم نفسه أكثر من الفئات النوعية للنصوص. لقد كان هو الذى أعاد تعريف مهمة التأويل وأكمل إعادة توجيهها على أسس ترانسندنشالية وضم معاً الكثير من أفكار شليجل على نحو نسقى.

#### ٤ - ٣

لقد شخص فريدريش شلايرماخر (١٧٦٨ - ١٨٣٤) بإيجاز الفرق المهم الذى يفصل نظرية التأويل العقلانية التقليدية عن نظرية التأويل الحديثة: "هناك تعريفان للفهم: كل شئ يكون مفهوماً حينما لا يبقى فيه شئ من الهراء (بدون معنى). لا شئ يكون مفهوماً إن لم يكن مفسراً<sup>(٣٤)</sup>. وقد افترضت التأويلية العقلانية أن كل التلغظات طالما هى "معقولة" أى طالما تجسد قواعد جنسها المتعين يستطيع فهمها. ولا تنشأ المشاكل إلا حينما توجد فقرات عسيرة أو غامضة يجب على المفسر شرحها. وعلى أى حال، مع إضفاء التاريخية على الأنواع الأدبية التقليدية بواسطة الرومانسيين صار الفهم النصى نفسه إشكالياً. ويسود اعتقاد بأن الفهم لا يمكن أن يكون أمراً مسلماً به، كما ساد اعتقاد بوعى حاد بحدوده فى النزعة التأويلية الجديدة. وقد عبر فريدريش شليجل عن هذا الاعتقاد تعبيراً شديداً الفصاحة فى مقاله "حول ما

(٣٣) أوجست فيلهلم شليجل: محاضرات حول موسوعة العلوم، الجزء الثالث، فقه اللغة، August Wilhelm Schlegel, *Vorlesungen zur Encyklopedia der Wissenschaften*, Dritter Teil انظر هامشى ٨ و ٢٢.

(٣٤) فلسفة التأويل، مسودات شلايرماخر بخط اليد، تحرير هاينز كيمرلى، وترجمة جيمس ديوك وجاك

فورسمان: *Hermeneutics: the handwritten manuscript by F. Schleiermacher*, Heinz

Kimmerle (ed.), James Duke and Jack Forstman (trans.), Atlanta, GA: Scholars

Press, 1977, pp. 41. وهناك نص كامل لمحاضرات شلايرماخر مع ملاحظاته ومسوداته فى:

Schleiermacher: *Hermeneutik und Kritik*, mit einem Anhang sprachphiodophischer Texte, Manfred Frank (ed.), Frankfurt: Suhrkamp.



لا يمكن الإحاطة به". كما اعتقد همبولت أيضاً أن "كل فهم هو في الوقت نفسه لا فهم". وما دام كل فهم إشكالياً، وتلك هي نقطة انطلاق نظرية شلايرماخر، التأويلية فسيتربط على ذلك أن كل شيء نعتقد أننا نفهمه يجب أن يكون خاضعاً لعملية متحكم فيها من التفسير وإعادة البناء. وبعبارة أخرى يجب أن يعتمد الفهم النصي على أجزاء من التأكيد - إذا استعملنا مصطلحاً حديثاً - تحكمه اللغة. وفي الحقيقة عند شلاير ماخر "تكون اللغة الفرض المسبق الوحيد في نظرية التأويل، وكل ما يتعين كشفه بما فيه كل الفروض المسبقة الموضوعية والذاتية يجب أن يكشف في اللغة" (ص ٥٠). وهذا هو كيف انطلق شلايرماخر نفسه في نسقه التأويلي. وظل هذا النسق بحدوسه الفلسفية العميقة وتبصره النقدي وتشابكاته التقنية وتنميته للقراءات وإساءة القراءات أسمى نظرية متطورة مركبة لتفسير النصوص وصلت إلينا. وبين ملامحها المميزة يبرز تأسيس تصور الفهم داخل اللغة. ويعني ذلك أن شلايرماخر يحدد موضع النموذج الأولي للفهم الإنساني في الاستعمال اليومي للغة وأبنيتها الحوارية. فالكلام والفهم يعتبران متضايقين Correlative (أي تصور كل منهما موقوف على تصور الآخر مثل الأبوة والبنوة). فالمتكلم والمخاطب يجب أن يعتمدا على قدرتهما اللغوية حينما يتواصلان أو كما يضع همبولت الذي يشاطر وجهة نظر شلايرماخر المسألة: "أنا أفهم كلام شخص آخر؛ لأنه كان من الممكن أن أنطق به بنفسى". فالفهم يجب أن يعرف كعمل كلامي معكوس الاتجاه (ص ٩٧).

وفي فهم النصوص تتحقق فاعلية مجموعة أخرى من الشروط. فالنص يشكل جزءاً من النسق اللغوي (من اللسان) الذي كتب فيه على حين أنه في الوقت نفسه تلفظ فرد ما في موقف تاريخي متعين، لذلك يجب على إعادة البناء التأويلية أن تعالج النص باعتباره نقطة التقاء هذين الجانبين. وهكذا فإننا نستطيع أن نتبين نمطين متميزين من التفسير، أحدهما يأخذ العمل علة وجه الحصر في سياقه اللغوي، كجزء من خطاب تاريخي أوسع، والآخر يركز على سماته الفردية، على تشكيله وأسلوبه وعلاقته بالمؤلف وسيكولوجيته. ووجهة نظر شلايرماخر هي أن نمطي التفسير

كليهما متجذران فى الطبيعة اللغوية لموضوعهما، لأن "أى فعل للكلام لا يمكن فهمه كواقعة من وقائع الذهن ما لم يفهم أيضًا فى علاقته باللغة لأنه يجرى تعديله بواسطة التراث اللغوى (للمتكلم) (ص ص ٩٨/٩٠).

وقد قدم شلايرماخر شرحًا لغويًا لاثنتين من المواضيع الفكرية للرومانسية (العناصر المترابطة المتكررة topoi) وهما فكرة الدائرة التأويلية وفكرة أنه ينبغى على المرء أن يفهم مؤلفًا ما أفضل من فهم المؤلف لنفسه. وتشير الدائرة التأويلية إلى التناقض الظاهرى المائل فى أن فهمنا للجزئى مشروط دائمًا بفهم للكلى والعكس بالعكس. وهناك طرق مختلفة لتجلى تلك الدائرة. فكما يشير شلايرماخر فإن فهم عمل ما يتطلب أولاً معرفة باللغة المكتوب بها، ولكن تلك اللغة كما توضح حالة ما يسمى باللغات الميتة يجب استخلاصها فى الأغلب من النصوص نفسها التى نريد فهمها. وفضلاً عن ذلك فإن فهم فترة ما فى تاريخ لغة ما يفترض مسبقاً معرفة بتاريخها وهى مستحيلة بدون معرفة باللغة بأكملها (ص ٤٨). وفى التعامل مع نص أدبى نظل نلتقى بتنوعات أخرى من تلك الدائرة. فعلى سبيل المثال حينما يتعلق الأمر بالعلاقة بين ملامح مختلفة من عمل ما والنظام السائد الجمالى والأسلوبى الذى يشكل تفرده وأسلوبه فإن فهم هذه الملامح يتطلب إحاطة بالنظام والعكس بالعكس. ويشرح شلايرماخر كيف يتم التغلب على هذه الدائرة الظاهرية بواسطة المفسر ويصف الإجراءات التى يؤديها - وهى تشمل إجراءات مختلفة مثل الوضع فى السياق، وتشكيل فرضيات (تخمين) والبناء وإعادة البناء. وظن شلايرماخر أنه فى العلوم الإنسانية جميعاً "يجب أن تبنى كل المعرفة بهذه (الطريقة)" (ص ١/٣).

وقد شهد القول المأثور أن على المرء أن يفهم مؤلفًا ما أفضل من فهم المؤلف لنفسه تفسيرات كثيرة متضاربة. ولكنه قد استعمل وشرح من جانب شلايرماخر على نحو بعيد عن الإبهام. وعلى سبيل المثال حينما استعمل كانط الكلمات "خادمكم المطيع" فقد كان فى نظر شلايرماخر غير مدرك لحقيقة أنه كان يعبر فحسب عن مصطلح مبتذل (كليشيه) عن كلمات زائفة خادعة. وهنا يجب أن يتقدم المفسر ويجلب

إلى الإدراك الواعي الوضع اللغوي الذي لم يفتن له كائط. والمثال الأكثر جوهرية هو المثال المتعلق بما يسميه شلايرماخر "القانون الأول للتفسير النحوي" الذي يقرر أن المشاكل النوعية لتفسير النصوص ينبغي أن تحسم فقط على أساس الدائرة اللغوية المشتركة بين المؤلف وجمهوره. وتلك الدائرة تحوي عوامل نحوية ولغوية اجتماعية لم يكن المؤلف واعياً بها، ولكن على المفسر أن يعرفها؛ لذلك فهو مفروض عليه في الحقيقة أن يضع نفسه في موقع يمكنه من أن يفهم المؤلف أفضل من فهم المؤلف لنفسه (ص ١١٢). ويرجع اهتمام شلايرماخر بالتأويل إلى وقت أن كان يعيش في برلين على صلة وثيقة بفريدريش شليجل، وليس من المستغرب أن كانت أفكاره قد سجلت في شذرات وفق منزع المنظرين الرومانسيين الآخرين. وقد رجع إليها فيما بعد لإعداد محاضراته حول "النظرية التأويلية والنقد" في جامعة برلين المؤسسة حديثاً، وفي هذا الشكل دخلت أفكاره التقليد الأكاديمي للقرن التاسع عشر. ولكن شلايرماخر كان قد جعل أفكاره معروفة في وقت مبكر عام ١٩٠٨، وإن يكن في شكل مبتور غير أكاديمي في دفاعه عن رواية فريدريش شليجل المثيرة للخلاف لوسنده *Lucinde*.

وهنا يتناول على أساس الشعرية<sup>(٣٥)</sup> الرومانسية مشاكل تفسير الأعمال الأدبية المعاصرة.

#### ٤-٤

وضع مؤرخو التيار الرئيسي في التقليد التأويلي الألماني وممثلو الفلسفة التأويلية في القرن العشرين وعلى الأخص هايدجر وجاندر في أعلى مكانة داخل ذلك التقليد الفيلسوف فيلهمهم فون همبولت. وفي الحقيقة يمكن رؤية خطابه في الأكاديمية "حول مهمة المؤرخ" (١٨٢١) الذي كتب عنه الكثير بواسطة أجيال من

(٣٥) خطابات حكيمة حول رواية فريدريش شليجل "لوسنده" *Vertraute Briefe über Friedrich Schlegels Lucinde*, Lübeck, Leipzig, Bohn, 1800.

المؤرخين باعتباره موضع ميلاد تصور "التاريخ الفعال" (سارى المفعول effective والطبيعة الإنشائية (التي تبنى إطارًا تخطيطيًا) constructive للسرديات التاريخية. ويعد أن يقال ذلك ينبغي الإقرار بأن جوهر وكتلة إسهامات همبولت فى النظرية التأويلية والفكر التأويلي يوجدان بوضوح فى دراساته اللسانية وفلسفة اللغوية. وعلى حين أن دراساته اللسانية التى شملت الكثير جدًا من اللغات الكبرى والكثير من اللغات الصغرى فى العالم وجمعت اهتمامات بنيوية مقارنة وتداولية ووظيفية وتوليدية وتتميطية<sup>(٣٦)</sup>، تعبر عن مقصد أنثروبولوجي صريح، وإن إجراءات همبولت تنم عن توجه تأويلي، أساسى. ومنذ وقت ١٨٠١ المبكر صرح بأن اللغات المختلفة ليست مجرد تشكيلات متعينة للمادة نفسها بل وجهات نظر مختلفة إليها، وأنه بمجرد مغادرة مجال الإدراك الحسى فإنها تعرض لنا العدد نفسه من أشياء (موضوعات) قد تكونت على أنحاء مختلفة (كتابات مختارة بالألمانية الجزء السابع ٦٠٢). وبعبارة أخرى فإن الكائنات الإنسانية تعيش مع موضوعات تفكيرهم كما تعرض لغاتهم الخاصة هذه الموضوعات لهم؛ لأن اللغات باعتبارها أنساقًا منظمة لا تعكس العالم بمقدار ما تعرض بالأحرى وجهات نظر مختلفة له. ومعنى ما يكون تفسير لسانيات همبولت وفلسفته اللغوية باعتبارها تكشفًا نظريًا وتجريبيًا لتلك الأطروحة.

ويمكن الاستشهاد بقول مدام ستايل فى كتابها (عن ألمانيا) إن اكتساب لغة أخرى يعنى اكتساب عالم آخر لذهن الإنسان "كدليل على أن تلك الأطروحة مشتركة مع كتاب رومانسيين آخرين<sup>(٣٧)</sup>. ومهما يكن من شىء فسيكون من الخطأ تصنيف موقف همبولت وشلايرماخر وشليجل باعتباره نزعة نسبية لغوية. وفى الحقيقة فإن المكون العالمى الكلى يفصل الفلسفة والتأويل اللغويين عند الرومانسية عن النظريات

(٣٦) عن اللغات التى كان يعرفها همبولت انظر كتابي "علم اللغة عند همبولت، جرد قائمة بعلم اللغة"

\*Wilhelm von Humboldts Sprachwissenschaftlichen: ein Verzeichens des sprachwissenschaftlichen Nachlasses, Paderborn, Vienna, Zurich: F. Schöningh, 1993, 454- 60

(37) De l'Allemagne, nouvelle édition, Jean de Pange and Simone de Balayé (eds.), 5 vols, Paris: Hachette, 1958, II: 179.

ما بعد الحداثيّة وما بعد البنيويّة. فاللغات لا تشبه المونادات (الذرات الفرديّة) بلا نوافذ عند الرومانسين، وتتوّعها هو بالأحرى شرط للتنوّع النّقافى عند الجنس البشرى ومن ثمّ المشاركة المتبادلة بين النّقافات. لأنّه على الرّغم من انفصالها فإنّ اللغات تشترك فى صفات جوهرية. ومن الناحية النوعية يفهم البشر بعضهم بعضاً من خلال الكلام كما يدلّل همبولت، بسبب بعض الخصائص المشتركة الجوهرية بينها تماثل الطبيعة البشرية وكما علمه كانط وفخته أبنيّة ذهنيّة مشتركة، واستعدادات مشتركة وينبثق من نسق من الكليات اللّغويّة Universals (السمات المشتركة بين كل اللّغات) تشكّل "نموذجاً أوليّاً لغويّاً" فى أساس كل اللّغات الطبيعيّة وأخيراً البنى النحويّة والدلالية للغات معيّنة التى تجعل التّوصيل من خلال الكلام ممكناً.

فإذا كانت اللّغات مثل الدوائر التى تضمّ الأمم كما يدلّل همبولت، فهل يمكن للبشر أبداً أن يهربوا من "سجن لغتهم"؟ (جان بول Jean paul)، والإجابة هى نعم ولا معاً؛ لأننا يمكن دائماً أن ندخل عالم لغة أخرى، على حين أن هرباً من اللغة نفسها كلغة لا يمكن تصوّره ما لم ننزع عنها أولاً شرطنا الإنسانى (كتابات مختارة، الجزء السابع: ٦٠٢). فاللغة بينما تفصل بين النّقافات هى الشرط، ليس فقط لتفردها المنفصل كما يصر همبولت، بل أيضاً لإمدادها بوسائل تجسير الفجوة بينها. ومن الواضح إذن أن مشكلة الترجمة محورية فى النظرية التّأويلية الجديدة. وكان ريدريش شليجل فى فلسفة فقه اللغة *Philosophy of philology* قد كشف عن بعض تعقيداتها. وهناك بعض التّفظّات وثيقة الصلة بالموضوع على لسان شليجل الأكبر سنّاً ومدام دى ستايل؛ ولكننا مدينون لهمبولت وشلايرماخر بأكثر التعابير استبصاراً عن نظرية الترجمة. وقد أصبحت نصوصاً كلاسيكية منذ ذلك الوقت. وعلى الرّغم من أنّها أنتجت لمناسبات مختلفة: "مدخل" إلى ترجمته لمسرحية أجاممنون لإيسخيلوس (١٨١٦) فى حالة همبولت وخطاب إلى الأكاديمية الملكية فى برلين (١٨١٣) فى حالة شلايرماخر، فهناك اتفاق واسع المدى بينهما فيما يتعلّق بالمشاكل

الفلسفية واللغوية في صميم الموضوع والأهمية التي يخصصانها لنشاط الترجمة<sup>(٣٨)</sup>. ولا توجد إشكاليات الترجمة عندهما في نقل صيغ الاتصال اليومية والعملية، بل في مهمة ترجمة أعمال التخصص الأصيل، الفلسفة والأدب والشعر من لغة إلى أخرى لأن هذه الأعمال على العكس من السابقة تعتمد على الاستعمال الإبداعي لبنى وطاقات الترميز المميز لكل من لغتيهما وفي مقارنة لغة بلغة لاحظ شلايرماخر أن "تسق المفاهيم وعلاماتها" ليس متماثلاً من ناحية التوافق في لغتي المصدر والهدف بل يخترق كل منهما الآخر. ويعنى ذلك أن المفاهيم في لغة معطاة تترايط معاً ويكمل بعضها بعضاً مشكّلة نسفاً محكم النسيج لا تتأظر أجزاءه المفردة أى أجزاء من تلك الموجودة في لغة أخرى.

ويبدو تطلع الترجمة إلى الإنجاز إنن محبباً إن لم يكن ميؤوساً منه إذا صدقت وجهة النظر هذه إلى اللغة. ولكن محاولات همبولت وشلايرماخر لتعريف مهمة المترجم ورسم حدود الفضاء الذى يستطيع فيه ممارسة حرفته كانت على وجه الدقة تمضى ضد هذا الوضع للأمور الذى يبدو خانقاً. فالمطلوب أولاً هو الألفة بلغة الأصل وفهم العمل المغروس فيها. وإلى هذه المتطلبات المسبقة يجب إضافة التمكن من اللغة المستهدفة والقدرة على إعادة خلق العمل ومعناه كما فهمه المترجم فى هذا الوسيط، ومن ثم فإن الكفاءة المطلوبة فى الترجمة تتخطى بمراحل ما هو مطلوب من الناقد والمفسر العادى الذى يعمل داخل نطاق بيئة أحادية اللغة. وقد اعتقد شلايرماخر أن هناك نوعين فقط من الترجمة ممكنين، أحدهما يحاول فيه المترجم "تحريك المؤلف تجاه القارئ" أى يجعل الترجمة تظهر كما لو كان المؤلف قد كتبها

(38) Wilhelm von Humboldt, *Gesammelte Schriften*, viii: 119-46; F. Schleiermacher, 'Methoden des Übersetzens', *Sämmlliche Werke*, dritte Abteilung, Berlin: Reimer, 1938, ii: 207-45.

وترجمات إنجليزية جزئية فى:

*Theories of translation: an anthology of essays from Dryden to Derrida*, Rainer Schulte and John Biguenet (eds.), Chicago, II: University of Chicago Press, 1992, pp. 36-59.

بلغة القارئ، والأخرى حيث يحاول تحريك القارئ في الاتجاه المعاكس "تجاه المؤلف"؛ والبديل الثاني وحده مقبول لدى شلايرماخر وهمبولت لأنه لا يتجه نحو طمس الفرق بين اللغتين وتحييد "الأجنبية" (همبولت) أو بلغة اليوم "أخرية" العمل عند إحضاره إلى ثقافتنا. ولكنه سيخفق في تلك المهمة إذا بدا العمل غريباً أجنبياً فحسب وصار متعذر الإدراك بالنسبة لقرائه. وسيكون ناجحاً فقط إذا أحضر "ما هو أجنبى" إلى اللغة المستهدفة. وهكذا فإن الترجمة بواسطة توسيع حدود لغة المنتج توسع أفق ثقافته. وليس علينا إلا أن نفكر في ترجمة الشقيقتين شليجل لمسرحيات شكسبير، وكونستانز وترجمات كوليردج وكارلايل لأعمال لشيللر وجوته وجان بول، والترجمات الموحية بالروعة من اليونانية بواسطة هولدرن وهمبولت لنتبين أن نظرية الترجمة الرومانسية قد صحبتها ممارسة تساويها في الجلال.؛ ويعكسان معاً ما تعرفنا عليه من قبل من رغبة الرومانسيين في أن يجدوا تأكيد الذات في اكتشاف تجليات إبداعية مختلفة للروح الإنسانية.

وعلى أى حال إذا كان كل تفسير هو مهمة بلا نهاية كما يزعم شلايرماخر، فالأمر يصدق بالمثل على الترجمة كما يرى هو مع همبولت. وكما أن المترجم لن يستطيع أبداً أن يفصل معنى العمل الأصلي عن لغته فهو مقيد بالقدر نفسه بواسطة الشروط المفروضة عليه من لغته نفسها وبناها التوافقية والتعاقبية. فالترجمة بذلك مؤقتة وليست دائمة. فهي كما يضع همبولت المسألة أشبه بجهود تبذل لسبر حالة اللغة المستهدفة بدلاً من أن تكون دائمة، ويجب لذلك أن تعاد وتعاد. وبالمصطلح الحديث فإن للترجمات تاريخيتها وهي جزء لا يتجزأ من تاريخ أمتها وثقافتها، وذلك أيضاً استبصار شديد الأهمية نحن مدينون به للنظرية الرومانسية.





## الفصل التاسع

### تحويل البلاغة

بقلم: ديفيد ويلبيرى

ترجمة: إبراهيم فتحى

تظهر صعوبة موضوعنا أمام الأنظار حينما نناقش دعوى وردزورث فى مقدمة قصائده القصصية الغنائية (١٨٠٠)، وهى إحدى التصريحات البرنامجية الرئيسية للرومانسية الأوروبية، القائل بأن الشاعر يتجشم الكثير من المشاق "ليتنجب .. ما يتجشمه آخرون فى المعتاد لينتجوا ما يسميه البيان الشعري أو الأداء بألفاظ شعرية"<sup>(١)</sup>. ويشير المصطلح بدقة إلى ذلك الصنف من الأسلبة اللغوية الذى استنته المذهب البلاغى التقليدى من العصر القديم إلى القرن الثامن عشر قاعدة للتقنية الترينية الملائمة للكلام الشعري. ويبلغ إصرار وردزورث طوال المقدمة على "لغة الناس الفعلية بالذات" أو حتى على "اللغة الحقيقية للطبيعة" درجة انفصال الكتابة الشعرية عن إملاءات المذهب البلاغى<sup>(٢)</sup>.

(1) William Wordsworth, *Prose works*, J. B. O. Warwick and J. W. Smyser (eds.), Oxford: Clarendon Press, 1974, i: 130.

(2) Wordsworth, *ibid.*, pp. 131, 142.

ومن الممكن بطبيعة الحال النظر إلى هذا التحول نحو اللغة المشتركة باعتباره خياراً بلاغياً، أى تفضيلاً للأسلوب البعيد عن الادعاء القريب من الأرض الذى يراعى استعمال الجميع *style the humble* - كما هو متصور فى الترتيب البلاغى التقليدى. ولتفسير وردزورث على هذا الأساس انظر : قوة البلاغة وتأثيرها" لكلاوس دوكهورن Klaus Dockhorn, *Macht und Wirkung der Rhetorik*, Bad Homburg, Berlin and Zurich: Gehlen, 1968, pp. 68-91

وكذلك "اللغة المتميزة" لديريك أتريدج :

Derek Attridge, *Peculiar language*, London, 1988, pp. 46-89.

ولكن كوليردج بطبيعة الحال لا يشارك ورنزورث تمسكه بمعجم المحادثات الشائعة. ولكن تأكيده أن "أى أبيات يمكن ترجمتها إلى كلمات أخرى من اللغة نفسها دون انتقاص من دلالتها إما فى المعنى أو التداعى أو فى أى شعور مناسب تكون إلى هذا المدى فاسدة فى بيانها" هو تأكيد مهما يكن من شىء يتضمن نبذاً قريب المصدر من نبذ ورنزورث للبلاغة بمقدار ما يكون مبدأ قابلية التعابير للاستبدال "لأن يحل بعضها محل بعض Substitutability هو أساس صياغة العبارة أو الأسلوب الكلامى elocutio فى البلاغة التقليدية<sup>(٣)</sup>. ولم يكن هذا التقليل من شأن المذهب البلاغى قد تقدر به المؤلفان، بل كان سمة لموقف ذائع صيغ فى وقت مبكر بتكير السبعينيات من القرن الثامن عشر واتسمت به الرومانسية عموماً. وبهذا المعنى من المستطاع الاتفاق مع التشخيص التاريخى لإرنست روبرت كوريتوس Ernest Robert Curtius الذى يذهب إلى أن الرومانسية تمثل قطعة حاسمة فى التقليد الألبى الأوروبى على وجه الدقة بمقدار ما تقوم بتفريغ المذهب البلاغى الذى ربط تلك التقليد بجنوره فى العصر القديم من أهميته النظرية والترنوية<sup>(٤)</sup>.

والصعوبة الخاصة لمادة تناولنا تبدو ماثلة فى حقيقة أن نظرية الشعر أو نظرية الأدب الرومانسية عموماً ليست - على الأقل بالمعنى التقليدى للمصطلح - نظرية بلاغية على الإطلاق. ولكن هذه الصعوبة تتعقد إلى درجة التناقض الظاهرى عندما يتمعن المرء فى أن الإحياء قريب العهد للمصطلح البلاغى فى النقد التفكيكى قد أثبت

(3) Samuel Taylor Coleridge, *Biographia literaria*, J. Shawcross (ed.), Oxford University Press, 1907, i: 167. On the doctrine of *elocutio*, see Heinrich Lausberg, *Handbuch der literarischen Rhetorik: eine Grundlegung der Literaturwissenschaft*, Munich: Hueber, 1960; Roland Barthes, 'The old rhetoric: an aide-memoire', in *The semiotic challenge*, New York: Hill and Wang, 1988, pp. 11-94.

(4) Ernst Robert Curtius, *European literature and the Latin Middle Ages*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990.

منذ بداياته قوة حجته بالرجوع إلى النصوص الرومانسية أساساً<sup>(٥)</sup>. فالنقد التفكيكي أو البلاغى معنى بالعلاقات بين المعانى الحرفية والمجازية والظرائق التى تؤدى بها هذه العلاقات صنوفاً من عدم اليقين إزاء الوضع المعرفى للنصوص والوضع الوجودى للوحدات الفكرية المتكررة الكبرى (على سبيل المثال : "الذات" أو "الطبيعة" التى تشير إليها هذه النصوص بوضوح). وليس ذلك هو جدول الأعمال الذى سنتبعه هنا. وعلى أى حال فنحن سنأخذ حقيقة أن النزعة التفكيكية فى النقد البلاغى قد استمدت العون من الإنتاج الأدبى الرومانسى ونظريته كليهما كمؤشر على أن موت المذهب البلاغى التقليدى عند نهاية القرن الثامن عشر قد صحبه إعادة نشر فى المفاهيم البلاغية الرئيسية. لذلك ينبغى تصور العلاقة بين الرومانسية والبلاغة باعتبارهما تحويلاً لتقليد بقدر أكبر من التخلّى عنه .

فالتطورات التاريخية التى أسهمت فى نبول المذهب البلاغى باعتباره ترتيباً منظماً لقواعد الإنتاج الأدبى (تفسيره) وتقييمه وتعليمه تتربط فى شبكة ثقافية مركبة. ومن المؤكد أن عاملاً رئيسياً كان إعادة توجيه النسق الأدبى من استعادة الماضى إلى التجديد. فحتى وقت ملحوظ الطول من القرن الثامن عشر كان من المعتقد أن مقاييس الإنتاج الأدبى بلا زمان وأن مهمة الكاتب هى التوافق مع هذه المقاييس. ويمكن

(5) This revival begins with Paul de Man's masterful essay 'The rhetoric of temporality', reprinted in *Blindness and insight*, expanded edition, Minneapolis, mn: University of Minnesota Press, 1983, pp. 187-228. See by the same author *Allegories of reading*, New Haven, ct: Yale University Press, 1979 and *The rhetoric of Romanticism*, New York: Columbia University Press, 1984. An important collection of work in the deconstructive or rhetorical tradition of Romanticism studies initiated by de Man is Arden Reed (ed.), *Romanticism and language*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984. Also in this tradition is Cynthia Chase, *Decomposing figures: rhetorical readings in the Romantic tradition*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1986. For critical discussions of this work see Tilottama Rajan, 'Displacing post-structuralism: Romantic studies after Paul de Man', *Studies in Romanticism* 24 (1985), pp. 451-74; Thomas Pfau, 'Rhetoric and the existential: Romantic studies and the question of the subject', *Studies in Romanticism* 26 (1987), pp. 487-512.

تسجيل أول تراخ لقبضة العظمة (الروعة) الماضية<sup>(٦)</sup> على الحاضر في "معركة القدامى والمحدثين" *querelle des anciens et des modernes* التى نشبت فى القرن السابع عشر وقيت فيما يتعلق بالفنون خصوصًا موضوعًا للجدال حتى التسعينيات من القرن الثامن عشر<sup>(٧)</sup>. ومقدم التجديد كقيمة أدبية أولى فقد المذهب البلاغى موقعه كشفرة أصلية مسيطرة للإنتاج الأدبى، فلم تكن البلاغة منظمة فحسب حول أمثلة للعظمة اعتبرت معيارية بلا زمان، بل لقد ارتكزت فاعليتها أيضًا على الافتراض المسبق لمواقف ذات طبيعة قياسية موحدة. ويكفى أن يتأمل المرء مذهب المواضع المشتركة *topoi* (الأفكار العامة، الكليات، المواضيع المقررة ضمن تقليد ما التى لا تزيد عن قائمة مرجعية يتم حفظها متاحة لإعادة تكييف المقبولات التى تبادرت إلى الأذهان ونظقت بها الألسنة). ولكن التفتيحات التى راجعت مؤخرًا المذهب البلاغى مثل محاضرات آدم سميث فى جامعة جلاسجو (١٧٦٢-٣) قد استغنت عن هذا المكون بالكامل<sup>(٨)</sup>. وعلى نحو تدريجى أدخل المصطلح البلاغى الابتكار *inventio* (وسائل حجج الخطب التى يبتكرها : مخاطبة العقول *logos* ومخاطبة المشاعر *pathos* والإقناع بالقُدوة الحسنة *ethos* - المترجم) الذى كان يعنى العُثور على ما هو مخزون فى الذاكرة الثقافية مكانه لمفهوم الأصالة (بعد أن تغير معناه إلى الابتكار). فقد سبّك مجال الفن والأدب فى "إضفاء الطابع الرومانسى للتاريخ باعتباره مفردًا

(6) See Hans Robert Jauss, 'Schlegels und Schillers Replik auf die "Querelle des Anciens et des Modernes"', *Literaturgeschichte als Provokation*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1970, pp. 72-95. On the prehistory of the 'querelle' in the Renaissance see Robert Black, 'Ancients and moderns in the Renaissance: rhetoric and history in Accolti's *Dialogue on the preeminence of men of his own time*', *Journal of the history of ideas* 43 (1982), pp. 3-32.

(7) Adam Smith, *Lectures on rhetoric and belles lettres*, J. C. Bryce (ed.), Indianapolis, in: Liberty Fund, 1985.

(8) A decisive text in this connection is Edward Young, 'Conjectures on original composition' (1759), *The complete works*, Hildesheim: Georg Olms, 1968, reprint of the 1854 London edition, pp. 547-86.

جمعياً<sup>(٩)</sup> singular Collective. وجعل الوعي التاريخي، أى إدراك أن الزمان يغير بلا انقطاع إطار الحياة الإنسانية، من البلاغة الكلاسيكية شيئاً منقرضاً .

والاتجاه الثانى الرئيسى فى القرن الثامن عشر الذى فوض البلاغة كان إضفاء الطابع الخاص على التجربة الأدبية. فالبلاغة كانت فناً اجتماعياً على نحو تأكيدى. ومجال تطبيقها كان طابع المباشرة (بلا توسط) للتواصل وتبادل التأثير وجهاً لوجه، وهو مجال من التراتب بطبيعة الحال تبعاً للمنزلة الاجتماعية. وهذا هو السبب فى أن المذهب البلاغى الكلاسيكى قد اشتمل بالإضافة إلى مكوناته الفرعية: الابتكار *inventio* والتنسيق *dispositio* والفصاحة *elocutio* على التذكر *memoria* والإلقاء *actio*. فالخطيب ينبغى عليه أن يكون ماهراً فى التذكر بحيث يستطيع أن يعدل كلامه. وفقاً لمقتضى الحال، كما أن عليه التمكن من قواعد الأداء وأن يعرف اللغات الملائمة وطرز التنغيم لكى يكون قادراً على إقناع جمهوره. ومن اللافت للانتباه أن هذين المكونين الأخيرين كانا أول ما تم هجره بمجرد أن تخلص المشاركون فى التواصل الأدبى من تقييدات التفاعل الخطابى أى أن الطابع الخاص للتجربة الأدبية حدث داخل نطاق موقف ثقافى منظم حول وسيط الطباعة، حول ثقافة أدبية بين الكتاب والقراء. ولا حاجة إلى القول إن اختراع القرنان الأولان من ثقافة المطبعة مع تجديد قوة المذهب البلاغى بواسطة النزعة الإنسانية المحدثه. ولكن ذلك حدث لأن الكلمة المطبوعة ظلت مطمورة فى سياق اجتماعى ما تزال أبنيتة الرئيسية شفاهية وتفاعلية. وكان على القراءة فيها أن نكتسب فيما بعد طابعها الباطنى المكثف. لذلك يُعد مثل هذا الاستبطان لفعل القراءة إنجازاً للنصف الثانى من القرن الثامن عشر، كما

(9) See Niklas Luhmann, 'Temporalisierung von Komplexität: zur Semantik neuzeitlicher ZeitbegriCe', *Gesellschaftsstruktur und Semantik*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1980, i: 235-300; Reinhart Koselleck, 'Die Herausbildung des modernen GeschichtsbegriCs', in Otto Bruner, Werner Conze and Reinhart Koselleck (eds.), *Geschichtliche GrundbegriFe*, vol. ii: E-G, Stuttgart: Klett-Cotta, 1975. pp. 647-717.

تثبت التمثيلات البصرية للقراء المنتجة أثناء ذلك الوقت إثباتًا لا تتركه قابلية للخطأ<sup>(١٠)</sup>. وعلى غرار المتلقى المثالي للوحة رسم فى نظرية دويدرو لم يعد القارئ يعى نفسه باعتباره عضوًا فى جمهور أداء<sup>(١١)</sup> مسرحى أو خطابى، ولكن كفرد مستغرق فى عالم العمل. كما كانت فرص هذه القراءة المستغرقة متاحة بدرجة لم يسمع بها من قبل. وفى الحقيقة كانت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر قد تم التعرف عليها بوصفها نقطة تحول كبرى فى تاريخ القراءة، النقلة من قراءات متكررة لنصوص قليلة دينية فى معظمها إلى قراءات مرة واحدة لنصوص كثيرة لا متناهية<sup>(١٢)</sup>. وربما تكون الرومانسية العصر الأكبر فى التاريخ الثقافى الذى شكل نفسه فى نطاق وسيط الطباعة. "الكتب - كما لاحظ الشاعر الرومانسى نوفاليس - "هى نوع حديث من الوجود التاريخى، بل من أعظم هذه الأنواع. وربما حلت محل التقاليد"<sup>(١٣)</sup>. وتصدق هذه الملاحظة على تقليد الخطابة الكلاسيكية. وتتعرز الدعوى القائلة بأن هذه التيارات الثقافية واسعة النطاق - انبثاق الوعى التاريخى - خصوصية القراءة ضمن ثقافة طباعة متاحة على اتساعها قد نالت من سلطة المذهب البلاغى حينما يوجه المرء اهتمامه إلى التطورات النظرية والتربوية. وهكذا حينما واصل منظرو القرن الثامن عشر استخدام المصطلح البلاغى فإنهم مالوا إلى حصر أنفسهم فى عقيدة المجازات والصيغ اللفظية كما لو كانت البلاغة لا تزيد كثيرًا عن أن تكون نظرية فى الاستعارة. وعلى حين فهم المذهب البلاغى التقليدى المجازات باعتبارها انحرافات عن الاستعمال اللغوى الطبيعى تستدعى الانتباه

(10) See Erich Schön, *Der Verlust der Sinnlichkeit oder die Verwandlungen des Lesers: Mentalitätswandel um 1800*, Stuttgart: Klett-Cotta, 1987.

(11) See Michael Fried, *Absorption and theatricality: painting and beholder in the age of Diderot*, Berkeley, ca: University of California Press, 1980.

(12) Rolf Engelsing, *Analphabetentum und Lektüre: zur Sozialgeschichte des Lesens in Deutschland zwischen feudaler und industrieller Gesellschaft*, Stuttgart: Metzler, 1973.

(13) Novalis, *Schriften. Die Werke Friedrich von Hardenbergs*, Paul Kluckhohn and Richard Samuel in collaboration with Hans-Joachim Mähl and Gerhard Schulz (eds.), Stuttgart: Kohlhammer, 1960-8, iii: 586.

إلى إحكام صنعها مع إحداث استجابة وجدانية فى السامعين، فإن نظريات القرن الثامن عشر تتبععتها إلى الملكات المعرفية (الانتباه، المخيلة، الانفعال والفتنة - التمييز-) التى تنتجها<sup>(١٤)</sup>. وبإيجاز فقد أضفى على البلاغة الصبغة الطبيعية والسيكولوجية وجرى تحويلها من فن كثير الشفراء إلى قدرة إنسانية على التمثيل. وفى المدارس الثانوية حدث تطور مواز. فعلى نحو تدريجى حلت محل التدريب الخطابى (البلاغى) الذى بلغ الأوج فى محاكاة باللاتينية *Imitatio* لنص كلاسيكى مثالى، قراءات فى أفضل كتاب اللغة المحلية الدارجة<sup>(١٥)</sup>. ولم تعد اللغة التى يتربى عليها النشء شفرة محدودة لا يتسنى إلا نسخها، بل صارت أداة مرنة للتعبير الفردى. وفى سياق البحث الحالى يصبح التجديد الأكثر أهمية للقرن الثامن عشر هو بالتأكيد تطور نظرية الفن المستقل ذاتياً .

وثمة جانبان من هذه النظرية يتنافيان مع تأسيس الأدب فى النظرية البلاغية، فكرة أن الأدب بالضرورة مستقل عن الأغراض الخارجية، والفكرة المتصلة بذلك القائلة بأن أعمال الفن تستمد وحدتها ودالاتها من تبادل الاعتماد بين أجزائها، وفكرة أن الفن بما فيه الفن الأدبى لا يخدم هدفاً آخر غير عرضه الذاتى (لنفسه) (غير أدائه وتقديم هيئته) هى فكرة معادية للبلاغة والخطابة، لأن البلاغة بهذا المعنى تقنية أدائية للغة ، وتصميمها بأكمله يتجدد بتأثير أدائها وأهمها "الإقناع" الذى تحاول تحقيقه. طالما أن الأدب قد استمد وظائفه من دوائر اجتماعية أخرى مثل السياسة والدين والأخلاق فإن المذهب البلاغى قد زوده بألية للتدخل الفعال. وبإقامة نسق اجتماعى للفن ينظم نفسه بنفسه فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر اعتبرت الأدائية البلاغية تقييداً

(14) See Rüdiger Campe, 'Die Zwei Perioden des Stils', *Comparatio* 2:3 (1991), pp. 73-99.

(15) See the amply documented study by Heinrich Bosse, ' "Dichter kann man nicht bilden": zur Veränderung der Schulrhetorik nach 1770', *Jahrbuch für internationale Germanistik* 2 (1976), pp. 80-125.

مفروضًا من الخارج على الحرية الإبداعية<sup>(١٦)</sup>. وكان ذلك على وجه الدقة هو ما حفز كانط في فقرة سترجع إليها ليميز تمييزًا قاطعًا بين البلاغة والشعر الحق. وقد أدت فكرة الوحدة المكتفية بذاتها للعمل الفني، الذي كما يقول كوليردج: "إن أجزاءه يدعم ويفسر بعضها بعضًا" (السيرة، الجزء الأول ص ٣١٨) إلى تقادم بل إلى انقراض البلاغة بواسطة إعادة صياغة مفهوم النص الأدبي ذاته، فلم ينتج المذهب البلاغي قط طوال تاريخه فكرة تأكيدية عن العمل الأدبي باعتباره وحدة قائمة بذاتها. وعلى العكس كان الموقف البلاغي إزاء النصوص يفتت ويعزل مواقع معينة *loci* ينظر إليها لا على أساس تماسكها مع أخرى ومكانها في الكل، بل على أساس عيوبها أو محاسنها الفردية مع اعتبار لقابليتها للاستبدال. أما فكرة العمل باعتباره وصفًا لذاته فقد تطلبت موقفًا مختلفًا تمامًا إزاء النصوص، موقفًا انعكاسيًا يأخذ كل جزء بالنسبة للكل، والكل بالنسبة للأجزاء في حركة دائرية، وعلى وجه الدقة فقد وجد هذا الموقف تقييده في نظرية التأويل الفلسفية التي يمكن اعتبارها الخليفة الرومانسي للبلاغة، التخصص التأسيسي للتعامل مع النصوص<sup>(١٧)</sup>.

ويعود بنا العامل الأخير الذي علينا دراسته إلى نقطة انطلاقنا، إلى وردزورث، والقيمة الكبيرة التي يوليها "لغة الطبيعة الواقعية". ومع مجيء السبعينيات من القرن الثامن عشر كانت قيم الطبيعة (الخلو من الزينة الفنية) والبدائية التي قننها إدوارد يونج بفاعلية كبيرة في صعود بلغ من العلو وبخاصة في البلاد التي تتكلم الألمانية درجة تعديل المعيار الأدبي الكلاسيكي. ومن المؤكد أن الشخصية المحورية في هذا الصدد كان هرذر الذي زعم في مناقشته لما سماه "الشعر الشرقي" ليس الشعر بل الطبيعة، عالم الانفعال والفعل بأكمله الذي يكمن داخل الشاعر الذي يجاهد ليخرجه من ذاته هو

(16) See Niklas Luhmann, 'The work of art and the self-reproduction of art', *Thesis eleven* 12 (1985), pp. 4-27.

(17) See Glenn W. Most, 'Rhetorik und Hermeneutik: zur Konstitution der Neuzeitlichkeit', *Antike und Abendland* 30 (1984), pp. 62-79.



ماله تأثير . واللغة ليست إلا مجرد قناة والشاعر والحق مجرد مترجم أو بدرجة حرفية أكبر جالب للطبيعة إلى نفس وقلب إخواته<sup>(١٨)</sup>. ومن الواضح أن مثل هذا التصور للشعر الأصيل لا يترك مجالاً للاختبارات المحسوبة ببراعة والمحسنات المحكمة عند الشاعر المحنك بلاغياً. ولهذا السبب تبعاً لهردر تكون ثقافته الألمانية التى طال تعلمها على مقررات التصنع التى سيسميها وردزورث فيما بعد "الألفاظ الشعرية" (أو القاموس الشعرى) تواجه صعوبة كبيرة فى استدعاء شعر الطبيعة. وقد يلاحظ فيما يتعلق بترجمته "لنشيد الإنشاد" عاملاً إضافياً مؤداه أنه ما من شىء أكثر اختلافاً من الشعر واللغة والحب عند الشرقيين وعندنا (*Sammtliche Werke VIII 534*)، وهو يفسر هذا الاختلاف بملاحظة : سأوشك أن أدعى ترجمة لثغات طفلى وهديل الحمامة القمرية إلى اللغة الخطابية لشيشيرون بحيث يظل كل منهما على ما هو عليه" (نفس المصدر). ومن ثم تصبح مهمة الشاعر أن ينهل من المنابع الداخلية لتجربته المعيشة وأن يشكل تلك على نحو تلقائى فورى بقدر الإمكان. وتصير اللغة اللابلاغية للطبيعة والطفل والشعراء الشعبيين غير المتعلمين النموذج الإرشادى الأسلوبى الممتاز، فلا يعود الشعر يعتبر فناً قابلاً للتعلم بل موهبة فطرية (عبقرية).

ومن الصعب تخيل رفض شامل لمعتقدات المذهب البلاغى الكلاسيكى يصل إلى هذا المدى. ومع ذلك فإن الولع بالأصل الذى يؤسس أحد أحجار الزاوية فى الرومانسية عمومًا يكشف عن إمكان بلاغة جديدة: "كلمات الطفولة، رفاق لعبنا الأول فى فجر الحياة التى شكلت بها روحنا بأكملها نفسها - كيف يمكن أن نخفق فى التعرف عليها والاعتراف بها، كيف يمكن أن ننساها على الإطلاق؟ إن لغتنا الأم كانت فى الوقت نفسه أول عالم رأيناه، وأول إحساسات شعرنا بها، وأول فاعلية وسعادة تمتعنا

(18) Johann Gottfried Herder, *Sämmtliche Werke*, Bernhard Suphan (ed.), Berlin: Weidmann, 1877-1913, viii: 340.

بها"<sup>(١٩)</sup>. وعلى وجع الدقة صارت عملية تشكيل الذات والعالم المطروحة في هذه الفقرة الرائعة من جانب هرذر المجال الصحيح للبلاغة الرومانسية. فلم يعد هدف النظرية البلاغية الرومانسية إقامة قواعد تحكم تحقيق تأثير اتصالي ما، بل كشف الإجراءات التى تسبق الفن المحكم ومع ذلك تتمثل فى كل فن باعتبارها التى تؤسس التجربة الإنسانية والتى هى قوام تلك التجربة كلها .

وبكل تأكيد يعد " نقد الحكم " (١٧٩٠) لكانط نصًا حاسمًا فى تقييم التحويل الرومانسى للبلاغة، فهو ليس مجرد أحد النصوص المرجعية المهمة لكل نظريات الفن الرومانسية، بل هو أيضًا كما أسلفنا نص يرفض صراحة البلاغة بالمعنى التقليدى لفن الخطابة. وبالتالي يمكننا "نقد الحكم" من أن نلاحظ بوضوح تام كلا من السقوط التاريخي للمذهب البلاغي وانبثاق معنى معدل للبلاغة. وسبب رفض كانط للبلاغة هو ببساطة أن البليغ يستعمل تقنيات الشعر لغرض إقناع السامع بقضية ذلك التبليغ. لذلك فإن أحد مقومات تلك الحجة هو الإقرار بقرابة (تجانس) بين الشاعر والبليغ بمقدار ما يستخدم كلاهما (إن صح القول) تقنية بناء التصور المثالي لبث الحياة فى نفس المتلقى من خلال إنتاج "مظهر جميل". ولكن الشاعر ينتج هذا المنظر كهدف فى ذاته وليس وسيلة لغرض خارجي. وفضلاً عن ذلك فإن هذا العرض "الأمين المخلص" للمظهر له ميزة إضافية هى تناغمه مع الفهم بحيث يكون ما هو معروض بوصفه لعباً للخيال ممتعاً فحسب يحفز مع ذلك نشاط الملكات الأعلى. ولكن البليغ يستعمل المظهر الجميل كأداة للخداع بمقدار ما يسعى إلى تحقيق التمسك بوجهة نظر عملية من جانب السامع. وحتى إذا تصادف أن وجهة النظر هذه (مثل الالتزام بمسار معين من الفعل) كانت حسنة فى ذاتها فإن حثها البلاغي يظل مستحقاً للإدانة بمقدار ما يتبنّاها السامع. لا لأنها خيرة بل بسبب فتنة المظهر. فقصور فن البلاغة (تقنيته) ليس

(19) Johann Gottfried Herder, *Abhandlung über den Ursprung der Sprache: Text, Materialien, Kommentar*, Wolfgang Proß (ed.), Munich: Hanser, 1978, p. 89.

راجعاً فحسب إلى استعداده الكامن لمثل إساءة الاستعمال هذه، بل أيضاً لتشوش الأذهان ولترويج غايات فاضحة الشر كما ذهبت مرجعيات التتوير النقدية للبلاغة لبتداء من بكون. وحتى إذا سعى رجال البلاغة جميعاً إلى توصيل آراء صحيحة وإلى إقناع سامعيهم بأن يفعلوا ما هو صائب وحتى إذا كانت سجيبتهم الأخلاقية ناصعة النقاء فسيكون مشروعههم رغم ذلك عرضة للمواخذة لأنهم يسعون إلى تحقيق شىء ما - أى شىء - بالبلاغة. فالخطاب الإنسانى الجاد المتجه نحو تحقيق أهداف يجب أن يعتمد على التدليل العقلى السليم، لذلك فإدخال جاذبية المظهر مكان المبررات العقلية هو تقليل من قيمة الحرية الأخلاقية للمتجاوزين. وإساءة الاستعمال التى يهاجمها كانط هنا ليست عرضية، بل هى قاطعة التحدد - هى السوء من حيث المبدأ - وبهذا المعنى فإن حجته علامة على وقفة تاريخية. فمذ أرسطو كان الافتراض المسبق بأن فن البلاغة أساسى للتداول والتروى فى الشؤون العملية حيث لا تسمح المعرفة المحدودة وضغط الحاجة بقرارات ذات نظر فلسفى حقيقى إلى القضايا، كان هو مبرر إضفاء الشرعية الأول على البلاغة. وقد أزال كانط أساس هذا الإضفاء بادعاء أن البلاغة بسبب أنها تستخدم عملياً تكون ضارة أخلاقياً<sup>(٢٠)</sup>.

وحتى عندما يستهجن نقد الحكم الإقناع البلاغى (الخطابى) فهو يكشف عن إمكان بلاغة جديدة، بلاغة ما سأسميه "عرض تصوير" الفكرة. ويشير هذا المصطلح إلى العملية التى من خلالها يتم أداء المفاهيم فى هيئة حدسية (إدراكية حسية أو متخيلة) مرتبة العناصر، ويمكن أن يحدث ذلك بطريقتين. ففى حالة المفاهيم التجريبية (الإمبريقية) تشكل المخيلة المادة الحسية وفقاً لقاعدة أو مجموعة من القواعد يحددها المفهوم. ويسمى كانط هذا العنفود من القواعد الخاصة بالتصوير الحدسى للمفاهيم التجريبية رسماً تخطيطياً schema، وتتوسط الرسوم التخطيطية بين المفهوم اللاحدى والحدوس وينتج فى تلك العملية عرضاً حدسياً للمفهوم. بيد أن هناك مفاهيم لا تخضع

(٢٠) كل الاقتباسات فى هذه الفقرة من كتاب إمانويل كانط، نقد الحكم : Kritik der Urteil

لذلك التصوير بواسطة الرسوم التخطيطية لأنها لا تملك أمثلة فى مجال التجربة الإمبريقية، وتلك هى أفكار العقل. وعلى الرغم من أن هذه الأفكار (مثل الحرية الأخلاقية) لا تملك تطابقاً مع موضوعات إمبريقية فإنها قابلة للعرض على نحو غير مباشر عبر ما يسمه كانط "رموزاً". إن الرمز يقدم عرضاً غير مباشر فى ترتيبه الداخلى يحدث على شكل من التفكير يحمل تماثلاً بنيوياً مع شكل التفكير المطلوب لإمعان النظر فى الفكرة. ولتأخذ أحد أمثلة كانط : إن دولة ملكية يمكن تمثيلها كجسد تحركه النفس حينما تحكم تبعاً لقوانين يصوغها الشعب، أو كمجرد جهاز ميكانيكى، كمطحنة بن حينما تحكمها إرادة مطلقة تتفرد بالسيادة. وفى كلتا الحالتين يجرى تمثيل الدولة من خلال تمثيل بواسطة رسم تخطيطى (الجسد أو المطحنة)، ولكن هذا التمثيل بالرسم التخطيطى لا يؤخذ باعتباره تمثيلاً مباشراً. وبالأحرى فإن العلاقات الداخلية بين مكونات الرسم التخطيطى تسقط على الفكرة الممثلة بالفعل. الرسم التخطيطى لمطحنة البن يقدم لنا مطحنة البن وحدها، ومطحنة البن كرمز يقدم لنا فكرة الدولة المطلقة كشئ ما يدفع إلى الحركة بواسطة إرادة من يقوم بتشغيلها كامل السيادة. ويشير إلى الفئة التى يُدرج تحتها كل من العرض القائم على الرسم التخطيطى (المباشر) والعرض الرمزى (أو غير المباشر). لقد أدخل كانط مصطلحاً من النظرية البلاغية التقليدية هو الإدراج تحت نموذج تقريب البعيد واستحضار الماضى hypotyposis بقصد حيوية التأثير. ويشير المصطلح إلى الإنجاز الأسمى للبليغ أى مطابقة الأسلوب لمقتضى الحال، فى صياغة تمثيل قادر على إدخال الموضوع فى ذهن السامع بقوة تجعله يزاول تجربته كما لو كان أمام عينيه. ويثير استعمال ذلك المصطلح البلاغى عالى الشحنة الدهشة نظراً لرفض كانط للفن الخطابى الذى ناقشناه فيما سبق لأنه يبلغ درجة توسيع ضخم لمجال البلاغة. وكانط يتصور فعلاً حتى إدراكنا الحسى المعتاد وتسميتنا وتحديدنا للعالم باعتبارهما إجراء بلاغياً (بمعنى إجراء للعرض). والتجربة نفسها حتى فى أوج صيغتنا التخطيطية أو المباشرة هى نتاج بلاغى تخيلى (إبداعى) فلا يوجد

عروض محايدة أو حرفية. وما يميز الرسم التخطيطي من الرمزي ليس أن الرمزي بلاغى والتخطيطي يكون المقصود كلا من خصائص الشكل والمضمون في العرض، على حين أنه في نموذج التقريب الخاص بالرمز تقوم ملكة الحكم بتجريد خصائص شكلية محددة وإسقاطها على موضوع غير متاح حدسياً .

ويلاحظ كانط بعد ذلك أن لغتنا حافلة بعروض رمزية بما فيها مصطلحات مهمة فلسفياً مثل أساس معتقد ground و"يعتمد على" و"ينتج عن" والجوهر substance (القائم بنفسه، حامل الأغراض)، والخطر المائل في هذه المصطلحات والكثير من المفاهيم الدينية الرئيسية، أنها تؤخذ جميعها بسهولة على أنها مفاهيم رسوم تخطيطية، عروض مباشرة، وليست غير مباشرة. وهذا الاختلاط في الإدراج تحت نموذج hypotyposis يختزل أفكار العقل، ومن ثم الذات العاقلة الحرة، إلى منزلة موضوع إمبيريقى. ولكن هدف كانط من إدخال تصور العرض الرمزي ليس نقد إضفاء طابع الموضوع إضفاء كاذباً (التشبيء)، بل لقد كان دعوى كانط هي أن الجميل رمز - بالمعنى الذى حددناه هنا - للخير الأخلاقى. وهكذا تكون نظرية كانط في الفن كما جاءت في "نقد الحكم" هي نظرية بلاغية ولكن ليس بمعنى بلاغة الإقناع التقليدية، بل بمعنى عرض بلاغى، إدراج تحت نموذج التقريب والاستحضار hypotyposis. ففي الجميل تقدم حريتنا الأخلاقية التى لا يمكن التفكير فيها بوضوح على نحو آخر كما لو كانت حاضرة على نحو حدسى لأن شكل التفكير الذى يستدعيه الموضوع الجميل يناظر شكل التفكير الذى يتطلبه الخير الأخلاقى<sup>(٢١)</sup>، وقد روج الرومانسيون لملاحظة كانط التحذيرية عن أن الكثير من المصطلحات الفلسفية الحاسمة هي مصطلحات رمزية غالباً ما تختلط بتمثيلات رسوم تخطيطية ورفعوها إلى مستوى مشكلة أساسية !

(٢١) نظرية الإدراج لنموذج التقريب والاستحضار بشقيه الرسم التخطيطي والرمزي الواردة هنا قدمها كانط في كتابه نقد الحكم، ص ص ٢٩٤-٩٠، الفقرة ٥٣ بالألمانية. انظر لمناقشة تفصيلية لأراء كانط في البلاغة :

Rodolphe Gasché, 'Überlegungen zum Begriff der Hypotypose bei Kant', Christiaan L. Hart Nibbrig (ed.), *Was heißt 'Darstellen'?*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1994, pp. 152-74.

ويحدث هذا بسبب تركيز الاهتمام في بنية الوعي الذاتى الذى - تبعاً لفيلخته - اعتبر الأساس المنشئ في أصل كل تجربة. وحينما يكتب فيخته "أنا أعتبر المخيلة القوة الحية والفاعل الأول لكل الإدراك الحسى الإنسانى وكنكرار فى الذهن المتناهى لفعل الخلق الأبدى اللامتناهى فى أن أكون (أنا موجود) (السيرة ١ : ١٦٧).<sup>(٢٢)</sup> فإنه يشير إلى أطروحة فخته القائلة بأن الفعل البدائى الذى يجيء بالعالم هو وضع الأنا المطلق من ذاته (النشاط الخالص للأنا). ولكن لكى نرى الصلة الأساسية لهذه الأطروحة بالبلاغة يجب أن نتحول إلى أعمال فريدريش فون هاردينبرج (نوفاليس). ففي "أساس مذهب العالم بأكمله" حاول فخته أن يبين أنه حتى مبدأ الهوية (أ = أ) الذى يركز عليه كل الاستقصاء العقلى يفترض مسبقاً هوية الأنا مع نفسه التى يمكن التعبير عنها فى الصيغة "أنا = أنا"، أنا هو أنا"<sup>(٢٣)</sup>. وهذه الصياغة للهوية الأساسية للأنا مع نفسه هى بدقة ما حصل عليه نوفاليس فى ملاحظته عن فخته :

"فى القضية أ هى أ لا يوجد شئ إلا عملية الوضع والتمييز والربط. إنها تواز فلسفى. ولكن تجعل أ أكثر تميزاً يجرى قسمتها. والرابطة هى (تكون فى اللغات الأوربية) تقال باعتبارها المضمون الكلى، و أ هى الشكل المتعين فجوهر الهوية لا يمكن إقامته إلا فى قضية تماثل (مظهر) *semblance-proppsision* نترك ما هو متماه لكى نعرضه (104 : 11, Schriften)، والمغزى الفلسفى لملاحظة نوفاليس هو أن كل مسعى لعرض التماهى الذاتى الخالص بين الأنا ونفسه يخفى تلك الهوية تحت مظهر كاذب. ولكن الزعم الأكثر استرعاء للنظر من وجهة نظر البحث الحالى هو أن

(22) For Fichte's influence on Coleridge, see Kurt Müller-Vollmer, 'Fichte und die romantische Sprachtheorie', in Klaus Hammacher (ed.), *Der transzendente Gedanke: die gegenwärtige Darstellung der Philosophie Fichtes*, Hamburg: Felix Meiner, 1981, pp. 442-61.

(23) Johann Gottlieb Fichte, *Grundlage der gesamten Wissenschaftslehre*, ed. Wilhelm G. Jacobs, Hamburg: Felix Meiner, p. 14.

الشكل القضى (نسبة إلى قضية منطقية) لمثل هذه العروض التى تغير الشكل هو التوازى أى رسوم تخطيطية شعرية بلاغية مبنية على مضاعفة الحدود أو وحدات التركيب التعبيرية<sup>(٢٤)</sup>.

وهذا يعنى أن إجراءً بلاغياً لا معدى عنه يباعد بين الوعى الذاتى ونفسه فى صميم الفعل الذى من خلاله يحاول استيعاب نفسه، وبطبيعة الحال كان كائن قد دلل على أن المخيلة هى الملكة التى من خلالها يتم إنتاج كل العروض سواء أكانت رسوماً تخطيطية أو رمزية باعتبارها اندراجاً تحت نموذج التقريب والاستحضار. ولكنه مع ذلك اعتبر أن من الممكن الفصل بين هذين الشكلين من العرض وتجنب المزلق التى تنصبها للمعرفة. وحجة نوفاليس تقبل هذا التعميم للبلاغى لكى يشمل كل أشكال العرض المتخيل ولكنه فى الوقت نفسه يفرض عليه نبرة نقدية. إن الطابع البلاغى للمحيلة الذى لا يقبل اختزالاً يدخل عنصراً من الخداع فى كل منتجاتها. "وفى هذا المجال لا يمكن تجنب خداع المخيلة أو التفكير فى العرض" (Schriften, II: 122).

وينقلنا مسار التطور النظرى الموضح هنا فيما يتعلق بكائن ونوفاليس إلى إحدى بؤر البلاغة المحولة التى أنتجت الرومانسية. فإذا كان غرض الفن الشعرى تقديم منفذ إلى "فعل الخلق الأبدى فى "أنا أكون" للامتأهى"، كما ذهب كوليريدج، أى بكلمات أخرى إذا كان غرض الفن الشعرى هو عرض حرية الذاتية المطلقة فإن هذا المشروع من المحتم أن يكون محكوماً عليه بالفشل بمقدار ما تكون كل هذه العروض منجزة من خلال إجراءات بلاغية تخون أو تشوه هذه الحرية ذاتها. فالأنا المطلق ليس أمامه بديل إلا أن يوضع نفسه بلاغياً مع أنه لا يستطيع أبداً أن يتطابق مع أى تموضعات بلاغية. وحل استدلال الإحراج هذا هو اختراع مفهوم يعطى النظرية الأدبية

(٢٤) حول سيادة تصور التوازى والأشكال المجازية المتصلة بالمضاعفة فى النظرية الأدبية الرومانسية انظر :

Winfried Menninghaus, *Unendliche Verdopplung: die frühromantische Grundlegung der Kunsttheorie im Begriff absoluter Selbstreflexion*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1987.

الرومانسية علامتها المميزة المفردة، مفهوم ينبثق كما في حالة استعمال كانط لمصطلح "الإدراج تحت نموذج القرب والاستحضار *hypotyposis* من خلال توسيع وتعميق تصور بلاغي موروث. ففي المذهب البلاغي التقليدي يشير المصطلح "مفارقة" إلى سمة مميزة للمفردات المفردة التي من خلالها يقال شيء ما ويكون المقصود عكسه. وبهذا المعنى تشير المفارقة إلى وعي مزدوج من جانب المتكلم والمتلقى؛ إدراك للمعنى الواضح المستقيم أو الظاهري للمفرد القائم على المفارقة من جانب والمعنى المقلوب التهكمي من جانب آخر. والخطوة التي خطاها الرومانسيون هي تعميم ذلك الوعي المنشطر، وتصوره لا كسمة مميزة لعبارات جزئية، بل كبنية تنفّس متخللة النص بأكمله. ويرى فريدريش شليجل المنظر الناب للمفارقة الرومانسية هذا الوعي المعم المتصف بالمفارقة الفلسفية بهذه الطريقة، والشعر وحده هو الذي لا يحصر نفسه في فقرات مفارقة معزولة<sup>(25)</sup>. بيد أن المسألة الحاسمة في إعادة الصياغة الرومانسية لمفهوم المفارقة هي جانب الطريق الانعكاسية التي تمكن المفهوم من أن يعمل كحل لإخراج التوضع البلاغي. فالمفارقة الرومانسية هي إدراك ما بعد بلاغي منقوش في صميم بنية النصوص الشعرية، إدراك يتجاوز الصياغات البلاغية من الدرجة الأولى (تصنيف يعلو الأفراد فحسب) للنص من خلال نفى نقدي لطابعها البلاغي؛ وفيما يسميه شليجل "تناوباً دائماً بين خلق الذات وإفناء الذات" (ص ١٥١) فإن الذات الشعرية تموضع نفسها بلاغياً وفي الوقت نفسه تتجاوز هذا الموضع. فالمفارقة الرومانسية هي عرض الذاتية بوصفها تلك التي تتخلص من العرض.

وفكرة أن ذاتية المفارقة تفصل نفسها عن تموضعاتها البلاغية من الدرجة الأولى لكي تشير إلى بلاغية تلك الت موضعات قد تم اقتناصها في صياغة مبكرة عند فريدريش شليجل: "المفارقة هي التعليق الجانبي *Parabasis* الدائم (85: xvii). وهذا

(25) *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, ed. Ernst Behler with the collaboration of Jean- Jacques Anstett, Hans Eichner, et al., Paderborn: Schöningh, 1958-, ii: 152.



المصطلح مستمد من تقليد الكوميديا الكلاسيكية ويشير إلى شق الإبهام الدرامي من خلال خطاب إلى المشاهدين. وهذه الممارسة المسرحية تجسد الطابع المزدوج لوعي المفارقة بمقدار ما تبنى كتعليق على التمثيلية مؤلف من داخل العالم الدرامي. ولكن ينبغي ألا يفترض المرء على أساس ذلك التعريف أن المفارقة لا توجد إلا حينما تستخدم مثل هذه المخاطبات الصريحة الموجهة إلى النظارة أو القارئ. فالعنصر الأساسي في تعريف شليجل هو بالأحرى الدعوى بأن التعليق الجانبي *parabasis* في المفارقة هو تعليق دائم، أى أنه يتقش متخللاً النص بأكمله حتى تلك الأقسام التي لا يقدم فيها تعليق صريح من جانب المؤلف. وتشهد على ذلك مثلاً دعوى شليجل في محادثة حول الشعر بأن أعمال سيرفانتس وشكسبير تتميز بـ "تشوش مرتب بمهارة، هذا التماثل الفائق للتناقضات، هذا التناوب الدائم على نحو مدهش بين الحماسة والتهكم الذى يحيا حتى فى أصغر أجزاء الكل ( *Kriritische Friedrich schlegel Ausgabe*, 31819: 11). وهنا يحقق التحويل الرومانسى للبلاغة الذى نتبعه أشد صياغاته تطرفاً؛ المفارقة باعتبارها وعياً ما بعد بلاغى يجرى إعادة تصويره باعتباره البنية الحقيقة الأصلية للأدب (أو الشعر). والنتيجة التاريخية لإعادة التصور هذه هى فصل الشعر عن تقليد المذهب البلاغى الذى قدم أدوات النظرية الأدبية منذ العصور القديمة، ثم إقامة تحالف بينه وبين الفلسفة. وفى الحقيقة يمكن التدليل على أن القوة الموجهة الكلية لتظير شليجل والرومانسيين بقدر أعم هو تبيان العلاقة الداخلية والنسقية بين الفلسفة والأدب. وبناء على ذلك أدخل شليجل فى صياغة شهيرة التحويل الترانسندنتالى فى الفلسفة الذى بدأه كانط فى أصل فكرة العمل الشعري: "هناك نوع من الشعر توجد ماهيته فى العلاقة بين المثالى والواقعى، والذى ينبغي لذلك بواسطة التماثل مع المصطلح الفلسفى أن يسمى الشعر الترانسندنتالى (ص: ٢٠٤) .

وعند كانط يشير المصطلح "ترانسندنتالى" إلى نمط من البحث موجه لا إلى الموضوعات الخارجية بل إلى شروط إمكان معرفة مثل هذه الموضوعات. لذلك

فالشعر الترانسندنتالي هو الذى يعرض المنتج بمحاذاة مع المُنتَج أى أنه (فى الوقت نفسه شعر وشعر الشعر - المصدر نفسه). ويشخص ذلك التحول الانعكاسى بدقة تصور شليجل للمفارقة الرومانسية (المصدر نفسه)، فمع الرومانسية أُعيد تصور العمل الشعرى بوصفه بلاغة ترانسندنتالية، نمطاً من استعمال اللغة ينتج فى الوقت نفسه تموضعاً بلاغياً للذات والعالم كما يمعن النظر فى نحو نقدى فى تلك التموضعات وبذلك يتجاوزها. وكما ذكرنا فى البداية، كان أحد العوامل الثقافية التى أسهمت فى موت البلاغة التقليدية هو بزوغ الوعى التاريخى عند نهاية القرن الثامن عشر. وفى نظرية المفارقة الرومانسية أصبحت هذه الصلة بين الوعى التاريخى والتحويل الرومانسى للبلاغة واضحة بقوة. ففكرة أن الأعمال الأدبية ليست تاريخية لمجرد أن لها موضعاً فى الزمان فكرة زائفة؛ فالطابع التاريخى باطن فى بنيتها. ويكلمات أخرى فإن مفارقة العمل تسم نقص تمامه وبذلك تضع العمل داخل نطاق البعد التاريخى لما يسميه شليجل متابعاً كوندورسيه (القابلية) اللامتناهية للتمام (الاكتمال)<sup>(٢٦)</sup>. ويصدق ذلك حتى على الأعمال الكلاسيكية التى يعتبر شليجل منزلتها كمعايير بلا زمان إنجازاً نسبياً، فهى تحقق اكتمالاً تمهيدياً فحسب. ومن ثم نصل إلى تصور شليجل للنقد، فمهمته ليس قياس العمل بالنسبة إلى مقياس صحيح يتصف بالشمول والعالمية، بل إكمال العمل بتحديد التباين بين مثاله الأعلى الفريد الخاص وبين تحققه الفعلى. فالنقد هو تحرك (تفعيل) الطاقة الكامنة للمفارقة داخل العمل نفسه فى لغة استدلالية انعكاسية (تجعل لغة العمل موضوعاً لتأملها)، أى تجاوز العمل فى الاتساع يُسبغ عليه الطابع التاريخى بواسطة إعادة إدماجه ضمن السياق التاريخى للقابلية اللامتناهية للاكتمال. ومن ثم يحول النقد موضوعات استقصائه إلى أعمال رومانسية: "إن النوع الرومانسى من الشعر ما يزال فى حالة الصيرورة، فهذا فى الحقيقة، فينبغى أن يظل دائماً فى

(26) See Ernst Behler, *German Romantic literary theory*, Cambridge University Press, 1993, pp. 65-71.

صيرورة لا تكتمل نهائياً. فلا يمكن استنفاده بواسطة أى نظرية، ولن يتجاسر إلا نقد حدسى تكهنى، على تحديد سمات مثله الأعلى. ( Kritische Friedrich. Schlegel )  
(Ausgabe 11: 183)

ويجد التصور القائل بأن التكوين البلاغى للنص الشعرى يتضمن صراعاً داخلياً وبأنه من خلال هذا الصراع يطلق سراح اللامتناهى، صياغة فريدة متينة التدليل العقلى فى نظرية هولدرلين عن الألوان النغمية الشعرية<sup>(٢٧)</sup> poetic tones. ويفرق هولدرلين بين ثلاثة ألوان نغمية، الساذج والبطولى والمثالى، ويبدو مقبولاً أن ذلك التمييز يتضمن تحويلاً للتمييز البلاغى التقليدى بين مستويات الأسلوب. وعلى أى حال ليست المسألة الحاسمة هى أن المذهب التقليدى أعيدت صياغته بلغة جماليات ما بعد كانط (على الرغم من أن مصطلح "الساذج" على الأقل وربما "المثالى" كذلك مستمد من شيللر)، بل إن التمييز لم يعد يشغل على التفريق بين الأنواع. فكل الألوان النغمية الثلاثة تعمل فاعلة فى النص الشعرى، متتابعة ومجموعة بطرق متعددة تبعاً للمقصد الشامل للقصيدة. فضلاً عن ذلك فهى تعمل على مستويين : مستوى العرض أو اللغة (كما تسمى "لطابع الفنى") فى النص، ومستوى الموقف الذاتى، المعالجة الذهنية" أو "اللون النغمية الأساسى" أو المزاج (الحالة الشعورية)، وهو ما يقع فى أساس الطابع الظاهر للنص. ويستند الجهاز التقنى المحكم الموسع الذى طوره هولدرلين - وهو هذا الجهاز بين المساعى النظرية المعاصرة له - أكثرها تقنية وتروياً، وبهذا المعنى أقربها إلى البلاغة التقليدية على حقيقة أن المستويين فى حالة صراع لا يمكن اختزاله. ولا توجد قصيدة خالصة النقاء بمعنى أن لغتها ومعالجتها الشعورية (اللون النغمية الأساس أو مزاجها) يتطابقان. بل بالأحرى يظل البعدان فى توتر دائم، وهذ التوتر هو الذى

(٢٧) يناقش مقال هولدرلين Über die Verfahrensweisw des poetischen Geistes نظرية الألوان النغمية بأعلى درجات الشمول فى :

Friedrich Hölderlin, *Sämtliche Werke. Große Stuttgarter Ausgabe*, Friedrich Beißner (ed.), Stuttgart: Kohlhammer, 1843-85, n-i: 241-65.

يدفع القصيدة إلى الأمام حتى تصل إلى ذروتها الصراعية إلى تحول أو انقلاب (نوع من التغير المفاجئ إلى الضد *peripetria*)، حيث يتم تعليق البنية القائمة على التضاد فى وضع الانسجام، وعند هذه النقطة من التضاد المنسجم، يمكن الشعور بالروح فى لا تناهيها (ص ص ٢٤٩ - ٥٠). ومن الواضح أن هذا التصور متشابه فى الطبيعة مع فكرة شليجل عن المفارقة ولكنه يختلف عنها فى أنه يتفهم إطلاق سراح الروح باعتباره لا يحدث من خلال عملية نفى دلالى (للمعنى)، بل نتيجة لديناميات الإيقاع والشكل التى تتفتح وتبسط أطواءها فى القصيدة. والحل القائم على المفارقة لمشكلة الشكل لعبوب وانعكاسى. أما تصور هولدرلن بالمقارنة فهو متشدد وتراجيدى فى النهاية. وبلاغته المحولة على الرغم من أنها متجذرة بكل تأكيد، مثل بلاغة شليجل فى مثالية فيخته، فإنها بلاغة التناهى التى تقيس المسافة بين الكلمة الإنسانية والإلهية .

وربما كان التحول الترانسندنتالى والتاريخى للبلاغة الذى عرضناه هنا فيما يتعلق بالمفارقة الرومانسية هو أفضل المكونات المعروفة للنظرية الأدبية الرومانسية. ولكن البلاغة فى شكلها التقليدى كانت أيضًا نظرية فى العلاقة بين اللغة والانفعال *emotion* والمعاناة *passion* (العاطفة المشبوبة) والأثر الوجدانى *affect*. ويتطلب عرض التحويل الرومانسى للبلاغة أن ندرس بعد النظرية البلاغية الرومانسية أيضًا. وتقليديًا كانت مهمة الخطيب متصورة باعتبارها إحداث أثر وجدانى فى السامعين، أى "تحريكهم"؛ ويتحقق ذلك بحفز تلك العواطف وحدها التى يرغب الخطيب فى إيقاظها. وطاقمة المتكلم على المحاكاة وقدرته على أداء تلك الانفعالات هما ما يمكنه من استثارة هذه الانفعالات نفسها فى السامعين. وهذا التفعيل النافذ للعاطفة المشبوبة أو الأثر الوجدانى حوله الرومانسيون إلى علاقة أكثر ابتعادًا عن الحالة الوجدانية كما يوضحه تعريف وردزورث الشهير : كنت قد قلت إن الشعر هو التدفق الغامر التلقائى لمشاعر قوية. فهو يستمد أصله من انفعال يسترجعه الشاعر فى حالة هدوء ويتم التأمل فى الانفعال حتى تختفى حالة الهدوء تدريجيًا بواسطة نوع من رد الفعل، ويتم تدريجيًا إنتاج

انفعال مشابه لذلك الذى كان من قبل موضوعاً للتأمل، هو الذى يوجد بالفعل فى ذهن (أعمال نثرية 1: 148, *prose works*). فالانفعال الذى يستدعى الشاعر تدفقه الغامر داخل نفسه ليس هو الحركة الوجدانية المعيشة بالفعل، بل هو انفعال يُصاغ داخل حالة هدوء موقف تأملى. إنه انفعال تبطل حدته المسافة الزمنية للاسترجاع (التذكر)، انفعال تم جمعه وتكثيفه فى غياب الوضع المعيش الذى أنتجه بالفعل. وداخل هذا الإطار المهدئ يستدعى التأمل تجربة ذهنية للعاطفة التى يمكن أن يقال عنها إنها العاطفة أو الانفعال فى شكله المطهر. ومهمة الشاعر إذن هى تقديم منفذ إلى العاطفة على هذا النحو بحيث يتم الشعور بها من خلال مرشح المسافة التأملية. ونتيجة تلك السيورة هى "أن فهم الكائن الذى نخاطبه بأنفسنا يجب ... بالضرورة أن يصير بدرجة معينة مستتيراً، وأن يصير نوقه رقيقاً ووجدانه محسناً" (ص ١٢٦). فالمهمة البلاغية هى رفع مستوى الوجدان لا إثارته .

ويطابق تفسير وردزورث للبعد الوجدانى للبلاغة الشعرية الميل الأساسى لدى النظرية الأدبية الرومانسية بمقدار ما تعلق من قيمة حرية إمعان الفكر. إلا أن الأهمية النظرية لدعواه توجد فى حقيقة أنها تتبع تلك المسألة داخل نطاق يتحدد موقعه تحت مستوى الفكر المعتمد، ويمكن القول إنه ناطق لا يستطيع النفاذ إليه نقد الذات المرتكز على المفارقة. ويتضح ذلك بواسطة حقيقة أن إنتاج الانفعال الشعري داخل نطاق الذات المتأملية يحدث من خلال سيورة يطلق عليها وردزورث اسم "توع من رد الفعل" ويحددها فى فقرة أخرى باعتبارها متجذرة فى "حساسيتنا العضوية"، وهى دائرة تتم فيها الطاعة العمياء "لعادات الذهن" ألياً (المصدر نفسه). وستبدو لغة العادة العمياء الميكانيكية، ورد الفعل الآلى غير قابلة للمصالحة مع تصور الحرية الفكرية التأملية كما تشكل عدم القابلية للمصالحة هذه على وجه الدقة والإثارة النظرية (الاستفزاز النظرى) فى دوى وردزورث. ولا يمكن حل التوتر بين الدائرة الطبيعية للعادة الميكانيكية ورد الفعل الميكانيكى ودائرة الحرية الفكرية إلا فى إنشاء نظرى يضم هذين المجالين.

فالمطلوب هو بلاغة أنثروبولوجية للانفعالات توجه اهتمامها إلى ما يسميه ورنزورث "حساسيتنا العضوية".

وبالفعل فقد تم صقل مثل هذا التحويل الأنثروبولوجى للبلاغة فى "خطابات حول الشعر والوزن واللغة" التى نشرها أوجست فيلهلم شليجل عام ١٧٩٥؛ فهو مثل ورنزورث ينسب الفرق بين الانفعال الذى يُعانى بالفعل وتصويره وتوصيله شعريا إلى تأثير الزمن بتخفيف الحدة والإبعاد. ولكن نوع الطابع الزمانى الذى يهتم شليجل لا يتعلق بالثغرة بين الانفعال المعيش وتأمله اللاحق، ولا بزمان الاسترجاع؛ ولكنه نوع الطابع الزمانى الباطن فى الإقصاح الشعرى عن الانفعال، أى الترتيب الزمانى أو الإيقاع فى التعبير نفسه. ولأن من هذا الترتيب يقيم علاقة بين لحظة وأخرى تبعاً لقانون التكرار والتغاير فهو يتضمن مكوناً تأملياً؛ أى مقارنة مضمرة بين لحظات متنوعة. فالانفعال فى واقعته المباشرة المعيشة يستنفد نفسه فى الزمان، فهو تعبيرية خالصة لا تطبع إلا الدافع الداخلى، وهو نموذجياً نمط من الألم أو الرغبة عند منبعه .

ولكن الإيقاع هو شكل زمانى، فهو يربط كل ما هو متلاش داخل طراز. والسؤال الذى تحاول بلاغة شليجل الأنثروبولوجية أن تجيب عنه، هو كيف يكون إسباغ الطابع العقلى والتبديد والتنظيم الحر على العمليات التى تتبدى فى ربط أجزاء الأثر الوجدانى باعتباره إيقاعاً ممكناً .

وستكون الرحابة التى كان شليجل مصمماً على رفضها مؤكدة لأن الإيقاع والطرز الوزنى هما نتاج العرف - وأن الاتفاق العرفى هو وظيفة للفهم، صنيع رحلة متأخرة نسبياً من التقيف ولا يستطيع لذلك أن يفترض مسبقاً بوصفه فعلاً أثناء المراحل الأشد تبكيزاً وبدائية من التطور الإنسانى. فلا وجود لفئة اجتماعية بصرف النظر عن درجة بدائيتها لا تستخدم تعابير إيقاعية مرتبة داخلياً فى الغناء والرقص. وإذا كان الأمر كذلك كما تدل سجلات الرحالة إلى أماكن مثل أمريكا ونيوزيلاند بالفعل، فإن

أصل النظام الإيقاعي يجب أن يوضع فى عامل طبيعى أو أنثروبولوجى لا فى تقييدات عرفية مفروضة تعسفاً. وبالضبط فإن مثل هذا الأصل الطبيعى للإيقاع ومن ثم لمسافة تأملية من عبودية الانفعال. هو الذى يشكل السمة المركزية لحجة شليجل. وسبب قيامه بهذا الحجاج على النقيض من وردزورث هو أنه يرى "حساسيتنا العضوية" شيئاً مغايراً لمجموعة من ردود الأفعال الميكانيكية والعادات العمياء: إن جسمنا هو ساعة حية، وبدون تدخل واعٍ من جانبنا تحدث حركات متنوعة دائماً داخله، مثل دقة القلب والتنفس على فترات متعادلة بحيث يتجه أى انحراف عن هذا المسار المنتظم نحو الإشارة إلى خلل فى الآلة، وهناك حركات أخرى متوقفة على إرادتنا مثل المشى والكلام تقع بسهولة وخصوصاً حينما نزاولها باستمرار من تلقاء أنفسنا ودون علم منا فى طراز زمنى متعين. فإذا قمنا بالعديد من هذه الأفعال فى الوقت نفسه، مثل المشى والكلام فإن سرعة أحدها تتطابق مع سرعة الآخر ما لم نوقع الخلل عامدين فى التناظر بينهما وبهذه الطريقة نفسها فإن عدداً من الأفراد المنخرطين فى مساعٍ مشتركة يمارسون حرمة منتظمة دون أن يقصدوا فعل ذلك ودون اتفاق عرفى<sup>(٢٨)</sup>.

فالجسم بطبيعته ينظم حركاته وفقاً لطرز زمانية منتظمة، وبمقدار ما يفعل ذلك (أى بمقدار ما يكون ذاتى التنظيم) يكون الأمر استباقاً طبيعياً للحرية التأملية (بطابعها الانعكاسى)، وبهذا المعنى تهيب حساسيتنا العضوية وسائل منح التعبير الانفعالى الذى لا يكون فى الكائن الإنسانى مطابقاً فحسب للحاجات والإشباع بل يبدى طابعاً مسرفاً على نحو جوهرى، ترتيباً إيقاعياً يبطل حدة الواقع الفعلى للانفعال المعيش ويمكنه من أن يعانى (بالبناء للمجهول) بوصفه تعاقباً متشكلاً فى طراز، كشكل زمانى. فليس التنسيق الفكرى المتحصل من خلال فرض الأعراف، وليست المسافة التأملية

(28) August Wilhelm Schlegel, *Sämmtliche Werke*, Eduard Böcking (ed.), Leipzig: Weidmann'sche Buchhandlung, 1846, vii: 133.

الانعكاسية للاسترجاع، بل تلقائية التنظيم الذاتى العضوى هى مصدر الأغنية الإيقاعية.

فبفضل "قانون التنظيم" (شليجل VII: 133 *Sammtliche Werke*) الذى يميز الجسم وبعد ذلك "تتوسط الطبيعة بين الحواس والعقل" (ص ١٤٥). فالإيقاع يُدخل على احتياج الانفعال الأهوج قانون الانتظام الذى يتحكم فى الإنفاق المهدر للطاقة، والذى يفعم بالحياة ويعمل على التسكين فى الوقت نفسه. وتلك هى قوة الشعر على تحقيق الحضارة التى يسميها وريزورث "التحسين". ولكن نظرية شليجل تدرك هذا التأثير الحضارى على أسس أوسع كثيرًا. فالتناسق الداخلى بين الانفعال والإيقاع الجسدى له ملازمه (المطابق) الخارجى العملى فى تناسق التجارب الفردية المتغيرة داخل كل جمعى. "لذلك فليس من المستغرب أن الأغنية والرقصة كانتا وما زالتا روح كل التجمعات وسط الشعوب الأقل مدنية" (ص ١٥٠). وهذا التناسق الاجتماعى المتحقق "بدون قصد ويكاد أن يكون بدون عرف، والممارسات المحكمة للاستدلال. وعلى النقيض من البلاغة التقليدية التى كانت أداة نظرية لإثارة الانفعال داخل نطاق سياق اجتماعى، ترى بلاغة شليجل الأنثروبولوجية التحكم فى الانفعال داخل شكل زمانى شرط إمكان المخالطة الاجتماعية (التواصل الاجتماعى) بين الأفراد لتشكيل المجتمعات.

ويمثل اتجاهها البلاغة الرومانسية المعروضان هنا - نظرية فريدريش شليجل عن المفارقة الرومانسية ونظرية أوجست فيلهلم شليجل عن المقياس الزمانى - إسهامًا ضخمًا فى حد ذاتيهما. أما إذا كنا نريد تحقيق فهم تركيبى للتحويل الرومانسى للبلاغة فيجب أن نسأل مم تتألف الوحدة المفهومية لهذا الإسهام؟ ويومئ نص مختصر لنوقاليس معنون "مونولوج" إلى الإجابة عن هذا السؤال حيث يعرض الشاعر مفهومه عن اللغة ويجسده درامياً على نحو يتصف بالمفارقة. ويتم هجر القسمة الثنائية البلاغية التقليدية بين الأشياء *res* والكلمات *verba* تمامًا، ويعاد تصور اللغة كنسق من ألفاظ



ذاتية التحديد : الأمر مع اللغة كما هو مع المعادلات الرياضية - فهما يشكلان عالمين كل واحد منهما قائم بذاته، ولا تلعب عناصر كل منهما إلا بعضها مع بعض ولا تعبر عن شيء إلا عن طبيعتها العجيبة، ولهذا السبب تكون شديدة القدرة على التعبير وتعكس تبادل التأثير المفرد بين الأشياء (II: 672, *schriften*) وتتضمن تلك العبارة كما يشير عنوان نص نوفاليس بالمثل، أن المرجعية بمعنى الصلة مع العالم الخارجى، والتوصل بمعنى نقل الأفكار من فرد إلى آخر هما من قبيل الأوهام. فاللغة تنظم نفسها داخل نسق "مونولوجي" أحادى الكلام، لا بمعنى أن شخصاً واحداً يتكلمها بل بمعنى أنها لا تتكلم إلا عن نفسها لنفسها. كما أن البلاغة التى تريد استقصاء هذا المجال أحادى الكلام لا بد أن تكون بالضرورة بلاغة انعكاسية، ترجع إلى ذاتها (تشير إلى نفسها). ولن تكون مفاهيمها أنطولوجية (تتعلق بالوجود)، بل تتعلق بذاتها *autological*، ومجال بحثها سيشمل كل المستويات التى يتحقق فيها التكوين الذاتى. وهذه هى الحال بالنسبة لبلاغة المفارقة الترانسندنتالية باعتبارها وعياً بما بعد البلاغة (ببلاغة شارحة) وبالنسبة إلى بلاغة الشكل الزمانى كأثر من التنظيم الذاتى للجسد. فالبلاغة الرومانسية بإيجاز هى بلاغة الأنساق ذاتية الخلق الشعري، أنساق تتشكل بإقامة عرى تكرر نفسها متوالدة دون نهاية بين العناصر التى تنتجها. ومن المحتم أن مثل هذه البلاغة ستحوى ذاتها؛ أى ستفهم مشروعها النظرى كنسق ذاتى التنظيم أو بالأفاظ نوفاليس مونولوجى.



## الفصل العاشر

### المفارقة الرومانسية

بقلم: جارى هاندورك

ترجمة: إبراهيم فتحى

#### "مدخل"

تتناقض المفارقة الرومانسية، أكثر من أى عنصر آخر من الجماليات الرومانسية، الرأى الرائج السائد حول ما تعنيه الرومانسية، فالمفارقة هى الجانب الآخر من الرومانسية، المتوافق مع العقلانية لا الوجدان، مع الحساب لا العاطفة، مع التفكير فى الذات لا التعبير عنها. فالعروض التقليدية للرومانسية قد شوهدا فى الأغلب العجز عن تقرير دورها المركزى بالنسبة إلى الجماليات الرومانسية لا فى المواقع النظرية فحسب حيث يتوقع المرء أن يجدها (وعلى الأخص فى تلك النظريات الرومانسية الألمانية عند فريدريش شليجل وكارل زولجر (Solger) بل أيضًا فى النصوص الأدبية بلا عدد، التى يمكن للمرء ببساطة أن يقرأها قراءة تتجاوز حرفيتها (شعر كيتس على سبيل المثال أو فرانكشتاين لمارى شيللى). وإذا نظرنا إلى المفارقة نظرة تكوينية سنجدها تربط الرومانسية بالماضى المباشر (بشخصيات التتوير المتأخر مثل إيمانويل كانط أو ويليام جودوين) وبممثلى الإحياء اللاحق للحساسية أو نظرية المعرفة الرومانسية (رومانسية فريدريش نيتشه التى تنقد ذاتها، والنزعة الجمالية عند أوسكار وايلد وحتى النظرية والممارسة ما بعد الحداثية). وفى الحقيقة إن سلسلة نسب مدققة للمفارقة الرومانسية قد تعزز جيدًا دعوى فريدريش شليجل القائلة بأن

أوجه المفارقة التى لا يمكن سير أغوارها هى التى يركز عليها خلاص العائلة والأمم والدول والأنظمة ( *Ber die Unverständlichkeit, Kritische Ausgabe, 11, p.307* ) وإذا لم تبلغ ذلك المدى فستحقق الكثير رغم ذلك.

وعلى الرغم من أن المفارقة كان لها موقعها الملائم الحصين ضمن النقد الأدبى، فقد كانت مدرسة النقد الجديد فى الأربعينيات هى التى أعطتها موقعاً ممتازاً على وجه الخصوص ضمن الخطاب النقدي الأنجلو أمريكى<sup>(١)</sup>. وقد عبر كلينث بروكس Clinth Brooks بقوة عن الدور الجديد المخصص للمفارقة حينما وصفها باعتبارها المصطلح الأكثر عمومية لذلك الصنف من تحديد المعنى الذى تتلقاه عناصر فى سياق ما. وعند بروكس من النادر أن توجد أى عبارة "خالية من إمكان وجود مفارقة" وهى صفة واضحة على الخصوص فى الشعر حيث إن أى "عبارة" فى القصيدة تحمل ضغط السياق ويجرى تعديل معناها بواسطة السياق<sup>(٢)</sup>. فحضور المفارقة يصلح مؤشراً على الخصائص الأدبية نوعياً لنص معين، والتعرف على

(١) إن وجهات نظر مفيدة لتطور المفارقة فى النقد الأنجلو أمريكى يمكن العثور عليها فى بوصلة المفارقة لدوجلاس ميوكى ،

Douglas Muecke's *The compass of irony*, London: Methuen, 1969

وكذلك أخيلة المفارقة الرومانسية لليليان فورست:

Lillian Furst's *Fictions of Romantic irony*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1984

كما أن دراسة كلاسيكية للمفارقة قبل الرومانسية هى كلمة مفارقة وسياقاتها لنورمان فوكس.

Norman Knox, *The word 'irony' and its contexts: 1500-1755*, Durham, NC: Duke University Press, 1961.

(٢) هذه الاقتباسات تجيء من الزهرة جيدة التشكيل والمفارقة كمبدأ للبنية الأدبية والنظرية النقدية منذ أفلاطون.

*The well wrought urn*, New York: Harcourt Brace, 1947, p. 191, and 'Irony as a principle of literary structure', originally published in 1949 and reprinted in Hazard Adams (ed.), *Critical theory since Plato*, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1971, pp. 969 and 973.

المفارقة يعنى رؤية كثافة الصلات الداخلية التى تتشكل عندما يتم تعديل قوة كل عبارة أو حكم فى النص بواسطة الخطاب الأوسع الذى يوجد فيه هذا الحكم أو تلك العبارة. وعلى حين أن جميع الخطابات تبني المعنى تدريجياً بطرائق مختلفة فإن المفارقة تجلب إلى السطح الالتباسات التى يمكن أن تتجم حينما تنطبق أطر مرجعية متعددة فى الوقت نفسه على عبارة مفردة.

وبدرجة ملحوظة أعيد توجيه الاهتمام النقدي الجديد بالمفارقة باعتبارها مسألة بنية أدبية بواسطة ثلاثة أعمال ذات قدرة على التأثير والإبداع فى الستينيات المتأخرة وبواكير السبعينيات من القرن العشرين: "بوصلة المفارقة" لدوجلاس ميوكى، "بلاغة الزمانية" لبول دى مان و"بلاغة المفارقة" لوين بوث<sup>(٣)</sup>. وعلى الرغم من اختلافها فى المنهج ونقاط التأكيد، فإن الأعمال الثلاثة تشترك فى اهتمام بالأبعاد البلاغية للمفارقة التى اتجه التحليل الشكلى إلى تحييتها جانباً.، ويبدأ التحليل البلاغى للمفارقة بالإقرار بأن التعريفات القاموسية القياسية للمصطلح قول شئ وقصد شئ آخر - تخفق فى تقديم تفسير مطابق للأغراض المركبة التى قد تبثعها مثل هذه الموارد القائمة على المفارقة. لماذا لا يقال ببساطة ما يعنيه المرء أو بلغة بروكس لماذا يسمح للسياق بأن "يحرف" معنى عبارة ما بدلاً من جعل السياق والعبارة يدعم كل منهما الآخر ببساطة؟ وبطبيعة الحال كانت البلاغة الكلاسيكية قد ركزت بالتحديد على مثل هذه الأسئلة، ولكنها على نحو نموذجى قصرت انشغالها على استراتيجيات الإقناع المتضمنة فى ملفوظات مفردة. وعلى النقيض رأى ميوكى ودى مان وبوثن أن قصد موقف المفارقة يصل إلى ما هو أبعد حتى من التأثير المتراكم للمفارقات

(3) بلاغة الزمانية ظهرت وأعيدت طباعته فى "العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر" لوين بوث، بلاغة المفارقة.

*Blindness and insight: essays in the rhetoric of contemporary criticism*, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1983; Wayne Booth, *A rhetoric of irony*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1974.

الجزئية (المحلية) النافذة (المتخللة). وكموقف من العالم تقوم المفارقة بتفعيل ضمن الخطاب لأسئلة جوهرية عن نظرية المعرفة (إلى أى مدى يمكن أن نتأكد مما نعرفه؟ والأخلاق (إلى أى مدى يمكن الاعتماد على تقييماتنا للسلوك والدوافع؟).

وقد عمل ميوكى وبوث على إخضاع المفارقة للتصنيف المنظم بتمييز بين أنواعها الفرعية المختلفة. وقد أقام ميوكى تصنيفاً شاملاً للمفارقات، ولكنه أكمل مقولاته المجردة بعرض تاريخي مكتمل لما عنته المفارقة ضمن النقد الأدبي ويفحص للأغراض الفلسفية للمفارقة الرومانسية وما بعد الرومانسية. وهو يرى أن المفارقة ظاهرة جمالية أساساً، على الرغم من أنها تنبئنا إلى "التباسات الشرط الإنساني، وعلى الأصح ينبغي اعتبارها نشاطاً عقلياً بقدر أكبر من اعتبارها نشاطاً أخلاقياً (Compass, p.247). وبالمثل يقوم بوث بالتصنيف وتتطابق مقولاته إلى حد ما مع مقولات ميوكى. ولكن بوث فى النهاية أقل انشغالاً بأى أصناف من المفارقة هي الموجودة من انشغاله بما يحدث عندما نقوم بتفريغ حزمة المعانى فى خطاب المفارقة. وهذا التحليل المعرفى هو نفسه تمهيدى لدراسته للتضمنات للعملية الأخلاقية، ويعتقد بوث أن مستخدم المفارقة يحاول نموذجياً أن يقيم جماعة توافق بقيادة للجمهور من خلال عملية متشابهة من حل الشفرة تعزز إحساسها الخاص بالألمعية العقلية، وتبين أن هذه الألمعية شئ يشاطرونه مع مستخدم المفارقة يحفزهم إلى مشاركته القيم التى يدعو لها. ومن منظور بوث فإن المفارقات القابلة لاسترداد العافية، تلك التى تعالج معانى ثابتة نسبياً، محددة تحقق هذا التلاقى للمواقف بأكبر درجة من النجاح كما تحدد المعيار.

ويخلاف ميوكى وبوث يتناول دى مان صنفاً واحداً فقط من المفارقة ولكنه صنف نافذ كلى التخلل بحيث لا يستطيع المرء إلا نادراً أن يتخيل مساحات من الخطاب الإنسانى لا يؤثر فيها. وعنده تبدأ المفارقة بإقرار أن "العلاقة بين العلامة والمعنى متقطعة وغير متصلة (Rhetoric, p.209) ومن ثم فهى غير مستقرة

بطبيعتها، وينشأ هذا الموقف لأن علاقة الذات الإنسانية بنفسها أى علاقة وعيها الفكرى أو اللغوى بنشاطها العملى هى بالمثل متقطعة غير متصلة. وهذا الانفصال الفكرى لا يحدث فقط بواسطة اللغة كمقولة ممتازة، بل ينقل الذات خارج العالم التجريبي إلى عالم يتشكل بدءًا من اللغة وفى اللغة (ص ٢١٣). وعلى هذا النحو يخلق تصورنا لأنفسنا فى اللغة فجوة لن يمكن الشفاء منها بالكامل أبدًا. فلن نستطيع أبدًا مصالحة عالم اللغة - عالم الإمكان الإبداعى - مع العالم الفعلى الذى نساكنه (ص ٢١٩). وتستطيع الذات أن تعرف انعدام الأصالة هذا (الصدع فى الصدور عن الصميم Inauthenticity) ولكنها لن تستطيع التغلب عليه (ص ٢٢٢). وهكذا تؤكد المفارقة تعاقبًا زمنيًا من أفعال الوعى (سعيًا وراء كلية الذات لا "نهاية له"). (ص ٢٢٠)، أى إرجاء لا متناهياً وسعيًا وراء هوية الذات ومعناها، ينتهى إلى عواقب مزعزعة لأى موقف من مواقف الخطاب.

وعلى الرغم من أن هؤلاء النقاد الثلاثة يتكلمون عن الهوية عمومًا فإن إعادة تعريف المفارقة على نحو متوسع عندهم تشترك فى نقطة مقتسمة بينهم ؛ عن الدلالة التاريخية. فكلهم يتخذون اتجاههم انطلاقًا من مسار أعطاه للمفارقة الفكر الرومانسى، وخصوصًا بواسطة فريدريش شليجل (وحتى بروكس الذى وجد حالته النموذجية للمفارقة فى إحدى قصائد لوسى لوردزورث). كما يستخدم ميوكى ودى مان شليجل استخدامًا مباشرًا فى توسيع النطاق الفلسفى للمفارقة، ويفعل بوث المثل على نحو غير مباشر بالتعامل مع "مفهوم المفارقة" وهو مقال نقدى بحدّة لسورين كيركجور، لقراءة هيجلية للمفارقة الرومانسية. وعند ميوكى وبووث تحدد المفارقة الرومانسية النهاية القصوى لمتصل من المفارقات، مشيرة إلى أشد الأشكال ترعزًا من هذا المجاز الخاص، وعلى وجه الدقة السمات التى جعلته المعيار عند دى مان. وفى التعريفات المعدلة تتلاقى المفارقة مع اتجاه من الرومانسية عند مؤلفين من أمثال

موزيل Musil ومان وكافكا، واستكشفه نقاد كثيرون في القرن العشرين<sup>(٤)</sup>. وبدأت المفارقة تبدو ذات أهمية خاصة عند النقاد المحدثين حينما بدأت سيطرة الجمالية الواقعية في الأفول. ويرى النقاد المعاصرون مثل سابقهم من الرومانسيين أن المفارقة تطرح للتساؤل الفهم الحديث السائد لهوية الذات (وهي التسميات المميزة المتنوعة ديكراتية، إنسانية بورجوازية أو ليبرالية) أى كم تبلغ هوية الذات من التماسك؟ وأين يوجد مصدر هذا التماسك؟ ما الدرجة التي تستطيع بها الذات على الإطلاق أن تكون واعية بدوافعها وبواعثها؟ وبأى قدر من الاكتمال تكون مهيمنة على معانى كلماتها أو على عواقب أفعالها؛ أى إلى أى مدى تستطيع أن تتوقع أن تكون فاعلة بالمعنى الفلسفى؟ وبالإضافة إلى صلاحيتها لأن تكون رابطة تصل بين أسئلة فلسفية نوعية فإن المفارقة الرومانسية تبدو سمة مميزة ثانية، هي علاقتها باستراتيجيات التشبث (التشوش) الجمالى. فقد رأى المنظرون الرومانسيون المفارقة كأداة تضع في الصدارة داخل الصنيع الجمالى نفسه عمليات الإنتاج والتلقى الجمالين. لذلك يمكن القول إن مفارقة رومانسية نوعياً تتحقق حاضرة حينما تعكس النصوص ذواتها مفكرة في عملية بنائها كنصوص. ويبدى المؤلفون رغبة حقيقة في

(٤) إعادة اعتبار القرن العشرين للمفارقة في الدراسات الألمانية قدح شراريتها والتر بينيامين في مفهوم النقد الفنى عند الرومانس الألمانى.

Walter Benjamin: *Der Begriff der Kunstkritik in der deutschen Romantik*, in *Gesammelte Schriften*, Rolf Tiedemann and Hermann Schweppenhäuser (eds.), Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1980, i: 1, pp. 7-122.

وتتضمن معالجات مهمة لاحقة للمفارقة الأعمال:

Beda Allemann, *Ironie und Dichtung*, Pfullingen: Verlag Neske, 1956; Erich Heller, *The ironic German*, Boston, ma: Little, Brown, 1958; Ingrid Strohschneider-Kohrs, *Die romantische Ironie in Theorie und Gestaltung*, Tübingen: Niemeyer, 1960; and Peter Szondi, *Schriften*, Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1978; Szondi's Schlegel essays are included in *On textual understanding and other essays*, Minneapolis, min: University of Minnesota Press, 1986. The most prominent French studies, Vladimir Jankélévitch, *L'ironie, ou la bonne conscience*, Paris: F. Alcan, 1936 and Philippe Lacoue-Labarthe and Jean Luc Nancy, *L'absolu littéraire: théorie de la littérature du romantisme allemand*, Paris: Editions du Seuil, 1978, take this German tradition as their starting point.



سيطرتهم الجمالية على ما ينتجونه. فنصوص المفارقة تواجه متلقيها مُحطمة واجهة الإبهام الجمالى ومعترفة باصطناع التجربة الجمالية. وهكذا تمثل المفارقة الرومانسية حركة مضادة ضمن التاريخ الأدبى والأوروبى للسيادة المتزايدة بدءًا من القرن الثامن عشر لجمالية واقعية. وعلى الرغم من التجانس الداخلى مع القضايا المركزية للجمالية الرومانسية فإن ظهور المفارقة الرومانسية كمصطلح أمام الخطاب النقدى يقدم حالة دراسة مكتملة لكيف يجرى على الأغلب إنشاء التاريخ الأدبى بالرجوع إلى الوراء ومتابعة الجدل. ومصطلح المفارقة الرومانسية لم يستعمل فى الحقيقة قط أثناء الفترة الرومانسية من أجل تمييز النصوص الرومانسية تمييزًا نوعيًا، والجدال مستمر حتى اليوم حول أفضل نصوص تعرضها. ولكن المصطلح يعاود الظهور فى مثابة أثناء المناقشات المتأخرة حول الجماليات الرومانسية، التى تتركز على الجدل الجارى حول المدى الذى يتعين فيه اعتبار المفارقة الرومانسية مكونًا حاسمًا لها فقد أثبتت المفارقة الرومانسية أنها ملائمة على نحو مثالى لغرض واحد على الأقل، كأمانة على ما اعتبره نقاد مختلفون التضمنات السياسية الجمالية والأخلاقية والأيدلوجية للفكرة والممارسة الرومانسية. وقد جرى تمييز المفارقة الرومانسية بطريقة نموذجية كأداة تقنية على اعتبار أنها إيقاع التشوش (التشتت) داخل نطاق نص أو أداة فى هالة إيهامها الجمالى. وقد يأخذ ذلك شكل إقحام مباشر من جانب المؤلف لذاته فى التعليق على عملية إنتاج النص (على حين أن الأحاديث الجانبية من جانب المؤلف التى تعلق ببساطة وبطريقة مباشرة على الشخصيات أو الأحداث كما فى الكثير من روايات القرن التاسع عشر على سبيل المثال ليس مفارقات بالضرورة) وقد تتجلى فى انعكاسية الذات (طرح الذات لنفسها كموضوع للتناول) التى تحدث حينما ترى الشخصيات أو نقرأ النص الذى تظهر فيه. أو قد تتبدى المباغطة ببساطة فى الانتقالات المنفصلة المباغطة من نمط من الواقع أى من خيط سردى إلى آخر. وفى كل هذه الحالات يشير التشتت إلى الوضع التخيلى للأعمال الأدبية والطبيعة المؤقتة للتجربة الجمالية.

وتقدم "تريسترام شاندى" لستيرن، و"جاك القدرى" لديدرو ومسرحيات أرسنوفان وتيك ودون جوان لبايرون ويفجينى أونيجن لبوشكين أمثلة بارزة للسمة الأولى. كما أن الجزء الثانى من دون كيخوته لثرفانتس، وجودوير Goduir لبرنتانو، وفيلهم ميسترز - سنوات التجوال لچوته وهنريش فون أو فتردونجن لنوفاليس كلها تحوى أمثلة لافتة للسمة الثانية. وكذلك توضح حكايات هوفمان (Kater Murr وغيرها) ومسرحيات شكسبير (بمسرحياتها داخل المسرحيات) وحتى تريد الأصداء بين الحكاية الإطار والمشهد السردى الرئيسى فى الروايات الرومانسية مثل فرانكشتاين السمة الثالثة بدقة.

ويمقدار ما تستطيع أى فكرة أن تكون على وجه التقريب فإن المفارقة الرومانسية هى سلبية شخص واحد هو فريدريش شليجل الذى كانت أعماله محل كل مناقشة نظرية قريبة العهد للمفارقة. ومن ثم فإن أى عرض للمفارقة الرومانسية يحتاج إلى أن تكون معالم طريقه مستمدة من دراسة تفصيلية لأعماله. فقد كان شليجل أبرز منظر لأشد الرومانسيات إيغالا فى النظرية وهى الرومانسية الألمانية. كما كان فى القلب من الطور المبكر للنشاط الرومانسى الذى اتخذ من بينا وبرلين مقراً له. وعلى الرغم من أن محاضرات شقيقه أوجست فيلهلم عن التاريخ الأدبى والمحاضرات المتأخرة لفريدريش شلايرماخر عن التأويلية كانت أكثر مباشرة وأوسع تأثيراً من أعمال شليجل فى تعريف الإدراك العام لحركة رومانسية فقد كان لفريدريش الدور الأكبر فى تشكيل الفكر الرومانسى ليصير نظرية وبرنامجاً أدبيين كليهما واع بذاته. ومع ذلك فمن المثير للدهشة ألا يكون هناك إلا حفنة من الأماكن فى أعماله حيث استخدام شليجل نفسه مصطلح "المفارقة الرومانسية". كما أن المفارقة كمفهوم عام

شغلت مكانًا مركزيًا في جماليته ومشروعاته الفلسفية لمدة شديدة القصر<sup>(٥)</sup>. وعلى أعماله الكبرى التي تعالج هذه الفكرة كُتبت كلها خلال فترة لا تزيد عن أربع سنوات وهي تشمل حتى في أوسع التفسيرات ثلاث مقالات، إحداها عن لسنج (١٧٩٧)، وروجعت عام ١٨٠١ وإحداها عن رواية جوته فيلهلم ميستر (١٧٨٩) والثالثة عنوانها "حول عدم القابلية للإحاطة" (١٨٠٠) ومجموعتين من الشذرات، مجموعة الليسيوم 1797 Lyceum، وشذرات أثينايوم 1798 Athenaeum وقد نشرت جميعًا في صحف أدبية محدودة التوزيع في تلك الفترة. وتوجد إحالات تكميلية إلى المفارقة في دفاتره الفلسفية والجمالية وكلها على وجه التقريب يرجع تاريخها إلى السنوات نفسها ولكن القليل من هذه المواد كان متاحًا إلى أن بدأ نشر الطبعة الأدبية من أعماله في الخمسينيات من القرن العشرين<sup>(٦)</sup>. إلا أن انشغال شليجل بالمفارقة كان

(٥) مرات حدوث الوحيدة للمفارقة الرومانسية يمكن العثور عليها في دفاتر شليجل الأدبية لعام ١٧٩٧ (شذرة ٥٠٣) وشذرتي ٧٠٩ و٧١٣.

Schlegel's literary notebooks of 1797, vol. xvi, p. 126 (Fragment 503), p. 145 (Fragments 709, 713), p. 146 (Fragment 716). References to Schlegel's works are taken from Ernst Behler, Jean-Jacques Anstett, Hans Eichner (eds.), *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Paderborn: Verlag Ferdinand Schöningh, 1958-, cited by volume, page and, where appropriate, fragment number. All translations from these and other texts are mine, except where noted.

(٦) لم تكن أعمال شليجل المبكرة في النقد الأدبي متاحة على نطاق واسع أثناء القرن التاسع عشر، كما لم تكن أي من مواد دفاتره الضخمة مطبوعة قبل طبعة جوزيف كورنر J. Korner عام ١٩٥٧ "الدفاتر الأدبية". ولم تكن ضمن أعماله الكاملة (فيينا: ١٨٢٢ - ١٨٢٥)، ومن ثم فإن محاضراته المتأخرة حول التاريخ والنظرية الأدبية والجماليات قدمت مواد الترجمات الإنجليزية من جانب جون لوكهارت John Lockhart (1818) وجون فروست (1844 John Frost) وإي جيه ميلنجتون (1849 E.J. Millington)، وكلها أعيد طبعها مرارًا في العقود اللاحقة. أما الانتشار الأوسع لنظريات شليجل فقد جعله ممكنًا كتاب ياكوب مينور Jakob Minor: "شليجل كتابات شبابه النظرية". *Fr. Schlegel Seine prosaischen Jugendschriften* (1883) وبعث أوسكار فالستيل O. Walzel لخطابات شليجل إلى أخيه. وقد ظهرت طباعات متعددة من الشذرات في العقد الأول من القرن العشرين بما فيها نسخة إنجليزية ترجمها بول برنارد توماس ولويس ه. جري عام ١٩١٣. وتوجد مقالات شليجل وشذراتها في المجلد ١١ من "الطبعة النقدية" بالألمانية والترجمات الإنجليزية لمعظمها وتوجد إما في ترجمة بيتر فيرشو Peter Firchow ولوسنده والشذرات لشليجل - *Fr. Schlegels "Lucinde and the Fragments"*, MN. University of Minnesota Press, 1971.

أو في "الجماليات الألمانية والنقد الأدبي - مؤلفو المفارقة وجوته" لكاثلين ويلر (المحررة).

أقل اتصافاً بالتفرد مما يوحي به هذا الطراز فقد استعمل "المفارقة" كمصطلح لتركيز مجموعة من المشاكل العامة كانت في قلب الجماليات الرومانسية، وصلت كمفهوم محفز مساعد لتأملاته في الذاتية ونظرية المعرفة والتمثيل الجمالي. وبالفعل استطاع المصطلح أن يقتصر مجموعة من الشواغل كانت منتشرة أثناء الفترة الرومانسية وبعدها على الرغم من أن شخصيات أخرى استعملت مصطلحات مختلفة لمسح أرض مشابهة تماماً. فكل من نوفاليس وجان بول على سبيل المثال ربط الكثير من السمات التي كان شليجل سيصفها بالمفارقة بمصطلح ملكة الفكاهة (*humour*). وكما لاحظ نوفاليس في شذرة عام ١٧٩٧: ما شخصه شليجل بهذه الدقة على أنه مفارقة هو في رأيي ليس شيئاً آخر غير عاقبة وطابع رباطة الجأش الحق، حضور الذهن حضوراً حقيقياً. وتبدو لي مفارقة شليجل ملكة وحده الذهن والتهكم الحقيقية<sup>(٧)</sup>. وفكرة شليجل عن المفارقة وثيقة الصلة كذلك بالتأويلية الأدبية التي صدرت عن تأليفه وعن نوفاليس وشلايرماخر وخصوصاً فكرة أن الأعمال يمكن إنتاجها في تأزر (فلسفة تشاركية *sympphilosophie* أو شعر تشاركي *Synpoesie*) ويلتقى أو ينشغل بها قراء وصفهم نوفاليس بأنهم مؤلفون من الدرجة الثانية "القارئ الحقيقي يجب أن يكون المؤلف المتميز، إنه المستوى الأعلى الذي يستقبل مادة تناوله بعد أن سبق إعدادها بواسطة مستوى أدنى (١١، 470، p.).

ومع ذلك، ثمة مفارقة تاريخية في الطريقة التي توسعت بها مناقشة المفارقة الرومانسية بالفعل بواسطة خصومها بقدر أكبر من دعائها. على الرغم من أن ورثتي شليجل الأكثر مباشرة في ألمانيا آدم موللر وكارل زولجر *Adam Muller, Karl*

(7) Novalis, *Schriften*, Richard Samuel, Hans-Joachim Mähl, Gerhard Schulz (eds.), Stuttgart: W. Kohlhammer Verlag, 1960, vol. ii, p. 428.

ويمكن الحصول على تعليقات جان بول في شذرة المرح.

Jean Paul's comments can be found in his *Vorschule der Ästhetik* (*The horn of Oberon*), especially in the sections on Romantic and humorous poetry (i: v and i: vii).

Solger أعطيا الفكرة ذيوغاً أوسع من خلال منشوراتهما، فإنهما لم يضيفا إلا القليل إلى صياغته الفلسفية للمفهوم<sup>(٨)</sup>. وعلى النقيض فإن الهجمات على المفارقة الرومانسية من جانب هيجل وكيركجور وآخرين أسهمت بقدر ملحوظ في إقامة سؤال لماذا ينبغي أن تعتبر هذه المفارقة محورية في تقييم متضمنات الرومانسية. وعند هيجل فقد أدى اعتقاد الذات الرومانسية بقوتها المطلقة في خلق نفسها إلى تصورهما لكل الأشكال العيانية التي قد تحقق نفسها فيها باعتبارها أشكالاً اعتباطية تملك هي القدرة على إلغائها بمحض حريتها في التصرف. وقد شعر أن قوة النفي (السلب) المطلقة النهائية "الكامنة في المفارقة" مثلت رفضاً محاطاً بأكثر قدر من الريبة للجدية الفلسفية والأخلاقية، ينزلق إلى الخطأ بواسطة إضافته إطلاقية على لحظة النفي في التقدم الجدلي للوعي<sup>(٩)</sup>. وبصرف النظر عن مدى صواب هيجل في مطابقة المفارقة الرومانسية بجمالية تركز حول الأنا فإن نقده دفع إلى الصدارة أسئلة عن العواقب الأخلاقية لجمالية، وقد جدد النقد قريب العهد تركيز هيجل على الجوانب الأخلاقية وامتداد ذلك إلى الجوانب السياسية للمفارقة على الرغم من أن نقاداً مختلفين قد قيموا القدرة الكامنة التقويمية للمفارقة على أنحاء شديدة الاختلاف<sup>(١٠)</sup>.

(٨) لتقدير دوريهما انظر مقالة إرنست بهلر الشاملة التاريخية عن المفارقة الرومانسية في: المفارقة الرومانسية، تحرير فريدريك جابر، بودابست أكاديمية كياو ١٩٩٨ ص ٦٥ - ٧٥.

Frederick Garber (ed.), *Romantic irony*, Budapest: Akadémiai Kiadó, 1988, pp. 65-75.

(9) Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Vorlesungen über die Ästhetik, Werke* (Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1970), vol. xiii, pp. 93-100.

كتاب هيجل عن مقدمة في الجمالية، وانظر أيضاً تناول كيركجور لنقد هيجل في مفهوم المفارقة:

Søren Kierkegaard's elaboration of Hegel's criticism in *The concept of irony*, Lee M. Capel (trans.), Bloomington, in: Indiana University Press, 1965, pp. 289-335.

(١٠) وهناك معالجة متميزة حديثة للقوة الأيديولوجية للمفارقة في "تصل المفارقة الحاد، نظرية المفارقة وسياستها" لليندا هاتشين.

Linda Hutcheon: *Irinys Edge: The theory and politics of irony*, New York: Routledge 1994 وتشمل الدراسات المتخصصة في المفارقة الرومانسية دراسة ديفيد سيمبسون "المفارقة والسلطة في الشعر الرومانسي".

Divid Simpson: *Irony and Authority in Romantic Poetry*, London: Macmilan, 1979  
دراسة دين: الميثولوجيا النقدية للمفارقة: *The critical mythology of irony*, Athens, Ga: University of Georgia press, 1991. Joseph Dane.

وإذا كان المركز المفهومي للمفارقة يبدو عسيرًا على تحديد الموضع وسط الدعاوى والدعاوى المضادة لمنظرين متنوعين فإن مكانتها كمقولة أدبية يمكن أن تبدو مراوغة بالقدر نفسه. فالتجليات الأدبية واضحة التحدد من المفارقات الرومانسية هي في أفضل الأحوال متناثرة ومتفردة. وتبدو مثل هذه المفارقة سمة مميزة لمؤلفين أفراد أكثر من كونها منتشرة كملح داخل حركات وفترات نوعية. وحتى أعظم الجهود النظرية لن تجعل المصطلح ملائماً على أقصى تقدير إلا لأقلية من الكتاب الرومانسيين، على حين أنه سيبدو في الوقت نفسه قابلاً للتطبيق بدرجة متساوية على عدد من الكتاب لا يُعدّون الآن رومانسيين (على الرغم من أن شليجل استعمل المصطلح فعلاً مطبقاً على شكسبير وثيرفانتس على سبيل المثال). وهكذا ستظهر المفارقة الرومانسية في النهاية باعتبارها بدرجة أكبر مسألة مزاج أدبي أو أسلوب أدبي من أن تكون مذهباً نوعياً راسخاً أو نوعياً تاريخياً.

وفي الواقع لقد أحرزت المفارقة الرومانسية أعظم أهمية لها بالنسبة إلى النقد الأدبي في نطاق العقود القليلة الماضية. وقد توسع المصطلح في الوقت الحاضر متجاوزاً التقليد الألماني ومتجاوزاً الفترة الرومانسية دون اهتمام خاص من جانب الكثير من النقاد بأى خطوط تأثير مباشرة. وتصر ليليان فرست Lilian Furst كمثال على تأكيد أن جانب "النموذج الأصلي" للمفارقة الرومانسية له أهمية تفوق جانبها التاريخي بحيث يصير المصطلح نفسه اسماً مغلوطاً باعثاً للأسف<sup>(١١)</sup> *Fictions*, p. (238)، ومع ذلك هناك قدر من الكفاءة في إعادة التجسيد النقدية للمصطلح، فلأن المفارقة الرومانسية قد بدأت من جديد في القيام بدور مماثل للدور الذي قامت به

(١١) هناك مؤلفات عن الموضوع مثل "المفارقة الانجليزية الرومانسية" و"المفارقة والأخلاق في السرد" وكتاب "عالم من الإمكانيات: المفارقة الرومانسية في الأدب الفكتوري" و"المفارقة الفكاهة والنماذج النقدية":

Anne Mellor, *English Romantic irony*, Cambridge, ma: Harvard University Press, 1980; Gary Handwerk, *Irony and ethics in narrative*, New Haven, CT: Yale University Press, 1984; Clyde de L. Ryals, *A world of possibilities: Romantic irony in Victorian literature*, Columbus, OH: Ohio State University Press, 1990; Candace Lang, *Irony/humour: critical paradigms*, Baltimore, md: The Johns Hopkins University Press, 1988.

عند فريدريش شليجل - أى كأداة نقدية لإعادة تشكيل المعيار الأدبى، لإعادة اصطفااف التصنيفات النوعية ولتسليط الضوء على الإمكانات الفلسفية المتأمله للذات فى الخطاب الأدبى.

### بين الجمال المنطقى والتفريغ الترانسندنتالى

يمكن أن تكون متابعة المفارقة من خلال نصوص فريدريش شليجل مسعى شديد الإشكال، فلا يكفى تعقب أى من مصطلحاته بطريقة منعزلة لأن المفارقة مرتبطة بكثافة بأفكاره الأخرى، ومنغرسه بعمق فى مشروعاته الأوسع الأخرى بحيث لا تتيح هذه الطريقة إنتاج تفسير شامل لدور المفارقة فى تفكير شليجل. ومن البداية على أى حال كانت المفارقة فكرة محورية فى جهد شليجل للربط النقدى بين توسط شيللر ذى الطابع التاريخى والجدال طويل الأمد حول التفوق النسبى للأدب القديم أو الأدب الحديث<sup>(١٢)</sup>.

ومهما تكن إحاطة المفارقات الرومانسية فى تعريفها ومتضمناتها وتطبيقاتها بأعلى مستوى من المنازعة فإن أسلافها تبقى مستقيمة الوضوح نسبياً. لقد كانت مفارقة شليجل إدماجاً لتأثيرين، أحدهما مستمد من الفلسفة والأدب اليونانيين الكلاسيكيين، والآخر من الفلسفة الألمانية المعاصرة. وعلى الرغم من أن الرومانسية قد نسب إليها فى الأغلب قلب التفوق المفترض للقدامى على المحدثين فإن شليجل نفسه لم يدع إلى نبذ التقليد الكلاسيكى بل إلى تمثله وإحيائه من جديد. ولم يستتبع رفضه لجماليات الكلاسيكية الجديدة الأرسطية النقدية عنده قطيعة مطلقة مع

(١٢) بين أكثر الجهود فائدة لتوضيح الجدال بين شيللر وشليجل سنجد:

Richard Brinkmann, 'Romantische Dichtungstheorie in Friedrich Schlegels Frühschriften und Schillers BegriCe des Naiven und Sentimentalischen: Vorzeichen einer Emanzipation des Historischen', *Deutsche Vierteljahrsschrift für Literaturwissenschaft und Geistesgeschichte* 32 (1958), pp. 344-71; Peter Szondi, 'Das Naive ist das Sentimentalische', *Schriften*, pp. 59-106; and Ernst Behler's introduction to *Kritische Ausgabe*, vol. I, pp. clxi-clxxiv.

الماضي الأدبي. وتقدم المفارقة مثلاً جيداً في الواقع لكيف سعى إلى استعادة عناصر من الفكر الكلاسيكي جرى تدجينها بواسطة تدخل تقليد النقد الأدبي. إن كوينتيليان Quintilian على سبيل المثال نسب إلى المفارقة قوة مجازية ضئيلة نسبياً. وعلى الرغم من أنه سلم بالفعل بأن حياة شخص ما بأكملها - مثل حياة سقراط - قد "تصطبغ" بالمفارقة (التهكم)، فقد جعل تحليله مقصوراً على استعمالها في سياقات محلية باعتبارها حيلة بلاغية واعية محسوبة ذات تحفيز استراتيجي<sup>(١٣)</sup>. وعلى النقيض كانت صيغة شليجل من المفارقة الكلاسيكية تركيياً أكثر طموحاً من خيطين، أحدهما سقراطي معرفي والآخر أريستوفاني (نسبة إلى المؤلف الكوميدي) أدائي. ويتناسج هذين الخيطين تضع المفارقة الرومانسية في الصدارة كلا من الحضور المتخلل النافذ للتقييم داخل إطار الخطاب وإمكان الحدوث السياقي لفعل التقييم.

ويمكن القول عموماً إن قوة اللفظتين في استعمال كلمة المفارقة وهما *eironeia* و *eironia* (الأولى إحدى الشخصيات في الكوميديا القديمة، ضعيفة ضئيلة وهي مع ذلك مأكرة داهية مخادعة والثانية تعني أسلوب كلام هذه الشخصية المتسم بالخداع والإخفاء) في اليونانية الكلاسيكية أضيق نطاقاً من القوة التي نعطيها لمعادليهما الآن. وتتضمن اللفظتان اليونانيتان غالباً التستر والتظاهر الفعالين من ادعاء الجهل من جانب سقراط في الكثير من المحاورات الأفلاطونية (في الجمهورية ٣٣٧ أ)، أو افتقاد قول الحقيقة الذي يميز الناطق بالمفارقة عند أرسطو (الأخلاق النيقوماخية). وكما لاحظ جريجوري فلاستوس Gregory Vlastos لقد خلعت اللفظتان في أيام كوينتيليان تداعياتهما السلبية حصراً وأصبحتا صيغة للتهكم البريء من الخداع<sup>(١٤)</sup>. وحتى إذا ما ارتبطتا بشخصية أحد الناس أو أسلوبه البلاغي، لم يعد يُنظر إليهما باعتبارهما متعلقتين بأى طريقة جوهرية بقضايا منهجية أو معرفية. وعند فريدرش

(13) Quintilian, *Institutio oratoria*, Book IX, ii, pp.44-53

(14) Gregory Vlastos, *Socrates, ironist and moral philosopher*, Ithaca, ny: Cornell University Press, 1991, p. 28.



شليجل فإن المحدودية (ضيق النطاق) التى تصورت بها البلاغة التقليدية المفارقة جاءت من أنها لم تأخذ مأخذ الجد بما يكفى تصريح سقراط بجهله.

وكان شليجل أول مفسر لسقراط يكشف عن نواحي القرابة العميقة بين ادعاء سقراط موقف التهكم (المفارقة) ومناهجه الفلسفية، ومن ثم التعرف على مدى جوهرية المفارقة (التهكم) لمشروع سقراط فى الاستقصاء الفلسفى والنقد الاجتماعى. وهذا الاستبصار واضح فى أطول شذرات شليجل التى تتناول المفارقة السقراطية (Lyceum fragment 108, Kritische Ausgabe, 11:160) وهى تبدأ بملاحظة أن المفارقة السقراطية هى موقف الإخفاء والتظاهر الوحيد، اللا إرادى بالكامل مع ذلك المتعمد بالكامل. ومن المستحيل التظاهر بمثل هذه المفارقة أو إفشاء حضورها، ومع ذلك فليس المقصود بهد خداع أحد إلا ربما هؤلاء الذين يعتبرونها خادعة، فوظيفة المفارقة إذن ليست بلاغية بل معرفية وأخلاقية وهى لا تشير إلى أن صانع المفارقة لا يتظاهر ليتبنى موقعاً أسمى لنفسه، بل سيبقى فى مكان ضحيته المدعاة نفسه لأنه لا يمتلك السيطرة النهائية على حضورها أو على معناها. ويجمع التهكم (المفارقة) السقراطى أشد المواقف تعارضاً لأنه فى ذات الوقت متلاعب بالكامل، مخلص وسافر بالكامل ومع ذلك متستر ومتظاهر بعمق. والمفارقة هنا تتبع من شعور فنى إزاء الحياة (Lebenskunsstism) وروح علمية، وبذلك ترهص بما كان عند شليجل مقصد برنامج الشعر الحديث وهو: ينبغى أن يصير كل الفن علماً، وأن يصير كل العلم فناً، وينبغى أن يتحد الشعر والفلسفة (شذرة ١١٥، 161: II). فهى تتبنى نظرة ترنسندننتالية وليست بلاغية للغة، لأنها تحتوى وتثير شعوراً إزاء الصراع الذى لا حل له بين المطلق والمشروط، وبين استحالة وضروية الاتصال الكامل. فمن ناحية هى أشد الرخص (إجازة الخروج على المقنن) حرية، ومن ناحية أخرى هى أشدها تقنياً، وذلك على وجه الدقة بسبب ضرورتها المطلقة. وهى تبدى نفسها باعتبارها "محاكاة ساخرة مستمرة لذاتها" حيث لا تستقر الذات أبداً مدة طويلة فى أى شكل متعين، ولكن حيث

يكون معنى حركتها صعب التمييز. وهكذا يمثل التهكم (المفارقة) السقراطي دور الطبيعة المتناقضة للتجربة الإنسانية سواء إزاء ما يمكننا معرفته وما نستطيع قوله. ومهما تكن تلك الصياغات موحية فإنها أقل دقة مما نرغبه فيما يتعلق بتوضيح لماذا أثارت المفارقة السقراطية اهتمام وفضول فريدريش شليجل أو بتوضيح ماذا كانت الأغراض الفعلية لهذه المفارقة. ويتطلب تقديم إجابة عن هذه الأسئلة الذهاب إلى ما هو أبعد، وغرلة التعليقات الأخرى المتناثرة عبر أعمال شليجل، لا عبر شذراته فقط، بل عبر الملاحظات الأكثر نسقية عن سقراط وأفلاطون في محاضراته اللاحقة عن الفلسفة (وخصوصًا المحاضرات غير المنشورة في عامي ١٨٠٤ و ١٨٠٥).

وكان استبصار شليجل الأساسي هو أن اتخاذ وضع التهكم (المفارقة) من جانب سقراط في تأكيده للجهل أدى إلى تداعيات نوعية بالنسبة إلى منهجه الفلسفي، مثلما فهم أفلاطون بوضوح في إقامة بنية محاوراته. لقد صنع أفلاطون فلسفة وليس مذهبًا.. فالفلسفة ذاتها هي أكثر التصافًا بأنها سعى نحو المعرفة من كونها علمًا مكتملًا للمعرفة.. فهو لم يكمل قط تفكيره، لذلك يجب أن يدور الحديث عن العنصر المميز لفلسفته.. في هذه الصيرورة الأبدية في مداومة تطوير وتشكيل أفكاره التي سعى إلى أن يمثل داخل شكل جمالي في محاوراته (XII:209). وكما تضيف شذرة الليسوم *Lyceum* رقم ٤٢، حينما يتفلسف أحد ما في محاورات شفاهية أو مكتوبة وليس بطريقة نسقية تمامًا ينبغي عليه أن يمثل دور التهكم (المفارقة) وأن يصر عليه (١١-١٥٢). وفضلاً عن ذلك فإن هذه العملية هي بالضرورة تفاعلية تبادلية لأنه ليس لدى الفرد في أفضل الأحوال إلا منفذ جزئي إلى الحقيقة. وجهل سقراط هو ما يسوقه إلى البحث عن محادثة مع الآخرين، فهو ما يدفعه وراء أي اعتماد فلسفي ممكن على النفس. ومحاورات أفلاطون هي تمثيلات لهذا التفكير الجمعي من أجل الذات (XII: 210)، وذلك منهج شرحه شليجل بدرجة أبعد في تحليلاته للسينج (إلى

جانب مقال ١٧٩٧ - ١٨٠١، نشر شليجل قطعة حول "أفكار لسينج وآرائه" عام ١٨٠٤، (Kritische Ausgabe, III: 46-102).

فالمفارقة كمنهج فلسفى تتطلق بواسطة دفع التعريفات وراء مدى استعمالها المعتاد حتى إلى النقطة التى تتمزق فيها. وهكذا تستتبع إجراءات الكثير من المحاورات السقراطية تحويل لفظ من سياق إلى آخر من أجل تعيين حدود تطبيقاته، وذلك مقياس صدقه الجزئى. وهذا المنهج يهدف بالقدر نفسه إلى تقييم المتكلم مثلاً يهدف إلى وزن محتوى الصدق لأى قضية جزئية، ويمكن لذلك أن يوصف بدقة بألفاظ تشارلس ألتييري Charles Alteri باعتباره تحليل درامى المنزع يحكم فيه على فاعل بواسطة وعيه بشرط الملاءمة (مطابقة مقتضى الحال)<sup>(١٥)</sup> (relevance). وهذه الإجراءات تطرح أسئلة حول أى مدى من مجال التجربة الإنسانية يمكن أن يمتد تعريف معين للشجاعة والتقوى والعدل ليغطيه، وما مقدار أن نظل واعين بهذه الحدود. وفى مد نطاق اللفظ ليشمل مجموعة من الحالات وثيقة الصلة، فيكون الإقرار بأى تناقضات تطراً حاسماً لأنها تشير إلى المدى الذى وصلنا إليه بتعريفاتنا. إن شذرة الأثينيوم ١٢١ تعرف الفكرة Idea بأنها مفهوم تم الوصول به إلى الكمال إلى نقطة المفارقة، تكذيب مطلق من نقائض أطروحات، تداخل التغيرات للمدركات المتصارعة دائم التولد الذاتى (161 : 11). وفقط حينما يكون مفهوم قد تم اختباره بواسطة موازنته على خلفية أكبر عكساً مطلقاً inversion له يكون قد بدأ فى صيرورته فكرة idea. وهذه البنية الشكلية، تعليق الحكم بين ضدين، هى ما تعنيه شذرة الليسيوم ٤٢ حينما تؤكد أن "الفلسفة هى البيت الواقعى للمفارقة التى قد يحب المرء أن يعرفها بأنها الجمال المنطقى (١١:١٥٢). وهذا هو جانب المفارقة الرومانسية الذى التقطه نيتشه وهو الذى استهدف منهج التحدر والانتساب

(15) Charles Altieri, *Act and quality*, Amherst, ma: University of Massachusetts Press, 1981, p. 79.

*genealogical* عنده كشف الغطاء عن الدوافع الملتبسة وراءه. وإن نيتشه بقدر كبير هو وريث شليجل حينما يؤكد أن كل شىء إنسانى يستحق أن ينظر إليه بطريقة قائمة على المفارقة، فيما يتعلق بأصله: وهذا هو السبب فى وجود إفراط من المفارقة فى العالم (إنسانى، الكل بتناقضاته إفراط فى الإنسانى، قول ماثور ٢٥٢).

إلا أنه عند شليجل تكون قوة هذه المفارقة الفلسفية فى كشف التناقضات وقياس حدود حقائقنا متسمة بالاتساع والترابط وليست ببساطة متسمة بالتمزيق والتآكل، وهنا نجد موضع وقوع هيجل وكيركجور (بين آخرين) فى الخطأ عند قراءته. وكما تقرر شذرة من دفتر هومشه فى إحكام "المفارقة هى الفكرة، هى الكل *Universum*، لأن ممارسة المفارقة يحركها توفيق نحو الوحدة العقلية (شذرة ١١١، 206 *XVII*). فمفارقة شليجل تمتلك قوة معرفية نوعية من ذلك الصنف الذى كان نقاد أمثال بوث وهاتشيون Booth & Hutcheon شديدى الفاعلية فى تعريفه؛ أهداف صانع المفارقة هى أن يجعلنا نرى الأشياء ضمن سياق أوسع. وصيغة الاستفهام عنده تمضى إلى أبعد من أى نموذج يرى الاتصال باعتباره مجرد نقل أفكار واضحة التصور. فاللعب التهكمى بالمفاهيم والمقولات اللغوية الذى تأذى منه هيجل بعمق كان عند شليجل كما كان عند أفلاطون مقصوداً به أن يكون غرضياً وكشفياً.

إلا أن أغراضه هى بالقدر نفسه تربوية وأخلاقية كما هى معرفية، فهى متجهة نحو الأبعاد التفاعلية لموقف المحاوره مثلاً هى متجهة نحو الأبعاد التفاعلية التبادلية لموقف المحاوره مثلاً هى متجهة نحو كشف الحقيقة. وتمدح محاضرات كولونيا سقراط مدحاً رفيع القيمة بوصفه معلماً؛ لأنه لم يؤثر أحد بمثل هذه القوة والتنوع على شخصيات وطرائق تفكير مستمعيه مثلاً فعل هو، وبلغ امتيازه فى هذا المجال من العظمة درجة كاد الناس معها يقارنونه بالمسيح (198: *XIII*). وقد ربط شليجل المفارقة ربطاً وثيقاً بالتنشئة الثقافية *Bildung*، هذا اللفظ (المصطلح) الألمانى واسع الدلالة والذى يشمل فى معانيه التعليم والتنقيف والتربية وتكوين الشخصية. "إن

التنشئة الثقافية تركيب وإكمال متناقضين إلى حد المفارقة (شذرة XVIII:82) وهي تربية غير عاطفية بكل حسم. ورغم ما فكر فيه هيجل فقد تعرف شليجل على الوضع الانتقالي للمفارقة باعتبارها لحظة، والمسئولية المترتبة على صانع المفارقة بأن يساعد على توجيه الدوافع الشكية التي يثيرها. إلا أن المفارقة عند سقراط وشليجل تتطلب الكثير من مستمعها كذلك. وكما يوضح فلاستوس فإن مثل هذه المفارقة تهدف إلى تعزيز الاستقلال الذاتي للآخرين، كما أن نهايتها المفتوحة هي تحريض يسعى إلى تحريك الآخرين نحو صفات نوعية من تأمل الذات (سقراط - الفصل الأول).

وعلى الرغم من ذلك هل يستطيع تأمل الذات (الانعكاس الذاتى) الفلسفى من جانب صانع التهكم (المفارقة) السقراطى أن يتجاوز فى الواقع "المحاكاة الساخرة المستمرة للذات). فإن يأخذ المرء جهله جدياً معناه الانخراط فى ذلك النوع من اختبار الذات أى النوع العقلى المتسق الذى يضعه سقراط عند أفلاطون فى قلب المنهج الجدلى. ويستتبع ذلك رفض جعل الفروض بدايات وجعلها بالفعل ما تدل عليه اللفظة باليونانية ("ما يوضع فى أساس بناء ما" *hypothesis* أى مراقبة، درجة سلم أو موقع جيد للتقدم نحو هدف ما *Stepping stone* ومنصة وثب (نقطة انطلاق) *springboard*، من أجل الوصول إلى ما هو خال من الفرض عند بداية الكل<sup>(16)</sup>.

وقد يكون شليجل أقل تأكيداً من أفلاطون فى قدرة الفلسفة على أن ترفع نفسها متحررة من الفروض، ولكنه ناصر بالقطع الحاجة إلى تذكر موقع الخطو.

وهكذا فإن ما حمله شليجل محمل أكبر جد من المحاورات الأفلاطونية هو شكلها الأدبي باعتباره التجلى الجوهرى لحقائقها الفلسفية. إن سلسلة الخطوات (الإجراء المتخذ فى المحاورات الأفلاطونية متطابق تماماً مع روح الفلسفة، إنها ترتقى

(16) Allan Bloom (trans.), *The Republic of Plato*, New York: Basic Books, 1968, p. 191. See besides this passage (511c-511d), also 533b-533c and 537d. Schlegel links dialectic and irony at *Kritische Ausgabe*, vol. xviii, p. 392 (878).

إلى بوابات أسمى الأشياء وتكتفى بمجرد الإيماء الملتبس إلى اللانهائى الإلهى، الذى لا يسمح لنفسه بأن يتحدد معناه الصريح وبأن يفسر على نحو فلسفى" (XII:210). وتتضمن مراجعة شليجل النقدية لنظرية المحاكاة فى الوصول إلى الحقيقة بوضوح قراءة ضد عناصر معينة من النصوص الأفلاطونية، ولكنها تستيق التحول اللغوى الذى أضافه فيتجنشتين إلى الفلسفة فى القرن العشرين وهو تحول تشير إليه بوضوح المسافة الأسلوبية بين عنوان الرسالة باللاتينية *Tractatus* والعنوان الدارج فى "أبحاث فلسفية" *Philosophical Investigations* مثلما يشير إليه الاختلاف فى مادة تناولهما. فإذا كانت الفلسفة كلها مجازية، أى إذا كانت "كل المعرفة رمزية" فإن الحقيقة ستوجد بنفس القدر فى طريقة العرض (التقديم *presentation*) وفى الحقائق القابلة للتأكيد (XII:9).

وستكون فكرة الجمال المنطقى عند مفارقة شليجل الرومانسية بنفس القدر من الأهمية مع المكون الثانى المسمى فى شذرة الليسيوم *Lyceum* رقم ٤٢، التهرجج الترانسندنتالى *transcendental buffoonery*. فإذا تألف داخل المفارقة من متابعة حثيثة لتجاوز الذات التأملية فإن خارجها يشبه سيليناس *Silenus* (نصف إله أسطورى يونانى قام بترية ديونيزيوس ويصور كرجل احتفالات كبير السن سكير) له قناع مهرج إيطالى بكل فكاهاته المبتذلة. وقد رأى شليجل هذا العنصر فى التقليد الكلاسيكى كذلك وعلى الأوضح فى كوميديا أريستوفان. ويرجع اهتمام شليجل بأريستوفان إلى أعماله الفيلولوجية الأكثر تذكيراً التى شملت مقالاً حول القيمة الجمالية اليونانية وتعقيبات موسعة على الكوميديا فى دراساته التاريخية عن الأدب اليونانى. وفى إعادة تقييم قطعية للحكمة المتواترة (إحدى إرهابات: ميلاد التراجيديات لنيشيه) اعتبر الكوميديا تكلمة جوهرية للتراجيديات. وفى الحقيقة يمكن اعتبار الكوميديا الأتيكية (فى أثينا) نقلاً فلسفياً موازاً لتأكيد التقليد لممتد من بارمينيدس إلى أفلاطون

للوحدة، أنها تعلى من شأن تلك الأوجه من التجربة الإنسانية التي يمثلها ديونيزيوس "إله الفرع غير الأخلاقي، والوفرة الخارقة للأخلاق والتحرر الأبدى". (I:20).

وتمتلك مسرحيات أريستوفان نصيبها من شخصيات التهمك الخادع، ومن بينها سقراط نفسه في مسرحية السحب. وكما هي الحال مع سقراط تعرف شليجل على بعد للمفارقة واسع النطاق في عناصره من هذه النصوص لم يطبق عليها أحد تقليديا مصطلح المفارقة. فقد كانت المفارقة شديدة الجلاء عنده في استراتيجية جمالية خاصة بالكوميديا اليونانية هي خطبة التعليق الجانبي الساخر بارابيسيس parabasis على لسان رئيس الجوقة قرب النهاية. وكان هذا المنظر قسماً منتظماً معتاداً في كوميديا أريستوفان ويتألف من خطاب مباشر توجهه الجوقة إلى النظارة يقطع تمثيل الفعل في المسرحية بتعليق على المسرحية نفسها غالباً ما يكون انعكاساً ذاتياً، ولكنه قد يكون أحياناً غير مباشر بدرجة كبيرة. وفي المعتاد كان المؤلف يستخدم هذا الفاصل كالتماس بأن يقر القضاة المحكمون في المسرحية بسموها كما فعل أريستوفان بمهارة في "السحب" و"الزنابير". وبهذه الطريقة يوجه التعليق الجانبي الانعكاسي الاهتمام إلى الشروط الفعلية للأداء في مسرح أثينا. فالدراما اليونانية كانت تقدم على أساس المنافسة بين مسرحيات ثلاث تطمح كل منها لنيل الجائزة الأولى في مهرجان ديونيزيوس بطريقة واعية بذاتها تاريخياً. وغالباً ما سعى هذا التعليق الجانبي الانعكاسي إلى تحديد المعايير الجمالية لتفوق مسرحيته بواسطة الإشارة إلى سوابقها وكذلك إلى منافساتها المباشرة. وقد رأى شليجل في هذه المقاطعة للإبهام الجمالي اعترافاً قائماً على المفارقة من جانب النص الدرامي بطبيعته الخاصة كتمثيل ويحدود مثل هذا التمثيل. ويلفت التعليق الجانبي الانعكاسي الاهتمام بالثنائية الأساسية للموضوع الجمالي، فهو في الوقت نفسه يقوم على المحاكاة كما يقوم على الأداء ويفرض على الجمهور أن يأخذ في اعتباره البعدين معاً على الفور. وتعمل جمالية الأداء على توسيع جمالية المحاكاة في وجهين مختلفين. الأول أن التعليق

الذى يقطع الفعل يذكر الجمهور بأن المسرحية مثل أى صنيع جمالى قد تم إنتاجها بواسطة مؤلف فرد، كما أنها تعكس منظورًا خاصًا فهى لذلك تدعونا إلى تقييم وجهات نظر المؤلف وأغراضه بمعزل عن وجهات نظر وأغراض تلك الشخصيات الممثلة داخل النص. والثانى أن هذا التعليق بتوجيهه إلى الجمهور يحدد موضع أغراض المسرحية ضمن شروط للأداء محددة ومفتوحة أمام الجميع يساعد على تحديد معناها.

فالكوميديا بتأكيد وضعها الخاص كأداء تقوض الاستقلال الذاتى للعمل الفنى وهو سمة عادة ما اعتبرها النقاد شيئاً جوهرياً محدداً دونما وعى بالذات للجماليات الرومانسية. وفى الوقت نفسه تتحرك قراءة تتصف بالمفارقة للكوميديا متجاوزة الأغراض الاستراتيجية الباطنية المستورة التى يستطيع التحليل البلاغى التقليدى القيام بها. وهكذا تستبِق المفارقة الرومانسية الدور متزايد الحسم الذى يلعبه السارد فى القص الحديث وخصوصاً الإقرار السردى الشارح (ما بعد السرد) بأن حكاية ما هى دائماً تشكيل (تأطير يلخص وينتقى ويفسر ويرتب عناصره *construction*)، وتحكى من منظور متعين وتهتم بمشاركة الجمهور واهتمامه على أنحاء محددة. ولكن التحول الرومانسى المتميز فى هذه الاستراتيجية هو الإصرار على حدود هذا الإقرار نفسه واعترافه بأننا لا نفلت من التناقضات الظاهرية للقصديات التبادلية بمجرد تصويرها.

إلا أن القوة الفعلية للتعليق الجانبى الانعكاسى الجمالى عند الرومانسية تتبع من إبداع شليجل فى صياغة صلة بينه وبين الجدل (الديالكتيك) السقراطى. وكما أن رؤية التعليق الجانبى الكوميدي فى ضوء سقراط أظهرت تضمّناته المعرفية.

فإن تأملات شليجل فى أريستوفان نبهته إلى السمات الأدائية فى المحاورة الأفلاطونية. وفى حدود عملية فإن التعليق الجانبى زود التقليد الرومانسى بأداة شديدة الطواعية والتكيف لحقن المفارقة فى النصوص الأدبية. وفى أغلب الأحوال كان



النقاد قد ميزوا المفارقة الرومانسية باعتبارها ممارسة أدبية ذات شكل ما من التعليق الجانبي على ذاتها (الانعكاس) و "الانتهاك الجذري للإيهام بواسطة الإشارة ضمن عمل أدبي إلى مؤلفها وعملية خلق العمل، إلى خرق الحدود التي تفصل بين مستوانا من الواقع كقراء لكتاب أو جمهور في مسرح وبين واقع الشخصيات في كتاب أو مسرحية<sup>(١٧)</sup>. ووسط الرومانسيين الألمان كانت المفارقة من هذا الصنف تستعمل نسقياً بواسطة لودفيج تيك Ludwig Tieck في مسرحيات متنوعة بما فيها القطة ذات الحذاء برقبة، *Puss in boot*، والعالم انقلب رأساً على عقب، والأمير تسيرينو Prince Zerbino والأخيرة وصفها شليجل بأنها الدراما الحديثة التي اقترنت أكثر من روح أريستوفان (97: XI). وتتضمن مسرحيات تيك شخصيات ومؤلفا ونقاداً وجماهير في مجالات مرحة غير محسومة حول جودة (نوعية) الأداء وإخراجه. وهو يتجاوز أريستوفان بإدماجه حتى استجابات الجمهور داخل عالمه المتخيل، كما هي المسرح للأعمال الحديثة المضادة للإيهام عند بريخت وجينيه وبيكيت وآخرين.

وهكذا فحتى على الرغم من أن مصطلح "المفارقة الرومانسية" لم يكن شائعاً في ذلك الوقت فإنه يلائم بالفعل الكثير من أشد السمات تمييزاً للنزعة التجريبية التي انبثقت من الجمالية الرومانسية. ونحن نستطيع أن نجد التعليق الجانبي الانعكاسي على نحو مباشر مؤثراً داخل التجاوزات التي تبتدى في الأدب الرومانسي وما بعد الرومانسي. وقد أثبت شليجل فيما سبق أن "التعليق الانعكاسي في رواية يجب أن يكون مستتراً وليس سافراً كما كان في الكوميديا القديمة". وقد اكتشف الكتاب الرومانسيون في الواقع طرائق متعددة لتفعيله (شذرة ١٩٧، 118: XVI). أما "رواية" شليجل نفسه "لوسنده" *Lucinde* ورواية نوفاليس "هينريش فون أوفتردينجن" *von*

(١٧) ريموند إيمروار: "ممارسة المفارقة في الرومانسية الألمانية المبكرة" في كتاب جاري "المفارقة الرومانسية". والمقالات على طول هذا المجلد هي تجميع غني لنظائر تلك الأمثلة.

Raymond Immerwahr, 'The practice of irony in early German Romanticism', in Garber, *Romantic irony*.

*Ofterdingen* وحكايات الجان لبرنتانو *Marchen* وحكايات هوفمان، و"فرانكشتاين" لماري شيلي، و"ذكريات واعترافات لأثم مبرر" لهوج و"اعترافات متعاطي أفيون إنجليزي" لدى كوينسي و"تنهدات من الأعماق" *Suspiria de profundis* فقد استعملت كلها بنية قطع الاستمرار المماثلة للتعليق الانعكاسي في تحولات مباحثة من مستوى سردي إلى آخر، من حكاية الجان أو فانتازيا أو حلم إلى واقعية، ثم العودة من جديد. وحتى ضمن واقعية مستدامة باتساق فإن التجاوزات من النوع الذي استعمله ستاندال وفلوبير تثير النوع نفسه من الأسئلة التقييمية حول الترابط المتصل للأحداث ودوافع الشخصيات (والمؤلفين) التي على التعليق الانعكاسي أن يثيرها صراحة. فالرواة المتداخلون في دون جوان بايرون والإنسان المعادة صياغته *Sator restartos* لكار لايل ويوجين أونيجن لبوشكين، وحتى الأنا الأكثر رصانة في افتتاحية وردزورث يعلقون باستفاضة على مصاعبهم في تنسيق عناصر نصوصهم طامسين في القيام بذلك الخطوط النوعية بين السيرة الشخصية والقص المتخيل.

### قَدَرْنَا المَتمَيِيز

الكثير من الأصالة في تجديد شليجل للمفارقة الكلاسيكية جاءت من النظر إليها خلال عدسة الفلسفة الألمانية المعاصرة. قد أمد أفلاطون وأريستوفان شليجل بنماذج ثرية للمفارقة ولكن كان كانط وفيخته هما اللذان أعطياه الإطار الفلسفي لشرح لماذا كانت مثل هذه المفارقة ضرورية، ولتبرير مدى احتياجها للتوسيع. ومن خلال دراسته المكثفة للمثالية الألمانية في بزوغها وصل شليجل إلى إدراك الطبيعة التناقضية والمنظورية للمعرفة الإنسانية كنتاج لا معدى عنه لبنية الوعي الإنساني .

وهنا يتم الشعور بتأثير كانط، وفي الواقع في كل مكان من النظرية الأدبية الرومانسية باعتباره قوة الدفع الأساسية. فالشرارة الفلسفية المحركة للجماليات الرومانسية أحدثها التحول الترانسندنتالي الكانطي ببرهنته بواسطة حجج متسقة على

الانعكاسية الذاتية والتحديد الذاتى للعقل. لقد كان "نقد العقل الخالص" أكثر من "نقد الحكم"، ومع ما فى الأخير من شواغل جمالية صريحة، الأشد تأثيراً عند شليجل والرومانسيين الآخرين، فالأول اتخذ نقطة انطلاقه من الطبيعة المتناقضة البادية للعقل، ومن عجزه الظاهر المحير عن الوفاء بالمهام التى وضعها لنفسه. ويبدأ "نقد العقل الخالص" بالقول "للعقل الإنسانى ذلك القدر المتميز بأن يكون فى أحد أنواع معرفته متقلاً بأسئلة ليس قادراً على أن يتجاهلها ولكنه بحكم تجاوزهها لكل قدراته ليس قادراً أيضاً على إجابتها"<sup>(١٨)</sup>.

فهناك إزاحة قائمة على المفارقة للوعى من نفسه فى المقدمة المنطقية الأساسية "نقد العقل الخالص". ويؤكد كانط أنه على الرغم من أننا لا نستطيع أن نفهم الأشياء فى ذواتها مباشرة ونستطيع لذلك أن نعرف الأشياء بوصفها ظواهر فقط، كما تظهر لنا فحسب، فإننا نستطيع أن نصل إلى فهم شروط إمكان المعرفة (معرفة الظواهر) التى نمتلكها بالفعل، أى الأسس الموضوعية (التي تشترك فيها) لتجربتنا ومعرفتنا الذاتية (الإنسانية). ونستطيع لذلك أيضاً أن نفهم الضرورة التى بواسطتها يواجه (بالبناء المجهول) العقل بتناقضات ظاهرة ونعترف بحتمية حدود معينة. ويسعى "نقد العقل الخالص" لفرض نسق على المفاهيم القبلية *a priori* التى نستعملها لتنظيم وحتى بذلك لفهم عالمنا. "لفهم قواعد على أن افترضها مسبقاً باعتبارها موجودة من قبل الموضوعات المعطاه لى، ولذلك باعتبارها قبلية. وتجد تعبيراً فى مفاهيم قبلية تتطابق معها بالضرورة كل موضوعات التجربة (ص ٢٣). ولكن الأفكار الأساسية للعقل بالتعارض مع مفاهيم الفهم ليست مطلوبة فقط لأعمال الفهم ولكنها أيضاً غير قابلة للمعرفة بواسطة هذا الفهم. "أفهم بالفكرة مفهوماً ضرورياً من مفاهيم العقل وليس من المستطاع تقديم موضوع مناظر له فى التجربة الحسية...

(18) Immanuel Kant, *Critique of pure reason*, Norman Kemp Smith (trans.), New York: St Martin's Press, 1965, p. 7.

( الأفكار الترانسندنتالية ) هى مفاهيم العقل الخالص، وفى ذلك تنظر إلى كل المعرفة المتحصلة فى التجربة باعتبارها متحددة من خلال الكلية المطلقة للشروط" (ص ٣١٩).

وعلى الرغم من أنها غير قابلة للمعرفة فإن أفكار العقل هذه - الله الحرة، خلود الروح - تقع فى أساس الوحدة التى نسقطها فى (أو نجدها داخل) تجربتنا، وتنظم مطامحنا وسلوكنا. فنحن نفترض وحدة فى تجربتنا، واستقلالاً ذاتياً فى هويتنا وغرضنا فى وجودنا لا نستطيع أبداً أن نبرهن عليها جميعاً برهنة محكمة. ولكن أن نفعل ذلك بالضرورة عند أى استخدام كأننا ما كان لمكانتنا الذهنية، لذلك فمثل هذه الوحدة عند كانط ليست مجرد مسألة إيمان بل سمة متأصلة فى التجربة اليومية. وهكذا من الممكن القول إن الوجود الإنسانى ثنائى القطب، تجربى ومثالى فى الوقت نفسه، ذو مركزين متقاربين (متلاقين)<sup>(١٩)</sup>. وقد أقر شليجل بوضوح بأهمية الثورة الكانطية فى الفلسفة وهو يقدر تضميناتها بهذه الطريقة. "أدخل كانط مفهوم "المنفى" "السالب" فى حكمة العالم. أليس من الممكن الآن أن يكون سعياً مفيداً إدخال مفهوم "الموجب" فى الفلسفة كذلك؟ (شذرة ٣ ١١:١٦٦). وعلى حين أن كانط قد أثبت وجود حدود متأصلة تحد المعرفة الإنسانية، بسبب الوضع الجزئى حتماً لعقلنا وفهمنا، فقد رفض الاعتراف بالقوة التوليدية التحويلية للذات على تجاوز صياغاتها الخاصة. وظل من حيث الأساس تجربياً متشككاً فى عقلانيته، وحاولت أفكار العقل التوحيدية عنده التوازن دونما أساس راجح فوق هاوية فكرية.

ومن أجل الإمكان الموجب الذى تصوره شليجل كان التحول نحو يوهان جوتلب فخته، الفيلسوف الألمانى الذى أعطى ترانسندنتالية كانط شكلها المثالى المتميز فقد ظلت فلسفة كانط بالنسبة إلى ذهن شليجل بسبب طموحاتها وطريقة

(١٩) حول هذا التوتر ارجع إلى الفصل الثالث خاصة من كتاب مارشال برون: Marshal Brown: *The Shape of German Romanticism*, Ithaca, NY. Cornell University Press, 1979

عرضها النسقية سكونية أساساً. فهي في النهاية اعتبرت الذهن (في مقولاته وأفكاره) والظواهر (في نمط تصورها) كيائين ثابتين متطابقين ذاتياً مخففة بذلك في العمل خلال مترتبات استبصارها نفسها القائم على المفارقة. أما كتاب فخته (1974 *Wissenschaftslehre*) (علم المعرفة في الترجمة الإنجليزية) فعلى النقيض بدأ باعتبار التفكير فعالاً دينامياً متجاوزاً لذاته. وأطروحة فخته التأسيسية تذهب إلى أن الذات هي التي تضع نفسها أو تعرض نفسها (تقدمها) *Dasuch setzt shch*. فالذات (الأنا) إذا تضع نفسها هكذا تخلق إمكان أن ترى نفسها باعتبارها منقسمة بين أن تضع وأن توضع، ومن ثم متجاوزة الشكل نفسه الذي وضعت نفسها فيه والذي يصير لذلك حداً بدلاً من أن يكون تمثيلاً مطابقاً لذاتها على الرغم من كونه مرحلة ضرورية حيث يقدم موضوعاً للتأمل الذاتى. وفي تفسير شليجل لفخته صار ذلك فكرة أننا لسنا دائماً إلا جزءاً من ذاتنا. الكائنات الإنسانية كلية القدرة، كلية المعرفة وخيرة بالكامل إلا أن الإنسانية ليست حاضرة بالكامل فى الفرد بل حاضرة جزئياً فيه. الوجود الإنسانى لا يستطيع أن يكون حاضراً أبداً (٥٠٦، ٥٠٩؛ *see also CH*, *pp.337 & 343 XVIII:pp*). ونستطيع أن نأخذ ذلك الحضور الجزئى للذات بالنسبة إلى نفسها بعدة طرق، بمعنى سيكولوجى (نفسى) أو سوسولوجى (اجتماعى) أو سياسى، وكذلك بالمعنى الفلسفى، مثل الأنا وحدية الرومانسية التى رآها هيغل أو علامة على ما بين ذوات (تداخل الذوات) حيث الذات يتم التعرف عليها كمستودع للأفكار والعواطف وتكون إتاحتها للوعاء منقطعة فى أفضل الأحوال<sup>(٢٠)</sup>. ومن الحاسم على أى حال النظر إلى أن ذات شليجل المتسمة بالمفارقة تحوم بين تحققاتها وقدرتها الكامنة ولا تميل بقدر أكبر إلى إحداها دون الأخرى. وماهيتها هي ترابط

(٢٠) انظر المفارقة والأخلاق وبخاصة الفصل الأول والثانى.

See Handwerk, *Irony and ethics*, especially chapters 1 and 2.

غير مستقر من هذا الأصداء، وديناميتها تتجم عن قصورها (عدم كفايتها) بالنسبة إلى ذاتها، وكذلك عن عدم رضاها عن هذا القصور.

وعند شليجل كانت المقدمة المثالية الأساسية هي أسبقية الصيرورة على الوجود، وهنا قد يمكن له أن يزعم أن كانط قد أخفق ببساطة في دفع ادعائه بالجهل التهكمي بعيداً بما يكفي. وقد نسب شليجل إلى فخته فضل اكتشاف قوانين الفكر، وبذلك اكتشاف كيف التحرك لتجاوز النزعة الربيبية للفلسفة اليونانية الكلاسيكية بحدسها الذي يعتبر التجربة مجرد تدفق (x11: 291-2). لذلك ليس من المستغرب ألا تكون صيغة شليجل من الجدل المثالي (في محاضرات بينا لعامي ١٨٠١ - ٢) شديدة الاختلاف عن صيغة فخته وربما يكون أكثر تأكيداً في التشديد على تداعياته المزعجة للاستقرار، وعلى ضرورة الذهاب إلى أبعد من قوانين المنطق نفسها التي اعتبرها فخته وربما يكون أكثر تأكيداً في التشديد على تداعياته المزعجة للاستقرار، وعلى ضرورة الذهاب إلى أبعد من قوانين المنطق نفسها التي اعتبرها فخته مقومة (مكونة) للذات قوانين الهوية وعدم التناقض على وجه الخصوص - وهو يقدم بالفعل اعتراضين نوعيين على فخته في محاضرات كولونيا اللاحقة. الأول: تأكيد على أن فخته لم يواصل متابعة متضمنات نموذجية الخاصة بتصور الذات في سيرورتها. "فالفرق الوحيد بين فلسفتنا وفلسفة فخته مائل في أن فخته يقول: الأنا هي في الوقت نفسه ذات وموضوع، على حين أنه في لغتنا كان عليه أن يقول: الأنا تصير بذاتها، موضوعاً لنفسها (x11:342). الثاني، هو يستخلص نتيجة أبعد مستمدة من وجهة نظره التي تقر أن الذات تستطيع فحسب أن تكون حاضرة إزاء نفسها على نحو جزئي. وفي ذلك نكون غير قابلين لتصور ذاتنا، بل نظهر فقط لأنفسنا أي أن الذات لا تتجلب نفسها بأي معنى حرفي (x11:343). وهكذا يحرف شليجل بعناية نقد هيجل القائل بأن الذات الرومانسية تؤكد قوة خلق ذاتية تماثل في الإطلاق ما تدعيه الأنا عند فخته فلا يصيب هذا النقد هدفه. وقد استكرر هيجل ذلك باعتباره دعوى مجردة خالصة، تسمح للذات بأقنمة لحظة السلب باعتبارها رخصة ذاتية فالتة

الانضباط، كما تسمح بالتخلى حتى عن واقعها المخلوق ذاتيًا باعتباره ليس جوهريًا. وبدلاً من ذلك وكما تؤكد أعماله اللاحقة نفسها يقر شليجل بأن المفارقة ترسى أساس نموذج للذاتية كان زمانيا من حيث الجوهر، وفي الحقيقة تاريخيًا في طبيعته<sup>(٢١)</sup>. ورؤية الوضع المعرفى للذات باعتباره حافلاً بالمفارقة لها نتائج منهجية بالنسبة لوجهة نظر شليجل فى الفلسفة والأدب. أولها أنها تشرط دعواه المتكررة مرارًا القائلة بأنه "إذا كان هدف الفلسفة هو المعرفة الموجبة بالواقع اللامتناهى، فمن السهل أن نرى أن تلك المهمة لا يمكن استكمالها" (XII: 166). فالفلسفة يجب بدلاً من ذلك (كما رأى نيتشه أيضاً) أن تصير تاريخية، لا تركز على أنماط التحليل الصورية النسقية، بل الأنماط التكوينية (التوليدية) *Genetic*. "قالتمثل التاريخى الإنسانى (*constructive*) وحده هو الموضوعى، الذى لم يعد يتطلب أى شكل برهانى (ZVIII:35 شذرة ١٧٤). وتقع هذه المبادئ خلف اختيار شليجل نفسه لأن يشكل دقاته الشخصية باعتبارها "سنوات التلمذة الفلسفية" *Philosophische Lehrijaher*، سجلات تدريبه الفلسفى. ومما له قوة الدلالة على أى حال أنه لم يكتشف أى صيغة ملائمة لنشر هذه السجلات ولجأ فى أعماله اللاحقة إلى شكل عرض المحاضرة. وثانى النتائج أنه يجب أن يكون تمثيل هذه المعرفة الجزئية المتحصلة فى متابعة المعرفة أدائياً، يجسد ما يصفه. ويؤدى ذلك كما لاحظ فرنر هاماخ *Werner Hamacher* إلى جماليات ثورية، فهى أساس نفسها ولم تعد محاكاة للفكرة أو محاكاة للطبيعة *imitatio naturae*، إنها شكل فعل "الروح الإنسانية ولم تعد نسخ فعل ما،

(٢١) هذا المنحى فى التفكير أنتج بعضاً من أفضل الأعمال قريبة العهد عن المفارقة الرومانسية بحث حركتها مقال بنيامين، وهى تشمل أعمال دى مان وكذلك مانفريد فرانك، فى مشكلة "الزمان" فى الرومانسية الألمانية.

*Das Problem 'Zeit' in der deutschen Romantik*, Munich: Winkler Verlag, 1972

وكذلك يوشن هوريش فى "المعرفة المرحة بالشعر

Jochen Hörisch, *Die fröhliche Wissenschaft der Poesie*, Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1976.

سواء أكان من أفعال الطبيعة أم الوعي<sup>(٢٢)</sup>. وهى تحول الفلسفة إلى جماليات، إلى علم للتمثيل، وإلى انعكاسية ذاتية عن التمثيل. وبذلك تكون فلسفة فخته قد سمحت لشليجل أن يمنح التعليق الانعكاسى الأدبى قوة وبنية فلسفيتين أكثر دقة، معرفة له كسيرورة من الخلق الذاتى والإفناء الذاتى تهدف إلى وضع الذات نفسها موضع المسائلة. وفى الوقت نفسه أعطت المفارقة الرومانسية دافعاً أدبياً للصياغات الفلسفية، معيدة غمر تلك الذات فى الخصوصية المميزة للنصوص الأدبية ومحركة لها فى تجاوز لشكلانية (صورية) منهج فيخته.

وهذه المفارقة المثالية إذن تقبل باعتبار مشكلتها هى القضية التى حاول كتاب كانط "نقد العقل الخالص" أن يعلّقها (يضعها بين قوسين) بواسطة الإقرار بالطبيعة التناقضية باستمرار للفكر الإنسانى.

فإذا كان الذهن لا يستطيع أن يحيط بنفسه بالكامل، ولا حتى بشروط إمكان أو بالحدود النهائية للأفعال التى يؤديها هو نفسه، فإن مطامحه فى الاكتفاء الذاتى سوف تحبط دائماً. وستكون معرفته بالضرورة تمثيلاً مجازياً لكونه معلقاً بين الاستبصار الحدسى وعجزه الاستدلالي. وتلك النتيجة يمكن الشعور بها إما كتحرير أو كخسارة. ولكن تأكيد العجز فوق الطموح مثلما تفعل المفارقة السوداوية فى إروين Erwin لكارل زولجر Solger، أو الاستبصار المصاب بالعمى لدى مان هو أخذ الجزء محل (باعتباره) الكل. فعلى الرغم من أن الذات قد تكون دائماً أقل مما تكونه، فهى أيضاً أكثر. "ولكن الإزاحة الطوعية للنفس من هذه الدائرة إلى تلك... التى لا تمتلك ببساطة الفهم والمخيلة، بل هى المعادلة للنفس بكاملها، والتكرر الآن بحرية لها الجزء، وبعد الآن لذلك الجزء من وجود المرء، وتحديد المرء نفسه بالكامل إزاء امرئ

(22) Werner Hamacher. 'Der Satz der Gattung: Friedrich Schlegels poetologische Umsetzung von Fichtes unbedingtem Grundsatz', *MLN* 95 (1980), p. 1161.

فيرنر هاماخ: تأليف النوع الفنى. تحويل فريدريش شليجل نظرية الشعرية على أساس المبدأ المطلق عند فيخته.



آخر، يبحث المرء عن نفسه ويجدها بالكامل الآن فى هذا الفرد، وبعد الآن فى ذلك الفرد وأن ينسى متعمداً كل الآخرين، فإن ذلك لا يمكن فعله إلا بروح تحوى داخلها عدداً من الأرواح ونسقاً كاملاً من الأشخاص، وفى داخلها فإن الكون الذى كما نقول ينبغي أن ينبت فى كل موناد، قد نما ونضج، (شذرة ١٢١، *Kritische Ausgabe*, II:185). وتقدم صياغة شليجل هنا وصفة لأحد الأنواع الفرعية السائدة فى المائتى عام الماضية، وهو رواية تكوين الشخصية *Bildungsroman*. وروايات التربية هذه تتناول ذلك الطراز من الثورة الباطنية داخل شخصية مركزية باعتباره سيروية تطويرية. ومدح شليجل المبكر لرواية جوته فيلهلم مايستر " ومحاويلته الخاصة الأقل نجاحاً فى هذا النوع "لوسنده" يقدمان نموذج نظرية للعديد من روايات تكوين الشخصية التى جاءت بعد ذلك، من رواية ستندال "الأحمر والأسود" و"رواية ديكنز "ديفيد كوبرفيلد" مروراً بـ "التربية العاطفية" لفلوبير ورواية سلمان رشدى "أطفال منتصف الليل".

وإذا أخذنا فى الاعتبار الواجب التحويلى فى المفارقة سيبدو محتملاً أن المفارقة نفسها كمصطلح ستكون انتقالية مؤقتة. فمن الواضح أنها اختفت من كتابات شليجل، ولكن ما صارت إليه يظل خاضعاً للمناقشة. وبالنظر إلى تحول شليجل إلى الكتكئة اقتراح شتروشنيدر كورس Stroschneider Kohrs لفظة الحب لتكون بديلاً لها، وفى موضع آخر بدا أن كلمة "الضمير" تثير شبكة مألوفة من الحدود ذات الصلة ؛ وقد اقترح فرانك أن المفارقة تصوير "الزمن"، وبهler أن تتحول إلى مفارقة التاريخ عند هيجل<sup>(٢٣)</sup>. وربما نستطيع أن نقيس على نحو موثوق به بدرجة أكبر النتائج المباشرة للمفارقة الرومانسية بالنسبة إلى النظرية الأدبية والممارسة الأدبية.

(٢٣) Stroschneider-Kohrs, *Die romantische Ironie*, pp. 80-8; Handwerk, *Irony and ethics*, pp. 40-3; Frank, *Das Problem 'Zeit'*, pp. 181-93; Behler, 'The theory of irony', in Garber, *Romantic irony*, pp. 62-7, 76-80.

أسماء الكتب هى المفارقة الرومانسية ثم المفارقة والأخلاق، ثم مشكلة الزمن ثم نظرية المفارقة، ثم المفارقة الرومانسية.

## من النظرية الأدبية إلى التاريخ الأدبى

بما أن مقالات أخرى فى هذا المجلد تعالج كثيرًا من المشاكل النوعية فى الجماليات الرومانسية، فإننى أريد ببساطة أن أشير إلى بعض التضمنات العامة للمفارقة الرومانسية بالنسبة إلى ممارسة النقد الأدبى أثناء الفترة الرومانسية نفسها. ومهما تكن صياغات شليجل بادية التجريد، فإن لتأملاته حول المفارقة أساسًا واسعًا تاريخيًا ونظريًا. لقد انبثق مفهومه عن المفارقة استنباطيًا من تأمله الطويل المدى فى أعمال مجموعة شديدة الخصوصية من الفلاسفة والفنانين، وكذلك استقرائيًا من دراساته واسعة المدى فى العديد من الآداب الأوروبية. وقد خدمه هذا المفهوم لأنه كان رحيبًا بما يكفى ليضم معًا مجموعته الانتقائية من الأسلاف وديقًا بما يكفى ليشير إلى تماسك خياراته. ويتضح المعنى المتوسع الذى أعطاه شليجل "للحادثة" فى فقرة أثينايوم رقم ٢٤٧ التى تدرج دانتي وشيكسبير وجوته باعتبارهم الثالث العظيم للشعر الحديث واصفة إياهم بالمتعالين (الترانسندنتاليين) أو الكتاب الرومانسيين الذين يتشاركون ضمناً فى الطموحات الانعكاسية الذاتية للمفارقة الرومانسية. ونستطيع تتبع استمرار نظرية شليجل فى المفارقة مع شواغله الأدبية التاريخية بواسطة النظر بإيجاز إلى مساحات ثلاث نوعية: التأويلية الأدبية، والمعيار *canon* ونظرية النوع الأدبى.

وتتركز النزعة التأويلية عند شليجل فى التكامل الفعال بين كل المكونات المختلفة للتجربة الجمالية، حتى تلك التى يفترض فى الأغلب أنها متميزة بذاتها. حتى انتهاك الإيهام الجمالى لم يكن مقصودًا به عنده أو يكون بالكامل قوة سلبية معطلة. وفى الواقع لقد رأى فيه شليجل انفتاحًا على مزج الشعر بالفلسفة كطريقة لإثبات أن القص المتخيل والتفكير التحليلى يمكن لهما أن يعملتا كصيغتين للمعرفة متبادلتى الاعتماد. ولا ينبغى اعتبار أن فاصلاً من التعليق الجانبى سيقطع الفعل

الدرامي، بل سيرتبط به ويدفعه إلى الأمام مثلما ينبغي على الحكمة الدرامية في نص معين أن تسعى بوعي لمد نطاق تضمنات استطراداته الفكرية.

وفي الوقت نفسه فإن المفارقة بواسطة إنكار الحضور الذاتي المباشر لذات مطابقة لنفسها تعقد مسألة أين يمكن تحديد موقع المعنى الأدبي. ويتم الإفصاح عن هذه النقطة بواسطة مثالين من أكمل أمثلة المفارقات الرومانسية استدامة (وإن يكن على نحو مؤقت)، هما "مونولوج" نوفاليس، و"ما لا يستطيع فهمه" لشليجل. والمثال الثاني كان خطاب وداع شليجل في الأتينايوم الذي يبدأ بمسألة أسس التأويل ذاتها. "من كل ما له صلة بتوصيل الأفكار ما الذي يمكن أن يكون أكثر إثارة للفضول من السؤال حول إن كان ذلك ممكناً على الإطلاق" (363 : 11) <sup>(24)</sup>. ويستمر لتأكيد أن اللغة على نحو نمطي تحبط مقاصدنا التوصيلية، لا كما قد نتوقع بسبب نواحي قصور متعددة فيها، بل بسبب أنها تقول أكثر مما نقصد. "الكلمات غالباً ما نفهم نفسها أفضل من الذين يستعملونها" (364 : 11). إلا أن حقيقة أننا لسنا بالكامل مسيطرين على لغتنا كما يؤكد نوفاليس "هي بقدر متساو فرصة كما هي عائق، لأنه إذا كان أحد الناس يتكلم لمجرد الكلام فإنه ينطق بأعظم الحقائق روعة وأصاله، ولكنه إذا كان يريد أن يقول شيئاً ما محدداً، فإن اللغة التي تجيء عفو الخاطر جريا وراء النزوة تجعله يقول أشد الأشياء مدعاة للسخرية وقلباً للأوضاع" (372 : 11). ويشق مونولوج نوفاليس طريقه الاستعارى من خلال مقارنات بين اللغة والرياضيات والموسيقى مدلاً على أننا نتكلم بأكبر قدر من الصدق حينما نطلق للغتنا العنان (نمنحها أكبر قدر من الحرية). ولكن "المونولوج" - واعيًا بوضعه المتناقض - يدور متحولاً إلى سؤال عن إن كان من الممكن أن يكون قد عبر عن هذه "الحقيقة" عن

(24) For a careful study of the multiple turns of Schlegel's text, see Cathy Comstock, "Transcendental buffoonery": irony as process in Schlegel's "Über die Unverständlichkeit", *Studies in Romanticism* 26 (1987), pp. 445-64.

اللغة بكفاءة، على وجه التحديد لأنه ظل يحاول أن يفعل ذلك، مما يترك بطبيعة الحال إمكان أن يكون دون وعى قد نطق بحقيقة مختلفة مفتوحًا.

ويوجد تفتح مواز فيما يتعلق بالمعنى عند الطرف الآخر من سلسلة التوصيل كذلك، تم اقتناصه فى فكرة نوفاليس عن القارئ بوصفه "مؤلفًا ممتدًا". وأحد أسباب أن متكلمًا أو مؤلفًا لا يستطيع أن يأمل فى التحكم فى دلالة ما يعبر عنه هو أن المعنى الكامل لكلماته لا توجد فيه وحده بل فى القوة الانفساحية التى لها عندما تتحرك من خلال الناس الآخرين. "أن يفهم شخص ما آخر ما هو أمر غير متصور فلسفيًا بل هو سحرى فى الحقيقة. إنه سر الصيرورة التى تكاد أن تكون إلهية، أزهار المرء تصير بذرة آخر" (شذرة ٧١٢ :٢٥٣: XVIII). وتتهار محاولة شليجل فى "جرد عدم القابلية للفهم" لأن يصنف فى مقولات المجموعة الكاملة من المفارقات الممكنة متحول إلى فوضى قابلة للتنبؤ بها، ولكن نتيجتها هى أن هناك قوة إيجابية فى عدم القابلية للفهم. وكما يستطيع أى امرئ أن يتبين على الفور، فإن أغلى ما تملكه الكائنات البشرية، وهو رضاؤهم الداخلى، يتوقف فى النهاية على مثل تلك النقاط التى يجب أن تترك فى الظلام، ولكنها بسبب ذلك نفسه تتحمل وتدعم الكل وستفقد قوتها فى اللحظة التى أردنا أن نذبيها فى فهم" (١١: ٣٧٠). إنها النصوص وتلك العبارات التى لا تفترض أنها تتحكم فى معانيها ذاتها وتترك مساحة كافية للقارئ الذى تعد عنده أشدها إثارة من الناحية العقلية. لذلك فإن أفق شليجل المتسم بالمفارقة ينحو منطقيًا إلى تمييز الكثير من الأعمال والأنواع التى تركت جانبًا أو حتى عُدت مستعصية على الفهم بواسطة المعيار الأدبى التقليدى. ويشغل شيكسبير المكانة الأكثر مركزية فى إعادة الترتيب الرومانسية لأن نصوصه تحوى بوفرة كل استراتيجيات أدبية تقديرية يمكن أن يعتبرها المرء متسمة بالمفارقة وبامتزاج العناصر الكوميديّة والتراجيدية والدرامية داخل المسرحية التى تعلق على طبيعة التمثيل الدرامى والاستقصاء الاستعارى للعلاقة بين التمثيل والواقع فى صور مثل العالم كمسرح.

ولكن هذه السمات السطحية تعنى القليل عند شليجل بالقياس إلى الحساسية الأساسية التي تحول كل هذه النباتات إلى اكتمال. إن شذرة أثنايوم رقم ٢٥٣ تقلب الشك الكلاسيكي الحديث في شكسبير على رأسه بواسطة الإصرار على "صواب" تمثيليته. وهو يعنى بالصواب ضروب الرنين الداخلي التي تشير إلى وعي مؤلف بالعلاقات المتعددة بين الأجزاء المختلفة لنص مُعطى. "شكسبير هو نسقى أيضاً بقدر لا يصل إليه آخر، الآن من خلال تلك التعارضات التي تسمح للأفراد والكتل وحتى للعوالم أن تتقابل معاً في تجمعات فائقة، والآن من خلال تماثل موسيقى على السلم الكبير نفسه خلال تكرارات وألحان ضخمة، وغالباً خلال محاكاة ساخرة للحرف وخلال مفارقة موجهة نحو روح الدراما الرومانسية ودائماً من خلال أعلى وأكمل فردية وأكثر تمثيل متعدد الجوانب لها رابطاً كل مراحل الشعر" (٢٠٨:١١ fragment 253). وكما فعل في مقاله عن جوته يرى شليجل المفارقة هنا روحاً تحوم فوق تخوم أشد الأعمال تنوعاً وتعدداً داخلياً موحية بوحدة لا تحتاج إلى أن تكون مرئية بوضوح هي في أي لحظة تراكيب نوعية داخل النص نفسه، ولا تستطيع أن تبدأ في الوجود بمعزل عن عون قارئ ما في بنائه.

إلا أن القص الخيالي النثري وخصوصاً في شكل الرواية الحديث هو الذي يقدم أكبر إمكانات للمفارقة. ولم يقف شليجل عند الدعوة إلى إعادة اصطفاغ تراثيات الأنواع التقليدية لإعطاء امتياز لهذا النوع الجديد نسبياً، بل لقد بذل جهداً ليجد مكاناً داخل هذا المعيار الذي جرده لمؤلفين "طائشين" مثل ثريانتس وستيرن. فقد أعلى من قدر دون كيشوت إلى مكانة أعلى في حوار حول الشعر (٢٨٢ : ١١ - ٣) شذرة (٣٤٦). ومثل نظيره الأكثر احتراماً فإن ثريانتس يؤكد فجوة المفارقة بالمثل على نطاق بنائي كبير بالجزء الثاني من دون كيشوت الذي يقوم بدور تعقيب على الجزء الأول بأكمله، وبذلك يصير الجزء الأول بمعنى ما بطلاً للجزء الثاني. ولتريسترام شاندى تعقيب ذاتي مماثل على سطحه كذلك عندما يصبح فعل الكتابة ذاته موضوعاً

وحتى الشخصية الرئيسية في النص. وكما هي الحال عند ثيربانتس من الجوهري عند شليجل أن تتوازن هنا المفارقة الانعكاسية بواسطة السمات العاطفية شديدة الوضوح في نص ستيرن، فالمفارقة تتطلب مغامرات عائلة شاندى لكي نقيم توازنًا بين أبعادها العقلية وغرضيتها الأخلاقية.

والى جانب إعادة بناء الماضى الأدبى تتطلع المفارقة الرومانسية إلى أدب المستقبل كذلك، وأوضح فى تضمن النوع. ومن الأدوات الواضحة لتشويش الإبهام الجمالى مزج أنواع متميزة وحتى متنافرة. وشليجل يوصى فى "خطاب حول الرواية" بأدب يستطيع أن يجمع معًا مؤلفين ونصوصًا من الماضى فى نظرية للرواية ستكون هى نفسها جديدة كالرواية كما استطاعت "فيلهم مايستر" لجوته أن تبرع فى فعله. وحدود الأدب لا تقف عند القص الخيالى لأن "التاريخ الحق هو أساس كل الشعر الرومانسى" (٣٣٧ : ١١).

وعلى حين تحاول المفارقة الرومانسية الوصول إلى "الشعر العالمى التقدمى" فإنها تستدير أيضًا نحو أشد الموضوعات الجمالية صغرًا ونحو أشد الأشكال الجمالية تحددًا وإقرارها بالطبيعة المنظورية التى أرست أساس نظرية للشذرة باعتبارها شكلًا. فالشذرات لم تقدم فحسب السياق لنوع من استبصار دقيق الصقل مثير الصياغة يحبه شليجل، بل فرصة لممارسة نشيطة لفلسفة متاغمة *symphilosophie*. إن الأنتيوم ومجموعتى *Biutenstaub und Ideen* من الشذرات كانت كلها إلى درجة ما جماعية حيث بذر شليجل إسهامات من شركائه الرومانسيين فى التقطيريات التى استخلصها من مواد دفاتره الخاصة. إن إيحائية شكل الشذرة الذى وصفه شليجل غالبًا باعتباره انفراج المنظر إلى اللانهاية *échappée de vue into the infinity* أو "الفطنة النقدية" *critical wot* جعلها طريقة مثالية لفتح شرارة الاستجابة التفاعلية التى اعتقد شليجل أنها جوهرية فى الممارسة الأدبية أو الفلسفية.

وتستمد المفارقة الرومانسية جاذبيتها كمفهوم في جزء كبير من المعنى الذي يمكن ربطها به إلى أى فكرة رومانسية أخرى تقريباً في عملية تمتد إلى ما لا نهاية. ولكن بما أن شليجل نادراً طوال مسار التاريخ الأدبي ما كانت له الكلمة الأخيرة حتى فيما يتعلق بالمفارقة، فلن يكون بعيداً عن الدقة أن نعطيها له هنا مع تذكرة تهكمية من مقاله من عدم القابلية للاستيعاب: "إن أعلى حقائق من كل نوع هي تافهة على طول الخط ولهذا السبب نفسه لا شيء أشد ضرورة من التعبير عنه بكل طريقة جديدة دوماً وحينما يكون الأمر ممكناً بكل طريقة جديدة دوماً وحينما يكون الأمر ممكناً بكل تناقضه دوماً، حتى لا ينسى أنها ما تزال موجودة وأنها لا يمكن أبداً أن يعبر عنها بالكامل (٣٣٦ : ١١).





## الفصل الحادي عشر

### نظريات النوع الأدبي

بقلم: تيلوتاما راجان

ترجمة: إبراهيم فتحى و لميس النقاش

(١)

لعله من المثير للدهشة طرح نظرية رومانسية للنوع الأدبي، إذ إننا بصدد تلك الفترة التى كتب فيها ويليام وردزورث أن على كل كاتب أن "يخلق الذوق الذى يسمح بالاستمتاع بكتابته"، ومدحت مدام دي ستايل ألمانيا لأن كتابها على العكس من فرنسا "يخلقون جمهورهم"، وأكد فيكتور هيجو ضرورة الحكم على الكاتب انطلاقاً من "قوانين تنظيم عمله" وليس من "القواعد والأنواع الأدبية"<sup>(١)</sup>. ولكن كما يشير هيجو فإن الرومانسية ربما لا ترفض الأنواع الأدبية بقدر ما توسع من نطاقها بحيث لا تصبح نظاماً لاستبعاد ما عداها. وي طرح هيجو للتساؤل مسألة مطابقة النوع للشكل المتحقق، ملاحظاً أن ما يعتبر "إخلالاً" عادة ما يكون شرطاً لمميزات (العمل)" (ص ١٠٧). كما يشير إلى ما تم التنظير له فى ألمانيا بشكل أكثر اتساقاً باعتباره بحثاً فى التأويل: وهو فهم نصوص مختلفة ثقافياً وتاريخياً من خلال قراءة "فسية" و"تحوية"

(١) انظر

William Wordsworth, 'Essay supplementary to the preface', in *Literary criticism of William Wordsworth*, Paul M. Zall (ed.), Lincoln, ne: University of Nebraska Press, 1966, p. 182; Madame de Staël, *De l'Allemagne*, Paris, n.d., pp. 110-11 (translation mine); Victor Hugo, Preface to *Cromwell*, Paris: Garnier-Flammarion, 1968, p. 107 (hereafter cited in the text – translations mine).

و"تقنية" (٢). يربط فيلهلم ديلتاي فيما بعد علم التأويل الخاص بالرومانسية بتراث يبدأ من لايبنتس مروراً بجوته وهيردر وحتى ما بعد الكانطيين، تراث يرى "خلف المظهر الخارجى البنية التى تشكل روح" الظواهر الطبيعية والثقافية. (٣) وبذلك تؤسس الرومانسية علم تأويل النوع وتستبدله بالمداخل التداولية والشكلانية السابقة وتحل مدخلاً ظاهرياً للأشكال كتحليل عن حالات متصارعة أحياناً للوعى (الثقافى). فالأنواع لا تتحدد بأثرها أو ملامحها البنائية ولكن كموقع للتفاوض بين الموضوع والذات، الجوانية وتبديها الخارجى، أو كتجسيد ملائم أو غير ملائم "لفكرة". وفى هذا المقال نرصد ظهور "نظرية فلسفية للنوع الأدبى" حتى تم إرساؤها مؤقتاً على يد هيجل وإن كان تأثيرها يستمر متجاوزاً ما ورد فى كتاب هيجل علم الجمال ويظهر فى نظريات متباعدة من كيركجور إلى نيتشه وبنيامين ولوكاتش وباختين وبول دى مان كما يظهر فى رياضيات الأشكال الثقافية والنسب التى تتجاوز الأدب بل وحتى الفنون.

ويهمنا هنا الرجوع إلى اثنين ممن ناقشوا النظرية الرومانسية للأنواع الأدبية، يرى بيتر ستوندى التحول من "عصر التنوير إلى المثالية الألمانية" كتحول من نظرية "تداولية" للأنواع إلى نظرية فلسفية. (٤) كما يرى أن فريدريش شليجل بدأ اهتمامات غائبة استكملها هيجل حيث قام بتركيب وعى جديد بالتغير التاريخى مع

(٢) هذه مصطلحات فريدريش شلايرماخر Friedrich Schleiermacher والذى يكمن المدخل الأمثل فى The Hermeneutics: the Outline of the 1819 Lectures', J. Wojcik and R. Haas. (trans.), New literary history 10 (1978), pp. 1-16.

ولمزيد من المناقشة حول التأويل الرومانسى انظر Tilottama Rajan, *The supplement of reading: figures of understanding in Romantic theory and practice*, Ithaca, ny: Cornell University Press, 1990, pp. 15-99.

(٣) انظر:

Wilhelm Dilthey, 'The Schleiermacher biography', in *Dilthey: selected writings*, H. P. Rickman (ed.), Cambridge University Press, 1976, p. 53. See more generally pp. 50-67.

(٤) انظر:

Peter Szondi, *On textual understanding and other essays*, Harvey Mendelsohn (trans.), Minneapolis, mn: University of Minnesota Press, 1986, p. 78.

المتطلبات النسقية "للفلسفة". وعلى العكس من هذا الرأي فإنني أرى أن كتاب هيجل علم الجمال ليس نسوية وحلاً للاتجاهات السابقة ولكنه كان نقطة تحول نحو اتجاهات جديدة مختلفة. فستسوندي يعتبر علم الجمال جزءاً من مخيلة فلسفية تقدم سرداً شارحاً للفن metanarrative لا يقف عند منهجية لدراسة الفن: فعلم الجمال هو "المرأة"، كما يقول شليجل، التي يرى فيها الفيلسوف "الماهية الداخلية لتخصصه" في حالة عيانية وواقعية.<sup>(٥)</sup> ولكن بالرغم من إغراءات الشمول الفلسفي فإن إسهامها الحقيقي كان على مستوى المنهج. فبدلاً من اعتبار الفلسفة الفرع الرئيسى لدراسة الرومانسية وعلم الجمال المثل التطبيقى لهذا الفرع، فإنني أرى فى الرومانسيين مفكرين تبنا فروع المعرفة المتداخلة فتناولوا الأنواع الأدبية من ناحية فلسفية (ونفسية) أكثر من تناولها بالطرق الآلية. فليس دور "الفلسفة" أن تضيء نظاماً نسقياً على التاريخ، بل إن تناولها بالطرق الأدبية. لدى النظرية (ما بعد) الهيكلية، محاولة فلسفية للخوض فى المشكلات وفى حلها وهى تخضع فى النهاية للاختلاف الثقافى والتاريخى.

أما بالنسبة لسيرس هامان بالرغم من أنه لا يعطى نفس القدر من الأهمية لمسألة النسق فإنه بدوره يرى أن الإسهام الأساسى للرومانسية الألمانية يتمثل فى نظريتها "الفلسفية" للأنواع الأدبية. ويرجع الفضل فيها إلى نظرية جوته فى المورفولوجيا (فرع من علم الأحياء يبحث فى شكل الحيوانات والنباتات وبنيتها). مثلها مثل النباتات كل نوع له بنية تكاملية Gestalt (بنية أو صورة من الظواهر الطبيعية أو البيولوجية أو السيكلوجية متكاملة بحيث تؤلف وحدة وظيفية ذات خصائص لا يمكن استمدادها من أجزائها بمجرد ضم بعضها إلى بعض.) وهذه البنية ليست "مخططاً ولا معياراً مجرداً" إنما هى "التشكيل المتفرد والمميز لكل عمل". كما يضع

(٥) انظر:

F. W. J. Schelling, *The philosophy of art*, Douglas W. Stott (ed. and trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989, p. 8.

هاملن النظرية الرومانسية للأنواع الأدبية في السياق الأوسع للنظرية المثالية لما بعد الكانطية حول "الوعي" (Bewußtsein) وتطوره الجدلي أو التعلم (Bildung) للتأكيد على أن الرومانسيين رأوا الأنواع كتعبير عن "حالة ذهنية"<sup>(٦)</sup>، وإن كان هاملن يقصر النظرية الرومانسية للأنواع الأدبية على ما يسميه أليستر فولر "بالأنواع المركزية" في مقابل "الأدب الموسع". ولكن في حين يحدد جوته الملحمة والقصيدة الغنائية والدراما "بالأشكال الطبيعية للشعر"،<sup>(٧)</sup> فإن فريدريش شليجل يقصر هذا التقسيم على الأدب الكلاسيكي باعتبار "الأنواع الحديثة إما كلها واحدة أو لا نهائية العدد."<sup>(٨)</sup> وبناء عليه فإن الرومانسية وإن كانت ضيقت إلى حد ما من استخدام مصطلح النوع (species) Gattung نفسه إلا أنها على مستوى التطبيق فتحت على نطاق واسع من حدود النوع الأدبي حيث تم التنظير لأنواع دلالية (سميوطيقية) مثل المفارقة والمجاز التمثيلي مع أنواع أو "أصناف" من الحساسية مثل الساذج (التلقائي) والعاطفي (ماهر الصنعة). وقد كان امتداد التوسع الظاهرياتي للنوع نتيجة للتوتر بين النظريات المورفولوجية ونظريات الوعي التي يراها هاملن متنامية. فمن ناحية تؤدي فكرة جوته عن البنية التكاملية Gestalt إلى تعريف للنوع باعتباره "ظاهرة طبيعية ... وليس ظاهرة تحكمية"<sup>(٩)</sup> فيتم فهم الأنواع على أنها تعبيرات عضوية للوعي ويتم إستيعابها بما يطلق عليه كوليردج "شكل الشكل بوصفه أداء (اتخاذ إجراءات) Form as

(٦) انظر:

Cyrus Hamlin, 'The origins of a philosophical genre theory in German Romanticism', *European Romantic review* 5, no. 1 (1994), pp. 9-11.

(٧) انظر:

Alastair Fowler, *Kinds of literature: an introduction to the theory of genres and modes*, Cambridge, ma: Harvard University Press, 1982, p. 17; Hamlin, 'Origins', p. 13.

(٨) انظر:

Friedrich Schlegel, *Literary notebooks 1797-1801*, Hans Eichner (ed.), Toronto: University of Toronto Press, 1957, p. 110. (When cited: translations mine.)

(٩) انظر: Hamlin, 'Origins', p. 10.

proceeding وليس "شيئاً مضافاً" <sup>(١٠)</sup>superinduced ومن الناحية الأخرى ولأن هذا الوعي متضمن في عملية التعلم Bildung فإن الطبيعي يضاف عليه صبغة تاريخية مما يسمح لأنواع جديدة بالظهور.

ومن هنا يأتي هذا المقال ليحدد الإسهام الرومانسي في التحول من نظرية النوع الشكلانية إلى نظرية ظاهراتية، وفي التوسع الناتج عن ذلك من تحليل النوع إلى أشكال أخرى للوعي الثقافي، وفي إدراك تاريخية هذه الأشكال. وسنرجع بالأساس للرومانسية الألمانية بما أننا نركز على النوع في مستواه "النظري" - وهو شكل للبنية المعرفية نادر في إنجلترا حيث يسود "النقد" التطبيقي وحيث لم يتم تأسيس "علم الجمال" كفرع مستقل من فروع المعرفة. ففي حين يتوجه "النقد" من بوب وحتى أرنولد إلى دائرة الجمهور فإن "نظرية" علم الجمال تقوم على استقلالية الحكم الجمالي. وقد قام كلاوس بيرجان بوصف سيادة ذلك النوع تحديداً من النقد الأدبي في ألمانيا في عصر التنوير حيث التزم النقد "بالذوق" المرتبط بتركيبة جمهور الطبقة الوسطى، واتخذ من وسائل الإعلام التي تلقى استجابة اجتماعية من مجلات ودوريات مجالاً له. <sup>(١١)</sup> ولكننا نشهد مع حركة العاصفة والاندفاع sturmund-drang تأكيداً متزايداً على شخص الفنان والقصد المثالي أو الروح الباطنة للعمل. ويأخذ الترويج لفكرة العبقرية منحى أنثروبولوجياً أحياناً (كما في دعوة هرذر إلى عبقرية الشعب *volk*) أو منحى فردياً (كما في التأكيد التأويلي على فهم المؤلف أكثر من فهمه هو لنفسه).

(١٠) انظر:

Samuel Taylor Coleridge, 'On poesy or art', in *Biographia literaria, with his aesthetical essays*, J. Shawcross (ed.), 2 vols., Oxford University Press, 1907/73, vol. ii, p. 262.

(١١) انظر:

Klaus Berghahn, 'From Classicist to Classical literary criticism, 1730-1806', in *A history of German literary criticism*, Peter Uwe Hohendahl (ed.), Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1988, p. 21.

وكلا المنحيين يرى في العمل الفني والثقافي عملاً فريداً من نوعه، ومن داخل هذا الانفتاح على التفرد تنطلق إعادة صياغة فكرة النوع الأدبي.

فهذا التأكيد على التفرد يمهّد الطريق لتأسيس علم الجمال كخطاب له مساحته الخاصة، بحيث يمكن رصد التحول في النموذج التوجيهي في ألمانيا بين ١٧٣٠ و ١٨٣٠ من خلال تراجع موقع المقالات والمراجعات التي تنسم بحس الهواة لصالح الأبحاث والمحاضرات الأكاديمية، ولصالح الشذرات أيضاً وإن كان ذلك بشكل مختلف. وهذا التحول يكاد لا يكون ملحوظاً في إنجلترا، ففيما عدا شيلي وكوليردج لا نجد أثراً لتحول الأنواع الخطابية التي ميزت الرومانسيين الألمان: فلا نجد محاولة بناء علم الجمال كفرع مستقل من فروع المعرفة له استقلاله من خلال البحث العلمي وخلق نسق (كما لدى شيلنج وهيغل) ولا نجد كذلك الأمثال والحكم النظرية التي تستعصى على القولية أو الاندراج في السياق الإمبريقي. (كما لدى شليجل) فالأكثر انتشاراً في النقد الإنجليزي هو المقالات والمراجعات ودراسات تاريخ الأدب التي صاحبت المختارات الأولى التي جمعها توماس كامبل وروبرت سوئي في محاولتهما لخلق أدب قومي.<sup>(١٢)</sup> وبالفعل تشهد الطبيعة المختلطة لكتاب كوليردج سيرة أدبية (١٨١٧) والذي جمع ما بين النظرية ما بعد الكانطية والنقد التطبيقي، على القلق المصاحب لأي إعادة تشكيل النموذج السائد (اجتماعياً) في النقد. وحتى عند شيلي تظل سلطة المجال العام جلية رغم ادعائه أن الشاعر "سيعتل عمله" إذا كتب طبقاً "لتصورات [معاصريه] حول الصواب والخطأ".<sup>(١٣)</sup> فإذا نحينا جانباً التشابهات مع

(١٢) أشير هنا إلى:

Thomas Campbell, *Specimens of the British poets; with biographical and critical notices, and an essay on English poetry*, 7 vols., London: John Murray, 1819, and to Robert Southey, *Specimens of the later English poets*, 3 vols., London: Longman, Hurst, Rees and Orme, 1807, *Select works of the British poets from Chaucer to Jonson*, London: Longman, Rees, Orme, Brown and Green, 1831, and *The lives and works of the uneducated poets*, 1831; rpt. London: H. Milford, 1925.

(١٣) انظر:

Percy Bysshe Shelley, 'Defence of poetry', in *Shelley's poetry and prose*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1977, p. 488.

رومانسية مدينة بينا نجد أن "دفاع عن الشعر" (١٨٢١) تمت صياغته في إطار "مجال عام لعلم الجمال"<sup>(١٤)</sup> فكان دفاعاً في مواجهة هجوم بيكوك على الشعر في كتابه عصور الشعر الأربعة (١٨٢٠) ومن هنا فإن نظرية شيلي للأنواع هي نظرية أقرب لإصدار الأحكام منها نظرية لإضفاء النسق أو إضافة الصبغة التاريخية. فنجد فيها القص يقع في مرتبة أدنى من الشعر استناداً إلى انشغاله بالجزئي الذي يشوه المشروع المثالي. (ص ٤٨٥) ونجد (فيما سوف يتردد في التاريخ الأدبي المحافظ كما لدى كامبل) أن الدراما ليست سوى مصدر لعدوى المحاكاة والوجدان ما لم "يظل التعبير الشعري سارياً فيها"، بسبب ما تبديه من "عاطف" مع تعفن الحياة الاجتماعية". (ص ٤٩١)

ومما لا شك فيه أن الرومانسية الإنجليزية جربت كذلك "فصل" الفن عن الحياة العامة، ونظرية كوليردج وشيللي جديرة بالذكر هنا، وقبلهما إدوارد يونج في كتابه "تكهنات في التأليف الأصل" (١٧٥٩). وفي نفس الوقت فإن الأدب غنى بأشكال التجريب في النوع والتي تدعو من خلال "جماليتها غير المكتوبة"<sup>(١٥)</sup> إلى نفس نظرية النوع التجديدية التي انطلقت في ألمانيا. كما نجد توازيات مع إدراك ج ج هيردر (والتي سناقشها في الجزء التالي) أن الثقافات المختلفة تكتب "أصنافاً" مختلفة من الشعر، نجدها في محاولات التتقيب عن المخلفات لاستعادة "عينات" من الشعر الإنجليزي العتيق، أو الكشف عن تراث "الشعراء غير المتعلمين" كما في كتاب سوئي حياة وأعمال الشعراء غير المتعلمين (١٨٣١). ومع ذلك يقصر سوئي عن الاحتفاء بما هو خارج عن الأدب المقرر باعتباره "جزءاً من الشعب" Volk مفضلاً تعريف هؤلاء الشعراء بالنفي: "غير المتعلمين". وهو بهذا يمتضى في التعامل مع الآخر النوعي باعتباره "قطعة أثرية" أو مدعاة للفضول كما هو واضح لدى توماس بيرسي

(١٤) انظر:

Berghahn, 'From Classicist', p. 97.

(١٥) انظر:

Claudio Guillen, *Literature as system: essays toward the theory of literary history*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1971, p. 127.

فى إعادة اكتشافه لذلك النوع الهامشى فى الشعر الإنجليزى وهو القصيدة القصصية فى معرض قصة "التطور" التى يبرر بها قيامه بذلك المشروع. ويخفق بيرسى، الذى ينشر ما بين القصائد القصصية القديمة أخرى غنائية "راقية" يستسخيها "الذوق" المعاصر، فى التعامل مع القصيدة القصصية كنوع مختلف معرفياً عن القص وعن القصيدة الغنائية (وهو يدرج القصيدة القصصية تحت البند الأخير بسبب قابليتها "للغناء")<sup>(١٦)</sup> ومثل هذا النقد يظل إذن رغم أخذ تنازلاته فى الاعتبار للاختلافات الثقافية متمركزاً بقوة فى مجال الحياة العامة المعاصرة.

إن النقد الإنجليزى إذن يفترض أن النوع الأدبي يساهم فى تكوين الجمهور المناسب من خلال تكوين "الذوق" و"إصدار الأحكام" فيعترض وريزورث على "روايات الإثارة" و"المآسى الألمانية ... المريضة" والتى تقدم للعقل "الإثارة الغليظة العنيفة"، فى حين ينتقد كوليردج الروايات لتأثيرها "المؤلم" على "العواطف" وإثارها "للفضول والحساسية".<sup>(١٧)</sup> لقد كانت هناك بالطبع آراء مختلفة حول الأنواع الأدبية المتنوعة. فنجد ويليام جودوين يستهل مقاله "عن الاختيار فى القراءة" بملاحظة أن "الفتيات" عادة "ما يمنعن من قراءة الروايات".<sup>(١٨)</sup> فيرى جودوين أن النص يتحدد "بأنه" وبما أن الأثر لا يمكن تقنيه فإنه يعتبر الدراما والرواية وسائل لإعادة التفكير فى معايير النوع الثقافى للمرأة والرجل والمجتمع. مثل هذه المراجعة يمكننا رصدها رصداً مركب الجوانب إذا ما تناولنا بالإضافة للملاحظات النقدية المتفرقة حول النوع

(١٦) انظر:

Thomas Percy, *Reliques of ancient English poetry*, J. V. Prichard (ed.), 2 vols., New York: Crowell, 1876, i: viii, x.

(١٧) انظر:

William Wordsworth, Preface to *Lyrical ballads* (1800), *Literary criticism* p. 21; Samuel Taylor Coleridge, *The Friend* (1818), Barbara E. Rooke (ed.), 2 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969, vol. i, pp. 179, 132, 20.

(١٨) انظر:

William Godwin, *The enquirer; reflections on education, manners, and literature in a series of essays*, 1797; rpt. New York: Kelley, 1965, p. 129.



الأدبي، النصوص الأدبية التي تشتمل على تأمل للنوع الأدبي من خلال العناوين الفرعية أو المشاهد المتعلقة بالكتابة والقراءة. ولكن علينا البحث في مكان آخر عن النظرية الجديدة للنوع الأدبي.

## (٢)

لقد كان هيردر أول من طرح الحاجة إلى نظرية "فلسفية" للنوع شاكياً من وجود "قواعد آلية تحكم صيغ الشعر" في غياب "نظرية جمالية مكتملة للفن الشعري، بل في غياب ميتافيزيقا كاملة للفنون الجميلة". وبذلك يمضي هيردر مستكماً محاولة بومجارتن لتأسيس علم الجمال كفرع مستقل من فروع المعرفة يقوم بتعريف "ماهية الجميل في كل ... شكل من أشكال الفن". وعلى العكس من شيلنج وهيجل من بعده لا يطرح هيردر أن "تبدأ هذا البناء ... من أعلى"، ولكن "من أسفل" حيث الأنشودة.<sup>(١٩)</sup> ورغم قصور هيردر عن تقديم تصور "فلسفي" حتى لهذا النوع الوحيد فإن ما قدمه في "شذرات من رسالة حول الأنشودة" (١٧٦٥) وفي "مقال عن تاريخ الشعر الغنائي" (١٧٦٦) يفصح عن مبادئ تحليلية خصبة. فهو يربط بين النوع و"الحساسية" أو "الإحساس" (الأعمال الأولى ص ٣٥-٣٦) وهي الفكرة التي طورها شيلر فيما بعد. كما أنه يؤكد على نسبية "الحس الجمالي": "كما تعتبر أمة من الأمم جميلاً في وقت ما" قد يصبح فيما بعد "قبيحاً وغير ذي جدوى ولا يبعث على المتعة ويفقر إلى الصدق". (ص ٦٧٩) ويأخذ على نظرية النوع كونها تستقي مقاييسها من "نوع واحد صدر عن شعب واحد" واعتبار الأشكال الأخرى "انحرافات" عنه. (ص ٧١) وبالتالي فإن الرجوع إلى الإحساس لا يربط فحسب بالتحول إلى الذاتي ولكنه أيضاً تأكيد على الاختلاف الثقافي والتاريخي.

(١٩) انظر:

Johann Gottfried Herder, *Selected early works, 1764-7*, Ernest A. Menze and Michael Palma (trans.), University Park, pa: Pennsylvania State University Press, 1992, pp. 50-1.

وينطلق على يد هيردر ذلك التوتر بين الرغبة فى الوحدة والاعتراف بالاختلاف، وهو التوتر الذى يعود مجدداً من رومانسية مدينة بينا إلى هيجل، ويتضح هذا التوتر فى استخدامه للغة تسعى لفرض نسق جنباً إلى جنب مع نزعة عضوية يتضافر على تحديدها الخطاب التاريخى من ناحية مع خطاب علوم الأحياء من ناحية أخرى وهما متنافسان. ونجد فى صورة "البناء" هذه مثلاً مبكراً لتوق الألمان الدائم إلى خلق نسق. ولكن وعلى مستوى آخر فإن رحابة هذا البناء نفسه (والذى سيصبح تكويناً متطوراً *Bildung* فيما بعد) تتسع لأنواع مختلفة من الفن. ونجد فى مفهوم هيردر "التوليدى" للنوع والمبنى على تماثل مع النبات، استمراً لذلك التوتر بين الفلسفة الماهوية والاختلاف. ويسعى هذا المدخل الباحث عن الأصول إلى تتبع "منبع" النوع كما تتبع الشجرة جذورها". ومن هنا تصبح الأنشودة جذر شعر الرثاء والشعر الغنائى والرعى (ص ٥٠)، وهو الطرح الذى يدل بوضوح على الرغبة الرومانسية فى خلق نقطة توحيد سيتكرر فى محاولة شليجل جعل الرواية نوعاً يجمع ما سبقها من الأنواع، مع الاختلاف أن نقطة التوحيد هذه المرة لاحقة لا سابقة على ما عداها من أنواع. وهنا نجد الرغبة فى خلق النسق: الرغبة فى تصنيفات تختزل التعدد إلى وحدة. ومن الناحية الأخرى يبدى هيردر اهتماماً "بالفروع" وليس فقط "بالجذع"، كاشفاً بذلك عن عنصر آخر من نزعة التعضى ألا وهو مفهوم الأنواع التى تنمو وتتغير. فيلاحظ فى الأنشودة بما أن موضوع دراستى دائم التغير، فإننى لا أعرف أين أجد التوحد. (ص ٧٠-٧١) فنزعة التعضى إذن ذات أصل مشترك مع علم التاريخ، مفهوماً فى تناثره لا باعتباره وحدة غائية.

إن أسلوب هيردر يتميز باستخدامه للشذرات والحجج التى تتعمد تجاهل النسق. وقد كان اختياره هنا كنقطة صدور يهدف إلى التعامل مع النظرية الرومانسية للنوع كنظرية مفتوحة النهاية بالرغم من ميلها للاتساق. ويكتسب تصور هيردر عن "التطوير الفلسفى" للنوع أهمية خاصة: إذ يرى أنه يتطلب ناقدًا قادرًا على أن يكون "عالم لغة وشاعرًا" وفيلسوفًا وعالم نفس لعلم الشعر" (ص ٥٠-٥١ و ٢٥٢). ولكننا

نصل أخيراً مع شيللر إلى المثال النموذجي على التحول من "نظرية الأدب (البوطيقا) إلى "الفلسفة" فهو يقارن بين الشاعر الساذج المتوحد مع عالمه وفنه وبين مقابله العاطفي المغترب عن الطبيعة الباحث كـ"فكرة وموضوع" عما غاب عن الحياة الإنسانية كتجربة"<sup>(٢٠)</sup>. ومن هنا نجد مقاله "حول الشعر الساذج والشعر العاطفي" (١٧٩٥) تميز بين نوعين من الوعي وهو يحللها تحليلاً نفسياً وتاريخياً أقرب إلى "الفلسفة"، بمعناها الواسع، منه إلى التحليل الشكلي. وبالتالي فإن شيللر يحول دراسة النوع على أساس تقني إلى دراسته على أساس ظاهرياتي. والنظرة السطحية ترى أن "الصيغة" *mode* ليست مفهوماً جديداً: فقد استخدمه أرسطو عندما ميز بين الأنواع على أساس الوسائط المستخدمة والموضوع وشكل المحاكاة. ففي كتاب الشعر لأرسطو الصيغة ليست بديلاً عن النوع ولكنها أداة لتحليله. ويتفق شيللر مع هذا التأكيد ولكنه يحلل الأنواع من خلال صيغة حساسيتها (*Empfindungsweise*) وليس من خلال "شكل العرض" ("الشعر الساذج والعاطفي" هامش ١٢٦) وبهذا لا يكون قد اتخذ من الصيغة بديلاً أولياً للنوع فحسب ولكنه أيضاً اعترف بالنوع نفسه كمقولة ثقافية.

ولعل إسهام شيللر من الناحية العملية يبدو هامشياً وغير مرض. فبالرغم من أنه يرى أن "صيغة الإدراك" ليست بالضرورة موحدة "حتى في العمل الواحد" (ص ١٢٦) فإنه يحدد صيغتين فقط بحيث يصبح كل الأدب ما بعد الكلاسيكي ضمن الأدب العاطفي. ولكنه يقدم أداة لنقد النقد تعمل في سجلات متعددة وتثرى بعمق "ظاهرياتية" النوع. فالساذج والعاطفي ليسا مجرد مزاجين مختلفين كما يرى البعض. فهما أقرب إلى ما يسميه شليجر درجة لون *Ton* وهي شكل نعتي للنوع والتي تسمح

(٢٠) انظر:

Friedrich von Schiller, *Naive and sentimental poetry and On the sublime*, Julius A. Elias (trans.), New York: Ungar, 1966, p. 105.

له بالحديث عن الرواية باعتبارها "صابغة لكل الشعر الحديث".<sup>(٢١)</sup> ويمكننا كذلك قراءة شيللر من خلال توسيع هنريتش ولفلين للمزاج (باعتباره حس حياة *Lebensgefühl*) بالأشكال المعمارية مثل الكلاسيكية والقوطية.<sup>(٢٢)</sup> وكما توحى المقارنة فإن العاطفى ليس فقط وجدائاً ولكنه أيضاً مقولة ثقافية تنطلق من اختفاء الطبيعة فى المجتمع ما بعد الزراعى. وهو أشبه بما يسميه بورديو تطبعاً *habitus*،<sup>(٢٣)</sup> فكلمة *Empfindungsweise* طريق الإحساس هى حساسية سيميوطيقية تنتجها حقيقة أن ما يسعى إليه الكاتب "يوجد خارجه كفكرة لا تزال جديرة بالتحقق" (الشعر الساذج والعاطفى" ص ١١١) وبالتالي فالشاعر الساذج يرى "اللغة تثبثق كأنما من ضرورة داخلية من الفكر"، فى حين أنه بالنسبة للكاتب العاطفى "العلامة ... تبقى خارجة ومتغايرة عن الشيء المشار إليه" (ص ٩٨)

ويمكن رصد تأثير شيللر على فيكتور هيجو فى مقدمته لمسرحية كرومويل (١٨٢٧) والتي تطرح ثلاث فترات (البدائية والقديمة والحديثة/الرومانسية) تناظر الشعر الغنائى والملحمة والدراما. فعندما يقرر هيجو أن الملحمة هى النوع المميز للكلاسيكية فإنه يستخدم "الملحمة" هنا كطريقة صياغة لا تصف هوميروس فحسب وإنما تصف كذلك حساسية هيرودوتس. (ص ٦٤) وعليه فإن اسخيلوس يندرج تحت

(٢١) انظر:

Friedrich Schlegel, *Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991, p. 36.

وستشير لذلك الكتاب فيما يلى بشكل مختصر باسم Fragments. وقد استخدم هولدرلين Holderlin كذلك مفهوم درجة اللون، انظر فى ذلك:

Friedrich Hölderlin: *essays and letters on theory*, Thomas Pfau (trans. and ed.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988, pp. 83-8.

(٢٢) انظر:

Heinrich Wölfflin, 'Prolegomena to a psychology of architecture' (1886), in *Empathy, form, and space: problems in German aesthetics 1873-1893*, Harry Francis Mallgrave and Eleftherios Ikonomou (eds.), Santa Monica, CA: Getty Centre for the History of Art and Humanities, 1994, pp. 149-51, 159.

(٢٣) انظر:

Pierre Bourdieu, *The logic of practice*, Richard Nice (trans.), Stanford, CA: Stanford University Press, 1990, pp. 52-79.

"الملحمة" في حين تعتبر "الدراما" -وهذه مفارقة- "حديثاً"، إذ إنها تعبر عن حساسية الصراع الرومانسية في صيغ مثل الجروتسك والذي يمزج بين السوداوية والمفارقة (ص ٦٥ وص ٦٩ إلى ٧١). ومع ذلك من السهل أن يفلت تعقيد مفهوم شيللر إذا ما قرأناه مطوعاً لدى الذين استولوا عليه. فعندما استخدم أ.ف. شليجل "الحساسية" في تمييزه بين الكلاسيكي والرومانسي، وهو التمييز الذي انتشر بفضل كتاب عن ألمانيا (١٨١٠) للسيدة دي ستايل، تحولت "الحساسية" إلى مقولة عاطفية تستخدم للحديث بعموميات فضفاضة حول ثقافات بأكملها لا لفهم الاختلاف في النوع والشكل.<sup>(٢٤)</sup> في حين يظل أكثر استعراض للمقولة تعقيداً هو ذلك الذي ينتمي لتراث ما بعد الرومانسية في نظرية النوع الفلسفية كما لدى بول دي مان في مناقشته للمجاز التمثيلي (١٩٦٩) حيث يتحول فهم شيللر للبناء المجازي للعاطفة الزائدة إلى تحليل للحساسية المتضمنة في المجازات.<sup>(٢٥)</sup>

وقد كان للعلاقة بين النوع والحساسية - التي تم الربط بينهما من خلال مسألة الصيغة - تشعبات بعيدة المدى. فيرى أ.ف. شليجل بالفعل ضرورة دعم "النظرية العامة" "الجميل" بالوعي "أن لكل فن ... نظريته الخاصة به"، والتي يجب "أن يتم تطويعها لتتاسب ... خصوصية كل عصر وأمة."<sup>(٢٦)</sup> ولكنه يتجاهل الاختلاف بين عرض نظري معياري "لما يجب أن يتحقق" في الفن وبين عرض تاريخي إمبريقي لما "تحقق بالفعل" (المحاضرات ص ١٧ و ١٨). ويبقى أن يقوم أخوه فيما بعد بتتبع آثار التمييز بين الحساسية الرومانسية والكلاسيكية على (نظرية) النوع.

(٢٤) ونجد هذا الاتجاه في ذروته عند النقد الإثنولوجي لإرنست رينان Ernest Renan ودرجة أقل عند ماثيو أرنولد Mathew Arnold. إن فصل الحساسية عن نقد النوع الأدبي وبالتالي عن فهم الأشكال الغربية على ثقافة ما يؤدي إلى تجاوز ذلك الخيط الرفيع الفاصل بين تأويل الثقافة إلى الطوبولوجيا (النمطية) العنصرية.

(٢٥) انظر:

Paul de Man, 'The Rhetoric of Temporality', *Blindness and insight: essays in the rhetoric of contemporary criticism*, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1983, pp. 187-208.

(٢٦) انظر:

August Wilhelm Schlegel, *A course of lectures on dramatic art and literature* (1808), John Black (trans.), London: Bohn, 1846, pp. 17-18.

فتعليقات شليجل حول النوع تجريدية وغير تامة عمداً وعليه فإنه من المضلل محاولة وضعها في نسق من خلال "هيجل" (كما يفعل ستسوندى)، بل إن الأنسب هو قراءتها من خلال تصور شليجل نفسه عن الشذرات باعتبارها نقداً ومفارقة. فالشذرات بالنسبة لشليجل تمثل مجرد "ميول وبعض أطلال وكتل من المادة الخام": هي "أجنة ذاتية" لنسق وأمارات على حدوده. (شذرات ص ١ و ٢٠) والتشظى الذى يسم تعليقات شليجل هو إذن جزء لا يتجزأ من محاولته لإعادة كتابة "نظرية النوع" فى إطار رومانسى/ حديث بدلاً من الطريقة الكلاسيكية. فقد رأى شليجل فى مرحلة مدينة بينا أن "القديم والحديث يفترقان تماماً. (ص ٣٧) فروفاً ليست فحسب على مستوى الموضوع بل على المستوى البنائى والمعرفى. وفى حين يرى أ.ف. شليجل أن موضوع الرومانسية من حيث هو "ثقافة عقلية" (تعليم *Bildung*) يتميز عن الكلاسيكية بما تمثله الرومانسية من توق إلى الروح (المحاضرات ص ٢٤ إلى ٢٧) يقارن فريدريش بدوره بين المصطلحين على مستوى الشكل من ناحية المراحل الأخيرة" عند القدماء نرى الكتابة للشعر كله أما عند المحدثين فنرى روح الشعر وهى فى حالة نمو. (الشذرات ص ١١) وعلى العكس من أخيه يرى فريدريش أن ذلك التوق يرتبط بالخلو لا بالافتقار للشيء وعليه فهو عادة ما يشير إلى ثلاثة أنواع، لا نوعين، من الأدب: الساذج، والعاطفى و"التقدمى" (مذكرات ص ٣٢) وهو المفهوم الذى طوره بمفهوم "الشعر العالمى التقدمى" (الشذرات ص ٣١). والرومانسية تقدمية لا عاطفية تتميز بتوسع الآفاق لا الشوق السوداوى الحزين.

وقد كانت رغبة شليجل بداية فى عمله الذى لم يكتمل عن تاريخ الأدب الإغريقى أن يقسم الأدب الكلاسيكى على أساس الجدل بين الذاتى والموضوعى من خلال تقسيم الأنواع الأدبية الأساسية. ولعل هاملن قد بنى ربطه بين نظريته للنوع ومذكرات جوته إلى الديوان الشرقى للمؤلف الغربى *West-östlicher Divan* (١٨١٩) على هذا الأساس، إذ يعتبر - عند جوته - الملحمة والقصيدة الغنائية

والدراما بمثابة الأشكال "الطبيعية" للشعر.<sup>(٢٧)</sup> ولكن شليجل لا يقصر عمله على الأنواع الطبيعية للشعر ولكنه يطرح نظاماً تراتبياً ثنائياً يجمع ما بين "الطبيعي" و"الفن الشعري"، أو *Natur* و *Kunstpoesie* ويتراجع فيه "الفن الشعري". ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يبلور جدليته باتساق ولا أن يحافظ على التوازي بين الطبيعي والفن الشعري مع القديم والجديد. وتتسم محاولة شليجل لخلق قصة الأدب القديم بالتردد. ففي حين يجد القصيدة الغنائية ذاتية فإنه يجد الملحمة في بعض الأحيان "موضوعية بحتة" وفي أحيان أخرى تتخذ دور الدراما في الجمع بين الذاتي والموضوعي (الدفاتر *Notebooks* ص ١٧٥ و ٢٠٤) ويؤدي عدم القدرة على قص حكاية الأدب القديم بحيث تتوافق النظرية مع التاريخ لدى شليجل إلى القول بأن الإغريق كان لديهم نفس التنوع في الأنواع الأدبية الذي يتمتع به المحدثون، بل إنه يصل إلى أن أحد الأشكال الحديثة بالأساس ألا وهو الرواية يظهر في أشكال قديمة مثل المحاورات السقراطية والندوات والسير الشخصية والحواليات (ص ١٤٦).<sup>(٢٨)</sup> وفي فترة مدينة بينا تحول "القديم" و"الحديث" إلى توجهات نقدية وليس مقولات تاريخية، حيث كان الحديث هو العرض والسبب والعلاج لفشل شليجل لخلق مدخل "كلاسيكي" للشعر القديم. فيكتب "إن الأنواع الشعرية الكلاسيكية أصبحت الآن سخيصة في نقائها الصارم." (الشذرات ص ٨) ويرد على التساؤل حول غياب مفهوم للنوع بالرغم من

(٢٧) انظر:

Hamlin, 'Origins', pp. 10-13.

ويميز جوته بين عدد أوسع من الكثافة النوعية *Dichtarten* وتلك الأشكال الطبيعية للفن الشعري *Naturformen der Dichtung* ولكنه يعطي الأولوية للأخيرة. حول جوته انظر أيضاً:

Guillen, *Literature as system*, pp. 115-16.

(٢٨) وهو يفسر استمرار شليجل، حتى بعد تحوله المفترض حول عام ١٧٩٦ من تقدير الشعر القديم إلى تقدير الشعر الحديث، استمراره في اعتبار "المتن الأصيل من الشعر اليوناني" هو "الشعر ذاته". انظر: ('Dialogue on poetry and literary aphorisms', Ernst Behler and Roman Struc (trans.), University Park, pa: Pennsylvania State University Press, 1968, p. 63).

ونجد الشعر اليوناني في "الحوار" *'Dialogue'* لا تروى سيرته كما هو واضح باعتباره خاضعاً لجدل الملحمة والقصيدة الغنائية والعمل الدرامي.

توفر "العديد من النظريات" حول هذا الموضوع بأن ذلك يتطلب "الاكتفاء بنظرية واحدة للنوع". (ص ٨). وعليه فإن اهتمامه "بالحديث" ينبع من عدم رغبته فى الاكتفاء بنظرية واحدة (نظرية كلاسيكية) تحد من مفهوم النوع، حيث إن نوع الشعر الرومانسى "ما زال فى طور "التكوين" و"لا يمكن "لأى نظرية أن تستنفده". (ص ٣٢)

يكتب الشعر الفنى، فى رأى شليجل، أفراد وعليه فهو لا يقتصر على شكل طبيعى من البيان الشعرى *Naturformen der Dichtung* وقد قرر شليجل فى أعماله الأولى أن مثل هذا الأدب مثير للاهتمام وشيق *interessant*، إذ يفقد النقاء بحكم "مزجه ... بين الأنواع" وكذلك "تضمينه لكل شىء بما فى ذلك القبيح والمشوه". ولكن فى فترة يينا تحول "التقييم السلبي.. للخواص التى تميز الكتاب المحدثين" إلى تقييم إيجابى.<sup>(٢٩)</sup> ويقع اختيار شليجل فى بحثه عن النوع المتجاوز للأنواع فى العصر الحديث على الرواية، لتصبح بشكل مجازى أصل "الشعرية الرومانسية". والرواية أيضًا بالمعنى الدقيق للنوع كما يستخدمها جوته أو شلينج (ولوكاتش فيما بعدهما) هى "ملحمة نثرية" "*Prosaisches Epos*" (الدفاتر ص ٥٤) وهى الاسم الجامع للأشكال النثرية بما فيها السير والحوليات والرحلات والاعترافات والحكايات الشرقية والتى يمكن أن تكون على شكل "ملحمة أو قصيدة غنائية أو دراما أو الأشكال الرعوية أو الهجائية". (الدفاتر ص ١٦٣ إلى ١٦٤ وص ٣٣) ولكن شليجل يعمم من مصطلح الرواية ليجعله مسألة تجربة حياتية، إذ يعتبر "أن بداخل كل إنسان ... روايته الخاصة". (الشذرات ص ١٠) وبناء عليه فإن شليجل يؤكد على "عدائه لمصطلح الرواية إن كان يشير إلى رغبة فى الوجود كنوع منفصل عما عداه" ("حوار" ص ١٠١) فالرواية تمثل مبدأ الانفتاح أو كما يرى باختين مبدأ الحوار.<sup>(٣٠)</sup> فهى تمثل

(٢٩) انظر:

René Wellek, *A history of modern criticism 1750-1950*, 4 vols., New Haven, CT: Yale University Press, 1955, vol. ii, pp. 11-12.

وأرى شخصيًا أن هذا التحول يتضمن رفضًا للمعايير الكلاسيكية فى النقد وليس رفضًا للأدب الكلاسيكى.

(٣٠) يقول شليجل نفسه "الروايات هى الحوارات السقراطية لزماننا" (Fragments, p.3)



"الجديد" (الشذرات ص ١١) وبالتالي التقدمى وهى "عادة ما تتفى نفسها ولكنها ما تلبث أن تخلق جديدها مرة أخرى" (الدفاتر ص ٣٢) وبهذا المعنى فهى تتحول: مثل الملحمة.. إلى صورة للعصر". (الشذرات ص ٣١ إلى ٣٢) لروحة وليس لسياسته.

يشير ما بعد الدال *metasignifier* للرواية إذاً إلى نظرية حديثة للنوع تشمل مجالاً أكثر اتساعاً. وربما يبدو هذا الشمول تخلياً تاماً عن مفهوم "النوع"، إذ إن وجود هذا العدد الهائل من الأنواع بحيث تعتبر "كل قصيدة نوعاً فى حد ذاتها" (الدفاتر ص ٧٢ و ١١٦) يجعل "النوع" كمقولة يبدو بلا جدوى. ولكننا يجب أن نصدق شليجل فى قوله إن "ما نفقده" هو نظرية للنوع تمدنا "بالجماليات الحقيقية للأدب". ("حوار" ص ٧٦) بحيث تسمح بتسمية الجديد. وحين يطرح شليجل للتساؤل إن كان يجب تقسيم الشعر ببساطة أو أن عليه "أن يظل واحداً لا يتجزأ"، فهو بذلك يشكك فى "حذقة" "التقسيمات المعروفة" ولا ينطلق من النفور الرومانسى "للتقسيم" فى حد ذاته (الشذرات ص ٩٠، حوار ص ٧٦) والمفترقة هى أن "الوحدة" تحافظ على الاختلاف برفضها للتقسيمات المعتمدة على "ضيق أفق" النقاد المعاصرين (الشذرات ص ٩٠)، حيث إن "الوحدة" ليست مرادفاً بأى شكل "لتعميم فوضوى للشعر" ("حوار" ص ٧٦) إنما هى مصطلح تفاضلى يدل على التمايز.

والخلاصة أن شليجل يرى فى النوع مساحة للتعبير عن الطريقة التى يفرض بها الخيال على نفسه "ضرورة وضع حدود وتقسيمات" (ص ٧٦) ولكن بفهم جديد للنظام الذى يخلقه النوع باعتباره أقرب إلى ما يسميه جورج باتاى اقتصاد "عام" أو مفتوح لا مقيد ومغلق.<sup>(٣١)</sup> ويكتب موسفاً من مفهوم النوع *Gattung* ليتجاوز الأدبى ويختار مفهومه هو للشعر الشيق *interessante Poesie* حتى ولو كان الشئ نفسه لا يساوى فى حد ذاته إلا أنه بالضرورة يسهم إسهاماً فى تعريف نوع ما. وبهذا المعنى يمكن القول إن ما من إنسان إلا ولديه شئ ما يثير الاهتمام. (الشذرات ص

(٣١) انظر:

Georges Bataille, *The accursed share: an essay on general economy*, Robert Hurley (trans.), New York: Zone, 1991, vol. i, pp. 19-26.

(٢٧) والكتابة على شكل شذرات هي أنسب ما يكون لشليجل إذ تسمح له بالاهتمام بكل شيء. وتحتاج هذه الشذرات حالة من كتابة الحكم التي تخلق بدورها ظاهرياً لهذه "المنقولات الفرعية" (ص ١٨)، إذ تتحى جانباً كل التدخلات الإمبريقية في سبيل فهم بنيتها اللامتغيرة. وهو ما تقوم به الشذرات على كل حال من خارج النسق. وكما يقول شليجل بكلماته الحادة في ذكائها والتي يتحتم اقتباسها نصاً بكلمات شليجل نفسه: "الشذرة مثل عمل فني في تصميم مصغر ولا بد أن تكون منعزلة تماماً عن العالم الخارجي وأن تكون مكتملة في حد ذاتها مثل القنفذ" (ص ٤٥).

### (٣)

ويعترف الاقتصاد العام لشليجل بالفردية. ففي حين ينتقد البعض الرسامين الهولنديين بسبب محدوديتهم، فإن شليجل يرى أنهم "خلقوا أنواعهم الخاصة بهم" (الشذرات ص ٤١) ممهداً الطريق بذلك للفهم الفلسفي للطبيعة الصامتة الهولندية كما رسمها شوبنهاور (١٨١٨) والأسلوب الثقافي بشكل عام لفيلهم فورينجر (١٩٠٩). (٣٢) وكامتداد لنسبية هيردر تحمل نظرية شليجل نتائج ثورية بالنسبة للمفهوم الاجتماعي للذوق وكذلك للجمال وهو التسمية الأكثر إيفاء بالغرض المنتمية لعلم الجمال. فإذا كانت الأشكال الفنية المختلفة قادرة على "تحديد" نفسها بأشكال مختلفة فإن مصطلح "الجمال" نفسه يصبح محدوداً كما يطرح هيردر في مقاله حول "التحول في الذوق" (الأعمال الأولى ص ٦٧). وبالتالي فالدراسة الفلسفية للنوع تهدد المشروع الفلسفي للوحدة والهوية الخاص بعلم الجمال لدى ستسوندي. لأنه إذا كانت الأنواع تتكشف عن أشكال مختلفة للوعي فإنه لا الشعر ولا الفلسفة نفسها والعلوم الأخرى المرتبطة بها من معمار إلى رياضيات تظل بالضرورة "وحدة واحدة لا تتجزأ". وبالفعل يحتج شليجل على أنه أصبح لدينا الآن فلسفة للزراعة وسوف يكون هناك قريباً "للمركبات"

(٣٢) انظر:

Arthur Schopenhauer, *The world as will and representation*, E. F. J. Payne (trans.), 2 vols., New York: Dover, 1969, vol. i, p. 197; Wilhelm Worringer, *Abstraction and empathy: a contribution to the psychology of style*, Michael Bullock (trans.), Cleveland, oh: Meridian, 1967.

ومن ثم سيكون هناك "فلسفات بعدد الأشياء كلها" بحيث تكون كثرتها وحدها "فقداناً للفلسفة كلية". (الفلسفة ص ١٤)

وتترجم الأنساق الألمانية للفنون الجميلة هذا القلق حول الاختلاف. وإجمالاً فإن علوم الروح *Geisteswissenschaften* كانت محاولة للتحكم في نفاذ المثالي إلى الصبغ التجريبية "الواقع" الذي أنتجته التخصصات الجديدة والتي طبقاً لشوينهور تمتد من الرياضيات إلى علم البساتين. (العالم الجزء الأول ص ٢١٨ و ٢٢٢) ومع ذلك فالمذاهب ليست أجهزة قياس الحالة الفكرية، فالأنظمة/الفلسفة الرومانسية في حالة مراجعة لنفسها: ففي داخل التطبع *habitus* نفسه يخلق شوينهور وينتج جدلية عكسية تقوم بنقد "الفلسفة" نفسها. وكذلك تختلف الأنساق من الناحية البنائية عما تتضمنه هي نفسها من التشكيلات السردية الأساسية. فتلك التشكيلات من أمثال مقدمة هيجو والعصور الأربعة - بيكوك توازي بين الأنواع والعصور في طريقة أحادية. ولكن لأن المذاهب تحاول تفسير كل شيء فإن خط جدالها يتضافر تحديده بواسطة تشعب تفاصيلها. وبهذا المعنى كانت أشبه بالمشروع الرومانسي للموسوعة الذي وصفه إرنست بهلر *Ernest Behler* باعتباره نسخاً في شذرات. (٣٣) ومثل الرواية التي تكون "كثرة لا متناهية" ولكنها "ليست إلا واحدة" فالموسوعة هي من الناحية المثالية "كل" ولكنها من الناحية التجريبية دون انغلاق وفي الحقيقة إن "كليتها" هي شرط انفتاحها، شكل من التأمين يسمح لها بارتداد التعدد وهذا الترادف بين المثالي والتجريبى بالمثل يسم الوضع المتناقض "لرومانسي" و"الحداثي" داخل المذاهب العظمى للقرن التاسع عشر؛ لأنه ليس من الصدفة أن شليجل استعمل كلا المصطلحين ليصف مرحلته. فأول هذه المذاهب وصفته محاضرات شليجل حول "فلسفة الفن" (التي أُلقيت بين ١٧٩٩ و ١٨٠٥) بالرومانسية في ميتافيزيقاه الفنية ولكنه حدث في اهتمامه بالمنهجية الفنية التي تؤسس ثقافتنا الخاصة بإضفاء النزعة الحرفية (المهنية). فالمنهج فكرة أساسية متكررة عند شليجل الذي يدل على أن

(٣٣) انظر:

Ernst Behler, *German Romantic literary theory*, Cambridge University Press, 1993, p. 283.

الجماليات يجب أن تصير "علمًا". والمثل الأعلى العلمي يتطلب استقصاء لأنواع الفن "متعددة الأوجه" (الفلسفة ص ١١). ولكن هذه "التقسيمات" تهدد هوية الفن نفسها باعتبارها "المرآة السحرية الرمزية" لفلسفة موحدة (ص ١٤ و ٨). وتكون النتيجة "جمعًا توفيقياً، مذهباً منتسراً داخل كل شئ يحتويه، نزعة تجريبية جذرية أعيد احتواؤها كميثافيزيقا ذات طابع مثالي.

ويقدم شيلينج أساساً منطقياً نسقياً لفكرة رومانسية بينا عن مطلق أدبي يكون فيه الفن تنويجا للفلسفة الترنسندنتالية. وهو يضع أنماطاً ثلاثية - التخطيطي والمجازي والرمزي - مطوراً بذلك تمييز جوته بين الرمز والمجاز بطريقة دياكتيكية. فالتخطيطي والمجازي يعكسان أنماطاً متباينة من عدم التوازن بين الكلي والجزئي كما يقدم الرمزي مركز النسق المعياري. وعلى حين أن الاثنين يفصلان "الفكرة" عن تجسيدها ففي الرمزي لا يقف موضوع التناول عند دلالة الفكرة بل يكون "هو نفسه الفكرة" (ص ١٥١). إن مخططات شيلنج الخاصة تحاول تفسير الواقعي والمثالي في مذهب واحد باستعمال مبادئ "الازدواج" و "التثليث" لتنظيم أشكال فنية مفردة. وهناك "سلسلتان": الموسيقى والتصوير (الفن التشكيلي) تصنعان الواقعية التي فيها تجعل المادة رمزاً للفكرة على حين أن الغنائي والملحمي والدرامي تشكل السلسلة المثالية". وفي النظرية يجرى تقسيم هذه الأشكال الفنية إلى أنواع فرعية تبعاً لمبدأ التثليث. لكي يجرى إدخال ما يقترب من كثرة من التباديل. وباختزال الزمان إلى المكان فإن نسق شيلنج يحاكي "حيادية" الواقعي والمثالي. وهكذا على حين أن الفن يقوم بتمييز نفسه في أشكال متعددة في مواقف متناهية فإنه يظل "واحداً" في المطلق مثل التزامن المتناقض لما هو مختلف في مسار الزمان. وبالتناظر لا يرى شيلنج شيئاً من عدم الاتساق بين الاختلاف الجمالي والهوية الفلسفية مصرّاً على أن الفن هو أسمى موضوعة للفلسفة (ص ١٣).

ويردد آخرون أصداء وجهة نظر شيلنج القائلة إن أنواع الفن المتباينة هي منظورات على "كل لا ينقسم" (ص ١٤) ونرى آثاراً لها في تعليق شيللي على العلاقة بين السرد القصصي والدراما وبين شعر ما بعد النوع الذي هو بكلمات شليجل "أكثر

من نوع" (شذرات ص ٣٢) وبمقدار ما يكون الشعر مرآة تجعل الشيء جميلاً (دفاع، ص ٤٥٨) فالسرد هو شعر ممكن أو متوقف بينما يكون التعدد الدرامي بالمثل قابلاً للاسترجاع كوحدة شعرية. وفي الحقيقة يتم تصوير "ازدواج" الوحدة والانتشار في دراما أخضعت للشعر في وصف شيللي للدراما (وهو وصف كررته مسرحية هيجو كرومويل ص ٩٠) كمرآة منشورة ومتعددة الجوانب تقوم "بالمضاعفة" وكذلك بالتركيب (دفاع ص ٤٩١) وبتشييد الأنواع كانبعاثات من فوضى قصيدة دائرية، تكلم شيللي عن "شذرات" مفردة باعتبارها أحداثاً عرضية مؤقتة في شعر شامل متصاعد "قد بنى منذ بداية العالم" (ص ٤٨١ و ٤٩٣) وأشد قريباً من حلقة شيلنج تكون "هذه القابلية المعممة للترجمة" هي المبدأ وراء موسوعية نوفاليس التي ليست معنية بالتمايز الذاتي للفن من خلال أشكاله المنوعة بل بتمايز الروح من خلال أنظمتها أو تخصصاتها. ويعكس الاختلاف بواسطة "إضفاء الشاعرية" على العلوم يضع نوفاليس مبدأ التنوع المؤلف بالدراسة والخبرة أو قابلية كل شيء للترجمة إلى كل شيء آخر. وهو يفترض "بيوطيقا للرياضيات وأجرومية للرياضيات، فيزياء للرياضيات" و "رياضيات للطبيعة".<sup>(٣٤)</sup>

وعلى مستوى واحد إذن تكون "فلسفة الفن" التتويج لنظرية النوع الفلسفية بمعناها عند ستسوندي Szondi الذي يضيف المثالية على ما يبقى عند شليجل "حداثياً" على نحو فوضوي. ولكن على مستوى آخر يكون شكلها خادعاً، فالنسق أو المذهب لكونه مثلاً "للنوع الرومانسي" "لا يمكن أبداً اكتماله" (شذرات ص ٣٢). وشيلنج مثل هيجل قام بتطوير نظريته في محاضرات غير منشورة كما أن تزامنية "إمكانات الفاعلية" عنده وأشكال الفن ليست مستدامة. فعلى سبيل المثال هو يستخدم المخطط الثلاثي الخاص بالمجازي والتخطيطي والرمزي في مناقشة التصوير ولكنه ينسأه حين يجيء إلى الأدب. ونستطيع استنتاج أن الدراما بوصفها تركيباً من الجزئي

(٣٤) انظر:

Antoine Berman, *The experience of the foreign: culture and translation in Romantic Germany*, S. Heyvaert (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1992, pp. 82-4.

والكلى، من الذاتية الغنائية والموضوعية الملحمية هي "رمزية" ولكن لا يقال فى أى مكان إن الملحمة "تخطيطية" ربما لأن مثل هذا الوصف لا يقدم مساعدة. وفى الحقيقة حين يصل شيلنج إلى الملحمة فإنه يتخلى عن طريقته فى التناول (اقتربه) التى تقوم على استنباط الأنواع التى ينبغى أن توجد ويقوم بتنظير مجموعة مرتبة من الأنواع الفعلية تحت عنوان "الملحمة" الأسمى. ومن الصعب رؤية أى إجراء يقوم بتنظيم ذلك وهو أكثر قسم فى المحاضرات فتنة. وفى بعض الأوقات ينطلق شيلنج بواسطة الاستنباط المنطقى فهو يقسم الملحمى إلى صيغ موضوعية وذاتية لكى ينتج بطريقة بولونيوس *Polonius* نوعاً ذاتياً موضوعياً (المرثاة *elegy*) وشكلاً موضوعياً موضوعياً (الأشودة الرعوية *idyll*)، ونوعاً موضوعياً ذاتياً (الهجاء السخرية *satire*) وهكذا (ص ٢٢٠). وقد قاده الفهم المشترك إلى أن يعترف بأن الهجائية (الساخرة) ممكن التفكير فيها أيضاً باعتبارها تقاطعاً بين الصيغتين الملحمية والدرامية. (ص ٢٢٦) كما أوحى الفهم المشترك أيضاً بأن إدراج المرثاة تحت الملحمية بدلاً من الغنائى هو تصنيف تجريبي مصمم لأن يجعلنا واعين بعناصر "تاريخية" فى بعض المراثى تقوم بتعويق هويتها "كأشعار مرات باكية" تسودها حالة انفعالية مفردة (ص ٢٢١).

وفضلاً عن ذلك فإن شيلنج يستخدم طريقة التناول الخاصة بشجرة الأنساب (التفرع) عند هررد وجوته التى تستخلص المرثاة بطريقة التحويل فى الصفات من "جذر" الملحمة. وإذا كان المنطقى يكتسب قناعة خاصة بالأصل والتكوين دون أن تحس، فإن ما يتعلق بالأصل والتكوين بدوره ينتج التاريخى رغم إصرار شيلنج إلا يكون تاريخياً. (ص ٢٠٧). وهكذا هو يستعير من الأخوين شليجل فكرة أن هناك ما هو كلاسيكى وما هو رومانسى (حدثى) من الأنواع ويقدم شكلين حدثيين من الملحمى: الرومانسى والرواية. (ص ص ٢٢٩ - ٣٢). ولا تتلخص فوضى هذا القسم بالقول إنه يخلط بين المنهج المنطقى، والتكويني والتاريخى لأن شيلنج يقدم أشكالاً لا تفسير لها بواسطة أى من هذه النماذج. فالسيرة الشخصية العاطفية فى شكل منظوم "لا تبدو حتى "قرعاً" بل هجيناً لا يمكن وصفه "إذا كنا سنحتفظ بأى قدر ضئيل من النقاء داخل هذا النوع" والذى وصفه شيلنج مع ذلك باعتباره ليس ملحمة حقيقية ولا

رواية حقيقية (تلك التي يجب أن تكتب نثرًا) (ص ٢٢٨). وليس بعض الأشكال التي وصفها أنواعًا مثل الأمثال والحوار والأحداث (ص ٢١٧).

وما نكتشفه في محاضرات شيلنج هو إذن تحديد متصافر للنظرية بواسطة الممارسة. ويستدعي تصميمها الشكلي رسمًا بيانيًا يختزلها في نسق توافقي مغلق تكون فيه الاختلافات تبادل لوحداث سابقة التشييد. ولكنها في الممارسة خلاصة وافية لنقد قائم مستمد من جوته وشيللر والأخوين شليجل لم يعمل عليه شيلنج دائما لكي يدخله في نسقه. وهكذا حينما يأخذ تمييز شيللر على مستوى نظري فإنه يحول الاختلاف بين الساذج والعاطفي إلى "اتجاهين" ضمن "الشعرية" نفسها متخطيًا اختلافهما التاريخي بواسطة تمثيلهما كمنظورين قابلين للتبادل فيما بينهما ضمن فضاء متوافق. (ص ص ٩١-٢) ولكنه حين يستخدم شيللر بطرق أكثر عملية فإن شيلنج يرسى أساس إضفاء لوكاتش للطابع التاريخي للنوع في كتابه نظرية الرواية (١٩٢٠) بتقديم الرواية باعتبارها الشكل الحديث أو العاطفي للملحمة (شذرات ص ص ٢٣١-٢).

والمحاضرات كنسق أقل توحداً مما يبدو هي صورة المرأة المقلوبة "شذرات أثينيوم"، تتبجح بشذرها ولكنها تومئ نحو الوصول إلى نسق "كمشروع". (شيلنج، شذرات، ص ٥٨). وفضلاً عن ذلك فإنها كخليط من النقد الموجود تضاعفت من التوترات التي تعبر المتن الرومانسي. وفي صدارتها استعمال دفاعات معرفية للارتداد بالتحديد لما كانت تقصد إلى مقاومته. وهكذا فإن المقرب القائم على التفرع ينبغي أن يستخدم لاختزال المراثة إلى ملحمة ولرد تكثر الأنواع إلى ثالوث مركزي ينحل حينئذ في شعر يكون "واحدًا وغير قابل للقسمه". ولكن في الحقيقة كان ما يهم شيلنج هو الاختلافات والطريقة التي يفرق بها العنصر الغنائي الرواية القصيرة عن الملحمة، والطريقة التي تميز بها الجدلية الملحمة المراثة عن الشعر الغنائي.

ويعني ما أوضحت المحاضرات فشل فلسفة الهوية مع العلم بأن شيلنج نفسه سأل ماذا يعني أن الملحمة "باعتبارها أعلى هوية" تثبت أنها قادرة على "اختلاف واقعي" (ص ٢٢٠). ولكن هذا الفشل تمكن قراءته أيضًا على نحو أكثر إيجابية إذا

رأيناه النسقى كبلغة تسمح للمفكرين الرومانسيين أن يدعوا للجماليات استقلالاً ذاتياً تخصصياً يتيح للدراسة غير النسقية لأى أنواع يختارها المرء أن تمارس بلغة ظاهرياتها الخاصة. ويعرف شيلنج نفسه التخطيطية بأنها "الخطوط الخارجية غير المكتملة" الناتجة عن "حدس" أو ملكة إدراك الجزئى من خلال الكلى لكى تكتمل بالحركة العكسية من الكلى إلى الجزئى (ص ص ٤٦-٧) وبكلمات أخرى أن التخطيطات الفارضة للنسق ليست أكثر من مقولات كشفية. وأحياناً يستخدم شيلنج النوع باعتباره قواعد أمرة مثلما يزعم أن ليست هناك إلا روايتان أو أنه ما من قصيدة أنجزت "النموذج الأصلى الحق" للنوع التعليمى (ص ص ٢٣٤ : ٢٢٦) ولكنه يستخدمه أيضاً للاعتراف بأصناف جديدة حينما يدلل على أن الكوميديا الإلهية هى "نوع قائم بذاته" يتطلب نظريته الخاصة (ص ص ٢٤٠-١) وبمقدار ما يكون نص دانتي "خليطاً عضوياً فريداً بالكامل من كل الأنواع (ص ٢٤٠) يشير تحليل شيلنج أيضاً إلى ما يمكن أن يكون فى ذهن شليجل حينما وصف الرواية بأنها توحد كل الأنواع. ولأن الرواية هى لا نوع دال على حقيقة أن المصنوعات الثقافية هى فى النهاية منقطعة النظير *sui generis* إنها تجمع كل ما يكون شعرياً خالصاً من أعظم أنساق الفن إلى "تهيدة أو قبلة" (شذرات ص ٣١).

ومثل الرواية يقدم النسق (أو المذهب) فضاء لارتداد الاختلاف. ونحن نجد من قبل فى ملاحظات شيلنج بدايات منهج أكثر تطوراً بالكامل بواسطة خلفائه، يتكامل فيه التفسير المدرك عقلياً *noetic* للوعى (الثقافى) الذى ينتج نوعاً أدبياً مع التفسير القائم على المحتوى الفكرى *noematic* لموتيفات وبنى (أو "العالم") التى تصاحب هذا النوع. وهذه التفسيرات تجمع ما يسميه فريدريك جيمسون *Fredric Jameson* "معالجة للمعانى" أو العلامات فى النوع "كنمط *mode* لتجربة وجودية معممة" مع "تحليل على أساس من قواعد التركيب (النحو) لآليات وبنى".<sup>(٣٥)</sup> وهو ما تهدف الرومانسية إلى استجلاء ظاهرياته أيضاً. إن المقتررب الظاهرياتى يؤقلم ذاته

(٣٥) انظر: اللاوعى السياسى لفريدريك جيمسون.

Fredric Jameson, *The political unconscious: narrative as a socially symbolic act*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1981, pp. 107-8.



على نحو طبيعي على دراسة لا تقف عند الأنواع بل تمتد إلى تنوع من الظواهر الثقافية. ويصدق ذلك أصلاً حتى على مناقشة شيلنج للأدب التي تعالج "الأحداث الاستطراذية *episodes*" وذلك مكون بنيوى للملحمة الذى ينتج على نحو تحويلى رواية التشرد *picaresque*. ولكن شيلنج يعالج أيضاً الأسطورة. (الفلسفة ص ص ٤٧-٨٣) والرموز الهيروغليفية (ص ١٤٨) مستقبلياً روح استكشافات فالتر بنيامين لظواهريات الممارسات الثقافية مثل الحكى والجمع. وعلى حين ظل مصطلح "النوع" قابلاً للحياة امتد نقد النوع إلى ممارسات ثقافية ليست أنواعاً وحتى إلى نزعات وميول (عقلية أو عاطفية) ليست ممارسات دلالية.

وبإيجاز، على الرغم من أن دراسة النوع قد تكون واحداً من نتائجها فإن ما بعد دلالات العلامات *metasemiotics* المميزة للمذاهب الجمالية الرومانسية تبدأ بمقولات سابقة للنوع مثل الساذج *naive* أو مقولتى نيتشه الديونيزى والأبولونى - اللتين تصفان نمطاً من الإدراك بلغة (بمصطلحات) عاطفية (وجدانية)، فلسفية /أو دلالية (العلامات). وتشكل هذه المقولات لسائاً *longue* بتبنى وجهة نظر كارل فيتور *Karl Vitor*، أو سلسلة من المواقف الأساسية *Graundhaltungen* تقوم بتتمية الأشكال الفنية والأنواع المحددة التى هى كلام *parole* النسق. (٣٦) ولكن طريقة أخرى لتناول موضوعنا هى رؤية نظرية النوع نفسها بلغة التحويل (الانسلاخ) *metamorphosis*. وفى نموذج جوته كما يحلله ديلتاى، "تظهر الكائنات العضوية... تكررًا متكررًا للأعضاء نفسها... أنها الورقة نفسها التى تظهر أولاً كبرعم ثم كسداة (عضو التذكير)" وهكذا ("السيرة الشخصية لشلايرماخر"، ص ٦١). وهذا النموذج يمكن استعماله تقريباً فى خدمة اتجاه عضوى موحد ولكنه يمكن أيضاً أن يعمل على نحو انتشارى فى إنتاج فروع أو براعم جانبية وتحويلات للجذر الأصلى.

(٣٦) لمزيد من مناقشة هذه المسألة انظر:

Tilottama Rajan, 'Phenomenology and Romantic criticism: Hegel and the subversion of aesthetics', in *Questioning Romanticism*, John Beer (ed.), Baltimore, md: The Johns Hopkins University Press, 1995, pp. 168-9.

وحول فييتور *viëtor* انظر:

Guillen, *Literature as System*, pp. 117-18.

وبهذا المعنى تمكن رؤية ظاهريات الثقافة ككيان عضوى منهجى يتألف بواسطة تكرار الإجراءات التحليلية نفسها بالرجوع إلى "أجزاء" مختلفة: هى الحساسية والبنى المعرفية التى تنتج الأنواع والأنواع نفسها ومكوناتها البنيوية والممارسات الثقافية (الطقسية أو أشكال فنية أخرى) التى هى فروع من هذه الحساسية نفسها.

والحالة المثيرة للاهتمام هى المجاز التمثيلى *allegory* الذى يشغل مواقع متعددة فى الشبكة التحويلية. وهو وفقاً لتظير دانتى فى "خطابه إلى كان جراند *Can Garnde*" ليس نوعاً بل منهجاً تأويلياً. وفى زمن جوته صار خاصية للنصوص على الرغم من أنه صار صورة بلاغية *figure* بدلاً من نوع. وقد سمحت معالجة جوته الفلسفية لتلك الصورة البلاغية بلغة متعلقة بموضوع الكلى والجزئى (العام والخاص) اللاتهاى والمحدودية،<sup>(٣٧)</sup> لشلينج أن يرى المجازى كبنية عقلية أساسية، بحذاء التخطيطى (*schematic*). وبخلاف آخرين نجد شلينج متعاطفاً مع المجاز وجاعلاً منه طريقة لفهم الوحدة الغائية التى تربط الطبيعة والروح. وهكذا يكون النباتى مجازاً للحيوانى ويكون الحيوانى مجازاً للإنسانى. وحتى على مستوى أكثر عمومية يصف المجاز العملية التى بواسطتها يتم عمل اللاوعى وعياً "بالمفهوم اللامتأهى" المتجسد فى كائنات متناهية (شذرات ص ص ٤٩ و ١٤٨) فالنوع والبنية المعرفية والصورة البلاغية والتأويل ترتبط كلها معاً فى الهجرات التحويلية لمصطلح "المجاز".

ولكن تحديد نظرية النوع الرومانسية بمناقشاتها للأصناف الأدبية يتجاهل بذلك ميراثها النظرى. وعلى وجه الدقة لأن المنهج الظاهرياتى يمتد إلى تخصصات أخرى (نظرية المعرفة، التاريخ اللسانيات) فإن هذه التخصصات تعيد بالتبادل تشكيل دراسة النوع فيما وراء الشكلائية. ومن المهم بالقدر نفسه أن الرومانسية مترددة فى قصر الأنواع على تلك التى سبق تقنينها اجتماعياً ممهدة الطريق للمحاولات الحديثة لفصل دراسة النوع من النظريات القائمة للنوع. وهكذا يوسع باختين مقولة النوع لتشمل "أنواع

(٣٧) انظر:

J. W. von Goethe, 'Aphorisms on art and art history', in *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Kathleen Wheeler (ed.), Cambridge University Press, 1984, p. 229.

الكلام" وهي حركة استمرت في المناقشات ذات النزعة النسوية لأنواع الحياة اليومية. كما اخترع باختين أيضًا مصطلحات بديلة لتلك الخاصة بالنوع في مفهومه للزمان *"chronotope"* وهو معنى متميز للزمان مقصود به جزء من "بويطيقا تاريخية" حساسة "للتغاير النوعي". وعلى الرغم من أنه يطبق المصطلح على أنواع فرعية مثل "رواية المغامرة ذات محنة الاختبار" فإنه يناقش أيضًا محاور مكانية *topoi* مثل "الطريق" لكي يقوم بتصنيف تنوع من الوحدات الأدبية على جذع مورفولوجي (متعلق بالصيغة أو التصريف) واحد. فضلًا عن ذلك، فعند باختين (كما عند شليجل باختصار أكثر) تقدم الرواية عذرًا لارتداد ظواهر من خارج الأدب تشمل السفر والخطابات والأخريات وغرف الاستقبال والصالونات.<sup>(٣٨)</sup> وتتمو ظاهريات باختين التحويلية مباشرة من أسلافه الرومانسين ولكن لأنهم لا يمتلكون اسمًا يطوق ممارساتهم بقي الإسهام الرومانسي وإن كان عميق التأثير غير معترف به.

وهناك مصطلحان بديلان آخران يعيدان أيضًا تشكيل النوع هما "المنظور (النمط) *mode* والجو العام *mood* والأنماط *modes* يمكن تعريفها تفريعيًا وبنزعة محافظة لأنها مشتقات نعتية للأنواع مثل القول بأن النمط الرعوي رواية وشعرًا في شكل المحاورة بين راعيين ينشأ فقط بعد الإكلوج *eclogue* الرعوية وهي القصائد العشر التي كتبها فرجيل والتي تصف الطبيعة الريفية وصفًا مثاليًا (Fowler, *Kinds of literature*, p. 16) ولكن في الممارسة يكون النمط مفهومًا واسع الانتشار وفي المجاز يولد النمط النوع وفي النمط عن طريق الرسائل يتولد النوع الأدبي بالفعل بواسطة ممارسة من الحياة الاجتماعية، وكأشكال للوعي الجمعي تستطيع الأنماط أن تشمل كل شيء من الثقافات مثل الأساليب الأبولوجية أو الفنية كالجروتسك *grotesque* (الزخرفي النشاز الموغل في الخيال دون التزام بمبادئ الإمكان العقلي) أو الصيغ البلاغية *tropes* (القائمة على تغيير المعنى المعتاد

(٣٨) انظر:

Mikhail Bakhtin, 'Forms of time and chronotope in the novel', *The dialogic imagination*, Caryl Emerson and Michael Holquist (trans.), Austin, tx: University of Texas Press, 1981, pp. 84-6, 98, 103, 143, 148, 246.

للألفاظ) التي تم توسيعها إلى أشكال للتجربة مثل مفارقة كيركجور. وفي الحقيقة إن هذا المعنى الموسع للمصطلح يظل واضحاً حينما نتكلم من نمط (أسلوب أو صيغة) الطباعة. وكبديل للنوع فإن النمط *mode* يدخل موداً جديدة في الثقافة. وعلى حين أن المفهوم يسبق الرومانسية فإن الرومانسيين هم أول من قام بتنظيره، محررين إياه من تبعيته لآبائه من أنواع أدبية محددة.

أما بالنسبة للجو العام *mood* أو *Stimmung* فإن آثاراً منه توجد في نظرية أكثر تبكيزاً ولكنه تمت تسميته وتشريعه في المرحلة الرومانسية وحدها. وليس من الصواب بالكامل - كما يلمح ستانلي كورنجولد *Stanley Corngold* أن الجو العام *mood* في التقليد الرومانسي المثالي "يعتبر متجهاً إلى الداخل"، وباعتباره لا يمتلك مجالاً متلزمًا من الموضوعات".<sup>(٣٩)</sup> وعلى الرغم من أن الأجواء العامة يمكن أن تكون داخلية التوجه بالكامل فإنها تستطيع أن تكون أيضاً أشكالاً للحساسية مثل "العاطفي" عند شيللر الذي يستدعي تحليلاً ثقافياً وللون النغمي *tonal*.<sup>(٤٠)</sup> ويخلاف النمط *mode* فإن الجو العام *mood* ينقل بحسب الحكم الجمالي خارج الدائرة العمومية. وقد صبغ كانط في نقد الحكم، الحكم بالذاتية بواسطة إضفاء الشرعية على الجليل *sublime* وعلى الجميل كظواهر جمالية بحداء (وحتى في مكان) الرومانسي والملحمة. وفضلاً عن ذلك كما يوضح جان فرانسوا ليوتار *Jean Francois Lyotard* فإن تحليل الجليل جذرى على الخصوص بدعوتنا إلى التفكير فيما يتجاوز المفاهيم الموجودة إلى "التمثيلات" *representation* السابقة للمفهوم التي تتجاوز ما

(٣٩) انظر:

Stanley Corngold, *The fate of the self: German writers and French theory*, New York: Columbia University Press, 1986, p. 206: 'Nietzsche's Moods'. *Studies in Romanticism* 29 (1990), p. 72.

(٤٠) لمزيد من المناقشة لهذه القضية انظر:

Rajan, 'Phenomenology', pp. 166-7.

نستطيع استيعابه في "شكل".<sup>(٤١)</sup> وتحليل كانط هو شرط إمكان اهتمامنا الخاص بالأنواع المحركة للمشاعر مثل النزوع إلى الكآبة السوداوية *melancholia* حتى إذا كانت الأجواء العامة التي تشغلنا الآن ليست هي الأجواء التي نظرها الرومانسيون صراحة. ومن أجل أغراضنا الحالية يكفي أن نقول إن كانط بتتظيره الجو العام أضافه إلى الشبكة المورفولوجية (التشكيلية) التي ينقش فيها النوع وتسمح للمشاعر بأن تكون جزءًا من تحليل النوع.

#### (٤)

إذا كانت محاضرات شيلنج تجمع على نحو صراعي الرومانسي والحدائي فإن الميتافيزيقا تتنافس أيضًا من المنهجية في "علم الجمال" لهيجل (١٨٢٣-٩). ويظهر أن تأليه هيجل "لفلسفة" قد فرض إمبريالية تخصصية انضباطية في خدمة هيمنة ثقافية. وفي الحقيقة هو غالبًا ما يتعرض للنقد باعتباره بنويًا مبكرًا يمتص "الترابط (المفصل) الزمني للتاريخ" في تقسيمات فرعية مكانية تتبادل التأثير على لوحة شطرنج تاريخية رحيبة تخضع الشرق للغرب.<sup>(٤٢)</sup> وهكذا في قسمه عن الشعر لا يعالج إلا "النوع الصحيح من فن الشعر" ويقوم بتضييق الملحمي والغنائي والدرامي من أنماط إلى أنواع.<sup>(٤٣)</sup> وكما هي الحال مع شيلنج فإن النسق أو المذهب هو الشكل المحيطي للتجاوز. وفي مكان ما من "علم الجمال" يؤقلم هيجل كل شيء من

#### (٤١) انظر:

Jean-François Lyotard, *Lessons on the analytic of the sublime*, Elizabeth Rottenberg (trans.), Stanford, CA: Stanford University Press, 1994, pp. 31-2, 53.

#### (٤٢) انظر:

Henry Sussman, 'An American history lesson: Hegel and the historiography of superimposition', in Bainard Cowan and Joseph G. Kronick (eds.), *Theorizing American literature: Hegel, the sign and history*, Baton Rouge, la: Louisiana State University Press, 1991, p. 33.

#### (٤٣) انظر:

G. W. F. Hegel, *Aesthetics: Lectures on Fine Art*, T. M. Knox (trans.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1975, p. 382. Hegel's lectures were edited from notes by H. G. Hotho in 1835.

الأهرامات إلى التضحية والتحول ... وفي هذه الطرق الجانبية والهوامش يقوم بإدماج "مراحل انتقالية هجين" من الأدب مثل الحكاية الخرافية والأمثلة والأشكال غير المنتظمة مثل التعليمي على أساس أنه يحتاج إلى وصف أنواع "لا تطابق القياس" لكي يعترف بطريقة سليمة حدود فن "رمزي" هو نفسه لا "يتطابق" مع معايير الفن (ص ص ٣٨٢، ٤٢٣) والمحاضرات منظمة في جزأين متألفين من شبكات مكملة ومتداخلة. وفي الجزء الأول يعالج هيجل الحساسيات الجمالية للرمزي، للكلاسيكي والرومانسي. "وأشكال الفن" هذه تعبر عن علاقات متنوعة بين الجوانية *inwardness* وتخرجها. أو بين "الفكرة" و "تجسدها" ولكل منهما تناظر في "فن" نوعي: العمارة في حالة الرمزي والنحت في حالة الكلاسيكي والشعر والموسيقى في حالة الرومانسي وفي الجزء الثاني يتناول هيجل هذه الفنون ويقوم بتقسيمها على أساس أشكال فنية متنوعة. وهكذا فإن النشوي الارتقائي المفتفي في الجزء الأول بالإشارة إلى تاريخ عالمي للأشكال الفنية يتكرر في الجزء الثاني باعتباره تطوراً من جنين إلى بالغ لفنون مفردة بحيث تكون العمارة في الجزء الأول رمزية على حين تكون لها في الثاني تقسيمات فرعية رمزية وكلاسيكية ورومانسية. و "يشرح" هيجل هذه التداخلات لكي يعيد احتواء مضمون موسوعي في شكل نسقي. ولكن التخطيطات ليست متزامنة،<sup>(٤٤)</sup> والتصنيفات مجرد كشفية بحيث يجب كمبادئ استبعاد أن يعاد أقلمتها بواسطة تخطيطات أخرى للتضمين. وهكذا فإن مطابقة الشعر بالكلام الموزون المنظوم كشيء متميز عن استعمال أوسع للشعرية كي تعني الصنيع الأدبي أرغم هيجل على استبعاد النثر من الجزء الثاني. بيد أن الرواية على أية حال متضمنة في الجزء الأول وإن تكن بطريقة غريبة ومبتورة كإحباط، كسلب نثرى للرومانسية تم فيه إزاحة "الرومانس" ثم أعيد احتواؤها في الملحمة البرجوازية.

وفيما يلي سأتناول هيجل على نحو منهجي بواسطة التركيز بالقدر نفسه على شكل كما على مضمون فكره، لكي أؤكد لا على تحيزاته الثقافية (الواضحة على وجه

(٤٤) من المثير للاهتمام أن يكون الشكل البلاغي للقسم عن الشعر هو "التركيب" فالشعر هو التركيب من الجوانية والبرانية، الموسيقى والتصوير على حين تلعب الدراما داخل الشعر نفسه دورها التقليدي كترتيب من الملحمي والغنائي. ولكن في الجزء الأول يكون الشعر نمطاً رومانسياً ومرتبباً بتحلل التركيب.

الخصوص في معالجته للفن الهندي) بل على التجديدات التي سهلتها لاحقاً؛ لأن "علم الجمال" يستهل ظاهريات بنيوية للثقافة منقسمة بين أن تضع وأن تتحكم من ناحية وأن تفهم من ناحية أخرى. وهيجل مؤسس لما سيمى فيما بعد "بنيوية توليدية"<sup>(٤٥)</sup>؛ فإن محاضراته تعمل بلغة تماثلات متعددة؛ بحيث إن ظواهر بدرجة تباين الملحمة والمنزل يمكن اختزالها إلى الشكل المتماثل نفسه "للكلاسيكية". وهكذا ينجز هيجل "بطريقة علمية" الشبكة المورفولوجية (التشكيلية) التي توصل التطور على نحو أكثر عضوية وغير قابل للتنبؤ في الفكر الألماني السابق. وبطريقة أكثر نوعية لأغراضنا يضع هيجل النوع في هذه الشبكة مسهلاً بذلك تحليله بلغة الإستيمه *epistme* (الأساس المعرفي الموحد في لحظة تاريخية معينة) التي انبثق منها. وأن تستطيع الشبكة أن تصير متييسة أمر لا يمكن إنكاره وخاصة إذا قرأنا علم الجمال قراءة تركيبية كتماثل رهيب من سرديات تخصصية متوازية. ولكن من الممكن تأكيد ما بين التخصصات فيه وشغل مكانه إحلالياً بالنماذج الإرشادية بواسطة استعمال أشكال فن أخرى باعتبارها كفايات موحية للأنواع الأدبية<sup>(٤٦)</sup>.

(٤٥) يشير المصطلح إلى أعمال لوسيان جولدمان Lucien Goldmann ورولان بارت Roland Barthes المبكرة، ولكنه يصف كتاب ميشيل فوكو Miccahel Foucault نظام الأشياء *The order of things*.

(٤٦) التحليل الباهر للأهرامات على سبيل المثال يمكن ترجمته إلى عرض للعلاقة بين الموت والجوانية في شكل المراثية. الأهرامات هي "بلورات مذهلة تخفى ... معنى داخلياً ولكن في شكل "أبكم وبلا حركة" لأن الروح لم تجد بالفعل حياتها الداخلية الخاصة" (علم الجمال ص ص ٣٥٦، ٣٥٤) وكتمثيل للموت الذي يختلف عن نظائره المسيحية في التركيز على "المحافظة على الجثث" بدلاً من "خلود الروح" (ص ٣٥٥) قد تقدم الأهرامات ماثلاً لمراثة تتساعل عن "اقتصاد الحداد الناجح بواسطة الغرس اللاوعي لصفات الموضوع المفقود بدلاً من إدماجه. ويكتشف إيوجينيو روناتو Eugenio Donato الأمتدادات الأدبية لمثل هذا الحداد في كتابه كتابة الانحطاط:

*The script of decadence: essays on the fictions of Flaubert and the poetics of Romanticism*, New York: Oxford University Press, 1993, pp. 202-7.

كما يناقش دوناتو أيضاً هيجل (ص ص ١٣١-٨، ١٤٦-٩) ولكنه لا يقيم صلة بين الأهرامات والمراثة.

ومثل شيلنج يشير هيجل إلى ثلاثة مواقف أساسية *Grundhaltungen* تستتبع أصنافاً من "عدم" التوازن بين الروح والمادة تعبيراً عن مراحل مختلفة في محاولة الوعي لتفعيل "الفكرة". وديانكتيك هيجل على أى حال هو زمانى (تاريخى) وليس تزامنياً وترانسندنتالياً (متعالياً). وبدلاً من الثلاثى الشكلى الخالص عند شيلنج يصور تقدماً من الرمزى خلال الكلاسيكى إلى الرومانسى. ويفشل الرمزى المرتبط بالفن الشرقى بسبب نقص فى الوعي بالذات يجعل الفكرة تظل "غير متعينة". ويحل الطور الكلاسيكى مؤقتاً التوتر من خلال التجسيد المطابق للفكرة (علم الجمال ص ٧٧). ولكنه يعود على مستوى أعلى فى الطور النهائى الرومانسى؛ حيث تثبت المادة بدلاً من الروح أنها ناقصة وتكون الأشكال الخارجية عاجزة عن تجسيد فكرة صارت الآن كاملة التطور.

كما يجذب عمل هيجل كظاهريات للثقافة يستعمل الفلسفة لمعالجة مواد تخصصات أخرى هذه التخصصات إلى الفلسفة بطريقة لم يفعلها كانط. فتحليله لأشكال الفن بلغة المادة والروح فلسفى ولكنه أيضاً سيكولوجى مبكر فى تأكيد على الجوانب والبرانية كما على تاريخ الفن كتربية وتكوين *Bildung* فيها يحاول وعى سعيد/تعيس أن يفهم ذاته ويتطابق معها. وكما أن التحليل سيموطيقى (متعلق بالعلامات) أيضاً لأن هيجل أكثر انشغالاً من سابقه بالعلاقة الصعبة بين "المعنى" والشكل (القوام - الهيئة). وتحليله للعلاقة بين الشكل والمضمون يرهص بكل من فهم الأشكال الفنية بلغة التباينات بين الدال والمدلول التى طورها بنيامين ودى مان فيما بعد عند تحليل المجاز *allgory*، والمناقشة الأكثر عموماً بواسطة دريدا المبكر لاستحالة وعى كامل الحضور أمام نفسه فى توحيد "المفهوم والواقع" (ص ٣٤١).

وقد أضاف هيجل للتحليل ما بين التخصصات للفن كذلك بعداً اجتماعياً. وقد تناول لوحات الطبيعة الصامتة الهولندية على نحو سيكولوجى بربط بؤرتها فى "الأشياء الأصغر والأكثر عادية" بهذا الرضا "بالحياة اليومية الراهنة" (ص ٥٩٧) الذى أطلق عليه ورنجر *Worringer* فيما بعد التقمص الوجدانى *empathy*. وهذا التفسير يواصل مناقشة شوينهور للتصوير الهولندى باعتباره تمثيلاً خالصاً متحرراً



من الإرادة (World, 1:197) ولكن هيجل يحلل أيضًا دلالات الواقعية الهولندية كتعبير عن البروتستانتية البرجوازية التي تعظم من قدر العادى أكثر من الأرستقراطية، والدنيوى والبسيط المباشر فوق الدينى والرمزى (علم الجمال ص ٥٩٨). ولأنه يكمل اقترباً فلسفياً باقتراب سوسيولوجى كان أكثر تسامحاً مع التصوير الهولندى من شوبنهاور.<sup>(٤٧)</sup> ويمكن للظاهريات الاجتماعية أن تكون كعب أخيل لتحيزات هيجل (نقطة ضعفها القاتلة) كما فى افتراضه لتماثل بين الرمزى والطغيان (ص ص ٤٣٦-٧). ومع ذلك كان هيجل هو الذى يسمح لعلماء جمال لاحقين مثل ألواس ريجل Alois Riegl وورينجر ليدلوا على أن "الخصائص النوعية للعصور الماضية لا تفسر بواسطة نقص القدرة، بل بواسطة إرادة متجهة اتجاهاً مختلفاً.<sup>(٤٨)</sup> إن وورينجر على سبيل المثال يركز على النزعة التخطيطية المسطحة للفن المصرى القديم باعتبارها "فشلاً" فى أن تكون مثل الواقعية الكلاسيكية فى تمثيل الكلى العياني concrete universal وتقفى أثر هذا التجديد من التاريخ إلى نظرة يكون التاريخ بالنسبة إليها تشكيلاً أيديولوجياً تجريباً ونقصاً عاطفياً أو مواجهة (Abstraction and empathy, pp. 14-16). ويانتزاع مقترب هيجل من سرديته ذات المركزية الأوروبية، يستعمل وريجر الشكل بدلاً من المضمون فى هذا المقترب. إن المنهجية تتبثق بالفعل عن الأيدولوجية. ولأنه عمومًا يرى التأكيد على "النثرى" العادى (لا يتصف بإثارة الخيال أو العاطفة) prosaic (علم الجمال، ص ٥٩٥) ليس جماليًا فإنه يقلل من قيمة الشعر الوصفى لهذا السبب. وتفسير التصوير الهولندى على أنه حال هو محاولة لفهم نثر الحياة بلغته كشكل لم يفسر بواسطة التأكيد على الرومانسية التى هى نفسها جزء من أيديولوجية مثالية.

(٤٧) وعلى سبيل المثال لأن شوبنهاور يتناول الفن بلغة فلسفية وسيكولوجية فقط لا يستطيع أن يرى هدفًا فى الإلماج الهولندى للطعام فى طبيعته الساكنة (العالم، ١:٢٠٨).

(٤٨) انظر:

Worringer, *Abstraction and empathy*, p. 9.

وانظر أيضًا:

See also Alois Riegl, *Questions of style: foundations for a history of ornament* (1893), Evelyn Kain (trans.), Princeton, nj: Princeton University Press, 1992..

وأعمال هيجل تدعم كثيرًا النظرية الألمانية السابقة عليه. ولكنه كذلك يتحرك متجاوزًا أسلافه في اكتشاف الطابع التاريخي للأشكال الفنية باعتبارها تعبيرات غير مكتملة عن وعى ما يزال في سيرورته. وموقفه من مثل هذه الأشكال منقسم بعمق. والتأكيد المعيارى على "الجمال" يتصور "كلية حرة" يتحد فيها "المضمون" و"الشكل"، الفنان وموضوعه (ص ص ٤٣١-٧٠٢). ومع ذلك يبدو هيجل أكثر اهتمامًا بأشكال فنية مشوهة توجّل أى تركيب. لأنه حينما تتجاوز "الروح" الكلاسيكية العجز الرمزي في تحقيق "الفكرة" تثبت أنها "مقيدة" ويجب إزاحتها بواسطة الرومانسى الذى لا تستطيع فيه الفكرة مرة ثانية أن يتم تمثيلها. وبقراءة الثالث الهيجلى بطريقة التركيب التعبيري *syntagmatically* نجده يستعيد الأزمة في التمثيل التى تحرك "علم الجمال" بحذاء محور عنصرى يحمى الغرب من الشرق. وهكذا فإن العلاقة بين الرومانسى والرمزى تعطى طابعًا سرديًا بحيث إن المشاكل التى كشف عنها أولاً فى الفن الشرقى يتم حلها ديكالكتيكًا فى "عدم التناظر" بين المادة والروح فى المسيحية. ولكن مذهب هيجل كنموذج معرفى إرشادى *parpadigmatic* يجرى تنظيمه بواسطة التكرار بدلاً من الديالككتيك. لأن الرومانسى ينتابه دائماً شبح قرابته من الرمزى، بحيث لا نتأكد أبداً من أن تكون الفكرة موجودة ولكنها لا يستطيع تمثيلها أو أن تكون دائماً غير متعينة. فالمذهب هو نقل ناسخ (ترجمة بلغة أخرى) لعملية تكون فيها طبيعة الفن نفسها ككمال كلاسيكى متصف بالتنازع (ص ٤٤١) يعاد تشكيلها (وفقاً لاستعمالات أخرى). وهكذا فعلى حين أن هيجل يسلم للذوق فى رفض فن يفشل فى تحقيق هوية ذاتية باعتباره "رمزياً" فإنه كذلك يضيف امتيازاً على مثل هذا الفن من خلال "الرومانسى". ويواصل التعارض بين الاثنين الانهيار مثلما فى عدم اليقين حول إن كان الفنان الرمزي يجاهد لتخيل ... "معنى للشكل" أو شكل للمعنى (ص ص ٤٣٨، ٤٤٠) أو إن كانت الرمزية تصدر عن نقص أو زيادة فى الجوانية أو إن لم يكن الشرقى فى الحقيقة هو الشكل المنحط للرومانسى.

وكان افتتان هيجل بقن يقف فيه المعنى والشكل "فى علاقة قرابة وتضمن *allusiveness* (ص ٤٢٧) محصورًا تجريبيًا فى أشكال تكميلية (متمة) لم يعالجها

إلا بإيجاز. وما هو أكثر أهمية كان الإمكان الخاص بما بعد الدلالة *metasignifying* الذى يبينه من خلال الرمزى الذى يشكل فيه هذا الانقسام "التخمر الذى لا يهدأ" و"جهد" وعى ما يزال مشتبكاً فى "إنتاج مضمونه وجعله واضحاً لنفسه" (ص ص ٤٤٠، ٤٣٨) ومناقشة هيجل للرمزى هى تجديدية جذرياً فى السماح لنا بالتفكير فى هذه الأشكال كفن، وفى الفن "كشكل" له معنى "دون أن يكون قادراً على التعبير عنه بطريقة كاملة" (ص ٣٧٢) وعواقب ذلك بالنسبة للنوع ذات دلالة مهمة. فالنوع كما يومئ جيلين *Guillen* فى صيغة تذكر باهتمام شيلر بمصالحة الدافع المادى *Stofftrieb* والدافع الشكلى *Formtrieb* هو "نموذج لحل المشكلات" يلانم بين "المادة والشكل" (*Literature as System*). وسيكون النوع بهذا المعنى "كلية حرة" يصلح بين المادة والتعبير عنها بحيث لا يترك أى شىء دون أن يقال (علم الجمال ص ٤٧١). ولكن بعد هيجل لم يعد الفن نفسه بالضرورة توحيد الشكل والمضمون أو "القدرة" و"الإرادة". وبالتناظر لا تكون الأنواع "حرة" بالكامل ولا محددة بالكامل. وبدلاً من ذلك هى تعبيرات جمعية لتباين "الشكل باعتباره إجراء" و"القوام أو الهيئة *shape* باعتباره حثاً مضافاً" *superinduced* أو بين الجوانبية والهيئات المجبرة اجتماعياً التى تعبر عن نفسها فيها.

وعند أواخر القرن التاسع عشر كانت الدراسة السيكولوجية الفلسفية للأشكال الثقافية قد صارت راسخة. ولكن على الرغم من أن الدافع النسقى للرومانسية الألمانية تمت مواصلته بواسطة منظرين من أمثال أرنولد هاوزر *Arnold Hauser* وإرنست بلوخ *Ernst Bloch* ونورثروب فراى *Northrop Frye*.<sup>(٤٩)</sup> فإن علم الجمال بعد هيجل النقط من الرومانسية الامتياز للتفرد بتركيزه ذرياً على النوع المفرد. وهكذا أعادت الاستمرارات اللاحقة لنظرية النوع المثالية صياغة "هيجل" من خلال النوع الذى تركز عليه. ودين لوكاتش المحدد بدقة لهيجل يختلف عند نقاط مختلفة من

(49) Arnold Hauser, *The social history of art*, Stanley Godman (trans.), 4 vols., New York: Random House, 1951; Ernst Bloch, *The principle of hope*, Neville Plaice, Steven Plaice and Paul Knight (trans.), 3 vols., Oxford: Blackwell, 1986; Northrop Frye, *Anatomy of criticism: four essays*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1957.

سيرته المهنية ولكن من الملاحظ أنه حينما يطور في "معنى الواقعية المعاصرة" المواقف الأساسية *Grundhaltungen* للمجاز والواقعية ضمن الأطار المعيارى لبحث عن "الكلية" فإنه يكون أقل احتفاء من هيجل بالأساليب التى تفصل بين المعنى والشكل. ولكن هذا الجانب الأخير من هيجل هو بالتحديد المحفز لدى كيرجور الذى يعمم الشكل البلاغى فى نمط المفارقة باعتباره عملية نفى مطلقة لامتناهية. وعلى حين كون "مفهوم المفارقة" هدمًا للمثالية التى تركز على النمط المفرد الذى لم يستطع هيجل أن يؤقلمه داخل غائيته (علم الجمال ص ص ٦٤-٩) فإن هيجل نفسه قد عظم من شأن "عملية النفى اللامتناهية" من خلال الرومانسية. (ص ٥٢١). وبهذا المعنى يقرأ كيرجور كتاب علم الجمال ضد ميل مؤلفه لكى يستخرج افتتانه اللا وعى بتأولات الأشكال التى لا تتماسك معًا.

ويشهد التنوع اللاحق لنظرية النوع الفلسفية على التعقيدات التى لم تحل فى قالبها الرومانسى. وعلى أية حال فما يزال إرث يتناول الفن باعتباره غير مكتمل دون تنظير. ومثل هذا تناول مستمد أيضًا من شوبنهاور الذى يستوحيه فولكلين Wölfflin فى افتراض "إرادة محايدة" تشق طريقها خارجة من المادة ... نحو الشكل" ولكنها لا تستطيع دائمًا تحقيق ذاتها" (*Prologomena*, pp. 159-62)، ولكن حيث يكون إطار شوبنهاور بيولوجيًا وسيكولوجيًا يكون إطار هيجل تاريخيًا. ويتصور الفن كإرادة تكافح من أجل التمثيل يشرح هيجل من جانبه الرومانسى (المتميز عن المحافظ) الأزيمات فى التمثيل من خلال شروط اجتماعية تاريخية تنجم عن أن تكون الروح ليست واضحة إزاء ذاتها (علم الجمال ص ٤٣٣) وهو بذلك يقرأ العمل الفنى "المفقر إلى الإفصاح" (ص ١٦٢) باعتباره معنى تشوه (تغير شكله *de-formed*) بواسطة الأشكال الموجودة لكى يستخرج من الشروط التى تحدده إمكان "حرية" فى المستقبل.

وسيكون لمصطلحات كالروح والحرية رنين مريب للأذن المعاصرة. ومع ذلك فهى تدعم ديكالكتيك التنوير الذى يتبعه كل من النقد الثقافى والنسوى. فعند مثل هذا النقد لا تكون الأنواع معبرة على نحو مستقيم كما أنها ليست "عقودًا" اجتماعية لتنظيم

السلوك الفني، ويتناول جيمسون *F. Jameson* على سبيل المثال النصوص باعتبارها بنى متضافرة التحديد؛ حيث يعمل فيها الشكل والمضمون كجزئين شبه مستقلين (كل منهما شبه ذاتي التقنين *semi autonomous*) وهو يحدد موضوع النص في علاقته بلا وعيه السياسي بتحليل كيف يقول الشكل شيئاً ما مختلفاً عن المضمون (تعديله) بواسطة الشكل الذي يتخذه. ولكن لقد كان هيجل هو الذى أسس هذا الفهم للأصناف الفنية بلغة "شكل المضمون" و"مضمون الشكل" (*Political unconscious, p.242*). فحتى وهو يرى الكلاسيكي كتركيب من الشكل والمضمون يقوم بتنظير خلال الرمزي والرومانسي الإمكان البنوي لتباينهما.

وأحد أمثلة هذا التباين هو الرواية، معتبرة تحويلاً للرومانسي إلى "موضوعية" نثرية (علم الجمال، ص ٥٩٥) وفي الواقع إن "السرد الروائي الرومانسي" هو ما يسميه جيمسون حلاً رمزياً أو انتقالياً لتناقضات أساسية بين مضمون رومانسي ونثر المجتمع المدني (علم الجمال ص ٥٩٢). ولأن نطاقاً واسعاً من الأنواع هي رمزية أو "خيالية" فإن حلول مثل هذه التناقضات "يستهل بها هيجل إعادة التفكير في النوع التي ينبغي تنظيرها بالكامل. وإعادة النظر المفهومية هذه سواء بمصطلحات بنوية أو بإعادة تأسيسها للعلاقة بين النوع والدائرة العمومية هي ذروة الرومانسية. فالفنان الكلاسيكي كما يشخصه هيجل يجب أن يكون المضمون لديه موجوداً من قبل، مجهزاً مسبقاً بحيث تكون طبيعته "كمعتقد شخصي أو قومي" محسومة من قبل، ويستطيع الفنان أن يركز على العثور على هيئة *shope* ملائمة. فالأنواع تقدم فئة خاصة من المساعدة في هذه العملية لأنها تسمى "تلاؤماً" بين المادة والشكل قد تحقق "من قبل" (*Guilen, Literature as system, p.111*) فالنوع في الكلاسيكية هو بذلك مكون من مكونات أيديولوجية المحاكاة التي فيها لا يقوم الفنان إلا بإعطاء هيئة لأنظمة اعتقاد قائمة (علم الجمال ص ٤٣٨). فالنوع كطريقة للتعرف على الأشكال التي يتخذها عدم الاكتمال هذا، هو في قلب ذلك الفهم الذاتي الجمعي.



## الفصل الثاني عشر

### نظرية الرواية

بقلم: مارشال براون

ترجمة: لميس النقاش

نظرية الرواية الرومانسية هي حالة خاصة من حالة نظرية النوع الرومانسية عامة التي تتخذ مسوحاً متباينة جذرياً باختلاف البلدان. ويلقى هذا الفصل الضوء، كما الفصل السابق لتيلوتاما راين، على الإسهامات الألمانية وهي إسهامات نسقية تتميز بالتجريد على نحو لا يتوفر إلا تادراً في البلدان الأخرى. ولكن لأن نظرية الرواية بطبيعتها أكثر توجهها نحو التطبيق فقد أفسحنا مجالاً أوسع للإسهامات التطبيقية والإمبريقية الإنجليزية والفرنسية عما كان الحال عند تناول نظرية النوع. والسؤال المحورى هو إن كان يصح الحديث عن نظرية رومانسية للرواية عامة بالرغم من الاختلافات الجذرية الواضحة بين البلدان. وأبدأ بمسح لواقع الرواية ونظرية الرواية كما تبنت للجيل الأول من الكتاب الرومانسيين؛ فقد كان التراث المشترك كفيلاً بخلق درجة ما من التوجه المشترك ولكن مع تفرق الدروب فرضت قضية الوحدة نفسها كقضية ملحة. أنقل بعد ذلك إلى عرض موجز للأفكار الأساسية التي تتكرر في النقد الروائي والتي ترتبط في معظمها بمقولتين تركيبيتين من المقولات الشهيرة لفريدريش شليجل. وبعد رسم تلك الأرضية المشتركة سأقوم بتقديم أربع إسهامات رومانسية متميزة وهي: تعليقات جوته على الرواية كما وردت في روايته فيلهلم مايستر، ومقال فريدريش شليجل عن فيلهلم مايستر، وكتاب الروائي جون بول فريدريش ريختر أوليات علم الجمال، وأخيراً كتابات والتر سكوت. وتمثل أعمال سكوت خلاصة الاتجاهات التي صاغها الكتاب الألمان كما تستبقي الاهتمامات

الأساسية لنظرية الرواية لاحقاً؛ وسأختم بمناقشة موجزة لمقدمة بلزك للكوميديا الإنسانية والتي ترسم ما آل إليه الفكر الرومانسى المتأخر حول الرواية.

\*\*\*\*

وصلت الرواية لمرحلة الاستقلال فى العصر الرومانسى. صحيح أن العديد من الكتب التى نعتبرها الآن روايات كانت قد كُتبت فى فترات سابقة، ولكن ليس هناك إلا شواهد ضئيلة على أن لا الكتاب ولا القراء قد تعاملوا حينذاك مع الرواية كشكل مستقل. وقد ظهرت كلمة "رواية" أول ما ظهرت على أغلفة الكتب الإنجليزية فى الستينيات من القرن السابع عشر وكان ذلك فى كتب مترجمة عن الفرنسية، وكذلك وهو الأمر الأكثر دلالة ظهرت الكلمة يصحبها عدد كبير آخر من التسميات النوعية. وتتماهى الكتابات القصصية التخيلية فى القرن الثامن عشر مع عدد هائل من غيرها من الأنواع منها القصة والتاريخ والحكاية والمغامرات واليوميات والرسائل وقصص الحياة. وقد قام الكتاب الرسميون للقرن الثامن عشر -رسميون، بمقياس عصرهم وعصرنا- قاموا بكتابة عدد من الأعمال الروائية مطلقين عليها تسميات نوعية تكاد تكون عشوائية: فجوزيف أندروز "تاريخ مغامرات" وتوم جونز "تاريخ" وجوناثان وايلد "تاريخ حياة" ومايفوز الفلاح محدث النعمة "مذكرات" (وإن كانت الترجمة الهولندية تسميه "الأحداث العجيبة والحقيقية"، أما الترجمة الألمانية فتدعوه "الوقائع المثيرة") وكتابه حياة ماريان فهو "مغامرات"، وهكذا دواليك. وفى نفس الوقت قام كتاب كبار غزرو الإنتاج بالمزج بين القصة القصيرة والطويلة، كما تجاوزوا الحدود المرسومة بين القص التخيلى وغير التخيلى (ديفو Defoe) أو حاولوا كتابة القص شعراً بالإضافة لكتابته نثرًا (فيلاند Wieland). بل إن الإسبانية مازالت تطلق على القصة القصيرة والطويلة النثرية نفس الكلمة *novella*. ولم يكن بالإمكان حتى حوالى العام ١٨٠٠ أن تجد كتابًا يتخذ عنواناً له: الإدراك والحساسية - رواية



في ثلاثة أجزاء؛ أو تلك الحالة النادرة جداً: لوسندي: رواية.<sup>(١)</sup> ولن نجد قبل جان بول في ألمانيا وسكوت في بريطانيا وأخيراً بلزاك في فرنسا كتاباً يطمحون لإخراج أعمال ذات قيمة جمالية يتخصصون في الرواية فيصدرون عدداً كبيراً من الروايات وإن مارسوا أنواعاً أخرى من الكتابة إلى جانب ذلك. ومن غير المستغرب إذن أن تكون تلك العقود شاهدة على تماسك ما يمكن أن نسميه نظرية الرواية أو الخطاب الروائي.

ولنبداً بعرض سريع للكتابات المبكرة إذ نجد كتاباً واحداً مهماً عن الرواية هو كتاب بيير دانييل هوت رسالة في أصول الروايات وهو مقال من تسع وتسعين صفحة صدر في ١٦٧٠ (وتمت ترجمته إلى الإنجليزية في طبعة نادرة في ١٦٧٢ وإلى الألمانية في ١٦٨٢) ويمكن الأخذ بتعريف هوت للرواية إلى يومنا هذا على الأقل كنقطة انطلاق: "تطبق كلمة رواية في الاستعمال الصحيح (romans) على تلك القصص التخيلية لمغامرات عاطفية كتبت نثرًا جميلاً بهدف متعة القارئ وتوعيته." (ص ٤ و ٥) ويروى هوت عن علم غزير قصة فن القص التخيلي، كاشفاً عن تبحر، وينتقل من العصر القديم إلى الشرق وكذلك العصور الوسطى ويرى أن "الروايات الجميلة" التي تشكل ... الروح ... وتعدّها للعالم إعداداً مناسباً." (ص ٩٦) انبثقت تدريجياً من جذورها المتمثلة في الحكايات الخرافية والتاريخ. ويمتدح هوت الشكل والتنظيم - "على الرواية أن تكون مثل جسد مثالي وتتكون من أجزاء مختلفة ولكن متناسقة تحت رأس واحد." (ص ٤٤) ويميز ما بين الرواية والرومانس (أي الحكايات الشعرية الأسبانية). ومع ذلك فقائمة النصوص التي يتناولها هوت محدودة للغاية ويغلب عليها الرومانس النثرى للقرنين السادس عشر والسابع عشر بحيث يكاد كتابه لا يمت بصلة للكتابة عن الرواية فيما بعد ١٨٠٠. وهو وإن استخدم بعض

(١) إن التفاني الذي تعامل به بوب مع قصيدته "اغتناب خصلة شعر"، طبقاً لبعض المصادر من حيث عنوانها وحجمها جعلها أشبه برواية، وقد قرأها الكثيرون من الجنس اللطيف خطأ على أنها كذلك. "وكتاب Le Comte de Gabalis يتكون من ثمان وثمانين صفحة. ومن الواضح أن بوب استخدم المصطلح عوضاً عما يمكن أن نسميه نحن رواية قصيرة novella.

الكلمات التى استخدمها كتاب من بعده إلا أن معناه مختلف عند تناول روايات كرواية إيمان، أو قورش العظيم.

وطوال القرن التالى كان هناك قبول للموقع الذى حدده هوت للنوع الروائى وإن اختلف الكتاب فى تقييمه. فنجد الفيلسوف الفرنسى جوكور والذى قام بكتابة مقال بالغ التركيز من صفحة واحدة حول الرواية فى دائرة المعارف الفرنسية *Encyclopedie* يتبع هوت فى إرجاع الرواية إلى الرومانس النثرى فى عصر الباروك، ولكنه يرفض ذلك النوع مفضلاً الكتاب الأخلاقيين من أمثال مدام دى لافاييت وريتشاردسون وفيلدينج وروسو. وقد تمت دعوة كاتب روائى بارز وهو مارمونتيل لكتابة ثلاث صفحات عن "القص الخيالى"، ولكن مقاله يكاد ينصب على العرض التاريخى. أما ريتشارد هيرد فقد اشتهر كتابه رسائل حول الفروسية والرومانس (صدر فى ١٧٦٢ وتلتها طبعات موسعة فى ١٧٦٥ و ١٧٨٨) وكان له أثر كبير بمدحه لحبكة الرومانس والشكل القوطى، وكذلك (كما ورد فى جملته الختامية) "لعالَم الحكاية الخرافية الجميلة" ولكن اهتمامه كان متركزاً على تراث أرسطو. أما كتاب جون دانلوب تاريخ النثر القصصى (جزأين ١٨٠٥ - وهو أول كتاب يحمل هذا العنوان) فقد ركز أيضاً على أعمال الأدب القديم والرومانسيات الفروسية وكان تناوله للرواية الفرنسية والإنجليزية فى الجزء الأخير من الكتاب الثانى. ونصل إلى أول محاولة مهمة لتمييز الرواية كنوع مستقل بظهور حوار الروائية كلارا ريف تطور الرومانس (١٧٨٥). وتستحق تلك الفقرة الاقتباس كاملة إذ ترسى أسس المناقشة اللاحقة للموضوع:

"الرومانس حكاية بطولية تتناول الشخصيات والأشياء الخرافية. أما الرواية فهى صورة للسلوك والحياة الواقعية وللزمن الذى تكتب فيه. وتصف الرومانس بلغة مرتفعة ومتعالية ما لم يحدث وليس من المحتمل حدوثه. أما الرواية فهى تشير إلى أشياء مألوقة كالتى تحدث كل يوم أمام أعيننا أشياء قد تحدث لأحد أصدقائنا أو لنا

نحن شخصياً، ويمكن كمالها في تمثيلها لكل مشهد بطريقة سهلة وطبيعية مما يجعله يبدو محتملاً بحيث تستطيع أن تقنعا ... أن كل ما تقدمه حقيقى فنجد أنفسنا متأثرين بالأفراح والأحزان التى تمر بها الشخصيات فى القصة وكأنها أفرحنا وأحزاننا نحن." (ص ١١١).

إن ما توفره لنا المعاجم التاريخية هو معانى للكلمات لا أنساق الخطاب، ولكن من خلال هذه الفقرة يتضح لنا أن الرواية اكتسبت ما نعرفه عنها اليوم من مكانة نسقية كنوع مستقل بقدم الفترة الرومانسية وليس قبل ذلك.<sup>(٢)</sup> فالعلاقة بين الواقعى والرومانسى، وبين اللغة النثرية واللغة الشعرية، وبين العادى والغريب، وبين المحتمل والعجائبي، تظل كلها قضايا أساسية للفكر الرومانسى حول الرواية (بل وفكر القرن التاسع عشر عامة).

ولا شك أن فيلدينج قد أخذ على عاتقه وحده الدفاع عن الرواية فيما قبل الفترة الرومانسية من خلال مقدماته والفصول الأولى لروايته جوزيف أندروز بأجزائها (١٧٤٢) وروايته توم جونز (١٧٤٩). ورغم أن مصطلح الرواية لا يظهر بشكل جدى فى كتابات فيلدينج، فإن ما يصفه "بقصيدة ملحمية كوميدية نثرية" و"كتابة ملحمية نثرية كوميدية" (مقدمة جوزيف أندروز و توم جونز ص ٥ و ١) يتردد مراراً

(٢) لقد قام أرمند بير جاكين باستباق تعريفات ريف إلى حد ما فى

Armand-Pierre Jacquin, *Entretiens sur les roman*, 1755, rpt Geneva: Slatkine, 1970.

فيميز جاكين بين الرواية والتاريخ على أساس أن الرواية تخيلية، وبينها وبين الملحمة على أساس أن الرواية أقل رفعة وأكثر استطراداً وأكثر نعومة، وبينها وبين الحكاية الرمزية على أساس تشبيهها بالواقع وكونها تدور حول رجال أو آلهة وثنية وليس حول الحيوانات (pp. 18-23) ويكرس جاكين ثلاثة أرباع نصه المكون من ٣٦٥ صفحة للحديث عن عدم نفع الروايات ومخاطرها، ويعتبر رواية تيليامك لفنلون "أفضل الروايات وأقلها خطورة" (p. 148) ويرى أن هيو متساهل أكثر من اللازم (p. 117) ولا يعتقد أن الروايات التى اشتهرت حديثاً (رسائل بوريفيا لمدام جرافينجى وروايات ريتشاردسون وتوم جونز) سيكتب لها البقاء طويلاً (p. 100-1) وفى حين يناقش أيضاً جاكين جيل بلاس وروايات كليفلاند ليروفت، فإن قائمته المعيارية، مع الاعتراف بدينه لهيو، تتكون غالبيتها العظمى من روايات نثرية وشعرية بما فى ذلك محاكاة حديثة لميلتون وهى كريستيانة *Christiade*.

لدى كتاب آخرين كانت الرواية بالنسبة لهم مصطلحاً جاداً ومن هؤلاء نجد أن بابولد فى مقالها "جذور كتابة الرواية وتطورها" (١٨١٠) إذ تقول "الرواية الجيدة هى ملحمة مكتوبة نثرًا بها من الشخصيات أكثر مما بها من قدرات خارقة للطبيعة. (ص ٣) ومنهم هيجل والذى لا تحظى الرواية فى كتابه الضخم علم الجمال سوى بثلاث فقرات متفرقة. (ويطلق عليها رواية *roman* بدون أى تحديد لمجال هذا النوع). إذ يدعو الرواية "ملحمة البرجوازية الحديثة" عن "واقع أصبح نثرًا" (*eine bereits zur Prosa geordnete Wirklichkeit* الجزء الثانى ص ٤٥٢) ولأن الجمهور هو جمهور الطبقة الوسطى المثقف تنقيفًا يتيح له الاستمتاع بالمفارقة والإشارات الذكية فقد كانت مقالات فيلدينج تطبقاً لمعايير أرسطو وهوراس على الكتابات القصصية الأقرب إلى الواقعية التى كان يمارسها هو. بينما يتناول عدد من المقالات صنعة الكتابة من تدبر الحبكة، إلى الوسائل الأسلوبية، وثقافة المؤلف وغيرها من التفاصيل مثل تقسيم الفصول وتسمية الشخصيات. على الجانب الأخلاقى يؤكد فيلدينج على القيمة التعليمية لتصوير شخصيات مركبة فى مواقف مقنعة مع التركيز على نقاط ضعفها الإنسانى وليس على أهوائها. لقد أسس فيلدينج بأسلوبه الساخر الذى لا يخفى جدية محاولته وضع القص الخيالى النثرى كوريث شرعى لهوميروس وثيرفانتس، أرسى الأسس التى سيعتمد عليها كل من يليه من المدافعين عن رفعة الرواية باعتبارها نوعاً من الكتابة يتميز بحدائته وأسلوبه المصقول فنياً وفكرياً.

ومع ذلك من المضلل الحديث عن تطور نظرية للرواية بنهايات القرن الثامن عشر. والأدق أن فيلدينج لم يكن سوى خلفية غائمة بينما كانت القضية المطروحة بوضوح هى إن كان من الواجب كتابة روايات أصلاً. فنجد صموئيل جونسون يعارض فى العدد الرابع من مجلة (المتجول) *Rambler* (١٧٥٠) الاتجاه الجديد الذى يميل إلى "كوميديا الرومانس" و"الأحداث العادية التى تتم بأساليب سهلة" و"الحياة فى حالتها الحقيقية يتخللها بعض الحوادث التى قد تطرأ يومياً فى العالم" مفضلاً على ذلك "المثال الكامل للفضيلة، وليست الفضيلة الملائكية، أو فوق

الاحتمال". ورغم أنه لا يعلن حرباً انتقامية لكنه من الواضح أنه يرغب فى صد ذلك الشيء القادم. وهو شخصياً لم يتخذ من الرواية شكلاً للعمل القصصى الطويل والوحيد الذى قام به، بل اتخذ مجازاً تمثيلاً لحكاية شرقية *Rasselas* (١٧٥٩) فجونسن يفضل الحقيقة على الواقعية الصرفة: "من غير الواضح لى لماذا لا تؤتمن عين المرء على النظر مباشرة إلى الإنسانية كما تنتظر للمرأة التى تعكس كل ما يصادفها دون تمييز". والمسافة التى قطعها الحركة الرومانسية يمكن قياسها بملاحظة كراهية جونسن لذات الشيء الذى اعتبره ستتدال غايته - كما هو معروف- فى الأحمر والأسود (١٨٣٠) "يا سيدى، الرواية مثل مرآة مسافرة على طريق سريع. أحياناً ما تعكس السماء الزرقاء الصافية وأحياناً أخرى تعكس بركة موحلة. ثم تأتى لنتهم حامل تلك المرأة فى سلتها بانعدام الأخلاق." (الجزء الثانى ص ١٩) كما كان رفض روسو لحدثات فيلدنج نموذجاً متكرراً، فنجد فى جوليا أو الهوليز الجديدة، وهى إحدى الروايات الكثيرة المكتوبة ضد الرواية، سواء فى المقدمات أو فى النص الأساسى قَدْخاً بالغاً ضد "مؤلفى الروايات والكوميديات" بل "لعل الرواية هى الأسلوب التعليمى الأخير الذىبقى لأناس فاسدين لدرجة أن أى شكل وعظى آخر لن يجدى" (الجزء الثانى، رسالة ٢١، ص ٢٧٧؛ وقد تكررت هذه الكلمات حرفياً إلى حد بعيد فى "الرواية" لجوكور) ولعل نجاح فيلدنج فى الدفاع عن الرواية جلب عليه هجوماً ووضع المدافعين عن الرواية فى حالة دفاع عن النفس.

وبالتالى ففى الكتابة عن الأدب بشكل عام ظل الأسهل هو تجاهل الرواية ببساطة كما فعل كانط وتبعه بدرجة أقل هيردر وشيلر وهيغل.<sup>(٣)</sup> فالرسائل المختصة بموضوعات أدبية عامة مثل الجليل كانت أميل إلى التقيد بالشعر والمسرح وتجاهل

(٣) إن تعليقات هيردر الهزلية - وأغلبها حول الجذور البدائية للرواية - لاحقة فى أغلبها على رواية فيلهلم مايستر، وتأتى فى آخر مسيرته الطويلة والغنية. ورغم أن شيلر اشتهر عنه كونه كاتباً للنثر التخيلى فإن إحدى صفحات "الشعر الساذج والعاطفى" تنفى كون كاتب الرواية *Romaneschreiber* مؤلفاً للشعر *Dichtung*. وقبل ذلك نجد فى الكتاب المهم

*Allgemeine Theorie der schönen Künste* (1771-4, revised 1792 with the novel theorist Blanckenburg as coeditor) has an entry for 'romanhaft' but not for 'Roman', 'Fiktion' or 'Novelle', and discusses verse narrative only in the entry for 'Erzählung'.

القص الخيالي النثرى. وهو نفس التوجه الذي نجده في إنجلترا لدى هيو بلير *Hugh Blair* في كتابه محاضرات في البلاغة والأدب الرفيع والذي صدر في طبعته الأولى في ١٧٨٣. وتتأول العشر الأواخر من المحاضرات السبع والأربعين بالبحث مختلف الأشكال الفنية المحترمة من الشعر الغنائي إلى الشعر الوصفى والملحمة والدراما. وقبل كل هذا تتأول المحاضرة ٣٧ "الكتابة الفلسفية، المحاورة، كتابة الرسائل (وليس الروايات المكتوبة على شكل خطابات) والتاريخ الخيالي". أما الثلاث صفحات اليتيمة المخصصة للقص الخيالي فتتضمن "توعاً من الكتابة بالغ الضخامة من حيث العدد وإن كان بشكل عام غير ذي أهمية، وهو النوع المعروف باسم الرومانس أو الرواية". ولكن بلير في الواقع مولع بالقص الخيالي فهو المدافع عن الرومانس النثرية شبه البدائية أوسيان التي كتبها ماكفيرسون. ويلخص تاريخ هيو مضيئاً إليه لوساج وماريفو وروسو من الفرنسيين وفي مقابلهم ترتفع رأس إنجلترا بروينسن كروزو وتوم جونز وكلاريسا. وهو يسمي العاملين الأخيرين "روايات". ولكن الخاتمة تحمل إدراكاً لضعف موقفه فيكتب مدافعاً: "يمكن للرواية النموذجية ... أن تقدم للعقل ترفيحاً ممتعاً ومفيداً، ولكن ... الأغلب هو اتجاهها نحو الانغماس في الملذات والتافه من الأمور وليس الهادف والصالح. فلنترك إذن أرض الخيال القصصى تلك." وبدورها تحط ماري ولستونكرافت من شأن "النساء المستمتعَات بالأحلام التي يقدمها لهن الروائيون البلهاء". وإن كانت ترى أن قراءة الروايات تظل أفضل من الفراغ. (بيان حقوق المرأة ..) وفي مقدمة حكايات غنائية نجد العبارة اللاذعة المشهورة حول "اللهات المهيمن وراء الإثارة المفرطة" الذي يفضل "الروايات المهتاجة" وغيرها من الأشكال الجماهيرية على حساب شكسبير وميلتون، ورغم أن وردزورث يعزو المشكلة إلى الأحداث الجارية فإنه في الحقيقة يعيد إحياء معيار مستقر. ومن هنا لم تكن الرواية موضوعاً للفكر الراقى؛ حيث ظلت مصدراً لعدم الاحترام بشكل ما.

وبالفعل فكتاب واحد فقط حول الرواية عامة في القرن الثامن عشر، وهو كتاب

فريدريش فون بلاكنبرج البالغ ٥٢٨ صفحة بعنوان بحث حول الرواية (١٧٧٤)

استطاع أن يبقى للأجيال إلى أن أصبح المرجع الأساسي في البحث الألماني منذ إعادة طبعه في ١٩٦٥.<sup>(٤)</sup> وقد دافع بلاكنبرج عن الروائي كريستوفر مارتين فيلاند، روائي عصر النهضة الألمانية (حيث تحتل روايته الشعرية *Musarion* التي تتميز بالإباحية مكانًا في الكتاب يماثل رواية تكوين الشخصية *Agathon*) وحاول أن يواجه الفكرة السائدة عن ارتباط الرواية بالعواطف الجياشة. وهو يعترض على كل من الشخصيات المثالية والشخصيات "الرومانسية" (٢-١٥) ويقدم بدلاً منهما صياغته التي ترى في الرواية تصويرًا "لأشخاص ممكنين في عالم الواقع" لقد تراجعت الملحمة بقواها غير الإنسانية ومواطنيتها (وهو ما يقصد به بلاكنبرج بوضوح تركيز الملحمة على المجتمع) لتفسح المجال لقصص الشخصية الفردية. وبالتالي فإن الرواية تشبه المسرح أكثر مما تشبه الملحمة، وبالفعل فبلاكنبرج يستخدم شكسبير وليسينج وديدرو كنماذج لتصوير الشخصيات، وفي الفصل قبل الأخير يقترح نقل الحوار المسرحي إلى الرواية. كما أن اهتمام بلاكنبرج بالتشكيل البنائي يرجع إلى أخذه للمسرح نموذجًا. وهو ينتقد الروايات التي تتخذ شكل المراسلات عامة وعلى وجه الخصوص تلك الروايات الطويلة المملة التي كتبها ريتشاردسون، فهو يريد أن يكون كل حدث مهمًا للكل، يتكشف فيه بالضرورة العلاقة السببية بين الشيء ونتيجته، "بدون قفزة أو فجوة" (وهي صيغة وردت مرتين بتغيرات طفيفة، ص ٢٦٧ و ٣١٥) وإذا كان الخوف يخلق تعاطفًا يندرج تحت الشفقة، فالفكاهة بدورها (عند ستيين أكثر من الجميع)

(٤) انظر:

'Zur französischen Romantheorie des 18. Jahrhunderts', *Nachahmung und Illusion*, ed. Hans R. Jauss, Munich: Eidos, 1964, pp. 60-71.

وفيها يقدم فرنر كراوس Werner Krauss كتابين حول الرواية أعيد طباعة أحدهما:

N.-A. Lenglet-Dufresnoy, *De l'usage des romans*, 1734, rpt. 2 vols. in 1, Geneva: Slatkine, 1970.

ويدافع الجزء الأول عن عدد متنوع من الروايات المكتوبة نثرًا والمكتوبة شعراً: وفي الجزء الثاني يقدم بيليو جرافيا هائلة ومرتبطة ارتباطًا.

كما يورد كراوس كتاب جاكين الذي ناقشته في هامش (٢) قبل ذلك وكذلك خطاب باللاتينية

Charles Porée, *De libris qui vulgo dicuntur romances* (the OCLC database gives the last word as 'romanenses').

تكشف لنا عن رجال حقيقين يمكن معرفتهم على الوجه الأمثل من خلال "صفات صغيرة" (١-١٨) تهدف إلى توعية القارئ كى يتقدم فى طريقه نحو الفضيلة.

لم يتم إعادة طبع كتاب بلاكنبرج *Versuch* فى عصره ونادرًا ما كانت تتم الإشارة إليه. وتستبق كثير من الأفكار الواردة فى الكتاب النظريات الرومانسية للرواية بما فى ذلك أفكار مثل الواقع والمسرح والكلية وحتى النزعة الشكلية (وإن كانت الأخيرة ما تزال حينذاك طور التكوين). ومن ناحية أخرى تبدو أخلاقية بلاكنبرج وإصراره على قواعد معيارية محددة للنوع أشياء بالية إلى حد كبير. فكتابه لا يكتسب أهمية من كونه ابتكارياً ناهيك عن تأثيره ولكن لأنه أقرب بقدراته العقلية المتميزة من القضايا الخلافية التى لم تكن وقتها قد تشكلت تماماً حول جدوى الكتابة القصصية الخيالية من أساسها. (إلى يومنا هذا لا يوجد فى الألمانية كلمة مستقرة تعبر عن "روائى"، فبلاكنبرج يستخدم "قائل الرواية" *Romanendichter* وترجمتها الأقرب هى فنان قصصى، بدلاً من استخدام كلمة "كاتب الرواية" *Romanensreiber* التى يستخدمها شيللر والتى تحمل قدرًا من التحقير). وإذا كان الهجوم على القص الخيالى ارتكز على وصمه بإثارة المشاعر البدائية، فقد كان من الطبيعى أن يتشكل الدفاع من الصورة الجادة والمتزنة التى يمثلها القص الخيالى باعتباره صياغة جديدة معاصرة للمبادئ الفنية الثابتة على مدى الزمن. ولعل هناك من فكر فى كل هذا فى ذلك الوقت؛ ١٧٧٤ لكن أحدًا غير بلاكنبرج لم ير أنه من النافع ولا المثير أن يتكبد مشقة قوله بكل هذا التفصيل.

ومن هنا نجد العامل الحاسم -أكثر من سواه - فى التناول الرومانسى للرواية هو ببساطة وجود تلك المجموعة من الأعمال الأدبية التى شكلت نوعًا مستقلًا كان من الأهمية بمكان بحيث يستدعى الدراسة. وقد كانت القائمة المعيارية لتلك الأعمال متفق عليها بشكل عام وتشتمل أساسًا على كتاب إنجليز وفرنسيين وألمان منهم مدام دى لافاييت ولوساج وماريفو وروسو من فرنسا، وديفو وريتشاردسون وفيلدينج



وسموليت فى إنجلترا (مع إضافة ستيرن وجولدسميث فى حال الحديث عن الأدب الساخر وإضافة بيهن وبيرنى عند مناقشة كتابة النساء) وفيلاند فى ألمانيا (إذ يبدو أن آلام فريتر لم يلفت انتباه المنظرين) لقد وفرت أعمال هؤلاء الكتاب نماذج تميزت من حيث تقنياتها ومزاياها فأتاحت فرصة البحث فى كيف تكون الرواية أو كيف يمكن أن تكون، بدلاً من الانصراف إلى مناقشات كلية حول ما إذا كان من المفروض أصلاً السماح بوجود الرواية والاعتراف بها. كما أتاحت التمييز بين الكتابة الجادة التى انتمت إليها الرواية وبين كتاب الإثارة مؤلفى القصص القوطية والعاطفية النسائية. ولعل الأهم من ذلك كله هو أن الاعتراف بهذه المجموعة من الأعمال الأدبية المعيارية أعطى للرواية تاريخاً. فبخلاف الأنواع المحترمة من ملاحم ورومانس وحتى قصص التشرد (البليكارسك) والأشكال المتأخرة من الدونكشوتية شعر القارئ أنه الآن بصدد مجموعة مختلفة من الأعمال الأدبية لها هدفها واتجاهاتها. ويتميزها عن الرومانس وغيرها من الأنواع القصصية تميزاً فى النوع لا الدرجة تبرز الرواية باعتبارها النوع الفنى الجديد الذى بدأ يشق طريقه للقمة. ومع ارتباط الرواية المتزايد بالطبقة الوسطى من حيث الموضوعات التى تناولتها (وكذلك من حيث قرائها بالطبع) ومع اتجاهها العام لسرد حكاية شباب فى بداية حياتهم العملية نجحت الرواية فى أن تصبح النوع الفنى المعتمد للحدث.

\*\*\*\*

ولكن أى حدث؟ فبينما كانت الثقافة الأدبية عالمية إلى حد كبير - بالطبع كانت تسير فى اتجاه واحد فى معظم الأحيان - أصبح الأدب مع الفترة الرومانسية أكثر التصاقاً بقوميته وأصبح أحادى اللغة. فقد تمايزت الثقافات القومية فى نفس الوقت الذى بدأت نظرية الرواية فيه فى التكون والتقارب. والشكل القصصى الوحيد فى الفترة الرومانسية الذى يمكن أن يقال عنه عالمى بحق كان أقل الأشكال موضوعاً للدراسة النظرية ألا وهو الرواية القوطية. وإذا ما تركنا الرواية القوطية نجد

أن الرواية الألمانية في العصر الرومانسي يغلب عليها التأمل الساخر للذات وتضمن جميع الأنواع والتأملات الفلسفية العويصة على نهج فيلهلم مايستر. والحبكة في تلك الأعمال غير مترابطة تتخذ من الحاضر أو الماضي الرومانسي (لا فرق بين عصورنا الوسطى وعصر النهضة إذ تم التعامل مع الكل ككتلة واحدة) زماً لتصويرها غير الواقعي، كما تقوم بتضمين أشعار ورسائل وقصص وأساطير داخل القصة الأساسية ومقالات بل وفي حالة رواية موريكه الرسام نولتن *Morike's Maler Nolten* لإدوارد يتم تضمين نص هجين لمسرحية كاملة، على غرابتها؛ ويمتزج الطبيعي في هذه النصوص بخوارق الطبيعة والاجتماعي والسياسي بالأسرى والنفسى، والحلم بالواقع. وفي هذه الفترة تميزت الأعمال المكتوبة بالإنجليزية برواية قواعد السلوك *novel of manners* والروايات الوطنية والتاريخية والتي ما لبث أن انتشرت في أوروبا من خلال سكوت وكوبر. وباستثناء الرواية القوطية، أصبح الحكى بضمير الغائب هو القاعدة في كلا البلدين (بريطانيا وأمريكا): فقد كانت "اعترافات روح جميلة - التي تم تضمينها في فيلهلم مايستر - استعمالاً متعمداً للقديم المهجور، وكانت روب روى تجربة وحيدة له سكوت لم تتكرر. وأصبحت روايات المراسلات تقليداً بالياً أو نادراً ( نجده في "هيريون" لهولدرلين والأجزاء الأولى من "جودوى" لبرنتانو ورواية سكوت "ريدجونتل")، وإن ظلت الأشكال القديمة للكتابة بضمير المتكلم سائدة فيما أنتجه الفرنسيون والإيطاليون، على ضالته، سواء في المذكرات (رواية كونستانت أدولف *Adolphe* والتي تتدرج تحت الأدب الشبقي والمسلسلات القصصية في الروايات الأمريكية القصيرة لشتاويريان) أو السرد الوارد في الرسائل (السوبرمان *Obermann* لسينانكور، وكتاب فسكولو الرسالة الأخيرة لجاكوبو أوريتس *Ultime lettere di Jacopo Orti*) أما روسيا التي كانت تصارع لتأسيس نفسها كأمة ذات ثقافة فقد ظل الإنتاج الأدبي غارقاً في العاطفية المفرطة بحيث كانت نظرية الرواية في بداياتها متقدمة على الإنتاج القصصى غير القادر على ملاحقتها. أما التأثيرات الخارجية في الفترة الرومانسية فقد انحصرت في تأثير

إنجلترا على ألمانيا، بينما التأثير العكسي لألمانيا كان متمثلاً في التأثير البالغ لجوته ونوفاليس وهوفمان على الأدب في إنجلترا وفرنسا، لم يكن قد طرأ بعد. وإذا ما استثنينا جوته فإن الكاتب العالمي الوحيد بحق كان مدام ستايل والتي كان عليها أن تعيش منفية في داخل وطنها. ويصعب رؤية المشترك في تلك الخطابات القومية المختلفة.

ولكن المشترك بينها في الواقع هو ذلك التراث الذي أشرت له والمواقف التي ارتبطت به. فالماضي المشترك وإدراك الموقع التاريخي للرواية عمل على دعم التقارب بين خطابات تبدو متفرقة، وإن ظلت تعبر رغم تنافر نبراتها ومداخلها عن أفكار متناغمة. وسأعرض في الجزء التالي من هذا الفصل بإيجاز لهذه الموضوعات في علاقتها بمقولتين تؤمّن لفريدريش شليجل هما الشعارات الأهم لنقد الرواية الرومانسي: "الشعر الرومانسي شعر عالمي وتقدمي *Athenaeum* الشذرة ١١٦، (١٧٩٨) و"الرواية كتاب رومانسي"، "رسالة حول الرواية" في حوار حول الشعر (١٨٠٠) وليس المقصود بأي من الشعارين أن يكون أحادي الصوت؛ إذ إن شليجل يطلق مصطلح "الرواية" Roman باستمرار على دانتي وبتارك وشكسبير وغيرهم ممن ليسوا "بروائيين"، كما أن مقولة الرواية كتاب رومانسي يسبقها بجمليتي نفى أن الرواية "نوع يقوم في حد ذاته". ومع ذلك يظل هذان الشعاران متضمنين بوضوح لكثير مما سيقوله النقاد حول الرواية في العقود اللاحقة. ويمكننا تحديد خمسة على الأقل من هذه العناصر التي تتكرر باطراد:

١- ترتبط الرومانسية عند شليجل بالحدثاء. على مدى حياته وحتى حدود العام ١٨٠٠ في قمة مرحلته "الرومانسية" ظل شليجل متشككاً في القيمة التي يمكن إضافتها على الرومانسية وعلى الحدثاء. فالرواية لا يمكن أن تقتصر على تمثيل العالم كما هو، إنما عليها أن تكون تحويلاً بل (كما كتب شليجل عن ثرفانتس في محاضراته عام ١٨١٥ حول تاريخ الأدب) "تحويلاً للأشياء كلها في مرآة سحرية"

"تصلنا ... بالمستقبل" (*Goethes Werke*) أعمال جوته ص ٦٠٣) ومن هنا تؤكد "رسالة حول الرواية" على أن الرومانسي لا يتطابق مع الحداثي. ولكنه يرى أن ما هو رومانسي - والرواية أداته - يعبر عن الاتجاه نحو الحداثة: "فكل ما هو رائع في الشعر الحديث يميل في روحه وحتى في شكله تجاه الزومانسى". وهذا تحديداً هو المقصود بكلمة "تقدمية" في الشعار الوارد في الأثنيوم. أو كما يقول في إحدى شذراته المعروفة "إن الثورة الفرنسية وكتاب فيخته مذهب المعرفة وفيلهم مايستر هي الاتجاهات الثلاثة العظيمة في هذا العصر." (الأثنيوم شذرة ٢١٦)<sup>(٥)</sup> فإن لم تكن الرواية بالضرورة هي نوع ما هو حاضر فهي بالتأكيد نوع لما هو جديد.

٢- الرواية "عالمية". ففي حين أن الحداثة هي ما يميز الرواية عن الملحمة، فإن شمولية الرواية هي ما يميزها عن جارتها القربية، المسرحية، والتي تعتبر "رواية منفذة" (رسالة ص ١٥). وهناك اختلافات كبيرة جداً في تناول النقاد الرومانسيين لفكرة الشمولية، وبالنسبة لشليجل فالفكرة كانت تعنى أولاً أن الرواية شاملة في محتواها "مرآة لمجمل العالم الخارجى، صورة للعصر" (أثنيوم) وتعنى ثانياً شموليتها الشكلية. يقول شليجل في العديد من المواقع إن الرواية ليست بنوع؛ إنها لا تخضع لقانون بل تحتوى كل الأشكال. فكل رواية هي عمل تجريبي فريد من نوعه، وهي ساخرة وفائقة في فنيته وسخريتها اللامحة، أو بلغة شليجل المميّزة "أرابيسك". (انظر الفصل السابق لريان لمزيد من التعمق في الأسس الفلسفية التي تربط الشمولية بالتفرد.) وما من نصوص غير الروايات الألمانية تحمل مثل هذا الإبهار، ولا ينادى به أحد سوى شليجل، أما الفكرة المنتشرة في النظرية والتطبيق فهي الإحساس العام أن الرواية نوع مازال في طور التكوين ويقوم على البناء المستمر على الإنجازات السابقة: ففي حين نشأت الرواية في القرن الثامن عشر من المحاكاة الساخرة لنماذج بعينها، فإن

(٥) في مخطوطات شليجل نجد جملة "اتجاهات ثلاثة عظيمة في هذا العصر" ولكنها مجرد اتجاهات لم يتم تنفيذها على طول الخط". وإسقاط شليجل لهذه الجملة الأخيرة في طباعة الكتاب له دلالة.

الروائيين الرومانسيين قد استقوا عناصر من الأجيال السابقة للكتاب القصصيين وكذلك لكتاب المسرح والشعر جميعاً، وكانوا عادة ما يشيرون إلى تلك الاقتباسات داخل نصوصهم، كما استطرد آخرون معلقين على الكتاب السابقين أو المعاصرين. وأخيراً فإن شمولية الرواية تتضمن، بالإضافة إلى شمولية المضمون والشكل، تعدد مستويات الوعى. فلا بد للرواية من جانب متعلق بتأمل الذات وبالفلسفة، بحيث يكون للحبكة مستوى ثان من الإرهاف الفلسفى، ويكون للمحتوى الموضوعى مستوى آخر من الوعى بالذات. ولتوضيح الفكرة يختم شليجل "رسالة" بتمجيده الملح لاعتراقات روسو ومذكرات جيبون. وسرة أخرى ففى حين لا يملك أحد غير الألمان ادعاء تحقيق ذلك بدرجة عالية، فإن الاهتمام بالوعى الذاتى للمؤلف والإرهاف التشكيلى اهتمام منتشر، ومع الاستثناء المعروف والمحدود لمقالات فيلدنج الساخرة يعد هذا اهتماماً جديداً فى الفترة الرومانسية. وبهذا تصبح الرواية الرومانسية موضوعاً للتأمل وأداة لممارسة هذا التأمل كذلك.

٣- كما تصبح الرواية أيضاً "شعراً". والشعر يعنى أولاً وقبل كل شىء الصنعة. ولعل القارئ الإنجليزى يذكر هنا تعليق شهير فى رسالة لجين أوستين تصور فيه المؤلف كصانع دقيق وليس مجرد مكتشف بالصدفة: "لا تقوى تلك القطعة الصغيرة (التي تبلغ بوصتين) من العاج والتي أعالجها بفرشاة دقيقة للغاية سوى إحداث ذلك الأثر الخافت بعد كل هذا العمل".<sup>(٦)</sup> أما فى الماضى فقد كان معهوداً أن تتناول الكتابات الدفاع عن موضوع الرواية وعن جانبها الأخلاقى. فمقدمة سمولت لرواية رودريك راندم (١٧٤٨) على سبيل المثال تنصب كلية على مسألة اختيار البطل (وهونفس منطلق فيلدنج) "لقد حاولت أن أصور المزايا المتواضعة ... وأعطيته الحظ من أصل اجتماعى وتعليم ... ولم أحد عن الطبيعة"، وهكذا. وعلى العكس من

(٦) انظر:

Letter to James Edward Austen, 16 December 1816, in *Jane Austen's letters*, ed. Deirdre Le Faye, Oxford University Press, 1995, p. 322.

هذا تسعى المئات من شذرات شليجل إلى خلق نظام للأأنواع الأدبية محدد تحديداً شبه علمى تحتل الرواية فيه مركزاً بارزاً فى أغلب الأحيان. ولكن فى سياق الحركة الرومانسية فإن الشعر يعنى أكثر من ذلك، فالشعر يعنى الارتباط بأسمى أهداف الفن. بالنسبة لبلاكينبرج مثلما كان بالنسبة لفيلاوند فإن *Bildung* "تكوين وتطور" تعنى التعلم الأخلاقى وهو المعنى السائد فى الدفاع عن الرواية فى القرن الثامن عشر. فسمولت على سبيل المثال يطرح الاختيار بين "الانبهار" و"الحكم السليم" مفضلاً بالطبع الحكم السليم. أما شليجل فيرغب فى أن يكون الشعر الرومانسى راقياً فى تنظيم تام وكمال صوفى يسمو بالروح ويحولها.

مرة أخرى يبقى الغوص فى المثالية صفة ألمانية مميزة ولكن الاتجاه لإضفاء الاحترام البالغ على الرواية موجود فى المناقشات الرومانسية فى غير ألمانيا وأحيانا بجلاء. والمثل المهم على ذلك هو مقال مدام دى ستايل المبكر (١٧٩٥) المكون من أربعين صفحة بعنوان "مقال حول القصص الخيالى" (وقد ترجمه جوتة إلى الألمانية فى نفس العام). وهدفها "هو إثبات أن الروايات التى ترسم الحياة كما هى بدقة وإتقان وعمق وأخلاق هى أفضل أشكال القص الخيالى نفعا". (ص ١٧٨) والمقال ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: أولاً قصص العجائب، بما فيها حكايات الأطفال (والتي تكون فى أفضل حالاتها عندما تركز على الشخصية) وقصص المجاز التمثيلى وهى إما مجردة (فنلون "سبنسر") أو غير قابلة للفهم (صاموئيل بالتر فى كتابه *Hudibras*). ثانياً القصص التاريخية، وهى تعترض عليها بسبب تشويهها للتاريخ الحقيقى واعتمادها على قصص الحب. ثالثاً القصص الطبيعية أو المحتملة وهى "مثل تاريخ ... للمستقبل" تعطى "معرفة حميمة بالنفس البشرية" من خلال التأمل. والأمثلة على المجموعة الأخيرة هى توم جونز وجوليا وكالب ويليامز، ففيها فضائل أشبه بالتعلم الروحى والذى أنكره شيللر على الرواية ولكن أضفاه شليجل عليها: "إن من يصرف الإنسان عن ذاته وعن غيره من البشر ويقدم بديلاً عن فوران المشاعر الطاغية، كبجها فى متعة مستقلة إنما يمنح الإنسان السعادة الحقيقية والوحيدة التى تستطيعها

الطبيعة الإنسانية." ويتضح مدى الثقافة الأدبية لمدام دى ستايل فى هذا المقال؛ ومن الجدير بالملاحظة أيضاً ذلك الاتجاه (مع بعض الاستثناء) لتجاهل الأنواع الأخرى والتركيز على الرواية باعتبارها حاملة للرسالة الجمالية فى أنقى صورها.

٤- ولكن بصفتها "تقدمية" فإن الرواية كذلك مهمة أساساً بتكشف الأحداث بفعل الزمن؛ أى بالواقع. وصفة "الواقعية" ليست بالطبع مصطلحاً جديداً على النقد، ولكن حتى تلك اللحظة كانت تعنى مجرد إضفاء حيوية ذاتية، وهى تبرز فى نقد ديدرو بهذا المعنى بما فيه مقاله "فى مديح ريتشاردسون" *Eloge de Richardson*. أما المصطلحات الأكثر انتشاراً فقد كانت الحقيقة والاحتمال التى ظل النقد الرومانسى للرواية يستخدمها بشكل متفرق. وفى "أفكار حول الروايات" (١٨٠٠) على سبيل المثال يطالب صاد بقتصص ممكنة الحدوث لا بقتصص حقيقية، أما وصف المشاهد المحلية فعليه أن يتميز بالواقعية أو إن لم يكن فبالاحتمال، وعلى النهايات أن تكون طبيعية أو محتملة (رغم أن صاد يقول إن نهاياته متطرفة ولكن مبررها الوحيد هو "الحقيقية المتطرفة للشخصيات") ومع الوقت أصبح اعتبار الواقعية قيمة أصيلة فى الفن عادياً؛ ونذكر هنا دعوة وردزورث "لغة الواقعية للناس الحقيقيين"، والتقدير المترادف لفن تصوير الحياة اليومية الهولندية *Dutch genre painting* والتضمين التدريجى للواقع المعاصر والتاريخى فى الأوبرا وحتى فى موسيقى الكونسير (مثل سيمفونية "البطولة" لبتهوفن وسيمفونية "يينا" التى كانت فى السابق تنسب إليه). وفى استخدام لافت مبكراً للاشتقاق المجرد (الذى كان أمامه عقود من الزمان قبل أن يصبح متداولاً بهذا المعنى) فى الشذرة ٤٤٩ من مذكرات أدبية لشليجل يرجع بوضوح الواقعية *Realsimus* بمعناها الحديث إلى الرواية. ("من الضروري أن ترتبط الرواية بنقطة محددة فى الزمن؛ وهذه الواقعية متجذرة فى طبيعتها.") كما أن مقالاته المنشورة أيضاً تستخدم الكلمة باعتبارها اسماً مجرداً *abstract noun* وفى آخر إشارة له للروايات فى "رسالة حول الرواية" ينتقد برنى وجولدسميث لنقص الواقعية: "ولكن يا له من تقدير ذلك الذى يعطى قطرة بقطرة الجرعة الضئيلة من

الواقع التى تأتينا فى كل هذه الكتب! فما من كتاب رحلات أو مجموعة رسائل أو تاريخ شخصى إلا وسيكون رواية أفضل، إذا قرأناها على الطريقة الرومانسية، من أفضل هذه الروايات" مرة أخرى تلخص صياغات شليجل المطروقات الرومانسية فى ألمانيا كما فى خارجها. وقد سبقتها صياغات ريف عن "الحياة الواقعية والسلوك الواقعي"، وصياغات دى ستايل عن "الحياة كما هي" وكذلك عناوين كتب مثل رجل كما هو لروبرت باج (١٧٩٢) والأشياء كما هي لجودوين أو مغامرات كاليب وويليامز (١٧٩٤). وفيما بعد جاءت المقالات القليلة لهازيلت حول الرواية تحمل نفس الدلالة فنجد: "الواقع" فكرة متكررة فى محاضرة "حول الروائيين الإنجليز" فى كتاب محاضرات حول كتاب الكوميديا الإنجليز (١٨١٩) وفى الفصل الخاص بالتر سكوت فى روح العصر (١٨٢٥) يطلق عليه "كاتب الحقيقة والتاريخ"، أما فى "السير والتر سكوت وراسين وشكسبير" (فى المتكلم الواضح ١٨٢٦) فيقوم بتحية "خيال سكوت المقيد بالوقائع" تعاطفًا، رغم أن مقالاً قصيرًا غير موقع فى ١٨٢٦ بعنوان "مذكرات ويفرلى" يرى أن الروايات لا يضرها معرفة القارئ أنها مبنية على الواقع.

٥- وأخيرًا ظلت كلمة رواية *roman* بالنسبة لشليجل كما لكثير من كتاب الفترة مرتبطة بأحد الاستخدامات الدارجة "للرومانسية". فاستدعاء الرومانس - كنوع أدبى- كان عادة نقطة انطلاق: ففيلهم مايستر على سبيل المثال يبدأ رحلته مع الأدب بإعداد تاسو للمسرح ولكن هدف الرواية، وهو مقنع، هو فطامه من شرك الرومانس. ومن الناحية الأخرى ظل من الأمور العادية اعتبار الرواية قصة حب. وقد ارتبط العنصر الرومانسى فى أغلب الأحيان بالكتابات والشخصيات النسائية فى الروايات ولم يكن دائمًا يلقي مدحًا. ومن الجدير بالذكر أن كتابات المقال الثلاثة اللاتى أشرت إليهن (وهن بترتيهين التاريخى ريف وستيل وبارولد) يقفن جميعًا موقف المعارضة من الكتابات لدغدغتهن للمشاعر الوضعية. والمثير أيضًا أن مارى ولستونكرافت التى هاجمت روايات الحب مرارًا فى *Analytical review* فى الثمانينيات من القرن الثامن عشر، قد أخذت على عاتقها لاحقًا كتابة رواية تفيض



عذاباً هي ماريا ولكنها توفيت قبل إتمامها وكانت تحاول فيها مواجهة حصر المرأة في الحيز الجنسي.<sup>(٧)</sup> يكاد يكون الحب الموضوع الدائم للروايات الرومانسية كافة - باستثناء بعض الكتاب القوطيين والذين تذكر دى ستايل من بينهم جودوين، برغم انتقاله في رواياته الأخيرة إلى قصص الحب، وكذلك براون وبو وغيرهم - في حين نجد الحب في القرن الثامن عشر موضوعاً غائباً أو ضمناً كما يتضح بجلاء في رواية روبينسون كروسو ورحلات جاليفر وغيرهما من الأمثلة كرواية كاهن ويلفيلد (حيث تأتي مشكلات حب الأطفال في المرتبة الثانية بالنسبة لمناعب الأب المادية) وكذلك الجزء الأول والثاني من تريسترام شاندى. وقد كتب شليجل نفسه عملاً قصيراً متحلاً (لوسيند) يكاد يكون مجرد مخطط رواية من فرط تجريده ولكنه نموذجي؛ إذ يضيف على الحب الرومانسي ما للرواية الرومانسية من توجه عام نحو الصياغة الجمالية. فالرواية تصور المشاعر ولا تصور المغامرات ولكن المشاعر يجب أن يتم تصويرها في مواقف واقعية كما يجب أن يتم تنقيتها من خلال التمثيل في عمل فني.

تكمُن أهمية "رسالة حول الرواية" - خاصة إذا ما دعمناه كما طرحت بالشذرة ١١٦ الواردة في الأثينيوم، تكمن في تركيبها لكثير من الأفكار الأساسية في النقد الرومانسي للرواية. حديثة وشاملة وشعرية وواقعية وشهوية : تلك هي الصفات التي نمت بشكل طبيعي مع الرواية في صعودها لتصبح أحدث شكل أدبي يكتسب هوية وتاريخاً في كافة الثقافات الأوروبية الكبيرة، مهما اختلفت الانتقادات من حيث النوع والنبرة. ويمكننا إنهاء هذه القائمة بموضوعين آخرين لا يظهران لدى شليجل، أحدهما قديم والآخر جديد. الموضوع القديم والذي يستمر في كتابات الفترة الرومانسية حول الرواية هو الإشكالية الأخلاقية للرواية، وهو الموضوع الذي تتناوله بروح مرحة في

(٧) لمتابعة مشكلات ولستونكرافت مع الرواية في كتابها دفاعاً عن حقوق المرأة *Vindication of the rights of women* وكتابتها ماريا *Maria* انظر:

Daniel O'Quinn, 'Trembling: Wollstonecraft, Godwin, and the resistance to Literature', *ELH* 64 (1997), pp. 761-88.

معظم الأحيان وفي حزن في أحيان أخرى الكثير من الحكايات التخيلية التي تضمنت وصفاً للكتب التي تقرأها الشخصيات. ولأسباب واضحة فإن التعليقات حول الجيد والردىء وبالتالي حول الرذائل والفضائل أكثر انتشاراً في المقدمات والمراجعات لا في المقالات العامة (والتي من الأهمية بمكان أن نشير فيها إلى مقال جان فرانسواز مارمونتيل في ١٧٨٧ "مقال حول الرواية منظوراً إليها من الجانب الأخلاقي" أكثر من كتاب هيو مورى الذى يتميز بالتعالى أخلاقيةً القصص الخيالي الصادر فى ١٨٠٥).<sup>(٨)</sup> أما الموضوع الجديد فهو الرواية كصوت الأمة أو الإقليم؛ فبالرغم من قول شليجل إن فكرة الرواية من أساسها تعنى ألا يكون لديها جنسية" (مذكرات أدبية ص ٤٦٥؛ وبعدها بشذرتين يحدد شليجل جنسية للدراما) فإن لويس سيبياستيان ميرسير يطلق ما سوف يردده الكثيرون وخصوصاً فى نقد سكوت عندما يكتب فى قنصوه الليل *Mon bonnet de nuit* (١٧٨٤) "أن الشخصيات الجادة التى ترى فى الرواية عملاً تافهاً تعاني من قصر نظر؛ إذ إن الرواية هى أصدق تاريخ لأخلاق وعادات أمة ما."<sup>(٩)</sup> وقد تكون بالطبع بلداً غير بلد الكاتب نفسه ومن هنا تأتى الأماكن الغريبة البعيدة عن خبرات القارئ كما هو واضح لدى تشارلز نودير والمعروف لرواياته التى تقع أحداثها فى سكوتلانده وسلوفينيا، كما يمكن اتخاذ مراجعاته مصدراً لمتابعة النقاش حول هذا الموضوع. وربما كانت بلداً مستقبلياً؛ ففى روسيا صنع الروائي الرومانسى بستوزيف (والذى كان ينشر تحت اسم مالىنسكى

(٨) يبدو أن النقد الأمريكى فى تلك الفترة لم يصل إلى ما أبعد من الهجوم البدائى والدفاع فى أحيان قليلة عن أخلاقية الرواية. انظر فى ذلك:

Cathy N. Davidson, *Revolution and the word: the rise of the novel in America*, Oxford University Press, 1986, pp. 38-54.

(٩) انظر:

*Nightcap*, Philadelphia, pa: Spottswood, 1788, ii: 227. 'Les romans, regardés comme frivoles par quelques personnes graves, mais qui ont la vue courte, sont la plus fidelle histoire des moeurs & des usages d'une nation.' *Mon bonnet de nuit*, Neuchatel: Société bibliographique, 1785, p. 276.

بعدما شارك في الانتفاضة الديسمبرية الفاشلة في (١٨٢٥) والناقد بلينسكى النارودنيكى أو الشعبي كلمة السر لقصص عن بلد لم تتشكل بالفعل.

هذه التيمات التي حددتها تتكرر بتنويعات لا نهائية في المراجعات والمقالات الرومانسية وتصل بدورها إلى تاريخ الأدب أو تاريخ الرواية.<sup>(١٠)</sup> ولا تزال بعض الأعمال تثير جدلاً حول قيمتها، وهو جدل لا تكاد لغته تختلف عن القرن الثامن عشر. ولعل المثل الأهم هو الصراع الدائم بين عاطفية ريتشاردسون وشخصياته المثالية التي حظيت بالإعجاب في أوروبا) وواقعية فيلدينج وشخصياته التي تمزج بين الصفات المختلفة. كما دار الجدل أيضاً حول ستيرن والذي اعتبره الألمان عادة في نفس مستوى جولدسميث؛ إذ عبر الرومانسيون الإنجليز عن إعجابهم بالعاطفي في كتابات ستيرن وإن ظلت سخريته الفاضحة غير مقبولة، في حين نجد السخرية الحادة تحظى بالتقدير في المناقشات الألمانية على السخرية الرقيقة. وقد رأيت ألا أخوض تفصيلاً في هذه الحالات السائدة في الحركة الرومانسية، وأن أكرس ما تبقى من هذا الفصل لتناول عدد قليل من النصوص تميزت عن الجمع السائد.

\*\*\*

(١)

في ألمانيا كانت رواية فيلهلم مايستر (١٧٩٥-١٧٩٦) قفزة هائلة بالنسبة للقصص كما بالنسبة لنظرية الرواية. فقد كانت عملاً مبدعاً مجدداً بقلم مؤلف كان حتى تلك اللحظة مكتفياً بالتقليد والإعداد عن نصوص سابقة، وقد كانت انطلاقاً لطرق

(١٠) الكتابات واسعة النطاق في تاريخ الرواية كتابات جاءت مؤخرًا. والوحيد الذي أعرفه ويمكن أن يحق له الارتباط بالفترة الرومانسية هو :

*Der deutsche Roman des achtzehnten Jahrhunderts in seinem Verhältniß zum Christenthum* (1851)

للكاتب والشاعر الكاثوليكي العظيم Joseph von Eichendorff (١٧٨٣-١٨٥٧). ورغم محدوديته وميله لإصدار الأحكام فإنه يشتمل على أكثر بكثير مما يشير عنوانه ويتميز بالمنهجية في تطوير أفكاره وبالإخلاص في محاولة فهم الإنتاج الروائي في علاقته بالقوى الاجتماعية (والدينية على وجه الخصوص)، وقد قام بكتابته بحماسة يحسد عليها بالنسبة لمؤلف في منتهى. والكتاب يستحق التفاتاً أكثر مما حظى به إلى اليوم.

جديدة فى التفكير حول الرواية وتعبيرًا عن بعضها. فى الأجزاء الوسطى يشارك بطل الرواية فى إخراج مسرحية هاملت. وقد قام جونثان آرك فى الكتاب الذى بين أيدينا بتناول المناقشات المهمة حول شكسبير الموزعة على مدى ذلك الجزء، وفى الفصل السابع من الجزء الخامس نجد صفحة من أفضل ما كتب فى نقد الرواية على مدى تلك الفترة كلها. تأتى الصفحة كنتيجة "تقريبية" لمناقشات بين شخصيات الرواية، وتتناول التمييز بين الرواية والدراما. ففى حين تهتم الدراما "بالشخصيات والفعل" الخاضع لعمل القدر، فإن الرواية تصور "العواطف والأحداث العرضية". والبطل الدرامى "لابد أن يمضى باتجاه النهاية وما يقف بينه وبينها يعد تعطيلًا" أما "الرواية فيجب أن تمضى بطيئة" لتتيح الفرصة لنمو العواطف. يسيطر الصراع فى الدراما "فكل شيء يشكل مقاومة للبطل وعليه أن يتخلص من العقبات ويزيحها عن طريقه أو أن يخضع لها". أما الرواية فتختار الصدفة حتى "عندما تقودها وتدفعها مشاعر الشخصيات". يتطلب إيقاع الرواية التدريجى الذى لا يخلق منتصرًا ومهزومًا شخصيات طيبة، "يجب على بطل الرواية أن يكون سلبياً أو على الأقل ألا يكون إيجابياً تمامًا". وقبل كل شيء تستغرق الرواية زمناً فإن لم يكن "جرانديسون وكلايسا وبامبلا وكاهن ويلفيلد بل وتوم جونز نفسه شخصيات سلبية فهم شخصيات تبطئ الحدث".

يمكننا اتخاذ هذه الفقرة أولاً لتحديد مدخل لتناول الرواية التى وردت الفقرة فيها. وبذلك تحقق تلك الفقرة تأمل النص لذاته والذى سيصبح معياراً مركزياً فى النظرية الرومانسية لفريدريش شليجل. فهناك دائماً ما يصرف فيلهلم عن مبادراته وتظل الحوادث والأحداث العرضية تقف فى سبيل تقدمه. ويركز الاستخدام الدائم للخطاب غير المباشر الحر الانتباه على عواطف فيلهلم وعلى من عداه من الشخصيات فى حالات نادرة. ويلعب القدر دوره فقط فى الشكل الساخر لمجتمع الظل بالبرج الذى يراقب تقدم فيلهلم من دون تدخل ملحوظ. وربما يمكن أن نقول إن الهدف هو مساعدة فيلهلم فى استخدام الفرص التى يقابلها ليتأمل وينمى طبيعته الحقيقية أى أن تتحكم

العواطف فى الصدف. والخط هو الروح المحركة للرواية حيث تبرز كلمة *Gluck* على مدى الرواية وتتكرر مرتين فى الجمل الختامية. وفيلهم وإن كان مندفعاً فى أحكامه وأفعاله إلا أنه ليس مقاتلاً ولا عنيداً، فهو لا يسمح لنفسه أن يغرق فى ندم مأسوى على فقد حبه الأول ماريانا ولا ميجنون الغامضة المأساوية، ويستجيب فى حكمه عندما يقول له أكثر أعضاء البرج صراحة، وهو يارنو، أنه لا يملك الموهبة ليحقق حلمه المختار فى أن يصبح ممثلاً. "سلبى أو على الأقل غير إيجابى تماماً" توصيف دقيق لذلك البطل الذى يدخل تدريجياً إلى العالم الحديث بكل مفاجآته غير المتوقعة - عالم شعرى تركت الرأسمالية الناشئة والثورة الفرنسية بعض آثارها عليه، ذلك البطل الذى نشهده فى الرواية. فى حين تمضى رواية *توم جونز* سريعاً نحو نهايتها، إذ تتجمع خيوط حبكةها وتتقارب تضغطها الأحداث والفرقات التفسيرية، نجد الحكى الاسترجاعى فى *فيلهم مايستر* وطبيعة الشخصية والحدث فى النهاية تعمل كلها ضد السرعة والنية المسبقة وتمضى على العكس من ذلك فى تمجيد السرنديبية (موهبة اكتشاف الأشياء النفيسة أو السارة مصادفة). ولا يكاد جوته يذكر فيلدنج ولم يتناوله بالنقاش أبداً؛ وهو ما يستدعى إعادة مناقشة إدراج جوته المستغرب "لتوم جونز نفسه" ضمن قائمة الأبطال السلبيين. ومن غير المعروف إذا كان الروائيون فى الخارج قد قرأوا *فيلهم مايستر* (وقد كانت ترجمة كارليل فى ١٨٢٤ أول ترجمة إنجليزية، بينما لحقتها بعد ذلك بكثير معظم اللغات الأخرى، ولكن ظهرت نسختان بالفرنسية فى ١٨٠٢) ولكن ما يطرحه جوته حول تكشف السرد عبر الزمن وأهميته الكبرى، وتعقيده البالغ، وكذلك مدى ما يحيط بالبطل من ورطات وتحويل الاهتمام بعيداً عن سيطرة الدراما المحورية، كل ذلك له أهميته الكبرى فيما يتعلق بالتطور الداخلى البطيء والهادئ للشخصيات الروائية عند أوستن وسكوت ومن تبعهم من كتاب قصصيين. وربما تستحق طريقة كتابة ذلك الفصل كذلك الملاحظة لما تقدمه

من نموذج لنقد الرواية يتميز بالعمق والتأني لا إصدار الأحكام وإعطاء الوصفات الصحيحة أو (كما عند فيلدينج وشليجل) يتميز بالذكاء الحاد والسخرية.<sup>(١١)</sup>

لقد أثارت فيلهلم مايستر رد فعل مباشراً وقوياً. وتظل رسائل شيللر أثناء وبعد تأليفها (التي نشرت في ١٨٢٩) حجر زاوية. وملاحظته أن الرواية "تتأوب عجيب بين المزاج الفثري والشعري" (٢٠ أكتوبر ١٧٩٧) تصف عوالم الرواية المختلفة بلغة أقرب للتصور الذي يعرضه عن الشعر الساذج والشعر العاطفي. "إن شكل رواية مايستر كشكل كل ما عداها من روايات هو ببساطة غير شعري، فهو يكمن بشكل تام في مجال الفهم ... (ولكن) روحاً شعرية بحق تستخدم هذا الشكل لتعبر من خلاله عن أكثر المواقف شعرية... تتضح الرواية بالنذر وغير المفهوم والعجائب الذاتية التي تتناسب مع العمق والتعظيم الشعري ولكن لا تتناسب مع الوضوح الذي يجب أن يسود الرواية." وحجر الزاوية الآخر هورد فعل صديق شليجل الشاب البارح نوفاليس (فريدريش فون هاردنبرج). فعقب احتفائه بجوته (في ١٧٩٨) "لاستقامة وقوة" تمكنه الكلاسيكي وأسلوبه المتمهل الثري برومانسيته وسخريته، ينقلب نوفاليس لاحقاً وتحول إحدى الشذرات لعام ١٨٠٠ (والتي نشرت لأول مرة ١٩٠١) وطالما تم اقتباسها، إلى السخرية:

(١١) بعد سنتين من نشر فيلهلم مايستر اشترك جوته وشيللر في كتابة مقال قصير بعنوان "حول الشعر الملحمي والشعر الدرامي" (١٧٩٧، نشر في ١٨٢٧) يتردد فيه صدى المناقشات التي تدور في الرواية مع الاختلاف في بعض التفاصيل الدالة. في الفصل الخامس من كتابة جوته والرواية يرصد إيريك بلاكال **Eric Blackall** بدقة هذه الاختلافات سنذا لرأيه بأن ما نقرأه في الرواية يعكس الاهتمامات الزائلة للشخصيات ولا يعكس آراء جوته المستقرة. وفي حدود اهتمامنا الحالي في هذا المجلد فإنه من غير الضروري البت فيما إذا كان نقد الرواية (وكذلك نقد مسرحية هاملت) الوارد في فيلهلم مايستر يعبر عن آراء جوته أو آراء فيلهلم؛ ففي الحالتين تظل تلك الآراء وثيقة مهمة من وثائق النقد الأدبي الرومانسي. ورغم أنه لا يتسع المجال هنا للبرهنة على رأيي بالتفصيل، أعتقد أن بلاكال يخطئ حين يرى في الاختلافات بين المصطلحات المستخدمة في الرواية وتلك المستخدمة في المقال اختلافات حقيقية، والحقيقة أنهم بدلاً من قول أشياء مختلفة حول نفس المفهوم للتسويق فإنهم يستخدمون نفس المصطلح للإشارة لمفاهيم مختلفة. كما أنه يتجاهل المناسبة التي كتب فيها مقال "حول الشعر الملحمي والشعر الدرامي"، ألا وهي كتابة جوته لقصيدة ملحمية هي هيرمان ودورثيا *Herman und Dorothea* وبالتالي فالمقال ليس نظرية للرواية بالمعنى الصحيح على الإطلاق.

المسألة أننا أمام رواية أسبغت عليها صفات النبالة.

تلمذة فيلهلم مايستر أو الحج إلى صك النبالة.

ولكن الرواية في الحقيقة "كانديد" موجهة ضد الشعر.

والكاشف في هجوم نوفاليس في سياق النقاش العام هو قرب مفرداته من شيللر. "فيلهلم مايستر هي بمعنى ما، نثرية في مجملها - وحديثة ... فهي قصة أسرية تنتمي للبرجوازية وقد فرض عليها طابع شعري. ويدور التعامل مع العجائبي فيها بوضوح كشعر وحماس" ورغم أن ميزان أحكامهما مختلف جزئياً إلا أن المفردات التي يستخدمها شيللر ونوفاليس متطابقة؛ فكلاهما يرى في فيلهلم مايستر ترابطاً من الواقع اليومي والغامض غير العادي، وكلاهما يرى أن هذا الترابط غير قادر على الاندماج الحقيقي. وبالتأكيد فإن تعليقاتهما ما تلبث أن تصبح محكا إلى حد ما بسبب ما تعكسه من قضايا واسعة الانتشار.<sup>(١٢)</sup> وسوف نجد مفردات مماثلة فيما بعد عندما نتناول نقد سكوت.

## (٢)

ينتمي مقال شليجل عن فيلهلم مايستر بوضوح لتاريخ النقد الأدبي وليس فقط لتاريخ الكتابات حول جوته، وهو مقال من عشرين صفحة بعنوان "حول مايستر لجوته" (١٧٩٨) ولا شك أن هذا المقال من أعظم ما كتب في مجال النقد التطبيقي

(١٢) تعليقات نوفاليس الأخرى حول الرواية - والتي نشر بعضها في حياته، وبعضها في ١٨٤٦، وأغلبها في ١٩٠١ - تعليقات متناثرة وغير واضحة وغير متسقة واستطردية وأغلبها سطحي. فعلى سبيل المثال في حين يسعى شليجل حثيثاً في كتاباته على وضع الرواية في الأنساق المتغيرة للأنواع الأدبية، يعتمد نوفاليس أساساً على التقسيم الثلاثي التقليدي من غنائي وملحمي ودرامي مدرجاً الرواية أحياناً ضمن الملحمي أو مستبدلاً الملحمة بالرواية. وأحياناً ما يعيب على الروايات التصاقها بالحياة اليومية وأحياناً ما يمدحها لشعريتها. وقد وجدت واحدة من الشذرات ضمن الآلاف تربط ما بين الرواية "Roman" والرومانس "Romantisch" ولكن بشكل بسيط ودون أي تطوير للفكرة "الحب دائماً ما يمثل في الروايات أو فن الحب كان دائماً رومانسياً" (Schriften, III: 692)

على مدى القرن كله. وفي حين يقترب شليجل من نوفاليس في رغبته في تحقيق اندماج جمالي مثالي إلا أن ذوقه الذي لا يتغير في هذه المرة بالتحديد،<sup>(١٣)</sup> يظل أقرب إلى ذوق شيللر. ومن هنا يصور المقال رواية جوته بأدق التفاصيل باعتبارها الشكل المثالي للقص الرومانسي.

ويتخذ المقال شكلاً مضللاً في سذاجته؛ إذ يقدم ملخصاً للقصة تتخلله تعليقات مستمرة. فقد كانت المراجعات المطولة في تلك الفترة عادة ما تتكون من ملخصات تتخللها مقتطفات مطولة من النص وتتبعها ملاحظات تقييمية. ومقالات سكوت نموذج مثالي لهذا النوع من الكتابة (وقد اقتطع إيوان ويليامز في النسخة التي جمعها كثيراً من النصوص المقتبسة)، أما مراجعة بالزك الضخمة في ١٨٤٢ لرواية ستندال دير بارما فهي مثال متطرف؛ إذ يكاد يعيد كتابة الرواية باستطراداتها الكثيرة ليضعها في قالب الحكمة الدرامية التي تميز بها بلزك. ويجد فرانسيس جيفري عند إعادة طبع مراجعات روايات ويفرلي أنه من السخف الإبقاء على الملخصات والاقتباسات ولكنه يعتذر مع ذلك على "الانكماش التعس" الذي لحق بالنصوص وحولها إلى ذلك "المظهر العاري المفتقد للقيمة". ولكن شليجل كان مراجعاً بالمعنى الحديث والملخص الذي يقدمه في مقاله عن مايستر يحمل محاكاة أكثر مما يحمل من وصف. فلا توجد اقتباسات لنصوص بقدر ما توجد إشارات دائمة للأحداث والشخصيات وحتى لبعض الأقوال مفترضاً مسبقاً أن القارئ على علم بها. (تضيق في الترجمة بعض الكلمات والجمل من النص المتضمنة في المقال.) وتطبيقاً لفكرته

(١٣) هناك مناقشة لاحقة مهمة لشليجل حول فيلهلم مايستر في الجزء الأخير من كتابه حوار حول الشعر ('روح الأسلاف... في قشرة حديثة'؛ مقدمة للغاية) وكذلك في مراجعة لنسخة الأعمال الكاملة لجوته ('الرواية مثل قصيدة ملحمية عادة ما تكون نتاجاً مشتركاً بين الشاعر وعصره' من الخواص المميزة للأدب الحديث علاقته الوثيقة بالنقد والنظرية، والتأثير الحاسم للفطرية، 'في الرواية الحديثة... عالم الفهم الحديث كله بتعقيداته، وتفاصيله الصغيرة... هو ما يجب على الشاعر أن يظهر إحساسه الشعري حوله ويمضي إلى نصره في مواجهة مثل هذه المادة المقاومة للصهر').



عن الرواية الرومانسية كجزء لا يتجزأ من تأملها الذاتى النظرى، فقد كتب مقالاً<sup>١</sup> تتبغى فى سبيل فهمه وتقديره قراءته جنباً إلى جنب مع الرواية التى كتب عنها.

إن مقال شليجل "حول رواية مايستر لجوته" هو أعلى ما وصل إليه منهج شليجل فى التأويل. فشليجل يكتب بالتوازي مع الرواية ولا يفرض عليها إطاراً معيناً، فنجدّه يحدد العناصر المختلفة المكونة للكتاب (الأقسام والأحداث والأساليب وكذلك الشخصيات المحورية والثانوية) وتأويله حدسى إلى حد ما - أو "كهنى" على حد قول شليجل فى الشذرة ١١٦ بالأنتيوم - إذ يستدعى المزاج والإيقاع الحاكم، ولكنه أيضاً بنائى؛ إذ يحدد الأدوار والوحدات كل على حدة وفى علاقتها المترابطة عضوياً. ويمثل المقال فيما يتبعه من إجراءاته وثيقة فى التاريخ العام لممارسة التأويل، وتكمن أهميته بالنسبة لنظرية النوع الروائى فى تطبيقه المنظم لتلك الإجراءات على الرواية. يتعامل شليجل مع الرواية باعتبارها شعراً فى أرقى معانيه ملغياً التراتب التقليدى. فتتحول المؤثرات المميزة للرواية إلى مزايا شعرية: "فكوميديا" "الكاريكاتير" و"التهريج الأبله" تتحول إلى "مرح راق" (Äther der Fröhlichkeit)، ويتحول الواقع النقدى عند المتخذلق ... إلى محك "للمزاج الشعرى" السائد، "وحتى الصدفة هنا هى شخص متعلم" (يشير شليجل إلى الخورى مرشد مجتمع البرج) والذى نكتشف أنه ليس القدر ولكنه "يلعب دور القدر". وبالنقيض فيما يبدو من غياب للترابط فى الرواية يكشف شليجل كيف أن كل انتقال فى الرواية له دافعه بل إنه حتى ضرورى - يجب رصد الفعل يجب *müssen* على مدى المقال - بحيث تصبح الصفات الرومانسية هى الأساس وأيضاً الشكل الخارجى الجميل لمعمار الكتاب الكلاسيكى. (لا يستخدم مقال "حول رواية مايستر لجوته" كلمة "كلاسيكى"، ولكن الجزء الخاص بجوته فى كتاب حوار حول الشعر يتحدث عن "تناغم الكلاسيكى والرومانسى" فى رواية فيلهلم مايستر) فالرواية تجمع بين التفرد والنموذجية، وبين الجزئى والشامل، وبين الفورى والمتأمل، وبين الجاد والهزلى، ففيهلم مايستر لا تصور فقط رحلة تكوين ولكنها الحالة المثالية لذلك التكوين، وكان هذا قبل أن يفكر أحد فى استخدام رواية تكوين

الشخصية.<sup>(١٤)</sup> وفي حين لا يقر شليجل ذلك صراحة إلا أن عنوان المقال يجعل شخصية فيلهلم تتدمج مع الكتاب وكذلك وبشكل ضمنى مع المؤلف بل والقارئ أيضاً من حيث "يتكونون" جميعاً أو "يتعلمون" ما تسميه الجملة الأخيرة مساحة "أقدس المقدسات؛ إذ نجد أنفسنا فجأة نرتفع حيث كل شيء إلهى ممتلك لنفسه ونقى".

### (٣)

لقد تمت صياغة مقال شليجل "رسالة حول الرواية" في ١٨٠٠ كدفاع عن زوايات جان بول والذى واصل الجدل متلبساً روح شليجل وإن كان لم يشر له بشكل مباشر في كتابه الصادر ١٨٠٤ (تمهيد في علم الجمال والذى تمت ترجمته ترجمة جيدة إلى الإنجليزية تحت عنوان بوق أوبيرون *The horn of Oberon*) ولعله أول بحث في علم الجمال يفرد جزءاً أساسياً للرواية وحدها.<sup>(١٥)</sup> والكتاب يتكون من خمسة عشر جزءاً (كل منها يدعى برنامج تعليمي) يليه ثلاث سلاسل من "المحاضرات".

(١٤) في مقال لم يحظ بقراءات كثيرة

Karl Morgenstern, "Über das Wesen des Bildungsromans" (1820-1)

يبدو أنه أول من نحت المصطلح؛ ولكن تم تداوله في أواخر القرن بعد كتاب

Wilhelm Dilthey, *Das Erlebnis und die Dichtung*.

(١٥) يخصص فريدريش شليجل في كتابه فلسفة الفن حوالي ست صفحات للروايات باعتبارها أسطورة العصر الحديث في أكمل صورها، ولكنه يعترف فقط بروايتي دون كيشوت وفيلهلم مايستر باعتبارهما روايات ناجحة تشير إلى الدعوة إلى تجديد الملحمة؛ وهذه المحاضرات والتي أقيمت ما بين ١٨٠٢ و ١٨٠٣ لم تنشر حتى ١٨٥٩. وفي كتاب كارل هنريش لودفيج بوليتز *Karl Heinrich Ludwig Politz* المكون من ٦٨٠ صفحة بعنوان *Aesthetik für gebildete Leute* (١٨٠٧) يتم تخصيص سبع صفحات فقط من النص والبيلوجرافيا للرواية (الشكل الكامل رغم غياب الوزن الشعري؛ الإنسانية المثالية؛ والأنواع الثانوية من غنائية ووعظية وملحمية) باعتبارها الخامسة ضمن ستة أنواع من الملحمة. وفي كتاب فريدريش بوتنفر *Friedrich Bouterwek* وهو عمل ضخم ينتمي للوضعيات بعنوان *Geschichte der Poesie und Beredsamkeit* (١٨٠١-١٩) نجد تمثيلاً جيداً للروايات الأقدم مبعثرة على مدى الكتاب من دون أي تحديد واضح للنوع الذى تنتمى إليه؛ وتحظى الروايات الإنجليزية بست وعشرين صفحة من الجزء الثامن فى مقابل ثمان وأربعين صفحة لغيرها من الأعمال النثرية. وتحصل الروايات الألمانية منذ ١٧٧٠ على ثمانى صفحات فقط من الجزء الحادى عشر، أما روايات جوته فتكاد لا يأتى ذكرها فى التسع صفحات المخصصة له.

ويخصص ثلاثاً وعشرين صفحة للرواية من البرنامج الثانى عشر، بعد تناوله "الحبكة التاريخية فى المسرح والملحمة" وقبل البرنامج القصير حول "القصيدة الغنائية"؛ أى إنها لا تأتى فى نقطة ذروة ولكن فى نقطة متقدمة مع ذلك. والفصل الأول فى البرنامج الخاص بالرواية معنون "حول قيمتها الشعرية" وي طرح مباشرة السؤال المتضمن فى اعتبار الرومانسيين للرواية نوعاً مستقلاً. ويقول جان بول إنه من الصعب الإبقاء على الوحدة بالرغم من المساحة الواسعة جداً التى تغطيها الرواية بالمقارنة بالملحمة، ومن الصعب كذلك الإبقاء على تكثيف القصيدة الغنائية. ومن هنا يجب أن تمتلك الرواية أكثر من أى شىء آخر "العنصر الرومانسى" بمعنى أنها لا يجب أن ترتبط بالواقع أو المذاهب. فلا بد أن تكون عامة فى معناها؛ هى الإنسانية تتحدث إلى الإنسانية "وليست ذلك الرجل يتحدث لهؤلاء الرجال". صحيح أن "الشعر يقوم بالتعليم" إلا أن ما يعلمنا إياه هو "كيف نقرأ" العلامات المحيطة بنا فى "العالم بأسره وفى الزمن كاملاً".

والأهمية النادرة لتناول جان بول تكمن فى الخصوصية التى يعطيها للتوجه الرومانسى. وهو يبدأ من أكثر طموحات شليجل تخلخلاً ولكنه لا يكتفى بالأساطير والتصوف (كما يفعل شليبنج بانتظام وكما يفعل نوفاليس كثيرًا وشليجل أحيانًا) ولكنه ينتقل للأمور التطبيقية. فهناك روايات ملحمة وروايات درامية ولكل قوتها. هناك ثلاثة مستويات أسلوبية يربطها جان بول بالمبول القومية (وإن كانت أمثلته عالمية بشكل عام): الأسلوب العالى أو الإيطالى، والوسيط وهو الألمانى، والمتدنى أى الهولندى. ويعتبر الشكل الألمانى الوسيط للطبقة الوسطى هو أصعب الأشكال وهو الشكل الذى اتخذته رواية فيلهلم مايستر. ولأنه شكل لا يستسلم للاسترسال فى انتحال الشعرية فإن النجاح فى العالم الوسيط يمثل "شعر الشعر" الحقيقى. ويقوم بعد ذلك باستيفاء النوع الرعوى ثم يخصص ما يقرب من نصف البرنامج إلى "قواعد وملاحظات لكاتب الرواية"؛ الوحدة، القصص، الحبكة والشخصية الحب والصدقة

وتسمية الشخصيات وعدد الفصول. عندما يقوم روائى رومانسى بكتابة نظرية رومانسية للرواية فإن العبقرية والتقنية يتنافسان معاً على استرعاء الاهتمام، وكذلك الطبع الروحى والذنىوى، والشعر والنثر.

إذا كان بالإمكان أن نقول إن الفترة الرومانسية قد حولت الرواية إلى نوع شعرى فإننا يمكن أيضاً أن نقول إنها قد حولت الأدب بأسره إلى الرواية. ولعل البرنامج المبني على أساس الرواية يمكن أن يشجع المثالية المطلقة حتى تلك المرتبطة بالأشكال الواقعية. ولكن الاتجاه الأكثر تأثيراً كان الاتجاه المعاكس؛ ربط المثل بالأشياء الملموسة من حبكة وشخصيات والمكان والأشكال المرتبطة بالمجتمع ومستويات التعبير. وعلى المستوى العملى بدأ التكافؤ المزدوج للرواية الرومانسية بوضوح فى كثير من الروايات القوطية والألمانية التى مزجت بين الشعر والنثر والموجود بشكل مرهف فى اصطدام شخصية جين أوستن "إما" صاحبة "النزعة التخيلية" (والكلمة موجودة فى الفصل الثالث من الجزء الثالث) بالحياة اليومية. ونظرياً ومع اعتبار تطور الرواية إلى ما هو أثيرى والشعر إلى ما هو أرضى تطوراً متوازياً فإن التكافؤ المزدوج الذى طرحه جان بول أصبح ميراً رومانسياً له أهميته الكبرى فى النظرية والتطبيق على مدى ذلك القرن.

#### (٤)

يرجع الفضل لوالتر سكوت فى تحويل نظرية الرواية إلى الواقع الملموس. وقد كان لوكانش قد قام بتضخيم التعليقات المقتضبة لهيجل حول الرواية مما أدى لانتشارها، ولكن قبل ذلك كان سكوت المنظر الرومانسى للرواية الأبقى تأثيراً. فلدينا مجموعة مقالات طويلة (لا تتضمنها مجموعة إيوان ويليامز) وحوالى عشرين عملاً من مراجعات ومقدمات لأعمال روائيين وبعض المقدمات المتضمنة خطأً لرواياته هو وكلها تشكل تلك المجموعة من الأعمال المتفرقة التى لا يمكن وصفها بأنها خلاصة. ومع ذلك فإذا ما جمعنا المراجعات والمقدمات فقط نكون بصدد واحد من

أضخم الكتب التي تناولت الرواية بالنقاش على مدى تلك الفترة سواء كان كاتبها مشهوراً أم لم يكن.

ويسبب الشكل الذي يتخذه نقد سكوت يجد رينيه ويليك "صعوبة في اعتباره ناقدًا مهمًا"<sup>(١٦)</sup> ولكن رغم أنه أبعد ما يكون عن التحليل عاليًا كما في النقد المثالي فإن سكوت معنى بالروايات ويجمع ما بين جدية لا مثيل لها في الكتاب الذين يتسلط عليهم الإدراك اللامح والتعبير المبتكر مثل شليجل وجان بول وبين اهتمام عملي لا يتوفر للنقد الفلسفي المجرد. وهو يستشعر الحاجة للدفاع عن الرواية ولكن دفاعه مبني على متعة الرواية وسحرها وليس على أى شيء أعلى من ذلك. ويكتب عن فيلدينج: "أن المغزى الأخلاقي المعلن للنص عادة ما يكون أقل الأشياء إثارة للقارئ." (ص ٥٤). ومن هنا فهو لا يبالي بتجاوزات فيلدينج الأخلاقية بل إنه يرى أن إباحته ستيرن "لا تؤذى الأخلاق" (ص ٧٢) مهما كانت "خطاياها ضد الذوق العام". ويعبر عن إعجابه بالحبكات محكمة الصنع ولكنه يجدها نادرة، وهو بالطبع لا يعتبر قصصه ضمنها بل ينتقدها بقسوة في بداية المراجعة التي كتبها عن نفسه حول العاملين اللذين نشرهما بدون اسم وهما القزم الأسود والوفاء القديمة وكذلك في مقدمة حظوظ نيجل. وفي مقابل هذا يتحمس كثيرًا للشخصيات الحية والدافئة عند ريتشاردسون وجولدسميث ويادج وسميث، حتى ستيرن البشع تشفع له شخصياته العاطفية، وحتى فيلدينج المسرحي خلق شخصيات غطت على قصصه. والفكرة الأساسية إذن هي أن سكوت يعزو قيمة الكتابة القصصية التخيلية إلى قدرتها على القبض على المشاعر والتعبير عنها. فهو يخلق مساحة للروايات بحيث يصبح العادي فيها هو الأكثر جمالية، بدون أى تكلف وبالتالي متحررة من الرومانسية

(١٦) انظر:

René Wellek, *A history of modern criticism, 1750-1950*, vol. ii: *The Romantic age*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, pp. 121-2.

الألمانية وما أصاب جمالياتها من اختلاط بتفسيرات اللاهوت، وهو ما يناقشه إلينور شافر فى موضع آخر من هذا الكتاب.

تعتبر الرواية بالنسبة لسكوت عن إحساس الحياة الواقعية. فعلى غرار كثيرين من نقاد الرواية الرومانسيين نجد سكوت مدافعاً أصيلاً بفطرته عن الواقعية. وهى قضية بادية فى كافة الأعمال وإن اتضحت بأكثر ما يكون فى بداية مراجعته لأعماله: "لعل التطابق بين القصة التخيلية والواقع هو العامل الذى يرجع إليه نجاح هذه الروايات بشكل كبير." (ص ٢٣٨) ضمن الكثير من التعليقات العابرة التى يمكن اقتباسها أود فقط الإشارة إلى مدحه "للبراعة الفائقة لديفو فى إعطاء مظهر الواقع للأحداث التى يرويها." (ص ١٧٢) وتكمن الدلالة العميقة لهذه الفقرة؛ إذ يمضى سكوت فى مدح ديفو لافتقار أعماله للصنعة والذى يعتبره جذر تأثيره؛ فمظهر الواقع إذن هو القيمة التى تتجاوز قيمة حرفية الصنعة وكذلك تتجاوز الواقع نفسه. وهو ما يبرر الإشارات الدائمة المتكررة أو العابرة إلى فن التصوير والرسامين لسكوت هو واقع المكان بصرياً وخارجياً، وفن التصوير الأدبى هو الوسيلة للوصول إلى المشاعر الحقيقية.

ومع ذلك فرغم الإعجاب الشديد الذى يعبر عنه سكوت "لجو الواقع" أو "المظهر الواقع" (ص ٤٣ و ١٥١ حول ريتشاردسون وسويفت بالتوالى) "فالمطلوب أكثر من مجرد النقل .." (ص ٢٣١، أوستين) فالواقع لابد أن يكون حياً ومؤثراً وليس فقط "صحيحاً" ولكن "صحيحاً ومؤثراً للنظر" (ص ٢٣٠) أو بمعنى دارج لابد أن يكون "مثيراً". "فبين الدوائر متحدة المركز من الاحتمال والإمكان" (ص ٢٢٨) على الروائى أن يوازن بين العادى وغير العادى. وبالنسبة لشيبلر ونوفاليس وكثيرين غيرهما تأتى الرواية بين هذين القطبين، ولكن سكوت هو الكاتب الذى يقوم بهذا بإصرار. فالحبكة هى مركز الإثارة والفضول الاستمتاع. ومن هنا يجب على الواقع دائماً أن يتلون ويغتنى "بالرومانس". والرومانس هى الكلمة التى يستخدمها سكوت

عامة للدلالة على فنية الرواية.<sup>(١٧)</sup> وهو يستخدم الكلمة لكل أبعاد الرومانسى *das Romnatishce* باستثناء الجوانب الفلسفية العويصة أو الساخرة؛ الحب (ص ٢٣٦ نهاية مراجعة أوستين) والغربة (ص ٣١٧-٢٥) هوفمان وبشكل مستمر خوارق الطبيعة وتعقيدات الحكمة عامة. إن نشأة الرواية، ليس ظهورها للحياة ولكن وصولها للاستقلال، كان يتطلب موقعًا مزدوجًا يصلح أو على الأقل يجمع ما بين الحياة والفن وبين النثر والشعر، والعناصر الجمالية والخيالية مع العناصر الاجتماعية والطبيعية، وبين الملحمة والعناصر المسرحية، وبين الشخصية والقصة. وإذا كان النقاد الألمان قد أوحوا بمثل هذه التوازنات، فإن سكوت هو الذى جعل منها الدعوى الأساسية.

ولكن قد يصعب تحقيق التوازن. "لعله من غير الممكن أن نحافظ فى نفس الوقت على الاتساق والاحتمال مع جذب الانتباه بما هو جديد." (ص ٣٠٨ جالت) ومن هنا نجد روائيين على مستوى أقل ولكنهم يستحقون التقدير كذلك موزعين بين القطبين أو مفضلين واحدًا على حساب الآخر. فأحيانًا يصورون الواقع والحقيقة والطبيعة وأحيانًا أخرى يؤلفون قصصًا خيالية ومغامرات وأشياء مثيرة ورومانس. بالنسبة له شخصيًا فقد كانت أعمال سكوت كما أعرب النقاد كثيرًا تميل إلى منظور متوسط المسافة بحيث تبدو الأحداث واقعية ولكن يلونها الرومانس بعدم اليقين وهو المنظور الذى يجسده بجلاء اختياره للزمن الذى يبعد جيلين والمكان النائي لحد ما فى روايته الأولى ويفرلى أو منذ ستين عامًا. ولكن سكوت يكرر مرارًا وتكرارًا أن الجديد يفقد بريقه بالتكرار وبالتالي تفقد العناصر الرومانسية تأثيرها سريعًا. وفى عمله ككاتب للرواية التاريخية معتمدًا فى قصصه بشكل متزايد على البحث وليس التجربة وجمعه للوثائق التى تدعم ما يؤلفه بدأ سكوت فى تقدير قيمة الرومانسى داخل الواقع

(١٧) لم يحظ إنجاز سكوت مع ذلك برضا ألساندرو مانزونى Alessandro Manzoni والذى يخلص مقاله الطويل الذى بدأ كتابته فى ١٨٢٨ ونشره فى ١٨٥٠ بعنوان *'Del romanzo storic'* إلى أن سكوت لم يكن "أصدق من التاريخ" ولكنه كان "أقل تاريخية" من الحقيقة.

وليس بالموازاة له. وكما يأتي على لسان شخصية المحامي الشاب هاردى في معرض مناقشة حول الروايات في الفصل الأول من رواية قلب اليد لوثيان "أن أبطال الرومانس" يمكن للمرء أن يتوقع ما سيقومون به أسرع كثيرًا من "التغيرات الإنسانية في الأحداث الواقعية." "فنتفوق المادة الحقيقية على أكثر الاختلافات بريقًا من وحى مخيلة متقدة." وإعادة الانحياز هذا الذى يقوم به سكوت وهو الكاتب الذى بدأ حياته شاعرًا رومانسيًا، يجعل منه المنبع الرئيسى للواقعية فى القص التخلي. (١٨) إن المنطق التاريخى الذى استعانت به الرواية الرومانسية كان مقدمة للتحويل فيما بعد إلى الملحمة الاجتماعية فى أواسط القرن وشريحة الحياة فى أواخر القرن. وهذان القطبان اللذان يعتمد عليهما نقد سكوت يحددان أسس الجانب الأكبر من المناقشات حول شكل الرواية ووظيفتها لتلك الفترة بأكملها. فيكاد كل روائى بدءًا من سكوت وانتهاء بفرجينيا ولف يضع نصب عينيه مهمة شبه واعية متمثلة فى الفصل بين العنصرين المتضارعين من حقيقى وواقعى من ناحية ورومانسى ومثير من ناحية أخرى. وبصفة خاصة يجدر بالنقاد الذين يتناولون موضوع "الرومانس الأمريكى" (وهو فى رأى موضوع خادع) أن يدركوا إلى أى مدى كان هوثورن ورفاقه يقومون بنقل محرف للجدال الذى كان دائرًا فى الأدب الأوربى فيما سبق كتاباتهم واستمر بعدها.

\*\*\*

(١٨) المقال الطويل الذى كتبه سكوت بعنوان "الرومانس" "Romance" لدائرة المعارف البريطانية *Encyclopædia Britannica* فى ١٨٢٣ يضع الإطار بشكل مختلف عن الكتابات المتضمنة فى مجموعة ويليامز. ففى الفقرات الأولى يقارن سكوت بين الرواية كحكاية عن الحياة اليومية والرومانس. ومع ذلك يمضى ليعترف بانتشار الأمثلة المختلطة، ولا يشير للرواية مرة أخرى ويختتم بفقرة موجزة فى مدح ديفو وسويفت باعتبارهما كتاب رومانس كبار. ومن الواضح أن الشكل المختلط هو السائد هنا أيضًا، رغم أن الرواية يتم تعريفها اسميًا على أنها نوع نقى.



وهذا لا يعنى بالطبع أن تطور الرواية فى القرن التاسع عشر أو تطور النقد الروائى فى القرن التاسع عشر قد توقف بعد الفترة الرومانسية. وسوف أختتم بنظرة سريعة على النص الذى يمكن أن يقال عنه إنه نهاية لموضوع دراستى ألا وهو مقدمة بلزك للكوميديا الإنسانية فى ١٨٤٢. لقد بدأ بلزك حياته ككاتب جاد بتقليد سكوت والرواية القوطية، وهو يشارك الرومانسيين فى هدفهم فى خلق ميثولوجيا الحياة الحديثة من خلال التوازن بين الواقع الخارجى (مثل الاحتلال) والجوهر الداخلى، وبين العادى والمتفرد (وهو موضوع يلقى عليه الضوء فى نظريته أكثر من أى من النقاد الذين أشرت إليهم باستثناء فوستونكرافت) بين الرجال والنساء. وهو فلسفى وعملى فى نفس الوقت بالإضافة إلى اتخاذه للعلماء الرومانسيين كمصدر لأفكار موحية، لقد بدا بلزك على مستوى ما قادر على الدمج بين التراث الفكرى الألمانى والإنجليزى حول الرواية. ولكن قراءة مقدمة بلزك تختلف تمامًا عن قراءة شليجل أو سكوت. وفى سبيل من الأسماء والمجاذلات الحادة تكشف مقدمة بلزك بوضوح عن عمله. فإذا كان الناقد الألمانى ذلك المفكر الذكى والحكيم وإذا كان الإنجليزى متمرسًا بخبرته ومعلوماته فإن بلزك يطرح صورة لا رومانسية متميزة وهى الروائى العالم الممتلك لمعرفة هائلة. وبالنسبة له فإن الرومانس تعنى إلى حد كبير ما كانت تعنيه لغيره من النقاد الرومانسيين (بالرغم من تأكيده على عنصر الدراما أكثر بكثير من أى ناقد قبله) ولكن الواقع ليس الأشياء التى نقابلها والتجارب التى نمر بها أو ما نحس به ولكن الواقع هو معرفة العالم. فلا صياغة سكوت "شئ من الواقع" ولا الصياغة الأفلاطونية لشليجل "خبايا الواقعية الغامضة" (حوار ص ٥٠٦) تقترب من النظام الكامل للمعرفة بالعالم والتى يتخذها بلزك طريقًا للشهرة. فلا يصبح الروائى صانعًا ماهرًا وإنما هو متخصص فى القص التخيلى. وبذلك يحفظ للميراث الرومانسى استمراره والإحاطة به فى نفس الوقت.



## الفصل الثالث عشر

### أثر شكسبير

بقلم: جوناثان أراك

ترجمة: لميس النقاش

هناك ثلاثة أوجه على الأقل يمكننا من خلالها رصد تأثير شكسبير على النقد الأدبي الرومانسي. فهناك أولاً موقعه من المعيار النقدي الرومانسي؛ إذ حدث في أواخر القرن الثامن عشر تحولاً في الذوق قادته وعبرت عنه كتابات نقدية غيرت جذرياً من قيمة شكسبير. فلم يعد شكسبير في عالم الثقافة والعلم مجرد مادة للاستمتاع لا تلقى اهتماماً خارج حدود إنجلترا ولكنه أصبح بحلول الثلاثينيات من القرن التاسع عشر عبقرية عالمية معروفة تحظى بالإعجاب في أنحاء الغرب كافة لما امتلکه من دراية عميقة بالإنسان وأحواله. كما كانت القيمة التعليمية لأعماله سبباً لتصبح هذه الأعمال أساساً للبعثات التعليمية الإنجليزية في الهند.<sup>(١)</sup> وهكذا ارتبط مصير شكسبير الثقافي بصعود بريطانيا كقوة عالمية عظمى في العقود التي شهدت حرب السنوات السبع وعلى مدى الصراعات النابوليونية. وكان التحدي الذي مثله شكسبير للقيم الأدبية للكلاسيكية الجديدة الفرنسية والتي سيطرت على الفكر الأوربي لأكثر من قرن مؤكداً وداعماً لحروب بريطانيا ضد فرنسا. وهناك ثانياً موقع النقاد الرمانسيين في مجمل الدراسات حول شكسبير؛ إذ تعتبر أعمال أوجست فيلهلم شليجل

(١) لأفضل موجز لصعود نجم شكسبير، بإيجاز وتركيز على الجانب العالمي، يمكن الرجوع إلى مقالة هاري ليفن، 'The primacy of Shakespeare'، في كتاب

Harry Levin, 'The primacy of Shakespeare', in *Shakespeare and the revolution of the times*, New York: Oxford University Press, 1976.

وعن الهند حيث احتل شكسبير موقعاً في التعليم قبل إنجلترا راجع:

Gauri Viswanathan, *Masks of conquest*, New York: Columbia University Press, 1989.

بالألمانية وصموئيل تايلور كوليرج ووليام هازليت بالإنجليزية علامات فارقة تشكل إلى الآن بعد ما يقرب من قرنين من الزمان نقاط انطلاق لمزيد من الأفكار الجديدة. وثالثاً: لقد مثل شكسبير نقطة انطلاق مهمة بالنسبة للعديد من الكتاب الرومانسيين الذين قدموا إسهامات مجددة في الشعر والقصة وكذلك في النقد الأدبي ونظرية الأدب من أمثال يوهان وفجانج فون جوتة وفريدريش شليجل وجون كيتس وهيرمان ميلفيل.

في ١٨٥٠ صدر للشاعر والكاتب الأمريكي رالف والو إمرسون كتاب رجال ونماذج، وفيه اختار شكسبير نموذجاً "للشاعر". وفي استرجاعه لتلك الفترة من الزمن التي يتناولها الفصل رأى إمرسون تغييراً يتحدد في أنه "الآن أصبح الأدب والفلسفة والفكر "متشكسباً". ويؤكد إمرسون على أنه في القرن التاسع عشر فقط أمكن "لأساة هاملت أن تجد القارئ المتفكر" ويرجع ذلك إلى "روح المغامرة الفكرية" التي اتسم بها هذا القرن والتي كانت "بمثابة هاملت حياً". ويقارن إمرسون بين المساحة التي احتلها شكسبير وبين تلك التي انسحب منها الدين فيقول "يكمن في كل عقل متقف تقدير صامت لقوة وجمال أعماله التي تفوق ما عداها والتي تعتبر، مثل المسيحية، سمة لذلك العصر".<sup>(٢)</sup>

وبالفعل نجد في كتابات هذا الجيل الأول الذي شعر بقدرة شكسبير كاككتشاف هائل ومذهل وليس مجرد جزء من الثقافة الأدبية المعروفة، نجد شعوراً كمن تحول لاعتناق ديانة جديدة. وقد حدث أن تعرف جوتة في شبابه من خلال الحوار مع يوهان بوتزيرد هيردر على شكسبير بفهم جديد. وكان عمل جوتة الأول المنشور عن شكسبير، هو الكلمة التي كتبها لاحتفال يوم اسم شكسبير في ١٧٧١ ليقرأها بين أصدقائه وفيها يسجل "لقد امتلكني للأبد منذ الصفحة الأولى التي قرأتها له، أما بانتهائي من أول مسرحية فقد شعرت مثل رجل ولد كفيفاً ثم وجد فجأة اليد السحرية التي أعادت له بصره".<sup>(٣)</sup>

(٢) انظر: Ralph Waldo Emerson, *Essays and lectures*, New York: Viking, 1983, p. 718.

(٣) انظر (قمت بتغيير الترجمة للحفاظ على المعنى الحرفي):

Johann Wolfgang von Goethe, 'Shakespeare: a tribute', in John Gearey (ed.), *Goethe: essays on art and literature*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1994, p. 163.

مثل هذا الحماس لا نجده فى لغة صموئيل جونسن، حتى عندما يقرر أن شكسبير هو الأفضل على الإطلاق - إذا استثنينا هوميروس - فى قدراته على الخلق والتجديد. وما كاد جونسن يبلى وجهه نظر متكاملة فى مقدمته لأعمال شكسبير (فى ١٧٦٥ أى بعد قرنين من ميلاد شكسبير فى ١٥٦٤) إلا وكانت طريقة جديدة ومختلفة فى الكتابة عن شكسبير قد بدأت فى الظهور فى ألمانيا بزيادة مقال هيردر عن شكسبير فى ١٧٧١. وكان تأثير هيردر على جوته فى ذلك الوقت بالغاً، فكانت مسرحية جوته فى ١٧٧١ مسرحية تاريخية تشهد على التأثير الجلى لشكسبير وإن كان التجلى الأوضح لشكسبير على جوته نجده فى روايته فيلهلم مايستر (١٧٩٦). وقد مثلت هذه الرواية باستخدامها لشكسبير نواة أساسية لأفكار الجيل الجديد فى ألمانيا، وخصوصاً الأخوين فريدريش وأوجست فيلهلم شليجل اللذين قاما فى كتابتهما فى مجلتهما The Athenaeum (١٧٩٨-١٨٠٠) بتفعيل مصطلح الرومانسية، وهو المصطلح الذى أصبح يشير الآن إلى حركة كاملة سبقتهم وأدت إليهما وامتدت إلى القرن التاسع عشر. وقد أسهم أوجست فيلهلم شليجل فى الثقافة الألمانية بترجمة شكسبير شعراً (سبع عشرة مسرحية فى الفترة ما بين ١٧٩٧-١٨٠٠)، وهو ما جعل من شكسبير أحد قمم الأدب الألمانى. أما فى كتاباته النقدية فقد ساهم فى نشر مفهوم الوحدة العضوية من خلال محاضرات فيينا فى ١٨٠٨ حول الأدب وفن الدراما، والتى قام بنشرها فى العام التالى كتاباً<sup>(٤)</sup>.

وفى إنجلترا كان العقل النقدى الأكثر نشاطاً وحيوية منذ تسعينيات القرن الثامن عشر هو صموئيل تايلور كوليردج. وقد سافر فى ١٧٩٨ إلى ألمانيا لتحسين معرفته بالأعمال الفكرية الهائلة التى تم إنجازها هناك. وقد شكل شكسبير الركيزة الأساسية لفكر كوليردج فى محاضراته الأدبية، والتى بدأت فى ١٨٠٨ واستمرت حتى ١٨١٩ وفى كتابه سيرة أدبية (١٨١٧)، الأمر الذى مهد، فى عملية بطيئة

(٤) انظر:

Augustus William Schlegel, *A course of lectures on dramatic art and literature*, tr. John Black, rev. A. J. W. Morrison, London: Bohn, 1846.

امتدت حتى القرن العشرين، لكتابة نقدية جديدة بالإنجليزية. لم يكن شكسبير بجديد على الثقافة الإنجليزية، غير أن بعض الأدلة، ومنها وثيقة خطية، تشير إلى أن التحول الذي حدث لكوليردج حوالى عام ١٨٠٠ كان نتاج تأثير بشكسبير؛ وكان كوليردج قد قرر تركيز مجهوداته على النقد بدلاً من الشعر. (حتى ذلك التاريخ كان قد صدر لكوليردج كتابات سياسية غير قليلة، بالإضافة إلى عدد من الدواوين الشعرية، منها حكايات غنائية بالاشتراك مع وردزورث، ولكنه لم يكن قد نشر بعد أيًا من كتاباته النقدية المعروف بها.) فى مذكرة لتاريخ الشعر الإنجليزي يقدم كوليردج خطة طريفة (فمثلاً "٣-سبنسر - مع مقدمة رابطة") حتى نصل إلى العنوان الخامس لنجده الأقصر والأكثر قوة على الإطلاق بالمقارنة بسابقيه "شكسبير !!!" (الأعمال الكاملة، الجزء ١١، ص ١٠٨)

لقد كان كوليردج مُلهماً لكتاب آخرين سعوا لتقليده وأحياناً لمخالفته، ونقصد تشارلز لام وويليام هازليت وكذلك المؤرخ الإسكتلندي والمبشر الاجتماعي توماس كارليل. فقد لعب كارليل فى بداية مشواره دوراً مهماً ونشطاً للغاية فى الربط بين بريطانيا وألمانيا من خلال مقالاته وترجماته العديدة، ونخص بالذكر هنا أول ترجمة إلى الإنجليزية لرواية جوته فيلهلم مايسنر ١٨٢٤، والتي ظلت لمدة طويلة الترجمة المعتمدة لهذه الرواية. أما لام فإلى جانب كتابه نماذج من كتاب المسرح الشعرى فى عصر شكسبير (١٨٠٨) وهو مجموعة من المقالات والنصوص المختارة مع تعليقات حولها - كتب بالاشتراك مع أخته ماري حكايات من شكسبير ("كتب خصيصاً للشباب والنائشة" ١٨٠٧)<sup>(٥)</sup> وبذلك كان النقد وإعادة الحكى من ضمن الأساليب العديدة التى أعاد بها الرومانسيون - عن محبة - كتابة شعر ومسرح شكسبير نثرًا وقصًا. وفى كتابة هازليت نجد وجودًا طاغيًا لشكسبير سواء بنصوصه أم بإشارات له. أما تناوله النقدى المباشر لشكسبير فيتضمن مقالته "شكسبير وميلتون" فى كتابه محاضرات حول

(٥) للمزيد حول القضية الأعم الخاصة باستجابة النساء لشكسبير فى القرن التاسع عشر انظر:

Nina Auerbach, *Woman and the demon*, Cambridge, ma: Harvard University Press, 1982, chapter 6, and Marianne Novy, *Engaging with Shakespeare: responses of George Eliot and other women novelists*, Athens, ga: University of Georgia Press, 1994, esp. chapters 1 and 2.

شعراء الإنجليزية (١٨١٨) وكذلك فى كتابه شخصيات مسرحيات شكسبير ١٨١٧ وهو أيضاً مجموعة من المحاضرات اعتبره أحد العلماء تأسيساً لنوع أدبى جديد: "مقدمة نقدية فى مجلد واحد تشمل كل المسرحيات فى مجملها".<sup>(٦)</sup> فما نقوم بتدريسه الآن كمادة فى الجامعات كان فى ذلك الوقت متاحاً للعامة عن طريق الاشتراكات. وكان جون كيتس - أحد معاصرى كارليل - قد اتخذ موقفه النقدى إلى حد كبير من هازليت. أما هيرمان ميلفيل روائى الرومانسية الأمريكية المتأخرة فنجد عنده صدى لأعمال كيتس وكارليل حول شكسبير بنفس قدر اتجاهاته الخاصة المميزة.

هؤلاء إذن هم الشخصيات الرئيسية التى ستلعب دوراً فى هذا الفصل. فقد بدأ تأثير شكسبير أولاً بقوة على الثقافة الناطقة بالإنجليزية وتلك الناطقة بالألمانية، ثم ما لبث أن امتد هذا التأثير إلى دوائر أوسع. ومع تحول الرومانسية لقضية ثقافية مثيرة للجدل فى أوروبا أصبح شكسبير العلامة المميزة للمنتمين للرومانسية فى مواجهة معارضتهم<sup>(٧)</sup>. وقد بدأ ستندال - قبل أن يصبح روائياً - منشوره حول "راسين وشكسبير" (١٨٢٥، ١٨٢٣) بحوار بين "أكاديمى" و"رومانسى" يتناقشان حول وحدتى الزمان والمكان الأرسطية الجديدة التى سيطرت على الفكر النقدى الفرنسى والممارسة المسرحية منذ القرن السابع عشر. وكانت فكرة ستندال هى إعلاء قيمة شكسبير والرومانسية باعتبار أن هذا هو الحيوى فى اللحظة الثقافية الراهنة. أما فيكتور هيجو فقد قام، فى البيان الذى كتبه فى مقدمة مسرحية كرومويل (١٨٢٧) التى لم يتم إخراجها للمسرح قط، قام بتعميق أحكام تنميطات التاريخ الألمانية لتحديد مركزية شكسبير وتكشين الحركة الرومانسية فى فرنسا. ويقسم هيجو تاريخ الشعر إلى العلاقة المتبادلة بين الأغنية والملحمة والمسرحية التى تنماهى مع الكتاب المقدس وهو ميروس وشكسبير. أما الدراما التى يجسدها فهى "تجمع فى آن واحد الجروتسك

(٦) انظر:

Jonathan Bate, *Shakespearean constitutions: politics, theatre, criticism 1730-1830*, Oxford University Press, 1989, p. 144.

(٧) انظر:

Paul Van Tieghem, *Le romantisme dans la littérature européenne*, Paris: A. Michel. 1969, p. 287.

والجليل، والفظائع واللامعقول، والتراجيديا والكوميديا. "وهذا المزيج الشامل هو الخاصية التي تميز "المرحلة الثالثة للشعر الذي ينتمي للأدب المعاصر." (٨)

وفي إيطاليا نشر ألساندور مانزوني خطابًا بالفرنسية يشرح فيه تعامل شكسبير مع وحدة الزمان في عطيل مدافعًا عن هذا المنحى في مواجهة ذلك المتبع في مسرحية فولتير زانير. (٩) ومن روسيا أيضًا يتقدم ألكساندر سرجيفيتش بوشكين ليبرز القضية الأساسية لأثر شكسبير؛ لقد كان شكسبير في العصر الرومانسي بالنسبة لكل كاتب ذي شأن في الثقافة الأوروبية بمختلف قومياتها جزءًا لا يتجزأ من تصورهم للتجديد الذي قاموا به؛ (١٠) إذ رأوا في الرومانسية "حركة إحياء" لأشكال أدبية سابقة بقدر ما كانت "ثورة" قلبت الأشكال الموجودة أدبًا جديدًا. وما تأثير شكسبير إلا دليل على تلك العلاقة الوثيقة بين الجانب الإحيائي والجانب الثوري للحركة.

إن الأثر الأهم لشكسبير يتجاوز تأثير عمل فني على عمل آخر إلى مستوى أعلى من التأثير. فقد خرج الرومانسيون من خلال علاقتهم بشكسبير بتصور حول شكل الكتابة بدا مختلفًا إلى حد ما عن الأشكال الموجودة في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وبدا أنه يعطي فرصًا للإبداع الفردي وخلق أشكال جديدة. ونجد في المقال الذي عرض فيه فريدريش شليجل رواية جوته فيلهلم ميستر لقاءً يجمع ما بين أكثر النقاد تجديدًا في ذلك العصر وأكثر كتاب الفترة تأثيرًا، يتناول فيه الأول العمل الأهم للثاني. ومن الحقائق الأساسية لتلك الفترة كون هاتين الشخصيتين من ألمانيا، ولكن الحقيقة التي لا تقل أهمية هي أن شخصية جوته، فيلهلم، تعرف طريقها إلى النضج من خلال شكسبير. فالرواية بصفاتها أول رواية من

(٨) انظر

Victor-Marie Hugo, Preface to *Cromwell*, I. G. Burnham (trans.), in Jonathan Bate (ed.), *The Romantics on Shakespeare*, London: Penguin, 1992, pp. 226, 225.

(٩) انظر:

Alessandro Manzoni, 'Letter to M Chauvet on the unities of time and place in tragedy', excerpted in Oswald LeWinter (ed.), *Shakespeare in Europe*, New York: Meridian, 1963, pp. 130-5.

(١٠) انظر على سبيل المثال أحاديث المائدة عند بوشكين حول شخصيات مسرحيات شكسبير في:

LeWinter, *Shakespeare in Europe*, pp. 161-2,



نوعها تؤسس لما أصبح يعرف فيما بعد بروايات تكوين الشخصية Bildungsroman تقدم نموذجًا لتطور الشخصية يشكل شكسبير فيه عنصرًا أساسيًا. ويرى شليجل أن "هناك هوة شاسعة تفصل ما بين الجزء الأول من العمل الذي يدخل فيلهم والقارئ في فهم أولى وعناصر شعرية، وبين ذلك الجزء اللاحق من الرواية الذي يصور الإنسان وقد أصبح قادرًا على استيعاب أعمق الأشياء وأكثرها علوًا كذلك."<sup>(١١)</sup> ويتطلب "عبور" هذه الهوة في رأى شليجل "قفزة" لا تتاح إلا بتأمل نموذج عظيم. هنا يضع شليجل أيدينا بفكرته هذه على البعد الأخطر في أثر شكسبير. فقد كان شكسبير هو ذلك "النموذج" لدى العديد من الكتاب الرومانسيين البارزين لأن شكسبير وحده من بين الشعراء "استحق" جدارة لقب الذي لا حدود له".

ولأن شكسبير لا حدود له فإنه من غير الممكن نقله شكليًا ببساطة. بل يتطلب استخدام شكسبير من الكاتب الحديث أن يستوعب المبادئ التي مكنت شكسبير من إنتاج فنه أي أن هناك عملية صياغة نقدية تسبق بالضرورة الإبداع الخلاق. وقد شكلت هذه الفكرة أحد أساسيات التنظير النقدي لكوليردج على مدى عقود طويلة. وتعود تأملاته في هذا الشأن إلى فترة مبكرة، فنجده يسجل ملاحظة في ١٨٠٤ حول تركيبات التشابه والاختلاف التي تتيح الترميز اللغوي وتربطه "بالمحاكاة وليس النقل والذي يتضح في الطبيعة نفسها عندما يتم شكسبرتها"<sup>(١٢)</sup>. وفي كتابه سيرة أدبية يقارن ما بين تصوير شكسبير للجنون في الملك لير وفقرة توماس أوتواي ويقت فينسيا (١٦٨٢) تتناول الجنون حتى يسهل فهم ديناميكيات عمل شكسبير. ويوضح أن مثل هذا التنظير النقدي ضروري لمستقبل الكتابة العظيمة: "إن الإعجاب بالمبدأ هو

(١١) انظر:

Friedrich Schlegel, 'On Goethe's *Meister*' (1798), in Kathleen Wheeler (ed.), *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Cambridge University Press, 1984, p. 68.

ويأتي الاقتباسات اللاحقة في هذه الصفحة من المصدر نفسه.

(١٢) انظر:

Kathleen Coburn, ed., *The notebooks of Samuel Taylor Coleridge*, vol. ii, Princeton, nj: Princeton University Press, 1961, [unpaginated] entry no. 2274.

الطريقة الوحيدة للتقليد بدون فقد التفرد الإبداعى.<sup>(١٣)</sup> ويشكل شكسبير فى بنية كتاب السيرة الأدبية همزة الوصل بين النظرية الألمانية (الفصول ٥ إلى ١٣) وبين الشعر الإنجليزى (تحديداً تناوله لوردزورث والذى يبدأ فى الفصل الرابع ويحتل الفصول من ١٧ إلى ٢٢). وتفتح المقارنة بين شكسبير وأوتواى موضوع الخيال والذى أثاره وردزورث وتابعه كوليردج على المستوى النظرى. ويلي تعريف الخيال (الفصل الثالث عشر) وما تبعه من تحديد صفات "الشاعر فى كماله وأفضل صورته" (الفصل الرابع عشر)،<sup>(١٤)</sup> الفصل الخامس عشر والذى يمهّد لما سيتبعه من تحليل لنقاط القوة والضعف فى وردزورث مستخدماً مسرحية شكسبير فينوس وأدونيس لتطبيق النظرية. والمصطلح الذى استخدمه كوليردج لوصف هذا العمل الذى قام به كان له بالغ الحظ فى النقد الأدبى باللغة الإنجليزية على مدى القرن العشرين، ونعنى مصطلح "النقد التطبيقي".<sup>(١٥)</sup> وقد امتلأت أرفف المكتبات صفوفاً من الكتب المنتمية لهذا الشكل الجديد. وتحمل فكرة شليجل التى قدمها فى مناقشته لشكسبير فى رواية جوته ميستر شبيهاً لفكرة كوليردج؛ إذ رأى أن فهم شكسبير مثل فهم قوى الطبيعة التى تعمل على أساس قوانين طبيعتها. فجوهر الأمر بالنسبة لفيلهم وجوته وشليجل ليس مجرد "عظمة طبيعة شكسبير"، ولكن "قنيتة العميقة ووضوح الغاية لديه".<sup>(١٦)</sup> ويسجل شليجل فى دفتر ملاحظاته فى تلك الفترة مقتطفاً لجون ميلتون فى L'Allegro يصف فيه "شعر شكسبير كامتداد متوحش لشعر الغابات" معتبراً إياه أول وجهة نظر خاطئة عن شكسبير.<sup>(١٧)</sup> فطبيعة شكسبير العظيمة تتجلى فقط من خلال فنه

(١٣) انظر:

James Engell and W. Jackson Bate (eds.), *Biographia literaria*, vol. vii of *The collected works of Samuel Taylor Coleridge*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1983, i: 85.

(١٤) المصدر السابق 15, p. II, vol.

(١٥) المصدر السابق 19, p. II, vol.

(١٦) انظر: Schlegel, *On Goethe's Meister*, p. 68.

(١٧) انظر:

Hans Eichner (ed.), Friedrich Schlegel, *Literary notebooks 1797-1801*, London: Athlone Press, 1957, entry no. 1150

العظيم. ومن ثم يرى شليجل أن انشغال فيلهلم - فى رواية جوته - بعمل بعينه من أعمال شكسبير ألا وهو هاملت، يرجع إلى أنه "لا توجد مسرحية أخرى... تعطى الفرصة لمثل هذا الجدل المثير والمتنوع حول النوايا الخفية المحتملة عند ذلك الفنان" (١٨).

ويتوسط تأثير شكسبير العلاقة ما بين النقد والأعمال الإبداعية الجديدة. فقد كان بعض كُتّاب هذه الأعمال الإبداعية الجديدة من كبار الشعراء الذين قاموا كذلك بممارسة النقد، مثل جوته وكوليردج. بل إن بعض الأعمال الإبداعية الجديدة كان فى حد ذاته نقداً، كما هى الحال فى مقالات لام وهازليت وتوماس ديكونيسى، وحتى كتابات فريدريك شليجل نفسه؛ حيث ساهمت "تصوصه المتشظية" فى تعريف طريقة الكتابة الأدبية المميزة للرومانسية. وقد كانت العلاقة بين الفكر النقدي الذى تناول شكسبير وبين الأعمال الإبداعية الجديدة فى تلك الفترة علاقة تبادلية ساعدت على توسيع المنظور النقدي والأفكار المتعلقة بتصنيف "الأدب". فيمكن فهم نظرية كوليردج عن الخيال باعتبار أنها انطلقت من حدس ما بالعلاقة الحاسمة بين ما اعتبره أعظم أعمال عصره، وهو شعر ويليام وردزورث، وبين كل قيمة امتلكها شكسبير. وقد مكنت أعمال كوليردج ووردزورث بدورهما توماس دى كوينسى أن يميز بين ما سماه "أدب المعرفة" و"أدب السلطة" والذى خلق نظام تصنيف لفهم الأدب الخيالى الرفيع، مازال إلى نهاية القرن العشرين يثير جدلاً على المستوى النقدي والأكاديمي. (١٩) وهذه الأشكال من الفهم الجديد للأدب ساعدت بدورها الكتاب على تحديد مسار كتابتهم، كما هى الحال مع رسائل كيتس التى تناول فيها شكسبير فى حوار مع آراء هازليت النقدية، كما أمدت القراء - بما فى ذلك الأجيال اللاحقة من القراء بنهاية القرن العشرين - بأدوات تمكنهم من فهم تلك الأعمال.

(١٨) انظر: F. Schlegel, *On Goethe's Meister*, p. 68.

(١٩) انظر:

John E. Jordan (ed.), *De Quincey as critic*. London: Routledge and Kegan Paul, 1973, pp. 268-72 (in the midst of an essay on Alexander Pope).

يمثل أثر شكسبير في النقد الرومانسي دراسة حالة لدور النقد الأدبي في التاريخ الأدبي الأشمل. ولأن هذا التاريخ تحديداً تاريخ عالمي فإن الدراسة لابد وأن تكون دراسة مقارنة. نستطيع إذا ما اكتفينا بأثر شكسبير على مستوى بريطانيا إخراج قصة مثيرة للغاية، ولكن تلك القصة تكتسب ثراء وأهمية إذا ما تضمنت فرنسا وألمانيا، بل والولايات المتحدة أيضاً.<sup>(٢٠)</sup> ويشير الدور الحيوي الذي لعبته رواية جوته مايستر - من حيث هي فهم جديد ومؤثر لشكسبير وأيضاً لكونها النص الذي أثار تنظير شليجل لما بعد نقدي - إلى الارتباط الوثيق بين ذلك التاريخ الأدبي الأوسع الذي يبرز فيه أثر شكسبير وبين النوع الأدبي البارز بقوة في الثقافة الغربية للقرن التاسع عشر، ألا وهو الرواية.

وتشير مسيرة جون كيتس، مثله مثل الشخصية الروائية فيلهلم ميستر، إلى قيام شاب ذي طموح ثقافي وقدرات عالية بالاستفادة من "تأمله لنموذج عظيم". ومثله مثل فريدريك شليجل الذي كان تأمله لشخصية عظيمة من الماضي وهي شكسبير يجرى جنباً إلى جنب مع تأمله لشخصية أخرى عظيمة ولكن معاصرة وهي جوته، كان شكسبير بالنسبة لكيتس علامة على فرصة لطريق للإنجاز الشعري قد يختلف عن الذي سلكه ويليام وردزورث.<sup>(٢١)</sup> وتكشف خواطر كيتس في رسائله أن عملية التفكير عنده أثرت كتابات ويليام هازليت النقدية ومحاضراته والحوار معه<sup>(٢٢)</sup>.

(٢٠) حول القصة في بريطانيا انظر:

Jonathan Bate, *Shakespeare and the English Romantic The Romantics on Shakespeare imagination*, Oxford: Clarendon Press, 1986 and *Shakespearean constitutions*.

ويمتد نطاق الاهتمام ليُشمل فرنسا وألمانيا في مجموعة المقالات التي حررها نفس المؤلف بعنوان:

*The Romantics on Shakespeare*

(٢١) يختلف الطرح الذي أقدمه هنا فيما يتعلق بدور الفكر النقدي حول شكسبير في خلق كتابة مجددة على درجة كبيرة من الأهمية عن العديد من اتجاهات منظري تاريخ الأدب في القرن العشرين، وإن كان يدين بالكثير لهم. وأشير تحديداً لعملية تراصل ممارسة الشعر. انظر في ذلك:

T. S. Eliot, 'Tradition and the individual talent'; W. J. Bate, *The burden of the past and the English poet*, Cambridge, ma: Harvard University Press, 1970, and Harold Bloom, *The anxiety of influence: a theory of poetry*, New York: Oxford University Press. 1973.

(٢٢) أدنين في التحليل التالي إلى النقاش المرجعي في:

Walter Jackson Bate, *John Keats*, Cambridge, MA: Harvard University Press. 1963, esp. ch. 10. 'Negative capability', pp. 233-63.

وقد كان شهر إبريل من عام ١٨١٧ لحظة حاسمة في حياة كيتس. فبعد إصدار أول دواوينه قرر كيتس اختبار قدراته بكتابة طويلة وهي إنديميون Endymion في ستة شهور. وفي بداية هذه العملية قام كيتس باقتناء مجموعة أعمال شكسبير (وهي موجودة الآن في مكتبة هوجتون بهارفرد) كما صادف أن وجد صورة لشكسبير وضعها فوق مكتبه واحتفظ بها خلال تنقلاته كافة حتى نهاية حياته. وفي رسالة (١١ مايو) إلى الرسام بنجامين روبرت هايدون يتحدث كيتس لصديقه حول اقتناء هذه الصورة ويشير إلى اعتقاد هايدون بأن هناك "عبقريّة خيرة تتولاه" ويقول في تطبيق هذا الاعتقاد على نفسه "هل أتجاوز حدودي إذ أتصور في شكسبير هذه العبقريّة التي ترعاني؟" (٢٣) وفي نفس الرسالة - في بدايتها - يقتبس عبارة من الملك لير تصف حالته النفسية وفي نهاية الرسالة يعود ليربط بين حالته النفسية وشكسبير قائلاً "لا ينتهي الأمر بي إلى اليأس التام، وأقرأ شكسبير - وبالفعل أعتقد أنني لن أقرأ أبداً كتاباً آخر هكذا. وأكاد أتفق مع هازليت أن شكسبير يكفيني." (٢٤)

وقد كان "عمق التذوق" لدى هازليت أحد "ثلاثة أشياء تدعو للفرح في هذا الزمن" (٢٥) بالنسبة لكيتس، ويبدو أن طريقة هازليت الخاصة في التفكير قد ساعدت كيتس على صياغة أفكاره حول شكسبير، وهو عنصر حاسم في فهم مسار كيتس ككاتب بالإضافة لتأثيره البالغ على الحوار النقدي الدائر بصفة عامة. وفي ديسمبر ١٨١٧ وبعد انتهائه من المهمة التي حددها لنفسه أي Endymion أعلن كيتس فجأة أنه أدرك في لحظة كالوحي "الصفة التي تشكل رجل الإنجازات خاصة في الأدب والتي امتلكها شكسبير عن جدارة" تلك الصفة سماها كيتس - بغموض ما - "القدرة السلبية". والتي يشرحها كالاتي "عندما يكون المرء قادراً على المضي في حالة من عدم اليقين والغموض والشكوك لا ينغصها السعي إلى الوقائع والتدليل العقلي." (٢٦)

(٢٣) انظر :

Hyder Edward Rollins (ed.), *The letters of John Keats: 1814-21*, 2 vols., Cambridge, ma: Harvard University Press, 1958, i: 142.

(٢٤) المرجع السابق 143 p.

(٢٥) المرجع السابق 203 p.

(٢٦) المرجع السابق 193 p.

ويقارن هذه الحالة بسعى كوليردج إلى تشكيل أفكاره كنسق. وقد كان التباين بين كيتس وكوليردج، بين "القدرة السلبية" وبين "التوازن والتناغم بين الأضداد أو الصفات المتنافرة" وهو ما اعتبره كوليردج الصفة المميزة للشاعر في كماله وأفضل صوره. "في الفصل الرابع عشر من السيرة الأدبية،<sup>(٢٧)</sup> كان هذا التباين شأنًا حاسمًا في رفض النقد الجديد المتأثر بكوليردج من قبل النقد ما بعد الحداثي في الولايات المتحدة.<sup>(٢٨)</sup> فالصفة الأساسية في هذا الخطاب ما بعد الحداثي هو المصطلح الرومانسي "الانفتاح" وهو ما يمكن أن نقول إن كيتس وجده في استجابة هازليت النقدية لشكسبير.

إن التجربة الفكرية المهمة لدى هازليت هي اكتشافه لما أصبح يسمى بعد ذلك المخيلة المتعاطفة. وقد كان هدفه هو دحض التراث الطويل الذي اعتبر أن الأخلاق تشكلها المصلحة الخاصة، وقد قام بذلك عن طريق فك الارتباط بالذات؛ إذ رأى أن العلاقة بيني وبين ذاتي المتحققة في المستقبل لا يمكن أن تكون إلا بإعمال الخيال في عملية لا تختلف عن تلك التي نقوم بها لربط أنفسنا بالآخرين،<sup>(٢٩)</sup> وبالتالي فقد استطاع أن يحو، نظريًا، الفرق بين الذات والآخر، وليس عن طريق تحويل كل شيء إلى ذات (وهو ما تقوم به عادة المثالية الألمانية) ولكن بفتح إمكانية أنا أكون أنا آخر. كانت هذه هي النظرية، وكان شكسبير هو التطبيق. كما أكد هازليت في محاضراته حول الشعراء الإنجليز "الأقل نرجسية على الإطلاق". فلم يكن شيئًا في حد ذاته ولكنه "كان عليه فقط أن يفكر في أي شيء حتى يصبح هو ذلك الشيء نفسه."<sup>(٣٠)</sup>

(٢٧) انظر: Bate and Engell, eds., *Biographia*, II: 15- 16.

(٢٨) انظر:

William V. Spanos, 'Charles Olson and negative capability: A de-structive interpretation', in *Repetitions: the postmodern occasion in literature and culture*, Baton Rouge, la: Louisiana State University Press, 1987, pp. 107-48.

(٢٩) يعرض هازليت نفسه هذا الطرح في بيانه المثير للجدل الذي يتضمن سيرته الذاتية في:

'A letter to William 'GiCord, Esq.', in William Hazlitt, *The spirit of the age*, 4th edn. W. Carew Hazlitt (ed.), London: Bell and Sons, 1904, pp. 444-56.

(٣٠) انظر:

William Hazlitt, *Lectures on the English poets and the English comic writers*, William Carew Hazlitt (ed.), London: Bell and Sons, 1894, pp. 62-3.

وقد عاد كيتس فى رسالة فى أكتوبر، ١٨١٨ قبلما يبدأ تلك السنة الغنية بالإنجازات بالنسبة له، عاد إلى شكسبير كنموذج يتماهى بوضوح مع ما رآه هازليت فى شكسبير. وفى مواجهة أقوى شاعر فى ذلك العصر، ويليام وردزورث - الذى كان يؤكد بشدة على الذات - تقمص كيتس شكسبير. لقد مثل وردزورث "الجلال النرجسى" ولكن "الشخصية الشعرية" التى اعتبر كيتس نفسه "عضواً" فيها كان يمكن تعريفها بالسلب: "فهى ليست فى حد ذاتها؛ فليس لها ذات... لا تملك شخصية... وليس لها هوية". أما تعريفها الإيجابى فيمكن أن يكون بالمشاعر والفعل؛ "فهى تتمتع بالضوء والظل، وتعيش بحبوية". ولكن يمكن تسميتها باستخدام الإشارة الأدبية فهى "تنشئ إذ تتخيل إياجو بنفس قدر تخيل إيموجن".<sup>(٣١)</sup> فالكل سواء عند شكسبير: شرير التراجيديا كالبطل الرومانسية. وقد شعر العديد من القراء أن إنجاز كيتس الشعرى رغم كونه شعراً غنائياً وليس درامياً، كان بنفس القدر من الانفتاح الذى وجد أقصى تحقق للذات من خلال تفاصيل حياة الآخرين وطرق الوجود الأخرى.

وبمنتصف القرن التاسع عشر كان رد ماثيو أرنولد، رغم دينه لكوليردج، على كيتس دليلاً على تحجر شكسبير الرومانسى. وقد حذر أرنولد من أن كيتس والإليزابيثيين لا يملكون "النضج" الكافى لتحقيق الأسلوب "الواضح والمباشر والحاد" الذى يتطلبه "الشعر الحديث". فقد رأى أرنولد فى "فخامة تعبيرهم" و"ثراء الصور الشعرية" فيه مجرد "عمل تزينى" يتجاهل "الكل"، فى حين أن جوهر الشعر الحديث يجب أن يكون "فى مضامينه".<sup>(٣٢)</sup> ويبدو فى نقد أرنولد أنه فقد ذلك المعنى الأكيد الذى وجده كيتس من خلال انشغاله بهازليت وشكسبير.

فى الفترة الرومانسية بدأ تعريف جديد "للأدب" فى الظهور لعب فيه أثر شكسبير دوراً بالغاً، وقد أدى هذا المفهوم الجديد للأدب بدوره إلى إعادة صياغة

Rollins ed., *Letters of John Keats*, vol. I, pp. 386-7

(٣١) انظر:

(٣٢) انظر:

Cecil Y. Lang (ed.), *The letters of Matthew Arnold: volume I, 1829-1859*, Charlottesville, va: University of Virginia Press, 1996, pp. 245-6.

شكسبير نظريًا. فتحول ما كان يتم الاعتراض عليه من صعوبات تستعصى على الفهم لعدم وضوحها، ليصبح من جديد محلاً للإعجاب لعمق معانيه. وهنا يجب التأكيد على أربع نقاط مهمة: التحول من خشبة المسرح إلى الصفحة المكتوبة، التحول من إصدار الأحكام إلى التأويل، وتغير معنى المجازاة إذ تحول العمل إلى مصدر للتعلم، والميل إلى فهم ما تم تعلمه على أنه شيء يتميز بالتفرد والخصوصية.

والتحول من خشبة المسرح إلى الصفحة المكتوبة يعيد تعريف شكسبير بصفته منتج لأدب مقروء وليس لدراما تخرج للمسرح للمشاهدة والاستمتاع. وهو التحول الذي حدث ضمن تحول أشمل اقتضى مراجعة مستمرة لمجمل النصوص المعتمدة في الثقافة الرفيعة المكتوبة باللغات القومية في أوروبا، فمع التضاؤل المتزايد لنسبة جمهور القراء باللغتين اليونانية القديمة واللاتينية، أخذت مجموعة مختارة من روائع نصوص الآداب الحديثة تلعب دورًا متزايدًا كبديل للثقافة الاستهلاكية واسعة الانتشار التي أسماها وردزورث في مقدمته لديوان حكايات غنائية في ١٨٠٠ "بأشكال الإثارة المبتذلة والفضة"<sup>(٢٣)</sup> وارتبط هذا الصراع الثقافي بدوره بما أسماه ليونل تريلينج في مقال مهم يسترجع فيه الماضي بعين الحاضر "مصير المتعة."<sup>(٢٤)</sup> وقد أشار صموئيل جونسون إلى تقديره العالي لشكسبير رداً على السؤال المطروح حول "ما الذي يمكن أن يتمتع الكثيرين، ويمتعهم طويلاً."<sup>(٢٥)</sup> ولكن تجربة شكسبير بدت حينذاك أنها تطرح "رقياً" و"عمقاً" وصعوبة واستعصاء في مجملها يتجاوز ما توحى به كلمة "متعة" من معنى. وقد كان خطاب الجليل وسيلة فعالة في توصيل قيمة شكسبير في لغة جديدة ومؤثرة.

(٢٣) انظر:

W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), *Prose works of William Wordsworth*, 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974, i: 129.

(٢٤) انظر:

Lionel Trilling, 'The fate of pleasure: Wordsworth to Dostoevsky', in Northrop Frye (ed.), *Romanticism reconsidered*, New York: Columbia University Press, 1963, pp. 73-106.

(٢٥) انظر

Arthur Sherbo (ed.), *Johnson on Shakespeare*, New Haven, ct: Yale University Press, 1968. The Yale Edition of the Works of Samuel Johnson, vii: 61.



وأشهر النصوص الإنجليزية التي تربط ما بين تسامى شكسبير وصعوبة نصوصه، في مقابل متعة المشاهدة السهلة نجد مقال تشالز لام في ١٨١١ "حول مسرحيات شكسبير التراجيدية مع الإشارة إلى صلاحيتها للتمثيل على خشبة المسرح". فقد رأى لام أن الممثلين لا يملكون القدرة المناسبة لتوصيل معانى شكسبير، كما لا يملك المتفرجون القدرة على تلقيها. وبدلاً من ذلك فهو يطرح نموذج الاستجابة التي يقوم بها المرء وحده على انفراد، وهى الاستجابة المتأملّة التي تتسم بها النخبة، في مقابل رواد المسرح من العامة المفتقدين "لأدنى فكرة عن ما هو المؤلف أصلاً".<sup>(٣٦)</sup> وبذا تكمن قيمة شكسبير في التواصل الروحي الحميم بين عقل القارئ وعقل المؤلف. فلا يجد لام قيمة أعمال شكسبير في المتعة التي نجنيها من تمثيل فعل ما، ولكن تتأتى القيمة من عملية الفهم التي نقوم بها للمعنى الذي تحمله المسرحية كتعبير عن عقل. فيقوم قارئ شكسبير بالتأويل في سعى نحو شئ لا يظهر على المسرح ولا في الفعل الدرامي، فيكتسب خبرة بذلك النص تميزه وتعلو به عن ذلك الجمهور الغير المستغرق في التهليل للمسرحية.<sup>(٣٧)</sup>

ويهيمن نسق مماثل في رواية جوتّه فيلهلم مايستر (١٧٩٦). فبالرغم من أن علاقة فيلهلم بمسرحية هاملت تأتي في سياق محاولته تتقيف ألمانيا عن طريق إخراج الأعمال العظيمة للجمهور العريض، فإن النتيجة النهائية لهذا الانشغال بشكسبير هي تحول فيلهلم عن دوره العام إلى الاهتمام بتطوره الخاص الذي أصبح مرتبطاً بمثال تكوين الشخصية bildung الألماني - كما أن هذا الاستخدام لشكسبير يظهر في

(٣٦) انظر:

Charles Lamb, 'On the tragedies of Shakespeare, with reference to their fitness for stage representation', in *Complete works and letters*, New York: Modern Library, 1935, p. 291.

(٣٧) انظر:

Jonathan Arac, 'The media of sublimity: Johnson and Lamb on *King Lear*', *Studies in Romanticism* 26 (1987), pp. 209-20

ولمدخل أكثر عمومية انظر:

Jonas M. Barish, *The antitheatrical prejudice*. Berkeley and Los Angeles, ca: University of California Press, 1981.

رواية مفترض أن تقرأ.<sup>(٣٨)</sup> ويمكن أن نرى فى يولييسيس (١٩٢٢) لجيمس جويس صدى متأخراً ولكنه ساخر لرواية فيلهلم مايستر، وفى الفصل التاسع "سليبا ونشارييدس" يقدم ستيفن ديدلاس فى مكتبة دبلن نظريته حول كيفية كتابة شكسبير لهاملت. ويسخر جويس - من خلال ستيفن - من قرن من المحاولات المحمومة للكشف عن تفاصيل حياة شكسبير، تلك المحاولات النابعة من الأفكار الرومانسية عنه، ولكن جويس يقدم أيضاً نقداً من خلال حالة ستيفن للعلاقة بين الفنان المبدع وثقافته ووطنه. وفى نهاية صورة الفنان فى شبابه (١٩١٤) يتمنى ستيفن "أن أصوغ فى مسبك روحى الضمير الذى لم يخلق بعد للعرق الذى أنتمى له."<sup>(٣٩)</sup> ولكن لا نجد مثل هذا الدور العام فى شخصية ستيفن فى يولييسيس. فمثل فيلهلم تتمخض عملية التثقيف الفنى الوطنى، على غير ما كانت النية، عن فرد يحيا وحيداً - وفى حالة ستيفن - لا يتمتع بأى قدر من النجاح.

فى الجيل السابق على الرومانسيين، كان مفترضاً ضمن عمل الناقد أن يقوم، سواء سلباً مثلما الحال مع فولتير أو إيجاباً فى حالة صموئيل جونسون، بالحكم على شكسبير وأعماله. وفى فيلهلم مايستر أصبح من الأهمية بمكان أن نفهم ونؤول وليس أن نحكم. ويضع عرض صحفى لمحاضرة لكوليردج يده على الفكرة الأساسية لهذا الاتجاه الرومانسى؛ إذ يورد تعليقاً على ملاحظات كوليردج حول المسرحيات التاريخية بالقول إنها "تحل لغز شخصية فولستاف."<sup>(٤٠)</sup> وفى شتى الكتابات النقدية

(٣٨) انظر:

Nicholas Boyle, *Goethe: the poet and the age*, vol. i: *The poetry of desire*, Oxford University Press, 1991.

حول "الكتاب المطبوع" باعتباره وسيلة لا غنى عنها من أجل "التحول الأدبى لألمانيا" فى حياة جوته، وخصوصاً من خلال "الدراما الأدبية": "يقدر ما كان كتاباً كغيره من الكتب، فقد ربط ما بين المتقنين فى كل أنحاء العالم المتحدث بالآلمانية فى دراسة المشاعر وفى التأمل الاجتماعى والأخلاقى والتاريخى." ص ٣٦٥.

(٣٩) انظر:

James Joyce, *A portrait of the artist as a young man*, in Harry Levin (ed.), *The portable James Joyce*, rev. edn, New York: Vintage, 1966, p. 526.

(٤٠) انظر:

R. A. Foakes (ed.), *Lectures 1808-19 on literature*, 2 vols., vol. v of Kathleen Coburn (ed.). *Collected works of Samuel Taylor Coleridge*, i: 575.

الرومانسية، وعلى مدى أكبر فيما بعد، تتكرر فكرة "الهيروغليفية" أو اللغز الذي يحتاج إلى كشف حله. فالفعل المسرحي هو تدوين اللغز العقل المنتج، ويكون على النقد أن يصب جل اهتمامه عليه.

فحين يبدأ فيلهلم مايستر في دراسة دور هاملت يجد نفسه تائهاً في "مناهة عجيبة" ... "كلما تقدمت فيها ... ازدادت صعوبة إدراك البنية الكلية." (٤١) ويحدد فيلهلم مايستر دوره كممثل في محاولة فهم المسرحية ككل وكذلك شخصياتها المحورية. وقد بدت كلها ملغزة إلى أن اكتشف طريقة لتأويلها بحيث "دخل حقاً داخل عقل المؤلف." (٤٢) وتحول هاملت مع الفترة الرومانسية لأول مرة إلى لغز، وأصبح لازماً آنذاك حل اللغز من خلال عملية تفسير نفسى.

لقد كشف فيلهلم عن حل اللغز ببحثه عن "أى أدلة تتعلق بشخصية هاملت فيما قبل موت أبيه. تأملت كيف ... كان ذلك الشاب قبل ذلك الحادث الحزين ... وما الذى كان يمكن أن يكونه بدونه." (٤٣) أى أن فيلهلم يتعامل مع هاملت باعتباره إنساناً حقيقياً ويحاول وضع تصور نفسى يفسر مجمل شخصيته وتطورها. ويكاد ذلك الأسلوب فى "نقد الشخصية" *dul* البلدان المتحدثين بالألمانية والإنجليزية لما يزيد على قرن من الزمان. (٤٤) وقد كان انتشاره وثيق الصلة بالتغيرات التى طرأت على أحد العلوم الإنسانية ألا وهو علم النفس. فنجد فرويد فى الرسالة التى طرح فيها

(٤١) انظر:

Johann Wolfgang von Goethe, *Wilhelm Meister's apprenticeship*, Eric A. Blackall and Victor Lange (trans.), Princeton, nj: Princeton University Press, 1995, p. 128.

ويمكن أيضاً الرجوع إلى المقطعات المشار إليها من الرواية فى

Wheeler (ed.), *German aesthetic and literary criticism*, pp. 231-6.

(٤٢) انظر: Goethe, *Wilhelm Meister*, p. 129.

(٤٣) المرجع السابق p. 128.

(٤٤) انظر:

Jonathan Arac, 'Hamlet, Little Dorrit, and the history of character'. *South Atlantic quarterly* 87 (1988), pp. 311-28.

فكرته عن عقدة أوديب يشير مباشرة إلى إمكانية تطبيق الفكرة على هاملت.<sup>(٤٥)</sup> ومن خلال هذا التفسير الذى يرجع إلى ماضى الشخصية يجد فيلهلم الطريق الذى ينجو به من المتاهة التى ضيعته. فهو يكتشف أخيراً "مفتاح سلوك هاملت كله" فى قوله:

لقد فسد العصر، يالها من نكاية لعينة

أو أولاد لأصلح ما فسد. (هاملت، ترجمة د. عبد القادر القط ص ٦٩)

وسيصبح هذا التحليل الدقيق لهاملت مرجعاً لأجيال لاحقة من النقاد. فيرى فيلهلم أن شكسبير أراد تصوير "عبء ثقيل يقع على عاتق روح لا طاقة لها به." وتفسر هذه الصياغة "بناء المسرحية بأكملها." ويختتم فيلهلم تفسيره بتشبيه استعارى وهو مثل "شجرة بلوط تم زرعها فى إناء ثمين لم يكن له أن يحمل سوى زهور رقيقة فإذا بجذورها تخرق الحدود، محطمة الإناء."<sup>(٤٦)</sup>

ويصبح معيار فيلهلم "البنية الكل" ملمحاً مهماً فى الفهم الرومانسى الجديد. فيقول فريدريتش شليجل "ربما لن نجد من الشعراء المحدثين من هو أكثر سداداً وتقليدية من شكسبير، إذا ما فهمنا تلك الكلمة العزيزة على الأجيال السابقة - "سداد" - بمعناها الأرقى والأكثر أصالة بمعنى المحاولة الواعية لتطوير كل العناصر العميقة والدقيقة للغاية على مستوى الأساسى والفرعى للعمل فى توافق مع روح العمل فى مجمله."<sup>(٤٧)</sup> لقد كان مصطلح "الوحدة" مصطلحاً أساسياً فى الخطاب الأرسطى الجديد. ولكن كوليردج يتخذ موقفاً صارماً مثل شليجل من أجل وضع مقياس جديد: "أننى أفضل كثيراً استبدال وحدة الفعل بكلمات أكثر ملاءمة رغم ما فيها من مدرسية

(٤٥) انظر :

Sigmund Freud, *The origins of psychoanalysis: letters to Wilhelm Fliess, drafts and notes, 1887-1902*, Marie Bonaparte, Anna Freud and Ernst Kris (eds.), Eric Mosbacher and James Strachey (trans.), Garden City, ny: Doubleday, 1954, p. 224.

(٤٦) انظر : Goethe, *Wilhelm Meister*, p. 146.

(٤٧) انظر :

Friedrich Schlegel, *Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991, p. 53.

وغلظة مثل التجانس والتناسب ووحدة موضوع الاهتمام." ومن هذه المصطلحات الجديدة خرجت فكرة كوليردج عن الفرق بين "صنعة الموهبة الآلية" و"القوة الخلاقة للعبقرية الملهمة"<sup>(٤٨)</sup>

وقد انتقد النقد الكلاسيكى الجديد شكسبير لعدم اتباعه للوحدات، ولكن مسألة "الكل" مسألة مختلفة عن "الوحدة". وكما يقول هيردر فى النص الأساسى الذى يعبر عن موقف الرومانسية الألمانية من شكسبير: "فى حين يسود فى مسرح سوفوكليس وحدة الحدث المفرد، نجد لدى شكسبير سعياً إلى الحدث فى كليته." والاختلاف هو أن سوفوكليس "يعزف على نغمة واحدة أساسية"، ولكن شكسبير على العكس من ذلك "يستخدم كل الشخصيات والحالات ودروب الحياة التى يحتاجها فيما يشبه التوزيع الموسيقى لعناصر العمل المسرحى."<sup>(٤٩)</sup> و"التوزيع الموسيقى." هو ما سيطلق عليه فى نظريات النقد اللاحقة "تعدد الأصوات" (البوليفونية) فى مقابل "آحادية الكلمة" (المونولوجيك) عند الكلاسيكيين.

وقد نجح أ. ف. شليجل وكوليردج فى تنمية وتطوير معيار الكل على نحو مؤثر باستخدام استعارة الكيان العضوى. فيعارض كوليردج ما بين "الانتظام الآلى" و"الشكل العضوى":

يكون الشكل آلياً عندما نفرض على أى مادة شكلاً جاهزاً مسبقاً، لا يخرج بالضرورة من خواص المادة نفسها مثلما هى الحال مع كتلة طينية لينة نصوغها على الشكل الذى نريدها أن تحتفظ به عندما تجف. أما الشكل العضوى على العكس من

(٤٨) انظر: Foakes, ed., *Lectures 1808- 1819*, II: 362.

(٤٩) انظر:

Johann Gottfried Herder, 'Shakespeare', Joyce P. Crick (trans.), in J. Bate (ed.), *The Romantics on Shakespeare*, p. 41.

والأصل الألمانى للترجمة: الصوت المؤكتر *concerted sound* هو 'Hauptklang seines Konzerts' فى: J. G. Herder, *Von der Urpoesie der Völker*, Konrad Nussbächer (ed.), Stuttgart: Reclam, 1969, p. 27.

ذلك فيكون أصيلاً ويطور نفسه من داخله ويتطابق امتلاء تطوره مع كمال شكله الخارجى. وهكذا تكون الحياة وهكذا يكون الشكل.<sup>(٥٠)</sup>

ومثل هذه القوة العضوية هي قوة "الطبيعة، الفنان الأول والعبرى" و"شكسبيرنا" هو شخصياً الطبيعة فى شكل إنسان" و"فهمه العبرى" يخلق مع "قوة واعية بذاتها وحكمة ضمنية أكثر عمقا من الوعى". يملك شكسبير إذن بصفته قوة مثل قوى الطبيعة، قانوناً خاصاً به يجب دراسته والتعلم منه مثلما نفع مع قانون الطبيعة.<sup>(٥١)</sup> فعلى عكس نقاد الكلاسيكية الجديدة والذين أدانو شكسبير بسبب جموحه ومخالفته للقواعد، يؤكد كوليردج أن "العبرى" لا يجب ولا يمكن أن تكون "بغير قانون

(٥٠) انظر: Foakes, ed., *Lectures 1808-1819*, I: 495.

وقد حنفت من هذا الاهتمام الكلمات التى شطبها كوليردج فى مخطوطته والتى يبقى عليها فواكس فى نسخته. وفى هذه الفقرة يعيد كوليردج كتابة نص لشليجل من محاضرات فيينا: "يعتبر الشكل ميكانيكياً عندما ينقل، بقوة خارجية، إلى مادة ما باعتباره إضافة عرضية وحسب وبدون الإشارة لطبيعته؛ مثلما نعطي شكلاً معيناً لكثلة لينة فتحفظ بها بعد زمن. أما الشكل العضوى فهو متأصل فى الشيء نفسه، فهو ينمو من الداخل ويكتسب محدداته بالتوازي مع نمو البذرة إلى كمالها".

(A. W. Schlegel, *Course of lectures*, p. 340)

وقد نشرت فقرة كوليردج لأول مرة بعد وفاته فى

*Literary remains*, Henry Nelson Coleridge (ed.), 4 vols., London: W. Pickering, 1836-9.

وقد أسقط عنها الإشارة الموجودة فى المخطوط إلى "الناقد الأوربي"، ونجد هنا إحدى الحالات العملية للجدل حول شخصية كوليردج النقدية وإنجازه: فهل كان مؤلفاً أصيلاً أم قام بسرقات أدبية؟ وهذا الجدل يتضمن عمل رينيه وبلك الذى يقدم تقليلاً من شأن كوليردج يكاد يقضى على قيمته وإن كان عادلاً:

René Wellek, *A history of modern criticism*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, vol. ii, esp. pp. 151-57.

وكذلك إعادة التصور المهم التى يقدمها توماس ماكفارلاند Thomas Mc Farland فى الفصل الأول من

*Coleridge and the pantheist tradition*, Oxford: Clarendon Press, 1969.

وكذلك بيان المدعى الحماسى

Norman Fruman, *Coleridge, the damaged archangel*, New York: Braziller, 1971.

وعملية الإنقاذ التى يحاول القيام بها محرورو الأعمال الكاملة لكوليردج وخصوصاً

Bate and Engell in the *Biographia and foakes in the Lectures 1808-1819*, esp. I: lx-lxiv.

(٥١) لتتبع هذا الموضوع على نطاق أوسع انظر:

M. A. Abrams, *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, Oxford university Press, 1953, on 'The poem as heterocosm', pp. 272-84.

يحكمها"، لأن كل "عمل من أعمال العبقرية الحقّة" ينجز "الشكل المناسب له". وتعريف العبقرية نفسه هو القدرة على الفعل الإبداعي طبقاً لقوانين تبتدعها هي.<sup>(٥٢)</sup> وقد قام المنظرون الرومانسيون في سياقات مختلفة باستخدام تلك القدرة التي طالما أطلق عليها الاستقلال الذاتي لوصف العمل أو المؤلف أو ثقافة الأمة أو "روحها" وأيضاً لوصف الأفراد.

وبهذا المنطق لا يكون بالإمكان معرفة مسبقة بما سنجده في أعمال شكسبير أو في أعمال غيره من العباقرة؛ إذ يجب علينا أن نتعلم من العمل. وبذلك يتحول معنى أحد أهم المصطلحات وهو "الطبيعة". فبالنسبة لصموئيل جونسون كانت عظمة شكسبير تكمن في أنه "يعتبر أكثر من أي كاتب آخر، أو على الأقل أكثر من أي كاتب حديث، شاعر الطبيعة". ولكن هذا كان معناه أن شكسبير أكثر من أي شخص آخر "يحمل مرآة يرى من خلالها القارئ صورة صادقة للحياة ولتصرفات البشر".<sup>(٥٣)</sup> فالطبيعة هنا هي طبيعة الأشياء الموجودة بالفعل، ما ندرکه من خبرة ومشاعر إنسانية. ولكن بالنسبة لكوليردج على العكس من ذلك فالطبيعة قوة تشكيل في حالة تطور فعالة:

من أين يأتي التناغم الذي نجده جلياً في أكثر المناظر الطبيعة برية؟ ذلك الكائن في الأشكال المتناسبة للصخور، في تناغم الألوان في المروج، ونباتات الخنشار والأشنة، وأوراق أشجار الزان والسنديان، وسيقان أشجار البتولا وغيرها من الأشجار الجبلية ولون أغصانها البني الداكن، واختلافها... بين الخريف والعودة في الربيع؟ كلها نتاج قوة واحدة تعيد تشكيلها من داخل في كل عنصر من عناصرها. إذن... هذا هو التميز الفريد لدراما شكسبير.<sup>(٥٤)</sup>

(٥٢) انظر: Foakes, ed., *Lectures 1808- 1219*, I: 494-5.

(٥٣) انظر: Sherbo, ed., *Johnson on Shakespeare*, p. 62.

(٥٤) انظر: Foakes, ed., *Lectures 1808- 1819*, II: 362.

وهناك تراث طويل يرى الطبيعة على أنها الكتاب الذى وضع الله فيه تعاليمه،<sup>(٥٥)</sup> وتمتد المقارنة بين قوة شكسبير وبين قوى الطبيعة التى خلقها الله، لتشمل أيضاً مقارنة نصوص شكسبير بكتاب الله - الإنجيل - من حيث هو تعبير عن قوى داخلية لا مثيل لها تستدعى تفاسير لا نهائية.<sup>(٥٦)</sup>

لقد عرف فريدريك شليجل "النص الكلاسيكى" (الذى لا يستخدم هنا بمعناه المقابل للرومانسية) باعتباره ذلك الذى "لا يجب أن يكون قابلاً للفهم". فمثل هذا النص يتطلب عملية تأويل مستمرة، بل ويحث عليها ويهيب ثماراً: "وعلى المتقّف، وكل من يسعى لتتّيف نفسه أن يحمل رغبة فى تعلم المزيد من ذلك النص".<sup>(٥٧)</sup>

وقد اعتبر فريدريش شليجل اختيار جوته لمسرحية هاملت فى عمله المتميز فيلهلم مايستر دليلاً على العلاقة الوثيقة بين مسرح شكسبير والرواية. فكلاهما على حد تعبير شليجل "رومانسى"، وهى العلاقة التى يسهل إقامتها فى اللغة الألمانية حيث الكلمة *romantisch* صفة مشتقة من كلمة رواية (*Roman*)، وهى نفس الكلمة المستخدمة فى مصطلح رومانسى.<sup>(٥٨)</sup> وفى إحدى شذرات شليجل يربط ما بين المسرح والرواية بطريقة تأخذنا مباشرة إلى حديث فيلهلم مايستر عن مسرحية هاملت:

إن العديد من الروايات العظيمة تحمل خلاصة موسوعة الحياة الروحية لإنسان رائع. والأعمال التى تتميز بهذه الخاصية، حتى لو تم تقديمها فى قالب مختلف تماماً مثل مسرحية ناثن (يقصد مسرحية ناثن الحكيم التى كتبها ليسينج)،

(٥٥) انظر:

Ernst Robert Curtius, *European literature and the Latin Middle Ages*, Willard R. Trask (trans.), New York: Harper and Row, 1963, chapter 16, 'The book as symbol', esp. pp. 319-26 on 'The book of nature'.

(٥٦) عن تعدد المعانى الرومانسى\* عند شليجل وعلاقته بتراث تأويل الكتاب المقدس انظر:

Abrams, *Mirror and lamp*, 239-41.

(٥٧) انظر: Schlegel, *Philosophical fragments*, p. 2.

(٥٨) لمعالجة مرجعية فى التاريخ المعقد للكلمة وعلم الدلالة لكلمتى *Roman* و *romantisch* والتى لا أدعى استيعابها كاملة انظر:

Hans Eichner, *Friedrich Schlegel*, New York: Twayne, 1970, pp. 48-54



تحمل صبغة روائية. بل إن كل إنسان مثقف وكل من يسعى لتتقيف نفسه يحمل في داخله رواية.<sup>(٥٩)</sup>

وفي رواية فيلهلم مايستر تحملنا التأملات حول مسرحية هاملت إلى مناقشات أوسع حول النوع الأدبي. فتنتم مقارنة الروايات بالمسرح ففي حين الروايات "يغلب عليها المشاعر والحدث" فإن المسرح "يقدم الشخصية والفعل". وعلى عكس البطل الفاعل في المسرح "يجب أن يكون بطل الرواية سلبياً". أو على الأقل يقوم بشيء من "التنبيط" بشكل ما. ويمكننا، انطلاقاً من هذه المعرفة القيمة أن نعود لهاملت في محاولة لتطبيق هذه الأفكار لنجد أن "البطل... لا يملك بالفعل سوى مشاعره، والأحداث الخارجية هي الفاعلة في تأثيرها عليه. وبالتالي فإن المسرحية تحمل بعداً من أبعاد الرواية."<sup>(٦٠)</sup>

وحيث نتعلم من شكسبير ونقوم بعملية التأويل الدائمة له، مثلما نفعل مع الكتاب المقدس، فإننا لا نصل لحقيقة عامة كلية، بل نصل إلى شيء متفرد، شيء خاص للغاية. ويمكننا مرة أخرى توضيح الفكرة بجلاء من خلال مقارنة جونسون في ١٧٦٥ وهيردر في ١٧٧١. فيرى جونسون أن شخصيات شكسبير "لا تتشكل طبقاً لتقاليد مكان معين". ولكنها تنتمي "للإنسانية عامة والتي ستظل موجودة في العالم". وهو ما يعني أن "شخصيات شكسبير تتصرف وتتحدث بوازع من تلك المشاعر والمبادئ العامة التي تحرك كل العقول". فيخلق معظم الكتاب "شخصيات في أغلبها أفراد" في حين تصبح الشخصية في مسرحيات شكسبير "عادة نوعاً بشرياً."<sup>(٦١)</sup> إنه مما يحسب لشكسبير "أن قصصه تتطلب شخصيات رومانية أو ملوك ولكن تفكيره ينصب على الإنسان."<sup>(٦٢)</sup>

(٥٩) انظر: Schlegel, *Philosophical fragments*, p. 10.

(٦٠) انظر: Goethe, *Wilhelm Meister's apprenticeship*, p. 186.

(٦١) انظر: Sherbo, ed., *Johnson on Shakespeare*, p. 62.

(٦٢) المرجع السابق p. 65.

أما هيردر فيرى أن اختلاف ظروف الحياة لا يعنى فقط اختلاف الشخصيات الفنية، ولكن اختلاف مجمل جماليات ثقافة ما عنها فى ثقافة أخرى. فسوفوكليس لا يمثل الدراما الكلاسيكية فحسب، بل يمثل مجمل طريقة الحياة الإغريقية، كما يمثل شكسبير طريقة حياة "الشمال". فإذا لم يكن عالم الشمال، بالمقارنة بالعالم الإغريقى، يقدم مثل تلك "البساطة فى ظروفه التاريخية والتقاليد والحياة الأسرية والسياسية والدين"، فإن المسرح الشمالى بدوره لن يظهر أى من هذه البساطة. "فالعالم" المختلف سوف "يخلق مسرحه من تاريخه الخاص وروح عصره وأعرافه وآرائه ولغته واتجاهاته الوطنية وتقاليدته وأشكال ترفيهه حتى لو كان ذلك عروض هزليات الكرنفالات أو مسرح عرائس".<sup>(٦٣)</sup> فبما أن شكسبير لم يجد شيئاً يماثل بساطة الشخصية القومية الإغريقية فإن أعماله بنيت بدلاً من ذلك من تعدد الطبقات وطرق الحياة والمواقف والأمم وطرق الحديث.<sup>(٦٤)</sup> فقد وجد جونسن فى شكسبير عنصراً إنسانياً بالأساس ولكن هيردر فهمه على أنه ابن بيئته. فالعمل نفسه ينطلق من هذه التفاصيل اللصيقة بالبيئة ليبنى "كلأً شعرياً رائعاً"، وهذا هو تفردّه.<sup>(٦٥)</sup> وهنا نجد مرة أخرى مكانة "الكل" - التى تعد ثرية - أعلى من المعيار السابق - معيار "الوحدة" - والذى تنقص قيمته لما فيه من تبسيط.

أحياناً كان يتم السكوت عن بعض أثر شكسبير على النقد الرومانسى؛ إذ كان النقد الرومانسى قادراً على كشف العناصر العادية والمستهلكة فى شكسبير. فعندما يعلن كوليردج بفخر "أن مسرحية هاملت أو بالأحرى شخصية هاملت نفسها كانت مصدر الحدس والتقديم الذى دفعنى أول مرة إلى النقد الفلسفى وأدى بشكل خاص إلى استبصارى العميق لعبقرية شكسبير"،<sup>(٦٦)</sup> ولاحظ أنه من المحيط أن نعلم من شكسبير أنه فى مسرحية هاملت كان "يريد أن يضرب مثلاً للضرورة الأخلاقية لضبط

(٦٣) انظر: Herder, "Shakespeare", p. 40.

(٦٤) المرجع السابق p. 41.

(٦٥) المرجع السابق p. 41.

(٦٦) انظر: Foakes, ed., Lectures 1808- 1819, II: 293.

التوازن بين اهتمامنا بالأهداف الخارجية وتأمّلنا للأفكار الداخلية؛ ضبط التوازن بين عالم الواقع وعالم الخيال.<sup>(٦٧)</sup>

أما الملمح الآخر المهم والمميز لكثير من النقد الرومانسى فقد كان حاجة النقد نفسه أن يصبح شعرياً. وكان فريدريك شليجل أكثر الشخصيات التى قامت بالتتظير لهذه الفكرة، كما كان هو نفسه واحداً ضمن كتاب عديدين فى تلك الفترة قدموا - نثرًا - كتابات نقدية بديعة. وهنا أحد شعاراته لهذا المنظور: لا يمكن نقد الشعر إلا عن طريق الشعر. فلا حقوق مدنية فى مجال الفن لأحكام نقدية تصدر على عمل فنى ما لم تكن هى نفسها عملاً فنياً.<sup>(٦٨)</sup>

ومن هذا المنطلق يمتدح شليجل مناقشة جوته لمسرحية هاملت فى روايته فيلهلم مايستر لأنها "ليست نقداً بقدر ما هى شعر راق".<sup>(٦٩)</sup> ويتساءل "ما الذى يمكن أن يخرج للوجود غير قصيدة عندما يقوم شاعر ممتكاً زمام قدراته بتأمل عمل فنى وتمثيله داخل عمله الفنى؟" وهذه الكتابة النقدية الشعرية "لا تنشأ فقط لأن الناقد يفترض ويؤكد أشياء تتجاوز ما هو واضح فى العمل"، ولكن شليجل يرى أنه على النقد أن يقوم بما هو أكثر من ذلك "لأن كل عمل عظيم... يحمل قدرًا من المعرفة أكبر مما يظهره قولاً"، وهو ما يكون على الناقد أن يشرحه تفصيلاً. إنما يكمن المدخل للنقد الشعرى بالنسبة لشليجل فى العلاقة الشكلية لذلك النقد بالعمل المنقود. فالإجزاء التحليلية للنقد الشعرى سوف يقسم كلية العمل موضع المناقشة إلى أجزاء ومجموعات متمفصلة، ولكنه لن يحلها إلى مكوناتها الأصلية، "لأن المادة الخام بدون العمل نفسه تتحول إلى أشياء ميتة". ولكوليردج رأى مماثل فى وصفه للخيال الثانوى الذى "يذيب وينشر ويفرق لكى يعيد الخلق من جديد"، وبذلك يكون حيويًا. فى حين أن "الأشياء كلها (بما هى أشياء) فى جوهرها ثابتة وميتة".<sup>(٧٠)</sup> وبالنسبة لشليجل

(٦٧) المرجع السابق 539: I.

(٦٨) انظر: Schlegel, *Philosophical fragments*, p. 14.

(٦٩) كل الاقتباسات المأخوذة عن شليجل فى هذه الفقرة من 'On Goethe's Meister', p. 69.

(٧٠) انظر: Bate and Engel, eds., *Biographia literaria*, I: 304.

تقوم "الوحدة الحية" للعمل الفنى بتحويل العناصر التى تأخذها من "العالم الخارجى" بحيث تنقطع صلتها بمصدرها الأول ولا يعود بالإمكان إرجاعها إلا للدور العضوى الجديد الذى تلعبه فى التأليف الشعرى. وهى نظرية نقدية تعتمد السياق لا المرجعية أساساً لها، وقد كان صداها قوياً عند النقد الجديد فى أمريكا فى أواسط القرن العشرين. ولكن على عكس "النقد الجديد" الذى حدد دوره بتواضع فى خدمة القصيدة، أراد شليجل الاعتراف بما للناقد من طموح فنى لا يقل عن غيره، حتى وهو يسعى لامتداح العمل الذى ينطلق منه العمل النقدى الجديد. لقد عمل فريدريك شليجل بجدارة على بث الحيوية فى مصطلح رومانسية، مثلما استطاع شكسبير، عن جدارة أيضاً، أن يستثير فكر شليجل حول الرومانسية. لقد كان المصطلح إشارة إلى تقابل بين اللغات الدارجة الحديثة من جرمانية ورومانسية (أى الناشئة عن اللاتينية)، وبين اللغات القديمة: اللغتين الإغريقية واليونانية القديمة؛ وبين الثقافات الشمالية المسيحية والثقافات الجنوبية الوثنية، ولكن شليجل أضاف بعداً آخر مهماً لمصطلح الرومانسية يتمثل فى العناصر النثرية غير الشعرية و"المثيرة للاهتمام" و"المثيرة فى تضاد مع النقاء الشامل المرتبط بالكلاسيكية.

وقد انطلق أثر شكسبير - منذ وقت مبكر يرجع ربما إلى مقال شليجل "حول دراسة الشعر اليونانى" ١٧٩٥، مرتبطاً بفهم شليجل لأدب عصره متمثلاً فى جوته. (٧١) "فالمأساة الجمالية"، ذلك الإنجاز الإغريقى، تجد "تقيضها التام" فى "المأساة الفلسفية" للعصر الحديث والتى تعتبر الشكل الأرقى بمعيار الشعر "النموذجى". والمأساة الجمالية تقف "بنقائنها" على النقيض من المأساة الحديثة بما فيها من "عدم تناغم يشكل "حقيقتها". ولتوضيح هذه الفكرة عن المأساة الفلسفية يستشهد شليجل "بأحد أهم النصوص التى تتجلى فيها الخصائص "النموذجية" للشعر الحديث" وهى مسرحية هاملت. فعلى عكس أولئك الذين يمتدحون فى ذلك العمل

(٧١) الاقتباسات الواردة فى هذه الفقرة والفقرة التالية مأخوذة عن:

Friedrich Schlegel, 'On Hamlet and Faust as philosophical tragedies', translated by Cyrus Hamlin from 'On the study of Greek poesy', in Hamlin's Norton Critical Edition of Johann Wolfgang von Goethe, *Faust*, New York: Norton, 1976. pp. 435-7.

فقرات بعينها، يؤكد شليجل على "اتساق" العمل، ويؤكد كذلك على أن "أساس هذا الاتساق" لا يظهر جلياً ولكنه "عميق ومستتر". ويرى شليجل فى "شخصية البطل" "مركز الكل". إذ يجسد انقسام هاملت على نفسه "تمثيلاً مثاليًا فى نزاع غير قابل للحل وهذا هو الموضوع الحقيقى للمأساة الفلسفية".

ويقرر شليجل أن شكسبير هو الشخصية التى "تجسد تمامًا وبوضوح روح الشعر الحديث"، وهو فى عديد من الجوانب الحاسمة "استبقت تطورات عصرنا الحالى". والملاحم التى يتصف بها شكسبير والكتابات المهمة فى عصره يحددها شليجل فى "معين لا ينضب من العناصر الجديدة بالاهتمام؛" و"عواطف جياشة؛" و"الحقيقة التى لا تبارى لنموذجية الشعر" وأخيرًا "الفرد والابتكار الفريد". ثم يقيم شليجل حوارًا بين مسرحية هاملت وشذرة من ورية فاوست لجوته نشرها فى ١٧٩٠، ويرى شليجل أنها لو اكتملت لتفوقت على شكسبير. وفى العام التالى احتوت رواية جوته الجديدة مناقشة لمسرحية هاملت تحمل كثيرًا من روح شليجل نفسه. لقد ظل هذا التفسير الذى كتبه جوته لمسرحية هاملت مخطوطاً لمدة عشر سنوات على الأقل، وهو ما يدل على مدى الأثر الذى أحدثه شكسبير على الثقافة عامة بطرق لا يمكن قياسها بمقياس التأثير البسيط.

وفى هذه المناقشة لشكسبير يكمن جوهر التصور الذى يطرحه شليجل فى مفهوم الكل المكون من "أصوات متنافرة". وهو ما رآه العديد من كبار منظرى الرواية فى القرن العشرين الذين تتلمذوا على التراث الألمانى لعلم اللغة وعلم الجمال الذى عمل شليجل على تأسيسه، ومنهم ميخائيل باختين وجورج لوكاتش، اللذان رأيا فى الرواية أساسًا نوع يتميز بصورة التعامل مع تنافر الأصوات وبناء نفسه من خلال هذا التنافر<sup>(٧٢)</sup>. وكما نرى فإن شليجل يضع شكسبير فى قلب تعريفه لما هو "حديث"

(٧٢) حول شليجل وباختين انظر:

Tzvetan Todorov, *Mikhail Bakhtin: the dialogical principle*, Wlad Godzich (trans.).

Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1984. pp. 86- 87.

وحول شليجل ولوكاتش انظر:

Peter Szondi, *On textual understanding and other essays*, Harvey Mendelson (trans.).

Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1986. pp. 63. 82.

ورومانسي" في ذات الوقت. ويرى شليجل أن "الوتر الثلاثي العظيم للشعر الحديث" يشكل نواة أي "مختارات نقدية من روائع الشعر الحديث" وهي "شعر دانتي المنتمى للفلسفة المتعالية"، و"شعرية جوته الخالصة" ويضع شليجل "في قلب الفن الرومانسي" "شكسبير".<sup>(٧٣)</sup> ويميز شليجل في كتابه حوار حول الشعر بين أعمال زمنه وأعمال "المحدثين الأقدم" مثل شكسبير وسرفانتس، فيرى أن هؤلاء المحدثين الأقدم رومانسيون أكثر من أي فنان آخر، وأن شكسبير يشكل "مركز الخيال الرومانسي ونواته الحقة".<sup>(٧٤)</sup> والخيال الرومانسي يجمع ما بين السعي إلى أعلى درجات التركيب والتشئت من خلال المفارقة العميقة؛ وهو الأسلوب الذي أطلق عليه شليجل سابقاً "تأفر الأصوات".

وفي ١٨٠٠ كتب شليجل مقالاً في التأمل الذاتي بعنوان "حول الاستعصاء على الفهم" يعلق فيه على صيغ المفارقة في مقالاته وشذراته في السنوات القليلة السابقة، ويحذر من الإفناء الذاتي "لمفارقة المفارقة". ويتساءل "أي آلهة ستتقذنا من كل هذه المفارقات؟" ولكنه يتخلى عن الأمل في إيجاد "مفارقة بمقدورها أن تبطل كل هذه المفارقات الكبيرة والصغيرة" وبالتالي تتخلص منهم. فالمفارقة كما يرى شليجل أكثر أهمية وتعقيداً من أن يتم تجنبها: "المفارقة شيء لا يمكن ببساطة أن نعبث ونلهو به" وقد يبقى أثرها الهائل لأمد طويل. "فحتى بعد "مئات السنوات من موتهم"، يظل "أكثر الفنانين وعياً" قادراً على التأثير بمفاراته على "أتباعه ومعجبيه". والكاتب الوحيد الذي يأتي ذكره في هذه المناقشة للمفارقة هو شكسبير؛ لأنه هو "الذي يملك من العمق والعدة الفنية والمقاصد ما لا نهاية له"، وبذلك يقع "أذكى فناني العصور اللاحقة" في فخ "المصائد الخفية لأعماله".<sup>(٧٥)</sup> ولكن تتأفر الأصوات في المفارقة هو

(٧٣) انظر: Schlegel, *Philosophical fragments*, p. 52.

(٧٤) انظر:

Friedrich Schlegel, 'Letter about the novel', in Wheeler (ed.), *German aesthetic and literary criticism*, p. 77.

(٧٥) كل الاقتباسات حتى هذه النقطة من الفقرة مأخوذة عن:

Friedrich Schlegel, 'on incomprehensibility', in Wheeler, ed., *German Aesthetic and literary Criticism*, p. 37.

نفسه جزء من ذلك المشروع الذى يتصور شليجل أنه مشروع لإضفاء الشمول: "إن تاريخ الشعر الحديث بأكمله هو تعليق ممتد على النص الفلسفى القصير التالى: يجب على الفن كله أن يصبح علماً وعلى العلم أن يصبح فناً؛ يجب أن يتوحد الشعر والفلسفة."<sup>(٧٦)</sup> ومن الأهمية بمكان إدراك أن الكلمة الألمانية التى نترجمها بعلم science وهى Wissenschaft تعنى "تظاماً من التفكير والتعلم" ولا يقتصر استخدامها كما فى الإنجليزية اليوم على العلوم الرياضية والتطبيقية.

ومن نصوص شليجل التى يتم الرجوع إليها كثيرًا تلك الشذرة ١١٦ من Athenaeum التى تتخذ من "الشعر الرومانسى" بالمعنى الواسع موضوعاً لها.<sup>(٧٧)</sup> يسعى الشعر الكلاسيكى "للكمال"، وبالتالى فهو محدود بذلك، أما الشعر الرومانسى فأفقه "لا نهائى" وهو لذلك "حر". إنه النوع الوحيد من الشعر الذى يتجاوز مجرد كونه نوعاً؛ فهو النوع الأدبى الذى يتجاوز الأنواع الأدبية لأنه وإن كان "تقدماً" فهو أيضاً "شامل" وبالتالى يتخطى الثبات وجوانب القصور. فى هذه الشذرة يلخص شليجل أفكاره من تلك الفترة الغنية من الإبداع النظرى، وتتردد فيها نفس الكلمات الواردة فى مناقشته لشكسبير: "جمع وتوحيد كل أنواع الشعر المتفرقة وافتتاح الشعر على الفلسفة والبلاغة"، و"مزج وتوحيد الشعر والنثر، الإلهام والنقد، الشعر فى الفن والشعر فى الطبيعة". وهذا النوع من العمل "يمكن أن يفقد نفسه فيما يصفه لدرجة أن يتصور المرء أن هدف العمل هو تمييز الأفراد المنشغلين بالشعر من كافة الأصناف، ومع ذلك فليس هناك إلى الآن شكل من الكتابة يمكن من خلاله التعبير عن روح كاتب ما فى مجمله". فهو يمزج، "مثل الملحمة"، قدرة هائلة للمحاكاة؛ وتشكل "مرآة للعالم المحيط بأكمله وصورة للعصر"، ولكن عدتها من المرايا متعددة. وبالتالى فالشعر الرومانسى "أكثر من أى شىء آخر" يستطيع "التأرجح فى منتصف الطريق بين ما يتم تصويره وبين ما يقوم بالتصوير... على جناحى التأمل الشعرى". هذه القدرة على

(٧٦) انظر: Friedrich Schlegel, *Philosophical fragments*, p. 14.

(٧٧) For Athenaeum fragment 116, see Schlegel, *Philosophical fragments*, pp. 31-2.

"رفع التأمل مرات ومرات إلى قدرة أعلى" و"مضاعفتها في سلسلة لا تنتهي من المرايا" هي كما رأينا قدرة المفارقة والتي يتميز فيها شكسبير بلا منازع.

ولم يكن شليجل يعنى شكسبير وحده ولكن عنى أيضاً الشكل الأساسى لعصره ألا وهو الرواية. فالشعر الرومانسى هو أيضاً الشعر الروائى *Romantische Poesie*. وبالتالي نجد فى وسط كتاب شليجل حوار حول الشعر مداخله بعنوان "رسالة عن الرواية".<sup>(٧٨)</sup> ويحاكى هذا التشبث بين الحوار الدائر وبين النص المكتوب الذى يتقاطع معه، يحاكى جوهر نوع الرواية. فالرواية عند شليجل هي "كتاب رومانسى". ويركز تحصيل الحاصل الواعى بذاته فى هذه الجملة بالألمانية *Ein Roman ist ein romantisches Buch* على الوسائل المادية وأثرها: باختلاف "طريقة التقم" فى الرواية عنها فى الدراما يرجع إلى أن الرواية كتبت "للقراءة" وليس للمشاهدة؛ وعندما نفكر فى كتاب إنما نفكر فى "عمل ووجود كلى"، وهنا يستبق شليجل الأساس "البلاغى" لنظرية النوع عند نورثروب فري، التى يشكل فيها النثر القصصى النوع المرتبط بالكلمة المكتوبة.<sup>(٧٩)</sup>

وهذا التميز - القوة الخاصة للأدب فى شكله ككتاب - كان أساسياً بالنسبة لكوليردج بعد ذلك بعقود فى تأمله لسبب فشل العقلية النقدية الفذة لبن جونسون فى إدراك عظمة شكسبير بالقدر الكافى من وجهة نظر كوليردج. والسبب هو أن جونسون كان يشاهد المسرحيات واحدة بعد الأخرى ويستجيب لها فى شكلها ذلك. ولكن منذ ١٦٢٣ أصبح لدينا الكتاب الذى يسمح لنا بالتفكير فى المسرحيات فى

(٧٨) انظر:

Friedrich Schlegel, 'Letter on the novel', in Wheeler (ed.), *German aesthetic and literary criticism*, quotations in this paragraph from p. 78.

والجملة بالألمانية من:

Friedrich Schlegel, *Charakteristiken und Kritiken I (1796-1801)*, Hans Eichner (ed.), Munich: Schönningh. 1967, p. 335. This is vol. ii of Ernst Behler (ed.), *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*.

(٧٩) انظر:

Northrop Frye, *Anatomy of criticism: four essays*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1957, esp. pp. 246-8.



علاقتها المتبادلة وبالتالي "تكوين فكرة صحيحة عن العقل الجبار الذي أنتج هذا العمل في مجمله" (٨٠).

ويختلف شليجل مع من يرون الملحمة كمصدر وحيد للرواية. فبسبب "توليقاته" المميزة لمختلف الأشكال فإن الدراما الشكسبيرية هي "الأساس الحقيقي للرواية" (٨١) فبالنسبة لشليجل لا بد لنظرية الرواية الحقة "أن تكون هي نفسها رواية"، وعلى صفحاتها "يدخل شكسبير في حوار حميم مع ثرفانتس" (٨٢).

لقد كان شكسبير وراء التجديد الجذري الذي حققه هيرمان ميلفيل في روايته موبى ديك، (٨٣) بنفس القدر الذي كان فيه شكسبير النموذج في المثال الذي اختاره شليجل: رواية فيلهلم مايستر عند "تأمل نموذج عظيم". ففي خضم كتابته لروايته موبى ديك يسجل ميلفيل لقاءه بالعظيمة الأدبية في حالتين، رأى الدراسون أنها كانت السبب في صياغة تصور جديد عن العمل الذي كان قد بدأه بحيث يستكمله على مستوى أكثر تعقيداً وأكثر طموحاً. وقد كان مستغرقاً في قراءة نهمة لنسخة اقتناها حديثاً من أعمال شكسبير (موجودة حالياً في مكتبة هوغتون بهارفرد) وكان حجم حروف طباعتها كبيراً يناسب نظره الضعيف. (٨٤) وتظهر ثمار هذه القراءة في رسائله، ثم لأول مرة في شكل مطبوع في مقالة "هوثورن وملهمات الفن" (١٨٥٠)، وهي عرض نقدي لأعمال ناثانيال هوثورن والذي أهدى إليه رواية موبى ديك عند صدورها في ١٨٥١. ويدخل ميلفيل في مدحه البالغ لهوثورن ليشارك في نسيج

(٨٠) انظر:

H. J. Jackson and George Whalley (eds.), *Marginalia*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1992, iii: 187; volume xii in Kathleen Coburn (ed.), *Collected works of Samuel Taylor Coleridge*.

(٨١) انظر: Wheeler, ed., *German aesthetic and literary criticism*, p. 78.

(٨٢) المرجع السابق p. 79.

(٨٣) المناقشة المرجعية لرواية موبى ديك وشكسبير نجدها في:

F. O. Matthiessen, *American Renaissance: art and expression in the age of Emerson and Whitman*, Oxford University Press, 1941, pp. 405-67.

(٨٤) توجد نسخة من ملاحظته مع التعليق عليها في:

*Moby-Dick or the whale*. Harrison Hayford, Hershel Parker and G. Thomas Tanselle (eds.), *Writings of Herman Melville*, Evanston: Northwestern University Press, 1968-, vi: 955-70.

الكتابات الرومانسية عن شكسبير. فيمضى المقال في مقابلة النص وخشبة المسرح، والحديث عن الحاجة لتأويل يعطى العمل حقه، والإحساس بأن شكسبير لا يقوم بتأكيد ما نعرفه عن الحياة بقدر ما يقدم معرفة جديدة متفردة. ويستمد ميلفيل أفكاره وبخاصة من قراءته لفصل "البطل كشاعر" في كتاب توماس كارليل حول الأبطال وعبادة البطل والبطولة في التاريخ (١٨٤٠)<sup>(٨٥)</sup> وهو العمل الذى توج عشرين عامًا حاول فيها كارليل من خلال ترجماته ومناقشاته للمؤلفات الألمانية أن يغير فى جمهوره المتحدث بالإنجليزية.

وفى الفقرة الأساسية من المقال يخص ميلفيل بالمدح والتركيز، بداية، تلك الخاصة لدى هوثورن التى أصبحت مألوفة الآن، وإن لم يدركها القراء الأوائل بالقدر الكافي، وهى "ذلك السواد لدى هوثورن".<sup>(٨٦)</sup> فذلك "الغامض اللانهائى" لدى هوثورن يذكر ميلفيل بمثال شكسبير. ويعتقد ميلفيل أن شكسبير نال إعجاب جماهير المسرح "لما فى مسرحية ريتشارد الثالث من شخصيات حذباء ولما فى مسرحية ماكبث من خناجر" ولكنه حاز تقدير "الفلاسفة"؛ لأنه "أكثر المفكرين عمقاً": إنها تلك الأشياء العميقة والبعيدة الغور عنده، تلك الإضاءات الخاطفة للحقيقة الحسية لديه، ذلك السبر الخاطف السريع لعمق الواقع: إن كل هذا هو ما جعل شكسبير شكسبير". يستدعى ميلفيل هنا تيمة التفسير: "ولا يبدو أن من بين نقاد شكسبير، والقائمة اللانهائية للمعلقين على أعماله، إلا القليلين ممن تذكر أو حتى أدرك أن العقول العظيمة لا تقدم إنتاجاً يضاهيها فى عظمتها، لأن ذلك الإنتاج المباشر ما هو إلا

(٨٥) فى العلاقة ما بين ميلفيل وكارليل انظر:

Jonathan Arac, *Commissioned spirits*, New York: Columbia University Press, 1989, pp. 148-56.

(٨٦) انظر:

Herman Melville, 'Hawthorne and his Mosses', in Harrison Hayford and Hershel Parker (eds.), *Moby-Dick*, New York: Norton, 1967. Quotations in this paragraph come from pp. 541-2.

والاقتباسات فى هذه الفقرة من الصفحات 2-541 pp.

مؤشرات أكيدة على العناصر التي لم تتبلور بعد (وربما لا يمكن أن تتبلور) ولكن يمكن تمييزها بغير وضوح. ففي قبر شكسبير يقبع أكثر بكثير مما كتبه شكسبير.<sup>(٨٧)</sup>

وهنا يحاكي ميلفيل عن قرب بلاغة كارليل في "البطل كشاعر". لأن قوة شكسبير مثل قوى الطبيعة، يكتب كارليل، فإن أعماله تنمو من داخله بلا وعي من أعماقه غير المعلومة: مثلما تنمو شجرة البلوط من بطن الأرض. وتسمح هذه المقارنة لكارليل على التأكيد على "مدى المخبوء من شكسبير من أحزانه وصراعاته الصامتة التي يعرفها هو ولا يعرف غيره عنها الكثير، أشياء لا تقال أبداً، كالجنور والنسغ والقوى التي تعمل تحت سطح الأرض". ويختتم كارليل هذه الفقرة بجملة أصبحت دارجة، يتم تناقلها في دوائر أوسع بكثير من دائرة النقد الأدبي لشكسبير: "الكلام عظيم ولكن الصمت أعظم."<sup>(٨٧)</sup>

ومن خلال شكسبير يستشعر ميلفيل قوته الخاصة. أن تكون مبتكراً تكون مثل شكسبير، هو عند ميلفيل أن تكون إنساناً مكتمل الإنسانية، وبالتالي لا تكون عالمياً مجرداً ولكن محدداً بوطن. "أن تكتب كإنسان" يعنى "ضرورة أن تكتب كأمرىكى."<sup>(٨٨)</sup> بالنسبة لكارليل أيضاً فى "البطل كشاعر" الكاتب المبتكر يلعب دوراً وطنياً: من الأشياء العظيمة بالنسبة لأى وطن أن يكون لديه ناطق مفوه."<sup>(٨٩)</sup>

وقد كانت مسألة العلاقة بين شكسبير والهوية الوطنية جزءاً من صورة شكسبير الرومانسية من هيردر وما تلاه. بالنسبة للألمان فى أواخر القرن الثامن عشر مثل شكسبير البديل القوى للمعايير الأدبية للكلاسيكية الجديدة بفرنسا التى كانت سائدة قبل ذلك (فيما بعد الانتصار الإنجليزى على فرنسا فى حرب السنوات السبع)، ثم بعد ذلك فى عصر حروب الثورة الفرنسية فى ألمانيا وبريطانيا

(٨٧) انظر:

Thomas Carlyle. 'The hero as poet', in D. Nichol Smith (ed.), *Shakespeare criticism: a selection*, Oxford University Press, 1935, p. 409.

(٨٨) انظر: Melville, 'Hawthorne and his mosses', p. 546.

(٨٩) انظر: Carlyle, 'The hero as poet', p. 416.

لعب شكسبير دورًا أكبر وأكثر إثارة للجدل كنقيض للثقافة الفرنسية إلى درجة محرجة بعض الشيء كما يمكن أن نرى في لحظات مختلفة عند كوليردج، الذي اختتم إحدى محاضراته في ١٨١٣ بملاحظة أن "إنجلترا يحق لها أن تفخر بشكسبير وميلتون وبيكون ونيوتن مثلما تتباهى أيضًا ينلسون وولنجتون".<sup>(٩٠)</sup> ومثل هذا التكافؤ عمل أيضًا في روسيا في العقود اللاحقة على الحروب النابوليونية عندما سادت القيم الثقافية الألمانية، بما في ذلك شكسبير، عند المثقفين لتحل المكانة المرموقة التي ظلت طويلًا حكرًا للثقافة واللغة الفرنسية في الرقي العالمي. وفي الولايات المتحدة استخدم ميلفيل شكسبير كجزء من التزامه الديمقراطي لإحداث "تقدم جمهوري للأدب".<sup>(٩١)</sup>

وشكسبير كقضية سياسية ليس غائبًا على الإطلاق عن النقد الرومانسي، ولكنه أيضًا لا يمثل جزءًا أساسيًا منه بشكل عام. لقد كانت السياسة الواضحة في مسرحية كربولوس مستفزة لهازليت ليرى "أن لغة الشعر تقع بشكل طبيعي ضمن لغة التأثير"، لأن الخيال "ملكة محتكرة" وبالتالي "أرستقراطية".<sup>(٩٢)</sup> وهذه هي "الخطيئة الأصلية للشعر"<sup>(٩٣)</sup>. ولكنه لا يكمل هذه الدعوى المتحدية غير العادية في علاقتها بتحليله لخيال شكسبير المتدفق غير المتمركز على نفسه.

وفي المقابل يهتم كارليل بوضوح في كتابه أبطال وعبادة البطل بالصيغ المختلفة التي تمارسها السلطة (فيظهر الأبطال كشعراء وأنبياء وكهنة وملوك). والصيغ لا يمكن بالضبط تبادل مواقعها. ينهي كارليل "البطل كشاعر" بأسئلة حول علاقة الشعر بالسياسية الدولية لدول العالم. ويقارن بين إيطاليا وروسيا: فإيطاليا "متشذرة" سياسيًا ولكنها "مترابطة" قوميًا من خلال دانتي، في حين أن روسيا

(٩٠) انظر: Foakes (ed.), *Lectures 1808- 1819*, I: 546.

(٩١) انظر: Melville, 'Hawthorne and his mosses', p. 543.

(٩٢) انظر:

William Hazlitt, *Characters of Shakespeare's plays*, London: Bell and Sons. 1909, p. 50.

(٩٣) انظر: Hazlitt, 'Letter to William Gifford', p. 423.

إمبراطورية شاسعة "لم يسمع لها صوت بعد".<sup>(٩٤)</sup> (لم يكن كارليل، مثله مثل غيره من المتفقيين الغربيين في زمنه، على ما يبدو على دراية بأعمال بوشكين، الذي كان قد توفي حديثاً). أما شكسبير فهو يفعل أكثر مما يفعله دانتي، في نموذج كارليل؛ إذ إنه لا يمثل إنجلترا فقط لنفسها ولكن للعالم بأسره. ويسأل كارليل معاصريه سؤالاً يضع السلطة الثقافية في مقابل السلطة السياسية: "هل تتخلوا عن مستعمراتكم في الهند أم عن شكسبير شاعركم؟" ويرى أن المستعمرة "ستزول... يوماً ما" على كل حال، ولكن شكسبير "حي للأبد". (على الأقل، شكسبير مازال يدرس على نطاق واسع في المدارس الهندية).<sup>(٩٥)</sup> وحتى بعد فقدان بريطانيا لسيادتها السياسية على "أمريكا" استمر شكسبير بلا منازع في تلك السلطة "التي لا تهزم" باعتباره "أكثر رموز الحشد نبلاً ورقة وقوة في نفس الوقت" مما يعطيه "سيادة" ثقافية ليصبح "الملك شكسبير".<sup>(٩٦)</sup>

لقد دفع أثر شكسبير كارليل إلى تصور الثقافة باعتبارها مجالاً يمكن أن يكون أكثر سلطة من السياسية في تنظيمه للطريقة التي يعيش بها البشر بعضهم مع بعض. وهذه النظرة الثقافية للألهام الشكسبيرى هي نفسها النظرة لكثير من الأعمال التي كتبت في القرن التاسع عشر وبعده من روايات، هذه النوع "الرومانسى" الذي يتجاوز النوع الأدبي.

(٩٤) انظر: Carlyle, 'The hero as poet', p. 416.

(٩٥) انظر:

Ania Loomba, *Gender, race, Renaissance drama*, Dehli: Oxford University Press, 1992, p.

10:

"إن عدد الطلاب في جامعة ديلهى الذين يقرأون عطيل سنوياً هو على الأرجح أكبر من ذلك العدد في كل جامعات بريطانيا مجتمعة".

(٩٦) انظر: Carlyle, 'The hero as poet,' pp. 414-15.



## الفصل الرابع عشر

### مهنة النقد وأزمة جمهورية الأدب

بقلم: جون كلانشير

ترجمة: إبراهيم فتحي

إلى من يتكلم الناقد؟ ومن يستطيع أن يشغل وظيفة "الناقد"؟ هذا الفصل يستكشف أدوار رجال "الأدب" ونسائهم في العصر الرومانسي كإطار لفهم مهنة النقد الأدبي الرومانسي. وحتى بداية القرن التاسع عشر كان نقاد ومراجعو (دارسو ومعلقو) الشعر والدراما أو الرواية يعملون ضمن السياق الأوسع لعمل فئتين وثيقتين الارتباط منذ مطلع الحداثة هما الآداب الرفيعة *polite literature* وجمهورية الأدب. وأنتجت أزمة الفئتين بين ١٧٨٠ و ١٨٣٠ تغيرات في الثقافة والنقد قدر لها أن تغير بعمق وضع الأدب نفسه في القرنين التاسع عشر والعشرين. وكانت الآداب الرفيعة تضم أجناس كتابية التاريخ والفلسفة الطبيعية والفلسفة الأخلاقية والخطاب السياسي كما تضم الشعر والدراما والنقد نفسه، على حين أنها تستبعد على نحو ذي دلالة الجنس الجديد للرواية. وإذا تركزت على هذا الأساس فإن الفكرة المبكرة الحديثة لـ "جمهورية الأدب" حددت أرضاً لا توجد على أي خريطة أوروبية "مملكة مراوغة غامضة عمداً في أكثر الأحوال" كما لاحظت إليزابيث أيزنشتاين. ولكنها شكلت الفهم الذاتي للنقد الأوروبي حتى العقد الأخير من القرن الثامن عشر<sup>(١)</sup>.

وعند هذه النقطة تصير خريطة طريق المؤرخ لجمهورية الأدب أشد غموضاً وبمجيء ١٨٠٠ يبدو أن سلطانتها على تنظيم القراءة والكتابة تناقص بسرعة تضاهي سرعة تشده سمعة "رجال الآداب السياسيين" عند آدموند بيرك في جدال الثورة الفرنسية عام ١٩٧٠.

وبدلاً من وحدة مثالية من العقلانيين النقديين مغروسة في ثقافة المطبوعات الحديثة صارت جمهورية الآداب في العصر الرومانسي صداماً مريباً بين تلك "النحل والمذاهب" التي وفقاً لديفيد هيوم قد قمعتها منحصرة عليها الجمهورية الحديثة في بواكيرها. وبدلاً من المؤانسة أو التهذيب

(1) Elizabeth Eisenstein, *The printing revolution in Early Modern Europe*, Cambridge University Press, 1983, p. 99;

وفي هذا الفصل اعتمدت على بحث متسع في تاريخ جمهورية الأدب ابتداءً من إيزنشتاين حتى دينا جورمان، *The republic of letters: A cultural history of the French Enlightenment*, Ithaca, ny: Cornell University Press; Anne Goldgar, *Impolite learning: conduct and community in the republic of letters, 1680-1750*, New Haven, ct: Yale University Press, 1995; Lorraine Daston, 'The ideal and reality of the republic of letters' *Science in context* 4 (1991), pp. 367-91.

المعروفين عن جمهورية منتصف القرن الثامن عشر ساد الحياة الأدبية النزاع الأيديولوجي والهجوم الشخصي، وبدلاً من خطاب عالمي، غمرت النزعة القومية لغات النقد، وبدأت وظيفة نقدية "الأدب كرسالة في التميز من وظيفة أخرى" الأدب حرفه، وبدأ رجل الأدب الذي كان سابقاً امرئاً معتزلاً بنفسه ينظر إليه كمخلوق مستعبد للسوق. وتحول النقد النظري بعيداً عن النقد الموجه إلى جمهور على حين قسم في الوقت نفسه "رأى عام" الجماهير المتلقية التي كانت تبدو فيما سبق جمهوراً قارئاً مفرداً. ومع ذلك لم تكن حتى النهاية الظاهرية لجمهورية الأدب البورجوازية الأقدم عند منعطف القرن التاسع عشر نهاية تلك الهيئات القوية للهوية أو الممارسة الثقافية أو النقدية التي ولدتها؛ كشبكة أو طبقة من الدارسين؛ سوق للأفكار الموضوعية في المجتمع المدني، أو تشكيل للمثقفين السياسيين يدفعون نحو الإصلاح أو الثورة. وقد صارت في الفترة الرومانسية عملية إنشاء هذه المؤسسات المتباعدة المتشعبة للنقد عملية لا يمكن تفادي اتصافها بالمواجهة عندما كان على العلاقة بين النقد وجمهوره أن يعاد تحديدها في ظل شروط تاريخية وثقافية جديدة. وفي هذا الفصل سأرسم تاريخاً مختصراً لجمهورية الأدب كما فهمها المحدثون الأوائل واضعاً في الذهن صفتها المتميزة كإيمان باللعبة Illusio (وهم عالم حقيقي مكتمل) يركز ويوضح ممارسات وعلاقات واقعية، ثم انظر على مقربة أكثر إلى إعادة التفكير الرومانسية في الناقد والجمهور في الكتابات البريطانية والألمانية أثناء منعطف القرن التاسع عشر.

### ١ - "التفكير لأنفسنا": أشكال جمهورية الأدب حتى ١٨٠٠

حينما لاحظ صمويل كوليردج عام ١٨١٧ أن بيكون Bacon وهرنجتون Harrington ومكيافلي Machiaveli وسبينوزا Spinoza لا يقرأون لأن هيوم Hume وكونديلاك Condillac وفولتير Voltaire موجودون كان يلاحظ تمييزاً قديماً وإن يكن ليس جيد التذكر بين عصور التبحر الواسع erudition والاستغراق العملي Mundane في جمهورية الأدب الحديث المبكرة (Biographia literaria VI:54) وحينما أعاد المؤرخون قريبا العهد بناء التمييز تطور في القرن السابع عشر بوصفه شبكة عالمية من الدارسين ترأسوا باللاتينية عبر القنوات الدبلوماسية لغرب أوروبا. وهؤلاء الدارسون كان موقع كل فرد منهم في الأكاديميات والجمعيات المعرفية والكنائس أو الوظائف العامة المدنية كما أسهموا جميعاً بقوة في بناء الدول ذات الملكيات المطلقة في عهد لويس الرابع عشر وتشارلز الثاني. وتتصدر الموسوعات وصفهم ووضعهم في أطر يونانية أو رومانية ماداموا قد



اخترعوا تاريخاً عريقاً لأنفسهم وألقوا تقليداً كلاسيكياً بسلطة الدولة التسلطية الحديثة المبكرة. وفي هذه الأثناء شكلوا جمهوراً فيما بينهم وتبادلوا الرسائل داخل دائرة من ذوى العلم<sup>(٢)</sup>.

وبين عامي ١٦٨٣ و ١٧٢٠ كان النزاع بين القدامى والمحدثين يسم افتتاح شبكة المراسلات أمام أسواق جديدة للطباعة<sup>(٣)</sup>، وفقاً لتعريف بيير بايل Pierre Bayle شديد التأثير، ميزت الجمهورية المحدثه البازغة في الثمانينات والتسعينات من القرن السابع عشر نفسها كدولة داخل دولة كان أعضاؤها متحررين من أى التصاق بأى مؤسسات قائمة للسلطة، بانين إمبراطورية "للحقيقة والعقل" خلال النشر. وكان يمكن شن الحرب العقلية من جانب أى أحد ضد أى أحد على حين يكون "أى أحد حاكماً ورعية معاً لأى أحد آخر"<sup>(٤)</sup> على مذهب هوبز محلثاً (الإنسان ذنب للإنسان ولكن على مذهب ديكارت عالمياً) يحارب بعضنا بعضاً في الوطن ولكن نتحد فكرياً معاً في الخارج فإن جمهورية بايل الأدبية ستعلن استقلالها عن مؤسسات الدولة والأكاديمية فيما بعد عصر الإصلاح الأوروبية بواسطة صياغة شبكة سلطة فيما بين بيوت النشر والدوريات والمقاهى والصالونات في بريطانيا وفرنسا القرن الثامن عشر المبكر وويلين أواخر ذلك القرن<sup>(٥)</sup>.

وخاطبت جمهورية الأدب الآن جمهور قراء أوسع كثيراً من حلقة الدارسين الذين ترأسوا فيما بينهم سابقاً، عن طريق الخطابات.

وكانت الفكرة الجديدة الأكثر استقرازا هي أن أى واحد على وجه التقريب كان بإمكانه أن يكون ناقداً فقد تكلم جان بابتيست Jean Baptiste باسم الآخرين الكثيرين تأملات نقدية حول الشعر والتصوير "reflections Critique sur la poesie et sur la peinture (1719)"

(2) Paul Dibon, 'Communication in the republica literaria of the seventeenth century' *Respublica litterarum* 1 (1978), pp. 43-9; Martin Ultee, 'The republic of letters: learned correspondence, 1680-1720'. *Seventeenth century* 2 (January 1987), pp. 78-98.

(3) Joan DeJean *Ancients against moderns: culture wars and the making of a fin de siècle*. Chicago, il: Chicago University Press, 1997; Joseph M. Levine. *The battle of the books: history and literature in the Augustan age*. Princeton, nj: Princeton University Press, 1991.

(4) Goldgar, *Impolite learning*, p. 161; Goodman, *Republic of letters*, p. 10; Pierre Bourdieu, *The field of cultural production*, Richard Nice (trans.), Stanford, ca: Stanford University Press, 1993, p. 163.

(5) Michael Mann, *The sources of social power*, Cambridge University Press, 1986, ii: 35-41; see also, on the modern and ancient men of letters, Jerome Christensen, *Practicing Enlightenment: Hume and the formation of a literary career* (Madison, wi: University of Wisconsin Press), pp. 125-7; Goodman, *Republic of letters*, ch. 1.

وهكذا "يستطيع المرء أن يقرأ العمل لنفسه تمامًا مثلما فعل آلاف الآخرين".<sup>(٦)</sup> وفي إنجلترا احتفل الأيرل الثالث لشفستبري *third Earl of Shaftesbury* "بتلك الحرية المهيمنة والروح السامية لدى أفراد شعب الناشئة عن عادة الحكم في أعلى الأمور لأنفسهم".<sup>(٧)</sup>

وبدا أن مبدأ "التفكير لأنفسنا" يجعل من غير الضروري الاعتماد على مؤسسات رسمية أو قواعد أدبية. وقد ذكر كانط جمهوري الأدب الألمان بعد خمس وستين سنة أن "القواعد والوصفات" (القولب) هي أغلال عدم نضج دائم.<sup>(٨)</sup> وقبل تعريف كانط النقد الفلسفي بزم طويل على أنه شجاعة تحرير النفس من وصاية التقاليد كان دعاة الحداثة يحثون الكتاب والقراء على أن يفكروا لأنفسهم حتى وهم يتدافعون من أجل الموقع والامتياز داخل الجمهورية الأدبية. وقد طوقت تلك الجمهورية المترابطة - عبر مواقع وشروط متباعدة - المؤسسات البازغة للمجتمع المدني، من دور النشر إلى الصالونات والجمعيات الفلسفية دون أن تحتويها بالكامل. وفي عام ١٧٧٥ أشار كرتيان مالبشيرب *Chtetein Malesherbes* إلى الميزة الأساسية لفرنسا، فما كان عليه خطباء روما وأثينا، وسط شعب قد تجمع، وأصبح رجال الأدب وسط شعب قد تفرق.<sup>(٩)</sup>

إن جمهورية التبحر المعرفي تجمع الأراضي واسعة الأطراف التي تتحدث بالألمانية في أمة فعلية وفقًا لفريدريش نيوكلاي *F. Nicolai* وهو قائد من قادة التحرير الألماني والمحرر مدة طويلة لـ *Allgemeine Deuche Bibliothek* المكتبة الألمانية الكلية.<sup>(١٠)</sup>

وفي لندن كما سيلاحظ ويليام هازليت *William Hazlitt* فيما بعد لدينا نوع من الوجود المجرد، وجماعة أفكار ومعرفة (أكثر من اقتراب موقعي) في الاهتمامات المشتركة والزمالة الطيبة (عن أهل لندن وسكان الريف) (Writings, x11 : 77)

(6) Quoted in Klaus Berghahn. 'From Classicist to Classical literary criticism, 1730-1806', John R. Blazer (trans.) in *A history of German literary criticism*, Peter Uwe Hohendahl (ed.), Lincoln, ne: University of Nebraska Press, 1988, p. 42.

(٧) يستشهد بارييل *Barrell* بفكرة شافتسبري عن "الحكم بأنفسهم في الأمور العليا" باعتبارها حجر الزاوية لخطاب نزعة المواطنة الإنسانية المدنية، ولكن يبدو أنها كانت مشتركة لدى النقاد الفرنسيين أمثال بايل ودی بوس اللذين لم يتبنيا هذه اللغة القلورنسية عن فضيلة المواطنة، كما واصلت البقاء خلال كل الأشكال اللاحقة الليبرالية والتجارية للجمهورية الأدبية كذلك،

John Barrell. *Political theory of painting from Reynolds to Hazlitt: 'the body of the public'*. New Haven, ct: Yale University Press, 1986, p. 34

(8) I. Kant, 'What is enlightenment?' 1784, in Ted Humphrey (trans.), *Perpetual peace and other essays*, Indianapolis, in: Hackett, 1983, p. 41.

(9) Quoted in Eisenstein, *Printing revolution*, p. 94.

(10) Hans Erich Bodeker. 'Journals and public opinion: the politicization of the German. Enlightenment in the second half of the eighteenth century', in Eckhart Hellmuth (ed.), *The transformation of political culture: England and Germany in the late eighteenth century*, Oxford University Press, 1990, p. 424.

وباختلاف مع عبارة الأدب الرفيع التي تعنى ألفاظها نفسها المستوى التعليمي والامتياز الاجتماعي اللذين يحددان من الوصول إلى الثقافة الأدبية فإن لغة "جمهورية الأدب" تدعى الشمول. وفي عام ١٦٩٩ ذهب بونا فنتوري الأرجواني Bonaventure d'Argonne إلى أنها تتألف من كل القوميات وكل الطبقات الاجتماعية وكل الأعمار والجنسين كليهما<sup>(١١)</sup>. وفي الواقع كانت مواقعها الكبرى في فرنسا وهولندا وبريطانيا وألمانيا، وفيما عدا الحرفيين الذين يقومون بتشغيل المطابع كان تركيبها الاجتماعي منحصرًا في الكتاب والقراء المنتمين إلى الأرستقراطية والطبقة الوسطى، وسيتذكر كوليردج جمهوري الأدب في القرن السابع عشر أثناء عالمه المتأخر اللاحق، عالم الأدب التجاري والانشقاق السياسي والنسوة المؤلفات باعتبارهن نكوزًا من نوى الفكر الذين تشكلوا تحت وطأة انضباط شاق لعصر اشتهر بدقة البحث والاجتهاد الصارم Skatesman's Manual 1816، ومع ذلك فإن النزاع بين القدامى والمحدثين. (8 - 107 Works) يبدو أنه قد استثير هو نفسه جزئيًا على الأقل بواسطة نمو السرد القصصي الخيالي النثري وجمهورية النساء في السبعينيات والثمانينيات من القرن السابع عشر، وهو ما استثار قدامى مثل نيوكلاس بوالو إلى الدفاع عن نوى الفكر الذكور "ضد المتحذقات" (36 - 24 Precieuses Dejean, Ancients against moderns, PP. 24 - 36) وكما أوضح المؤرخون الثقافيون الجدد للطباعة أنه كان هناك إسهام مهم للنساء في صالونات وحلقات نقاش عهد لويس الرابع عشر في منتصف القرن السابع عشر. وعند منتصف القرن الثامن عشر غمر تهيذيب معرف نسويًا، وسياسة مؤانسة نسوية جمهورية أدب صالونات باريس<sup>(١٢)</sup>. ورغم حكم الصالونات بمحادثة مختلطة الجنس تجمع بين مرتبات الصالونات Salonnières والمتكلمين الأدبيين ظل من النادر للنساء أن تكون لديهن فرصة للتعبير عن آرائهن النقدية بالكتابة المطبوعة، ووجد أن "التعبير أمام العموم" تكتفه العوائق<sup>(١٣)</sup>.

وهكذا صاغت الجمهورية المتخيلة التي يحكمها الشعب في البلدان المختلفة والمسماة جمهورية الأدب زبًا مبتكرًا لبلاغة مشاركة لعبت على نحو متزايد ضد تناقضاتها الفعلية واستبعاداتها الواقعية. فالأخلاقيات العالمية أحبطت الخصوصيات العنصرية (الإثنية) والدينية عبر

(11) Writing as M. de Vigneul-Marville, *Mélanges d'histoire et de littérature*, cited in Dibon,

'Communication in the republica literaria', p. 43.

(12) Goodman, *Republic of letters*, pp. 5-7: a broader picture of women's participation in the seventeenth- and eighteenth-century versions of the literary republic appears in Elizabeth Goldsmith and Dena Goodman (eds.), *Going public: women and publishing in Early Modern France*. Ithaca, ny: Cornell University Press, 1995, pp. 1-12.

(13) Timothy J. Reiss, *The Meaning of Literature*, Ithaca, NY cornell Univ Press 1992, PP 1920 - 225 Goldemihan, going Puplic, P. 6. See also Folger Collective. Women critics 1660 - 1820.

أوروبا. وقد اقترح فريدريش جوتليب كلويشتوك F. G. Klopstock دون موارد في جمهورية التبجر المعرفى الألمانية أن التزام الجمهورية الخاص بالعقل كان "ديفاً حقيقياً" يوحد اليهود والمسلمين والبروتستانت والكاثوليك والوثنيين<sup>(١٤)</sup>.

وقد علق ديفيد هيوم بالمثل "أن صلتنا فيما بيننا كرجال أدب" هي أكبر من اختلافنا باعتبارنا ملتصقين بطوائف ومذاهب مختلفة<sup>(١٥)</sup> وسرعان ما صارت لغة قاموس بايل النضالية عرضاً مهذب الصياغة من جانب هيوم لكيف حقق فلاسفة الطبيعة والأخلاق في جمهورية الأدب غايات لم يتبأ بها أحد باعتبارها "الأحكام الموحدة لرجال صححوا وأكدوا بعضهم لبعض تلك الأحكام بواسطة المراسلات"، وبالمثل بدت شبكة الصلة الشخصية تتخطى تقسيم العمل وانعطافات الطبقة الاجتماعية. وأن يكون المرء رجل أدب معناه تبنيه مشكلة محلية أو خاصة باعتبارها مشكلة عامة أو عالمية وأن يكتب بوصفه كاتباً تعميماً متجاوزاً اللهجة المتفردة للحرفة أى بصيغة صمويل جونسون، ضد محدودية البحار والأكاديمية والمحامى والميكانيكى ورجل البلاط "الذين لهم جميعاً قالب كلام خاص بأخويتهم (رابطة عملهم)".<sup>(١٦)</sup> إن رجل الأدب وهو يقوم بالتعميم عبر حدود الطبقة الاجتماعية والمهنة تعلم صياغة مفردات واسعة "مشتركة" وغالباً بواسطة مقاومة لغات "الزمرّة" أو الحرفة الناشئة وسط المعارف الجديدة ومهن القرن الثامن عشر (Christensen, Practicing Enlightenment PP, 6, 178)

وفى المجلات الأدبية اللندنية الجديدة أثناء منتصف القرن ؛ مجلات عرض الكتب ونقدها مثل المجلة الشهرية (بدأت ١٧٤٩) والمجلة النقدية (بدأت ١٧٥٦)، تنافس هيوم وتعميميون آخرون مع دارسين مجهولين ولكنهم وفيرو الكتابة ينقلون أكثر الأبحاث جدة فى الفلسفة الطبيعية والأخلاقية وفقه اللغة. ومجلات المراجعة هذه سببت زيادة أربعة أضعاف فى نشر الكتب البريطانية مع نهاية القرن.<sup>(١٧)</sup> وفى تلك الأثناء صارت "معركة الكتب" الأقدم عهداً معركة باعة "الكتب" عندما بلورت الإنتاجية الأدبية الجديدة مسألة لم تحل منذ زمن طويل خاصة بحقوق الملكية الفكرية: ففى ١٧٤٤ ألقى قرار "دونالدسون ضد بيكيت" *Donaldson v Beckett* حقوق طبع الناشرين الأدبية

(14) Max Kirchstein, *Klopstocks deutsche Gelhrtenrepublik*, Berlin: Walter de Gruyter, 1928.

(15) *The letters of David Hume*, J.Y. T Greig (ed.) Oxford, 1930. 1 : 178 - 3.

(16) Johnson, *The idler*, no. 70, in W. J. Bate et al. (eds.), *The Yale edition of the works of Samuel Johnson*, New Haven, ct: Yale University Press, 1958-, ii: 217-20; *The Rambler*, no. 99, in *Works*, iv: 166-9.

(١٧) عن الجدال حول التأليف منفوخ الثمن انظر :

Linda Zionkowsky, 'Territorial disputes in the republic of letters: canon formation and the literary profession', *The eighteenth century: theory and interpretation* 31 (1990), pp. 3-22.

لصالح مدة مقدارها أربعة عشر عامًا. وقد امتدح كتاب كثيرون القرار كحافز لمبدأ جمهورية الأدب القائل بتشجيع التعلم" ونشر الأفكار لأنه بدا باعتباره ينتقص من احتكار الناشر لعمل الكتاب<sup>(١٨)</sup>. إلا أن القرار سرعان ما فتح خزائن الناشرين لسوق إعادة الطبع الرخيصة المريحة التي ازدهرت طوال نصف القرن القادم على حين أثار وسط رجال الأدب قلقًا جديدًا حول حقوق التأليف والمكانة في ثقافة الطباعة<sup>(١٩)</sup>. وستصير أفكار الأصالة (الابتكار) والعبقريّة على نحو متزايد مبررات لمطالب المؤلفين من حماية حقوق الملكية طوال حياة الكاتب وما بعد تلك الحياة.

وبهذه الطريقة وغيرها كان تجيير التأليف والمنافسة الحادة بين منتجي المعرفة المتخصصة قد بدا أنهما على نحو متزايد يزيلان بالتآكل استقرار جمهورية بايل الأدبية المهدبة. وقد اشتكى أوليفر جولد سميث المواطن العالمي عام ١٧٦٠ "بدلاً من أن يسمح بتسميتها جمهورية الأدب ينبغي أن يطلق عليها فوضوية الأدب" حيث يرغب كل عضو من أعضاء هذه الجمهورية المتخيلة أن يحكم ولا يوجد فرد واحد يوافق على أن يطيع وفي "بحث في التعلم المهدب " en query of Polite Learning، يستشهد جولد سميث بأزمة في جمهورية التعلم القديمة (العريقة) بدأت حينما لجأ الكتاب الرومان "المفتقرون للتجربة إلى النظرية وتخلوا عما هو مفيد للتهذيب (للتثقيف). وكما كانت الحال في العالم القديم فإن التمرس الجديد الذي ينقل بواسطة الاطلاع على ما يكتبه المراجعون في مجلتي مونثلي وكرينيكال Critical يبدو قريباً من أن يقوض المجتمع المدني وحتى السلطة السياسية في لندن، "المؤلفون الذين أشير إليهم ليسوا مبايِلين بتفكيك عرى المجتمع فحسب بل أيضاً بتفكيك عرى الممالك"<sup>(٢٠)</sup>. وصار الاختلاف بين رجال الأدب ذوي ثقافة التهذيب وأصحاب التعميم الذين اشتاق جولد سميث إلى الانضمام إليهم في إنجلترا، وبين أصحاب التخصص في دوريات مراجعة الكتب أكثر بروزاً بين المنحدرين عن "الموسوعة" في فرنسا وبدلاً من حرب بايل بين أي فرد وأي فرد آخر سينكلم لويز سيباستيان ميرسييه Louis Sebastien Mercier عن شن أشد الحروب اتقاداً بين رجال الأدب ونسائه وبين وجهاء هذا العالم" ولاحظ أن

(١٨) كما طرح جونسون المسألة مهما يكن من خلق عمل ثمين بواسطة مؤلف وصدر بواسطته ينبغي أن يفهم أنه لم يعد تحت سلطته بل ينتمي إلى الجمهور اقتبس في مارك روز

Authors and owners: the invention of copyright, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993, p. 85; see also John Feather, Publishing, piracy, and politics: an historical study of copyright in Britain. London: Mansell. 1994. p. 122. .

(١٩) عن الفرصة أمام أنواع جديدة من تشكيل التشريع Mansell, 1994, P.120 عندما فتحت أعمال كانت خضعة لحقوق الملكية أمام المختارات التجميعية مثل :

John Bell's *The poets of Great Britain*, see also Thomas Bonnell, 'Bookselling and canon-making: the trade rivalry over the English poets, 1776-83', *Studies in eighteenth-century culture* 19 (1989), pp. 53-69.

(20) Goldsmith, citizen of the world (1760) in *Works*, 11, 86, *Enquiry into polite learning* (1759) *Works*, 1: 265 - 7.

أعضاء جمهورية الأدب يصبحون في عام ١٧٧٨ "بديلاً لهيئة الحكام فهم يشكلون الروح القومية ويوجهون الأفكار القومية."<sup>(٢١)</sup> وتمكن ترجمة الأفكار القومية بأكبر دقة إلى المعنى الجديد للرأى العام" الذى ينسبه المؤرخون الثقافيون الآن إلى جمهورية الأدب الأكثر تطرفاً وعدوانية التى بزغت بعد ١٧٧٠ فى فرنسا وبعد ١٧٨٠ فى إنجلترا وألمانيا. وبدأ مصطلح "الجمهورية" نفسه يسمح بالتعريفات الذاتية السياسية التى تذهب إلى أبعد كثيراً من حدود الدائرة الأدبية المهذبة وأصولها فى دولة المدينة وستاوى بلاغة العالمية فى العالم الأدبي نزعات قومية بازغة ومتفجرة فى النهاية عبر العواصم باريس ولندن وبرلين وأماكن أخرى عند نهاية القرن الثامن عشر، عندما أعيد رسم الخرائط الأوروبية لتمثل جمهوريات متحولة وملكيات حصينة وأمم مولودة حديثاً "شعوباً" أبنية طول الزمان. ظهرت "الطوائف والمذاهب" النقدية فى بريطانيا (١٧٩٠ - ١٨٠٠)؛ حيث انتمى "رجال الأدب السياسيين" الذين هاجمهم إدmond بيرك Edmund Burke عام ١٧٩٠ إلى تجسيد ثالث لجمهورية الأدب، إذا قسمنا هذا التاريخ إلى مراحل بطريقة تخطيطية ميكانيكية باتباع شبكة الجمهورية المغلقة من الدارسين وسوق أفكار الجمهورية التجارية المهذبة؛ حيث تمتع ديفيد هيوم بالصلات المتشابكة بين رجال الأدب عبر مسافات رحبية. وكان إدmond بيرك يرى نفسه معزولاً وسط "الطوائف والمذاهب" التى كانت فى الحقيقة دائماً إمكاناً متميزاً فى جمهورية الأدب كما عرّفها المحدثون حول ١٧٠٠. ولم يعد رجال الأدب السياسيون الجدد (وفى بريطانيا نساء الأدب السياسيات الجدد) يسوقون أفكاراً أو يحاربون جسداً لجسد ملتحمين *Corpo a corpo* بل صاروا يعملون معاً "كوحدة واحدة" وفقاً لبيرك كمنظرين ووكلاء نوع جديد من الحركة ناشرين "نوعاً من الاتصال الكهربى فى كل مكان"<sup>(٢٢)</sup>. وضدهم دافع بيرك عن جمهورية أدب منتصف القرن الثامن عشر ذات التهذيب التى اشترك فيها مع جونسون وهيوم وآدم سميث. ولكنه استبدل بخطاب البلد المحلى والعائلة عالميتها فى الميراث والتناقل. "الأمة هى جوهر أخلاقى" كما أصر مفصلاً القول فى تشكيلها البطيء غير المحسوس، غير المخطط عبر تاريخ تحيزاتها وعاداتها<sup>(٢٣)</sup>.

لقد صاغ المصلحون الأدبيون لثمانينيات وتسعينيات القرن الثامن عشر علاقة ذات طابع تاريخى بالجمهورية الحديثة المبكرة حينما حاولوا إعادة ترخيص أشد دعاويها جوهرية. وقدم توماس

(21) Quoted in Goodman, *Republic of letters*, p. 239.

(22) Edmund Burke, *Reflections on the Revolution in France*, Conor Cruise O'Brien (ed.), Baltimore, md: Penguin Books 1969, p. 213; see also Tom Furniss, *Edmund Burke's aesthetic ideology: language, gender, and political economy in revolution*, Cambridge University Press, 1993, pp. 251-260.

(23) Cited in David Simpson, *Romanticism, nationalism, and the revolt against theory*, Chicago, il: University of Chicago Press, 1993, p. 178

كريستي Thomas. Christie مشاركيه في المجلة التحليلية Analytical review (١٧٨٨) باعتبارهم مؤرخين يسترجعون ماضى جمهورية الأدب" وهى عبارة كانت تعنى جزئياً العودة إلى المبادئ الأولى للجمهورية الحدائيه كما مثلها فى وقت ما جان لوكليرك Jean' Leclerc (ناشر المكتبة العالمية والتاريخية *Bibliothèques universelle et historique*) وميشيل دى لا روش Michel de la Roche (ناشر مذكرات أدبية *Mempires de litterature*). وذكر كريستي القراء "أنهم" لم يفقدوا رؤية ضرورة تمكين قرائهم من أن يقوموا بالحكم لأنفسهم وعلى حين يقدمون هم آراءهم عن كتب معينة. أما المنشقون العقلانيون The Rational Dissenters الذين يحررون المجلة التحليلية فقد أدمجوا الرسالة الأصلية لجمهورية الأدب مع إحساس جديد "بالرأى العام" جرى تعريفه باعتباره حكماً شعبياً على مسائل سياسية عريضة، حكماً معيارياً وليس متقلباً "إن شعباً يكون حراً" كما جرى شعاراً لجريدة صمويل كوليريدج الراديكالية المراقب the Watchman (1796) "بمقدار ما يشكل أفرادهم رأيهم بأنفسهم" وفي التسعينيات المبكرة من القرن الثامن عشر كانت المجلات الأدبية القيادية الأربع فى بريطانيا يرأس تحريرها منشقون Dissenters يجعلون من أى نداء لفرض طابع المؤسسة فيما سبق للجمهورية إيماءً سياسية قائمة بذاتها<sup>(٢٤)</sup> إلا أن دعوى "تفكر لأنفسنا" تستطيع أيضاً أن تحجب إخفاقات جمهورية الأدب. فمن ناحية أرسى توماس بين Thomas Paine فى حقوق الإنسان The Rights of man (٢- ١٧٩١) الحجج السياسية للمصلحين من أجل الحقوق الطبيعية والقوانين الحكيمة "على ضمان جمهورية الأدب إعطاء العبقريّة فرصة عادلة وشاملة"<sup>(٢٥)</sup> إن حاكمًا وراثيًا ليس شيئاً متسقاً منطقياً مثل مؤلف وراثي" كما ذكر قراء بيرك. ووفقاً لكتاب ماري ولستونكرافت Mary Wollstonecraft دفاع عن حقوق المرأة Vindication of the rights of women (1792) أو كتاب ماري هاي Mary Hays "خطابات ومقالات" Letters and essays (١٧٩٣) لم يكن هناك شيء مثل "فرصة عادلة أو شاملة للكاتبات من النساء فى جمهورية الأدب مادام النساء كن باستثناءات نادرة مستبعدات ضمناً أو جهراً من النفاذ إلى وسائل إنتاجها النقدى. وقد دعمت ولستونكرافت بالاسم مقولة "الأدب الرفيع" باعتبارها الخطاب الذى يجب أن تمنح له النساء حق الوصول بواسطة إصلاح نظام التعليم البريطانى<sup>(٢٦)</sup>.

(24) Coleridge, *The watchman*. 1795, in *Works*, i: 4

ولدراسة أكثر تفصيلاً للتوتر داخل جمهورية الأدب ١٧٩٠ انظر:

Paul Keen. 'Whispers in the state: Romanticism and the public sphere'. diss. University of York. 1996.

(25) Thomas Paine, *The rights of man*, Harmondsworth: Penguin, 1982, pp. 198, 171.

(26) Wollstonecraft, *Vindication*, chaps. 4, 12; Mary Hays, *Letters and essays, moral and miscellaneous*. London: T. Knott, 1793, p. 26.

وكان الوصول المتسع للرواية البريطانية أيضًا ينوه باستبعاد الكاتبات من جمهورية الأدب، التي ظل أيزاك ديزرائيلي Isaac D'Israeli ينفخ البوق لأنصارها عام ١٧٩١ باعتبارهم يتألفون من كل الطبقات الاجتماعية وكلا الجنسين<sup>(٢٧)</sup>.

كما جعل ويليام جودوين W. Godwin من جمهورية الأدب شرطًا - وإن يكن غير كافٍ - لدولة عادلة نموذجية Universal في بحث يتعلق بالعدالة السياسية ودلل على أنه حتى إذا كانت (1793) *An enquiry concerning political justice* الحقيقة يقدها صدام الذهن بالذهن في جمهورية بايل الأدبية فإن مقولتها المركزية وهي الأدب المؤسسة على متطلبات لوك Locke ونيوتن Newtor للحقيقة مع ذلك لا توجد إلا كنصيب القلة<sup>(٢٨)</sup>. وقد طرحت مشروعية الرأي العام باعتباره محكمة عالية الدرجة للحقيقة والعدالة للتساؤل وصول الجمهور إلى هذا النوع من رأس المال الثقافي المتعلم الذي تم تعريفه فيما سبق باعتباره الأجناس الخطابية الكثيرة "للأدب"، وقدمت رواية جودوين "الأشياء كما هي أو مغامرات كالب وليامز ( Things as they are or the adventures of Caleb Williams) 1794 حججًا مؤيدة للعدالة السياسية لمتلقين شعبيين يتجاوزون كثيرًا جمهورية الأدب التي ظلت الرواية دون وضع أدبي داخلها.

وفي ١٨١٠ وسعت أنا باربولد Anna Barbuld نطاق نقد "الأدب الرفيع" ليشمل شكلًا جديدًا من التاريخ الأدبي في عملها "أصل وتقدم كتابة الرواية" *Origin and Progress of novel Writing* وهو تقديم لطبعة تضم ٥٠ مجلدًا لروائيين بريطانيين. وأوضحت باربولد أن السرديات الخيالية ظهرت في كل مكان في تاريخ "الأدب الرفيع" في الملاحم والرومانسات Romances والهجائيات الساخرة Satires والأمثولات الأخلاقية حتى العصر الحديث للروايات. وبذلك تحدثت المعايير التي يحكم بها على الأجناس ضمن "الأدب الرفيع" لا بالإيماء إلى أن الرواية أكثر اتصافًا بالطابع الشعري بما يفترض عادة بل بتعقب قرابته المركبة من الكتابة التاريخية والخطابات المعرفية ذات النزعة الموسوعية وكان ثمانى عشرة من بين أربعين روائيًا اختارتهم في هذه الطبعة من النساء<sup>(٢٩)</sup>.

ومن ١٧٩٠ إلى ١٨٣٠ جعلت مسائل الحق والقانون والعدالة من "الرأي العام" عملة يتناولها كل الأطراف في المجادلات الثقافية الحافلة بالمشاكسة<sup>(٣٠)</sup>. وكانت النواحي الغامضة في

(27) D'Israeli, *Curiosities of literature*, London: Murray, 1791, pp. 3-6..

(28) William Godwin, *An enquiry concerning political justice*, London: Robinson, 1793, i: 22.

(29) Anna Letitia Barbauld, 'On the origin and progress of novel-writing' in *The British novelists*, i: 1-8.

(٣٠) لصورة مفصلة لصعود الرأي العام بعد ١٨٠٠ انظر:

Wahrman, 'Public opinion, violence and the limits of constitutional politics', in *Re-reading the constitution: new narratives in the political history of England's long nineteenth century*, James Vernon (ed.), Cambridge University Press, 1996, pp. 83-122.



المقولة الحاسمة "الجمهورية" مما لا يمكن تجنبه. ولم يعد معناها المعادى للحكم المطلق السلطة المودعة في أكثر من "واحد" وفقاً للمجلة الشهرية عدد يولييه ١٧٩٦، يجيب عن الأسئلة المباشرة، كم عدد من هم أكثر من "واحد"؟ قلة؟ بعض الناس؟ جميع الناس؟ هل ينتسبون إلى الأرستقراطية؟ هل يمثلون غيرهم أو تجيء بهم الديمقراطية؟<sup>(٣١)</sup> إن "رأياً" انتمى فيما سبق إلى الجمهورية الأدبية النقدية واجه الآن "رأياً عاماً" يعترف به صاحب سلطة بواسطة البرلمان والملك والخياط والمصلح الشعبى.

وانبثق تقسيم بين السوق الراسخة للنقد الذوقى الذى روجت له مجلات المراجعة والسوق المقدمة حديثاً لما يمكن تسميته "بالنقد للنقاد"، نقد نظرى يتخذ من النقد نفسه موضوعاً له وستكون هنا صياغة "الأدب" بالمعنى الجديد المحدد، أى الأجناس الخيالية الإبداعية قبل أن يعترف به بواسطة دوريات المراجعة والمجلات بزمان طويل فى بريطانيا عند العشرينيات من القرن التاسع عشر.<sup>(٣٢)</sup>

وفى الوقت نفسه فإن الدعوى الأقدم لاستقلال الجمهورية الأدبية عن السلطة السائدة (كدولة داخل دولة) صارت مجهدة لأقصى حد، ونستطيع أن نقيس ذلك الإجهاد باختبار بسيط. بعد ١٨٠٠ من الصعب جداً وجود أى دفاعات إيجابية "جمهورية أدبية" بواسطة رجال الأدب ونسائه فى بريطانيا وبكل تأكيد لا أحد من هذا النوع طبع أو أعاد النشر غالباً طوال القرن الثامن عشر. وبدلاً من مثل هذه الدفاعات نجد بعد ١٧٩٨ بزوغ هذه الصياغات الرومانسية اللافتة للنظر لجماعة كتاب وقراء تؤكد أنواعاً جديدة من التبادل الكثيف العقلى والأدبى والسياسى. وعلى الرغم من أن التاريخ الأدبى قد فهم عموماً إعادة الصياغة الرومانسية للقراءة والكتابة باعتبارها تعارض دائرة القرن الثامن عشر الراسخة للأدب الرفيع والمحترف، فإن أشد الصيغ شهرة توحى بقدر أكبر من محاولة إعادة اختراع الطابع الأسمى للمواجهة فى جمهورية الأدب<sup>(٣٣)</sup>.

واقترح شيللى الذى تخيل إنجلترا مقسمة "إلى أربعين جمهورية" كل منها بحجم دولة المدينة مثل أثينا: "فكل منها سينجب فلاسفة وشعراء معادلين لهؤلاء الذين إذا استثنينا شيكسبير لم يحدث

(31) J[ohn] A[ikin], 'On the words republic and commonwealth', *Monthly magazine* 1 (April 1796), pp. 179-81.

(32) عن تحويل الأدب الرفيع إلى المقولة الأكثر تضميناً للأدب الخيالى انظر رايس reiss معنى الأدب Reiss, *Meaning of literature*, pp. 182-85, 227-33, 338-47; John Guillory *Cultural capital: the problem of literary canon formation*, Chicago, il: University of Chicago Press, 1993, pp. 121-3; Raymond Williams, *Marxism and literature*, Oxford University Press, 1977, pp. 46-7.

(33) المثل الكلاسيكى هو أبرامز: المرأة والمصباح

Abrams, *the Mirror and the lamp*.

فعلاً التفوق عليهم... رفاق وأسلاف تغير لم يسبق تخيله في شرطنا الاجتماعي أو الآراء التي تثبتته<sup>(34)</sup>. وأعاد وردزورث بمثاله عن الشاعر بوصفه إنساناً يتكلم إلى بشر في مقدمة الحكايات الشعرية صياغة العلاقة بين الشاعر والجمهور وفقاً لمعايير النثر الحديث، اللغة المشتركة lingua France لجمهورية الأدب بدلاً من مقاييس عبقرية شعرية أو مقاييس أخرى خاصة بتاريخ أكثر ضيقاً للشعر وحتى شعار كيتس عن "كفاءة التجرد negative capability (الموضوعية) وكان يعنى به نقداً لما ذهب إليه وردزورث من أنانية وذاتية خاصة به كمؤلف قاوم السلطة الجديدة المودعة في دور التأليف المحترف بواسطة تشتيت هذا الموقع الذاتي في التعدد والصدى. وفي شكل آخر واصلت جمهورية الأدب البقاء في كون مصغر مثل ما دعاه ريموند ويليامز Raymond Williams "تشكلاً ثقافياً" - "حلقة شيللي" "حلقة وردزورث" أو حلقة بينا (كما سيبين القسم القادم) في ألمانيا حلقة بينا (Williams, Marxism; pp 117-20). ومثل هذه الحلقات أو التجمعات محكمة النسيج من الكتاب الذين مارسوا وعبروا عن الكثير من الأجناس وهم يناضلون لإعادة تعريف العلاقة بين السياسة وأدبية الأدب سيؤكدون على حميمية جمهورية الأدب القيمة على حين يعرفون الرومانسية نفسها باعتبارها تقاوم قوى الحداثة التي تسبب الانقسام والاختلاف.

### مهنه النقد في الرومانسية الألمانية المبكرة (١٧٩٧-١٨٠٦)

كانت جمهورية الأدب الألمانية التي وجدها كوليردج عام ١٧٩٨ أضعف تنجيلاً من بريطانيا وأكثر تصلباً من حيث الطابع المؤسسي. وقد أسس الفلاسفة الشعبيون popular philosophers أثناء التنوير البرليني المتأخر مجلات مراجعة عامة في الستينيات من القرن الثامن عشر لتوسيع نطاق جمهورية التعلم الصغيرة المنحصرة في ألمانيا التي قدرها فريدريش نيكولاى بعشرين ألف عضو وسط سكان من عشرين مليوناً. وقد ولدت الجرائد الجديدة بقيادة جريدة نيكولاى المكتبة الألمانية الشاملة (١٧٦٥-١٨٠٦) زيادة في إنتاج الكتب الألمانية السنوى من ٧٥٥ عنواناً في ١٧٤٠ إلى ٢٥٦٩ عنواناً في ١٨٠٠، حوالى ربع إنتاج بريطانيا في كلتا السنتين<sup>(35)</sup>. وفي دولة فريدريك الثانى ذات

(34) Shelley, 'Preface to *Prometheus unbound*' in E. B. Murray (ed.), *The prose works of Percy Bysshe Shelley*, Oxford: Clarendon, 1993, p. 328.

(35) Rolf Engelsing, *Analphabetentum und Lektüre: Zur Sozialgeschichte des Lesens in Deutschland zwischen feudaler und industrieller Gesellschaft*, Stuttgart: Metzler, 1973, pp. 53-89; W. H. Bruford, 'The profession of letters' in *Germany in the eighteenth century: the social background of the literary revival*, Cambridge University Press, 1959; Bodecker pp. 427-29; Herbert Rowland and Karl J. Fink, *The eighteenth century German book market*, Heidelberg: C. Winter, 1995. For British book production in the same years, see James Raven, *Judging new wealth: popular publishing and responses to commerce in England, 1750-1800*, Oxford University Press, 1992. The Berlin reviews included Christoph Martin Wieland's *Der teutsche Merkur* (1773-1810), A. L. von Schlozer's *Briefwechsel* (1776-82), Johann Erich Biester's *Berlinische Monatsschrift* (1783-1811), Christian Gottlob Heyne's *Göttinger gelehrte Anzeigen* and others that achieved circulations of 1,200 to 2,000 per month (compared to the *Monthly review*'s circulation of 6,500-8,000). *Briefwechsel* (1776-82), Johann Erich Biester's *Berlinische Monatsschrift*, (1783-1811).

الحكم المطلق المستتير كان مراجعو جمهورية التعلم الأبويون صراحة قد عقدوا العزم على تلقين القراء ما ينبغي أن تكون عليه أفكارهم وشنوا الحملات لربط الإرشاد العلمي والأدبي بالمواطنة الحسنة (8-64, pp 23, Berghahn, *From Classicist to Classical*). وقد حبّز نقدهم المتحلق شعريّة تحكمها القاعدة وفلسفة جمالية تنتمي إلى كريستيان فولف خص بهما نيكولاى بالكامل ربع مقالاته.

واستجابة لطابعها السلطوى أدخل مقال كانط "ما التنوير" (١٧٨٤) بطريقة استقزائية شعار هوراس *Horace* "امتلكوا شجاعة أن تفكروا لأنفسكم" (*Sapere aude!*) كالمبدأ الأول لجمهورية الأدب العالمية للحدّاث، وربما كانت دعوى كانط الأبعد تأثيراً التي فرضت العقلانية على المجادلة حول المسائل العمومية مؤسسة ضمن، وإن تكن بالضرورة قد تجاوزت، حدود جمهورية التعلم: فكل هؤلاء الذين خرجوا من الحياة الخاصة وخاطبوا الجمهور "فى دور المدارس" وأمام العالم الأدبي بكامله كانوا يستخدمون عقولهم وبذلك يتعلمون كيف يفكرون لأنفسهم، ويستطيع الموظف المدنى أن يتبنى دور الدارس لينتكم جهزاً عن أشد المسائل عمومية حتى حينما لا يجرو على الكلام بحرية على أساس استطاعته الخاصة كموظف. وعلى الرغم من أن "الدائرة العمومية" عند كانط بعيدة عن الديمقراطية فقد فتحت مع ذلك "عصر النقد" لحوار شديد الثقل من حيث الإمكان<sup>(٣٦)</sup>.

وقد تبنى يوهان جوتليب فيخته كما عمق تصور كانط لجمهور نقدى فى محاوراته المقدمة بشكل مبسط عن مهنة أو رسالة الدارس فى جامعة بينا. وكما حاول المراجعون التحليليون الإصلاحيون فى مجلّتهم لجمهور تجارى فى إنجلترا، استعمل فيخته محاضراته عام ١٧٩٤ عن "مهنة الدارس" لتحدى معايير جمهورية التعلم "معيّداً تعريف الناقد الدارس بأنه مرسى الجنس البشرى" الذى يستطيع أن يبين لجمهور كيف يتعلم لنفسه<sup>(٣٧)</sup>.

وقد تحول معنى *Gelehrter* الدارس المتبحر فى هذه المحاضرات فى اتجاهين مرة واحدة نحو أعم معانيها "للشخص المتعلم"، وكذلك نحو "دارس" عالى التخصص، تاركاً الـ *Aufklärer*

(٣٦) كانط "ما التنوير" فى مشروع السلام الدائم. انظر أيضاً يورجن هابرماس Jürgen Habermas التحول البنىوى فى الدائرة العمومية، مبحث فى مقولة مجتمع بورجوازي.

Kant, 'What is enlightenment?' in *Perpetual peace*, p. 42; see also Jürgen Habermas, *The structural transformation of the public sphere: an inquiry into a category of bourgeois society*, Thomas Burger (trans.), Cambridge MA: The MIT Press, 1989, p. 105.

وحول نقد كانط للنزعة السلطوية فى تنوير برلين انظر:

John Christian Laursen, 'The subversive Kant: the vocabulary of "public" and "publicity"', in James Schmidt (ed.), *What is enlightenment? Eighteenth-century answers and twentieth-century questions*, Berkeley, CA: University of California Press, 1996, pp. 253-69.

(37) Johann Gottlieb Fichte, 'Some lectures concerning the scholar's vocation' (1794) in Daniel Breazeale (ed.), *Fichte: early philosophical writings*, Ithaca, ny: Cornell University Press, p. 146; See also Frederick Beiser, *The fate of reason: German philosophy from Kant to Fichte*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1987, pp. 63, 75-76.

فيلسوف التنوير البرلينى مثل نيكولاى فريدريش فى الثالث المرفوع ( Fichte, Early philoeopical writings p.141).

وفى أعقاب طرده لأسباب سياسية من بينا فى ١٧٩٩ وضعت محاضرات فخته لعام ١٨٠٥ فى إرلانجن Erlangen حول مهنة الدارس uber das Wesen des Gelehrten بحدة التباين بين سوق مراجعة الكتب التجارية "والمهنة" المعاد تعريفها للدارس النقدى، وكان دفاعه عن "مهنة أدبية" ضد "حرفة تجارية أدبية" يستجيب لمبادرة فورية للروح التجارية المتزايدة الكثافة للسوق الأدبية التى ظلت مجلات المراجعة مثل "مكتبة نيكولاس" Nicolais Bibliothek تلبي احتياجاتها زماناً طويلاً<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن تمييزاً فختياً آخر يبدو فى الظاهر لا علاقة له بما سبق بين الدارس النقدى المنتج المبتكر، والدارس التقليدى الذى ينسخ أو يعيد الإنتاج فحسب فى الجامعة اعتمد أيضاً على فكرة تسليع الكتابة. وهكذا عارضت محاضرات فخته بين الدارسين ذوى الإنتاج العقلى التجديدى الحقيقى والدارسين العاكفين فحسب على الإبلاغ (النقل) Transmssion الثقافى. فالدارس النقدى يجب ألا يتصور المعرفة العلمية على نحو تاريخى فحسب، كما يتم تسلمها من الآخرين، بل يجب أن يكون قد اشتغل عليها ذهنياً ولنفسه... وينتج فيها شكلاً ذاتى الخلق جديداً لم يعرف حتى الآن (ص ٢١٦)<sup>(٣٩)</sup>.

وقد طابقت محاضرات فخته بفاعلية بين الممارسات الروتينية التقليدية للجامعة الألمانية وبين العادات الاستهلاكية لجمهورية التعلم خارجها، فالقانون المأخوذ به المقبول للتعليم اعتبر تسليعاً للمعرفة، وسيبدو الآن أن ثمن هذا الاستبصار هو أن محاضرات فخته لعام ١٨٠٥ أيضاً قد قلصت نطاق مهنة الدارس بواسطة إضفاء الإطلاق على الطابع المنتج، فالدارس النقدى لا يلتقى بأى جمهور خاص من الطلبة ولكنه يجب أن ينتج جمهوره المتلقى من نسيج غير مقسم، ليس لديه قارئ خاص يأخذه فى الاعتبار بل يشكل قارئه ويضع له القانون الذى يجب أن يطيعه". وفى الواقع كان فخته يستبدل بالمبدأ النقدى : التفكير لأنفسنا " مهنة" الدارس الانضباطية المعرفة حديثاً، الرسالة ذات الحافز الداخلى بدلاً من أن تكون حرفة ربطها بالتنوير Aufklarung البرلينى ذى الطابع الشعبى، نمط إنتاج متبحر فى المعرفة بدلا من التناقل الأكاديمى الذى يمارسه

(38) Fichte, 'On the nature of the scholar' (1805) in David Simpson, *Origins of modern critical thought*. Cambridge University Press, 1988, p. 216.

(٣٩) عن الأصل الكانطى لهذا التمييز بين المعرفة المنتجة والناسخة انظر :

Engell, *Creative imagination*, pp. 130-6.

التقليديون في بينا<sup>(٤٠)</sup>. وهذه المفاهيم من أمثال "المهنة" و "الإنتاج" أدت بفخته إلى اقتراحات نحو إعادة بناء جمهورية التعلم Gelehrten republik لتكون تخصصات حديثة، ولكن كان في قلب هذا التفكير إصلاح القراءة العمومية. وفي محاضراته الجماهيرية "خصائص العصر الحاضر" (١٨٠٦) أعلن بطريقة درامية أن "الجهد العلمي للعصر" بأن يجهز كل فرد بمعدات تمكنه من أن يفكر لنفسه "قد دمر نفسه" بواسطة قوة ثقافة الطباعة نفسها التي أسهمت في نموه. وهو يصف المنحنى الحزوني للنفوذ الذي بواسطته صعد الكتاب أولاً إلى السلطة على القراءة في الجمهورية الكلاسيكية المبكرة ليوهان جوتشيد Johan Gottsched ثم مجيء "النوع النقدي" إلى السيطرة والنفوذ على الكتاب في جمهورية فريدريش نيكولاى. وبهذه الخطوة الحاسمة اختفت القدرة على أن يفكر المرء لنفسه" في "جنون القراءة" الذي حفزته الطباعة في الجمهورية الأدبية الألمانية الحالية، وكان رد فخته هو الحفاظ على قوة القارئ في أن يفكر لنفسه بالنسبة إلى قراءة العلم مع إخضاع نفسه للذة الجمالية للعمل الأدبي دون اللجوء إلى "النظريات المشتركة" للنقد الأدبي والفنى، وقد استبعد فخته النظرية الأدبية "البوطيقا" العامة، ونظرية الأجناس والتحليل الأخلاقي أو أى نمط آخر لنظرية أدبية يمكن التعرف عليها وذلك بضربة ضد جدول الأعمال الذى تسوده النظرية الأدبية لتتوير نيكولاى الطباعى. (الشرط العلمى للعصر الثالث "الخصائص" ص ١٤٦).

وبعد سنة من هذه المحاضرات غزا نابليون بينا، وحول فخته مأزق جمهورية التعلم إلى برنامج للتعليم الألمانى، والخطوط العامة البرنامجية الأشد تأثيراً للزعة القومية الحديثة فى خطابات إلى الأمة الألمانية فى ١٨٠٨.

ومن كانط إلى فخته، وفريدريش شيللر والرومانسيين الألمان المبكرين فإن أشكال النقد المختلفة للتتوير البرلينى تحركت جميعاً نحو صيغة أو أخرى من تمييز الأدب والنقد الإبداعيين (وكذلك العلم) باعتبارها جميعاً مستقلة ذاتياً، أى "تشرع لنفسها" Autonomous. وقد اصطدم شيللر مراراً مع نيكولاى وغيره من رجال التتوير Aufklärer باعتبارهم ينكرون بالفعل الحرية الحسية والاتصالية وعمله المعنون "رسائل فى التربية الجمالية للإنسان" (١٧٩٤) ربط بين النقاد التتويريين المستتيرين والحافز الشكلاى لإصدار القوانين التى منعت الحسية الإنسانية من أن تصل إلى الوعى فى "اللعب" الجمالى للروح والمادة. لقد أراد شيللر لجريدته Die Horen "السماع" (١٧٩٥-٧)

(٤٠) عن دور فيخته فى الإصلاح التعليمى بتوسع أكبر انظر أيضاً: إلبنور شافر "الفلسفة الرومانسية وتنظيم التخصصات: تأسيس جامعة هومبولت فى برلين"، فى الرومانسية والعلوم.

Elinor S. ShaCec, 'Romantic philosophy and the organization of the disciplines: the founding of the Humboldt University of Berlin', in *Romanticism and the sciences*. Andrew Cunningham and Nicholas Jardine (eds.). Cambridge University Press, 1990. pp. 45-7.

التي كان من بين كتابها جوته وفخته وفريدريش شليجل وقلهلم فون همبولت أن تحل محل جمهور نيكولاي واسع التبعض بنموذج عقلاني مركز للتبادل النقدي المكثف؛ وقد هاجم نيكولاي نفسه الجريدة باعتبارها شديدة المدرسية والاستغراق في مشاكلها الذاتية مما يعوق فرضها أسلوبها في البحث النقدي على الجمهور العام (Barghahn, From Classicist to classic pp.91,69). وفي هذه الأثناء بدأ فريدريش وأوجست شليجل اللذان كانا زميلين مبكرين لفخته ومعجبين به إعادة التفكير في وظيفة النقد باعتباره نوعاً من الخطاب أكثر تلقائية وقابلية للتعديل. وقد أسسا جريدة جديدة في بينا "أثينيوم" (Athenaeum 1798-1800) تعمل على تنمية جماعة مشتركة "متناسقة الشعرية" sympoetic من الدارسين والشعراء: فريدريش شيلنج Friedrich Schelling، ودروروثيا فيت-شليجي Dorothea Veitschlegel، وكارولين شليجل شيلنج Caroline Schlegel-Schelling، وفريدريش شلاير ماخر Friedrich Schleirmacher ولودفيج تيك Ludwig Tieck وفيلهلم فون همبولت Wilhelm von Humboldt ونوفاليس، الذين أعادوا بقوة تعريف المعاني الثقافية لـ "جمهورية أدبية"<sup>(٤١)</sup>.

ورد فريدريش شليجل باقتضاب على فكرة تنوير برلين *Aufklärung* المتسلطة عن وظيفة النقد باعتبارها تعليم قرائها "قائلاً" أي فرد يريد أن يتعلم دعه يعلم نفسه " *Philosophical fragments, p.10* وهذه الشذرة التي يبدو صوتها المميز غير مكتثرت تعيد من حيث الأساس تقرير المقدمة المنطقية لجمهوريتي الأدب البريطانية والفرنسية ضد البرامج الموجهة من أعلى للنقد الألماني ذي النزعة الأبوية، وفي وقت سبق فخته انتقد شليجل نزعة تغليب الطابع الكمي والتسليع على "الجمهور" في برامج كتاب مراجعات برلين الذين يتكلمون عن الجمهور كما لو كان شخصاً تناولوا العشاء معه في سوق لا يبرز في فندق دي ساكس". ورد شليجل بالتباس ملحوظ "الجمهور ليس شيئاً [res] بل فكرة، مصادرة مثل الكنيسة" وبدلاً من أرقام تجريبية قابلة للقياس، قال شليجل إن أفكار "مؤلف وجمهور" يمكن أن يعاد تعريفها باعتبارها "مفهومين أدبيين" أو موقعين بينيان خلال نصوص ضمن مجال علاقات أدبية وسياسية<sup>(٤٢)</sup>.

ولا شيء أكثر وضوحاً عبر عن هذا الهدف من شذرة الليسيوم ١١٢. الكاتب التحليلي يلاحظ القارئ كما هو، وتبعاً لذلك يجرى حساباته وينصب آلاته لكي يخلع عليها الانطباع الصحيح [ولكن] الكاتب التركيبي يبني ويخلق قارئاً كما ينبغي أن يكون، فهو لا يتخلله هادئاً

(41) Schlegel, 'The concept of republicanism' in F. Beiser (ed.), *Early political writings of the German Romantics*. Cambridge University Press. 1996. pp. 95-112.

(42) Schlegel, Philological fragment 155, in Jochen Schulte-Sasse et al. (ed.), *Theory as practice: a critical anthology of early German Romantic writings*, Minneapolis, mn: University of Minnesota Press. 1997. p. 353.

وميتًا ولكن حيًا ونقدًا، وهو يسمح لأي شيء خلقه أن يتخذ شكلًا تدريجيًا أمام عيني القارئ أو يغيره بطريقة أخرى أن يكتشفه لنفسه. وهو لا يحاول أن يخلع عليه أي انطباع خاص بل يدخل معه إلى العلاقة المقدسة لأعمق تناسق أو تعاطف فلسفي أو شعري.

(*Philosophical fragments, p. 14*).

وهكذا عزّف شليجل مثلاً أعلى للتناسق الشعري أو الفلسفي لجماعة من القراء والكتاب النقاد. وقد يفهم الخطاب الشعري الفلسفي المهجن لمجموعة الإثنيون كجهد قصير العمر ولكنه كان في المدى الطويل جهدًا موحياً بقوة لإعادة اختراع الشكل الخلود المبكر لجمهوريّة الأدب؛ حيث يكون كل فرد ناقدًا ويفكر لنفسه (أو لنفسها) ويجوار هذه المنطقة المسورة مختلطة الجنسين حيث اشتركت دوروثيا وكارولان شليجل في صالون بينا بدا "تتوير برلين عتيق الطراز" ذكوري المنزع<sup>(٤٣)</sup>. وكان على "مهنة" النقد أن تدمج النقد مع الإنتاج الشعري؛ أن تتخلل جوهر الشاعرية بكلمات لاكوي لابارته *Lacoue Labarthe*، بواسطة فصل النقد عن تقييم التلخيص وحفز القراء النشيطين نوى الميل النقدي مرة ثانية لأن "يفكروا لأنفسهم". وتماثا عبر شذرات شليجل النقدية لعامي ١٧٩٧-١٧٩٨ برزت فكرة أن الأدب هو نظرية والنظرية هي نوع من الأدب في عبارة شهيرة: "إن نظرية الرواية يجب أن تكون نفسها رواية". ولم يكن الإجراء النقدي الناتج متعالياً *Ganscendesk* - يتكلم من أعلى النصوص التي يعلق عليها بل باطنياً متأصلاً *immanent* ناشئاً من داخل موضوع النقد. وبالنسبة للمؤلف والجمهور على السواء "القراءة هي تحرير الروح المقيدة وبكلمات أخرى هي فعل سحري. وهذا النمط في القراءة جعل الناقد الحق انعكاسياً، أي مؤلفاً مرفوعاً إلى الأس الثاني"<sup>(٤٤)</sup>. وحيث اتجهت إجابة فخته على التتوير القائم الأكاديمي والتجاري نحو أقسام وتخصصات جامعة جديدة، تعلّى من شأن العلوم فإن تفكير شليجل شطر جمهوريّة الأدب الأصلية إلى قسمين، كان أحدهما المجال الواسع "النقد الذوق" حيث واصل الناقد العام أو "رجل الأدب" عكوفه على الأنواق "والمقاييس" والتأثيرات والأسواق وهو يتوسط بين الأعمال والجماليات، وكان القسم الثاني مجالاً منحصراً في قوة التأليف النظرية مرفوعة إلى "الأس الثاني" وكان الأمر كما لو كان شكل النقد الأسبق العمومي أو الساذج قد صار الآن ما يمكن تسميته

(٤٣) ولمعرفة دور كارولان ودوروثيا شليجل في مجموعة لثنيون انظر:

Sara Friedrichsmeyer, 'Caroline Schlegel-Schelling: "a good woman, and no heroine"', in Katherine R. Goodman and Edith Waldstein (eds.), *In the shadow of Olympus: German women writers around 1800*, Albany, ny: State University of New York Press, 1992, pp. 115-36.

(44) Quoted in Azade Seyhan, *Representation and its discontents: the critical legacy of German Romanticism*, Berkeley, ca: University of California Press, 1992, p. 85. and Philippe Lacoue-Labarthe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Philip Barnard and Cherele Lester (trans.), Albany, ny: State University of New York Press, 1988, p. xviii.

مضمون الرتبة الثانية الجديدة، مهنة انعكاسية للفطرية الرومانسية النقدية ومن ثم على حين تقيم حاجزاً بين عالم الإنتاج الأدبي الأوسع. الذى يكتب منتجوه "لجمهور" وذلك المجال النقدي المحصور ذاتي التحديد الذى يكتب أعضاؤه أول كل شيء لأنفسهم، كما طرح الرومانسيون الألمان الأوائل للتساؤل التقسيمات بين المقولات التى كانت تعرف فيما سبق جمهورية الأدب. لقد عبروا الحدود بين الفلسفة والدين والعلم والفن والنقد والسياسة والشعر والروايات والتاريخ. وبدا أنهم يقللون من قيمة التمييزات بين مثل هذه الأجناس الخطابية للمعرفة الكلاسيكية، ولم تعد الروايات الأقرباء الفقراء لجمهورية التعلم بل بزغت وسط النطاق الفسيح لأشكال النثر الحديث باعتبارها أشد الأجناس تميزاً وتحدياً فى اختلاطها وتبدو لذلك أن تكون مشروعاً موسوعياً تعبره حوارات ومحادثات وتواريخ فلسفية.

وبإعادة اختراع روح الجمهورية الأصلية وسط جدالهم ضد الجمهورية الأدبية القائمة التتورية فى برلين قسم رومانسيو بينا بالفعل الجمهورية الأدبية إلى أسواق متميزة للإنتاج النقدي، وكوّن أعضاء مجموعة الأثنيوم سوقهم الخاصة باعتبارهم منتجين نقديين يكتبون لمنتجين آخرين فى معارضة جدالية للنقد واسع النطاق المشكل للذوق من جانب البرلينيين المقصود به التأثير فى المشتريين فى أسواق كتاب لايزج. وإيماء النظرية الأدبية هذه قصد بها الانفصال تماماً عن لغة وأهداف النزعة الأدبية العامة لجمهورية التعلم بواسطة فرض الراديكالية على معاييرها، فالرومانسيون المبكرون *Fruhromantiker* ككتاب وقراء فكروا بحق لأنفسهم "أو بتبنى المصطلحات التى يفضلها بيرسى شيللى لقد هدف شليجل أن يحل بدلاً من النقد المعمول به الذى يطبق القواعد روح التساؤل والتحليل التى ستعمل باعتبارها المشروع غير المعترف به لجمهورية الأدب. ظهر النقد للمرة الأولى فى ألمانيا منعطف القرن بالمعنى الموجود عند بيير بورديو Pierre Bowrdieu أى بوصفه مجالاً مركباً من الإنتاج الثقافى الحديث، وهكذا صار المقال الفلسفى النقدي تخصصاً ضخماً عند الرومانسين الألمان وهم، يبذلون اهتماماً مدققاً بالصفات الشكلية للعمل، وكذلك بسياقه الثقافى المباشر. وأظهرت مقالات فريدريش شليجل عن بوكاشيو وجورج فورستر وليسنج وجوته وآخرين هذا الناقد ربما باعتباره ألمع ممارس لهذا النمط النقدي.

ويمكن قياس دعوى الاستقلال الذاتى النقدي (النقد يسن قوانينه لنفسه) ومتضمناتها السياسية فى شذرة الليسيوم رقم ٦٥ : الشعر هو كلام جمهورى كلام هو قانونه الخاص وهدف لذاته وفيه كل الأجزاء مواطنون أحرار لهم حق التصويت؛ وتسمية الشعر "كلام جمهورى" هى بمثابة استدعاء مثال سياسى، الاستقلال الجمهورى، وتأكيد بذلك الاستقلال الذاتى للشعر (ونقده النظرى) عن جمهورية الدارسين الأوسع التى تظل سلطوية، ولكن المصطلح أيضاً أكد سلطة النقد الجديدة على



هذه الجمهورية وفي هذه الشذرة أعادت النظرية النقدية تفعيل التأسيس الأصلي لجمهورية الأدب الحديثة مؤكدة الاستقلال الذاتي ضد قوى أوسع بواسطة تحويل ميثاق بينير بايل، وليس هناك سوء فهم لطموح شليجل في إحدى شذرات ١٨٠٠: "دولة داخل دولة" وهي فكرة ينبغي أن ترفع لأسس اللا متناهي. المثقفون سيكونون فنانين وسيكون الفنانون مثقفين وستكون الزراعة فناً<sup>(٤٥)</sup>.

وهكذا طور الرومانسيون الألمان الأوائل تدريجياً تصوراً سياسياً للنقد والنظرية النقدية حاملين الرومانسية وفقاً لعبارة فريدريك بايزر *F. Beiser* "جماليات النزعة الجمهورية"<sup>(٤٦)</sup>. وكانت السياسة الجمهورية لمجموعة الأثينيوم تتحدد أكثر بواسطة المجال الأدبي الذي أعادوا هيكليته بدرجة أكبر من أي برنامج سياسي يمكن التعرف عليه بتخطي إطار جمهورية التعلم. وباعتبار الجماليات الرومانسية للنزعة الجمهورية السياسة الباطنية في مجال إنتاج ثقافي يقوم بالتمايز فقد أثبتت أنها غير مستقرة بما يكفي بحيث يعاد تعريفها على الدوام طوال السنوات الست القادمة كاشفة عن ميل متزايد التراتب نحو مجلس روعي حاكم ضمن الجماعة الجمالية المبنية على التعاطف لمشروع الأثينيوم عام ١٧٩٨. "لا توجد جمهورية بدون مجلس قضاة ذي سلطة على الحكام؛ *ephorat*" كما كتب شليجل عام ١٨٠٠: الطبقة الروحية وحدها تستطيع تنفيذ ذلك"، فضلاً عن ذلك، "فإن جمهورية بلا عيوب عليها ألا تكون ديمقراطية فحسب بل أرستقراطية وملكية في الوقت نفسه لكي تشرع بعدل وحرية، وعلى المتعلمين أن يرجحوا ويرشدوا غير المتعلمين"<sup>(٤٧)</sup>. وبمرور الزمن فقدت السياسة الرومانسية ذات النزعة الجمهورية نبراتها الطوباوية وأعادت الآن في سجل قومي النزعة صريحة النقد التعليمي الذي بدأت مسيرتها بمعارضته وتحول شليجل إلى الكاثوليكية وإلى نزعة قومية في أعلى درجات المحافظة عند عام ١٨٠٨ انتهت تجربة إعادة تشكيل جمهورية التعلم بواسطة التعلم من جديد كيف "يفكر المرء لنفسه".

### المهنة النقدية في بريطانيا ١٨٠٢ - ٣٠

خلال العشرينيات من القرن التاسع عشر شكلت جمهورية الأدب مشاراً إليه غير مستقر لبرامج نقدية جديدة في بريطانيا، فقد كانت مدينة للمواطنين كما كانت تجارية، مقصورة على نخبة كما كانت تطالب بالشمول وبعد ١٨٠٠ حل تدريجياً محل رجال الأدب النقاد في قيادة مجال

(45) Fragment 203, Epoch vii. 'Philosophical fragments from the "Philosophical apprenticeship"'. in Beiser. *Early political writings*, p. 168.

(46) F. C. Beiser, *Enlightenment, Revolution, and Romanticism: the genesis of modern German political thought, 1790-1820*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992, p. 260.

(47) Schlegel, Fragment 998, Second Epoch ii, of 'Philosophical fragments' in Beiser, *Early political writings*, p. 167; *Athenaeum* fragment 214. 'Philosophical fragments', p. 46.

الخطاب المتعلم الحديث بكامله الذى كان فيما سبق يشار إليه بواسطة مقولة "الأدب"، وبحلول ١٨٣٠ كانوا يتميزون بوضوح من "رجال العلم" ومن الدراسين"

(T.W.Heyck, the transformation of intellectual life In Victorian England pp. 24-

64)<sup>(48)</sup>

وصار الأدب الرفيع أشد المقولات انحصارًا وتقييدًا باعتباره الكتابة الإبداعية، وهو تمييز لاحظته بوضوح توماس دى كوينسى Thomas de Quincey فى تقريره بين كتب "المعرفة" والقوة" الإبداعية المتخيلة فى مجلة لندن London magazine لعام ١٨٢٣ (خطابات لشاب أهمل تعليمه

letters to a young man whose education

وكان على (x: 46\_ 52, writings) [has been neglected] محنة النقد الرومانسية عند صمويل كوليردج- كما عند الأخوين شليجل- أن يعاد تعريفها وفقًا لمصطلحات إعادة الصياغة البازغة هذه "للأدب" ولم يعد وفقًا لمصطلحات نطاقه الموسع المبكر الحديث. كما سيعاد تعريف محنة النقد باعتبارها بالفعل بعيدة أو ذاتية الاستقلال عن تسويق الآراء بواسطة المجلات الأدبية الكبرى.

إلا أن الاستثناء الظاهر عن هذا الطراز انحدر من عالم هيوم وآدم سميث. وقد حاول فرنسيس جيفرى Francis Jeffrey ورفاقه وهم يؤسسون مجلة إدنبورج Edinburgh Review عام ١٨٠٢ أن يستعيدوا للنقد مثال "مجتمع مدنى" civil society وجمهورية الأدبية التجارية دمثة الأخلاق باعتباره "مضفورًا معًا فى كل أجزائه بواسطة ألف وسيلة اتصال وروابط الاهتمام المتبادل والمتعاطف" ولكن هدف الصيغة الجديدة للأدب الرفيع حملت معها نغمة متميزة العدوانية والاختيال، كما تلاحظ ماريلين بتلر Marilyn Butler تجاه الموائيق الجديدة الأخرى المتصورة لجمهورية الأدب المستتيرة<sup>(49)</sup> وبخلاف هيوم فهم جيفرى جمهورية الأدب الجديدة باعتبارها أقرب إلى مجال "طوائف ومذاهب" متنافسة منها إلى شبكة صلات شخصية، وما عصم هذه الكسور من الحرب السافرة كان "الرأى العام" الذى يجرى حشده بحذر ويعمل تبعًا لهنرى بروام H. B. rough am بواسطة "تأثيره الحائل الوقائى ويجعل من غير الضرورى استخدام القوة" "Edenburgh"

(48) London: Croom Helm, 1982.

(49) Francis Jeffrey, Contributions to the 'Edinburgh review', London: Longman, Brown, Green & Longmans, 1854, p. 574; Marilyn Butler, 'Culture's medium: the role of the review', in Stuart Curran (ed.), The Cambridge companion to British Romanticism, Cambridge University Press, 1993, pp. 131-33.

27, review, ونداء الكياسة الآن (P. 250, September 1816) كان عليه أن يكون مغطى صراحة بلغة الطبقة والمكانة الثقافية. وكما هو مميز نموذجي لها، تحفظت مجلة إدنبره على دعوتها " بأن السلطة الفعلية للدولة تستقر في الكتلة الضخمة من الشعب " بإضافة وخاصة وسط الأكثر ثراء وذكاء " (P. 371, *contribulirus, Jeffrey*) وأعطت دعوتها إلى اقتصاد سياسي سكوتلاندي للنقد الأدبي الرفيع مهمة تمييز الرأي الرفيع الذي يستطيع أن يكون متسقاً مع أهداف ونمو مجتمع تجارى من الرأي غير المشروع أو العامى غير المتفق مع هذا النمو، وبالمثل فإن مدام دى ستايل فى كتابها عن الأدب مأخوذاً فى علاقاته مع المؤسسات الاجتماعية- الذى ترجم إلى الإنجليزية بحلول عام ١٨٠٣- حثت على " الكياسة " باعتبارها أخلاقيات عالم أدبي ملائم لشكل جمهورية تجارية ولدت فى فرنسا بعد الثورة وأشد أماناً بكثير من التصور الجمهورى البديل لثورة فى الأدب تسحق قوانين الذوق وهى فكرة اتسع التلويح بها فى فرنسا كما فى إنجلترا مقدمة حكايات شعرية غنائية. إلا أن عدداً قليلاً من النقاد البريطانيين فى أوائل القرن التاسع عشر اتبع نصيحة ستايل أو جيفرى بالكياسة وتبنوا غالباً بقدر أكبر لغة الكفاح الثقافى " *Kulturkampf*، المعركة الجدالية المتوثبة أو توهج طعنة النظرة الشزراء فى النقد الرومانسى (طعنة النظرة الشزراء فى النقد الرومانسى التشويهات النقدية) (٥٠). وكان كتاب المراجعات ونقاد بريطانيا الرومانسية يهاجمون الأشخاص بقدر مهاجمة المبادئ ويحددون مواقع بعضهم بعضاً على الأغلب تبعاً لتطبعهم الاجتماعى بدرجة مساوية لمواقفهم النقدية. وصارت الانتماءات الطبقيّة والنوعية الجنسية وسيلة للإطراء أو القدح بالنسبة لصفوف متنوعة بقدر محير من المواقف النقدية. وفى نزاع حول السياسة فى مسرحيات شكسبير طعن ويليام جيفورد *W. Gifford* وهو رئيس تحرير المجلة الفصلية ذات التوجه المحافظ *Quarterly Review* هازليت *Hazlitt* باعتباره عامياً مبتذلاً، ورد هازليت بارتداء عباءة رجل الأدب صاحب الحق والمؤهل وهو يتساءل عن أوراق اعتماد جيفورد لمنصب الناقد. وتبارى النقاد المحافظون والراديكاليون على السواء للحفاظ على جعل جمهورية الأدب ذكورية على الرغم من أنهم عرفوا الطابع الأنثوى للأدب تبعاً لطبقات اجتماعية مختلفة. وبالنسبة لهازليت ازدهر الكتاب من الإناث فى أروستقراطية الأدب حيث النسوة المثقفات *Bluestockings* المتأدبات والروائيات الناجحات مثل فرانسيس بيرنى *Frances Burney* يكسبن مكانتهن التى لا يستحقنها برأس المال الأروستقراطى للطبقات المرفهة بأوقات الفراغ *Blue Stocking* وبالنسبة لجون ويلسون *john Wilson* فى بلاك وود *Black Wood* أصبح النقاد من أصول الطبقة الوسطى الدنيا نوى

(50) Pp. 49-61 in John Beer (ed.), *Questioning Romanticism*, Baltimore, md: The Johns Hopkins University Press, 1995.

طابع أنثوى عندما تصنعوا الكلام عن العقل والفن في صحف النقد. أما موقف لي هنت Leigh Hunt المذهب من مجلة *The Examiner* (١٨٢١ - ١٨٠٨) فقد كسب ملاحظة مجلة بلاك وود أنه يكتب مثل "مدرسة مختالة في مدرسة داخلية"<sup>(٥١)</sup>.

وما دعاه كوليردج وخز العداوة الشخصية في النقد المعاصر يمكن أدبيًا استيعابه كاختيار للتأليف الحديث والملكية الفكرية "ألا يمتلك الشاعر أى ملكية فى أعماله، وتساءل فى الفصل الثالث من السيرة الأدبية هل شخصية وصفة الفرد الذى يعمل من أجل لذتنا الفكرية أقل استحقاقًا لنصيب من شعورنا بالزمانة من استحقاق تاجر النبيذ أو صانع القبعات؟ وهكذا برزت مجموعة قضايا معقدة عن العبقورية الشعرية واحتراف التأليف "والصالح العام" كما عرفت جمهورية الأدب فى القرن الثامن عشر فى تحديات متجددة لقانون حق النشر البريطانى. وسأل روبرت ساوثى R. Southey عام 1819 "بأى عدالة أو تحت أى ذريعة للصالح العام حرم رجال الأدب من ملكية دائمة لنتاج أعمالهم حينما يتمتع بها كل الأشخاص الآخرين كحقهم غير القابل للإلغاء"<sup>(٥٢)</sup>. واستدعاؤه كمستأنف فى الحكم بيكيت ضد دونالدسون *Becket v. Donaldson* الخاص بحق النشر كان أيضًا للكشف عن مدى امتصاص رجل الأدب فى الفنة الجديدة من المؤلفين الرومانسيين الأكثر ابتعادًا الآن من شبكة التبادل الفكرى التى قيمتها الجمهورية الأدبية الأقدم.

هل كانت هناك فى بريطانيا نظرية أدبية تمكن مقارنتها بأى شىء جرى إنتاجه فى بيئنا أواخر التسعينيات من القرن الثامن عشر؟ غالبًا ما تركّز هذا السؤال على سيرة الحياة المهنية لصمويل كوليردج التى كانت نصيحتها فى السيرة الأدبية ألا يكون الكاتب مجرد رجل أدب مؤسسة على المحاولة الصعبة لصياغة نقد فلسفى ألماني الاستلهم وسط المؤسسة الأدبية التجارية القوية فى قلب أوروبا. وطور كوليردج مهنة النقد تدريجيًا انطلاقًا من محاضراته عن شيكسبير، ومجلة الصديق *The friend* وأكدت السيرة الأدبية الاستقلال الذاتى ضد اقتصديات التأليف الأدبى والمراجعة. وكما تؤكد صورة جيروم كريستنسن *Christensen* لحياته المهنية، كان كوليردج يتراجع بسهولة إلى نظام الطباعة التجارية الذى صارع ليتجاوز (Coleridge's blessed machine of language, pp. 118-85)<sup>(٥٣)</sup> ولكن بخلاف المدعين الأسبق ضد فرضى أو تتجير جمهورية الأدب

(51) John Wilson, quoted in John Gross, *The rise and fall of the man of letters: aspects of English literary life since 1800*, London: Weidenfeld & Nicholson, 1969, p. 14.

(52) Coleridge, *Biographia literaria in Works*, vii: 43; Robert Southey, 'Inquiry into the Copyright Act', *Quarterly review* 21 (1819), p. 212; see also Rose, *Authors and owners*, pp. 110-12.

(53) Ithaca, ny: Cornell University Press, 1981.

كان كوليردج مؤرخها الرومانسي الأشد استفزازاً وربما الأشد تنويراً. فقد استوعب تطورها التدريجي باعتبارها عملية مركبة من دوائر متميزة، وأورد ثلاث ثورات صامتة في إنجلترا (١) حينما انفصلت المهن عن الكنيسة (٢) وحينما انفصل الأدب بعيداً عن المهن (٣) حينما انفصلت الصحافة عن الأدب. وكما في ألمانيا استتبع فهم الحداثة كعملية تمايز صياغة فكرة " المهنة " متميزة من " رجل الأدب " المرتكز على السوق الذي كان يفقد بسرعة أى أوراق اعتماد فلسفية اكتسبها في منتصف القرن الثامن عشر. وكان العنوان الإضافي لسيرته الأدبية عام ١٨١٧ " حياتي وأفكارى الأدبية"، يحمل دلالة؛ فهو يتبرأ من انحدار جمهورية الأدب الرفيع العامي إلى شكلها الراهن التجارى الذى مركزه مجلات المراجعات. فبعنوانها الذى يشير إلى جمهورية أدبية *Repubblica literaria* حتى كما يعيد العنوان الإضافي تأكيد دعوى التحديث "أن أفكار لنفسي". وفى العصر الرومانسى سيدعو صمويل كوليردج إلى استرجاع أصحاب المقام الرفيع السابقين لجمهورية الكتاب من أصولهم المنسية فى الجمهورية الأدبية (*Statesman's manual Works, VI: 71 107*).

وكمسودات لما سيقوم كوليردج بتنظيره كطبقة المثقفين *clerisy* فى دستور الكنيسة والدولة *On the constitution of church and slate* استعملت محاضراته الأدبية صياغات أوجست شليجل غير المترجمة من مرحلة الأثنيوم. ولم يعد النص الشعرى مبنياً بواسطة قواعد من خارجه يقال اليوم أنه " منظم " من داخله. يجب أن يجسد النظام ليكشف عن نفسه، ولكن جسداً حياً هو بالضرورة جسد منظم (*Lectures on literature, 1808-19, Works, v:494*). إلا أن وضع " التنظيم " محل " القواعد " كان إزاحة (تحتية) وليس رفضاً للتماثل عند جمهورية الأدب المبكرة بين قواعد الدولة وقواعد الإنتاج الأدبى. وقد عكست مقولة " التنظيم " التأثير العميق للعلوم الحديثة وخاصة علم وظائف الأعضاء عند جون هنتر *J. J. Hunter* فى إنجلترا وفلسفة الطبيعة *Naturphilosophie* فى ألمانيا؛ حيث صار تنظيم الأجساد بؤرة المجادلات حول المصادر الإلهية أو المادية لأصل الحياة. ( انظر فصل جويل بلاك *Joel Black* فى هذا المجلد ) ؛ فضلاً عن ذلك فإن "التنظيم" بخلاف القواعد أشار اجتماعياً إلى "عملية تنظيم" النظام المؤسس البارز كما لو كانت من الداخل، كما يمكن القول ترشده طبقة المثقفين " *clerisy* " طبقة متعلمة من هؤلاء الذين فكروا وقرأوا وكتبوا لأنفسهم ولكن لم يعودوا يفعلون ذلك مباشرة للجمهور. وفى ١٨٢٨ بدأ فى إصدار جريدة أدبية جديدة، الأثنيوم فى بريطانيا بواسطة مجموعة تسمى نفسها الحواريين *the Apostles* القراء الأشد اقتناعاً بواسطة كوليردج بالحاجة إلى إعادة اختراع الجمهورية الأدبية الأهم .

ولكن الطباعة لم تكن الوسيط الوحيد لتوسيع أو إعادة اختراع صيغة معينة من جمهورية الأدب الحديثة المبكرة. وفي لفظة غير معتادة أصغر كوليردج على أن "جماهيريته" الأكثر أهمية كانت تحدث وراء الجمهورية الأدبية المرتكزة على الطباعة بالكامل وسأل قراء الفصل العاشر من "السيرة" هل الكتب هي القناة الوحيدة التي من خلالها يستطيع تيار المنفعة الفكرية أن يتدفق؟ هل ينبغي تقدير انتشار الحقيقة بواسطة المنشورات أو تقدير المنشورات بواسطة الحقيقة التي تنشرها أو على الأقل تحويها؟ إن مكان وقوة "أرائي" قد تأكدت لا في المطبوعات بل بالأحرى وسط المتلقين الكثرين المحترمين الذين في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة شرفوا بحجرات محاضراتي بحضورهم". (ص ٢٢٠) وصار كوليردج لكي يتجنب أن يكون مجرد رجل كما جاء في ملاحظة بايرون الساخرة. رجل المحاضرات مقيماً حياة مهنية كناقذ أدبي ومنظر في أشد المؤسسات الثقافية جذوة على المشهد اللندني في مؤسسات المحاضرات الأدبية التي أنشئت نماذجها بواسطة المؤسسة الملكية في شارع البيمارل منذ ١٨٠٠. وأثبت مكان التجمع هذا أنه منتج بطريقة غير متوقعة بالنسبة لتذكر وإعادة هيكلة تراث جمهورية الأدب الحديثة المبكرة معاً. وبالنسبة للمؤرخين الأدبيين والعلميين في القرن التاسع عشر على السواء صارت مهنة المحاضرات عند كوليردج وارتباطه بهمفري ديفي *Humphry Davy* رمزاً لتمائل المجالين الأدبي والعلمي الناشئين عن جمهورية الأدب الأقدم. وكان كل من الافتتان المتبادل والتناحر المتنامي بين الأدب والعلم - كما تم إسهابهما في مؤسسات العصر الرومانسي - شرطاً واضحاً للطريقة التي كان المجالان الأدبي والعلمي ينتج كل منهما الآخر أمام المتلقين أنفسهم وتحت السقف نفسه، وقد أعلن عن برامج محاضرات متعددة التخصصات بواسطة كوليردج عن الشعر، وسيدني سميث عن الفلسفة الأخلاقية وهمفري ديفي عن الكيمياء (بين كثيرين آخرين). وستثبت جداول المحاضرات هذه طوال ثلاثين عاماً أنها طريقة قوية لتمييز المطالب الفارقة لما سيتم التعرف عليه مع مجيء الثلاثينيات من القرن التاسع عشر باعتباره مجالات العلم والعلم الاجتماعي والدراسات الإنسانية متزايدة الاستقلال الذاتي وصارت حوارات مابين التخصصات التي عقدت في جمهورية الأدب القديمة نظام القرن التاسع عشر لتخصصات المعرفة الحديثة<sup>(٥٤)</sup>.

وحينما كان كوليردج يطور مهنة للنقد الفلسفي، غالباً بنقل شيكسبير باعتباره أرسطوياً فلسفياً بين الشعراء، فإن نقاداً مثل هازليت *Hazlitt* لاحظوا بدقة الطريقة التي تجنب بها كوليردج وضع نفسه وسط "طوائف ومذاهب" الجدال السياسي المعاصر. هل يمكن لأي أحد أن يمك به

(54) On Coleridge in the lecturing world, see also my 'Transmission failure: from the London lecturing empire to the *Collected Coleridge*' in *Harvard literary studies*. Cambridge, ma, 1991, pp. 77-95.

في قيود طائفة؟ هل يمكن لأي أحد أن يجعله يقسم على عقائد حزب؟ كما تساءل هازليت في "القرم الأصفر" *Yellow dwarf* "أنت بالمثل لا تعود تعرف أين تجده أكثر من ثعلب الماء *an otter*. أنت كذلك تشبه من يحجز طير الوقواق. (محاضرات السيد كوليريدج ١٨١٨ *Mr Coleridge Lectures, Works XIX:210*). وكان هازليت على النقيض دائماً ما يصرح بموقف سياسي داخل جمهورية الأدب: "أي إنسان يعرف أين يجدينى"، كما يفخر في مذكراته "ما اتخذت قراراً ذات مرة أتمسك به حتى نهاية الأحداث المتسلسلة"<sup>(٥٥)</sup>. وقد ظن آخرون هازليت أقل تماسكاً بكثير وراء نطاق فصل أو مقال مفرد ولكن تبقى الفكرة كاشفة بما تقوله عن تأليف المجال الأدبي البريطاني في ١٨١٨. وإذا اعترف كوليريدج "بعدم اهتمامه بالرأى العام" فإنه يعرف "المهنة" بنقيض ما دعاه فخته في خصائص العصر الحاضر *Characteristics of the present age* "التجوال الطائش في المجال الفارغ للرأى المتقلب". وتجنب كوليريدج أن يكون موضوعاً في المجال العريض للنقد الذوقي أمام جمهور قراء واسع متملصاً من الهويات السياسية؛ بحيث إن النقد لا يتكلم إلا من خلال النصوص والمؤلفين الذين يفسرهم. وكان ذلك هو النقد بوصفه مجازاً سياسياً بدلاً من أن يكون انتساباً سياسياً مستقلاً ما دعاه كوليريدج في مكان آخر مذهباً متكرراً من السياسة والأخلاق.<sup>(٥٦)</sup>

وفى هذه الأثناء وصل هازليت وهو مسهم دائم في جريدة هنت *Hunt* الفاحص *Examiner* وجريدة جيفرى *Jeffrey* متابعات إدينبره *Edinburgh review* إلى معنى أوضح للاختلاف بين "جمهورية أدب" (أو "نوع") ودائرة عمومية للرأى المتنازع عليه فيبدو أن تعليقاته الظاهرية التناقض على الرأى العام، تمجيد شرعيتها في مقال ما، وإبراز ضررها الغادر في مقال آخر تعتمد على إن كان هازلت يصوغ السؤال باعتباره عن الشعور الشعبي و"الرأى العام كما يعبر عنه "الشعب"، أو بالأحرى عن قلعة الرأى العام المنجزة بواسطة المحررين البارزين في صناعة النشر. "وفى حول الرأى العام" صور هازليت حلقة تؤكد ذاتها من رؤساء التحرير والنقاد والقراء الذين لم يقولوا قط علناً كيف يفكرون في الواقع: وهكذا ينضم كل فرد في تأكيد وإذاعة وفى الموافقة السطحية الخارجية على كل ما يعتقد ويعرف كل منهم فى حكمه الخاص غير المنجاز فى قرارة نفسه أنه فاضح ويبعد عن الحقيقة (*Works, XVII: 305*). ومثل فخته فى وصفه "جنون القراءة" فى ألمانيا منعطف القرن يهزأ هازلت من رؤية "أعداد كبيرة من بنى وطنى ووجوههم مثبتة وعيونهم ملصقة بجريدة أو مجلة أو صحيفة مراجعة نقدية وهم يقرأون ويبتلعون ويجترون بعمق أكاذيب وزيف وسفسطة اليوم".

(55) Quoted in W. Carew Hazlitt, *Memoirs of William Hazlitt*, London, 1867, ii. p. 227.

(56) *The collected letters of Samuel Taylor Coleridge*, Earl Leslie Griggs (ed.), 6 vols., Oxford: Clarendon Press, 1956-71. i. 632.

وفي مكان آخر وصف هازليت الرأي العام باعتباره هجومياً بشكل مادي ضاعطاً دائماً على الذهن، ومثل الهواء الذي نتنفسه يعمل دون أن يرى أو يشعر به، ويزود التيار الحي لأفكارنا ويسبب العدوى دون معرفتنا وهو يلوث الدم ويؤخذ إلى أصغر المسام (*On the consistency of opinion*) (1821, p. 27).

وتتنتمي هذه الملاحظات القوية حول غزو وسائط الإعلام للحياة اليومية إلى العشرينيات من القرن التاسع عشر حينما بدا "النقد" نفسه وقد صار مذهباً "أو قلعة في بريطانيا يؤثر أعظم تأثير على أصغر أفعال المعرفة الشخصية ويسخر من الوعد القديم لجمهورية الأدب بأن تعلمنا كيف " نفكر لأنفسنا " إلا أن هازليت في وقت متأخر تأخير عام ١٨٢٨ استطاع أن يرفع الحجة المضادة إلى الازدراء الساخر للدائرة العمومية مسترجعاً كيف في صعودها الكلى إلى القوة في القرنين الأخيرين "تفتح الصحافة عيون الجماعة إلى ما وراء الدائرة الفعلية التي يتحرك فيها كل فرد" بحيث يتكون إحساس عمومي بهذه الطريقة متحرراً من الرهبة العبودية أو الافتراض التقليدي بتعالٍ وفق "*Life of Napoleon, (1828) x111:41*" وفي عام ١٨١٧ الأكثر تقاؤلاً وسط نمو تلقائي سريع لانشقاق شعبي واجتماعات عمومية خاطب هازليت القوة المجمعمة للشعور الوطني والرأي العام في مقالات من قبيل ما الشعب؟ حيث اختار الرأي الأبعد نظراً الذي يمتد طوال القرنين السابقين كمقياس نقدي لقوى تشكيل الرأي الفعلية في العشرينيات من القرن التاسع عشر، كما ترك مفتوحاً بحماس وببذل جهد في مواجهة شكوك تعاود المجيء للمنظور المعيارى "للثورة طويلة الأمد" لحدثة ديموقراطية يمدّه بالقوة عقل عمومي أساسه في المطبوعات.

وكرجل أدب مهما يكن من شيء رسم هازليت صوراً دفاعية متزايدة النزعة القومية لجمهورية أدب مقصورة على السادة، تحتشد فيها النساء المثقفات والموضة الأرستقراطية والذوق المنقرنس في عصر عودة ملكية البوربون. وقد صدم هازليت المؤلفات الإناث والأرستقراط وتصميمات الصحف المشوشة المتبانية باعتبارها بالتساوى أغراضاً لجمهورية أدبية متعفة. وفي الجرائد نجد "ترابطات غريبة" من النص والقراءات المتقاطعة بين الأجناس والمقولات تبعاً لهازليت في "حول محادثة اللوردات ١٨٢٦". وتداخل المطبوعات هذا يجعل الرسام روبنز *Rubenz* معادلاً للشاعر كوارلس *Quarles* وما يختفى بذلك هي التواريخ متميزة الانفصال للفنون المختلفة. إن الأرستقراط المزيّفين للأدب يختلفون عن جمهوري الأدب الكلاسيكيين بالطريقة التي يحولون بها بسهولة الصلات الاجتماعية إلى رأسمال أدبي، ويعارض بهم هازليت المؤلفين المرتزقة *street authors* *Grub*. الذين يتباطئون مبتعدين دون أى امتياز أو بدون "حماية لأشخاصهم". وعندما تختلط



معايير الامتياز الأدبي يلجأ هازليت إلى تغليب كيان "الكتاب" المركز والموحد والمكتمل على الجريدة، والقارئ المنضبط المركز على اللورد عابر الأجناس. ولكن هذا المقال المثبط للهمة يوجي غالباً بأن هازليت يفضل مشاركة متع؟ التعدد العشوائي للوردات الأدب على الدفاع المتشدد عن "مشروع لا أمل فيه" لجماعة تتبنى هدفاً مينوئياً منه *Forlorn hope* بحثاً عن العبقرية في الكتب (16873 : xvll). وتخلط مقالات هازليت في ثمانينيات القرن التاسع عشر الهويات الطبقيّة والجنسية والقومية في وصف جمهورية الأدب التجارية الأرستقراطية التي تحركها السوق. ويبدو المشاهير غير المستحقين للأدب المتفرنسون المدافعون عن المرأة في العشرينيات من القرن التاسع عشر وقد أعادوا اختراع دنيا صالونات الأدب العالمية لمنتصف القرن الثامن عشر، ولكن الآن في السياق المتحول لأوروبا الحلف المقدس (حلف تطبيق المبادئ المسيحية بين روسيا وبروسيا والنمسا). وذلك هو السبب في أن "مؤلفي" هازليت المتوحدين الذين لا يتغنى بهم أحد ضئيلي الأحرار لهم مذاق قد تمت تميته محلياً خصوصاً والسبب في أن المعلقين فيما بعد لن يكونوا مخطئين تماماً في ملاحظة أن هازليت نقل دعوته للجمهورية الثورية الفرنسية، مرجعه لسلطة "الرأي العام" إلى ترويج سيرورة مهنية متأخرة لكل الأشياء الإنجليزية<sup>(٥٧)</sup>.

وخلال العشرينيات من القرن التاسع عشر كادت "جمهورية الأدب" أن تصير أسطورة ثقافية، وتتبنى مقالات هازليت منتزعة الوهم عن الجمهورية الأدبية في منتصف هذه العشرينيات إلى آخر الصور التفضيلية لهذه الجماعة المتخيلة حديثاً في وقتها المبكر. وبدا أن العبارة في تسمية مثال أعلى غامض غائم يتضح أنه لم يعد ملصقاً بأي هيكل فعلي للتعليم أو السياسة أو الأدب. وفي أحد الأشكال المهمة تحولت جمهورية الأدب إلى مثل أعلى لنقد رومانسي أوروبي يصل إلى أبعد من العوالم الأدبية لأمم مفردة. وإذ يدخل توماس كارلايل "حالة الألب الألمانية" إلى القراء البريطانيين في مجلة متابعات إدنبره *Edinburgh review* عام ١٨٢٧، قاس الخطو غير المستوى للثقافات القومية المتقدمة ووجد على الأقل تاريخين ثقافيين لأمتين يحتفظان بنفس زمن سرعة الخطو.

"يصور جانب الأدب الألماني الماضي والحاضر أدب إنجلترا بأكثر من طريقة. وتاريخه يحتفظ بسرعة خطو تاريخنا لأن كل الجماعات الأوروبية وثيقة الارتباط، بحيث إن الأطوار العقلية

(57) Crane Brinton, *The political ideas of the English Romantics*, Ann Arbor, mi: University of Michigan Press, 1966, p. 130; see also Gerald Newman, *The rise of English nationalism: a cultural history 1720-1830*, New York: St. Martin's, 1987, pp. 233-44; Marlon B. Ross, 'Romancing the nation-state: the poetics of Romantic nationalism' in Jonathan Arac and Harriet Ritvo (eds.), *Macropolitics of nineteenth-century literature: nationalism, exoticism, imperialism*, Durham, nc: Duke University Press, 1995, pp. 56-85.

في أى قطر بمقدار تمثيلها لأوضاعها العامة، وموقعها العقلى ليست إلا تكرارات معدلة لطورها في كل قطر آخر...<sup>(58)</sup>

ولم تعد صورة كارلايل تقيس أوروبا ككل مقابل الثقافات " البدائية " للسكان الأصليين الأمريكيين الشماليين أو سكان جبال جراميان *Scottish Highlanders* فى إسكتلندا مثلما كانت الحال فى أوج ازدهار جمهورية الأدب المستنيرة. وبدلاً من ذلك قاس تقدم أو تخلف ثقافات أدبية أوروبية وعينه مثبتة خصوصاً على مصير التنوير فى أعقاب الثورة الفرنسية. وما توسط الأشعار القومية كانت أفضل مقولة للنقد. 'وكانت أبعد من أن تكون خلف الأمم الأخرى فى ممارسة علم النقد... كانت على نحو متميز وحتى على نحو ملحوظ سبابة (ص. ٥١).

وقد شكلت المقالات الرومانسية المتأخرة مثل هذه استقبال الجمهور للرومانسية باعتبارها ظاهرة أوروبية متزامنة وساعدت على محو ذاكرة "جمهورية الأدب" نفسها. وفى صورة قلمية "للبلط كرجل أدب" عام ١٨٤١ أبرز كارلايل ملامح رجال أدب يمثلون تلك ( الرفقة بعيدة الاحتمال لصمويل جونسون وجان جاك روسو وروبرت بيرنز) على حين يصرح بعجزه عن تخيل أى تنظيم قد ينتمى إليه رجل الأدب الحديث. وفى قرن تأسيس التخصص الأكاديمي والاحتراف سدد أنتوني ترولوب *Trollope* بظاهر اليد ثناء ملتوياً على رجل الأدب؛ وله مهمة لا تتطلب "رأس مال ولا تعليمًا خاصًا ولا تدريبًا وهو صاحب فن لا يقوم أحد بتدريسه" وحده فى هوامش الخطاب الحديث المنظم عند ١٨٧٩<sup>(59)</sup>، ولكن المهن النقدية وتخصصات المعرفة والمكان المتحول للعلوم الإنسانية التى أسهمت فى تدهور مكانة رجل الأدب وكان عليها ديون مهمة لجمهورية الأدب الحديثة المبكرة قد تحولت فى العصر الرومانسى. وعلى حين أن تفاصيل هذا الجدال تقع خارج نطاق هذا المجلد فإن أهميتها البارزة لاستيعاب نواتج النقد الرومانسى توحى بالطابع المتصل للمجال النقدي معاد الهيكل الذى صنعه كتاب العصر الرومانسى انطلاقاً من أزمة جمهورية الأدب الحديثة المبكرة.

(58) Thomas Carlyle, 'The state of German literature' [1827] in Henry DuC Trail (ed.), *Critical and miscellaneous essays*, London: Chapman & Hall, 1899, pp. 67-8.

(59) Cited in Heyck, *Transformation of intellectual life*, 28-9.

## الفصل الخامس عشر

### المرأة والنوع الاجتماعى والنقد الأدبى

بقلم: تيريزا م. كيلي

ترجمة: إبراهيم فتحى ولميس النقاش

لقد كان فشل الثورة الفرنسية فى مد مفهوم حقوق المواطنة ليشمل حقوق المرأة نقطة تحول خطيرة فى مناقشة قضية المرأة والنوع الاجتماعى *gender* فى أوروبا وبريطانيا.<sup>(١)</sup> وفيما يخص النقد الأدبى لتلك الفترة، قد غير هذا الفشل وتبعاته الثقافية مسار تناول العديد من الموضوعات مثل: الجنس فى الروح، والعواطف، والحساسية، وروح الأنثى المثالية أو الجميلة توأم الرجل، والجليل، والإبداع، والجمع بين الصفات الأنثوية والذكورية فى إنسان واحد، والحب، والمعارضة أو الثورة، والعبودية. فبعد الثورة تكثف - حتى فى بريطانيا التى كانت تملك تراثًا غنيًا من الكتابات المنشورة بأقلام النساء ومن بينها الكتابات النقدية - تكثف العداء تجاه النساء اللاتى مارسن الكتابة أو طمحن إلى دور عام كمتقفات وناقداً للثقافة<sup>(٢)</sup>. ولا يمكننا تقييم النقد الأدبى المكتوب عن المرأة أو بقلمها فى الفترة الرومانسية دون أخذ تلك الضغوط

(١) انظر:

Dena Goodman, Republic 8-10.

أتوجه بالشكر للباحثين الآتية أسماؤهم امساعدتى أثناء البحث لكتابة هذا المقال:

Daniel Reiss, Thomas Baylis, Anne Mellor, Lori Marso, Ann Gardiner, Jeffrey Cox, Julie Carlson, Jane Brown and Marshal Brown.

(٢) انظر:

Lonsdale, ed., *Eighteenth-Century women poets*, Oxford University Press, 1990, pp. xxxix xl, Anne K. Mellor and Richard E. Matlak, eds. *British literature 1780 - 1839*, Fort Worth. TX: Harcourt Brace, 1996, p. 33.

الثقافية والتاريخية في الاعتبار. لقد مارست النساء كتابة النقد غالباً تحت ستار أدبي سواء كان شعراً أو قصة أو رسائل أو ترجمات أو حتى أحاديث كتلك التي كانت تدور في الصالونات الأدبية في أوروبا. ومن هنا نجد من الضروري تتبع المناقشات النقدية في دائرة أوسع بكثير من المقالات والمراجعات النقدية. ويقدم هذا المقال والبيبلوجرافيا الملحقة به مسحاً أولياً لتلك المادة المتنوعة.

في فرنسا تتجه المناقشات المتعلقة بالمرأة والنوع الاجتماعي والتي تبدأ بروسو إلى التأكيد على الوضع الإشكالي لشخصياته النسائية ودور العواطف في مجتمع مدني، وفي ألمانيا تؤكد تلك المناقشات أو بالأحرى تنقد التماهي المثالي بين المرأة والجمال أو الروح المثالية وتحديداً دور تلك الروح في دعم نموذج من الإبداع والخيال لدى الكتاب الرجال يجمع بين الصفات الأنثوية والذكورية. أما في بريطانيا فنجد دعوة ولستونكرافت *Wollstonecraft* إلى "ثورة في السلوك النسائي"، دفاعاً عن العقل لا العواطف والأحاسيس، في كتابها "دفاع عن حقوق المرأة" تحذر ولستونكرافت بأن انطلاق ثورة النساء، وهن غير متعلّقات، مثل العبيد والجيوش النظامية، قد لا يحالفها الحظ. وعندما عاشت ولستونكرافت في باريس الثورة، خفت حماسها للثورة كما أصبحت أكثر اعتدالاً في رفضها السابق للخيال والعواطف فصارت تعتبرهما من مكونات الفكر العقلاني. إن هذا التحالف الرومانسي المؤلف إلى جانب اعتراض ولستونكرافت السابق على الحساسية باعتبارها ضارة بالنساء، كلاهما يشكلان جانباً من الجدل الذي استمر بين الكتاب، وخصوصاً النساء الكاتبات، حول الدور المناسب للعواطف والأحاسيس في الإبداع الشعري والرواية والدراما وحياة النساء.

وتشهد كتابات جيرمان دي ستايل النقدية والروائية الجانب الأكثر راديكالية من الجدل الرومانسي والتتويري حول «قضية المرأة» فدى ستايل ترفض نموذج الخضوع الأنثوي وارتباط المرأة بالمجال الخاص، وهو النموذج الذي فرضه روسو على شخصية صوفي في رواية "إميللي" وعلى شخصية جولي هيلواز الجديدة، ومع ذلك

فإنها تدافع عن التفاني العاطفي لجولى وترى فيه أساساً أخلاقياً وجمالياً (وإن كان مستبعداً) لمجتمع جمهورية ما بعد الثورة<sup>(٣)</sup>. ففي حين يتجه الرجال لمنطق الحسابات فى سبيل تبسيط الواقع الإنسانى يقعون فى مغالطات بسبب الإفراط فى الإيديولوجية - وهو ما تسميه ستايل بالتهوس الفلسفى - فإن النساء يصبحن الملاذ للإنسانية والعطاء والإحساس المرفه؛" إذ يملكن القدرة على حمل مشاعر عميقة تجاه إنسان ما وبالتالي القدرة على الإحساس بمعاناة الآخرين، وهذا الحس هو ما يدعوها للدفاع عن الواقعية والرواية، ورفض المثالية والمجاز التمثيلى التقليدى وكل الأشكال الكلاسيكية المغلقة والجامدة. وهى تطرح فى كتابها عن الأدب (١٨٠٠) وجوب اختصاص الكاتبات فى الجمهوريات الحديثة بالأدب والرجال بالفلسفة، ورغم أن هذا المشروع يبدو كأنه خضوع للأفكار المعاصرة حول ضرورة اقتصار النساء على كتابة الرواية (والتي لم تكن ستايل قد بدأت بكتابتها بعد حينذاك) فإنه يخفى وراءه مشروعاً أكثر ثورية - ألا وهو الدفاع عن العواطف والعفوية كأساس أخلاقى قوى للجمهورية الليبرالية.

فى كتاب عن الأدب تعمل الاقتناعات الفلسفية والسياسية بالترادف مع المبادئ الأدبية. وتبدى ستايل تفضيلاً للكتاب المحدثين خصوصاً الشعراء الإنجليز. وبعض أسس هذا التفضيل تدل على رؤية مثالية حول بريطانيا التى زارتها فى ١٧٨٩ ولا تدل على الواقع السياسى لتسعينيات القرن الثامن عشر. وعلى العكس من ذلك فإن رؤيتها لفرنسا على وعى حاد بنقاط تلاقى النشاط السياسى والأدبى. وهى تربط ما بين التقاليد المسرحية والطبقة الأرستقراطية لتصل إلى أن المسرح الفرنسى فيما بعد الثورة ينقصه "أبطال حقيقيون لهم نقاط ضعفهم بدلاً من هؤلاء الأبطال المثاليين"<sup>(٤)</sup>.

(٣) انظر:

Lori Marso, *(Un)manly citizens: the subversive feminine presence in J. J. Rousseau and Germaine de Staël*, Baltimore, md: The Johns Hopkins University Press, 1998, ch. 1.

(٤) انظر:

Madame de Staël, *De la littérature considerée dans ses rapports avec les institutions sociales*. Pans: Charpentier, 1887, p. 190.

وتلاحظ الوظيفة السياسية الضمنية للصالونات الأدبية في النظام السابق: حرية حوارات الصالونات تمنح السلطة المطلقة وجهًا أجمل، فهو وجه سطحي.

وتصر ستايل في كتابها حول تأثير العواطف وحول الأدب وكذلك في رواياتها أن من يمتلك عواطف قوية يحتاج "لفلسفة" من أجل كبح حماسته، وتوجيه الأهداف الأخلاقية. (قلما تستخدم ستايل مصطلح "العقل" في هذا السياق، ربما لأنها لاحظت أن تعصب عصر الإرهاب اليعقوبي بدأ مع عبادة العقل). ولأسباب مماثلة، تدافع في كتابها حول الأدب عن القافية الشعرية والمسرح الشعري باعتبارهما وسائل مساعدة لاحتواء وتحمل العواطف والأحزان، وعن "المصدر الذي لا ينضب لتأملات المفكرين العباقرة". (ص ٣٣٠). وينبئ الفصل الخاص بالكاتبات النساء عن الازدواجية الواضحة في صياغة ستايل لبطلات قصصها، اللاتي يملكن من العواطف المتدفقة ومن الحزن ما يكفي لعدة روايات. تفرق ستايل قبل ذلك في نفس المقال بين "التراجيديا" و"الدراما" فتطرح أحد أشكال هذه الازدواجية: ففي حين تتناول التراجيديا الحقّة الموضوعات العامة، تحدث الدراما بشكل كامل في المجال الأسرى والخاص. تميل بطلات ستايل إلى الوجود الواسع في الحياة العامة وفي نفس الوقت يحملن طاقة هائلة من مشاعر الحب والحميمية الأسرية وكلها أشياء تنماهى بالنسبة لستايل مع المرأة الحديثة وعظمة الأدب الحديث، وهن بذلك يمثلن ميزة التحقق ونقمتة في ذات الوقت.

تجسد تلك البطلات إذن العواطف القوية والتي قدّمتها ستايل بكل ما تحمل من قوة معنوية وخيال مبدع أول ما قدّمتها في أثر العواطف على سعادة الأفراد والأمم (والذي بدأت كتابته في ١٧٢٩ وتم نشره في ١٧٦٩) وفي مقال حول القص الخيالي (٥٩٧١) وكذلك في حول الأدب. أما بطلات روايتي ديلفن (١٨٠٢) وكورين (١٨٠٧) فلا يتمكن من الازدهار طويلاً في ظل الثقافة التقليدية الصارمة التي يلتزم بها الرجل في حياة كل منهن التزام شرف. وإن كانت كلاهما مثلاً مأسوياً لما اتسمت

به الرومانسية في بريطانيا وأوروبا، وما دعم قوتها المعنوية. وتبدى الإيطالية كورين والإنجليزية ديلفن حساسية وحبًا منزهاً عن الغرض للوطن والناس مما يجعل كلاً منهما بطلة أكبر من الحياة أو على الأقل أكبر روحاً وأقوى شخصية من الرجل الذي تفقد معه قلبها، ولكن لا تتنازل له عن مبادئها. لقد كانت رواية كورين - على وجه الخصوص - تحذيراً لنساء تلك الفترة من الثمن الذي غالباً ما سيدفعه بسبب حماسهن المعلن على الملأ للرومانسية.

فكورين تخبر احترام الإنجليز والإسكتلنديين للتقاليد وقانون الأب في شخصية حبيبها أوزولد، ولكنها وحتى ذلك الحين تتجنب السخرية والكراهية لأنها تعيش في إيطاليا؛ حيث أصبحت بمواهبها ووجودها في الحياة العامة شاعرة معروفة واسعة الانتشار تسعى روحها العميقة للتواصل في سبيل دعم التقدم المستتير للمجتمع. وقد أدرك قراء ستايل على الفور أن صفات كورين من موهبة فذة في الارتجال والانحياز للجليل في الطبيعة وفي الأخلاق الحميدة وحدها السريع. كلها صفات مميزة للعقل المبدع الذي خلقها بقدر ما هي مميزة لشخصية كورين. فحين كانت ستايل في مدينة كابوت بسويسرا ضم صالونها شبكة من عناصر ما بعد الثورة من زائرين ومراسلين فانتسح المدى الفكري لذلك الصالون عما كان عليه قبل الثورة كما اتسع مدى تأثيره<sup>(٥)</sup>. وقد كانت ستايل تكتب في الصباح بعض أجزاء كتابها حول الأدب وتعرضها على زوارها بمسودتها في المساء. ويؤكد أحد مستمعيها أن تلك العروض غير الرسمية كانت أكثر ألفة من النص المكتوب، أو هكذا اعتاد سانت بيف أن يردد مسروراً<sup>(٦)</sup>. ويتردد كثيراً في تلك الفترة الارتباط بين الارتجال النسائي وبراعة الحديث، بالرغم مما سيطرته كوليريدج في ١٨١٧ عن استلهاهم قصيدة "كوبلا خان" من حلم زاء. أما بالنسبة للكاتبات المحافظات في فرنسا من أمثال ستافنى فيليسته دي جنلى فإن رواية

(٥) انظر: كتاب أن جاردنير Anne Gardiner الذي يصدر قريباً حول التاريخ الاجتماعي لحلقة كوير.

(٦) انظر:

كورين (وبالتالى كاتبتهما) تنتهك قانون العزلة داخل نطاق البيت والأسرة وهو المبدأ الذى اتخذته دى جينلى للدفاع عن كاتبات الرواية من أمثالها؛ فالكتابة نشاط لا يتطلب الحركة ومن هنا يجبر المرأة على التزام البيت بعيداً عن الظهور على الساحة العامة. أما وقد أصبحت كورين أحد المشاهد المعتادة للحياة العامة فقد تجاوزت بذلك الحدود التى وضعتها جينلى للكاتبات فى كتابها حول تأثير النساء فى الأدب الفرنسى (١٨١١) وفى غيره من المقالات.

يرجع الفضل لكتاب ستايل "حول ألمانيا"، والذى تمت مصادرتة فى ١٨١١ من قبل الشرطة الباريسية وصدر أخيراً فى لندن عام ١٨٣١، فى نشر معتقدات الرومانسية الألمانية لدى القراء الفرنسيين والبريطانيين، بل إنه يعكس إعجابها بالفترة السابقة على الرومانسية الممتلئة فى حركة العاصفة والدفع والمرحلة المبكرة لجوته والمرحلة المبكرة لمجموعة بينار الرومانسية<sup>(٧)</sup>. ومع ذلك فإن نظرة ستايل لألمانيا تتنبا بكثير مما سيشتغل الحركة الرومانسية مثل العبقرية الشعرية والحساسية العاطفية والمثالية فى الرؤية والتى كانت محل إعجابها لدى أ.ف. شليجل. وفى داخل ألمانيا اتخذت الأفكار المثالية حول المرأة والإبداع والجنسين دائماً أشكالاً أدبية مختلفة، من الأنثى المثالية (والخاضعة) أو "الروح الجميلة" للأخت فى المسرحيات المبنية على السيرة الذاتية لجوته فى بداياته، وفى أخت وأخ، وميجون وناتلى فى رواية سنوات تعلم فيلهلم ماستر، إلى مارجريت فى فاوست الجزء الأول، وافجينا فى إفيجينا فى تاورس، إلى بطة رواية فريدريش شليجل لوسينده.

ومن داخل دوائر الحركة الرومانسية أو على أطرافها سواء فى بينا أو برلين أو حول جوته فى فايمار، اتجهت النساء اللاتى حاولن الخروج على الدور المفروض عليهن فى الجماليات المثالية للحركة الرومانسية إلى القيام بذلك بشكل غير مباشر وعادة عن طريق الروايات، مثلما فعلت شارلوت فون شتاين، وهى الأصل الذى

(٧) انظر:

Lilian Furst, *The contours of European Romanticism*, London: Macmillan, 1979, pp. 56-73.



صور جوته بناء عليه شخصية البطلة في مأساة إفيجينا في ١٧٧٩؛ إذ كتبت بعد ذلك بسنوات ردها في رواية ديدو والتي وزعتها في نسخ بخط اليد. اعتمدت شتاين على مصادر سابقة على فرجيل وقدمت مأساة موت ديدو على أنه اختيار تقوم به البطلة لتتقذ نفسها من زواج لا ترغبه من ملك بربرى. وعلى عكس بطلة جوته التي تخضع لقرار التضحية بها ولكن تنفذها في النهاية قدرتها على التأثير بالكلام على الشخص الذى سلبها حريتها، ثوس البربرى، فإن بطلة شتاين لا تخضع لأحد، وتختار الموت بلا مساعدة من أخيها بجمالليون، ويعكس أورست الأخ الحامى فى مسرحية إفيجينا والذي استلهمه جوته من شخصيته هو، وكان يقوم بتمثيل دوره عندما تم عرض المسرحية للمرة الأولى، فإن بيجمالليون عند شتاين الذى قتل زوج أخته هو أول من يعتدى عليها ، وردًا على مسرحية جوته المثالية التي ينقلب فيها الصراع العنيف بين أورست وثوس فى النهاية عن طريق خضوع إفيجينا ودعوتها العاطفية للسلام، تقوم شتاين بتخيل بطلة ترفض الخضوع بهذا الشكل الصارخ وتختار الموت؛ لأنه يحفظ لها هويتها فى مواجهة العالم الذى تحيا فيه، عالم يحكمه أخوها الطاغية الذى لا يقبل التغيير. وتتأثر عبر الرواية إشارات إلى المؤامرات القانونية فى محاكم فايمار وإلى حوارات ورسائل جوته فى بداياته، مقدمة لمحة ساخرة وواقعية لشخصية جوته من أجل رفض مثال المرأة الخاضعة التى كانت شتاين نفسها نموذجها<sup>(٨)</sup>.

وفى السنوات الأولى للحركة الرومانسية الألمانية كان مثل هذا التصوير المثالى للمرأة يدعم تصورًا عن وحدة الشعر والعبقرية الجامعة للصفات الأنثوية والذكورية، ويعتبر شليجل فى كتابه "حوار حول الشعر" (١٨٠٠) أن لورا عند بترارك تعبر عن القيمة الشعرية للروح الأنثوية الجميلة: "إن أغاني [بترارك] هى خلاصة حياته تشتعل فيها روح واحدة تجمعها فى عمل لا يتجزأ ؛ حيث روما الأبدية على

(٨) انظر:

Katherine Goodman, 'The sign speaks', *In the shadow of Olympus: German women writers around 1800*, Katherine R. and Edith Waldstein (eds.), Albany, ny, State University of New York Press, pp. 71-94.

الأرض، والعذراء في السماء تعكس لورا وحدها قلبه؛ ويرمزان في حرية بديعة إلى لب الوحدة الروحية للشعر كله<sup>(٩)</sup>. وتتردد في شذرات نوفاليس "عن جوته" ١٧٨٩ رؤية شبيهة حول بطلات جوته في مرحلته المبكرة. كما يرى نوفاليس في "دراسات في الفنون البصرية" ١٧٩٩ أن المناظر الطبيعية هي المرادف البصري للحركة الداخلية للكائن الرومانسي الذي يجمع ما بين الصفات الأنثوية والذكورية: "المتدفق والصلب، الذكر - الأنثى، المنظر الروحي وعمقه الجيولوجي، الطبيعة وتنويعاتها."<sup>(١٠)</sup> عظام الرجل وجسد المرأة.

ويقدم حوار شليجل الشخصيات النسائية باعتبارهن مشاركات في الحوار الفكري والأدبي بقدر ما تطرح الأسئلة على الشخصيات من الرجال فيستمر الحوار. فالرجل هو طرف الحديث الذي يسيطر على التبادل الميتافيزيقي والجمالي الذي ينتج عن الحديث. (ص ٧٥) فعندما تعلق أماليا على الأنواع الأدبية والتصنيفات "إنني أقشعر عندما أفتح كتابًا فأجد فيه الإبداع والأعمال الإبداعية مصنفة تحت بنود مختلفة". فريد ماركوس بغير اهتمام "لا أحد يتوقع منك قراءة كتاب فظيع كهذا، ومع ذلك فإن ما ينقصنا حقًا هو نظرية للأنواع الأدبية". وبعد ذلك يتوجه بملاحظاته إلى لودفيكو باعتباره طرف الحديث المفترض فيه إدراك ذلك النقص أكثر من أماليا التي لا تتركه ولا تستطيع طرحه. وتقف الرواية في صف أماليا إذ تظل على دفاعها عن وحدة وتجانس الإبداع والأعمال الإبداعية أخلاقيًا وجماليًا (ص ٥٧-٧٧) وهي الفكرة النقدية المتوافقة مع وضعها الذي يكاد يكون رمزياً لتجسيد الوحدة الروحية للشعر، مثلها مثل لورا عند بترارك. ويعبر أنطونيو في رسالة لأماليا عن تصوره أن النظرية

(٩) انظر:

Friedrich Schlegel, *Dialogue on poetry and literary aphorisms*, University Park, pa: Pennsylvania State University Press, 1968, p. 68; *Gespräch über die Poesie*, in *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, vol. ii: *Charakteristiken und Kritiken I (1796-1801)*, Hans Eichner (ed.), Munich: Schöningh, 1967, pp. 284-351.

(١٠) انظر:

*German aesthetic and literary criticism*, p. 109.

الأدبية " من متع المثقفين التي لا تتناسبها [كامرأة]،" ردًا على رفضها لتعريفه للرواية (بعدما طلبت منه تعريفها) "بكتاب رومانسي"، واعتبرته "تصنيفًا لا معنى له". (٨٩ - ١٠١) أما أنطونيو فقد استمر في صياغة مزيد من التعريفات حول الفرق بين الرواية والدراما والملحمة. وطبقًا لمحدثها، فقد ظلت آماليا غير مقتنعة بل وربما ملت: "قيما بعد نسيت أطروحتك أو تخليت عنها وقررت القول إن كل هذه التقسيمات لا تؤدي لشيء، وإن هناك نوعًا واحدًا من الشعر ما يهم هو أن يكون جميلًا، ولن يهتم بالناوين والتقسيمات غير المتحذلقين." (ص ٢٠١).

بمعنى ما، تحمل آماليا أحد المعتقدات المهمة لأطروحة شليجل ذات القطبين حول الشعر، في حين يمثل أنطونيو والمتحدث الآخر القطب الثاني - ألا وهو تحليل الأنواع الأدبية. فمما يشكل الاثنان التراوح الذي يخلق المفارقة الرومانسية التي تحمل هنا - وفي مجالات أخرى كذلك - في توازن خلاق مقولتين فلسفيتين وتأويليتين متعارضتين في السطح ولكن توازن كل منهما الأخرى. ولكن التعالي الذي يتوجه به المتحدثون من الرجال في حديثهم للطرف النسائي يحمل صدى تعليق فريدريش شليجل في "حول الفلسفة: عن دوروثيا: *An Dorothea "Uber die Philosophie*؛ حيث يقول "إن الأسرة والبيت ليسا بالنسبة للمرأة قدرًا، بل إنها طبيعتها ووضعها". كما يحمل صدى التماهي الذي رآه شيلر قبل ذلك بين النساء والأطفال والعبقرية المميزة للشعر الساذج<sup>(١١)</sup>. فكما يوحى إعادة التركيب الخيالي الذي قام به روسو لحالة الطبيعة، فإنه بسبب حاجة العبقرية الطبيعية أو الفكرية لاكتساب الشاعر الحساس الحديث (أي وعى الحركة الرومانسية) فإن ذلك الشاعر الحساس يتفوق من ناحية القدرة النقدية على (الفكر) الفطري؛ يملكها الرجال العظام وللنساء الجسد. فإذا كانت الحالة أن النساء هن الشعر وأن عدم رغبتهن في الخوض في التصنيفات النقدية

(١١) وردت ملاحظة شليجل في:

Goodman and Waldstein, "Introduction," *In the shadow of Olympus*, pp. 22-3; Friedrich von Schiller, *Naïve and sentimental poetry, On the sublime*, Julius A. Elias (trans.). New York: Ungar, 1966, pp. 97-8.

والنظرية هو بمثابة تعبير مجازي عن هذه الحقيقة، فإن النساء لا يمكنهن أن يكن ضمن فئة الشعر الحساس الواعي بذاته بما أنهن لا يستطعن ممارسة النقد بكفاءة.

إن هذا الاستقطاب لا يشبه أبداً البرنامج الذي أكدته المجموعة الرومانسية الأولى في بينا ونقل عنها. في ١٧٩٩ استقر الأخوان شليجل مع زوجة أ.ف. شليجل كارولينه (والتي ستزوج من شيلنج فيما بعد) ودوروتيا فيت حبيبة فريدريش شليجل (وزوجته فيما بعد). وما لبث أن التحق بهؤلاء الأربعة الشاعر لوفيج نيك ثم فخته وشيلنج والشاعر نوفاليس وكلمنس برنتانو، وهو أخو بيتته فون أرنيش التي أقامت فيما بعد صالوناً أدبياً في برلين. وقد عاش بعض أعضاء المجموعة في بيت واحد وعاش الآخرون في بيوت متلاصقة وقد حددوا مشروعهم الجمعي للحوار والكتابة الفلسفية والشعرية بفن الحياة *Lebenskunst*. وقد قامت نساء مجموعة بينا وهما كارولينه شليجل ودوروتيا فيت بالمساهمة بمقالات أو المشاركة مع غيرهن بكتابة مقالات نشرت في جريدة فريدريك شليجل الأثينيوم. وقد عملت كارولينه و أ.ف. شليجل على ترجمة شكسبير وكتبت دوروتيا فايت رواية فلورنتين<sup>(١٢)</sup> ورغم أن المجموعة ما لبثت أن تفرقت فإن السجل الأدبي لتلك التجربة القصيرة يشير إلى أن الاختلافات الأساسية حول النوع الاجتماعي والإبداع كانت موجودة في تلك المجموعة. وتقدم لنا حياة وأعمال كارولينه "شليجل شلينج، على حذرها، حالة دالة في هذا السياق.

تسجل رسائل كارولينه في بينا تنامي ثقافتها في حكمها (حسها) النقدي. وفي المراجعات التي كتبتها في الأثينيوم أثناء فترة بينا كانت تفضل الأعمال التي تربط بين الهموم العامة والمشاعر الخاصة. وبالفعل ففي المحاكاة الساخرة التي كتبتها حول رسالة فريدريش أخو زوجها (في ذلك الوقت) في ١٨١٠ تؤكد على "أن الأخلاق الفلسفية تأتي في مرتبة أدنى من السياسة". لقد كانت كارولينه العمود الفقري للمنزل والأسرة بالنسبة للمجموعة كلها وكانت تفضل أن تنشر أعمالها، سواء تلك

التي كتبتها وحدها أو بالاشتراك مع شليجل، تحت اسم شليجل حتى تتجنب النقد الموجه للكاتبات، إلا أنها بمجرد ما تركت بينا وشليجل وارتبطت بشيلنج وأصبحت المسئولة عن بيوت أخرى في مدن أخرى تحول حسها الأدبي وطموحها بعيداً جداً عن التركيز المثالي والذاتي للحركة الرومانسية في بداياتها. فقد فضلت - وهي المتحدثة الفذة وكاتبة الرسائل - التبادل النقدي الذي كانت تَمده تلك الأشكال عن أشكال أخرى مثل المذكرات والسيرة الذاتية والروايات المعاصرة بقصصها العاطفية المفرطة في الخيال. وبالرغم من أنها بدأت في كتابة رواية سيرة ذاتية، فإنها ما لبثت أن تركتها. وتشير رسائلها إلى السبب وراء ذلك؛ ففي عصر اشتراط على البطلات من أمثال مارجرت وأفيجينه - بطلات جوته - التضحية بالنفس، رأت كارولينه شليجل شيلنج في نفسها "امراة طيبة ليست ببطلّة" وأكدت بوضوح "أننى لا أؤمن بالتضحية"<sup>(١٣)</sup>.

لقد تم إهمال رواية دوروثيا فايت فلورنتين (١٨٠١) طويلاً باعتبارها رواية نسائية تافهة، ولكنها يمكن أن تكون محاكاة ساخرة لرواية شليجل لوسيندا (١٧٩٩) بتصويرها الشخصيات المسطحة لنساء خاضعات مسجلة مكانة الكاتبات في بدايات الحركة الرومانسية الألمانية. إن حياة البطل، الذي تحمل الرواية اسمه، تستدعي قصة رواية جوته سنوات تعلم فيلهلم مايستر، وهو العمل الذي كان شليجل يعتقد أنه يمثل أساس الحركة الرومانسية وقد أخذ عنه روايته لوسيندا، وهو كذلك العمل الذي استأعت منه فايت استياء واضحاً. فبطل رواية جوته يسعى عن طريق سلسلة من العلاقات النسائية لتحديد نفسه جمالياً عن طريق "الأنثى الخالدة"<sup>(١٤)</sup>. وقد أدرك شليجل ميل القصة إلى الجانب الذكوري في لوسيندا فأطلق عليها "الجزء الأول" واعداً بتحليل الجانب الأنثوي في جزء لاحق لكنه لم يدخل حيز التنفيذ قط. فلوسيندا وإن

(١٣) انظر :

Sara Friedrichsmeyer, 'Caroline Schlegel-Schelling', in *ibid.*, pp. 125-6; 124.

(١٤) انظر :

Martha B. Helfer, 'Dorothea Veit-Schlegel's *Florentin*: constructing a feminist Romantic aesthetic', *German quarterly* 69 (1996), p. 151.

كانت بطلنة الرواية فدورها يتمثل أساساً فى كونها المحرك السلبي للهوية الجامعة بين الصفات الأنثوية والذكورية لحبيبها جوليوس. أما فى رواية فلورنتين فإن تبادل الأدوار الساخر بما يحدث فى رواية لوسيندا يسترعى النظر فيما تحمله من مسلمات حول الأدوار الاجتماعية والنساء والذاتية الرومانسية. تجعل فايت من بطلها رجلاً (فلورنتين) وتعطيه اسماً نصف أنثوى وحبيبة اسمها جوليان وترصد مجهوداته الفاشلة ليكون أبا لطفل على صورته كوسيلة لولادة هويته الخاصة. فى مجملها، تعيد هذه الأصداء خلق المحركات الجنسية والجمالية للروح الرومانسية الجامعة بين الصفات الأنثوية والذكورية فى شكلها الروائى وتكشف عن الثمن الأدبى بالنسبة للنساء من جراء هذا الوضع المثالى للمرأة الذى يستبعداها.

\*\*\*

استمرت هذه الاتجاهات طوال فترة بدايات الرومانسية الألمانية، وخصوصاً فى برلين، حيث أقامت فون أرنيى وراخيل فون فارنهاجن فون إنس صالونات أدبية دارت فيها الحوارات المميزة للحركة الرومانسية بين الرجال والنساء. ومثلها مثل فريدريك هيلين أنجر، زوجة الناشر الذى قام بنشر سنوات تعلم فيلهلم مايستر لجوته، والتى أعادت فى رسائلها إلى جوته وفى رواياتها فيما بعد فكرته المثالية عن الروح الأنثوية الجميلة،<sup>(١٥)</sup> قامت أرنيى وفارهاجن بتخيل "حوارات" مع جوته تميزت بالتنافس كما تميزت بالتعبير عن الإعجاب الشديد. وتتخذ الرواية الأولى لأرنم مراسلات جوته مع طفل شكل رواية رسائل تصف فيها مبادلات مبدع يحمل بصمات الحركة الرومانسية من عواطف وعفوية وجدس. أما التلث الأخير من الرواية والذى يتحول عن شكل الرسائل فيسجل إحباط أرنيى لعدم تجاوب جوته فى واقع مراسلاتها. أما روايتها الثانية شجرة اللباب فتسجل سلسلة مراسلات تحمل تحقّقاً أكثر وعاطفة

(١٥) انظر :

Susanne Zantop, 'The beautiful soul writes herself', in *In the shadow of Olympus*, Goodman and Waldstein (eds.), pp. 30-51.

متبادلة بين أرنيك وكارولين هفون جند روده<sup>(١٦)</sup>. وبذلك تكون قد سجلت طموحاً لم يتحقق إلا في اختراق تاريخ الصالون الأدبي في أوروبا، حيث تركت مشاركة النساء الفاعلة في الحوارات شعوراً بالقلق بقدر ما تركت شعوراً بالرضا.

وفي إنجلترا- كما في أوروبا- سادت قضايا النوع الاجتماعي والكاتبات من النساء نقاش المؤمنين بالحساسية. ويتمثل النقد الأكثر تكراراً في الرأي القائل بأن النساء، بما فيهن الكاتبات، يظهرن أو يستغلن الحساسية الضعيفة أى الخضوع للمشاعر والعجز الأخلاقي والذي يفتقر إلى اتزان العقل. ومع أخذ هذا الخطر في الاعتبار ترى وليستونكرافت وأوستن أن النساء اللاتي يحكمن حساسياتهن أكثر قدرة على أن يصبحن كائنات قوية العقل والأخلاق. وفيما بعد عام ١٧٩٣ قامت وليستونكرافت وستايل وبعض الكاتبات المنتميات للحركة الرومانسية ممن لم يشهدن مناخ القمع السياسى لفرنسا الثورة، بالتقليل من التعبير عن إعجابهن بالعقل في مقابل المشاعر، ربما بسبب الأذى الذى نتج عن عبادة العقل الذى دعا إليه روبسبير ولجنة الأمن العام، ولكن أيضاً بسبب سيادة العواطف والحساسية على نقد تلك الفترة وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالنساء والنوع الاجتماعي والعبقرية.

إن دفاع الحركة الرومانسية المعقد عن العواطف بما فى ذلك العواطف المعبر عنها بلاغياً يساعدنا على فهم الشعبة المستمرة لكتابات ستايل، وتحديدًا رواياتها. ويدلنا كتاب ماريا جين جوزيبرى تاريخ امرأة متحمسة وهى قصة عن شابة تواقفة للشهرة تعيد للأذهان قصة كورين، يدلنا على أن ما جذب الإنجليز وخصوصاً النساء منهم إلى الرواية لم يكن ببساطة تغنيها بالحساسية ولكن إمكانية رسم صورة بطلنة تستحق بسبب عواطفها وقدراتها مكاناً على الساحة الأدبية. ونجد فى قصيدة بولوهيل قدحاً وهجاء فى مثل هذه الطموحات، وهى أحد الأمثلة للرد فيما بعد للثورة على

(١٦) انظر :

Waldstein, 'Goethe and beyond', in *ibid.*, pp. 98-113.

النساء اللاتي ظهرن بدرجة ما، وكان لهن دور في الحياة العامة ككاتبات للرواية أو الشعر أو النقد. ترصد ميلور وغيرها شكلين من الاستجابة لنداء العداء الحاد تجاه كاتبات الشعر من النساء: الأول هو اتجاه "الشاعرة" هيمناس ولاندون وغيرهما اللاتي مارسن الكتابة ولكنهن نصحن بالتزام الكاتبات بالبيت والأسرة، كما كان حال جينلس في بدايات القرن. أما الثاني فكان عند النساء من الناقداً والشاعرات من أمثال باربولد وسميث ومور وويليامز وأوبى اللاتي اتخذن موقع واعظات المعارضة من أجل كسب الشرعية لصوتهن ككاتبات وناقداً في ساحة الحياة العامة<sup>(١٧)</sup>.

وعلى اختلاف أوضاع النساء بين من رأت في نفسها كائنًا منزليًا في الأساس تكتب للجمهور العام بسبب الضرورة أو من داخل نطاق البيت والأسرة، أو تلك التي دخلت الساحة العامة للثقافة الأدبية، فإن النساء في إنجلترا وإسكتلندا وإيرلندا وويلز أنتجن كمًا هائلًا من الأعمال في النقد الأدبي في تلك الفترة منها المنشور ومنها ما تم تداوله في دوائر خاصة. وكانت الأشعار والروايات الرومانسية أكثر موارد بسبب المناقشات المستترة بلاغيًا للنساء والشكل الثقافي لهن. وقد أنتجت كاتبات دراما مثل بايلي *Baillie* وإنشبالد *Inchbald* نقدًا منشورًا كبير الحجم. وتهتم بايلي بالنظرية الدرامية وإنشبالد بتاريخ النقد الدرامي والإنتاج المسرحي. وكانت الشاعرات من أمثال روبنسون سيرارد وخصوصًا باربولد *Barbauld* ناقدين أدبيين بارزتين. وفي حالة باربولد يمتد نطاق النقد من مقال القرن الثامن عشر، من تاريخ الرواية البريطانية إلى السياسة والنظرية الأدبية. وبالنسبة لكاتبات مثل سميث ومور شاركت منظورات متميزة تربوية وأخلاقية وشعرية الفضاء النقدي والأدبي نفسه. وقد نشر النساء أكثر مما اعترف بهن حاليًا في الجرائد ومجلات المراجعات النقدية.

(١٧) انظر :

Anne K. Mellor, 'The female poet and the poetess: two traditions of British women's poetry, 1780-1830', *Studies in Romanticism* 36 (1997), pp. 261-76.



وقد أصدر عدد من الكاتبات ذوات الإنتاج المنشور فى تلك المرحلة بما فيهن إدجورث *Edgeworth* وبيرنى *Burney* وكذلك بعض اللاتى فضلن عدم نشر أعمالهن مثل دوروثى وردزورث *Dorothy Wordsworth* أحكاماً أدبية فى أشكال تبدو عرضية أو اجتماعية (خطابات إلى أصدقاء) أو مرتجلة. وفى الأعمال المنشورة خدم الارتجال قناع شخصية *persona* "الشاعرة الرومانسية التى تدعو إلى كتابة فن لغوى<sup>(١٨)</sup> أقل تهديداً لأنه أقل تعمداً وتخطيطاً. ولكن قناع الشخصية هذا قد يكون هامداً بقدر أكبر من كونه خاضعاً فى البطلات الإنجليزيات اللاتى يستعرن قناع ستايل: "كورين"، وبينهم "المتحمسة" الأنتى عند جوسبرى *Jewsbury* وبطلة شخصية لاندون *Landon* فى المرتجلة *The improvisatrice*. وآخر "رسائل عن النساء" *Epistles on women* للوسى إيكين *Lucy Aikin* تجعل من ارتجال الإناث ملمحاً من ملامح نظرية أدبية مؤسسة فى المحادثة والاتصال الاجتماعى والمناقشة العمومية<sup>(١٩)</sup>. إن الارتجال والمحادثة الأنثويين اللذين كانا من قبل نموذجاً رسمياً فعلياً فى الهجمات الشعرية على النساء (تذكر بوب *Pope*) صارتا الآن أشكالاً من النقد الأدبى.

وهذه النظرة إلى النساء والنقد كانت بعيدة عن أن تكون إجماعية. ودراسة ولفسون *Wolfson* عن كيف عزف الرومانسيون "جنس الأرواح" توحى بلمماذا اعتقدت ولستونكرافت أن الأرواح لا تنتمى إلى جنس وهو موقف سمح لها أن تقوم بالتفاف ختامى حول مزاعم سابقة تدعى أن الروح الأفضل هى الروح الذكر. ووضع ملاحظة كوليردج عن أن عقلاً كبيراً يجب أن يكون متصفاً بصفات الجنسين

(١٨) انظر :

Richard C. Sha, *The visual and verbal sketch in British Romanticism*, Philadelphia, pa: University of Pennsylvania Press, 1998, p. 125.

(١٩) انظر :

Mellor, 'The female poet and the poetess', p. 276.

*androgenous* في سياقها تدلل على حضور صفات أنثوية في أذهان الذكور العظيمة وبالمثل، إن اعتقاده بانتماء جنسي للأرواح يتخيل أن روح الأنثى تعكس خصائص جسد مؤنث وأبعد من ذلك أن الأرواح المؤنثة تقدم عوناً شبه جسدي للإلهام الإلهي "والمذكر". وكتاب جوسبري *Jewsbury* تاريخ شخص متحمس يستحوذ على لغة آسيا في عمل بيرسي شيلي "بروميثيوس طليقاً" للاحتفال بالقوة العقلية لروح بطلتها الأنثى بذلك يعيد كتابة تحالفات شيلي الشعرية المبكرة بين النساء والطبيعة والمادة. إن الازدواج حول التشكل الثقافي والجنسي يعقد بطريقة مختلفة قناع الشخصية الشعرية لكيتس وبيرون جاعلاً منهما شريكي فراش شديدي الغرابة. إن الصوت الشعري المهتاج كاره النساء والمشتبهى لهن الذي يستعمله يعفده وعيه بالاستهزاء من تأنث لهجة شرق لندن الموجه إليه. كما أن اللغة البلاغية التي يستعملها بايرون لتقديم أبطال مثل القرصان وساردانابالوس *Sardanapalus* ودون جوان *don Juan* عرضة لاختلاط شديد حول التشكل الثقافي للجنس والفاعلية المذكورة المفترضة كلما نضج الأبطال الرومانسيون متسمين بالاستبطان وعدم الفاعلية، كما أن الشخصيات المؤنثة تكتسب فاعلية غالباً ما تحزن مبدعيهم الذكور. ومثل بياتريس في آل تشنتشي *The Cenci* لشيلي تكون هذه الشخصيات المؤنثة موقعة الاضطراب في هياكل السلطة الذكورية (النقدية والدرامية) بواسطة التعبير عن ذواتها (٢٠).

ووجدت الشكوى المعادية للمسرح القائلة بأنه، كما تضع كارلسون المسألة "يهدد الثقافة مثل المرأة بمسرحيات عن الهوية (الذاتية) والجسد" (٢١) أرضاً أرحب في

(٢٠) انظر :

Susan J. Wolfson, 'Gendering the soul', in *Romantic women writers: voices and countervoices*, Paula R. Feldman and Theresa M. Kelley (eds.), Hanover, ny: University Press of New England, 1995, pp. 33-62.

(٢١) انظر :

Julie A. Carlson, *In the theatre of Romanticism: Coleridge, nationalism, women*, Cambridge University Press, 1994, p. 7.

الدراما والنقد الرومانسيين. وفى هذا الوقت مثلت النساء أدوارًا مؤنثة كانت من قبل يمثلها الرجال، وأولئك النسوة اللاتى كن كاتبات دراما وناقذات رسمن بمقياس دقيق شخصيات النساء ودورهن فى المسرح. والقلق الذى يتخلل تمثيلات كوليردج الدرامية للشخصيات المؤنثة وازدواجه نحو الممثلات اللواتى اعتمد عليهن نجاحه المسرحى ويوحى بالتشكك والتناحر الأساسيين اللذين استمرا حتى بعد أن صارت الممثلة مسز سيدونز *Mrs Siddons* "الملهمة التراجيدية" لتصوير جوشوا رنولدز *Joshua Reynolds* لا لكونها ببساطة موديل للتصوير. وينقل العنف المجازى والواقعى الذى هو إحدى نتائج التشوش الشهوى والنقدى عند هازليت *Hazlitt* والخط بين النساء والممثلات وبينهما والتجرد من امتلاك الذات *self dispossession* على نحو صريح هذا التناحر<sup>(٢٢)</sup>. ويتعرف الناقدات الرومانسيات على نحو مختلف على ذلك وعلى توترات نقدية أخرى يكون فيها الشكل الثقافى للجنس جزءًا من الحكمة الفرعية.

وتعيد جوانا بايلي *Joanna Baillie* توجيه مناقشة الانفعالات البلاغية والدرامية والحساسية المؤنثة بوضع الاثنتين معًا فى جمالية واقعية بدلاً من أن تكون مجازية وذلك فى "خطابات التقديم" لكتابها "سلسلة مسرحيات" حيث تقدم كل منها شخصيات تجسد درامياً عاطفة ما أو صراع عواطف. وهى تدلل تبعاً لذلك على الاهتمام الدرامى بالشخصيات التى تختلط عندها الانفعالات والدوافع. ومثل هذه الشخصيات تهمنا كما تؤكد لأننا نتعرف عليها. وإذ تقلب المنضدة على المعايير البطولية التراجيدية والملحمية -بطريقة أكثر رهاقة- على المجهودات السائدة فى وقتها لاستبعاد النساء من الساحات العمومية كالمسرح تدلل على أن الشخصيات الرئيسية الدرامية ستكون أكثر قدرة على إثارة اهتمامنا الأخلاقى المتعاطف "إذا كانت مكابذاتها أكثر ألفة وعائلية": "إن ملكاً يعزل عن عرشه لن يحرك تعاطفنا معه بتلك القوة مثل إنسان عادى نزع عن صدور عائلته". أو كامرأة عادية مثل جين دى

مونتفورت *Jane de Montfort* فى مسرحية دى مونتفورت الذى يكون وضعها كبطلة بلا لقب من حيث الترجيح، ولكنها تدعيه فى هذه المسرحية قد يكون مؤمناً فى إنتاجها لأن مسز سيدون قامت بالدور. وتمنح بايلى مد تدليلها ليشمل النساء فى ملاحظة: "درجة ما من تخفيف الحدة أو التهذيب يكون لكل فئة من الأبطال التراجيديين الذين ذكرتهم نظيراتهم وسط البطلات" بما فيهن "العظيمات النبيلات" و"الانفعاليات النزقات" مثل "الرقائق" الحنونات<sup>(٢٣)</sup> وتلمح بايلى إلى أن الفئة الدرامية الأسهل تمثلاً للفهم السائد معيارياً للحساسية المؤنثة الرقيقة الحنون تقدم إطاراً شديداً الضيق للعاطفة الأنثوية. وفى الوقت نفسه تسترجع بايلى الدائرة المنزلية التى رغب نقاد مثل بولهيل *Polwhele* لحصر المرأة فيها بإعادة تخيلها كمساحة فعل تراجيدى ووجدان تراجيدى من المحتمل أن تهم جمهوراً قارئاً ومتفرجاً يضم ضمناً نساءً ورجالاً.

وفى كتاب المسرح البريطانى متعدد الأجزاء الذى تكون من اثنى عشر إلى خمسة وعشرين مجلداً فى طبعات بين ١٨٠٦ و ١٨٢٣ تقدم "ملاحظات" إليزابث إنشبالد *Elizabeth Inchbald* وتعليقات نقدية موجزة وتواريخ تمثيلية لكل مسرحية. ويتأسس النقد التطبيقي لإنشبالد فى مبادئ واقعية وأخلاقية وأخذ فى الاعتبار على نحو جيد الاطلاع لإنجاز شكسبير الدرامى. وهى تلاحظ أن مسرحية أوروونوكو *Oroonoko* لتوماس سودارن *Thomas Southern* لم تمثل قط فى ليفربول؛ حيث كان ينبغي أن تمثل بمقدار ما كان تجار هذه المدينة الكبيرة قد حصلوا على ثرواتهم بواسطة تجارة العبيد<sup>(٢٤)</sup> وعلى اعتراضات بأن الأشرار فى مسرحيتها عهد العشق *Vows of Lovers* لا يعاقبون أبداً ترد بتقديم مخطط أخلاقى أكثر باطنية؛ حيث

(٢٣) انظر :

Joanna Baillie, 'Introductory discourse', in *A series of plays*, 1798, rpt. London: Routledge, 1996, vol. i, pp. 35-6.

(٢٤) انظر :

Inchbald, 'Remarks', in *The British theatre*, 25 vols., London: Longman, 1808, vol. v, p. 4.

يكون الضمير نفسه هو العقاب (II: 7) وليس لديها شىء حسن تقوله عن عروض لروميو وجوليت أو لير التى تغير الاتجاه نحو نهايات سعيدة.

ومختصر إنشبالد عن النساء فى المسرح متعدد درجات اللون بطريقة حكيمة. ودفاعها الجزئى عن ضربة جسور بالنسبة لامرأة *A bold stroke for a woman* يقر بأنها تروق "لذوق الجمهور الهابط" ثم تصوب الضربات نحو كُتّاب المسرح الذكور الذين يفعلون المثل على الرغم من أن "ثرواتهم ليست معتمدة بالكامل على جهودهم العقلية" (IX:3-4) وتلاحظ إنشبالد بجفاء أن ليوننتس *Leontes* (ملك صقلية الغيور سيئ الظن بزوجته وصديقه - المترجم) فى حكاية الشتاء لشكسبير يبدو أفضل بالنسبة لصحبته النسائية (XII: 5) وعندما تراجع عرضاً لإيزابلا تأليف سوزنر، حيث تأخذ الناضجة ممز سيدونس دور البطولة النسائية وقد صارت "تعبد بحماس" بدرجة لم تكن تحققها على خشبة مسرح لندن فى "ريغان شبابها وجمالها"، تلح إنشبالد ضد مزاعم بالعكس، متسائلة "من الذى سيدعى أن القدرات العقلية ليس لها سحر فى الجنس النسائى؟" (IX:3) وهى تعجب ببايلى "كامرأة عبقرية" ولكنها تنتقد بطل دى مونفورت على أساس أن دافعه غير المحدد لكراهيته التى تلتهمه بالكامل تومئ بقدر أقل إلى بطل تراجيدى من إيمائها الأكبر إلى "عقل المجنون الذى تستبد به فكرة واحدة متصلبة". (X:3-4).

وكتاب أنا جيمسون Anna Jameson خصائص النساء: أخلاقياً وشعرياً وتاريخياً *Characteristics of women, moral, poetical and historical* يقدم تأملات نقدية مدعمة بقوة للنساء كشخصيات درامية. وعلى الرغم من أنها مبالغة فى البحث عن اللياقة حيث تنسب إلى أوفيليا "سمات التواضع واللفظ والرقّة التى بدونها لا تكون المرأة امرأة" (٢٥) فإن المسافة النقدية من هذا التقدير عند مقالها عن ليدى

(٢٥) انظر :

Anna Jameson, *Characteristics of women, moral, poetical, and historical*, 2nd edn, New York: Wiley and Putnam, 1847, p. 134.

ماكبث هائلة. وتلاحظ جيمسون أنه فيما عدا الإقرار بأنها واحدة من "أشد إبداعات شيكسبير جلالاً" فإن النقاد لم يكن لديهم إلا القليل ليقولوه عن هذه الشخصية. ويصحح طول وثقل ما كان على جيمسون أن تقوله عدم التوازن هذا. وهي تبدأ بتأمل مسز سيدونس للدور "لقد سمعتها تقول إنه بعد تمثيلها الدور لمدة ثلاثين عاماً لم تعد قراءتها مرة بعد مرة دون اكتشاف شيء جديد في الشخصية". (ص ٣٢٢) وبعد استعراض "حكمة النقاد وتأملات المعلقين" تدرج جيمسون الدكتور جونسون (الذي يقول إن الشخصية بغيضة) وشليجل (الذي يرفضها كنوع من "حقد الأنثى وغضبها") ونقاداً آخرين يذكرون الليدى ماكبث عرضاً. وعلى الرغم من أنها تسلم بأن هازليت قد أقر بقوة هذه الشخصية فإن جيمسون بدبلوماسية تتلى بتحفظ أساسى "إن المساحة المحدودة التى استطاع إعطاؤها لهذا الموضوع قادتته إلى أن "يتوقف قبل أن يقول الحقيقة بكاملها، إنه موضوع سطحي قليلاً وشديد الخسونة جداً" (ص ٣٢٣).

ويبدأ تعليق جيمسون حيث نتخيل أنها قد تنتهى إذا كان مشروعها هو الاستهجان الأخلاقى. وهي تسلم على الفور بأن الليدى ماكبث قد سيطر عليها الطموح "إلى درجة أنها ضحت بكل مبدأ عادل وكرام وكل شعور نسوى"، و"أنها مصبوغة مثنى وثلاثاً فى الخطيئة والدم؛ (ص ٣٢٣). وعلى الرغم من ذلك تستمر جيمسون فى القول "إن قوة عقل ليدى ماكبث المذهلة وتحديد غرضها الذى لا يحيد وقوة أعصابها الفائقة للبشر، كلها تجعلها مخيفة فى ذاتها بقدر ما تكون أفعالها بغيضة. ومع ذلك فهى ليست مجرد وحش مصنوع من الخسة لا نشترك معه فى أى شيء.... إنها تشخيص مروع للعواطف الشريرة والقوى ذات البأس التى ليست بعيدة جداً عن طبيعتنا اللصيقة بنا بحيث يقذف بها وراء سياج تعاطفاتنا؛ لأن المرأة نفسها تظل امرأة حتى النهاية تواصل الالتصاق بجنسها وبالإنسانية (ص ٣٢٤ - ٥). ووسط كل الشخصيات النسائية الأخريات فى الأدب الدرامى لا تقترب منها إلا ميديا يوريبديدس ونقيس جيمسون درجة الاقتراب بالإشارة كما قد نقول الآن بموقعها الذاتى، "بمقدار ما يمكن أن تحكم امرأة على امرأة... على الرغم من أن عواطف ميديا أكثر

تأنيثاً (من عواطف الليدى ماكبث) فإن الشخصية أقل تأنيثاً (ص ٣٤٠) وهاتان الشخصيتان معاً توضحان تمييز شليجل بين "ميديا" القديمة والدراما الرومانسية الحديثة (الليدى ماكبث). وبهذه الخفة فى اليد (النقدية) تعكس جيمسون معالجة شليجل غير المكترثة لليدى ماكبث بحيث تصير الآن الشخصية الشكسبيرية التى تمثل "العظمة القوطية والتوزيع الفنى الثرى للضوء والظل *Rich chiaroscuro* فى الدراما الرومانسية.

وفى كتاب (الروائيون البريطانيون ١٨٢٠) وهو طبعة من خمسين مجلداً قدمت لها أنا لتيتيا باربولد Anna Letitia Barbauld كمحررة - مداخلات موسعة فإن مقالها "عن أصل وتقدم كتابة الرواية" يكرر القول بالتفضيل النقدى واسع الانتشار للقص الواقعى وسط الكتابات الرومانسيات. فإذا كانت الرومانس تنتمى وفقاً لباربولد إلى ثقافة عصر وسيط يغذيها خليط غريب من الفروسية العاشقة والميتافيزيقيا والمعركة الحربية، فإن إنجاز الرواية ابتداء من روبنسون كروزو لديفو Defoe يكون داخل الحدود المتاحة للقص الخيالى متمثلاً فى نقل "بعض المعرفة بالعالم" (٢٦). وكان تقديرها للمدى الذى تفعله الروايات المفردة أو تستطيع تقديمه فى هذه المعرفة متسقاً وعملياً من حيث الفرق بين الفن والحياة "فالحياة الواقعية هى نوع من خليط عرضى يتألف من كثير من المشاهد غير المترابطة. إن المؤلف العظيم لدراما الحياة لم يكمل مسرحيته ولكن مؤلف (رواية ما) يجب أن يكملها". وينبغى ألا يساء تفسير الصبغة الدينية لمزاج باربولد النقدى فهى تستطيع أن تكون انتقادية بحدة حينما تلاحظ الانتباه المفرط الموجه للحب فى الروايات. ولكن على العكس من كليبر ريف Clar Reeve التى تؤكد فى تقدم الرومانس (١٧٨٥) أنه السيد المذهب (الجنتمان)

(٢٦) انظر :

Anna Letitia Barbauld, 'On the origin and progress of novel-writing', in *The British novelists*, 50 vols., London: Rivington, 1810, vol. i, pp. 1-59.

في رواية، وليس البطل في رومانس هو الذى من المحتمل أن يضلل قارئة شابة،<sup>(٢٧)</sup> تومى باربولد إلى أن الشرور المنسوبة على نطاق واسع لقراءة الرواية مبالغ فيها. وتقديرها لرواية ستيرن تريسترام شاندى لم يكن ملزماً بالانتقاد الأخلاقى الذى بدأت به "إن نواحى عدم اللياقة فى هذه الأجزاء يؤسف لها جداً وفى رجل دين تكون فاضحة وخصوصاً فى الطبعة الأولى التى تمتلك المغزى الأخلاقى لحبكاتها؛ إن جولى تصير هيلويز الجديدة *nouvelle Héloïse* بفصل نفسها عن سانت برو *St Preux* وموافقها على الزواج من ولمار *Wolmar*. وبدلاً من أن تنتقد بقوة العلاقة الجنسية بين العاشقين غير المتزوجين جولى وسانت روو جعلتها الأساس الأخلاقى الذى هجرته جولى (بعون ضخم من السلطة الأبوية): "روسو لم يفكر فى أن جولى ينبغى أن تعتبر نفسها متحدة دون انفصال بسانت برو، وأن زواجها من آخر هو عدم الإخلاص".

وبالمثل كان مدح إدجورث Edgeworth لرواية إنشبالد قصة بسيطة مهمتهم بدعاؤها فى المحاكاة: لم أقرأ قط أى رواية أثرت فى بمثل هذه القوة أو ملأتنى تماماً بالاعتقاد فى الوجود الواقعى لكل الناس الذين تمثلهم".<sup>(٢٨)</sup> وتبين المقدمة المنطقية النقدية غير المتعينة لهذه الملاحظة مدى ابتعاد مثل هذه المناقشات حول الرواية الواقعية عن لغة الحساسية. وهذه الاستجابة العاطفية من القارئ المعين لرواية إنشبالد هى الضامن الذاتى لدعاؤها فى المحاكاة وليست القواعد المعممة للحساسية التى فيها انعطافات الحبكة الأساسية والمناظر الطبيعية وأنماط الشخصية هى التى تشكل المعيار.

(٢٧) انظر :

Clara Reeve, *The progress of romance through times, countries, and manners*, 1785, rpt. New York: Garland, 1970, p. vi.

(٢٨) انظر :

Maria Edgeworth, 14 January 1810, quoted in *Women critics 1660-1820: an anthology*, Folger Collective on Early Women Critics (ed.), Bloomington. IN: Indiana University Press, 1995, p. 376.



وتكرارات إعادة الضبط هذه قد تصور كيف أزاح بعض الكتاب الرومانسيين خريطة التشكل الثقافي للجنس التي أقامت في موضعها حساسية القرن الثامن عشر والنظرية الجمالية. وما دام اصطفااف النساء مع النعومة والجمال والحساسية بارعا ومنقنا وهو الذى جعلهن من الناحية الجوهرية مستسلمات للهجوم مطواعات اصطفاافا أمنا فإن السرد الخيالى كما هو فى الحياة فإن ولستونكرافت وهانا مور Hannah More بين أخريات كاتبًا بالكاد قادرتين على الدفاع عن تحالف النساء والحساسية. وتقدم أوستن Austen ومارى شيللى تقديرات روائية مختلفة لهذا المأزق. وسخرية أوستن من الحساسية تدين شخصيات يندفعن إلى الحكم دون معرفة وقائع محددة عن شخص أو موقف. وفى سجل أدبى مختلف بالكامل عن سجل ستايل Stael فإن الجزئيات الخصوصية والواقعية الروائية تتحدان لكفالة عواطف وجدانية لا يمكن جعلها تخدم تجريدات سواء كانت جمالية أو سياسة. والساحة الاتصالية التى غالبًا ما تشق شخصيات أوستن طريقها فيها نحو هذا الاعتراف بهن توحى بعد ذلك بأن الانعكاس المنعزل الممتص داخل ذاته من الأقرب أن ينغلق عن عالم الأشخاص والجزئيات التى يجب أن تشير إليها هذه الأحكام. وتعزف رواية مارى شيللى فرانكنشتين بتاغم تقديرًا سلبيا مستحوذاً لما يحدث لنساء فى الروايات طوبق بينهن وبين الحساسية والجميل (والرواية ليست أرحم كثيرًا بشخصيات مذكرة اقتتصت فى اصطفااف مماثل).<sup>(٢٩)</sup> والشخصيات الأثاث والمتحاورات إما خارج خريطة القصة (أخت ولاتون مرجريت والميتة - والدة فيكتور - والمجهضة - قرينة الوحش المرتبقة) أو لا تعيش طويلاً (جوستين وإليزابيث) وبمثل ذلك يكن مرشحات رومانسيات جيدات للجنس الذى ليس واحدا. والهيئة الاستعارية الروائية الخيالية لرد شيللى النقدى على السرد الثقافى المتكرر للروابط التى تصل ما بين الشكل الثقافى للجنس والنظرية

(٢٩) انظر :

Anne K. Mellor, *Mary Shelley: her life, her fiction, her monsters*, New York: Routledge, 1988, p. 126; Fredericks, 'On the sublime and the beautiful in Mary Shelley's *Frankenstein*'. *Essays in literature* 23 (1996), pp. 178-89.

الجمالية والحساسية الأدبية تسجل نقدًا مستقرًا للموقع الجمالي للنساء في مخطط الجليل والبطل / الشرير الرومانسي.

وطوال القرن التاسع عشر وافق النقاد على تقديم فرانسيس جيفري *Francis Jeffrey* لفيليشا هيمنز *Felicia Hemans* كشاعرة وضحت مسيرتها الفنية نواحي قوة (التي تتحول أيضًا لتكون نواحي قصور) "الشعر المؤنث": "رقة هشة مسببة للعجز" و"انعدام خبرة بالحقائق التي قد يرغب في وصفها" أكدت الملامحة الصائبة لتحيتين في التنظيم العملي للحياة الخاصة<sup>(٣٠)</sup>. وعرض هيمنز *Hemans* المولد لشعور الشفقة يتعقب "قوات المنزل" لها دون هوادة إلى درجة أن تبدأ في التفكير في نقل مكان عملها إلى القبو تحت الأرض وهو ما يوحي بازواج حول الدائرة المنزلية تسجله أشعارها كذلك<sup>(٣١)</sup>. ويلاحظ البعض ومن ثم يسائلن المحددات الاجتماعية التي تجعل مهمة النساء أن يعانين (وتلك تيمة تعزفها لاندون وسميث في مفاتيح بينها. صلات) وأخريات يقدمن الشخصيات الأنثوية اللاتي تشوش كثافتهن البطولية أو أفعالهن البطولية الاصطفاف المقرر بحكم التقاليد بين النساء والحياة الخاصة المنزلية. والتاريخ الشعري لهذا الأزواج في كتاب هيمانس "تسجيلات امرأة" يشمل مديحًا تأيينيًا ذاتي الانعكاس لماري تيجي *Mary Tighe* في "قبر شاعرة" يتضمن أن راحتها الأبدية تتطلب انشطار الشاعرة عن المرأة. وفي "المرأة والشهرة" تقابل هيمانس بين الشهرة العمومية لكورين *Corinne* عند ستايل والسعادة الأكبر لتلك التي تجعل

(٣٠) انظر :

Francis Jeffrey, "Records of women" and "The Forest Sanctuary" by Felicia Hemans', *Edinburgh review* 50 (1829), p. 32; Susan Wolfson, 'Domestic affections', in *Re-visioning Romanticism*, C. S. Wilson and J. Haefner (eds.), Philadelphia, pa: University of Pennsylvania Press, 1994, pp. 129-30.

(٣١) انظر المرجع السابق p. 133. Wolfson.

المروج شديد التواضع محبباً / ولكن لواحد على الأرض<sup>(٣٢)</sup>. وتعمل مقاومة شارلوت سميث الشعرية لهذا الاقتصاد المنزلي ذى التشكيل الثقافي للمرأة في تباين متواز مع المقدمات التي ألقتها لطبعات متعاقبة من سونيتات رثائية *Elegiac sonnets* ، ففي الطبعة الأولى تدعى أن الأشعار هي سونيتات فقط بمعنى أن طولها يبلغ أربعة عشر سطراً. ولكن في مقدمات لاحقة قالت إن بعضها محاولات على النموذج البتراركي، وتضم عدداً هي ترجمات من بترارك ويشير كوران *Stuart Curran* إلى أن هذه السونيتات المحددة ليست ترجمات<sup>(٣٣)</sup>. وتفسير ماري روبنسون للسونيت البتراركية أو الشعرية الذي يدافع عن سونيتات سميث ضد الزعم بأنها ليست شعرية يقر بما افترضتها سميث: بأن الشعرية الشعرية تتطلب برهاناً حتى إذا كان مختلفاً لتقليد ما<sup>(٣٤)</sup>. وقد تكون للقصة الشعرية الحقيقية لسونيتات سميث وشعرها اللاحق صلة ضئيلة بشرعيتهما المدعاة وكبيرة بنواحي خروجها التقنية عن معايير نوعها الجنسي وكذلك عن المعايير الشعرية. وهي نواحي خروجها التقنية، وهي نواحي خروج أكثر إدهاشاً حينما تقرأ على خلفية الإشفاق على الذات الواضح أيضاً في المقدمات التي تذكر القراء في إصرار بالصلة بين الشعور أو الحساسية وافتقار المرأة إلى السلطة الاقتصادية.

وذلك جزئياً لأنهن نشأن عن تقليد منشق أنتج واعظات إناثاً مليونيات بالقوة والحيوية، فإن هلنان مور وهيلين ماريا ويليامز وباربولد ييجلن علناً موقع النساء وتشكلهن الثقافي الجنسي على المشهد الشعري. وفي "العبودية" تحشد مور التطابق

(32) Ibid., pp. 140-60, Kebin Eubanks Minervas veil: Hemans, critics, and the constructio of gender' *European Romantic review* 8 (1997) pp. 341-59.

(33) Stuart Curran, ed., *Poems of Charlotte Smith*, P.4.

(34) Mary Robinson *Sappho and Phaon*, 1796, rpt. Delmar, NY: Scholars, Facsmilies & Reprints, 1995, pp. 3-4.

التقليدي بين الملهمات والفضائل المشخصة كإناث وتسمى هنا حرية ونعمة، لحشد القوة الأخلاقية الكاملة لجماليات الحساسية ضد العبودية. وفي بيرو *Peru* تقابل ويليامز بين النهب الجشع للفتح الإسباني والعواطف المنزلية العائلية للرؤساء البيروفيين ودمائة كهنتهم. ويضفى عليهم هذا الطابع الأنثوي بمقدار ما يجرى وضعهم داخل الساحة الجمالية التي تُخلق جزئياً لتضع النساء والفضيلة الأنثوية في مكان منفصل، ويكون البيروفيون عند ويليامز بذلك أسمى أخلاقياً. كما أن مسار اهتمام باربولد الشعري بالنساء ونوعهن الثقافي معن عنه بصراحة في قصيدة ثمانى عشر مائة وأحد عشر (١٨١١) التي هي مصيدة معادية للتقدم السائر دوماً إلى الأمام وتسجل زمنياً المسار الأخلاقي لتدهور إنجلترا. وكما تلاحظ ميللور هنا تكون المجاعة والمرض والنهب من عمل الرجل على حين تجد "طبيعة أنثوية مبتهجة" وتجد سخاءها مدمراً بواسطة "رجل مهتاج يسد الضربات".<sup>(٣٥)</sup> وإذ يأتي من شاعرة ناقدة مثل باربولد التي شرحت تعقيدات الوسائط البلاغية المحيرة في أشعار كولينز قبل أن يفعل النقاد الحداثيون ذلك بزمان طويل. وهذا الصراع بين النوعين الجنسيين للشخصيات داخل قصيدة "ثمانى عشر مائة وأحد عشر" لا يبدو عرضياً ولا ثانوياً بالنسبة لتدليلها. وقد اقترح نقاد آخرون شواهد أكثر موارد على دور التشكل الثقافي للجنس في شعر باربولد. ويجد ماك كارثي شواهد على مقاومة باربولد للنزعة الأبوية عند الثقافة المنشقة التي عاشت وكتبت فيها<sup>(٣٦)</sup>. ويقترح أرمسترونج أن باربولد

(٣٥) انظر :

Mellor, 'Female poet and the poetess', pp. 262-71.

(٣٦) انظر :

William McCarthy, 'We hoped the woman was going to appear', in *Romantic women writers*, Feldman and Kelley (eds.), pp. 113-25.

وشاعرات رومانسيات أخريات أنجزن علاقات شعرية بالحس والطبيعة والثقافة ذات علاقة ضئيلة بجنس الحساسية. وكانت لهن علاقة أكبر باحتكاك الطبيعة ضد الثقافة والخطابات المعاصرة عن الاقتصاد والفلسفة ونسيج شعري حسي لا يشبه أبدًا ما نتعرف عليه عند كيتس "المتميز بالتأنث" الذي يعتبره النقاد الرومانسيون كذلك جزئيًا بسبب ولعه "المسرف بالصور الحسية".<sup>(٣٧)</sup> وبواسطة مثل هذه التقلبات تعيد النساء ويعيد التشكل الثقافي للجنس تصور مشهد الأدب الرومانسي ونقده.

---

(37) Isobel Armstrong, 'The gush of the feminine', in *ibid.*, pp. 13–19; Susan J. Wolfson, 'Feminizing Keats', in *Critical essays on John Keats*, Hermione de Almeida (ed.), Boston, ma: Hall, 1990, pp. 317–56.



## الفصل السادس عشر

### التارىخ الأدبى والمذهب التارىخى

بقلم: ديفيد بيركينز

ترجمة: لميس النقاش

(١)

أنشئ التارىخ الأدبى فى العصر الرومانسى، وترجع أصوله، طبقاً لرينيه ويليك، إلى المفكرين الإنجليز والإسكتلنديين فى القرن الثامن عشر: روبرت لوث *Robert Lowth*، توماس بيرسى *Thomas Percy*، جون براون *John Brown*، توماس وارتن *Thomas Warton* وكثير غيرهم. ووصل فكرهم إلى المفاهيم الأساسية لتارىخ الأدب (*The rise of English Literary history, pp. 200-1*).<sup>(١)</sup> وإذا كانت إسهاماتهم لا تقدر بنفس قدرها فى السابق، فذلك لأن هيردر قام فى ألمانيا بجمع كل أفكارهم، وكذلك أفكار ليبنز وكانط وهامان ووينكلمان، وعبر عنها تعبيراً أكثر قوة. ولعله يعتبر أباً لتارىخ الأدب - على الأقل لخطته العامة، على الرغم من أنه لم يكن ليجهد نفسه الجهد المطلوب لكتابته. وكانت هناك مقالات مهمة للكتاب الفرنسيين، مثل كتاب مدام دى ستايل عن الأدب فى علاقته بالمؤسسات الاجتماعية (١٨٠٠) وكتاب شاتوبريان عبقرية المسيحية (١٨٠٢)، ولكن بعد الثمانينيات من القرن الثامن عشر انطلق تطور تارىخ الأدب أساساً فى ألمانيا.

(١) انظر: Chapel Hill, NC: The University of North Carolina Press, 1941.

فما أول تاريخ للأدب؟ ونحن نتكلم بالطبع عن الأول فى النوع الحديث. فالنوع الأقدم كان تاريخًا للتعليم *historia litterarum*، وهو المشروع الذى طالب به فرانسيس بيكون: "الحالة العامة للتعليم التى يتم وصفها وتمثيلها من عصر لعصر... والذى بدونه يبدو لى العالم وكأنه تمثال بوليفمس ذلك السايكلوب العملاق الذى فقأ أوديسيوس عينه الواحدة ليهرب من الكهف، فيختفى الجزء الذى يظهر أكثر من غيره روح الشخص وحياته".<sup>(٢)</sup> ومع مرور الوقت أصبح تاريخ التعليم أكثر تعقيدًا، ولكن حتى عام ١٨٣٩ ظلت تلك الأعمال بالأساس جوامع معرفية موجزة كما نجد فى مجلدات هنرى هالام المهمة،<sup>(٣)</sup> وكانت تلك الأعمال تقوم بتعديد كل ما هو معروف عن كل مؤلف فى المجالات المختلفة للأدب الراقى *belles lettres* والتاريخ والفلسفة وفقه اللغة الكلاسيكى واللاهوت وما أشبه، وبترتيب المؤلفين فى مجموعات حسب التعاقب الزمنى، يكون ذلك هو "التاريخ" حسبما يفهمه هالام. ويكاد الكتاب العظيم لتوماس وارتون تاريخ الشعر الإنجليزى (١٧٧٤-٨١) لا يتجاوز كثيرًا هذا الشكل. فأغلبه سرد للتواريخ وعناوين الكتب. وأول عمل فى تاريخ الأدب بالمعنى الحديث- أى عمل يرصد الأشياء فى تطورها، ويلتفت للجانب الاجتماعى ويتميز بوحدة العضوية- هو كتاب فريدريش شليجل الذى لم يكمله تاريخ الشعر عند اليونانيين والرومان (١٧٩٨)، وهو عمل مذهل. وهناك أعمال أخرى مهمة فى تاريخ الأدب فى العصر الرومانسى منها محاضرات حول الفن الدرامى والأدب (١٨٠٩-١١) والذى كتبه أ. ف. شليجل؛ وحول أدب جنوب أوروبا (١٨١٣) والذى كتبه ج. س. ل. سيسموندى؛ وتاريخ الأدب القديم والحديث (١٨١٥) لفريدريش شليجل. وأول

(٢) انظر:

Francis Bacon, *Works*, ed. James Spedding, et al., 14 vols., London: Longman, 1857-74, iii: 329-30.

(٣) انظر:

Henry Hallam, *Introduction to the literature of Europe in the fifteenth, sixteenth, and seventeenth centuries*, 4 vols., Paris: Baudry's European Library, 1837-9.



تاريخ كامل للأدب الإنجليزى- إذ كان كتاب وارتن يتناول الشعر وحده وحتى عصر الملكة إليزابيث الأولى وحسب- هو كتاب روبرت تشامبرز فى ١٨٣٧. وقد قام تشامبرز، وهو إسكتلندى، بكتابة هذا العمل آملاً أن يكون مشروعاً مريحاً فى إطار التعليم الشعبى. أما أول تاريخ للأدب الألمانى والذى كتبه جورج جوتفريد جبرفينوس فقد ظهر ما بين ١٨٣٥ إلى ١٨٤٢. وكان تاريخ الأدب الرومانسى يبرز للمقدمة الأصول والتطور الدائم والغائية. وقد أعطى كثيراً من الأهمية لما هو بدائى وشعبى ومنتم للعصور الوسطى وبداية العصر الحديث، ووجد فى كل هذا ما هو قومى. ومن هنا كان تاريخ الأدب جزءاً من تيار التشكيل الذى أنهى رؤية عصر التنوير للعالم.

ولكن فى السنوات التى نحصر فيها الرومانسى اليوم لم يكن الخطاب حول الأدب خطاباً تاريخياً عادة. وربما بدت هذه العبارة لكثير من القراء ملتبسة أو ببساطة خاطئة، حتى عند أكثر الذين يعرفون الكتابات النقدية لتلك الفترة. وبالقطف فقد اعتاد الرومانسيون أن ينظروا إلى أدب زمنهم ويقيموه بالمقارنة مع أدب الأزمنة السابقة. وسوف أعود تفضيلاً لهذا الموضوع فيما بعد، فى علاقته بانتشار الخشية من انحطاط الفنون والتفرقة بين ما هو حديث أو رومانسى وبين القديم الكلاسيكى. ولقد كانت هذه المقارنة بين الحاضر والماضى سواء اتسمت بالتفاؤل أو التشاؤم تشير إلى اهتمام بوضع اللحظة الحاضرة فى التاريخ ومنزلتها. وفى مثل هذه المقارنة تشكل نظرة معينة للماضى أو تفسير ما له- أو لجزء مختار منه- تصور المرء عن الحاضر. ولقد دفعت الرغبة فى فهم الحاضر من خلال التاريخ إلى تحليلات ألمعية لثقافة اليوم الحاضر. ويتبادر إلى الذهن فقرات من مقال فريدريش شليجل "حول دراسة الشعر اليونانى" (١٧٩٥)، ومقال شيللر "حول الشعر الساذج والشعر العاطفى"، (١٧٩٥-٩٦)، ومقدمة وردزورث للطبعة الثانية من ديوان حكايات غنائية (١٨٠٠)، ومقال فرانسيس جيفرى عن سيدة البحيرة للسير والتر سكوت، ومقاله فى مراجعة أعمال جوناثان سويت (١٨١٥)، ومقال شيللى "دفاع عن الشعر" (١٨٢١)، وكتاب هازليت

روح العصر (١٨٢٥). وفى هذه التحليلات كانت سمات الحاضر يتم إرجاعها إلى عوامل سياقية سواء كانت الثورة الفرنسية أو التحول إلى التصنيع، أو حركة الإصلاح الدينى الميثودية، أو تأثير الفلسفة النظرية. وكانت عبارة "روح العصر" عبارة دائمة الوجود فى الخطاب الألمانى، كما شاعت كذلك فى إنجلترا بعد ترجمة كتاب مدام دى ستايل عن ألمانيا فى ١٨١٣. وتشهد العبارة على ذلك الإحساس بأن الحاضر هو علامة طريق فى تيار الصيرورة، وهو وحدة ثقافية، وفصل من فصول رواية التاريخ. وقد كانت الحركة الرومانسية لا تكف عن إعلان نفسها كحركة جديدة. ومثلهم مثل ما قبل الرافنليين والمستقبلين والحدائين قام الرومانسيون بتحديد مكانهم بأنفسهم فى التاريخ الثقافى والتمسك بهذا المكان بوعى كامل بالذات، وإن كان ذلك بدرجة أقل فى إنجلترا منه فى ألمانيا وفرنسا. ومن أجل تحقيق تحولهم عن الماضى القريب، كان يلزم أولاً تقديم وصف لهذا الماضى. فالطبيعة دائماً ما تعيد صياغة الماضى لكى تستطيع رفضه. وكان يلزم كذلك وصف أشكال الماضى البعيد وما يمكن إحيائه منها الآن. فالحماس الرومانسى للعصور الوسطى وعصر النهضة يعبر عن انتشار الوعى التاريخى.

وحتى أولئك النقاد من صموئيل جونسون إلى كوليريدج وشيللى الذين لا نجد فى تناولهم للأدباء ذلك الحس القوى بالسياق التاريخى والاختلاف التاريخى فإنهم أحياناً ما تبنيوا تلك المبادئ ذات النزعة التاريخية. ويرى جريفنوس *Gervinud* أن جوته لم يكن يمتلك ذلك الحس التاريخى وإن كان قد استخدم التأريخ فى روايته لتاريخ حياته وعمله. ويقول كوليريدج "أن من يقرأ عملاً قصد به التأثير المباشر على عصر معين بمفاهيم ومشاعر عصر آخر، ربما يكون سيئاً مهذباً ولكنه سيكون بالقطع ناقداً ضعيفاً". (*Complete Works, IV:306*).<sup>(٤)</sup> كلام جميل! ولكن كوليريدج عادة ما

(٤) انظر:

كان هذا الشخص، على الأقل حتى قرأ للأخوين شليجل. ولن نجد من قدم مفهوم الفترات الأدبية أفضل من شيللي:

لأبد من وجود تشابه يجمع كتاب عصر محدد، لا يكون تشابهاً مقصوداً بإرادتهم. فلا يمكن لهم الهروب من الخضوع للتأثيرات المشتركة التي تتبع من مجموعة لا نهائية من ظروف ذلك الزمن الذي يعيشون فيه، رغم أن كلاً منهم بدرجة ما يقوم بتأليف ذلك التأثير الذي يتخلل وجوده.<sup>(٥)</sup>

### (Preface to *Laon and Cythna*)

ومع ذلك، فعندما قدم شيللي في "دفاع عن الشعر" تاريخاً للخطوط العامة لفنّه، كان مفهومه للشعر عالمياً وكلياً ومعياريّاً، وبالتالي فالاختلاف الأساسي بين الفترات الزمنية هو أنه في بعضها ابتعدت خطوات الشعر عن العالم وفي البعض الآخر عادت إليه. (*Complete Works*, VII: 118-31).

لقد كان النقاد جميعاً يستحضرون التاريخ كعذر لكل ما لا يمكن تجاهله من أخطاء واضحة عند الكتاب المحبين لهم. "إن أداء كل شخص"، كما يقول جونسون "لأبد من تقييمه بمقارنته بحالة العصر الذي عاش فيه" (*Preface to Shakespeare*).<sup>(٦)</sup> وقد تم الرجوع إلى "العصر" لتفسير موقف هوميروس من المرأة، والحدة التي تعامل بها ميلتون في خلاقاته، والمجازات المتحلقة والتورية عند شكسبير - إذ بدا مثل ذلك المجاز والتورية غير طبيعي وغير صادق مع المشاعر القوية. أما اللقاء الرومانسي بسوناتات شكسبير فقد كان كوميدياً. فطبقاً لافتراضات

(٥) انظر:

*Complete works*, Roger Ingpen and Walter E. Peck (eds.), 10 vols., New York: Gordian Press, 1965, i: 244.

(٦) انظر:

*Johnson on Shakespeare*, Arthur Sherbo (ed.), New Haven, ct: Yale University Press, 1968. p. 81.

العصر، فإن السوناتات كانت تعبيرًا ذاتيًا عن النفس، ولكنها تتوجه فى الحب الذى تعبر عنه إلى رجل، وهو وضع لا يمكن تصويره: ثم يأتى التاريخ لينقذ ذلك الوضع بإظهار أنه أيام شكسبير كان الأصدقاء يستخدمون لغة الأحبة بدون أن تحمل معانى جنسية.

فإذا كان كل هذا صحيحًا فكيف يمكن القول إن النقد الأدبى الرومانسى فى مجمله لم يكن تاريخيًا؟ وهنا يمكننا فقط اللجوء لإحساس كل قارئ بمعنى هذا الخطاب. بالقطع كان هناك إنتاج كبير فى مجال التاريخ الأدبى. وبالقطع كان يتضمن عادة وعيًا تاريخيًا حتى إذا لم تتم مناقشة أصول العمل وسياقه. ولكن فى الأغلب لم يكن النقاد الرومانسيون يقومون بوضع الكتب والمؤلفين فى إطار التاريخ أو يقرءونها سياقًا. فقد كانت المفاهيم الجمالية للعصر تمنعهم من هذا. هذا بالإضافة إلى ما كان عندهم من اهتمامات نقدية أكثر إلحاحًا وأكثر إثارة. فقد قاموا بوصف الخصائص المميزة والتعبير عما فى النص من جمال وقيمة، وتحليل العملية الإبداعية وسمات العبقرية، وتقديم نظرياتهم حول الجليل وحول السخرية والمفارقة، وسعوا لتقديم تعريف للفن والشعر والجمال، وبحثوا فى علاقة كل هذا بالطبيعة أو بالحقيقة، وعن تأثير كل هذا فى تكوين الفرد والمجتمع. وفى المجلد الهائل للنقد الأدبى الرومانسى نجد التفكير التاريخى حاضرًا ولكنه ليس السائد. ويمكننا التفكير فى أمثلة متشابهة كثيرة خلق فيها جيل ما خطابًا دون أن يتبناه هو نفسه على نطاق واسع، وجاء الجيل التالى ليحوّله إلى عقيدة جامدة. وفى الحاضر، دائمًا ما يكون المستقبل هامشيًا.

ومن مسلمات الجماليات الرومانسية التى تعوق التفكير التاريخى فكرة العبقرية. ويمكننا الرجوع إلى كتاب ويليام جراى مخطط تاريخ أصول الأدب النثرى الإنجليزى وتطوره خلال عهد الملك جيمس الأول (١٨٣٥)، الذى يمثل البلاغة الرومانسية حول هذا الموضوع تمثيلًا نموذجيًا. كان جراى يؤمن بتطور الأدب، ولكنه كان

يتساءل كيف في هذه الحالة يمكن تفسير وجود هوميروس وتشوسر وشكسبير، هؤلاء الكتاب العظماء في عصور البربرية والتوحش. "يقف هؤلاء القدماء من صانعي العجائب "وحيدين".. كأرواح متميزة لا يمكن تفسير وجودها وقد سُمح لها "بتجاوز حدود المكان والزمان" (ص ٩٢ - ٣).<sup>(٧)</sup> إن العبقريّة ليست بالوراثيّة. يعلق كوليريدج بسخرية لازعة على الأغبياء

[ *Ritson and other Dullards* ] الذين يُرجعون "نمو العبقريّة الشعريّة إلى الأسلاف: وكأنّ دانتى أو ميلتون كانوا من صلب الشعراء الجائلين".<sup>(٨)</sup> وكما يقول أ. ف. شليجل فالعبقريّة "مسألة لا يمكن حسابها فهي هبة خالصة من الطبيعة". ولكن تاريخ الأدب يقدم الأعمال وكأنها مرتبطة في سلسلة حتمية، ويحاول "اكتشاف عملية لها قانون في وسط فوضى الظواهر". ومع هذا التناقض "تقف على حدود المعرفة"، غير قادرين على الرؤية أبعد من هذا.<sup>(٩)</sup>

وبالنسبة للمؤرخ الأدبي توجد عوامل عامة تشكل الأدب وتؤثر على أغلب المؤلفين في وقت محدد وزمان محدد وتفسر التشابهات الملاحظة بين أعمالهم. ولكن الشعر الغنائي، كما يفترض الرومانسيون، هو تعبير فردي، صرخة لها أسبابها الذاتية. ولعل العمل الغنائي يظل مع ذلك نموذجياً بالنسبة لفترة تاريخية معينة؛ لأن التاريخ قام بتشكيل الشاعر وعواطفه. ولكن بالمقارنة بالرواية والمسرحية فإن السياق التاريخي والاجتماعي أقل وضوحاً في الشعر الغنائي وربما كان له تأثير أقل. ولكن

(٧) انظر:

Oxford: D. A. Talboys, 1835.

(٨) انظر:

Samuel Taylor Coleridge, *Coleridge on the seventeenth century*, Roberta Florence Brinkley (ed.), Durham, NC: Duke University Press, 1955, pp. 586-7.

(٩) انظر:

August Wilhelm Schlegel, *Vorlesungen über schöne Literatur und Kunst*, in *Vorlesungen über Ästhetik I*, Ernst Behler (ed.), Paderborn: Schöningh, 1989, p. 192.

حتى الروايات والمسرحيات هي أعمال تخيلية في النهاية، وهو ما يعنى بالمنطق الرومانسى أن كل عمل منها يصور عالمه الخاص، وهو "عالم صغير مغلق"، كما يشرح فريدريش شليجل، يمضى "بشروطه هو وقوانين إمكانياته الداخلية". ( Uber *das Studium der griechischen Poesie* (1795) [أحوال دراسة الشعر اليونانى])<sup>(١٠)</sup> ويعتبر تشارلز لام فى مقاله "حول الكوميديا المفتعلة للقرن الماضى" أن من المسلم به سلفاً أن المسرحيات الكوميديّة لعصر عودة الملكية لم تكن تقدم صورة موثوق بها لحياة الطبقة العليا فى نهاية القرن السابع عشر. ولم يتحدث عن الأسلبة الأدبية أو عن التقاليد الأدبية- كما يمكننا أن نفعل الآن- ولكنه رأى المسرحيات باعتبارها عوالم متغايرة. ومثل هذا المفهوم يجعل انعكاس التاريخ عبر العمل التخيلى انعكاساً غير مباشر ومن الصعب استقراؤه. وأخيراً يمكن ذكر الصعوبات العديدة التى واجهت تاريخ الأدب فى ضوء مفهوم الفن باعتباره الجمال. والسؤال كما يصوغه بيتر سزوندى هو كيف يكون هناك "أنواع مختلفة من الجميل"، أو كيف يكون الجميل نفسه "قابلاً للتغير".<sup>(١١)</sup> ثم إننا إذا كنا نتصور أن الفن يعبر عن الجمال أو المثال فإنه لا يمكننا أن نجد أنه أيضاً يعكس الواقع الاجتماعى بشكل مباشر.

ويتضح الوضع أكثر ما يتضح عند أولئك النقاد الذين كانوا مؤرخين كذلك مثل توماس كارليل وتوماس بابينجتون ماكولى وجورج جوتفريد جرفينوس. ويعيد كتاب ماكولى تاريخ إنجلترا منذ ارتقاء جيمس الثانى العرش (١٨٤٩-٥٥) بناء مجتمع من الماضى ولكن مقالاته فى النقد الأدبى تتجاهل إلى حد كبير المعلومات التاريخية

(١٠) ورد فى:

Ernst Behler et al. (eds.), *Kritische Ausgabe*, 35 vols., Paderborn: Schöningh, 1979, i: 314-15.

(١١) انظر:

Peter Szondi, *Poetik und Geschichtsphilosophie I. Studienausgabe der Vorlesungen*, vol. ii, in *Antike und Moderne in der Ästhetik der Goethezeit*, ed. Senta Metz and Hans-Hagen Hildebrandt, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974, p. 17.

والسياق كعوامل سببية. أما جرفينوس فقد تتلمذ كمؤرخ في مدرسة فيلهلم فون هامبولت وف. س. شلوسر، ثم مارس موهبته الكبيرة في التاريخ الأدبي. وأقر بإصرار على عدم حاجته للتقييم النقدي لإنجاز مشروعه. فمن "يميل إلى الأحكام الجمالية يفقد بذلك وجهة نظر كاتب التاريخ. فالمؤرخ الأدبي لا علاقة له بالنقد الجمالي".<sup>(١٢)</sup> أما كارليل، المؤرخ الذي سيكتب في المستقبل كتاب الثورة الفرنسية (١٨٣٧) وفريدريك الثاني ملك بروسيا (١٨٥٨-٦٥) فقد حاول في حوالى عام ١٨٣٠ كتابة تاريخ للأدب الألماني. وقد أمضى ربما عامًا يعمل جاذًا على إنجازهِ لدرجة "أن أعينى وألهب أعصابى وكأنه قصيدة!"<sup>(١٣)</sup> ومع ذلك فقد كان كارليل تساوره تحفظات عميقة على هذا المشروع. فالأدب يجسد في أعلى مثال له - في اعتقاد كارليل - الجوهر الروحي المتعالى - الجمال - والمتصل بالأخلاق والدين. ومن هنا لم يكن بإمكان كارليل أن يتصور أو يقبل تاريخًا اجتماعيًا أو ماديًا للأدب. فاستنتاج "الداخلي والروحي من الخارجي والمادى فقط" هو مغالطة. "فالشعر قبل كل شيء... هو من تلك الأشياء الغامضة التى لا يمكن أبدًا لأصلها وتطورها أن يخضع لما نسميه التفسير".<sup>(١٤)</sup> وهذا لا يعنى أن الشعر يفتقر لتاريخ له، لأن "كل عصر.. يتطلب تمثيلًا مختلفًا للفكرة الإلهية" ( *Critical essays* 57 ) ولكن البحث التاريخي في الشعر ليس له إلا أهمية ثانوية. وبالفعل فتاريخ الأدب "كتاب تافه بلا أهمية" (*Two notebooks*, p. 156). "فالسؤال الكبير" يتعلق "بجوهر الشعر ووجوده الفريد؛ ما الشعر وما هدفه. (*Critical essays*, I: 49)

(١٢) انظر:

Georg Gottfried Gervinus, 'Prinzipien einer deutschen Literaturgeschichtsschreibung', *Heidelbergisches Jahrbuch der Literatur* (1833), reprinted in Thomas Cramer and Horst Wenzel (eds.), *Literaturwissenschaft und Literaturgeschichte*, Munich: Fink, 1975, p. 20.

(١٣) انظر:

Thomas Carlyle, *Two notebooks*, Charles Eliot Norton (ed.), New York: The Grolier Club, 1898, p. 156.

(١٤) انظر:

Thomas Carlyle, 'Early German literature' (1831), in *Critical and miscellaneous essays*. 3 vols., Boston: Dana Estes and Charles E. Lauriat, 1884, ii: 254-5..

ومع الوقت جاءت اللحظة التى أصبحت فيها السيادة للتارىخ الأدبى. وأصبح من المعتاد بدرجة أكبر دراسة الأعمال فى إطار منظورها. كما أن الفترة التى استغرقت فى صعودها وهبوطها تقريبًا ما بين عامى ١٨٤٠ و ١٩٤٠ يمكن اعتبارها انحرافًا عن السائد طوال ٢٤٠٠ عامًا من النقد الغربى. فليس من الطبيعى ولا من المرغوب فيه بوضوح ولا بالتأكيد من الضرورى قراءة الأعمال الأدبية وتفسيرها وتقييمها فى سياقات تاريخية. فكل عمل له شخصية مزدوجة، واحدة تتعلق بالزمن الذى ينتمى إليه العمل وأخرى تتجاوزه عندما تتوجه بحديثها إلينا. وللقراء والنقاد مطلق الحرية فى التأكيد على أحد الجانبين. والتصور أن العمل يتوجه لنا أكثر كلما تصورناه أكثر فى الزمن الخاص به، هو تصور أبدعه العصر الحالى ويمكن فقط أن يولد لدى كتّاب التارىخ الأدبى فى حالة دفاع عن أنفسهم.

ويمكن البحث فى الأسباب التاريخية التى أدت لهذه السطوة الوحيدة. ولكن ذلك موضوع مقال آخر، وأنا فقط أشير هنا إلى أن التارىخ الأدبى كان يلعب معايير الدراسة الجامعية. فلا النقد ولا نظرية الأدب (الشعر) كان بإمكان أحدهما أن يتشكل ليصبح متنا ارتقائياً من المعرفة. وإذا كنا نقصد بفقهِ اللغة البحث العلمى اللغوى وتحقيق النصوص، فإن ذلك كان مفيداً للكتابات الكلاسيكية وكتابات العصور الوسطى ولكنه أقل فائدة لأدب العصر الحديث. ولكن دراسة السياقات السيرية والاجتماعية والفكرية والأدبية كانت مسألة أخرى. فقد كان بالإمكان تدريسها وأيضاً، وهذا مقياس مهم لمجال دراسى أكاديمى، يمكن لأشخاص يتمتعون بقدرات عادية الإسهام فيه. ويمكن لمراكمة المعلومات أن تقدم على أنها مزيد من المعرفة. ويمكن للخلاف حول مناهج تاريخ الأدب ونظرياته أن يعتبر دليلاً على حياة صحية لذلك المجال الدراسى.



## (٢)

لقد طرحت حتى الآن فكرة أن التاريخ الأدبى رغم أنه كان بالفعل نتاج العصر الرومانسى - كما يفترض عادة - فإنه لم يصبح حينها الخطاب النقدى السائد. لم يكن من السهل إدماج النزعة التاريخية مع غيرها من الأسس والاهتمامات التى كان النقاد والقراء يلتزمون بها. ومع ذلك فقد تمت كتابة الكثير من التاريخ الأدبى السردى، الكثير من خلق المفاهيم التاريخية والتفسير التاريخى وتأويل النصوص تاريخياً، والكثير من البحث فى الماضى الأدبى. وهذا ما سأنقل إليه الآن كموضوع لما تبقى من هذا الفصل. وبالإضافة إلى ذلك سأحاول عند مناقشة تاريخ الأدب فى الحركة الرومانسية رؤيته فى علاقته بالأشكال والنماذج الأخرى لتاريخ الأدب، وخصوصاً الموجودة اليوم. فمن ناحية اتبع كتاب تاريخ الأدب الرومانسيون بالضرورة الإجراءات الخاصة بذلك النوع كما تبناوا افتراضاته الأساسية. ومن الناحية الأخرى كان لأعمالهم سمات لا يتميز بها كاتب تاريخ الأدب المنتمى للمدارس اللاحقة من الطبيعة والوضعية والحداثيّة وما بعد الحداثيّة. والمؤكد أنه من غير الصحيح ما يقال أحياناً من أن تاريخ الأدب هو نوع ملازم للرومانسية دائماً. إنما هناك نمط من تاريخ الأدب ينتمى بوضوح للرومانسية.

وقد توفر للرومانسيين بالفعل ما يكفى من المعلومات لتقديم إعادات صياغة تاريخية مفصلة وجذيرة بالتصديق. وقد استمر العمل الكبير لاستعادة أدب العصور الوسطى وأدب عصر النهضة، ولاكتشاف المخطوطات، ولتعلم اللغات، وإعداد قوائم الكتب، وتحقيق الكتب، وكتابة التعليقات؛ أى استمر ذلك الفيضان منذ القرن الثامن عشر. ونجد معرفة دقيقة تثير الدهشة حول أدب العصور الوسطى لدى جراى ووارتون فى وقت مبكر وهو ستينيّات القرن الثامن عشر، ومما يثير الدهشة أكثر أن معظم ذلك الأدب كان فى هيئة مخطوطات فقط. وأصبحت السلوكيات والحياة

المادية للماضى موضوعاً للبحث، كما كف المؤرخون عن التركيز على الأحداث السياسية وحدها. وتدرجياً تحولت الأعمال القديمة فى تاريخ التعليم إلى تاريخ للثقافة. ويفضل هذا المجهود البحثى الجمعى، استطاع كاتب متواضع مثل ناثن دراك أن يصدر كتابه شكسبير وعصره فى ١٨١٧.<sup>(١٥)</sup> وهو كتاب لا يدعى تقديم ما هو أكثر من خلفية لقراءة المسرحيات. فيصف المدارس فى زمن شكسبير، وانتشار تعلم القراءة والكتابة والمعرفة بالأدب الأجنبية، وأسعار الكتب، والمعتقدات الدينية، والفلكلور والثقافة المادية، وطرق الحياة للطبقات العليا والوسطى والدنيا فى العصر الإليزابيثى، كل ذلك فى تفصيل ثرى. وهو عمل ضخم الحجم ومفيد ويدعو للإعجاب ويؤكد على ما أقوله من أن المعلومات التاريخية كانت متوفرة بغزارة.

وثمة مفاهيم وتوجهات ثقافية يجب أن تنتشر قبل أن يبدأ النظر للأدب تاريخياً، وقد تحقق ذلك الانتشار مع أواخر القرن الثامن عشر. فحينما كتب صاموئيل جارش فى ١٧١٧ مقدمته لترجمة حديثة لقصيدة تحول الكائنات، لم يكن يناقش السياق التاريخى الذى قام أوفيد بإنتاج قصيدته فيه.<sup>(١٦)</sup> فبالنسبة لجارش كان من المسلم به قطعاً أن روما فى عصر أوفيد بوتثيتها وعبيدها لم تكن تشبه إنجلترا المعاصرة. ولكن يبدو أن الاختلافات لم تكن مهمة بالنسبة له، وهى على كل حال لم تشكل حاجزاً بينه وبين أوفيد الذى يناقشه وكأنه معاصر له وينتقد شعره وأوزان نظمه. ولكن الإقرار بوجود عقلية تنتمى لعالم آخر ظهر بقوة عندما بدأ الاهتمام بأدب العصور الوسطى. كما بدأ شعور مماثل بالمسافة التاريخية ينمو تدرجياً خلال القرن الثامن عشر فى مناقشات للأدب القديمة وأدب عصر النهضة. فتاريخ الأدب يفترض سلفاً أن الماضى مختلف ويحاول أن يتجاوز هذه المسافة. فهو يجمع

(١٥) انظر: Paris: Baudry's European Library, 1843.

(١٦) انظر:

Sir Samuel Garth (ed.), *Ovid's metamorphosis*, trans. by John Dryden, et al., 5th edn. London: Tonson & Draper, 1751.

المعلومات ويفسر الماضي ويجعله قابلاً للفهم. ولكن المقاربة التاريخية تؤكد تأكيداً قوياً وعميقاً الإحساس بالاختلاف بافتراض وجود هذا الاختلاف واعتباره منطلقاً أساسياً. وفي العالم الحديث يعنى مجرد وضع عمل ما فى الماضى رؤيته فوراً على أنه تعبير عن عقلية مغايرة.

فى عام ١٨١٥ نشر الباحث المتميز رغم محافظته، جورج فريدريك نوت طبعة جديدة لأشعار سورى ووايت *Surrey and Wyatt*. ويقول نوت إن سورى هو الذى أسس قوانين نظم الشعر الإنجليزى، التى ... تبناها كتابنا النموذجيون ... منذ تلك الحين. "ويعتقد نوت أن "التطوير" فى الأدب ليس نتاج عملية جمعية ولكنه عمل أفراد بأعينهم.<sup>(١٧)</sup> أما تاريخ الأدب الرومانسى فيفتراض العكس. فثمة عنصر متجاوز للفرد - لنقل العصر أو الوسط المحيط أو تجربة جيل معين، أو باختصار السياق - هو الذى يشكل العمل لأنه هو الذى يشكل المؤلف. وقد وجدت مدام دى ستايل، عند قراءتها لشيشيرون، نفسها أمام "الأمة فى رجل واحد".<sup>(١٨)</sup> ويقول هيردر "مثلما تمتلك الأمة بأكملها لغتها، فإنها تمتلك كذلك أشكالاً من العمليات الإبداعية المفضلة وموضوعات وانعطافات للفكر وباختصار تمتلك عبقرية تعبر عن نفسها فى أحب الأعمال لروحها وقلبها من دون الالتفات إلى الاختلافات الفردية." (*Sammtliche Werke, XVIII:58*). والمؤلف، كما يكتب هيردر فى موقع آخر "يقف بجذوره ضاربة فى القرن الذى يعيش فيه مثل الشجرة يستمد منه نسغه". يحمل "علامات ولادته فى عصره". صحيح أن هذه "العلامات" هى أيضاً "جراح" و"أغلال" - أى أنها

(١٧) انظر:

George Frederick Nott, 'Dissertation on the state of English poetry before the sixteenth century'. in *The works of Henry Howard Earl of Surrey and of Sir Thomas Wyatt the Elder*, 2 vols. (London: Longman, Hurst, Rees, Orme, and Brown, 1815), pp. clxxxii, cxxxviii.

(١٨) انظر:

Madame de Staël-Holstein, *De la littérature considérée dans ses rapports avec les institutions sociales*, Paul van Tieghem (ed.), 2 vols., Paris: M. J. Minaird, 1959. i: 111.

باختصار قيود (II:265) ولكنها تقيد فقط بقدر ما تكون الفردية مقيدة، ويعتقد هيردر أن كل إنجاز إنساني له جذوره في الأمة والعصر وكذلك في الهوية الشخصية.

وبسبب الدور الذي تمنحه أعمال التاريخ الأدبي للسباق فإن تركيزها يكون منقسمًا. إذ تركز على الأعمال الأدبية في نفس الوقت الذي تركز فيه على العوامل التي كانت السبب في تشكيل تلك الأعمال. وبالنسبة لتاريخ الأدب الرومانسي فإنه يستدعي السياقات الجغرافية والعرقية والسياسية والسلوكية ويستدعي المؤسسات الاجتماعية والفلكلور والعقيدة الدينية والمعتقدات الفلسفية، والفنون الأخرى والأدب الأقدم، وعادة ما يجمع بين كل تلك السياقات المختلفة لتقديم تفسيراته. لماذا ازدهر المسرح والخطابة في أثينا القديمة؟ يقول دي كوينسي، مستدعيًا عاملاً ماديًا، إن الورق كان غالي الثمن، فكان الصوت البشري هو أجدى طريقة للنشر.<sup>(١٩)</sup> ولماذا انحدر الشعر الإنجليزي بعد تشوسر؟ أو الشعر الألماني بعد حكم عائلة هوهنشتاوفن *Hohenstaufen*؟ لا نحتاج إلا تناول الفوضى السياسية في تلك الفترة، طبقًا لتوماس كامبل في مقاله في ١٨١٩ "مقال عن الشعر الإنجليزي"، ومقال توماس كارليل في ١٨٣١ "الأدب الألماني المبكر"<sup>(٢٠)</sup>. ويشرح جون كولين دنلوب في كتابه تاريخ القص النثرى (١٨١٤) سبب عدم كتابة الإيطاليين للروايات الفروسية: وهو نظرتهم الدونية للمهن العسكرية، وروحهم التجارية، وقربهم من الثقافة الكلاسيكية. وهذه الأسباب نفسها يعدد لها أسبابًا اجتماعية أو تاريخية أخرى.<sup>(٢١)</sup> وفي مقارنته بين التراجيديا الإنجليزية والتراجيديا الفرنسية، بين شكسبير وراسين، يجد فرانسيس جيفري

(١٩) انظر:

Thomas De Quincey, 'Style', in David Masson (ed.), *Collected writings*, 14 vols., Edinburgh: Adam and Charles Black, 1889-90, x: 237.

(٢٠) انظر:

Thomas Campbell, 'An essay on English poetry', in *Specimens of the British poets*, 2<sup>nd</sup> edn, London: John Murray, 1841, p. xlv; Carlyle, *Critical essays*, ii: 253.

(٢١) انظر:

John Colin Dunlop, *History of prose fiction: a new edition revised with notes, appendices and index*, Henry Wilson (ed.), 2 vols., 1906: reprinted New York: AMS Press, 1969, ii: 2-3.

"أكثر من تماثل" بين شكل التراجيديا وشكل الحكم- "إن مسرحنا دائماً ما أخذ عن الطبيعة المختلطة للحكم عندنا- فالناس من كل المستويات تشارك في كليهما (المسرح والحكم)... وفي إنجلترا أيضاً اعتمد المسرح بشكل عام على الأمة بأكملها، ولم يمل لتفضيل البلاط." (٢٢)

وباستثناءات قليلة، يفترض تاريخ الأدب الرومانسي أن الأدب انعكاس للعصر بشكل مباشر جداً. يكتب هازليت "كنا سنختار حقاً في البحث في وثائق تلك الفترة لنجد دليلاً وافياً لحالة المجتمع عموماً وللمشاعر الأخلاقية والسياسية والدينية في عصر جورج الثاني التي نجدها جميعها في مغامرات جوزيف أندروز". (٢٣) وكان دانلوب يعتقد أن روايات الفروسية هي "نتاج للسلوكيات الموجودة بالفعل... فقط صورة مضخمة من واقع حال المجتمع." (كانت التنانين والسحرة مجرد "زينة" *Dunlop, History, I: 128, 126*). ولم يتقبل القراء إلا ببطء وعن غير رغبة حقيقة طرح سيسموندى أن "نظام الفروسية كان كله تقريباً اختراعاً شعرياً: فوثائق ما يفترض أنها عصور الفروسية "تعطينا وصفاً واضحاً ومفصلاً وكاملاً لرذائل البلاط والعظماء ولوحشية النبلاء وفسادهم وللذل الذي كان الناس فيه." "ومن الغريب أن نجد الشعراء بعد مضي فترة طويلة من الزمن يزينون تلك العصور نفسها بأكثر الحكايات الخيالية المملوءة بالعظمة والفضيلة والإخلاص." (٢٤)

(٢٢) انظر:

Francis Jeffrey, *Contributions to the 'Edinburgh review'*, 3 vols., London: Longman, Brown, Green & Longmans, 1846, i: 356-7.

(٢٣) انظر:

William Hazlitt, *Complete works*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., London: Dent & Sons, 1933, xvi: 5.

(٢٤) انظر:

J. C. L. Simonde de Sismondi, *Historical view of the literature of the south of Europe*, Thomas Roscoe (trans.), 3rd. edn, 2 vols., London: Henry G. Bohn. 1850, i: 79.

وبمنهج دائري دأب النقاد الرومانسيون على استقاء معلوماتهم حول "عصر" ما من خلال الأدب ثم استخدام تلك المعلومات لتفسير الأدب. يقول كوليريدج إنه كان يخطط لأن يقوم في محاضرات ١٨١٨ "بإعطاء أمثلة على الآراء التي طرحتها في المحاضرة السابقة حول أخلاقيات العصور الوسطى وسلوكياتها وعقيريتها المتفردة من خلال الحكايات القديمة والأغنيات والروايات المنظومة شعراً... إذ إننا نجد فيها ليس فقط أمثلة غاية في الطرافة ولكن نجد كذلك دليل حق بالفعل ولا يتحمل الاعتراض كثيراً على الشخصية الحقيقية لتلك الأزمان التي كتبت فيها".<sup>(٢٥)</sup> وكان هيردر ومدام دي ستايل على وجه الخصوص من ضمن من اتهموا بمثل هذا المنهج الدائري المغلوط.<sup>(٢٦)</sup> وهو مغلوط لأن التمثيلات الأدبية يمكن أن تصاغ بأسلوب معين أو تكون تراثية أو تقليدية أو أيديولوجية وفي هذه الحالات لا تعكس مباشرة العالم الاجتماعي الذي تم إنتاجها فيه. وهو ما يبدو بديهياً الآن ولكن مثل هذه الاعتبارات تم تجاهلها إلى حد كبير في تاريخ الأدب الرومانسي. وكان طموح تاريخ الأدب في ذلك الوقت أن يصبح "تاريخاً داخلياً" تبدو الأحداث فيه مرتبطة سببياً وبالتالي حتمية. وسواء كان ذلك صواباً أم خطأ فقد كان هناك اعتقاد أن ذلك الشكل من كتابة التاريخ يعد تقدماً كبيراً على الكتابات الأقدم من التجميع والتأريخ. فمثل ذلك التاريخ أكثر انتقائية فيما يورده وأكثر إحكاماً من حيث التنظيم، بالمقارنة مثلاً بكتابات وارتنون التي تضم كل كبيرة وصغيرة أو الكتابات ذات النظرة الشاملة مثل كتابات جيبون، كما أنه تاريخ يصاغ غائياً، فهدفه ليس مجرد وصف الماضي إنما تفسير بعض ظواهره

(٢٥) انظر:

Samuel Taylor Coleridge, *Notebooks: 1808-19*, ed. Kathleen Coburn, 2 vols., Princeton, nj: Princeton University Press, 1973, vol. i, entry 4384.

(٢٦) انظر:

René Wellek, *A history of modern criticism: 1750-1950*, 8 vols., New Haven, ct: Yale University Press, 1955-, vol. i: *The later eighteenth century*, p. 197; Paul van Tieghem Introduction to Staël, *De la littérature*.

"التراجيديا الشكسبيرية" على سبيل المثال، عن طريق رصد مصادرها. أو ربما يحاول شرح الحاضر أو أحد جوانبه أو أن يستشف المستقبل. ومن هنا فإنه يتخذ شكلاً خطياً - فهو يرصد سلسلة من الأحداث إلى أن يصل لنقطة نهاية منتقاة - كما أنه يعتمد التطور، بمعنى أنه ينضوى على سلسلة من التغيرات التي - كما يقول ديلتاي - "كل منها ممكنة فقط على أساس ما سبقها." (٢٧) كما حفز اعتبار جوته كاتباً كلاسيكياً، النقاد الألمان على ملاحظة أن التأثير يمكن أن يحدث عبر قفزات واسعة. فيقول أ. ف. شليجل "بعد مرور قرون يمكن فقط للنفوس الكبيرة أن تتحدث لمثيلاتها القادرة على خلق أعمال توازي أعمالها." *Vorlesungen uber schone Literature*, [سلسلة محاضرات حول الأدب الرفيع] 194 p. ومع ذلك فقد كان شليجل ملتزماً تماماً بمبدأ التطور في تاريخ الأدب. ونجد في الوقت الحاضر تفضيلاً لنماذج متباينة للتغير تتناسب مع التصورات المختلفة للواقع. فنلاحظ وجود العشوائية، والمصادفة أو الانقطاع فيما رآه المؤرخون الرومانسيون انتقالاً متصلاً بنوا على أساسه قصصهم التاريخي.

كثيراً ما وصف المفكرون الألمان التطور التاريخي بأنه عضوي. فكان كل حدث لحظة من عملية موحدة جزءاً من كل. وهذا الكل يمكن أن يكون الأدب القومي أو نوعاً أدبياً أو مجمل أعمال كاتب بعينه. فكان الشعر اليوناني بالنسبة لفريدريش شليجل يبدو وكأنه "كل مستقل ومكتمل وكامل... بحيث يكون حتى أصغر جزء منه منضبطاً بقوانين الكل وأهدافه ومع ذلك فهو حر ومكتف بذاته... إن أعظم التطورات كما أقلها ترتقي تلقائياً من سابقاتها، وتحمل البذرة المكتملة للطور اللاحق." (Kritische Ausgabe, I: 305-6).

(٢٧) انظر:

Wilhelm Dilthey, *Der Aufbau der geschichtlichen Welt in den Geisteswissenschaften*, Frankfurt am Main: Suhrkamp. 1970, p. 201.

فلمعرفة الماضي لابد لنا حتمًا من القراءة والدراسة ولكن ذلك وحده لا يكفي. فقد تعامل الرومانسيون مع الماضي، كغيره من الأشياء، من منطلق التعاطف كمبدأ رومانسي في التأويل، بمعنى المشاركة بالخيال في الحياة التي يتم تمثيلها. لابد للمرء، كما يقول هيردر "أن يخطو إلى زمانهم، وأرضهم، ودائرة أفكارهم ومشاعرهم، لنرى كيف يعيشون؟ كيف تتم تربيتهم؟ ما الأشياء التي يرونها؟ وما الأشياء التي يحبونها بعشق؟ وما يمكن أن يكون عليه هواؤهم وسماؤهم وتكوين أعضاء أجسادهم ورقصهم وموسيقاهم. لابد من التعرف على كل ذلك لمعرفة ليست هي معرفة الغريب أو العدو إنما معرفة الأخ والمعاصر". (*Sämmtliche Werke, XI:226*). "وكل نقد سليم في العالم كله يقول إن على المرء من أجل أن يفهم عملاً ويفسره أن يضع نفسه وكأنه روح ذلك المؤلف وجمهوره وأمنه وعمله" (*VI: 34*). "لابد أن يضع المرء نفسه وسط عصرهم وأمتهم"، كما يقول أ. ف. شليجل "حتى تتمكن انطلاقًا من تلك النقطة أن تشاركهم في نظرتهم للعالم التي لا يمكن مع ذلك أن تتحقق إلا إذا تخلص المرء من كل انحيازاته الشخصية وعاداته" (*Vorlesungen über schöne Literatur, p. 482*) وكلما أعطى الكاتب لعمله ذاتيته وتفردته كان على القارئ إنكار هويته هو.

ونتيجة لمفاهيم التطور العضوي والمشاركة المتعاطفة طرحت معضلة النسبية النقدية نفسها. فإذا كانت، كما يطرح فريدريش شليجل، "الملحمة الهيلينية القديمة.. شكلاً متفردًا تمامًا لم يكن بالإمكان إلا ينشأ وينضج في وضع هذه الثقافة، في ذلك المكان وذلك الزمان" (*Geschichte der Poesie der Griechen und Romer*) [تاريخ الشعر عند اليونان والرومان] (*Kritische Ausgabe, I: 442*) (1798)، وإذا كان كل عمل أدبي يتحدد كذلك في زمانه ومكانه بالضرورات التاريخية، وخصوصًا إذا كان عمل هو لحظة في التقدم العالمي للروح الإنسانية، فكيف يمكن للمرء أن يقوم بنقده؟ في مقاله "فلسفة تاريخ أيضًا من أجل تكوين الإنسانية" (1794)، يعلن هيردر جملته الشهيرة "لا شيء في مملكة الله كلها... هو وسيلة



فقط- كل شىء وسيلة وغاية فى الوقت نفسه" (V:527, *Sämmtliche Werke*). كل عمل وكل مؤلف وكل قرن له تبريره فى التاريخ إذا كان الولوج إلى كتابات كل عصر وفهمها عن طريق التماهى معها بالتعاطف فأين نقطة الانطلاق للتعبير عن نقد موضوعى يصح تطبيقه على الكل؟ لقد انتقد هيردر أولئك الذين "يعتقدون أن ذوق الحاضر هو الذوق الوحيد" (XXXII: 28). ولكن هل هذا التقييم لما يتصادف أن يكون ذوقنا المحلى فى وقت ما هو فعلاً البديل الوحيد للنسبية النقدية؟ ربما يساعدنا ذلك على تفسير سبب ميل النقد الرومانسى إلى تذوق الأعمال وتقديرها لا تقييمها.

وبشكل عام فحتى أكثر الرومانسين ميلاً للتفسير. التاريخى لم يكونوا من الداعين للنسبية. وكانت السياسة المتبعة عادة هى الإقرار بأثر "العصر" على المؤلف، ثم- إذا لزم- إدانة ذلك العصر. وفى تلك الخطوة الأخيرة يختلف النقاد الرومانسيون من ناحية الذوق والأسلوب ولكن ليس من ناحية المبدأ مع عصر التنوير. فالكاتب يمكن أن ينتمى لعصره ومع ذلك، أو لذلك، يصبح موضع انتقاد. فطبقاً لنفس المبدأ كان الجيل السابق قد حكم بكل ثقة على العصور الوسطى بالتجاهل باعتبارها عصوراً للفظاظاة وعدم التحضر. وكان توماس كامبل- الذى نجد فيه استمراراً للعقلية التنويرية- قد قرأ ملاحظات ريتشارد هيرد "وغيره ممن يمنعون علينا أن نحكم على قصيدة "الملكة الخيالية" بمقياس الوحدة الكلاسيكية، بل يقارن ما بينها وبين كنيسة قوطية أو حديقة قوطية". ولكن هذه المقارنة "لا علاقة لها" بهدف النقد. فسواء كانت القصيدة قوطية أو لم تكن فإن حبكتها "بالغة التشابك وبالغة التبعض" (*An essay on English Poetry p. 110*). وفى ١٨٠١-٢ لم يكن لدى أ. ف. شليجل أى شك فى أن "شعب ما أو عصر ما يمكن أن يكون أكثر شعرية من غيره" (*Vorlesungen über schöne Literatur*). ورأى فريدريش شليجل أن كل جيل لديه "مميزات وعيوب يكمن السبب الأساسى لها فى العوامل الخارجية وفى العصر نفسه. ويجب أن يضع المرء ذلك فى حسابه، حتى لا يطالب الكاتب بصفات لم يكن

بالإمكان على الأرجح فى حالته أن يتحلى بها، أو ينتقده على أخطاء تنتمى حقيقة لعصره ككل وليس له بشكل خاص.<sup>(٢٨)</sup> وفى معروض تقديمه للفقرة التى اقتبسناها سابقاً، يلاحظ هيردر أنه "من الضرورى عادة أن نطرح من الكاتب ما ينتمى لزمناه... فهو يحمل قيود عصره" (*Sämmtliche Werke, II: 265*). مثل تلك اللغة تشير إلى أن هناك معياراً يمكن من خلاله تمييز الأخطاء ونواحى القصور والحكم عليها. إن الحس التاريخى الرومانسى قد يمنح صدقاته النقدية أو عدالته للكاتب الفرد من دون أن يكون ذلك منحة لعصره كله.

### (٣)

ما الهدف من تاريخ الأدب؟ من الواضح أن الرومانسيين لم يكونوا مثل بعض الذين يعتقدون الآن أنه يجب كتابة تاريخ الأدب من أجل الاشتباك مع السياسة فى الوقت الراهن. ولم تكن النصوص الأدبية تثير ارتياهم وكأنما تحمل سموماً أيديولوجية. ولكن كان لديهم فضول كبير حول المعتقدات المعلنة وغير الواعية التى يعبر عنها الأدب. وقد افترضوا أن الأدب مقارنة بغيره من الوثائق التاريخية يعطى استبصارات عميقة ومعقدة حول عقلية عصر ما وحول أخلاقياته وحكمته التى كانت على حد قول فرانسيس جيفرى "سارية بين الناس. (*Contributions, II: 256*) وفى إطار الاهتمام الجديد بأدب القرون الوسطى وعصر النهضة أعادوا إلى قائمة الأعمال الأدبية أعمالاً كانت قد ضاعت إما عن جهل أو عن انحياز وتعصب. وكان ذلك أيضاً فى اعتقادهم إحدى وظائف تاريخ الأدب. وقبل الهجوم الذى شنه أصحاب نظرية الفن للفن ومن بعدهم مدرسة النقاد الجدد، كان من المفترض أيضاً

(٢٨) انظر:

Friedrich Schlegel, *Kritische Ausgabe*, vol. vi: *Geschichte der alten und neuen Literatur*, Hans Eichner (ed.), Paderborn: Schöningh. 1961, p. 377.

أن المعرفة التاريخية تتيح للفرد أن يفهم الأدب ويدركه ويتذوقه على نحو أعمق وأصح. لقد اعتبر كتاب تاريخ الرومانسيين ذلك من المسلمات ولكن كان عندهم كذلك أهداف أخرى لتاريخ الأدب لم يعد أحد يسعى إليها الآن.

إننا نعرف ما الشعر كما يقول هيردر من خلال أصله مستخدماً الهجاء اليوناني للكلمة من أجل التأكيد (*Sämmtliche Werke, V: 380*) فالأصل "يحمل الطبيعة الكاملة لمنتجه النهائي، تماماً كما تكمن النبتة كاملة بكل أجزائها داخل البذرة" (*XXXII: 86-7*) ومن هنا فإننا نعرف القصيدة الغنائية عن طريق دراسة أصولها الشعبية في اليونان القديمة وفلسطين، ونعرف الثقافة اليونانية والأدب اليوناني بأن نرصد أصولهما التي تعود إلى مصر القديمة والفينيقيين. وقد واجه الرومانسيون فعلاً مشكلة وجود أصل لكل أصل، ومصدر لكل مصدر، في سلسلة من الرجوع لا نقطة بداية لها. هكذا يطرح أ. ف. شليجل الموضوع "حتى أعرف علة العلة، تظل العلة المباشرة عرضية بالنسبة لي، وهكذا في سلسلة لانتهائية تعود إلى الوراء. ومن هنا فإن التاريخ لا يمكن له أن يحقق استبصاراً بالضرورة لأنه لا يمكن له أن يحدد العلة الأولى على الإطلاق." (*Vorlesungen über schöne Literatur, p. 188*).

أو يمكننا معرفة ما يكونه نوع أدبي ما أو أدب قومي ما لا عن طريق الاستدلال على أصوله ولكن غاياته. يقول فريدريش شليجل يمكننا معرفة الشعر الحديث من خلال تاريخه لأن تاريخه يشير إلى اتجاه ما ويكشف لنا أين يتجه. "لعلنا عن طريق روح ما مضى من تاريخ ننجح كذلك في اكتشاف معنى ما يسعى له في الحاضر والطريق الذي يتجه إليه في المستقبل وهدفه المستقبلي". "عندما يؤدي اتجاه العمل وهدفه لفهم الغاية التي يسعى إليها، يتضح تماماً معنى العمل في مجمله" (*Kritische Ausgabe, I: 224, 229*).

كان أحد أهداف تاريخ الأدب الرومانسى إذن هو الوصول للشكل الأساسى أو المبدأ الكامن أو الجوهر أو الروح *Geist* أو الفكرة. ولكن لأى شىء؟ للأعمال ومؤلفيها والأنواع الأدبية والتراث والثقافات القومية والإنسانية. ومثل هذه النظرة أعطت للعمل الذى يجب أن يقوم به كل كاتب لتاريخ الأدب هدفاً عميقاً يصل إلى أن يكون هدفاً متمايزاً. ويتم التعبير عن موضوعات تاريخ الأدب بمفردات عامة مثل "روح العصر" أو "التراجيديا الإغريقية" على الأقل لأسباب عملية؛ إذ لا يمكن الإشارة لكل عنصر مفرد نفكر فيه على حدة. وتتعلق القضية إذن بالوضع الأنطولوجى (الكيانى) لمثل هذه المراجع الجمعية. يقول فريدريك شليجل إن العقل فى إنجلترا يميل إلى المفارقة والتشكك (*Geschichte der alten und neuen Literatur*, [تاريخ الأدب القديم والجديد] p. 336)، ولكن هذا ليس إلا طريقة الألمان فى التعبير عن ملاحظتهم أن المفكرين الإنجليز غارقون فى الفلسفة التجريبية وعلى النفس الوضعى الخاص ببلدهم. فبالنسبة لهم تبدو المصطلحات التعميمية وتسمية الأنماط مسألة غير ملائمة حتماً لخصوصية مدركاتنا وتغاييرها. ولكن الأسوأ من ذلك أن معنى مصطلحات مثل "القصيدة الغنائية" يختلف من عقل لآخر حسبما تصادف وارتبطت به من تداعيات. ومثل هذه المصطلحات كانت تفتقد لمرجعية موضوعية وواقعية. ونجد فى التراث الفكرى الألمانى، أن مثل هذه المصطلحات تشير إلى أفراد جمعيين أو موضوعات مثالية أى كائنات ذهنية، وكلها أشياء كانت بمعنى ما واقعية. ومن هنا كان لتاريخ الأدب فى ألمانيا مكانة فكرية لم يكن بالإمكان أن يصل إليها فى إنجلترا. لقد قادت الفلسفة المثالية إلى تاريخ الأدب، وهى بالتأكيد سبب بالإضافة إلى انتشار الجامعات من أسباب ازدهار هذا المجال الدراسى فى ألمانيا أكثر منه فى بريطانيا العظمى أو فى فرنسا.

بالنسبة لفريدريش شليجل على سبيل المثال فإن من روح *Geist* الشعر الحديث جزء عضوى من كل أكبر أو من روح *Geist* كل الشعر الغربى. ولكن تلك

الروح، كما عند هيجل، جزء من روح أكثر عمقاً وشمولاً يجيء تحقيقها عبر التاريخ. إن التاريخ في مجمله يعطى لكل لحظة معناها، فيقدم "حبكة القصة" بمعنى ما، التي يتحدد على أساسها أهمية كل حدث. هذا الكل يتم معرفته بالفلسفة وبالدين ودونهما "ليس التاريخ سوى كومة من المادة خامدة لا نفع ولا وحدة داخلية تجمعها ولا تملك هدفاً نهائياً ولا نتيجة لها". (ص ٣٣٩). التاريخ في المحصلة النهائية هو تاريخ تكوين الإنسانية. وتاريخ الأدب رافد من نهر أكبر، ولكنه رافد يكشف بشكل خاص عن اتجاه الكل. فكتابة تاريخ للأدب هو اقتفاء لأثر تطور الروح البشرية.

وبهذا المفهوم نجد أنفسنا بعيدين كل البعد عن الكتابة الحديثة للتاريخ. وهناك قدر من الخطأ في ربط مثل هذا التصور بالمفكرين الألمان وحدهم؛ إذ نجد نفس الهدف الأساسي هو الدافع لكتابة تاريخ التعلم في عصر التنوير، وكان موجوداً في كل كتابة لتاريخ الأدب أينما كتبت. ويرى جون كولين دنلوب وهو محام لامع ومأمور في مدينة إدينبره أن تاريخ النثر الذي قام بكتابته يقدم "عرضاً متتالياً" "لأشكال التفكير السائدة". ويقدم "حقائق مثيرة بالنسبة للدراسة الفلسفية للعقل الإنساني، ويسترجع من النسيان عدداً من الأفراد، ويساعدنا على تجنب "الأخطاء التي وقع فيها من سبقونا". والأهم أنه يصور "تقدم العقل الإنساني" (*History, I:35*).

إن أكثر من يشبه المؤرخ الحديث - وهذا ليس بالضرورة مدحاً - من بين كتاب تاريخ الأدب في القرن التاسع عشر هو جيرفينوس *Gervinus* وقد كان هدف تاريخ الأدب بالنسبة له مختلفاً إلى حد ما. فمنذ بداية التاريخ الجديد للأدب في القرن الثامن عشر ساد الشك حول إمكانية المعرفة التاريخية. وقد سعى جيرفينوس نحو الأسباب المباشرة للأحداث لا الأسباب العميقة الفاعلة دائماً التي تكشف عنها فلسفة التاريخ. وفي النماذج التي يقدمها هايدن وايت للمؤرخين سنجد جيرفينوس ينتمي أكثر إلى النوع الإيديوكرامي [الذي يصور الأفكار بالرموز] والذي يسعى إلى تركيبات أقل

شمولاً.<sup>(٢٩)</sup> فمنهج جيرفينوس منهج اجتماعي أكثر من ذلك الذي يتبناه الأخوان شليجل. فكان يعتقد على سبيل المثال أن على تاريخ الأدب أن يهتم اهتماماً وثيقاً بالمحددات المادية والمؤسسية للأدب ويتلقيه. بالإضافة إلى ذلك فعلى النقيض من الآخرين شليجل كان يرغب جيرفينوس في الالتفات إلى الكتاب الثانويين وكذلك الأعمال الثانوية على أساس أن "تاريخ الأدب مثله مثل التاريخ السياسي يرتبط بالجماهير"، والجنود البسطاء هم الذين يكسبون حروب الأدب. لا يمكن لأحد أن يقرأ كل شيء ولكن حتى الآن "قام مؤرخو الأدب عندنا بقراءة أقل القليل" وبالتالي كانوا كمن "يحرث في الهواء". (*Prinzipien*, [المبادئ] 28, p).

ورغم أن جيرفينوس شخصياً لا ينزع إلى مذهب الشك، فقد كان يعتقد أن من الضروري اتخاذ موقف محايد وغير منحاز تجاه الفهم التاريخي. بمعنى أنه كان ملتزماً بما رأى أنه متطلبات مهنية. "تشكل عام كل من يقع في مصيدة النظام الفلسفي أو من يجعل من مبدأ أخلاقي همه الشاغل أو يحبس نفسه في إطار نوع معين" يخطئ فيما تفرضه عليه مهنته كمؤرخ، "ولن يحقق شيئاً. فالمؤرخ يجب أن يكون حرّاً تماماً وقادراً على تقبل أي وجهة نظر". (ص ٦١).

وقد كان جيرفينوس يؤكد كذلك على إمكانية سوق تبريرات جميعها مقبولة بدرجة متساوية دفاعاً عن وجهات نظر متباينة. ولا شك أن تاريخ الأدب يجب أن يقدم قصة ذات حبكة، وإلا لن يكون تاريخاً، فلا يعرض للترابط الداخلي بين الأحداث. ولكن نفس الأحداث يمكن ربطها في أكثر من حبكة قصصية كل منها تعارض الأخرى ولكن كل منها مقنعة. ولنأخذ على سبيل المثال "فترتنا الأخيرة" في الأدب الألماني. فبالإمكان أن نربطها "بالثورة العامة للروح الأوروبية" أو وضعها في الموقف العكسي. فيمكن للمؤرخ أن "يظهرها على أنها استكمال لما بدأه عصر

(٢٩) انظر:

Hayden White, *Tropics of discourse: essays in cultural criticism*. Baltimore, md: The Johns Hopkins University Press, 1978, pp. 64-5.

الإصلاح في سبيل الحرية الروحية أو على أنها بداية" الحركة السياسية للحرية المدنية. ولا يمكن للمؤرخ "أن يصور كل وجهات النظر التي يمكن التعامل بها مع مادة يمثل هذا الغنى ويمثل هذا التعدد في جوانبها المختلفة." "بإمكانه اكتساب ألف جانب من التاريخ ولكنه عليه اختيار واحد منها... فعليه فقط أن يبدأ." (ص ٦٣ و٦١).

ومن ناحية أخرى يحذر جرفينوس من إسقاط الأفكار العشوائية على المادة التاريخية. فالاختيار الأولى لوجهة نظر ما يجب أن يعتبر مجرد اختيار أولى وتجريبي. فإما أن تتأكد عن طريق البحث أو يظهر عدم إمكانية إثباتها. وفي المحصلة النهائية نجد أن جرفينوس يحترم نفس الهدف من تاريخ الأدب مثل غيره من المؤرخين الرومانسيين. فتاريخ الأدب الألماني سيظهره محرراً نفسه من التأثيرات المقيدة له من قبل الرهبان والتأثيرات المدرسية والتجارية والأجنبية والمتقفة. وهو يكتسب أولاً استقلالية يصبح بعدها مهيمناً ضمن الآداب الأوروبية، وتلك حكاية تطور "لا يمكن إثباتها بناء على التاريخ السياسي لألمانيا." (ص ٦٤)

#### (٤)

ولكن إذا كان التقدم هو الخطة الإلهية للتاريخ، فقد كان من الأسهل رؤية هذه الخطة تتحقق في تاريخ الثقافة والتعلم بالقياس إلى تحقيقها تحديداً في الفنون الأدبية الراقية. فكيف يمكن للمرء أن يمجّد الأدب اليوناني أو أدب القرون الوسطى وفي نفس الوقت يعتقد بوجود تقدم عام للعقل الإنساني؟ وربما يمكن بمنهج جدلي ملّو أن ننسب إلى أدب الوقت الحاضر أو المستقبل القريب دور الرجوع إلى تلك القيم السابقة أو تجاوزها. وهذا كان الحل الذي قدمه فريدريش شليجل، وبه كان يأمل أن ينهى الخلاف بين القدماء والمحدثين.<sup>(٣٠)</sup> أما في بريطانيا العظمى فمثل هذا الأمل قد

(٣٠) انظر:

Ernst Behler, Introduction to Friedrich Schlegel, *Kritische Ausgabe*, vol. i: *Studien des klassischen Altertums*, p. clxiii.

تحطم على صخرة الأفكار التي نسميها بالبدائية. فكان الرأي أن الأدب والفنون في حال اندثار مع تقدم الحضارة بل ويسبب تقدم الحضارة فالأدب يحث على تشذيب المشاعر، وهذا جزء أساسي من حجته، والرقى الحضارى يحو القدرة الإبداعية.

في عصر هوميروس وأوسيان أو عصور الفروسية كان كل شيء يؤدي إلى الشعر. لماذا؟ لأن الإنسان كان يأخذ أفكاره من الطبيعة ومن الخبرة لا من الكتب، ولأن مشاعرهم لم تكن مكبوتة بل كانت قوية، ولأنهم عبروا عن أنفسهم بعفوية، فتحول فرحهم وحزنهم إلى كلمات بمجرد تشكله في أنفسهم، ولأن لغتهم كانت لغة ملموسة وتصويرية بشكل واضح، ولأنهم عاشوا في وسط المشاهد الجلييلة للطبيعة غير المروضة، ولأن حياتهم كانت متسمة بالمغامرات ومؤسساتهم الاجتماعية مفعمة بالحياة، ولأن عملهم لم يكن بعد متخصصاً بحيث يقومون بتطوير بعض ملكاتهم العقلية أكثر من اللازم ووَاد البعض الآخر، ولأن خيالهم لم يكن قد تم بعد تقنينه وإخضاعه لواقع الأنا، ولكن خيالهم كان يلقي بنفسه في الغابات والجبال الشاسعة المظلمة ليملاها بما يخلقه من حوريات وتنانين وساحرات شريرات، ولأن شعراءهم الأوائل صوروا كل ما هو أساسي ومهم في الحياة، ومن ثم - حيث إن الفنان أن يقدم شيئاً من العمل المبتكر - فقد وضعوا كل الشعراء اللاحقين لهم في خانة التباين الضئيل والثانوى، ولأن عظمة الكتاب الأوائل قللت من ثقة من لحقهم بأنفسهم؛ إذ لم يكن بإمكانهم أن يأملوا بالوصول إلى مستوى الأسلاف، ولأن الفنون لم تكن بعد قد انقسمت، إذ اندمج الشعر مع الرقص والغناء في فن شامل *Gesamtkunst* أو بشكل أكثر عمومية لأن الشعر كان حينذاك يشتمل على كل أنواع الكتابة من تشريع وأدب وتاريخ وفلسفة ولاهوت، تلك الأنواع التي انفصلت عن بعضها فيما بعد، فكان بسبب ذلك موضع تقدير واحترام بدرجة لم يعد بالإمكان تخيلها، ولأنه في العصور الأولى لم يكن هناك نقاد ولا خبراء يقتاتون كما الأغنام على فروع شجرة الشعر. لقد تم العمل على صياغة تفصيلية لكل هذه النظريات إلى أن وصلت إلى قدر كبير من التبلور



والقدرة على الإقناع. وكما يقول رينيه ويلك "فقد شكلت هذه النظريات فى مجملها المفاهيم الأولى "لتاريخ الشعر الذى يعتمد الاستنباط الخالص ويتميز بعموميته وطابعه التأملى، ويمكن بناؤه من المعرفة بالطبيعة الإنسانية دون الالتزام بزمان بعينه ومكان بعينه."

ويستحيل من خلال التلخيص الذى لابد وأن أقوم به هنا أن يتمكن المرء من توصيل البراعة التى جعلت مثل هذه السجلات مثار إعجاب شديد وما تضمنته أحياناً من حكمة مذهلة. أشير هنا إلى مؤلفين وكتابات مثل كتاب توماس بلاويل بحث فى حياة هوميروس وكتاباته (١٧٣٥)، ومقال دافيد هيوم "عن نشأة وتطور الفنون والعلوم" (١٧٤٢)، ومقال ريتشارد هيرد "خطاب حول المحاكاة الشعرية" (١٧٥١)، ومقال جوزيف وارتن "مقال عن بوب" (١٧٥٦)، وكتاب جون براون تاريخ نشوء وتطور الشعر (١٧٦٤)، وكتاب ويليام داف مقال فى العبقريّة الأصلية فى الفلسفة والفنون الجميلة وفى الشعر خصوصاً (١٧٦٧). وبحلول نهاية القرن الثامن عشر كانت تلك الأفكار التى تم تطويرها فى هذه المقالات وغيرها قد أصبحت موجودة عند الكتاب البريطانيين واحداً تلو الآخر باعتبارها جزءاً من المخزون المتراكم للاستبصار الأدبى. فكتب هازليت على سبيل المثال مقالاً يشرح فيه "لماذا لا تكون الفنون ذات طابع تطورى"، وطرح فى مكان آخر أن المسرحيات التراجيدية العظيمة لا يمكن إخراجها فى العالم الحديث لمرتادى المسرح. إن الطرز التراجيدية.

لابد أن تستقى من نماذج تحيا فى الصدور، ومن المشاعر أو الملاحظة المباشرة، ومادة التراجيديا لا يمكن أن توجد بين شعب اعتاد الفرجة على التراجيديا التى ليست اهتماماتها هى اهتماماتهم ولا أهواؤها هى أهواؤهم، ولكنها اهتمامات وأهواء مثالية ونائية وعاطفية ومجردة. ولهذا السبب أساساً نعتقد أن المجهودات الأسمى لربة الشعر التراجيدى كانت بشكل عام هى المجهودات الأشد تبكيراً.

(Hazlitt, Complete works, V: 13)

وكان فرانسيس جيفرى يعتقد "أن الكتاب الأوائل بطبيعة الحال حصلوا لأنفسهم على أكثر الأشياء إثارة وقدرة على التأثير سواء كانت تلك الأشياء من الطبيعة أو من حدث ما". وكان على اللاحقين بالتالى "أن يقدموا شيئاً مختلفاً ينسب لهم كمبدعين خلاقين"، وكان هذا الضغط المستمر والذى تراكم مع رحيل كل جيل تاركاً للجيل الذى يليه مزيداً من الأسلاف، قد دفع الأدب قسراً إلى تناول موضوعات ومناهج أصبحت فيها الطبيعة وبشكل متزايد ثانوية بالمقارنة بالسعى الجديد. "لقد كتب اليونانيون الأوائل... عن كل ما أثار انتباههم لما فيه من عدالة أو تأثير من دون خشية الوقوع فى سرقة أدبية لأحد الكتاب السابقين عليهم" ( *Contributions, I:109* ) وقد طرح توماس دى كوينسى فكرة مماثلة فرأى "أن الأدب فى مراحله الأولى تناول كل مشاعر الإنسان وحالات وعيه وإرادته فى صراعه مع نفسه بكل خطوطها الرئيسية وما فيها من عظمة وبدائية... فجاءت أعمال كالإلياذة والقدس محررة والفردوس المفقود". ولكن مع العصور الحديثة "تغيب عن الأدب تلك المراحل من التاريخ الإنسانى الأكثر عظمة وإعتاماً... بفعل التبادل الاجتماعى المتزايد فى المدن". ويضيف دى كوينسى ملاحظة تتسق تماماً معه وهى أن ذلك يحدث "بشكل عفوى عند كل شعب ويصوغ بالضرورة تقدم الحضارة" ( *Collected writings, XI: 60-1* )

وبدا وكأن ثمناً ما لابد وأن يدفع من أجل المنازل والشموع والعربات ومن أجل إلغاء العبودية والتحرر النسبى للنساء، ومن أجل تبادل اجتماعى يتميز بالتهذيب، ومن أجل الدقة والتجريد فى اللغة وفى الفكر، ومن أجل تراكم المعرفة وانتشارها من خلال الكتب، وباختصار من أجل الرقى والمنفعة والعلم، وكان الثمن المدفوع ماثلاً فى الفنون. ونجد هذه المفارقة كإحدى التيمات لما قدمه هيجل من تاريخ تأملى للفنون فى كتابه علم الجمال، رغم أنه يضع "الفكرة" فى خانة ما يندرج عادة تحت تقدم الحضارة. كما أن نفس المفارقة موجودة كتيمة بنفس القدر لدى توماس لاف

بيكوك فى مقاله النابض بالحياة "عصور الشعر الأربعة" (١٨٢٠) وفيه يرى بيكوك كذلك- ربما هازئاً- الشعر كنوع عفى عليه الزمن. "حين يرتقى العقل وتكتمل سطوته" لا يستطيع الشعر أن يصاحبه، فيتركه "ليتقدم وحده". "إن السيد سكوت يبحث عن لصوص الصيد والماشية على الحدود القديمة. واللوردبايرون يبحر بحثاً عن اللصوص والقراصنة... فى الجزر اليونانية". لقد كان الشعر فى الماضى يقوم بوظيفة حضارية، ولكنه الآن لا أهمية له فى "تقدم الفنون المفيدة والعلم وفى المعرفة الأخلاقية والسياسية".<sup>(٣١)</sup>

ومثل هذه الأفكار لاقت مقاومة بطبيعة الحال. ونجد ذلك التشاؤم حول مسيرة تاريخ الفن يتأكد لدى فينكلمان فى ألمانيا؛ حيث يعلمنا كتابه الذى كان له تأثيره البالغ أن النحت اليونانى يمثل معيار الجمال فى كل الأزمان وعند كل الأمم. ولكن تاريخ الفن كما يقول أ. ف. شليجل "لا ينبغي أن يكون مراثية لعصور ذهبية فقدناها بلا رجعة". "وبما أن التقدم اللانهائى مطلوب فى كل الأشياء، علينا أن نتوقع أن عبقرية الإنسانية ستنتج فناً أعظم نتيجة للتعود والتعدد وبسببهما والذى لا بد من خلق تنافس له فى العالم الحديث. *Vorlesungen über schöne (Literatur, p. 193*. أما بالنسبة لأصحاب النزعة البدائية فإن فريدريش شليجل يحذر من الخط ما بين "المتطلبات العامة لتمثيل الأشياء وتجليها وبين شكل خاص للتصوير". إن جوهر الشعر لا يمكن فى خصائص معينة للعقل أو القول، مثل "الانفجارات القوية للعواطف المرعبة عند من هم على طبيعتهم البرية". إن الإحساس والخيال متأصلان فى الطبيعة الإنسانية ولا يمكن أن يكون الرقى الإنسانى على حساب محوهما. *(Kritische Ausgabe, I:268)*

(٣١) انظر:

Thomas Love Peacock, 'The four ages of poetry', in *English Romantic writers*, David Perkins (ed.). New York: Harcourt, Brace, and World, 1967, pp. 761, 763, 765

وقد شغل كيتس كثيرًا كيف يمكن تأويل الحكمة القصصية للتاريخ. وأنا أقتبس منه هنا لأؤكد على أن مثل هذه الأسئلة كان معناها العلمي بالنسبة للكتاب. "لقد كان القدماء"، من أمثال ميلتون وشكسبير "أباطرة على بلدان شاسعة"، كما كان كيتس يعتقد، في حين أن الشاعر الحديث مثله مثل "حاكم منتخب لهانوفر"، يحكم مملكته الصغيرة وهو غارق في تفاصيلها. فالشعر إذن في انحدار، ومع ذلك فإن شاعرًا حديثًا مثل وردزورث يبدو أكثر عمقًا من ميلتون. فهو أكثر قدرة على رؤية ما بداخل القلب الإنساني واستكشاف طرقاته المظلمة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن السبب لا يعود بالتأكيد إلى كون وردزورث يتميز بقدرات شخصية أكبر من تلك التي امتلكها ميلتون، إنما يعود إلى ذلك التقدم الجمعي الذي تحقق أو "المسيرة العظمى" للعقل منذ زمن ميلتون. والسؤال الذي عكف كيتس عليه هو ما إذا كان بمقدور الشاعر أن يتجاوز عصره، أو حتى إذا كان عليه أن يسعى لهذا الهدف، ليصبح كاتبًا يملك أبعادًا ملحمة كلية، أو مسرحيًا بحجم شكسبير، أو أن عليه - بل ومن اللازم - أن يستشهد في سبيل القلب الإنساني؛ بحيث يصبح كاتب الاستبطان الغنائي، مثل وردزورث، وما إذا كان هذا سيعتبر تقدمًا أم تراجعًا بالمقارنة بالشعر في الماضي.<sup>(٣٢)</sup>

لقد تناولنا فيما سبق المخططات أو الحكايات التي استشفها الرومانسيون في تاريخ الأدب. ولا يوجد - في حدود علمي - من اتخذ وجهة النظر التي يتميز بها العصر الحديث والتي تعتبر أن التاريخ يمضي بغير هدى إلى وجهة غير معلومة. والمقارنة الأقرب لهذا النموذج من اللامعنى تأتي في نظريات تردد التاريخ بين قطبين. في تاريخ الأدب الإنجليزي الذي أصدره روبرت تشامبرز على سبيل المثال

(٣٢) انظر:

John Keats, *Letters*, Hyder E. Rollins (ed.), 2 vols., Cambridge, ma: Harvard University Press, 1958, vol. i, pp. 224, 282.

يعبر عن اعتقاده بوجود "قانون ثابت يقضى بأن يتتابع دورياً عصر من الكتابة الأصلية المفعمة بالحياة مع عصر من المحاكاة والتكرار". ويمضى تشامبرز فى تطوير مخططة هذا بحيث يتقاطع مع ما سيقدمه لاحقاً الشكليون الروس. فالأدب، بالنسبة للشكليين الروس، هو نزع الألفة عن الموضوعات التى يتناولها وعن أسلوبه بواسطة وسائل تعبير جديدة، ما يلبث الكتاب، فى مرحلة لاحقة، أن يتبنوا هذه العناصر المستحدثة على نطاق واسع، بحيث تصبح أتوماتيكية ومتوقعة، وهنا يجب أن تبدأ حركة جديدة من نزع الألفة. وبالنسبة لتشامبرز يكون "الكتابة الأصلية المفعمة بالحياة" تأثير كبير على الذوق العام... بحيث لا يقبل أى شىء آخر لمدة طويلة. "ولكن مع الوقت "يتعب الناس من التردد الدائم لنفس الصور الجمالية ونفس أشكال الكتابة، "فيتم فتح الباب لفئة جديدة من العقول الخلاقة لتعمل، وبدورهم يكون لهم نفس السطوة على أولئك اللاحقين عليهم".<sup>(٣٣)</sup> ومثل مخطط الشكليين الروس، لا يحدد مخطط تشامبرز صفات بعينها أو خصائص للأسلوب السائد أو الترتيب الذى يتبعه ظهور الأساليب المختلفة. وإذا ما استثنينا فقط ضرورة اختلاف كل عصر عن سابقه، تكون حركة تاريخ الأدب حركة عشوائية.

وإجمالاً نخلص إلى أن ما طرحه الرومانسيون من أفكار فرضت على تاريخ الأدب أن يسلك إما طريقاً للتقدم أو طريقاً للانحدار. فقد خلقت قصصاً عن التحقق الذاتى والعودة للوطن والفتوحات البطولية، واختصاراً قصصاً تنتمى إما للكوميديا أو للرومانس. إما هذا أو إدراج تاريخ الأدب فى حبكة قصصية ساخرة أو تراجيدية يأخذ فيها الأدب فى الانحطاط بسبب تقدم الحضارة. وقد كان حدوث تقدم مسألة منظورة بمزيد من الثقة إذا كان موضوع تاريخ الأدب هو الفكر الإنسانى عموماً، تاريخ الكتابة *historia litterarum*، وليس الأدب الراقى *belles letters*. وتفسيرات

(٣٣) انظر:

Robert Chambers, *History of the English language and literature*, Edinburgh: William and Robert Chambers, 1837, pp. 190-1.

أسباب حتمية التقدم كانت إما ميتافيزيقية أو آلية. في الحالة الأولى كان المسار الذي اتخذته الأحداث فعلاً يتم ربطه بضرورة منطقية، ولكن هذا كان تصالحاً صعباً. وقد عبر فريدريش شليجل عن تلك المعضلة "ليس هناك من شيء أكثر تنويراً على وجه العموم من نظرية القابلية للكمال. والحكم الخالص للعقل المتعلق بالكمال اللانهائي للجنس البشري لا تواجهه صعوبة. ولكن تطبيقه على التاريخ يمكن أن يؤدي إلى سوء فهم رهيب إذا ما أخفقت العين في إيجاد وجهة النظر الصحيحة، وإدراك اللحظة الصحيحة والتي يجب الانطلاق منها للنظر للكل." (*Kritische Ausgabe, I: 263*) أما بالنسبة للنظرية الآلية للتقدم فيمكننا التحول إلى كتاب كوندورسييه: رسم تخطيطي للوحة تاريخية لتقدم الروح الإنسانية (١٧٩٤). وقد رأى كوندورسييه أن الأدب يتطور لأن كل كاتب يبنى على اكتشافات الكتاب السابقين عليه.

## (٥)

يقول ويليام هازليت إن "نواة النظام السائد للنقد الألماني" تكمن في التمييز ما بين ما هو كلاسيكي من ناحية وما هو رومانسي أو حديث من ناحية أخرى (*Complete works, XVI: 63*) فمع المخططات حول التقدم أو التقدم مع الانحدار، كانت هذه هي ثالث الخطط الكبرى لتاريخ الأدب الرومانسي. وقد صاغ فريدريش شليجل هذا الفرق في مقاله "حول دراسة الشعر اليوناني" (١٧٩٥) وقد رأى أنه رغم أن الشعر القديم والشعر الحديث متطابقان في الجو، فكلاهما شعر، فإنهما متناقضان في الروح. وما نشير إليه بالأدب الرومانسي أو الحديث هو ذلك الأدب الذي كتب منذ نهاية العالم الكلاسيكي. لقد كان دانتي وسرفانتس وشكسبير أمثلة نموذجية. في ذلك الوقت كان شليجل يفضل ما هو كلاسيكي، ولكنه ما لبث أن بدل من ولائه ليصبح للرومانسي. وقد تغير الهدف من ذلك التمييز مع إعادة استخدامه من قبل ناقد بعد آخر. وبشكل عام فقد اعتبر القارئ الرومانسي أن الهدف من ذلك التمييز هو تجاوز هيمنة الكلاسيكي مع الاحتفاظ به كنموذج مثالي. فإمكان المرء أن

يشارك فى الحماس الشديد فى ذلك العصر لليونان القديمة (فى مقابل صورة روما التى كانت الملهم للجبل السابق) ويظل كذلك وينفس القدر معجباً بالعصور الوسطى والعصر الحديث فى بداياته. وكما يشرح أ. ف. شليجل فى ١٨٠٩-١١ فى "فترة ليست بالبعيدة تماماً... حاول العديد من العقول الباحثة، أساساً فى ألمانيا، إعطاء... القدمات حقهم، من دون أن يكون ذلك عدم تقدير لمزايا المحدثين وإن كانت مزايا مختلفة تماماً من نوعها" (*Lectures, p. 21*) وقد روج الأخوان شليجل لذلك التمييز فى كثير من كتاباتهما، خصوصاً أ. ف. شليجل فى كتابه محاضرات فى فن الدراما والأدب (١٨٠٩-١١). كما انتشر ذلك التمييز على امتداد النقد الثقافى الأوروبى من خلال كتاب مدام دى ستايل عن ألمانيا (١٨١٠). وقد تم إطلاق مصطلحي رومانسى وكلاسيكى بشكل ملتبس على أنواع امتدت على مدى التاريخ وأخرى محددة بفترات حضارية وثقافية معينة. وبعد مرور مائة عام على الأخوين شليجل، قام ت. س. إليوت وآخرون بإعادة إحياء ذلك التمييز فى السجلات الحداثية. فقد تم الربط بين الحديث والكلاسيكى فى مقابل الرومانسى الذى كان معناه قد تغير آنذاك ليشمل روح الشعر فى القرن التاسع عشر.

وقد ربط النقاد الرومانسيون ما بين المصطلحين الرئيسيين المستخدمين فى هذه التفرقة وغيرهما بحيث خلفوا شبكة من التداعيات النقدية لكل منهما. فكان الكلاسيكى هو القديم، وغير المسيحى، والجنوبى، والفرنسى، والخطى، والنحتى، والموضوعى، والمتجانس، والطبيعى، والفطرى، وعلى العكس من ذلك كان الرومانسى هو المنتمى للعصور الوسطى أو بداية العصر الحديث، والمسيحى، والشمالى، والجرمانى، والتصويرى، والذاتى، والمتنوع، والروحى والعاطفى. وبوضع هذه الشبكة على الأعمال الفنية يصبح الأسلوب الخطى أسلوباً جنوبيًا وكلاسيكيًا فى حين أن الأسلوب التصويرى ينتمى على العكس إلى الشمال كما نجد فى ثنائية ولقلين الشهيرة. ولعله يمكن تبادل الأدوار فى أحوال معينة بين بعض هذه التقسيمات

أو الخانات بدون التسبب فى تعطيل الفائدة العامة من النظام بأكمله. فإن كان الفن الهندى ليس مسيحياً ولا شمالياً إلا أنه فن رومانسى كما يقول جان بول لأن الدين فيه "يخترق حواجز عالم الحواس"<sup>(٣٤)</sup>.

ويرى فريدريش شليجل فى مقاله "حول دراسة الشعر اليونانى" (١٧٩٥)، أن التطور الثقافى اليونانى كان محكوماً دائماً بالطبيعة ولم يكن خاضعاً قط على نحو جدى للمؤثرات الأجنبية. وعليه فقد كان عضويًا ومتجانسًا. أضف إلى ذلك كونه كاملاً. وقد كانت روحه الداخلية قادرة على التطور التام والكشف عن نفسها. ففى الفن اليونانى تم الوصول إلى أقصى ما يمكن الوصول له من جمال. فبالرغم من أن مكونات الجمال قادرة كل على حدة من التطور اللانهائى فإنها فى الشئ الجميل تكون متناسبة ومتناغمة ككل مما يحد من تطور كل منها. وعن الشئ المتجانس المتوحد والغنائى يمكن للمرء بسهولة كتاباته تاريخه.

ويمضى شليجل قائلاً إن الشعر الحديث أو الرومانسى من الناحية الأخرى فى حالة سعى لانتهائى. ليس هناك لحظة اكتمال أو كمال ولا لحظة يوجد فيها الشعر الحديث مكتملاً وحاضراً. لابد لجوهره من استتباطه من أصوله، من تجلياته عند دانتي وسرفانتس وشكسبير وغيرهم ومن الأنواع الأدبية التى تتطور مثل الرومانس والرواية ومن الاتجاه الواضح لذلك التطور. وبالتالي لا يمكن معرفة جوهره إلا من التاريخ وحده ومع ذلك يسبغ شليجل على الأدب الرومانسى خصائص تكاد تجعل من كتابة تاريخ له أمراً مستحيلاً.

(٣٤) انظر:

Heinrich Wölfflin, *Principles of art history: the problem of development of style in later art*. M. D. Hottinger (trans.), New York: Dover, 1950; Jean Paul Richter, *Horn of Oberon: Jean Paul Richter's school for aesthetics*, Margaret R. Hale (trans.), Detroit, MI: Wayne State University Press, 1973, pp. 61-2.



يرى شليجل أنه فى حين كان الشعر اليونانى من صنع الطبيعة فإن النظرية هى التى تبنت ووجهت الشعر الحديث طوال مسيرته. ويستطيع العقل أن يبنى نظريته عن طريق التفكير المجرد أو عن طريق إجلال عمل فنى موجود بالفعل باعتباره يمثل النظرية فى تحقيقها. والحالة الأخيرة تفسر لنا أهمية محاكاة الأعمال الكلاسيكية فى الفن الحديث نظرية وتطبيقاً. فهدف النظرية هو "استعادة قانونيتها المفقودة لدى الحس الفاسد وتوجيهها الحقيقى للفن الذى ابتعد عن طريقها" (*Kriische Ausgabe, I: 237*) ولكن مع تدخل القواعد المجردة والتقييد النظرى يكف الأدب عن التطور بشكل طبيعى وعضوى. وفى وقت ما من المستقبل سيتحقق إنجاز نظرية صحيحة للفن، نظرية قادرة على تحقيق وظيفتها كدليل للفن وللذوق. ولكن النظرية فى الماضى لم تكن تحمل إلا مفاهيم غير ملائمة وغير متسقة وبلا أساس مما أدى إلى العشوائية فى إنتاج الأدب الحديث وفى مسيرته. ولكن التاريخ بمفهوم فريدريش شليجل الفلسفى له يتحدد بحتمية أو قانون داخلى؛ فلا يمكن له أن يكون عشوائياً.

ومن صفات الشعر الحديث الأخرى "ذلك السعى الدائب الذى لا يكل للجديد" وترجيح كفة "التميز والذاتى والمثير" (ص ٢٨٨). وبتلك المفردات السابقة يحدد شليجل خطأ فاصلاً بوضوح بين الشعر الحديث والشعر اليونانى الذى يتصف بالموضوعية، أو بمعنى آخر يحافظ التمثيل الشعرى على "علاقة يحددها قانون ما بين العام والفردى" (ص ٢٩١). وانحياز كفة ميزان الشعر الحديث ناحية الفرد لا يظهر فقط فى التمثيلات الشعرية ولكن فى الشعراء أنفسهم، ففى اليونان نجد أنه حتى فى القصائد "التي تكشف عن حكمة فنية وإبداعية متواضعة" تظهر فيها نفس الروح "التي يمكن قراءتها عند هوميروس وغيره من شعراء الصف الأول". أما فى الشعر الحديث "فالملامح المشتركة محدودة وغير محددة، فالفنان بالفعل موجود بذاته، كائن ذاتى منعزل بين عصره وشعبه" (ص ٢٨٢ و ٢٣٩) ولا يلطف من وقع نقد شليجل تأكيده على أن الشعر الحديث يسعى كذلك إلى الوصول إلى الصفات

المميزة؛ إذ إن هذا اللفظ كما يستخدمه لا يشير إلى ما هو نموذجي إنما إلى اهتمام الشعر الحديث بتمثيل ما هو متميز. وتمثيل شخص ما أو عصر ما أو أمة ما هو وصف ما فيه من فردية عضوية موحدة ومتفردة. ولكن الشعر الذي يظل في سعي دائم نحو ما هو جديد لا يستطيع تحقيق ذلك الهدف وخلق تاريخ له؛ إذ سيكون كل عمل بداية جديدة. والشعر الذي يكرس نفسه لتمثيل ما هو فردي ومتميز لا يمكنه أن يوفر ما يحتاجه تنظيم الماضي وكتابة التاريخ الأدبي من مدارس أدبية وأنواع أدبية وما شابه من التقسيمات. فمن المفارقة القيام بتعديد خصائص وتحديد "روح" مجموعة من الأعمال تتميز كل منها بالفردية بشكل جذري. ويدرك شليجل تمامًا هذا الأمر ويعبر بقوة عن صعوبة المحاولة. ولكن بالنسبة له فإن تلك المفارقة هي مجرد تحد صعب؛ إذ إنه على ثقة بوجود ذلك الخيط الهادي في تاريخ الشعر الحديث في وسط ما يظهر من "قوضى" و"عدم وجود قانون" و"انعدام الهدف" و"التشوش الكامل". وبعد ذلك يمكن له أن يكشف معنى الشعر الحديث واتجاهه وهدفه. (ص ٢٢١-٤)

إن تقسيم الثقافة الغربية إلى كلاسيكية ورومانسية لا يقدم في حد ذاته حبكة سردية أو معنى للتاريخ. ومن هذه الناحية فهي تختلف عن المخططات الرومانسية للتقدم أو الانحدار. ومثل كل تقسيم على أساس فترات تاريخية فإن هذا التقسيم يحقق احتياجات شكلية لكتابة تاريخ أدبي والذي يتطلب كما يقول فريدريش شليجل "تقسيمات واضحة إلى أجزاء وكذلك وحدة مرضية للكل". فلا بد من تقديم "صفة تستمر من خلال تعاقب الشعراء المختلفين... وتضاييف" بين روح الأعمال المنتجة في نفس الوقت (ص ٢٢١-٢). ومثل كل تصنيف في التاريخ الأدبي فإن هذا التصنيف عرضة لاستثناءات في الواقع. ففي كتابه مدرسة علم الجمال يشير جان بول إلى أننا يمكن أن نجد فترات رومانسية عند هوميروس ونجد "جزراً يونانية" عند شكسبير. "فكل قرن له رومانسيته المختلفة"، وكذلك كل أمة. فالرومانسية ليست واحدة في البلدان الجنوبية والبلدان الشمالية، فلها شخصية مختلفة وسط البلدان

الجنوبية في إيطاليا وإسبانيا. (ص ٦٠ و ٦٣-٤) والقول المرجعي أو الشاهد الكلاسيكي *locus classicus* في هذا الشأن هو مقال آرثر لوفجوي الشهير في ١٩٢٤ "حول الرومانسيات المختلفة" حيث يرى لوفجوي أن مصطلح "الرومانسية" لابد من استخدامه بالجمع أو عدم استخدامه على الإطلاق.<sup>(٣٥)</sup> ويطرح جان بول اعتراضات أكثر قوة يمكننا اليوم أن نطابقها مع كروتشه. فالأعمال الأدبية لها جوانب عديدة، ويمكن الربط بينها في تصنيفات لا نهائية. فتصنيفات تاريخ الأدب هي مسألة اصطلاحية أو في أفضل الأحوال حل عملي لا يتطابق كثيراً مع الواقع "فمن غير المجدي على الإطلاق أخذ شعب ما أو حتى فترة تاريخية ما... بمعنى آخر نأخذ تنوعاً كبيراً في الحياة يزدهر في أشكال مختلفة ونلحقها جميعها ببضعة تعميمات واسعة." (*School for aesthetics, pp. 58-9*).

ومع ذلك فقد تبني جان بول هذا التقسيم، مثل كثير غيره من نقاد زمنه. ويمكننا أن نطرح السؤال لماذا رغم ما في هذا التقسيم من عشوائية في المفاهيم انتقدها شليجل في النظرية الحديثة، ورغم كونه تقسيماً يسهل هدمه عملياً أو على مستوى الدراسة البحثية، لماذا يزدهر ويصبح أساساً منطقياً منقولاً لذلك العصر. لماذا ساد الشعور بأن هذه المجموعة من المفاهيم المشكوك فيها هي إضاءة كاشفة حقاً؟ ويمكننا أن نجد الإجابة فقط فيما استخدمت فيه تلك المفاهيم. فقد استخدمت هذه التقسيمات مثلاً في الإطاحة بهيمنة الثقافة الكلاسيكية الجديدة في فرنسا، أي ما كان يسمى في إنجلترا "بالذوق الفرنسي" - وهو الذوق الذي كان كما يؤكد النقاد الرومانسيون الذوق السائد في القرن الثامن عشر. وفي كل الدول التي استخدم فيها كان التقسيم ما بين رومانسي وكلاسيكي عاملاً مساعداً لتبرير التنوع الجديد لأدب العصور الوسطى ولبداية الأدب الحديث في اللغات القومية. وأصبح هذا هو نموذج

(٣٥) انظر :

Arthur O. Lovejoy, *Essays in the history of ideas*, New York: Putnam's Sons, 1960.

الأدب القومي، يحمل لواء ذلك التراث الذي انحرف عنه ما يسمى "بالذوق الفرنسي". ومع الإحساس المتصاعد بإعادة الاكتشاف تبنى القراء "مدرسة الشعر العظيم الأقدم"<sup>(٣٦)</sup> متأملين فيها شخصية شعبهم أو روحه *Geist*. ونجد استخدامًا مشابهًا لتاريخ الأدب في يومنا هذا وبخاصة بين المجموعات المهمشة اجتماعيًا كالملونين والمثليين والنساء. يلجأ كل منهم لأدب مجموعته في الماضي بحثًا عن تراث وفهم للذات ويجدون في ذلك الأدب تعبيرًا عن وضعهم في الوقت الحالي.

وسواء في الدفاع عن أدب العصور الوسطى وبداية الأدب الحديث، أو في المعركة ضد المعايير الثقافية العامة للكلاسيكية الجديدة (أو الفرنسية)، أو في الانحياز مع المشاعر القومية، كان التمييز ما بين الكلاسيكي والرومانسي يخدم الأهداف الأساسية للتاريخ الرومانسي للأدب. هذا غير أن التمييز ساعد على أن يكون هناك تاريخ للأدب أصلاً. فقد حسم جدلاً أساسياً، وعمل على التصالح ما بين التاريخ وعلم الجمال؛ إذ أظهر إمكانية أن يكون للجمال تاريخ. فإذا كان المرء يستطيع أن يقول إن هناك أنواعاً مختلفة من الجمال، وتجليات مختلفة لنفس الجوهر، فإنه بالإمكان كتابة تاريخ للأدب. فإذا كان السؤال الأكبر، لنعود إلى كارليل، هو سؤال حول جوهر الشعر أو طبيعته، فيمكننا القول إن الجوهر يمكن أن تتم معرفته فقط من خلال تجلياته التاريخية، وربما من خلالها وحدها.

(٣٦) انظر:

Leigh Hunt, Preface [to *Foliage*], including cursory observations on poetry and cheerfulness, in *Literary criticism*, Lawrence Huston Houtchens and Carolyn Washburn Houtchens (eds.), New York: Columbia University Press, 1965, p. 129.

وتشتمل على ملاحظات سريعة عن الشعر والمسرح.

## الفصل السابع عشر

### الأدب والفنون الأخرى

بقلم: هيربرت ليندنبرجر

ترجمة: لميس النقاش

يمكن، فى اعتقادى، اعتبار أن القاعدة العامة هى عدم نجاح عملية تطعيم فن ما بـفن آخر. فعلى الرغم من الأصل الواحد للفنون وانطلاقها جميعا من نفس المخزون فإن لكل منها طرائقه الخاصة فى محاكاة الطبيعة وكذلك فى الخروج عليها، وكل يسعى لتحقيق الغرض الخاص به. ونجد خصوصا أن عملية الخروج على الطبيعة لا تحتل الانتقال من تربة لأخرى.<sup>(١)</sup>

يترتب على سعى الفنون المختلفة إلى الكمال، بالضرورة وبشكل طبيعى، وبدون أى تغير فى حدودها الموضوعية، أن تصبح أشبه ببعضها البعض أكثر فأكثر فى الأثر الذى تحدثه فى أعماق النفس [Gemut]. فالموسيقى فى أعلى درجات نبلها يجب أن تصبح شكلا وتحركنا بالقوة الهادئة لتراث العصور القديمة؛ والفنون التشكيلية فى أقصى كمالها لابد أن تصبح موسيقى وتحركنا عن طريق حضورها الحسى المباشر؛ والشعر فى مرحلة الكمال يجب عليه، مثل الموسيقى، أن يحتوينا بقوة ولكن فى نفس الوقت يجب أن يحيطنا مثل النحت بوضوح هادئ. إن كمال

(١) انظر:

Sir Joshua Reynolds, *Discourses on art*, Robert R. Wark (ed.), San Marino, ca: Huntington Library, 1959, p. 240.

أسلوب كل من الأشكال الفنية المختلفة يظهر في قدرتها على التخلي عن حدودها المعينة من دون التخلي عن المميزات الخاصة بها.<sup>(٢)</sup>

لنأخذ هاتين العبارتين اللتين يفصل بين كتابتهما عشر سنوات. تصدر كل منهما عن شخصية من أهم منظري الفن وممارسيه في الوقت نفسه وتعد أعمالها إلى اليوم آثاراً أدبية كبرى. ولكن لا يمكن لعبارتين أن تحملا اختلافاً أكثر من هاتين لا من حيث الظروف المحيطة بقولهما ولا من حيث الدور الذي يمكن القول أن كلاً منهما لعبته في التاريخ الثقافي. لقد ألقى السير جوشا رينولدز تحذيره بالإبقاء على الأشكال الفنية مستقلة بعضها عن بعض بصفته رئيساً للأكاديمية الملكية، وكان يتحدث لجمهور من طلاب الفنون في ١٧٨٦ في الحفل السنوي لتوزيع الجوائز. أما كلمات فريدريش شيللر فقد كتبها في غرفة مكتبه ضمن رسالته البحثية التي كان يقوم به حول الكتابة الفنية المصاغة في شكل مراسلات، في مسعى لخلق أساس منطقي جديد لأهمية الفن في وسط الغليان السياسي الذي كان يمزق أوروبا كلها، ويمزق ذلك الكاتب على وجه الخصوص، في ١٧٩٣.

إن العبارة الأولى، مثلها مثل الكثير مما يقال عن اللائق والجدير بالتصوير في الكلمات التي تتضمنها حفلات توزيع الجوائز السنوية والتي تشكل ما يمكن أن نسميه **خطابات رينولدز**، تمثل نظرية جمالية ترجع إلى المبادئ الإنسانية لعصر النهضة والتي لم تتغير جذرياً في القرون اللاحقة. والعبارة الثانية، مثلها مثل كثير غيرها من الملاحظات الواردة في **خطابات في علم الجمال** حول قيمة الفن ووظيفته، تعبر عن تصور طوبائي حول احتمال توحيد الفنون، ذلك التصور الذي يكتسب أهمية

(٢) انظر:

Friedrich Schiller. *Über die ästhetische Erziehung des Menschen* (22nd letter). in *Theoretische Schriften*, Rolf-Peter Janz (ed.), Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag. 1992. pp. 640-1. Translation mine; unless otherwise indicated, translations throughout this chapter are my own. Emphases indicated in quotations throughout the chapter are in the original.

خاصة بالنسبة لنا إذ نملك رؤية تاريخية للماضي بفضل وعينا بمفهوم فاجنر للعمل الفني الشامل *Gesamtkunstwerk*، وبفضل، وهو الأمر الأوضح، اعتيادنا في هذا الزمان ما بعد الحداثي، على استخدام مصطلح الوسائط المتعددة *multi media* لتوصيف نوع فني بعينه. أما كاتب تلك الكلمات فلم يتمكن أبداً من تحقيق ما جاءت به من نبوة، فالواقع أن شيللر قام بتأدية أدواره المختلفة كفيلسوف وكمؤرخ وككاتب مسرحي وكشاعر محافظاً على الحدود بين الأنواع الفنية وبين الوسائط المختلفة بصرامة كنتك التي مارسها رينولدز في لوحاته.

والحق أن شيللر يورد عبارة اعتراضية في بداية الكلام فيها شيء من "التحفظ" فيقول: "من دون أي تغيير في حدودها الموضوعية"، وكأنه يحمي القارئ ضد أي تهديد مباشر للحدود التقليدية الفاصلة بين الفنون. ولكن العلاقة بين العمل الفني والجمهور كما تظهر في تلك الفقرة، وعلى العكس من تلك التي يقدمها رينولدز، تشير إلى المستقبل، فجد ذلك التوحيد بين الفنون عند شيللر، كما يؤكد في طباعته لتلك الكلمات، يكون "في تأثيرها على أعماق النفس". بل إن عنوان بحث شيللر نفسه عن التثقيف الجمالي للإنسان يشير إلى أن نظريته للفن نظرية تتعلق بالوجدان فتعني بالطرق التي يزول فيها المستهلك خبرة الفن كوسيلة للنمو الوجداني. أما رينولدز فيبني دفاعه عن انفصال الفنون أساساً على نظرية المحاكاة (لاحظ كلمات "أشكال محاكاة الطبيعة") والتي تهيمن ليس فحسب على علم الجمال كما يراه رينولدز ولكن على غالبية الفكر النقدي للقرون السابقة. أضف إلى هذا أن تكرار شيللر لكلمات مثل "كامل" و "كمال" لوصف مهمة الفن يشير إلى أنه بنهاية القرن الثامن عشر كانت الفنون المختلفة قد أصبحت تحتل مكاناً مثالياً ومستقلاً ومتميزاً عما سبق بشكل يتجاوز غيرها من الأنشطة الإنسانية.

إن الاختلاف الجذري بين هاتين الطريقتين في تحديد العلاقة ما بين الفنون وبعضها كما ورد في الفقرتين (وكذلك بين النظريات المختلفة لعلم الجمال التي تقف

خلف كل من العبارتين) تؤكد تصورنا المعاصر عن القرن الثامن عشر على أنه الحد الفاصل في تاريخ الفكر الغربي للعديد من أشكال الخطاب سياسية كانت أو اقتصادية أو فلسفية. ويركز هذا الفصل على بعض الأسئلة المتعلقة بالطرق التي تم بها فهم الفنون المختلفة في علاقتها بعضها ببعض. كيف ارتبط التحرك في اتجاه نظريات للفن وجدانية وتعبيرية بتفسير الحدود التي فصلت تقليدياً ما بين أشكال الفن المختلفة؟ كيف يمكن اعتبار الفنون المختلفة تعمل جميعها في إطار نظام واحد كغيره من النظم الفكرية؟ كيف تم تصنيف الفنون وتقييمها في علاقتها بعضها ببعض؟ أي ترابيات جديدة انبثقت بين الأنواع المختلفة لفن واحد؟ هل كان هناك حقاً انتقال من استقلال فنون بعينها إلى توحيد، كما يوحى وضع هاتين العبارتين جنباً إلى جنب، أم أن هذا التحول كان يتضمن هيمنة أحد الفنون أو عدد منها في ذلك التوحيد المفترض؟

### تباينات الفنون

بالرغم مما يردده رينولدز في خطابه من استقلال الفنون المختلفة بقوانينها الذاتية تراثياً، فإن مجالين (وسيطين)، هما الشعر والرسم، ظلا مرتبطين باطراد منذ عصر النهضة.<sup>(٣)</sup> وقد بنيت هذه العلاقة على أساس ما نعتبره نحن اليوم قراءة خاطئة لقول هوراس في كتابه فن الشعر أن الشعر أشبه بالرسم.<sup>(٤)</sup> وقد كان هوراس يشير ببساطة إلى الدرجات المختلفة للتدقيق التي نوليها لما يسمى "الفنان التوأم" من ناحية المسافة التي يشاهد منها المرء رسماً ما أو درجة الانتباه المطلوب لنوع

(٣) انظر:

Jean Hagstrum, *The sister arts: the tradition of literary pictorialism and English poetry from Dryden to Gray*, Chicago, il: University of Chicago Press, 1958.

والذي يقدم عرضاً مرجعياً للعلاقة بين الشعر والرسم من العصور القديمة وحتى القرن الثامن عشر.

(٤) انظر:

Wesley Trimpi, 'The meaning of Horace's *ut pictura poesis*', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* 37 (1973), pp. 1-34.

والذي يقدم عرضاً مقنعاً للقصد الحقيقي لهوراس في هذه الفقرة.



بلاغى أو أدبى معين. ولكن بالنسبة لعصر النهضة لم تقدم جملة كما تكون الصورة يكون الشعر "*ut pictura poesis*" تفسيراً منطقياً فحسب للمحاكاة المتبادلة بين هذين النوعين من الفن، ولكنها ساعدت على نشر ما يسميه رينسلار و. لى "نظرية الرسام المتقف"<sup>(٥)</sup>، والتي عن طريقها يمكن للرسم أن يطمح للحصول على المكانة الرفيعة التى كان الأدب يتمتع بها تقليدياً. ومن الدال أنه وحتى ما بعد بدايات القرن التاسع عشر بفترة كان النوع الفنى الأشهر ضمن الفنون البصرية هو الرسم التاريخى، والذي لم يكن يتضمن فحسب ما نطلق عليه اليوم تاريخاً ولكنه يكاد يشتمل على كل السرديات العامة، سواء تلك المستقاة من الكتاب المقدس أو من الأساطير أو من التاريخ السياسى. "إننى أرسم التاريخ ولا أرسم صور الأشخاص (البورتريهات)" يقول إنجريس *Ingres* محتجاً فى بدايات القرن التاسع عشر حينما طلب شخص كان يفترض أن يقوم إنجريس برسمه برؤية "السيد إنجريس رسام البورتريهات".<sup>(٦)</sup> "أن العمل العظيم للرسام هو العمل التاريخى" يكتب ليون باتيستا ألبرتى فى ١٤٣٥ فى بحث بالغ التأثير بعنوان عن الرسم، مضيفاً أن وظيفة "الأديب" هى "المساعدة فى تكوين صورة "تاريخية"<sup>(٧)</sup> ومنذ عصر النهضة وما بعده أصبح الرسم فناً مرتبطاً بشدة بالنص ومعتمداً على التراث الأدبى.

إن علاقة التوأمين تلك المفترض وجودها بين الشعر والرسم لم تكن موجودة بين الشعر والموسيقى رغم أن الأخيرين أحياناً ما ارتبطا عند قدماء اليونانيين.<sup>(٨)</sup>

(٥) انظر:

Rensselaer W. Lee, *Ut pictura poesis: the humanistic theory of painting*, New York: Norton, 1967, pp. 41-8.

(٦) انظر:

Walter Friedlander, *David to Delacroix*, Robert Goldwater (trans.), New York: Schocken, 1968, p. 80.

(٧) راجع:

Leon Battista Alberti, *On painting and on sculpture: the Latin texts of 'de pictura' and 'de statua'*, Cecil Grayson (ed. and trans.), London: Phaidon Press, 1972, pp. 71, 95

(٨) انظر:

Hagstrum, *The sister arts*, pp. 8-9.

وطالما تم اعتبار الشعر والرسم من فنون المحاكاة التى تقوم بتصوير الأحداث والأشياء الموجودة فى العالم الخارجى، فقد ظل هناك هدف مشترك يجمعهما. أما الموسيقى فقد كانت تعتبر فن محاكاة فقط بقدر ما كان الملحن يسعى لأن يجعل الأصوات تعكس كلمات القصيدة التى كان يلحنها، فيما عدا ذلك فإن الحديث حول الموسيقى كان يركز على الأثر الذى يمكن للموسيقى أن تتركه فى مستمعيها. وتظهر المكانة الرفيعة للأدب بالنسبة لغيره فى مسألة أن الملحنين الكبار مثل مونتفردي وجلوك كانا يصران على أن تكون الأولوية فى استهلال الأوبرا وفى إعادة صياغتها للشعر لا للموسيقى.

وكما تظهر التباينات بين الأدب وغيره من الفنون بوضوح على المستوى النظرى فإنها تتجلى كذلك فى المقاييس الاجتماعية. فعلى مدى التاريخ الغربى تقريباً كان يعد العاملون بالفنون البصرية والسمعية من ضمن الحرفيين. وكان عدد كبير من الرسامين والموسيقيين قد توارثوا الحرفة عن آبائهم، أو كانوا من خلفيات متواضعة لا تسمح لهم بدرجة تعلم القراءة والكتابة والتى كانت تتضمن سنوات من تعلم اللغات الكلاسيكية، والتى كانت ضرورية ليقول المرء عن نفسه إنه شاعر. وكان الاختلاف بين الموسيقى والشعر وحتى أواخر القرن الثامن عشر اختلافاً قوياً حقاً، ففى حين كان باخ وموتزارت وبتهوفن وروزيني كلهم من أبناء موسيقيين، فقد كان هانديل ابن حلاق يمارس الجراحة وكان هايدن ابن صانع عربات وكان جلوك ابن عامل فى مراقبة الغابات، أما الكتاب فقد كانوا ينتمون عادة لخلفيات اجتماعية أكثر رفقاً أو كانوا يمارسون المهن التى تتطلب درجة عالية من المعرفة بالقراءة والكتابة: فكان والد فولتير على سبيل المثال موثق عقود فى محكمة، وكان والد جونسون بائع كتب، وكان والد وردزورث الوكيل القانونى لأحد ملاك الأراضى، وكان والد جوته موظفاً كبيراً بدرجة "قنصل ملكى". وحتى الاستثناءات، إذا ما تفحصناها ملياً يتؤكد المكانة العليا نسبياً لمن يسمون أنفسهم كتاباً. ولذلك نجد روسو الابن اليتيم لصانع ساعات

والذى حظى بتعليم عشوائى يجعل من دور الخارج على العالم الأدبى جزءا مركزيا من شخصيته العامة، وقد كان الجمهور أكثر استعدادا حقيقة للاعتراف به فى بداية مسيرته باعتباره ملحن أوبرا معروفة لا ككاتب بيانات مثيرة. وإذا كان السير جوشوا رينولدز ينتمى، باعتباره ابن رجل دين ومدرسا، لخلفية أكثر معرفة بالقراءة والكتابة من تلك التى انتمى إليها رسامون مثل جينزبرا وديفيد، وكلاهما كان ابن تاجر قماش، فإن هذه الحقيقة تساعد كذلك على تفسير ما حظى به من احترام كأديب.

كما يظهر التباين بين الأدب وغيره من الفنون كذلك فى النجاح النسبى الذى انتقل به الأدب عبر العصور. فكم كنا سنعرف على أية حال عن العصور الكلاسيكية القديمة ما لم تصلنا آثارهم الأدبية، على تشذرها؟ أما موسيقى القدماء فلم يكن لمحاولة استرجاعها نصيب من النجاح، وعما رثهم، مع استثناءات نادرة، عبارة عن أطلال، وكل ما نعرف عن النحاتين اليونانيين العظماء باستثناءات معدودة هو عن طريق ما تم نحته من نسخ لاحقا. أضف إلى ذلك أنه فى حين كانت أعمال الكتاب الكلاسيكيين المرموقين متاحة بيسر لكل عارف بالقراءة والكتابة بداية من عصر النهضة وما تلاه، فقد تعذر مشاهدة أغلب الرسومات الفنية الشهيرة وحتى نشأة المتاحف العامة حديثا، إلا فى شكل نسخ مطبوعة. وقد أدت صعوبات انتقال النصوص الموسيقية، وكذلك التغيرات الدائمة فى تقنيات الأداء الموسيقى، إلى الحيلولة دون فهم موسيقى الماضى وإحيائها حتى عصور حديثة جدا. وظل الغناء الجريجورى، والذى كان جزءا مؤسسيا داخل الكنيسة الكاثوليكية وطقوسها، هو النوع الموسيقى الوحيد الذى حافظ على مكانته وقواعده على مدى قرون عديدة. وكان المؤلف الموسيقى ينظر إليه باعتباره مؤديا (حتى لمؤلفاته) لا مبدعا كما الشعراء. وباستثناء جيوفانى بليسترينا الذى كانت مؤلفاته تؤدى فى الكنيسة مثل الغناء الجريجورى، فإننا لا نجد مؤلفا موسيقيا واحدا وقد تحققت له مكانة مرموقة عبر العصور المختلفة إلى أن ظهرت فى إنجلترا فى نهاية القرن الثامن عشر حركة سعت

إلى تخليد أعمال مؤلفي الموسيقى السابقين، وعلى رأسهم برسل وهانديل.<sup>(٩)</sup> وحينما احتفى ويليام كوبر في كتابه المهمة بهانديل باعتباره "أكثر من هوميروس عصره"،<sup>(١٠)</sup> كان ذلك بمثابة إعلان عن توجه جديد أصبح بمقتضاه يمكن لمؤلف موسيقى من الماضي أن ينال تقديرا مماثلا لكاتب من الكلاسيكيين.

كما تتضح تلك المكانة العليا للأدب تراثيا، وكذلك الاستقلال النسبي لما عداه من الفنون المختلفة، في الدراسة الأكاديمية للفنون. لقد كان الأدب من أول الفنون التي أصبحت مادة للدراسة الرسمية في الجامعات، حيث نشأت خلال القرن التاسع عشر من خلال دراسة تاريخ اللغات الحديثة، كل على حدة. وكان التوجه القومي والوطني نتيجة انحيازات القرن التاسع عشر قد أسس في الدراسة الأدبية مخططات متباينة للتحقيب التاريخي في البلدان المختلفة خلال الفترة التي هي موضوع كتابنا الحالي: فعلى سبيل المثال، في حين يشمل مصطلح الحركة الرومانسية عادة الفترة من ١٧٩٨ إلى ١٨٢٤ في إنجلترا، فإن ما يطلق عليه الفرنسيون هذا المصطلح لا يبدأ بالنسبة لبعض مؤرخي الأدب حتى العام ١٨٣٠، بينما يشير المصطلح في ألمانيا إلى الكتابات فيما بين ١٧٩٦ وعشرينيات القرن التاسع عشر، وعادة ما يستخدم في حدود ضيقة للغاية بحيث لا يمكن تطبيقه على كثير من أشهر كتّاب ذلك العصر.<sup>(١١)</sup> بالمقارنة تأخر تاريخ الفن وتاريخ الموسيقى وكان تطور كل منهما داخل الجامعة مستقلا عن الآخر، كما تطورت تصنيفات الفترات التاريخية لكل منهما

(٩) يمكن الرجوع لعرض مفصل عن عملية الاعتماد تلك في:

William Weber, *The rise of musical classics in eighteenth-century England: a study in canon, ritual, and ideology*, Oxford: Clarendon Press, 1992.

(١٠) انظر:

William Cowper, *Poetical works*, H. S. Milford (ed.), 4th edn, Oxford University Press, 1934, p. 233 (book vi, line 647).7).

(١١) لمسح كل مخططات التصنيف في الدول المختلفة انظر:

René Wellek, 'The concept of romanticism in literary history', in *Concepts of criticism*, Stephen G. Nichols, Jr (ed.), New Haven, ct: Yale University Press, 1963, pp. 128-98.

مثلما حدث مع الدراسات الأدبية فى البلدان المختلفة. فيقوم مؤرخو الفن بتصنيف الرسامين من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر عامة على أساس مقاييس شكلية، فعلى سبيل المثال يندرج ديفيد وإنجرس وكانوفا تحت تصنيف "كلاسيكى"، فى حين نجد ديلاكرويه وفريدريش وتيرنر وكونستابل تحت تصنيف "رومانسى". أما علم الموسيقى والذي يستقى تقسيماته من تطور الموسيقى الألمانية فيقدم هايدن على أنه بداية الأسلوب الكلاسيكى وصولاً لبتهوفن، ونجد الرومانسية طبقاً لهذا التقسيم تزدهر متأخرة بعض الشيء بداية من شوبرت وتستمر طبقاً لبعض المؤرخين حتى نهاية القرن.

ولا نجد فرعاً من فروع الدراسة الأكاديمية يختص بدراسة العلاقة بين مختلف الفنون بعضها ببعض. وإن كان فى السنوات الأخيرة عمل الفرع الدراسى الذى يطلق عليه الأدب المقارن على صياغة مناهج دراسية جامعية وعقد ندوات ومؤتمرات وإعداد قوائم من الكتب والمراجع حول الموضوع الذى سماه "الأدب والفنون الأخرى". وتحت نفس هذا العنوان طلب إلى كتابة هذا الفصل. والعنوان يكرس المكانة العليا التى تتمتع بها الأدب على مدى التاريخ بالمقارنة بمختلف أخواته من الفنون.

### الفنون بوصفها نسقاً: رسائل بحثية فى علم الجمال

إن ذلك الفرع من فروع الفلسفة المسمى بعلم الجمال، وإن لم يكن فرعاً أكاديمياً مستقلاً، إلا أنه قد كرس نفسه منذ نشأته فى منتصف القرن الثامن عشر لتقييم نظرية حول طبيعة الفن والعلاقة بين الفنون المختلفة. وقد انطلق المصطلح والخطاب الذى أنتجه من بحث ألكسندر بومجارتن باللاتينية علم الجمال (١٧٥٠-٨). وحتى يومنا الحالى ظل البحث فى علم الجمال نوعاً معروفاً بتقاليده الخاصة حيث اللاحق يضيف بوعى إلى عمل السابقين عليه. وفى حالات كثيرة كان البحث وسيلة لاستكمال أجزاء منهج فلسفى أكبر، كما الحال عند شيلينج وهيجل. وكان عنوان البحث عادة هو نفس

العنوان الذى استخدمه بومجارتين (جان بول وسولجر وهيجل وكروتشه)، أو كان العنوان ببساطة يتضمن كلمة فن (شيلينج وأ. ف. شليجل ونلسون جودمان) للفت انتباهنا فى نفس الوقت إلى النوع الذى ينتمى إليه البحث وإلى مسألة أن موضوعه يحتل مجالا يختلف عن ذلك الذى تتناوله أشكال أخرى من الخطاب.

ورغم أننا عادة حين نتكلم عن فلسفة الفن لدى مفكر ما نقصد بحثا جماليا مكتمل التطور - بحيث يشتمل على تعريفات لطبيعة الفن وتبرير أهميته وجوامع معرفية موجزة لمختلف الأساليب والأنواع التى تشكل المجال الجمالى - إلا أن كثيرا من النصوص التى تناولت زوايا أضيق كان لها بدورها إسهامها فى ذلك الخطاب المستمر. فمثلا كتاب بيرك بحث فلسفى فى أصل أفكارنا عن الجليل والجميل (١٧٥٧) رغم تركيزه على المصطلحين المشار إليهما فى العنوان، فقد وجد طريقه سريعا إلى الخطاب الجمالى الجديد؛ حيث كان تطبيق هذين المصطلحين مكوّنا أساسيا من بحث كانط الجمالى. (وقد كان كتاب كانط نقد الحكم (١٧٩٠) رغم أنه لم يكن مباشرة حول فلسفة الفن ولكن، مثل ما سبقه من سلسلة النقد لكانط، كان بحثا حول ما يجب قوله فى المجال المحدد للبحث، ومع ذلك تضمن كثيرا من العناصر التى توجد فى البحث الجمالى.) وكذلك المصطلحات الواردة فى عنوان كتاب شيلجر حول الشعر الساذج والعاطفى (١٧٩٥) ساعدت فى تشكيل ما لحقها من أنظمة من خلال فائدتها فى التمييز بين نماذج الفن الأقدم والأكثر "أصالة" و"مباشرة"، وتلك النماذج الأحدث الأكثر إحساسا مرتبكا بالذات والأكثر اعتمادا على تقليد السابقين.

ومقال شيللى "دفاع عن الشعر" (١٨٢١) بقدر ما يمكن توسيع مصطلح "الشعر" ليشمل الفن عامة، بل وحتى المؤسسات فى روما القديمة،<sup>(١٢)</sup> يمكن أن

(١٢) انظر:

Shelley's poetry and prose. Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.). New York: Norton, 1977, p. 494.

نطلق عليه بحثاً مصغراً في الجماليات. بل إن بعض أكثر الإسهامات أهمية في الخطاب الجمالي قد اتخذت شكلاً أكثر صغراً من ذلك؛ إذ جاءت في مجرد فقرة أو جملة، أهمها على الإطلاق ما يسمى بالشذرات لمجموعة من بدايات المدرسة الألمانية تمت كتابتها كجزء من مناقشاتهم المستمرة والحادة حول الفن وعلاقته بغيره من دروب المعرفة. فعلى سبيل المثال جملة نوفاليس الموجزة القصيرة "إن كنا نضبط الشعر موسيقياً، فلماذا لا نضبطه شعرياً كذلك؟"<sup>(١٣)</sup> وهي جملة تعيد التفكير في العلاقة بين الأشكال الجمالية وتوسع من التعريف التقليدي لما يجعل الشعر شعراً. وحتى كتب الإرشاد السياحي مثل كتاب توماس ويست دليل إلى البحيرات (١٧٧٨) فإنها تشارك في تطوير خطاب جديد للجماليات بقدر ما تقدم إرشاداً للسائحين حول النقاط التي يجب الوقوف فيها من أجل الحصول على "منظر طبيعي بديع" وكأنما الطبيعة صورة مرسومة.

أما في البحوث الأكثر توسعاً والأكثر منهجية فنجد أن الفنون المختلفة وما يتضمنه كل فن من أنواع فنية تشكل جميعها عائلة واحدة، وكانت صياغة شبكة العلاقات بين تلك العائلة، على اختلاف تلك الصياغة من بحث لآخر، تعد ضرورة لتحقيق اتساق النظام الذي يقدمه البحث. فقبل القرن الثامن عشر لم يكن ما نصنفه اليوم على أنه ألوان الطيف "للفنون" المختلفة موجوداً ولا كان من الدارج الحديث عنه لا كنظام متكامل ولا على سبيل المقارنة. ففي القرون الوسطى على سبيل المثال كانت الموسيقى تنتمي إلى التقسيم الرباعي الذي كان يضمها مع علوم رياضية أخرى [الهندسة والحساب والفلك] وليس إلى التصنيف الذي كان يضم فنون الكلام التي

(١٣) انظر:

Novalis, *Das philosophische Werk*, Richard Samuel (ed.), Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1968, ii: 360.

تتدرج تحت التقسيم الثلاثي [الأجرومية والخطابة والمنطق]؛<sup>(١٤)</sup> كما أن الفنون البصرية لم تكن ترقى إلى العلوم "الحرّة" وهو المصطلح الذي كان يصف العلوم السبعة التي شكلت التقسيم الثلاثي والتقسيم الرباعي (ويقصد بحرة هنا أنها لا تهدف إلى "تأهيل الطالب لمهنة معينة، بل لتوسيع معلوماته وثقافته العامة وتنمية قدراته العقلية").<sup>(١٥)</sup> وبالفعل نجد أن ليوناردو دافينشي في كتابه الذي نشر حوالى عام ١٤٩٠ بعد وفاته بعنوان *Paragone* ومعناه حرفياً "مقارنة"، يقدم عرضاً وجيزاً لأغلب الفنون التي تضمنتها فيما بعد البحوث الجمالية الرسمية التي ظهرت بعد ذلك بأربعة قرون. ولكن هدفه لم يكن كهدف تلك البحوث تقديم التبرير والتفسير للفن عموماً، وإنما كان هدفه الدفاع عن فن بعينه ألا وهو الرسم والذي كان يتم التقليل من شأنه وكأنه حرفة آلية بالمقارنة بتلك الفنون التي تبدو وكأنها تتطلب مزيداً من المعرفة. ولإثبات تفوق الرسم على غيره من الفنون يأخذ ليوناردو على الموسيقى "زوالها بمجرد ولادتها"، وعلى الشعر كونه "غير مفهوم في أغلب الأحيان ويتطلب كثيراً من الشرح" وعلى النحت "كونه لا يتطلب نفس الإبداع العالى الذي يتطلبه فن الرسم".<sup>(١٥)</sup>

(١٤) انظر:

Ernst Robert Curtius, *European literature and the Latin middle ages*, Willard R. Trask (trans.), New York: Pantheon, 1953, pp. 36-9.

ولعرض تاريخي شامل عن تصنيف تلك النشاطات التي أصبحت تعرف بحلول القرن الثامن عشر "بالفنون الجميلة" في خلال الفترات التاريخية السابقة انظر:

Paul Oskar Kristeller, 'The modern system of the arts', in *Renaissance thought and the arts: collected essays*, 2nd edn, Princeton, nj: Princeton University Press, 1990, pp. 163-227.

(١٥) انظر مجدى وهبة معجم مصطلحات الأدب، بيروت: مكتبة لبنان ١٩٧٤. [المترجمة]

(١٥) انظر:

Leonardo da Vinci, *Paragone: a comparison of the arts*, Irma A. Richter (trans.),

Oxford University Press, 1959, pp. 74, 60, 77

لوصف للمكانة المتدنية نسبياً للفنون البصرية فيما قبل زمن ليوناردو انظر مقدمة ريشر Richter للكاتب ص ١٢-١٤.



وملاحظات ليوناردو على اقتضاها جديرة بالانتباه إليها لأنها فى نفس الوقت تتعامل مع الفنون كمجموعة واحدة، كما أنها تطرح على عكس ما سبقها وما تلاها من نظريات مسألة تفوق فن الرسم. فحتى السير جوشا رينولدز وعلى الرغم من انتمائه مهنيا لفن الرسم وتدريسه للشباب من الرسامين فإنه يبقى على التحيز التقليدى للأدب ويمتدح الشعر لقدرته على التفاعل مع الإدراك تفاعلا أكثر قوة وأطول مدة من فن الرسم. (Discourses, pp.145-6)

لقد كانت البحوث الجمالية الكبرى على مدى المائتى سنة الماضية هى الوسيلة التى حصل بها الفن على شرعيته وعلى هويته وعلى هالته. ولضمان استقلال الفن بقوانينه الذاتية كان على هذه البحوث أيضا أن ترسم الحدود. والمنهج الأساسى لخلق تلك الحدود كان تأسيس منطقة انتقالية بين النشاط الفنى والنشاط اللافنى على الإطلاق. ومن هنا نجد كانط يفرق ما بين الفنون "ذات الغرض" وتلك "التي لا غرض لها" حيث الأولى تقع فى تلك المنطقة الانتقالية وبالتالي تشهد على خصوصية قدرة الفنون التى لا غرض لها. ففنون الكلام على سبيل المثال تنقسم بين الشعر "الذى لا غرض له" وبين الخطابة "ذات الغرض"، والفنون التشكيلية تنقسم بين النحت والعمارة، والرسم ينقسم بين الرسم بمعناه الحقيقى والرسم الذى له غرض كتلك الرسومات للمناظر الطبيعية للحدائق.<sup>(١٦)</sup> ومهما كانت الاختلافات بين الأنظمة التى وضعها كل من قدم نظريات فإن الفنون ذات الأهداف العملية كانت دائما تلعب نفس الدور فى التأكيد على نقاء غيرها من الفنون من الغرض. فشوبنهاور على سبيل المثال فى الجزء الكبير الذى يخصصه لعلم الجمال فى كتابه العالم إرادة وتمثلاً (١٨١٨) يضع ضمن ما يسميه المنطقة الانتقالية ما يطلق عليه "الفنون الجميلة

(١٦) انظر:

Immanuel Kant, *Critique of judgment*, Werner S. Pluhar (trans.), Indianapolis, in: Hakett, 1987, pp. 190-3.

للمائيات" أى الشلالات الصناعية وفسقيات الحدائق فى المنازل الفخمة، وحتى فى منطقة أدنى "فنون البستانية" أو هندسة الحدائق والمناظر الطبيعية.<sup>(١٧)</sup> أما أوجست فيلهلم شليجل على العكس من أغلب منظرى علم الجمال فيسعى إلى الارتقاء بمكانة هندسة الحدائق والمناظر الطبيعية والتي تضاهى أمثلتها الأرقى أعمال أعظم رسامى المناظر الطبيعية، ولكن شليجل يحدد كذلك ما يعتبره الأشكال الدنيا مثل فن الكاريكاتير عند هوجارث، وذلك حتى يدعم قيمة الأشكال العليا.<sup>(١٨)</sup>

ونجد فى البحوث الكبرى لعلم الجمال سيادة لتنوع كبير يظهر فيه الفن وكأنه عالم يتكون من مجموعة عظيمة من الأشكال المفردة. ومثلها مثل المناهج الفلسفية التى كانت تلك البحوث تشكل جزءا منها، نلاحظ تلك التقسيمات المفصلة عادة والتي تتوازى وتتعاذل معاء، وكذلك التقسيمات الفرعية التى تنقسم بدورها إلى تقسيمات أصغر. وأحيانا ما تتخذ تلك التقسيمات شكل مفاهيم مثل الرمز والمجاز التمثيلي (وهو تقسيم محورى بالنسبة لمذهب شيلنج وكذلك سولجر<sup>(١٩)</sup> أو الجميل والجليل (لاحظ على سبيل المثال تقسيم كانط لذلك الأخير إلى المرحلة "الرياضية" والمرحلة "الدينامية"<sup>(٢٠)</sup>). وأحيانا ما تكون تلك التصنيفات على أساس الوسائط ببساطة (بالإضافة إلى الأنواع الفنية داخل كل من هذه الوسائط) وكلها تشكل عالم الفن

(١٧) انظر:

Arthur Schopenhauer, *The world as will and representation*, E. F. J. Payne (trans.), (New York: Dover, 1966), i: 218.

(١٨) انظر:

W. Schlegel, *Vorlesungen über schöne Litteratur und Kunst*, Heilbronn: Henninger, 1884, pp. 207-13 and 236-7, respectively.

(١٩) انظر:

F. W. J. Schelling, *The philosophy of art*, Douglas W. Stott (ed. and trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989, for example, pp. 45-50 and 147-52. and K. W. F. Solger, *Vorlesungen über Ästhetik*, K. W. L. Heyse (ed.), Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1962, for example, pp. 129-45 and 260-1.

(٢٠) انظر:

Kant, *Critique of judgement*, pp. 103-23.

بأجمعه. "لا يوجد أحد وخاصة إذا كان ألمانيًا يميل إلى استعمال تصنيف الإنسان" يقول جان بول في بحثه المستفيض نوعاً، ولكن اللماح تمهيد في علم الجمال (٢١). *Primer of Aesthetics*.

وإذا كانت مفاهيم مثل الرمز والمجاز التمثيلي أو الجميل والجليل عادة ما تمضي في الأنساق الجمالية جنباً إلى جنب كثنائية فقد كانت الأنواع والوسائط تميل إلى الظهور في ثلاثية أو حتى رباعية. وذلك لأن تلك الأنواع والوسائط هي فعليا ما يشكل عالم الفن ووجودها في مجموعات لا تقتصر على اثنتين تعطي ذلك العالم تأسيساً صلباً. وبحلول نهاية القرن الثامن عشر أصبح تقسيم الأدب المعتاد هو تقسيم ثلاثي إلى الأدب الملحمي، والأدب الغنائي، والأدب الدرامي. ونجد أن بحث سولجر (الذي انتهى منه قبيل ١٨١٩) يقسم الأنواع الأدبية إلى هذه الثلاثة في حين يقسم الفنون الأخرى إلى أربعة هي النحت والرسم والعمارة والموسيقى ( *Vorlesungen*, pp. 257-67) وفي أحد أوائل أبحاثه في علم الجمال وهو كتاب الغايات النقدية لعلم الجمال (١٧٦٩) يقدم هيردر ما يعتقد أنها الحواس الأساسية في التجربة الجمالية، وهي السمع والبصر والإحساس بدلاً من النموذج السابق الذي يقدم فقط الحاستين الأولى والثانية. (٢٢) أما هيجل والذي كان تفكيره في الأشياء كثنائيات بمثابة طبيعة ثانية عنده فقد طرح في محاضراته في عشرينيات القرن التاسع عشر تنظيمًا مختلفًا للفنون في كل من الفترات التاريخية الثلاث - الرمزية (ما قبل التاريخ) والكلاسيكية والرومانسية. (٢٣) أما فاجنر في كتابه العمل الفني للمستقبل وهو عمل كغيره من

(٢١) انظر:

Jean Paul Richter, *Vorschule der Ästhetik*, in *Werke*, Munich: Carl Hanser, 1963, v: 67.

(٢٢) انظر:

Johann Gottfried Herder, *Die kritischen Wälder der Ästhetik*, in *Schriften zur Ästhetik und Literatur: 1767-1781*, Gunter E. Grimm (ed.). Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1993. pp. 289-99.

(٢٣) انظر:

G. W. F. Hegel, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.). Oxford: Clarendon Press, 1975. i: 76-81.

المقالات الجمالية التي كتبها حول العام ١٨٥٠ كان يهدف في الوقت نفسه إلى استكمال نظريات ما سبقه من أبحاث والتمهيد لما سيقوم به هو شخصيا لاحقا كموسيقى ومسرحي.<sup>(٢٤)</sup> ولعل ارتباط فاجنر بالرقص كان مدفوعا برغبته للاكتمال النظري أكثر منه باحتياجاته كفنان: فرغم أنه يطلق على الرقص "أكثر أشكال الفنون واقعية" (ص ٧٨)<sup>(٢٥)</sup> ويسعى لإعادة تعريفه كإيماءات وحركة، فإن الانهيار الذي حدث للرقص على خشبة المسرح الحديث حال دون إعطاء ذلك الفن دورا ذا شأن في كتابه العمل الفني الشامل *Gesamtkunstwerke*، بل إن دوره في الواقع يقتصر على الرقصات الشعبية في المدن في أوبرا عضو طائفة الموسيقيين والشعراء *Die Meistersinger* والباليه التقليدي الذي شعر بضرورة إضافته لعمله "تأنهاوزر" *Tannhauser* حتى يجد ذلك العمل المبكر طريقه لأعمال فرقة أوبرا باريس.

في البحوث الجمالية الكبرى نجد الأشكال الفنية المختلفة، وقد شكلت عالما خاصا بها عن طريق العلاقات المتبادلة بينها، وكذلك اندماجها معا لخلق أشكال جديدة أو إعادة أشكال قديمة للحياة. ورغم أن روسو لم يترك لنا بحثا نسقيا في علم الجمال فإنه قدم الكثير من الملاحظات الموحية حول العلاقة المتبادلة بين الفنون، كقوله مثلا "إن دور اللحن في الموسيقى هو ذاته دور الرسم التخطيطي في اللوحات."<sup>(٢٦)</sup> وفي بحث شيلينج الذي يتميز بأطروحاته المحكمة نجد الموسيقى والرسم والفنون التشكيلية (وتلك الأخيرة بمعناها الواسع جدا) تتوازي داخل المجال الأضيق للفنون التشكيلية مع العمارة والنقش البارز والنحت (فلسفة الفن ص ١٦٣) وللتدليل على هذا التوازي يقدم شيلينج قياسا مستقى على ما يبدو من نظرية أوجست

(٢٤) انظر:

Richard Wagner, *Gesammelte Schriften*, Julius Kapp (ed.), Leipzig: Hesse & Becker, 1914, x: 74-124.

(٢٥) ما يعنيه فاجنر "بواقعية" الرقص هي كونه أكثر التصاقا من غيره من الفنون بالجسد.

(٢٦) انظر:

Jean-Jacques Rousseau and J. G. Herder, *On the origin of language*, John H. Moran and Alexander Gode (trans.), New York: Frederick Ungar, 1966, p. 53.

فيلهم شليجل والتي اشتهرت لاحقا، مشيرا إلى العمارة على أنها "موسيقى متجمدة" (ص ١٦٥).<sup>(٢٧)</sup> أما جان بول فسمى الموسيقى "شعرا رومانسيا مسموعا" (*Vorschule, p. 466*) وأحيانا ما يندمج نوعان من الفن ليشكلا نوعا واحدا جديدا. ومن هنا اعتبر فاجنر أن سيمفونية هايدن تشكل اندماجا بين الرقص والموسيقى، وتمثل السيمفونية السابعة لبتهوفن، فيما أصبح منذ ذلك الحين جملة مكرورة في النقد الموسيقى، "تقدسا للرقص" (*Gesammelte Schriften, X: 98, 101*). وأحيانا ما نجد تماثلات بين أعمال معاصرة في وسيط مختلف مثلما يطرح أوجست فيلهلم شليجل باقتضاب علاقة بين الكوميديا الإلهية والكاتدرائية القوطية (*Vorlesungen über schöne Litteratur, p. 182*).

وعادة ما تضمنت تلك البحوث فيما ترسمه من علاقات معقدة بين الفنون أحكاما قيمية بدرجة كبيرة حول وضع كل من تلك الفنون ومختلف أنواعها الفنية بالمقارنة بعضها ببعض. وقد ظل الانحياز إلى الأدب والذي ناقشناه في الجزء السابق من المقال سائدا بين أغلب تلك النظريات، مع استثناءات قليلة سنقوم بمناقشتها في الجزء التالي. "الشعر هو الفن الكلي العالمي" يكتب سولجر في مرحلة ما رغم أنه يعترف لاحقا أن حتى أكثر الفنون كلية وعالمية ربما لا يكون قادرا على التأثير بنفس قوة الموسيقى أو العمارة في ظل المناخ الفكري الذي كان يكتب فيه (التأثير بنفس قوة الموسيقى أو العمارة في ظل المناخ الفكري الذي كان يكتب فيه *Vorlesungen über Ästhetik, pp. 259, 267*). وبالنسبة لشيلينج فالشعر "يمكن اعتباره جوهر كل فن، مثلما يمكن اعتبار الروح جوهر الجسد". ولكن الشعر في الفترة الرومانسية عادة ما كان يعني أكثر قليلا من مجرد ذلك النوع الفني الذي يتضمن مجموعة من النصوص مثل سوناتات شكسبير وأغنيات كيتس أو حتى مجرد الأدب ككل. فبقدر ما يعتبر النوع الفني "العالمي" أو "الكلي" أو النموذجي، بقدر ما يبتلع

(٢٧) للمزيد حول تاريخ ذلك القياس انظر:

Ernst Behler, 'Schellings Ästhetik in der Überlieferung von Henry Crabb Robinson', *Philosophisches Jahrbuch* 83 (1976), pp. 138, 146.

على ما يبدو ما عداه من أشكال فنية تقع في حدوده، كما نرى في شذرة نوفاليس التي اقتبسناها سابقا حول ضبط القصائد شعريا لا موسيقيا. وكما يقول لوثاريو، أحد الأصوات في كتاب فريدريش شليجل حوار حول الشعر (١٨٠٠) "أن كل الفنون والعلوم التي تعمل عن طريق اللغة، إذا ما كان عملها لذاتها كفن، وإذا ما وصلت إلى قمة التحقق، تكون بذلك شعرا". ولكن إحدى شخصيات شليجل الأخرى لودوفيكو تقوم مباشرة بعد ذلك بتوسيع التعريف ليضم في نطاق الشعر فنونا غير لغوية: "كل فن لا يمارس وجوده من خلال الكلمات يكون له روح غير مرئية [Geist] وهذا هو الشعر".<sup>(٢٨)</sup> وقد قام جون ستيوارت ميل بالتمييز ما بين نوع "أعلى" أطلق عليه "الشعر" وآخر "أدنى" أطلق عليه "الخطابة"، وقد جمع حالات من كل أشكال الفن الأساسية من لحن "... لموتزارت إلى صور العذراء عند جبدو إلى تماثيل الآلهة اليونانيين بالإضافة إلى القصائد "الحقيقية" مثل قصيدة بيرن "قلبي في الجبال" كأمثلة على ذلك المصطلح الأرقى، أي الشعر.<sup>(٢٩)</sup> وقد أصبحت كلمة شعر تشتمل على كل شيء لدرجة أنه بحلول منتصف القرن وفي كتاب لجون راسكين من المفترض أنه يعني بفهم فن الرسم وتقييمه بين غيره من الفنون، نجد الرسم يندرج تحت ذلك المصطلح الأرقى: "يمكن أن نضع الرسم في مقابل الكلام أو الكتابة ولكن من غير الجائز أن نضعه في مقابل الشعر. فالرسم والكلام كلاهما وسائل للتعبير. أما الشعر فهو توظيف أي منهما لأنبيل الأغراض".<sup>(٣٠)</sup>

(٢٨) انظر:

Friedrich Schlegel, *Gespräch über die Poesie*, in *Charakteristiken und Kritiken I* (1796–1801), Hans Eichner (ed.), Munich: Schöningh, 1967, p. 304.

(٢٩) انظر:

John Stuart Mill, 'What is poetry?' (1833), in *Essays on poetry*, F. Parvin Sharpless (ed.), Columbia, sc: University of South Carolina Press, 1976, pp. 14–15, 17.

(٣٠) انظر:

John Ruskin, *Modern painters*, London: George Allen, 1911, iii: 13.

وسواء كان التعريف المحدد للشعر أو الأدب ضيقاً أو كان يشتمل على كل شيء فقد احتوت أنساق المنظرين عادة على تسلسل خاص بكل منها والذي بواسطته يتم وضع أشكال الفن المختلفة في علاقة تراتب هرمي بينها وبين بعضها. وجدير بالملاحظة أن الأدب ظل طويلاً محافظاً على مكانه على قمة ذلك الهرم أو قرب القمة، بل إن العمارة وغيرها من الفنون "ذات الغرض" استمرت بشكل ما أقرب إلى قاعدة الهرم. وعندما أراد أوجست فيلهلم شليجل الارتقاء بمكانة فن العمارة، قام بالتقليل من أهمية أغراضها العملية والتأكيد بدلاً من ذلك على محاكاتها للأشكال الإنسانية والطبيعية. (*Vorlesungen, pp. 169-80*) ومع ذلك فمن الثابت إذا ما رصدنا العلاقة بين مختلف الفنون في الفترة ما بين منتصف القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر أن ثمة ارتقاء بمكانة الموسيقى. وكما أشار م. ه. إبرامز فقد كان صعود الموسيقى في سلم التراتب الهرمي ممكناً بسبب التحول من نظريات الفن التي تعتمد المحاكاة إلى تلك التي تعتمد التعبير (وربما أمكنني أن أضيف أيضاً تعتمد العاطفة).<sup>(٣١)</sup> وفي تاريخ مبكر كعام ١٧٦٩ نجد هيردر يتساءل عما كانت موسيقى القدماء التي ضاعت تعبر عنه، وقد أطلق على شعر القدماء وموسيقاهم "الفنين الأخوين المتلازمين" اللذين عملاً معاً يوماً ما لإحداث تأثير. (*Die kritischen Wälder, pp. 363-4*) ونجد هيردر هناو كذلك في مقاله حول أصل اللغة (١٧٧٢) يصف الكلام والغناء ممتزجين لا يمكن فصلهما بعضهما عن بعض في تلك الأصوات التي كان الإنسان الأول يطلقها؛ (*pp. 360-1*)؛<sup>(٣٢)</sup> وبما أن الأصول لها أهميتها في تحديد وضع ظاهرة ما فإن الموسيقى يمكن أن تعتبر مركزية بالنسبة لتاريخ الثقافة بشكل لم تكن تعرفه من قبل. وتحديدا في نفس العام الذي أعلن

(٣١) انظر تلك المناقشة لـ Abrams والتي يعطيها عنواناً ملائماً:

'ut musica poesis' in *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Oxford University Press. 1953. pp. 88-94.

(٣٢) انظر أيضاً:

Rousseau and Herder, *Origin of language*, pp. 87-91.

فيه هيردر عن تلك الأخوية بين الشعر والموسيقى قام دانييل ويب في بحثه المعنون ملاحظات حول التوازي ما بين الشعر والموسيقى بالإشارة إلى الفقرات الصوتية في الإنشادة وفي الفردوس المفقود للفت النظر إلى التشابه بين الفنين في طريقة إثارة المشاعر القوية.<sup>(٢٣)</sup> ولكن العمل الأساسي الذي أتاح تلك الأهمية الجديدة للموسيقى لم يضع أساسه تلك البحوث المنهجية وإنما وضعه أكثر المقالات والشذرات الأقل منهجية للرومانسيين الألمان الأوائل، على سبيل المثال المدح الذي أطلقه فاكنرودر (متخفياً تحت جوزيف بيرلينجر المهووس بالفن والأنا العليا لفاكنرودر) للسيمفونية كنوع فني جديد لقدرتها على خلق "عمل درامي جميل في تطوره" يظل في "عالم شعري خالص" ولكن دون أن تعقه حبكة قصصية وشخصيات.<sup>(٢٤)</sup> ويقدر ما يلجأ واكنرودر للمقارنة مع الأدب، بل وإلى جماليات تمثيل الواقع، من أجل التعبير عن فكرته، نجد واضحاً ذلك التأثير القوي للنموذج الأدبي، وإن كان يصر على أن الموسيقى تحقق تلك الوظيفة أفضل مما يحققها الأدب. وبالفعل يمكن اعتبار واكنرودر الأول في طابور طويل من الكتاب الألمان ممن اتخذوا من الموسيقى مثال أقرب إلى تصوراتهم الفنية من أي وسيلة فنية أخرى بما في ذلك الأدب والذي كان عليهم هم أنفسهم العمل به.

وكان أول بحث يتعامل مع الموسيقى باعتبارها أعلى الفنون بلا أي مراوغة هو بحث شبنهور الذي قام بتصنيف الفنون طبقاً لقدرة كل منها على التعامل موضوعياً مع الإرادة، ذلك المبدأ الأساسي في منهجه والذي من خلاله يعمل الفن

(٢٣) انظر:

Daniel Webb, *Observations on the correspondence between poetry and music*, London: Dodsley, 1769.

(٢٤) انظر:

Wilhelm Heinrich Wackenroder, *Sämtliche Werke und Briefe*, Silvio Vietta and Richard Littlejohns (eds.), Heidelberg: Winter, 1991, i: 244.

ولدراسة باحثة في الدور الذي لعبته موسيقى الآلات في نظريات الفن الرومانسية انظر: Carl Dahlhaus, *Die Idee der absoluten Musik*, Kassel: Bärenreiter, 1978.



على حماية الفرد مما تحمله الإرادة من "عدم استقرار واندفاع" (العالم كإرادة *World as will* p.219) ورغم أن شبنهور يعطى مكانا عاليا نسبيا للتراجيديا (إذ تتماشى مع تحيزه لزهد الدنيا)، لا يمكن لفن ما أن يضاهى الموسيقى التى "تعبّر عن أعمق الحكمة فى لغة لا تفهمها ملكة العقل [لدى مؤلف الموسيقى]" (ص ٢٥٣ و ٢٦٠)؛ فتصبح إحدى مميزات الأدب الأساسية والتى عادة ما استخدمت للتدليل على تفوقه، ونعنى القدرة على تقديم معنى عقلانى للحياة، تصبح فى فلسفة شبنهور المعادية للعقلانية أداة لانتزاع الأدب من على عرشه لصالح الموسيقى. ولكن عمل شبنهور ظل مجهولا لحيل كامل بعد نشره فى ١٨١٩. فكتابات فاجنر الجمالية الأساسية التى أنهى منها قبل اكتشاف الفيلسوف فى ١٨٥٤ كانت لا تزال تعطى الأولوية للجانب اللغوى للأوبرا؛ ولاحقا فقط ويتأثيره (وتأثير شبنهور) على نيتشه الذى كان تلميذا له لبعض الوقت فى كتابه ميلاد التراجيديا تظهر الموسيقى باعتبارها الفن الأسمى.<sup>(٣٥)</sup>

وفى أغلب بحوث علم الجمال وعلى الرغم من ورود أمثلة للأعمال الفنية مستقاة من فترات تاريخية مختلفة، فإن النسق ككل بما فيه من تراتب وعلاقات تبادل داخلية يوجد فى مجال لا زمنى، بل إن ذلك الوهم باللازمية يساعد على التأكيد على استمرارية واستقلال القوانين الخاصة للعملية الفنية بين مختلف مساعى العمل الإنسانى. لقد كان الإنجاز الذى تميز به هيجل قطعا من غيره من منظرى الفن أنه

(٣٥) لاستخدام نيتشه ميكا لشوينهور، وكذلك لاحقا لفاجنر فى طرحه للموسيقى باعتبارها الأسمى انظر:

*The birth of tragedy*, Walter Kaufmann (trans.), New York: Vintage, 1967, pp. 100-3.

ويمكن الرجوع لعبارات نيتشه الصارمة ليس فحسب حول تفوق الموسيقى ولكن حول استقلالها عن النصوص التى يفترض وضعت لأجلها فى مقاله:

'On music and words', Walter Kaufmann (trans.), in Carl Dahlhaus, *Between Romanticism and Modernism*, Berkeley, CA: University of California Press, 1980, pp. 106-19.

ويمكن الرجوع إلى كلام فاجنر المتأخر الذى يراجع فيه النظرية التى قدمها فى مقالاته الجمالية المبكرة مؤكدا دور الموسيقى السيمفونية (موسيقى بتهوفن قبل كل شىء) فى تشكيل موسيقاه المسرحية فى:

'Über die Anwendung der Musik auf das Drama' (1879) in *Gesammelte Schriften*, xiii: 282-98.

بنى تصنيفاته على أساس تاريخى وهو ما نتج عنه تغير مكانة الأنواع الفنية ووسائل التعبير بتغير العصر. ولم يكن هيجل أول من طرح مسألة أن القيمة الفنية نسبية طبقا للسياق التاريخى المحدد: فهيردر، بما له من قدرة عجيبة على استباق أفكار أصبحت بالنسبة لأجيال لاحقة من المسلمات، كان قد كتب قبل ذلك بنصف قرن: "هناك مثال للجمال لكل فن ولكل علم وللدوق الحسن ككل نجده فى الشعوب والفترات التاريخية والموضوعات والأعمال التى يتم إنتاجها" ( *Die Kritischen Wälder, p. 286* ) وكان على هيجل بعد ذلك مهمة وضع الفنون فى سياق تاريخى. ومن ثم تأتى العمارة ، التى وضعتها أغلب المناهج فى ذيل القائمة، عند هيجل على قمة تراتب الفنون فى الفترة الرمزية أو فترة ما قبل التاريخ والتى كان فيها إنشاء مبان ضخمة مثل برج بابل والمعابد المصرية بمثابة الوسيلة الترابط بين الشعب الذى لم يكن قد وصل بعد إلى مرحلة الوعي بالذات. ( *Aesthetics, II: 638-9, 644-8* ) ويصبح النحت، حيث يأتى قبل الجميع الأمثلة اليونانية كما نقلها وينكلمان إلى علم الجمال الألمانى، محوريا فى العصر اللاحق وهو العصر الكلاسيكى الذى يتطلب شكلا مثل تماثيل الآلهة والتى تحول الروح إلى شىء موضوعى ولكن يمكنها "مع ذلك تجاهل ذاتية الحياة الداخلية" ( *p. 718* ) ومع ازدياد الوعي بالذات (والذى هو بالنسبة لهيجل العنصر المحدد للتقدم التاريخى) تتحرك الأنواع الأدبية إلى أعلى التراتب الهرمى. وفى الحقبة الأخيرة التى يعينها، وهى الحقبة الرومانسية (والتي تتضمن كل الفترة اللاحقة على الفترة الكلاسيكية) تنتقل من الرسم إلى الموسيقى إلى الأنواع الأدبية حيث تأتى الملحمة والقصيدة الغنائية والشكل الدرامى بهذا الترتيب التصاعدى. وبما أن هيجل يربط بين الدراما "وتلك الفترات التاريخية التى وصل فيها الوعي الذاتى للفرد إلى أعلى مراحل تطوره"، فإنه من غير المستغرب فى ضوء القيمة التى يعطيها للوعي الذاتى أن يمثل هذا النوع الأدبى "أعلى مراحل الشعر والفن عموما" فى العالم الحديث. ( *pp 1179, 1158* ) وبالنسبة لمعظم القراء اليوم فإن المنهج التاريخى الذى

يتخذ هيجل في تنظيم الفنون يجعل ولا شك بحثه يبدو أكثر حداثة (مهما اختلف هؤلاء القراء مع تقديره لأشكال فنية معينة) من بحوث ذلك الوقت التي تفترض التطبيق على كل زمان ومكان. ومازال المنظور التاريخي الذي قدمه هيجل للفكر الأوربي يشكل تفكيرنا لدرجة يصعب معها التعامل مع غيره من البحوث بنفس الجدية التي نوليها لبحث هيجل.

ويتنوع كثيرا المدى الزمني الذي تمتد عبره قائمة الفنانين المعياريين التي يحددها كل بحث لنفسه ويتخذ منها أمثله وقد كانت مشكلات النقل الموسيقي كبيرة جدا كما أشرت من قبل لدرجة أن معظم البحوث لم تكن لتستطيع الرجوع لأمثلة تؤكد بها ما تطرحه أبعد من الأمثلة المأخوذة عن الجيل السابق مباشرة، وإن كان الكثير من تلك البحوث يقدم تخمينات حول طبيعة الموسيقى عند القدماء. والجزء الأكبر من الأمثلة وبشكل لافت من نصيب موتزارت وروسيني، وإن كانت الموسيقى الدينية السابقة عليهما (موسيقى هاندل على سبيل المثال) والتي عادة ما كان زمن عرضها يطول بالمقارنة بالألحان غير الدينية، قد حظيت بالاهتمام كذلك. وقد كان شبنهور، والذي عادة ما تجنب امتداح مؤلفين موسيقيين بأعينهم، مولها بقدرة معاصره روسيني على استخدام الموسيقى لتهنئة الإرادة التي لا تلين وكان يدعى أن موسيقاه الأوبرالية "لا تحتاج لأي كلمات على الإطلاق" ولكنها "تقوم بالتأثير بشكل كامل حتى عندما يتم تقديمها بالآلات الموسيقية وحدها" (*World as will, p.262*).

أما المدى الزمني الذي غطته تلك البحوث بالنسبة للفنون البصرية فقد كان قطعاً أطول كثيراً من ذلك المخصص للموسيقى. ويلعب النحت القديم، والذي يتم تقديمه عادة بتفسيرات وبنكلمان، دوراً محورياً في تلك البحوث بدرجة لا يضاهيها الرسم. وبالفعل تبدأ قائمة الأعمال المنتقاة بالنسبة للرسم في هذه البحوث عادة مع ما أصبح يطلق عليه ذروة عصر النهضة، ومن العجيب أن عدداً قليلاً جداً من الفنانين يشكل القاسم المشترك عند هؤلاء المحللين. ويعد ميكل أنجلو ورافائيل قمة فن الرسم بالنسبة لمعظم منظري تلك الفترة وقلما تتم الإشارة إلى أسلافهما من القرن الرابع

عشر إن لم يتم تجاهلهم كلية. وعندما يكتب هازليت عن الرسامين العظماء فى الماضى "تنقل إلى عالم آخر .. إذ ندخل فى عقول رافائيل وتيشان وبوسين وكراستسى ونرى الطبيعة بعيونهم".<sup>(٣٦)</sup> تذكرنا إشارته لكراستسى بمدى التغير الذى لحق بالذوق منذ زمنه. وما يثير دهشة مماثلة لوجود الأخوين كراستسى (وأهميتهما المحورية فى تأسيس أسلوب الباروك ما زال معترفا به فى كتابات تاريخ الفن) هو كوريجو والذى يظهر اسمه فى عدد غير معتاد من المناقشات حول الرسم والذى يقول عنه شيلينج فى حكم يكاد يكون نموذجيا بالنسبة لعصره أنه "رسام كل الرسامين"، وهو قول تبعه، وبشكل نموذجى كذلك، بالتذكير بأن "جوهر الفن المطلق والعبرى والأعلى يظهر فقط عند رافائيل" (*Philosophy of art, p.140*).

وعلى العكس من الموسيقى والرسم فإن قائمة الأعمال الأدبية المنتقاة تمتد على مدى تاريخ الثقافة الغربية كلها. والفرق بين المدى الزمنى لتناول الأدب والرسم واضح فى القائمة التى يطلق عليها هازليت "علاقة أبناء العبقريّة"، والتى تعود فيها الأمثلة الأدبية إلى هوميروس ولكن يعود فيها الرسم ثلاثة قرون للوراء فحسب: "هوميروس ونشوسير وسبنسر وشكسبير ودانتى وأريستو (وحده ميلتون كان من عصر لاحق ...) ورافائيل وتيشان وميكل أنجلو وكوريجو وسرفانتس وبوكاتشيو والنحاتون وكتاب التراجميون اليونانيون - كلهم عاصروا مولد الفنون التى مارسوها - وقد وصلوا بها إلى الكمال.... (*Complete works, V (1930): 45*). وما أعادت الفترة الرومانسية تشكيله من قائمة منقاة للأعمال الأدبية والموجودة فى البحوث الجمالية لتلك الفترة كما يتضح من القائمة التى يقدمها هازليت تكاد تكون نفسها التى بقت حتى يومنا هذا يلوح فى خلفيتها علاقة مثل هوميروس وكتاب الدراما اليونانيون (مع بعض التقليل من شأن يوربيديس على يد النقاد الألمان) وفرجيل ودانتى وأرسطو

(٣٦) انظر:

William Hazlitt, *Complete works*, ed. P. P. Howe (London: Dent), x (1932), 7.

سرفانتس وشكسبير. وإذا كان كالديرون (وليس لوب دى فيجا بوضوح) يلعب دوراً أكبر من المتوقع في علم الجمال الألماني، فهذا بسبب إعادة اكتشافه حديثاً (وترجمته) في أعمال الرومانسيين الأوائل.<sup>(٣٧)</sup> ورغم أن قائمة الأعمال المنتقاة ظلت في أغلبها غربية، فإنه ليس من قبيل المصادفة بالنظر للاهتمام الذي حظى به تاريخ اللغات الهندوأوروبية بين الرومانسيين أن نجد إشارات للأدب السنسكريتي كمسرحية شاكنتلا التي عادة ما تظهر ضمن الأمثلة.<sup>(٣٨)</sup> ولا يكاد يكون من المستغرب أن الإشارة إلى الكتاب المحدثين في أوروبا (خارج المملكة المتحدة) عادة ما تكون إشارة إلى جوته وشيلر وبايرون وسكوت في حين أن ما عدا ذلك من الشعراء الإنجليز، بل أغلب الكتاب الأجانب المعاصرين يغيبون في الكتابات الأوروبية.

### التبادل وتعدى الحدود

إن نهايات القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر لم تشهد فحسب أول محاولة جادة لخلق نظرية للفنون في مجملها ولكن شهدت كذلك مجهوداً منظماً استمر إلى يومنا هذا لكسر الحدود التي ظلت طويلاً تفصل ما بين مختلف الفنون وكذلك الحدود بين الأنواع الفنية داخل كل فن. وقد كان لشعار كما تكون الصورة يكون الشعر *ut pictura poesis* اللوحة قصيدة سطوة هائلة بداية من عصر النهضة وما تلاه حتى ليتصور المرء بسهولة أن الحدود، على الأقل تلك الحدود بين الرسم

(٣٧) انظر على سبيل المثال مناقشة كالديرون في:

Schelling, *Philosophy of art*, pp. 273–6; Solger, *Vorlesungen*, pp. 319–20; and Hegel, *Aesthetics*, i: 405–7.

ويشير هيجل وشيلينج بشكل خاص إلى كتاب *La devocion de la cruz*، والتي تعد نموذجاً للمسرحية الإسبانية ولكن الحديث حول الأهمية الخاصة لكالديرون تغطي حدود ألمانيا، حيث يمكن أن نلاحظ الإشارة إلى كالديرون في مقال شيللي "دفاع عن الشعر"، انظر:

*Shelley's poetry and prose*, p. 490.

(٣٨) انظر على سبيل المثال:

Schelling, *Philosophy of art*, p. 57, and Hegel, *Aesthetics*, i: 339, and ii: 1176.

والشعر، كان يتم كسرهما على نحو دائم على مدى الفترة السابقة. ولكن إذا ما تأملنا الماضي من موقعنا يمكن تأويل التراث التصويري الذي بمقتضاه كان كل شكل فني يدعى الاستقاء من موارد الآخر، باعتباره وسيلة لضمان الحدود بينهما لا لتدميرها. فعلى حد قول أحد الطلاب الجدد في هذا التراث "في الوقت الذي تؤكد فيه على المشترك بين الرسام والشاعر فإن تلك الفكرة الصورة *ut pictura* تخبيء مدى التعارض في النهاية بين كلا الفنين، حيث كلاهما محبوس في منافسة لا يستطيع الفكك منها لأن أيا منهما لا يستطيع وحده إلغائها أو حلها." (٣٩) وحين نرى التصويرية كوسيلة لحماية كمال كل من الأشكال الفنية، يمكن أن نقرأ كتاب ليسينج لاوكون: حول حدود الرسم والشعر كمحاولة لمنع الرسامين والشعراء من التعامل مع الفكرة بمعناها الحرفي بحيث يساء فهم الحدود المعينة لوسائل كل منهما في التعبير. ومن هنا فإن ليسينج يرى أن الشاعر الحديث هالير في قصيدته الطويلة في وصف الألب حاول وصفا تفصيليا شديد الدقة في التفاته للتفاصيل أنسب للرسم لا لشكل فني كالشعر يعتمد اللغة والتحقق عبر الزمن (لا المكان كالرسم). (٤٠) لقد كان ليسينج بالطبع يعمل على أساس نظرية للفن تعتمد المحاكاة، (٤١) نظرية لا تختلف إلا قليلا مع تلك النظرية التي دفعت برينولدز إلى تبني القيود التي نجدها في النص المقتبس في بداية هذا الفصل "لا يمكن لفن أن يتم تطعيمه .. بفن آخر".

ولكن عند ترقية نمط المحاكاة لصالح النظريات التعبيرية والتعاطفية، أصبح بالإمكان تجاوز الحدود الفاصلة بين الفنون أو تجاهلها. فحين ننظر للفن على أنه

(٣٩) انظر:

Christopher Braider, *Refiguring the real: picture and modernity in word and image*, 1400-1700, Princeton, nj: Princeton University Press, 1992, pp. 221-2.

(٤٠) انظر:

Gotthold Ephraim Lessing, *Werke*: 1766-1769, Wilfried Barner (ed.), Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1990, pp. 125-6 (*Laocoon*, chap. 17).

(٤١) لمزيد حول النموذج التمثيلي الشائع عند ليسينج ومن سبقه مثل بوماجرتن ومندلزون انظر:

David Wellbery, *Lessing's 'Laocoon': semiotics and aesthetics in the age of reason*, Cambridge University Press, 1984, pp. 49-54.

تعبير عن العبقرية، يصبح بالإمكان عمليا أن يتبادل المبدعون الكبار فى مختلف الفنون المواقع، كما يمكن أن نلاحظ عند قراءة السطور التالية فى يوميات ديلاكروا التى يدافع فيها عن أهمية عدم التوازن حيث يقوم الرسام بتضمين تمثيلات للفنون الثلاثة الكبرى "إذا كان إعجابنا بموتزارت وسيماروزا وراسين يتأثر سلبا بسبب التناسق الهائل لأعمالهم، ألا يمكن القول إن أثر شكسبير ومايكل أنجلو وبيتهوفن يرجع نوعا ما إلى عكس تلك الصفة؟"<sup>(٤٢)</sup> وبالنسبة لديلاكروا فإن ما يجعل من أولئك الذين نعتبرهم عباقرة فى مختلف الفنون مجموعة واحدة هو أكثر حيوية مما يربط فنان كبير وآخر متواضع فى نفس المجال.

أما الموسيقى والتى كانت، طبقا للكاتب م. ه. إبرامز، "أول الفنون التى انفصلت عن مبدأ المحاكاة بإجماع نقدى" (المرآة والمصباح ص ٩٢) فقد أصبح التبادل بينها وبين الفنون الأخرى وفى مقدمتها الأدب من الهموم المحورية للفنانين فى سعيهم لخلق طرق جديدة لممارسة وسيلتهم فى التعبير. وبداية من الرومانسيين الألمان سعى الكتاب على نحو منهجى إلى جعل اللغة قادرة على إعطاء نفس أثر الموسيقى عليهم. ونجد شخصية بيرجلىنجر عند واكنرودر لا تكفى بوصف ذلك الأثر كلاميا حينما يتكلم مثلا من وحى خطاب الجليل عن الموسيقى على أنها "تخترق أعصابه برعب هادئ" بل إنه يلجأ كذلك مرارا للتشبيهات لترجمة تجربته أدبيا، فيقول مثلا فى وصفه لحن فى تطوره إنه أشبه "بغدير ... ينطلق فى منحدرات رهبة محدثا صوتا مخيفا" (*Sämtliche Werke und Briefe*, pp. 132, 134).<sup>(٤٣)</sup> إن محاولة واكنرودر لجعل الأدب يتطلع إلى وضع الموسيقى تعتبر بداية تراث يودى

(٤٢) انظر:

Eugène Delacroix, *Journal*, André Joubin (ed.), Paris: Plon, 1932, ii: 42 (entry of 9 May 1853).

(٤٣) لتحليل تفصيلى لمنهج واكنرودر فى تحقيق "الموسيقى اللغوية" انظر:

Steven Paul Scher, *Verbal music in German literature*, New Haven. ct: Yale University Press.

1968, pp. 13-35.

فى نهايته إلى توماس مان فى إعادة خلقه التفصيلى لألحان بطله الملحن أدريان ليفركوهين فى الدكتور فاوستس (١٩٤٧). ولا غرابة فى أن بعض المحاولات النموذجية لعرض الموسيقى فى خطاب لغوى جاءت من إ. ت. أ. هوفمان والذى شمل عمله المهنى تأليف الألحان الموسيقية، بالإضافة إلى النقد الأدبى والموسيقى (هذا غير عمله كموظف) وكذلك كتابة الرواية والقصة، وهو المجال الذى يعتبر من وجهة نظر يومنا هذا أكثر تلك الأعمال تميزاً. وفى تقديمه الشهير للسيمفونية الخامسة لبتهوفن (١٨١٠) يعتمد هوفمان فى مقارنته هايدن وموتزارت ببتهوفن على محاولة واكنرودر وصف أثر الموسيقى وفى نفس الوقت تقديم معادل استعارى لذلك الأثر. ففى حين أن سيمفونيات هايدن "تقودنا إلى غابات خضراء غير محدودة، وإلى زحام بهيج وملون من البشر السعداء"، فإننا نجد فى أعمال ببتهوفن "إضاءات من شعاع وهاج تخترق أعماق ليل ذلك المكان، فنرى تلك الظلال العملاقة تتماذى علوا وهبوطاً، تحوطنا فى حدود تضيق وتضيق فتدمر كل شىء بداخلنا عدا ألم شوق لا نهاية له."<sup>(٤٤)</sup> إن تحليل هوفمان جدير بالملاحظة ليس فقط لأنه يحاول إيجاد معادل لغوى للموسيقى ولكن لأنه فى أثناء عملية اكتشاف اللغة تلك تمكن من إظهار ما يخبره المستمع من كون بتهوفن مختلفاً نوعاً ما عن مؤلفى الموسيقى السابقين عليه.

ومع حلول نهاية القرن الثامن عشر، وفى ألمانيا أكثر من أى مكان آخر، تقدمت الموسيقى لتحل محل الرسم باعتبارها النموذج المحورى أو على الأقل الجدير بالمقارنة مع الأدب. وادعاء هوفمان وجود تونق رومانسى فى كتابة بتهوفن السيمفونية

(٤٤) انظر:

E. T. A. Hoffmann, *Werke*, Georg Ellinger (ed.), Berlin: Deutsches Verlagshaus Bong, 1900, xiii: 42.

ولدراسة مفصلة حول الوصف الموسيقى بعد هوفمان انظر:

Thomas Grey, 'Metaphorical modes in nineteenth-century music criticism: image, narrative, and idea', in Steven Paul Scher (ed.), *Music and text: critical inquiries*, Cambridge University Press, 1991, pp. 93-117.



يطرح التشابهات التي يمكن أن يشعر بها الكاتب تجاه ما حققه مؤلف الموسيقى. وحين يعنون جان بول فصول بحثه في علم الجمال بكلمات مأخوذة عن الموسيقى الكنسية مثل "محاضرة مزمورية" أو "محاضرة كانتينية" (*Vorschule, pp. 398-456*) فإنه يسجل ذلك التحول الذي قدمه كذلك في فقرات رواياته الوصفية حول أثر سماع الموسيقى. ولكن التماثل مع الموسيقى يتجلى كذلك بوضوح أقل ولكن أهمية أكبر في بعض التجارب الشكلية، على سبيل المثال استخدام هولدرين لكلمات مستقاة من الموسيقى بحثاً عن شكل جديد للتنظيم الشعري عن طريق ما أسماه "تناوب النغمات"،<sup>(٤٥)</sup> أو في التحولات الإيقاعية والعاطفية العنيفة التي تميز الأغنيات المتضمنة في قصة تاك "قصة حب ماجيلوني الجميلة" (١٧٩٧)، تلك القصة التي يبرز للمقدمة أسلوبها الموسيقي بوضوح في الموسيقى "الحقيقية" التي قدمها برامز فيما بعد في سلسلة أغاني ماجيلون (١٨٦١).<sup>(٤٦)</sup>

وقد مضى التبادل بين الموسيقى والأدب في الاتجاه المعاكس أيضاً. وفي مقال لفرانك ليست في ١٨٥٥ حول مقطوعة بيرليوز هارولد في إيطاليا، وهو عمل للكمان والأوركسترا مستوحى من قصيدة بايرون "تشايلد هارولد"، يطرح فرانز ليسزت الدور الذي يلعبه الأدب بالنسبة لمؤلفي الموسيقى في عصره، "إذ أصبح المزيد من الأعمال الموسيقية العظيمة مأخوذاً عن أعمال أدبية كبرى."<sup>(٤٧)</sup> وكأنما الموسيقي

(٤٥) انظر:

Lawrence Ryan, *Hölderlins Lehre vom Wechsel der Töne*, Stuttgart: Kohlhammer, 1960.

(٤٦) حول الصفة الموسيقية لتلك القصائد وعلاقتها بخلفيات برامز انظر:

Manfred Frank, *Einführung in die frühromantische Ästhetik*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1989, pp. 385-428.

(٤٧) انظر:

Franz Liszt, 'Berlioz und seine Harold-Symphonie', in *Gesammelte Schriften*, L. Ramann (ed.), Leipzig: Breitkopf & Härtel, v (1882): 58.

كانت تتطلع للوصول إلى منزلة الأدب الذي كان بدوره متطلعا للوصول إلى منزلة الموسيقى.

والمؤكد أن محاكاة الموسيقى للنصوص ترجع إلى قرون سابقة، إذ ترجع على سبيل المثال إلى التمييز الذي وضعه مونتهفردى بين الأسلوب "المثير" أو "الهادئ" أو "المعتدل"، الملائم لفقرات شعرية بعينها عندما يتناولها الملحن.<sup>(٤٨)</sup> ولكن مثل هذا النوع من المحاكاة محدود، وعادة ما يكون محاولة حرفية لجعل الموسيقى تحاكي الكتابة. وعلى العكس من ذلك كان النوع الرومانسى المهم الذي أطلق عليه "قصيدة النغمة"، والذي ظل يزدهر حتى مع القرن العشرين والذي يجمع اسمه نفسه بين شكلى الفن، وكان مكرسا لإعادة خلق الفكرة الأكبر للعمل الأدبي وأحيانا كان يحاول حتى التفوق من خلال الأثر الموسيقى المباشر على شهرة الأصل الأدبي الذى يدعى تبجيله. ومن الأمثلة الشهيرة للأدب الذى تحول إلى موسيقى على سبيل المثال سيمفونيات تحمل عناوين مثل هارولد فى إيطاليا وفافوست ودانتى لليسزت، أو مانفرد لتشيكوفسكى، وقصائد النغم مثل ماكبث ودون جوان ودون كيشوت لشراروس، أو الخلفيات المختلفة لبيلياس وميليساندا التى قام بها فارو وسيلليوس وشونبرج، ناهيك عن العدد اللامحدود من الافتتاحيات الموسيقية بعناوين مثل الملك لير وروب روى (ببرليوز) وفافوست (فاجنر) وفرانشيسكا دا ريميني وروميو وجوليت وهاملت (تشيكوفسكى)، بل لعلنا نضيف كذلك عملاً لم يحظ بشهرة تلك الأعمال

(٤٨) انظر:

Claudio Monteverdi, *Tutte le opere*, G. Francesco Malipiero (ed.), Asolo: n. p., 1929, vol. viii unnumbered page before p. 1.

وحول علاقة أساليب مونتهفردى الثلاثة للنظريات اليونانية القديمة للمحاكاة الموسيقية انظر:

Barbara Russano Hanning, 'Monteverdi's three genera: a study in terminology', in Nancy Kovaleff Baker and Barbara Russano Hanning (eds.), *Musical humanism and its legacy: essays in honor of Claude V. Palisca*, Stuyvesant, NY: Pendragon Press, 1992, pp. 145-70.

انظر أيضا تحليل مونتهفردى لفقرات تتضمن تلك الأساليب فى:

Gary Tomlinson, *Monteverdi and the end of the Renaissance*, Berkeley, CA: University of California Press, 1987, pp. 202-10.

وهو تأملات مانفرد، وهو عمل للبيانو تقوم بعزفه أربع آياد، ألفه فريدريش نيتشه الذي مارس التأليف الموسيقي لبعض الوقت، وكلها أعمال تعطينا دليلاً قاطعاً على المعيار الأدبي السائد وقت تأليفها. ولكن مؤلفي الموسيقى لم يذهبوا ببساطة إلى الأعمال الأدبية المستقرة ليستلهموا منها شكلاً لأعمالهم: فأحياناً ما كانوا يكتبون برامج خاصة بهم كما فعل بتهوفن على سبيل المثال في سيمفونيته الرعوية أو بيرليوز في سيمفونيته العجائبية ومالر (وهو الذي ظل يعيد كتابة موسيقى برنامجية - وهي موسيقى وصفية تمل الأوصاف فيها على قصة أو حادثة - حتى بعدما انتهى من العمل نفسه) في سيمفونية النشور. في كل من هذه الحالات يشعر المرء بتلك الحاجة "لخلق نص" للمؤلفات الموسيقية وكأن الموسيقى بحاجة للكلمة المكتوبة لتكسبها مشروعيتها.

وإذا كنت قد ركزت حتى الآن على تعدد الحدود ما بين الموسيقى والأدب، فإن هذا لا يعني أن الرسم فقد علاقته بالأدب مع انحسار مبدأ القصيدة صورة *ut picture poesis*. بل ربما كانت الحدود المفروضة على إمكانيات التبادل بين الفنين والتي حصرته في التبادل السطحي على مدى القرون السابقة، راجعة لما تضمنه مبدأ كيتس في "أغنية للجرة اليونانية" أو موريك في "Auf eine Lampe" مطابقة الألحان لصياغة الجمل حول بعض أعمال الفنون البصرية فإنهما لا يقومان فقط بوصف ما تراه العين ولكن يستخدمان ذلك الوصف كوسيلة لتقليد عبارات البحوث الجمالية الكبرى في زمانهما والتي تحقّق بالفن وقانونه الخاص.<sup>(٤٩)</sup> ولقد كاتّب محاولة راسكين لتوصيل طبيعة إنجاز تيرنر وحجم هذا الإنجاز قد دفعته إلى خلق شكل من الكتابة

(٤٩) يقدم سبيتزر تفسيراً مرجحاً لهذه القصائد باعتبارها عبارات وفي نفس الوقت ecphrases حول الفن: Leo Spitzer, 'The "Ode on a Grecian urn" or content vs metagrammar', in Anna Hatcher (ed.), *Essays on English and American literature*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1962, pp. 67-97, and 'Once again on Mörike's poem "Auf eine Lampe"', Berel Lang and Christine Ebel (trans.), *PMLA* 105 (1990), pp. 427-34.

ولدراسة مستفيضة حول مدى عمق تغلغل مشاهدات كيتس لأعمال الفنون البصرية في شعره انظر كذلك: Ian Jack, *Keats and the mirror of art*, Oxford: Clarendon Press, 1967.

يضاهي في تجديده الواضح الكتاب الألمان من أمثال واكنرودر وهوفمان اللذين سعيًا قبل ذلك لتفسير أثر الموسيقى. وفي جملة كالأثية يتجاوز راسكين في مناقشته لمنظر البحر عند تيرنر الوصف التقليدي للتصويرية ليؤكد على أثر العمل في المشاهد، ذلك الأثر الذي يتجاوز ما يظهر فعليًا في الصورة، مثلما حاول الوصف الرومانسي للموسيقى قبل ذلك أن يصل إلى ما يمكن للمستمع أن يتخيله: "ولكن الأمواج تتدحرج وتتدفع إلى أن تتهار ملقية بكامل ثقلها على الشاطئ حتى لنكاد نشعر بحركة الصخور من تحتها." (*Modern painters, I:399*). تمامًا مثلما رأى لينتز بفخر أن الموسيقى تستخدم الأدب، ومثلما استخدم هوفمان الموسيقى في دوره كمؤلف، كان راسكين في فقرات لا تحصى من نقده الفني يسعى لجعل كتابته تؤثر في القارئ بطريقة أشبه بتلك الوسائط البصرية التي يصفها.

ولكن تيرنر شخصيًا كان يستخدم الأدب في فن الرسم. وكما يكتب رونالد بولسون في كتاب حول تيرنر وكونستابل اختار له عنوان دال وهو المنظر الطبيعي الأدبي، "أن فن تيرنر وكونستابل مهما كان بصريًا في صلبه ... يظل يطرح أسئلة لغوية، ولا يمكن فهمه ما لم نأخذ في الاعتبار جانبه اللغوي." (٥٠) وما طرحه بولسون في كتابه لم يكن أن هذين الرسامين كانا "يرسمان" الأدب في إطار التراث التصويري (رغم أن تيرنر، على العكس من كونستابل، كان له نصيب في اللوحات التاريخية) ولكنهما فيما قدما من رسومات للمناظر الطبيعية خلقا أنظمة من الرموز تعمل مثل الأدب من دون أن تستخدم أو تقلد الأدب. وبالفعل فإن بولسون يظهر كيف تحولت الجدية وضخامة الحجم اللتان ميزتا الرسم التاريخي تراثيًا على يد تيرنر وكونستابل بطرق مختلفة إلى ذلك النوع المسمى بالمنظر الطبيعي الذي كان محدودًا في

(٥٠) انظر:

Ronald Paulson, *Literary landscape: Turner and Constable*, New Haven, CT: Yale University Press, 1982, p. 5.

الماضى،<sup>(٥١)</sup> حيث تظهر الميزة الملحمية لأعمال كونستيبيل بوضوح على سبيل المثال فيما أطلق على رسوماته الكبيرة في مرحلة متأخرة "سداسية الأقدام" وكانت لمناظر تبدو بسيطة في وادي ستور.

وحتى الرسم التاريخي (والذي ظل مهيمنا لدرجة أن فنانا في عصر متأخر مثل ديغا كان يمارسه في شبابه) طرأ عليه تحول. فرغم افتخار إنجرس بعمله كرسام للتاريخ، نجد أن معظم رسوماته التاريخية الطموحة لم تكن حقيقة مناظر ترسم النصوص الكلاسيكية (رغم أنه قام برسم مثل تلك اللوحات) ولكنها كانت أساسا احتفاء بقدرة العبقرية الفنية كما يمكن أن نلاحظ من عناوين مثل تمجيد هوميروس وفرجيل يقرأ الإنبياء ولويس الرابع عشر وموليير ولويجي شيروييني وملهمة الشعر الغنائي، وكلها بذلك تساهم في برنامج أشبه بذلك الخاص بالبحوث الجمالية لزمه في تحديد تلك المنطقة التي يصل فيها الفن إلى مكانة شبه دينية. لقد كان من ضمن موضوعات ديلاكروا عدد كبير من المناظر المستقاة من الأدب، وبهذا المعنى فقد واصل ذلك التراث التصويري الذي اعتمد على النصوص الأدبية (أهمها على الإطلاق الملاحم الشعرية لأرسطو وتأسو) منذ القرن السادس عشر. وبالفعل فقد ترك إنجرس وديلكرويه لوحات شهيرة تصور أنجليكا بطللة أرسطو.<sup>(٥٢)</sup> ولكن إذا ما لاحظنا التنوع الكبير في المشاهد الأدبية التي أعاد ديلكرويه إنتاجها - وقد تنوعت النصوص

(٥١) انظر:

Paulson, *Literary landscape*, pp. 63-73, 108-9, 133-9.

ورغم أن بولسون يكتفي في دراسته بهذين الرسامين البريطانيين، فإن كلامه ينطبق إلى حد كبير على الطريقة التي قام بها رسامون ألمان مثل كاسبير ديفيد فريدرش وفيليب أوتو رانج بإعادة تشكيل المنظر الطبيعي كنوع فني.

(٥٢) لدراسة حول لوحات أنجليكا من فترة الأسلوب المتكاف [الأسلوب الفني الذي ازدهر فيما بين عصر النهضة وما سمي بعصر الباروك. (مجدى وهبة، معجم المصطلحات الأدبية)] وحتى الفنانين الرومانسيين انظر:

Rensselaer W. Lee. *Names on trees: Ariosto into art*, Princeton, nj: Princeton University Press, 1977.

من الكوميديا الإلهية إلى هاملت (مشهدى موت أوفيليا وحفار القبور) وعطيل (والأخير توسطه أوبرا روسيني) وأعمال بايرون دون جوان ومارينو فاليريو وساردانابلوس ورواية سكوت إيفانهو - ندرك أن ديكرويه كان يسعى لما هو أكثر من سابقه من التصويريين، فقد كان يهدف إلى عمل نسخة بصرية من قائمة الأعمال الأدبية المنتقاة، وليقدم، مثل إنجرس (وإن كان بمزيد من النجاح) دليلاً أكبر على ما اعتبره الوجود المتعالى للنصوص العظيمة.

وتجد قابلية التبادل ما بين الأشكال الفنية تجسيدا لها في إحدى الأدوات البلاغية، وهي تراسل الحواس والتي بمقتضاها يتحول عضو الإحساس الذي نستخدمه لاختبار شيء معين (مثلا سماع الأوتار) عن قصد إلى شيء آخر (رائحة الألوان). ورغم أن هذا الأسلوب، كغيره كثير، يرجع إلى هوميروس والكتاب المقدس، فإنه لم يكن له اسم معين ولا كان استخدامه شائعا حتى القرن التاسع عشر. ونجد في فقرة وجيزة من كتابات هوفمان الموسيقية البذور الأولى لما تطور بعد ذلك في تاريخ الأدب: فنجد يوهانز كريسلر ذلك الموسيقي غريب الأطوار، والأنا العليا للمؤلف، يستغرق في حلم يقظة بعد سماعه "الكثير من الموسيقى" ليجد "الألوان والأصوات والروائح تتداخل"، فتمتزج رائحة القرنفل القاني مع صوت المزمار القادم من بعيد (56) ('*Kreiseriana*', *Werke*, I: 56) ويقتبس بودلير هذه الفقرة في صالونه في ١٨٤٦ معترضا على "غياب اللحن" عند الرسامين الشباب، وممتدحا ديلاكروا "ألوانه الشجية".<sup>(٥٣)</sup> وقد ساهمت هذه الفقرة كذلك في توليد قصيدتين تصويريتين على شكل سوناتا - فجاءت أولا قصيدة بودلير "تتاظرات" والتي لا تردد فحسب صور هوفمان إنما تضيف بعضا من الصور المركبة "بمزمار أخضر كالمروج"، وثانيا قصيدة رمبو

(٥٣) انظر:

Charles Baudelaire, *Oeuvres complètes*, Y.-G. le Dantec (ed.), Paris: Gallimard, 1951, pp. 606-7.

"الحروف المتحركة"، والتي يظهر فيها الخلط بين الحواس أكثر من السوناتا السابقة فتعين ألوانا للحروف المتحركة، وتخلق معطفا مخمليا من الذباب وتمنح رماحا لنهر الجليد.<sup>(٥٤)</sup> وعلى أثر تجارب بودلير ورامبو أصبحت اللغة الأدبية قادرة على تأكيد سيادتها على الأشياء التي كانت في الماضي تزعم محاكاتها. وعن طريق تراسل الحواس كذلك استطاع الأدب تأكيد سيادته مرة أخرى على غيره من الفنون، فهو يستطيع بتلك العلامات العشوائية التي بحوزته أن يمزج الكلمات المرتبطة بالوسائل المختلفة بعنجهية لا يمكن للوسائل الأخرى أن تضاهيها.

لقد كان التبادل ما بين الأشكال الفنية المختلفة، بل لنقل تعدى الحدود بين فن وآخر، خلال الفترة الرومانسية منعكسا في تبادلات وتعدييات مشابهة بين الأنواع الفنية المختلفة المنتمية لكل فن. فمع تحطم النظام الكلاسيكي الذي حافظ على مكانه منذ عصر النهضة، أصبح تعدى الحدود التي فصلت طويلا ما بين الأنواع الشعرية عملا موازيا لتعدى الحدود بين الأشكال الفنية. وفي النظرية الرومانسية الألمانية على سبيل المثال نجد الرواية وقد بدت كموقع مميز يمكن فيه للأنواع التي انفصلت طويلا عن بعضها أن تتداخل بسهولة. "الرواية كتاب رومانسي" كما تقول إحدى شخصيات فريدريش شليجل في حوار حول الشعر مضيفة "لا يمكنني تصور الرواية على أنها أي شيء غير مزيج من الحكى والغناء وغير ذلك من الأشكال" (*Charakteristiken und Kritiken*, pp. 335, 336) لم يتوقف الأمر عند ظهور

(٥٤) انظر

Baudelaire, *Oeuvres complètes*, p. 85, and Arthur Rimbaud, *Oeuvres complètes*. Roland de Renéeville and Jules Mouquet (eds.), Paris: Gallimard, 1951, p. 103.

يقتبس بودلير الثمانية في سوناتا "المطابقات" في مقاله: "Richard Wagner and Tannhäuser in Paris" ليقدم الصور البصرية التي خلقها في عقله موسيقى فاجنر وليسزت (p.1043). وحين يكتب عن ديلاكروا في عرض للوحاته (p.700) ولقصيدته "المنارات" (p.87) يقارن تأثير ألوان الرسام واللحن الذي يعزفه فير.

تجميعات جديدة للأنواع الفنية، ولكن الترتيب القيمي التقليدي للأنواع الفنية تغير بشكل جذري. فيمكننا على سبيل المثال الحديث عن ارتفاع بالأنواع الدنيا إلى مكانة عليا. ومن هنا نجد لوحات المناظر الطبيعية، كما أشرت من قبل، وقد اتخذت بعضا من الوظائف والمدى والجدية التي طالما ارتبطت بالرسم التاريخي، والذي كان النوع الأرقى في هذا المجال. ونجد عملية مشابهة يمكن أن نطلق عليها "خلق أبطال" في أشكال فنية أخرى حول العام ١٨٠٠. فالحكاية الغنائية الفلكلورية والتي كانت تعتبر من الأنواع المتدنية فيما مضى اكتسبت أبعادا هائلة من حيث الطول والمدى الفلسفي، وذلك في العام ١٧٩٨ في الحكايات الغنائية التي كتبها جوته وشيلر وعند كوليريدج في "أغنية البحار القديم". أما وردزورث فيعلن أن قصيدته الطويلة "استهلال" هي "في الحقيقة حجة بطولية"<sup>(٥٥)</sup> فقد أخذ وردزورث التنظيم والنظم الشعري وجدية التناول في الملحمة، أعلى الأنواع الأدبية، وطوعها لتحمل سردا ذاتيا مهووسا بالمناظر الطبيعية. أما السيمفونية والتي كانت تعتبر فيما مضى مجرد نوع من الترفيه الموسيقي أكثر تواضعا في طموحها حتى من الموشح الديني أو المسلسلات الأوبرالية تحولت بضربة عصاه فعليا إلى دور البطولة حين ألف بيتهوفن الأوركا في ١٨٠٣.

### خرافة الوحدة

يكمن خلف الإزاحات والتبادلات ما بين الأنواع والأشكال الفنية المختلفة حلم يتردد كثيرا من أجل وحدة الفنون المختلفة. وفيما اقتبسناه عن شيلر في بداية هذا الفصل تعبير عن هذه الرغبة ولكن بالطبع من دون أي نية للقيام شخصيا بتطبيقها. وبعد ذلك بقرن من الزمان وفي ختام المحاضرات الجامعية التي نشرت بعد وفاته في

(٥٥) انظر:

William Wordsworth, *The prelude*, Jonathan Wordsworth, M. H. Abrams and Stephen Gill (eds.), New York: Norton, 1979, p. 100 (1805 version, book iii, line 182).



كتاب **فلسفة الفن** نجد شيلينج يطرح وحدة للفنون يمكن تصور تحققها في شكل ملموس عن طريق العرض المسرحي: "إن التكوين الأمثل لكل الفنون، وحدة الشعر والموسيقى في الغناء، ووحدة الشعر والرسم في الرقص، ثم دمج كليهما معا، هو التجلي المسرحي الأكثر تعقيدا والذي كان عليه المسرح عند القدماء." (p.280) ورغم الحنين البادى لتلك الوحدة المفترض أن المسرح اليوناني كان مثالا لها، يتدارك شيلينج سريعا النوع الحى المنحدر عن المسرح اليوناني "لم يبق لنا سوى تشويه كاريكاتورى هو الأوبرا والتي يمكنها إذا ما تبنت أسلوبا أعلى وأنبل من ناحية الشعر وكذلك من ناحية الفنون المنافسة الأخرى أن نقودنا إلى تلك العروض للمسرح القديم بما في ذلك الموسيقى والغناء."

ورغم أن الأرجح أن فاجنر لم يكن على علم بهذه المحاضرات والتي لم تكن قد نشرت عندما قام بالتنظير لما يسمى العمل الفنى الشامل *Gesamtkunstwerk* حوالى العام ١٨٥٠، فإن المهمة التى وضعها لنفسه كانت العودة بالشكل متعدد الوسائط الذى وصفه شيلينج بالكاريكاتور، أى الأوبرا، إلى المكانة الرفيعة التى كانت عليها على الأرجح فى زمن القدماء. ولكن بقراءة جماليات فاجنر يتضح بلا أى مجال للخطأ أن الوحدة التى يطرحها فاجنر للفنون هى فى الأساس وحدة تركز على بسيط وحيد وهو الدراما. فى كتابه **العمل الفنى فى المستقبل** وفى معرض وصفه للإجراءات التى سيستخدمها الفنان المثالى فى المستقبل من أجل خلق عمله، يكتب فاجنر: "الفضاء الذى ستتحقق فيه هذه العملية المذهلة هو خشبة المسرح، والعمل الفنى الكلى الذى ستجلبه إلى الأضواء هو الدراما" (*Gesammelte Schriften, X: 167*). ويمكن رؤية نظرية فاجنر على أنها، أساسا، نظرية للدراما، وتحديدًا للعرض الدرامى، والتي يستخدم فيها إمكانات الأشكال الفنية المختلفة لتحقيق علاقة معينة ما بين الجمهور والحدث الدرامى الممثل على خشبة المسرح. وفى مسألة تفضيل فاجنر لنوع بعينه، فإن نظريته لا تختلف كثيرا عن نظرية ليسينج والذى حاول وضع حدود

صارمة بين الفنون انطلاقاً من رغبته في تمييز العنصر الدرامي الموجود في شكلين من الفنون هما الشعر والرسم اللذان يركز عليهما: فليسنج يطالب الرسام أن يشكل مشهده حول "أكثر اللحظات المليئة" في حكايته ( *Laocoon, ch. 16; Werke, p.117* ) وأن يتجنب الشاعر الوصف الزائد مفضلاً الاقتصاد، في محاولة، كنظرية فاجنر، لخلق علاقة درامية بالأساس ما بين الجمهور والعمل. ولم تكن مصادفة كذلك أن كلا من هذين المنظرين سعى إلى النجاح في ممارسة المسرح.

وأنا أؤكد هنا على التشابهات الكامنة بين نظريتين عادة ما حسبتا على أنهما على طرفي نقيض، وهدفى هنا هو طرح التساؤل حول ما إذا كان الحد الفاصل في العلاقة بين الفنون عند نهاية القرن الثامن عشر كان بالحدة التي وصف بها عند أجيال متعاقبة. فعندما ننظر للخلف من موقعنا الحالي، نرى أن الانقطاعات التي شهدتها القرن الحالي فيما بين الأشكال الفنية وفي تعريف الفن تبدو أكثر جذرية بكثير مما حدث من قبل وذلك على الرغم من ادعاءات بعض الفنانين و المنظرين. فأيًا كانت المحاولات التي بذلها بيرليوز من أجل تطويع شكسبير وسكوت في عمله الملك لير وروب روى فإن المستمعين ممن لا يأخذون دليل البرنامج بجدية سيعتبرون على الأغلب أن كلا من هاتين القطعتين أساساً نوع من الافتتاح الموسيقي التي يبدأ بها الحفل السيمفوني. ومهما كان تميز وصعوبة أسلوب فاجنر فإن الأربعة أعمال التي تشكل "خاتم نيبيلونجن" *Der Ring des Nibelungen* تنتمي بوضوح لنفس النوع الفني الذي ينتمي له عمل يكن له فاجنر كثيرًا من الاحتقار هو "النبى" *Le prophete* لميربيرير والذي تضمن رقص باليه على الجليد وبذلك تضمن نوعاً فنياً إضافياً أخضعه فاجنر لتحولات الأنواع الفنية عنده في المنجزات الرياضية التي تقوم بها فتيات الراين المترقصات وأهل الفالكار وهم يقودون خيولهم بين القمم الوعرة.

وعلى النقيض من القرن التاسع عشر يطرح زماننا أسئلة جديدة وأكثر حدة حول العلاقة بين الأشكال الفنية والأنواع الفنية وحول ما يمكن أن يدخل في إطار

مجال الفن. ولنرصد تلك التحديات النموذجية مثل : إعادة صياغة الحدود بين الفن وعالم الطبيعة فى "أعمال الأرض" لروبرت سميثسون مثل حاجز المياه الحزوني فى البحيرة المالحة الكبرى (١٩٧٠)؛ ورفض ميريس كانيجهام أن يقدم رقصاته مع الموسيقى "المصاحبة" لها؛ وإعادة صياغة جون كيدج لدور الفنان المبدع فى "عمليات الصدفة" التى استخدمها لخلق موسيقاه وفنه المرسوم ونصوصه المكتوبة؛ وغزو النص المكتوب باستمرار لأشكال الفنون البصرية من فن الكولاج (المصقفة) عند بيكاسو وباراك إلى لوحات جاسبر جونز المرقمة إلى جينى هولزر والعرض الإلكتروني المتغير لنصوصها المكتوبة؛ وإدخال التكنولوجيا الجديدة إلى الفنون البصرية - من فوتوغرافيا وسينما وفيديو وإعلانات ضوئية عادة مختلطة بعضه مع بعض - من مواد بصرية تقليدية أو عناصر من وسائط أخرى مثل الموسيقى والشعر - وكلها تتحدى بوضوح أى تصنيف سعى الفن يوما إلى إقراره.<sup>(٥٦)</sup> فإذا كانت التغيرات فى نظرية الفنون وممارستها التى حدثت منذ حوالى مائتى عام لم تعد تبدو ثورية كما كانت يوما، فرما يكون هذا ببساطة لأن الثورات الحديثة تبدو لنا أكثر إثارة مما قبلها. ولكن بما يملكه النظر إلى الماضى من بصيرة ربما بعد بضعة أجيال سنكون (أو بالأحرى سيكون غيرنا) قادرين على رؤية ما يسمى الآن بتطورات ما بعد حداثة باعتبارها التطور المتوقع للخلقة التى بدأها الرومانسيون الأوائل.

(٥٦) للمزيد حول الدلالة التاريخية لبعض هذه التطورات انظر:

Marjorie Perloff, *The futurist moment: avant-garde, avant guerre, and the language of rupture*, Chicago, il: University of Chicago Press, 1986, and *Radical artifice: writing poetry in the age of media*, Chicago, il: University of Chicago Press, 1991.



## ببليوجرافيا

## I Classical standards in the period

## Primary sources

- Blake, William, *The poetry and prose of William Blake*, David V. Erdman (ed.), Garden City, NY: Doubleday, 1970.
- Coleridge, Samuel Taylor, *Biographia literaria*, George Watson (ed.), New York: Everyman, 1971.
- Goethe, Johann Wolfgang, 'On German architecture', in *Essays on art and literature*, John Gearey (ed.), Ellen and Ernest von Nordhoff (trans.), New York: Suhrkamp, 1986.
- Keats, John, *The poems of John Keats*, Jack Stillinger (ed.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1978.
- Pfotenhauer, Helmut von and Peter Sprengel (eds.), *Klassik und Klassizismus*, Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1995.
- Schiller, Friedrich, *On the aesthetic education of man*, Reginald Snell (trans.), New York: Ungar, 1965.
- Schlegel, August Wilhelm, *A course of lectures on dramatic art and literature*, John Black (trans.), London: Bohn, 1846.
- Schlegel, Friedrich, *Dialogue on poetry and literary aphorisms*, Ernst Behler and Roman Struc (trans.), Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1968.
- Shelley, Percy Bysshe, *The complete poetical works of Percy Bysshe Shelley*, Neville Rogers (ed.), vol. II, Oxford: Clarendon Press, 1975.
- Shelley's poetry and prose*, Donald Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1977.
- Southey, Robert (ed.), *Specimens of the later English poets*, 3 vols., London: Longman, 1807.
- Staël, Madame de, *Germany*, 2 vols., London: John Murray, 1814.
- Stendhal, *Racine et Shakespeare*, Henri Martineau (ed.), Paris: Le Divan, 1928 (trans. Guy Daniels, *Racine and Shakespeare*, New York: Crowell-Collier Press, 1962).
- Wordsworth, William, *The prose works of William Wordsworth*, Alexander Balloch Grosart (ed.), rev. edn, vol. II, London: E. Moxon, 1967, 3 vols.
- Wordsworth: poetical works*, Thomas Hutchinson (ed.), Ernest de Selincourt (rev. edn), London: Oxford University Press, 1974.
- Wordsworth, William and Dorothy, *The letters of William and Dorothy Wordsworth: the middle years, part I: 1806-11*, Ernest de Selincourt (ed.), Mary Moorman (rev.), Oxford: Clarendon Press, 1969.

- The letters of William and Dorothy Wordsworth: the later years, part 1: 1821-28*, Ernest de Selincourt (ed.), Alan G. Hill (rev.), 2nd edn, Oxford: Clarendon Press, 1978.
- The letters of William and Dorothy Wordsworth: the later years, part 11: 1829-34*, Ernest de Selincourt (ed.), Alan G. Hill (rev.), Oxford: Clarendon Press, 1979.
- Wolf, F. A., *Prolegomena to Homer* (1795) (with introduction and notes) Anthony Grafton, Glenn W. Most and James E. G. Zetzel (trans.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1985.

### Secondary sources

- Abrams, M. H., *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Oxford University Press, 1953.
- Amarasinghe, Upali, *Dryden and Pope in the early nineteenth century*, Cambridge University Press, 1962.
- Barzun, Jacques, *Classic, Romantic, and Modern*, New York: Doubleday, 1961.
- Bate, Walter J., *From Classic to Romantic: premises of taste in eighteenth century England*, New York: Harper, 1946.
- Bate, Walter J. (ed.), *Criticism: the major texts*, New York: Harcourt, Brace, 1970.
- Behler, Ernst, 'The origins of Romantic literary theory', *Colloquia Germanica* 2 (1968), pp. 109-26.
- 'The impact of Classical antiquity on the formation of the Romantic literary theory of the Schlegel brothers', in *Classical models in literature*, Zoran Konstantinovic, Warren Anderson and Walter Dietze (eds.), (Proceedings of the 19th Congress of the International Comparative Literature Association), Innsbruck: Institut für Sprachwissenschaft der Universität Innsbruck, 1981, pp. 139-43.
- 'Problems of origin in literary history', in *Theoretical issues in literary history*, David Perkins (ed.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991.
- Bialostosky, Don H. and Lawrence D. Needham (eds.), *Rhetorical traditions and British Romantic literature*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1995.
- Brown, Huntington, *The Classical tradition in English literature: a bibliography*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1935.
- Bush, Douglas, 'Wordsworth and the classics', *University of Toronto quarterly* 2 (1933), pp. 359-79.
- Mythology and the Romantic tradition in English poetry*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1937.
- Butler, E. M., *The tyranny of Greece over Germany: a study of the influence exercised by Greek art and poetry over the great German writers of the eighteenth, nineteenth and twentieth centuries*, Cambridge University Press, 1935.
- Elisratova, A. and E. Rona, 'Romantic writers and the Classical literary heritage', in *European Romanticism*, I. Soter, I. Neupokoyeva and E. Rona (eds.), Budapest: Akadémiai Kiadó, 1977, pp. 91-126.
- Emmersleben, August, *Die Antike in der romantischen Theorie: die Gebrüder Schlegel und die Antike*, Berlin: Ebering, 1937.

- Engell, James, *Forming the critical mind: Dryden to Coleridge*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989.
- Erskine-Hill, Howard, *The Augustan idea in English literature*, London: Arnold, 1983.
- Flagg, John S., 'Shelley and Aristotle: elements of the *Poetics* in Shelley's theory of poetry', *Studies in Romanticism* 9 (1970), pp. 44-67.
- Foerster, Donald M., *Homer in English criticism: the historical approach in the eighteenth century*, New Haven, CT: Yale University Press, 1947.
- Foster, Gretchen M. (ed.), *Pope versus Dryden: a controversy in letters to the Gentleman's magazine 1789-91*, Victoria, BC: English Literary Studies, 1989.
- Gleckner, Robert F. and Gerald Enscoe (eds.), *Romanticism: points of view*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1962.
- Goldberg, M. A., *The poetics of Romanticism: toward a reading of John Keats*, Yellow Springs, OH: Antioch Press, 1969.
- Graver, Bruce, 'Wordsworth's georgic beginnings', *Texas studies in literature and language* 33 (1991), pp. 137-59.
- Hartmann, Heinrich, *Lord Byrons Stellung zu den Klassizisten seiner Zeit*, Bortrop: Postberg, 1932.
- Hayden, John O., *Polestar of the ancients: the Aristotelian tradition in Classical and English literary criticism*, Newark, DE: University of Delaware Press, 1979.
- Hedge, Frederic Henry, 'Classic and Romantic', *Atlantic monthly* 57 (1886), pp. 309-16.
- Heussler, Alexander, *Klassik und Klassizismus in der deutschen Literatur: Studie über zwei literarhistorische Begriffe*, Bern: Haupt, 1952.
- Hight, Gilbert, *The Classical tradition: Greek and Roman influences on Western literature*, New York: Oxford University Press, 1957.
- Körner, Josef, *Romantiker und Klassiker: die Brüder Schlegel in ihren Beziehungen zu Schiller und Goethe*, Berlin: Askanischer Verlag, 1924.
- Lange, Victor, 'Friedrich Schlegel's literary criticism', *Comparative literature* 7 (1955), pp. 289-305.
- Levin, Harry, *The broken column: a study in Romantic Hellenism*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1931.
- Lovejoy, Arthur O., 'On the meaning of "Romantic" in early German Romanticism' *MLN* 31 (1916), pp. 385-96.
- Essays in the history of ideas*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1948.
- MacClintock, W. D., 'The Romantic and the Classical in English literature', *The Chautauquan* 14 (1891), pp. 187-91.
- McKillop, Alan Dugald, *English literature from Dryden to Burns*, New York: Appleton Century Crofts, 1948.
- Miles, Josephine, *The primary language of poetry in the 1740s and 1840s*, Berkeley, CA: University of California Press, 1950.
- Montgomery, Marshall, *Friedrich Hölderlin and the German neo-Hellenic movement*, Oxford University Press, 1923.

- Moreau, Pierre, *Le classicisme des romantiques*, Paris: Librairie Plon, 1932.
- Nitchie, Elizabeth, 'Virgil and Romanticism', *Methodist review* 113 (1930), pp. 859-67.
- Nottelmann-Feil, Mara, *Ludwig Tiecks Rezeption der Antike: literarische Kritik und Reflexion griechischer und römischer Dichtung im theoretischen und poetischen Werk Tiecks*, Frankfurt am Main: Peter Lang, 1996.
- Parker, Mark, 'Measure and counter-measure: the Lovejoy-Wellek debate and Romantic periodization', in *Theoretical issues in literary history*, David Perkins (ed.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991, pp. 227-47.
- Paulson, Ronald, *Breaking and remaking: aesthetic practice in England 1700-1820*, New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1989.
- Richter, Helene, 'Byron: Klassizismus und Romantik', *Anglia* 48 (1924), pp. 209-57.
- Schultz, Franz, *Klassik und Romantik der Deutschen. Erster Teil: die Grundlagen der klassisch-romantischen Literatur*, Stuttgart: Metzler, 1935.
- Stephens, John C., '“Classic” and “Romantic”', *Emory University quarterly* 15 (1959), pp. 212-19.
- Stern, Bernard S., *The rise of Romantic Hellenism in English literature 1732-86*, Menasha, WI: George Banta, 1940.
- Szondi, Peter, 'Antike und Moderne in der Ästhetik der Goethezeit', in *Poetik und Geschichtsphilosophie* 1, Senta Metz and Hans-Hagen Hildebrandt (eds.), Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974, pp. 11-265.
- Thayer, Mary R., *The influence of Horace on the chief English poets of the nineteenth century*, New Haven, CT: Yale University Press, 1916.
- Van Rennes, Jacob Johan, *Bowles, Byron, and the Pope controversy*, Norwood, PA: Norwood Editions, 1927.
- Vines, Sherard, *The course of English Classicism from the Tudor period to the Victorian age*, London: Hogarth Press, 1930.
- Vogler, Thomas A., 'Romanticism and literary periods: the future of the past', *New German critique* 38 (1986), pp. 131-60.
- Walzel, Oskar, *German Romanticism*, Alma Elise Lussky (trans.), New York: Putnam's Sons, 1932.
- Webb, Timothy, 'Romantic Hellenism', in *The Cambridge companion to British Romanticism*, Stuart Curran (ed.), Cambridge University Press, 1993, pp. 148-76.
- Weisinger, Herbert, 'English treatment of the Classical-Romantic problem', *Modern language quarterly* 7 (1946), pp. 477-88.
- Wellek, René, *The rise of English literary history*, Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1941.
- 'The concept of "Romanticism" in literary history: the term "Romantic" and its derivatives', *Comparative literature* 1 (1949), pp. 1-23.
- A history of modern criticism: 1750-1950*, vol. 11: *The Romantic age*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.
- 'German and English Romanticism', *Studies in Romanticism* 4 (1964), pp. 35-56.
- Wood, Paul S., 'The opposition to neo-Classicism in England between 1660 and 1700', *PMLA* 43 (1928), pp. 182-97.



## 2 Innovation and modernity

### Primary sources

- Baudelaire, Charles, *Baudelaire as a literary critic: selected essays*, Lois Boe Hyslop and Francis E. Hyslop, Jr (trans.), University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1964.
- Oeuvres complètes*, Claude Pichois (ed.), 2 vols., Paris: Gallimard, 1976, vol. II.
- La Fanfarlo*, Greg Boyd (trans.), Kendall E. Lappin (ed.), Berkeley: Donald S. Ellis, 1986.
- Chateaubriand, François-René de, *Génie du christianisme, ou, beautés de la religion chrétienne*, Paris: Migneret, 1802 (trans. Frederic Shoberl, *The beauties of Christianity*, Philadelphia, PA: Carey, 1815).
- Delacroix, Eugène, *The journal of Eugène Delacroix*, Walter Pach (trans.), New York: Crown, 1948.
- Du Bos, Jean-Baptiste, *Critical reflections on poetry, painting, and music*, New York: AMS Press, 1978.
- Foscolo, Ugo, *Ugo Foscolo's 'Ultime lettere di Jacopo Ortis': a translation*, Douglas Radcliff-Umstead (trans.), Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1970.
- Goethe, Johann Wolfgang von, *The sorrows of young Werther. The new Melusina. Nouvelle*, Victor Lange (trans.), New York: Holt, Rinehart and Winston, 1967.
- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1975, vol. 1.
- Manzoni, Alessandro, *Scritti di teoria letteraria*, Adelaide Sozzi Casanova (ed.), Milan: Rizzoli, 1981.
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, Paul Kluckhohn and Richard H. Samuel (eds.), 5 vols., Stuttgart: Kohlhammer, 1960-88.
- Novalis Werke*, Gerhard Schulz (ed.), Munich: Beck, 1987.
- Schlegel, Friedrich, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler (ed.), 35 vols., Paderborn: Schöningh, 1958-79.
- Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991.
- Straël, Madame de, *De la littérature considérée dans ses rapports avec les institutions sociales*, Paris: Maradan, 1800 (trans. Daniel Boileau, *The influence of literature upon society*, Boston, MA: Wells & Wait, 1813).

### Secondary sources

- Behler, Ernst, *Studien zur Romantik und zur idealistischen Philosophie*, Paderborn: Schöningh, 1988.
- Unendliche Perfektibilität: europäische Romantik und französische Revolution*, Paderborn: Schöningh, 1989.
- Frühromantik*, Berlin: Walter de Gruyter, 1992.
- Behler, Ernst and Jochen Hörisch, *Die Aktualität der Frühromantik*, Paderborn: Schöningh, 1987.

- Benjamin, Walter, *Illuminations*, Hannah Arendt (ed.), Harry Zohn (trans.), New York: Schocken, 1969.
- The concept of criticism in German Romanticism, in *Selected writings*, vol. 1: 1913-26, Marcus Paul Bullock and Michael W. Jennings (eds.), Cambridge, MA: Belknap Press, 1996, pp. 116-200.
- Bloom, Harold, *Kabbalah and criticism*, New York: Seabury Press, 1975.
- Brown, Marshall, *The shape of German romanticism*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1979.
- 'Romanticism and enlightenment', in *The Cambridge companion to British Romanticism*, Stuart Curran (ed.), Cambridge University Press, 1993, pp. 25-47.
- Castex, Pierre-Georges, *Baudelaire critique d'art*, Paris: Sedes, 1969.
- De Paz, Alfredo, *Europa romantica: fondamenti e paradigmi della sensibilità moderna*, Naples: Liguori, 1994.
- Dierkes, Häs, *Literaturgeschichte als Kritik: Untersuchungen zu Theorie und Praxis von Friedrich Schlegels frühromantischer Geschichtsschreibung*, Tübingen: Niemeyer, 1980.
- Flitter, Derek, *Spanish Romantic literary theory and criticism*, Cambridge University Press, 1992.
- Gusdorf, Georges, *Fondements du savoir romantique*, Paris: Payot, 1982.
- Lacoue-Labarthe, Philippe and Jean-Luc Nancy, *L'absolu littéraire: théorie de la littérature du romantisme allemand*, Paris: Editions du Seuil, 1978 (trans. Philip Barnard and Chérel Lester, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Albany, NY: State University of New York Press, 1988).
- Paz, Octavio, *La otra voz: poesía y fin de siglo*, Barcelona: Seix Barral, 1990 (trans. Helen Lane, *The other voice: essays on modern poetry*, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1991).
- Rincé, Dominique, *Baudelaire et la modernité poétique*, Paris: Presses Universitaires de France, 1984.
- Schaeffer, Jean-Marie, *La naissance de la littérature: la théorie esthétique du romantisme allemand*, Paris: Presses de l'Ecole Normale Supérieure, 1983.
- Van Tieghem, Paul, *Le romantisme dans la littérature européenne*, Paris: Michel, 1948.
- Wellek, René, *A history of modern criticism: 1750-1950*, vol. II: *The Romantic age*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.

### 3 The French Revolution

#### Primary sources

- Armstrong, Nancy, *Desire and domestic fiction: a political history of the novel*, New York: Oxford University Press, 1987.
- Blake, William, *The complete poetry and prose of William Blake*, rev. edn, David V. Erdman and Harold Bloom (eds.), Berkeley, CA: University of California Press, 1982.
- Campbell, Thomas, *Specimens of the British poets: with biographical and critical notices, and an essay on English poetry*, 7 vols., London: John Murray, 1819.

- Coleridge, Samuel Taylor, 'On the principles of genial criticism', in *Biographia literaria, edited with his aesthetical essays*, John Shawcross (ed.), 2 vols., Oxford University Press, 1962.
- Lay sermons*, Reginald James White (ed.), London: Routledge & Kegan Paul, 1972.
- Biographia literaria, or, biographical sketches of my literary life and opinions*, James Engell and Walter Jackson Bate (eds.), 2 vols., London: Routledge & Kegan Paul, 1983.
- De Quincey, Thomas, *Collected Writings*, new edn, David Masson (ed.), 14 vols., Edinburgh: Adam & Charles Black, 1889-90.
- Fichte, Johann Gottlieb, *Addresses to the German nation*, George Armstrong Kelly (ed.), New York & Evanston, IL: Harper & Row, 1968.
- Gibbon, Edward, *An essay on the study of literature*, New York: Garland, 1970.
- Hazlitt, William, *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967.
- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1975, vol. 1.
- Heine, Heinrich, *The Romantic school and other essays*, Jost Hermand and Robert C. Holub (eds.), The German library 33, New York: Continuum, 1985.
- Jeffrey, Francis, *Contributions to the Edinburgh Review*, Boston: J. C. Derby, 1854.
- Lanson, Gustave, *Histoire de la littérature française, remaniée et complétée pour la période 1850-1950*, Paul Tuffray (ed.), Paris: Hachette, 1952.
- Rutherford, Andrew (ed.), *Byron: the critical heritage*, New York: Barnes and Noble, 1970.
- Sainte-Beuve, Charles Augustin, *Chateaubriand et son groupe littéraire sous l'empire: cours professé à Liège en 1848-1849*, Maurice Allem (ed.), 2 vols., Paris: Garnier, 1948.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph, 'On Dante in relation to philosophy', and 'The philosophy of art', in David Simpson (ed.), *The origins of modern critical thought: German aesthetic and literary criticism from Lessing to Hegel*, Cambridge University Press, 1988, pp. 232-47.
- Schiller, Friedrich, *On the aesthetic education of man*, Elizabeth M. Wilkinson and L. A. Willoughby (ed. and trans.), Oxford: Clarendon Press, 1967.
- Schlegel, August Wilhelm von, *A course of lectures on dramatic art and literature*, John Black (trans.), Alexander James William Morrison (ed.), London: Bohn, 1846.
- Schlegel, Friedrich von, *Lectures on the history of literature, ancient and modern*, John Frost (ed.), Philadelphia, PA: Moss & Co., 1863.
- Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1971.
- Shelley, Percy Bysshe, *Shelley's poetry and prose: authoritative texts, criticism*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1977.
- Staël, Madame de, *The influence of literature upon society*, Daniel Boileau (trans.), 2nd ed., 2 vols., London: Henry Colburn, 1812.
- Taine, Hippolyte, *History of English literature*, Henri van Laun (trans.), 4 vols., Philadelphia, PA: Altamus, 1908.

Tocqueville, Alexis de, *Democracy in America*, 2 vols., New York: Vintage Books, 1945.

Träger, Claus and Frauke Schaefer (ed.), *Die französische Revolution im Spiegel der deutschen Literatur*, Frankfurt am Main: Röderberg, 1979.

Wordsworth, William, *The prose works of William Wordsworth*, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974.

### Secondary sources

Baer, Marc, *Theatre and disorder in late Georgian London*, Oxford: Clarendon Press, 1992.

Baldick, Chris, *The social mission of English criticism, 1848-1932*, Oxford: Clarendon Press, 1987.

Banks, Brenda, 'Rhetorical missiles and double-talk: Napoleon, Wordsworth, and the invasion scare of 1804', in *Romanticism, radicalism, and the press*, Stephen C. Behrendt (ed.), Detroit, MI: Wayne State University Press, 1997, pp. 103-19.

Behler, Ernst, 'Die Auffassung der Revolution in der deutschen Frühromantik', in *Essays on European literature in honor of Liselotte Dieckmann*, Peter Uwe Hohendahl, Herbert Lindenberger and Egon Schwarz (eds.), St Louis, MO: Washington University Press, 1972, pp. 191-215.

'Französische Revolution und Antikekult', in *Europäische Romantik 1*, Karl Robert Mandelkow (ed.), Neues Handbuch der Literaturwissenschaft 14, Wiesbaden: Athenaion, 1982, pp. 83-112.

*Unendliche Perfektibilität: europäische Romantik und französische Revolution*, Paderborn: Schöningh, 1989.

Brooks, Peter, *The melodramatic imagination: Balzac, Henry James, melodrama, and the mode of excess*, New Haven, CT: Yale University Press, 1976.

Butler, Marilyn, *Romantics, rebels, and reactionaries: English literature and its background, 1760-1830*, New York: Oxford University Press, 1981.

Carlson, Julie A., *In the theatre of Romanticism: Coleridge, nationalism, women*, Cambridge University Press, 1994.

• Dawson, P. M. S., 'Poetry in an age of revolution', in *The Cambridge companion to British Romanticism*, Stuart Curran (ed.), Cambridge University Press, 1993, pp. 48-73.

Deane, Seamus, *The French Revolution and Enlightenment in England, 1789-1832*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.

Eagleton, Terry, *The function of criticism*, London: Verso, 1984.

*The ideology of the aesthetic*, Oxford: Blackwell, 1990.

Fink, Gonthier-Louis, 'Die Revolution als Herausforderung in Literatur und Publizistik', in *Zwischen Revolution und Restauration: Klassik, Romantik 1786-1815*, Deutsche Literatur: eine Sozialgeschichte 5, Horst Albert Glaser (ed.), Reinbek: Rowohlt, 1980, pp. 110-29.

Fink, Gonthier-Louis (ed.), *Les romantiques allemands et la révolution française*, Strasbourg: Université des sciences humaines de Strasbourg, 1989.

Flitter, Derek, *Spanish Romantic literary theory and criticism*, Cambridge University Press, 1992.

- Fort, Bernadette (ed.), *Fictions of the French Revolution*, Evanston, IL: Northwestern University Press, 1991.
- Furet, François, *Interpreting the French Revolution*, Elborg Forster (trans.), Cambridge University Press, 1981.
- Furet, François and Mona Ozouf (eds.), *A critical dictionary of the French Revolution*, Arthur Goldhammer (trans.), Cambridge, MA: Belknap Press, 1989.
- Hanley, Keith and Ray Selden (eds.), *Revolution and English Romanticism: politics and rhetoric*, London: Harvester Wheatsheaf, 1990.
- d'Hondt, Jacques, 'Lumières et romantisme: le choc de la révolution', *Bulletin de la société américaine de philosophie de langue française* 2 (1990-91), pp. 115-26.
- Hunt, Lynn, *Politics, culture and class in the French Revolution*, Berkeley, CA: University of California Press, 1984.
- Klancher, Jon, 'Romantic criticism and the meanings of the French Revolution', *Studies in Romanticism* 28 (1989), pp. 463-91.
- Lacoue-Labarthe, Philippe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Philip Barnard and Cherele Lester (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Mellor, Horst, 'Die frühe Romantische Dichtung in England: die Geburt einer Romantik aus dem Geiste der Revolution', in *Europäische Romantik* 11, Klaus Heitmann (ed.), Neues Handbuch der Literaturwissenschaft 15, Wiesbaden: Athenaion, 1982.
- Ozouf, Mona, *Festivals and the French Revolution*, Alan Sheridan (trans.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.
- Paulson, Ronald, *Representations of revolution, 1789-1820*, New Haven: Yale University Press, 1983.
- Peers, E. Allison, *A history of the Romantic movement in Spain*, 2 vols., New York: Hafner, 1964.
- Rutherford, Andrew (ed.), *Byron: the critical heritage*, New York: Barnes & Noble, 1970.
- Sabin, Margery, *English Romanticism and the French tradition*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1976.
- Sayre, Robert, 'The young Coleridge: Romantic utopianism and the French Revolution', *Studies in Romanticism* 28 (1989), pp. 397-415.
- Simpson, David, *Wordsworth and the figurings of the real*, London: Macmillan, 1982.
- Wordsworth's historical imagination: the poetry of displacement*, London and New York: Methuen, 1987.
- Romanticism, nationalism, and the revolt against theory*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1993.
- The academic postmodern and the rule of literature: a report on half-knowledge*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1995.
- Welck, René, 'The concept of Romanticism in literary history', in *Concepts of criticism*, New Haven, CT: Yale University Press, 1963, pp. 128-98.
- A history of modern criticism: 1750-1950*, vol. 11: *The Romantic age*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.

#### 4 Transcendental philosophy and Romantic criticism

##### Primary sources

- Alison, Archibald, *Essays on the nature and principles of taste*, 1790, rpt. Hildesheim: Georg Olms, 1968.
- Arnold, Matthew, *The poems of Wordsworth*, London: Macmillan, 1879.
- Blair, Hugh, *Lectures on rhetoric and belles lettres*, 1783, rpt. Philadelphia: Troutman & Hayes, 1853.
- Coleridge, Samuel Taylor, *Biographia literaria, or, biographical sketches of my literary life and opinions*, James Engell and Walter Jackson Bate (eds.), 2 vols., London: Routledge & Kegan Paul, 1983.
- Hazlitt, William, *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., 1930-4, rpt. New York: AMS Press, 1967.
- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1975.
- Lectures on the philosophy of history*, J. Sibree (trans.), New York: Dover, 1956.
- Herder, Johann Gottfried, *Reflections on the philosophy of the history of mankind*, 1784-91, Frank E. Manuel (ed.), Chicago, IL: University of Chicago Press, 1968.
- Hume, David, *Essays moral, political and literary*, Eugene F. Miller (ed.), Indianapolis, IN: Liberty, 1985.
- Kames, Henry Home, Lord, *Elements of criticism*, 1785, 2 vols., rpt. New York: Garland, 1978.
- Kant, Immanuel, *The critique of judgement*, James Creed Meredith (trans.), Oxford: Clarendon Press, 1980.
- Mill, John Stuart, *Autobiography*, John M. Robson (ed.), London: Penguin, 1989.
- Nisbet, Hugh Barr (ed.), *German aesthetic and literary criticism: Winkelman, Lessing, Hamann, Herder, Schiller, Goethe*, Cambridge University Press, 1985.
- 'The oldest system-program of German idealism', in *Friedrich Hölderlin: essays and letters on theory*, Thomas Pfau (trans. and ed.), Albany, NY: State University of New York Press, 1987, pp. 154-6.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph, 'Concerning the relation of the plastic arts to nature', Michael Bullock (trans.), in *The true voice of feeling: studies in English Romantic poetry*, Herbert Read (ed.), London: Faber and Faber, 1968, pp. 323-58.
- System of transcendental idealism*, Peter Heath (ed.), Charlottesville, VA: University of Virginia Press, 1978.
- The philosophy of art*, Douglas W. Stott (ed. and trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989.
- Schiller, Friedrich, 'On the use of the chorus in tragedy', in *The dramas of Friedrich von Schiller*, R. D. Boylan (trans.), London: Bell, 1920, pp. 517-23.
- 'The stage as a moral institution', *Friedrich Schiller: an anthology for our time*, New York: Ungar, 1959.
- On the aesthetic education of man, in a series of letters*, Elizabeth M. Wilkinson and L. A. Willoughby (ed. and trans.), Oxford: Clarendon Press, 1967.

- Essays*, Walter Hinderer and Daniel O. Dahlstrom (eds.), The German library 17, New York: Continuum, 1995.
- Schlegel, Friedrich von, *Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1971.
- Über die Sprache und die Weisheit der Indier: ein Beitrag zur Begründung der Altertumskunde*, Amsterdam: Benjamins, 1977 (trans. E. J. Millington, *The aesthetic and miscellaneous works of Frederick von Schlegel*, London: Bohn, 1849).
- Schopenhauer, Arthur, *The world as will and representation*, E. F. J. Payne (trans.), 2 vols., New York: Dover, 1969.
- Simpson, David (ed.), *German aesthetic and literary criticism: Kant, Fichte, Schelling, Schopenhauer, Hegel*, Cambridge University Press, 1984.
- The origins of modern critical thought: German aesthetic and literary criticism from Lessing to Hegel*, Cambridge University Press, 1988.
- Straël, Madame de, *Germany*, 3 vols., London: John Murray, 1813.
- Wheeler, Kathleen (ed.), *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Cambridge University Press, 1984.
- Wordsworth, William, *The prose works of William Wordsworth*, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974.

#### Secondary sources

- Ashfield, Andrew and de Bolla, Peter (eds.), *The sublime: a reader in eighteenth-century British aesthetic theory*, Cambridge University Press, 1996.
- Ashton, Rosemary, *The German idea: four English writers and the reception of German thought, 1800-1860*, Cambridge University Press, 1980.
- Beck, Lewis White, 'German philosophy', in *The encyclopedia of philosophy*, Paul Edwards (ed.), 8 vols., New York: Macmillan, 1967, vol. III, pp. 291-309.
- Beiser, Frederick C., *The fate of reason: German philosophy from Kant to Fichte*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1987.
- Bowie, Andrew, *Aesthetics and subjectivity: from Kant to Nietzsche*, Manchester University Press, 1990.
- Brown, Marshall, *The shape of German Romanticism*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1979.
- Bubner, Rüdiger (ed.), *Das älteste Systemprogramm: Studien zur Frühgeschichte des deutschen Idealismus* (Hegel-Studien, suppl. no. 9), Bonn: Bouvier, 1973.
- Butler, Marilyn, *Romantics, rebels, and reactionaries: English literature and its background, 1760-1830*, New York: Oxford University Press, 1982.
- Butler, Marilyn (ed.), *Burke, Paine, Godwin, and the Revolution controversy*, Cambridge University Press, 1984.
- Cassirer, Ernst, *The philosophy of the Enlightenment*, Fritz C. A. Koelln and James P. Pettegrove, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1951.
- Caygill, Howard, *Art of judgement*, Oxford: Blackwell, 1989.
- A Kant dictionary*, Oxford: Blackwell, 1995.
- Cohen, Ted, and Paul Guyer (eds.), *Essays in Kant's aesthetics*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1982.

- Crawford, Robert, *Devolving English literature*, Oxford: Clarendon Press, 1992.
- Curran, Stuart (ed.), *The Cambridge companion to British Romanticism*, Cambridge University Press, 1993.
- Deane, Seamus, *The French Revolution and Enlightenment in England, 1789-1832*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.
- Eagleton, Terry, *The function of criticism*, London: Verso, 1984.
- The ideology of the aesthetic*, Oxford: Blackwell, 1990.
- Engell, James, *The creative imagination: Enlightenment to Romanticism*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1981.
- Gadamer, Hans-Georg, *Truth and method*, New York: Seabury Press, 1975.
- Guyer, Paul, *Kant and the claims of taste*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1979.
- Guyer, Paul (ed.), *The Cambridge companion to Kant*, Cambridge University Press, 1992.
- Henrich, Dieter, 'Beauty and freedom: Schiller's struggle with Kant's aesthetics', in *Essays in Kant's aesthetics*, Ted Cohen and Paul Guyer (eds.), Chicago, IL: University of Chicago Press, 1982, pp. 237-57.
- Lacoue-Labarthe, Philippe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German romanticism*, Philip Barnard and Cherel Lester (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Lytard, Jean-François, *Lessons on the analytic of the sublime*, Elizabeth Rottenberg (trans.), Stanford, CA: Stanford University Press, 1994.
- Man, Paul de, *Aesthetic ideology*, Andrzej Warminski (ed.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1996.
- McCormick, Peter J., *Modernity, aesthetics and the bounds of art*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1990.
- McFarland, Thomas, *Coleridge and the pantheist tradition*, Oxford: Clarendon Press, 1969.
- Nancy, Jean-Luc (ed.), *Du sublime*, Paris: Berlin, 1992.
- Orsini, Gian N. G., *Coleridge and German idealism: a study in the history of philosophy*, Carbondale, IL and Edwardsville, IL: University of Southern Illinois Press, 1969.
- Sabin, Margery, *English Romanticism and the French tradition*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1976.
- Schaper, Eva, *Studies in Kant's aesthetics*, Edinburgh University Press, 1979.
- 'Taste, sublimity and genius: the aesthetics of nature and art', in *The Cambridge companion to Kant*, Paul Guyer (ed.), Cambridge University Press, 1992, pp. 367-93.
- Simpson, David, Foreword, *The philosophy of art*, by Friedrich Wilhelm Joseph Schelling, Douglas W. Stott (ed. and trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989, pp. ix-xxiv.
- 'Romanticism, criticism and theory', in *The Cambridge companion to British Romanticism*, Stuart Curran (ed.), Cambridge University Press, 1993, pp. 1-24.
- Romanticism, nationalism and the revolt against theory*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1993.



- Taine, Hippolyte, *History of English literature*, Henri van Laun (trans.), 4 vols., Philadelphia, PA: Altemus, 1908.
- Thorslev, Peter, 'German Romantic idealism', in *The Cambridge companion to British Romanticism*, Stuart Curran (ed.), Cambridge University Press, 1993, pp. 74-94.
- Wellek, René, *Immanuel Kant in England, 1793-1838*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1931.
- A history of modern criticism: 1750-1950*, vol. 1: *The later eighteenth century*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.
- A history of modern criticism: 1750-1950*, vol. II: *The Romantic age*, New Haven: Yale University Press, 1955, 8 vols.
- Zammito, John H., *The genesis of Kant's 'Critique of judgment'*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1992.
- Žižek, Slavoj, *Tarrying with the negative: Kant, Hegel, and the critique of ideology*, Durham, NC: Duke University Press, 1993.

## 5 Nature

### Primary sources

- Blake, William, *Poetry and prose*, Geoffrey Keynes (ed.), Oxford University Press, 1946.
- Burke, Edmund, *A philosophical inquiry into the origins of our ideas of the sublime and beautiful*, James T. Boulton (ed.), London: Routledge and Kegan Paul, 1958.
- Hazlitt, William, *Selected writings*, Jon Cook (ed.), Oxford University Press, 1991.
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, Paul Kluckhohn and Richard H. Samuel (eds.), vols. I-III, Stuttgart: Kohlhammer, 1960-88, 5 vols.
- Schiller, Friedrich von, 'Über naive und sentimentalische Dichtung', in *Sämtliche Werke*, Herbert G. Göpfert (ed.), vol. v, Munich: Carl Hanser, 1960, pp. 694-780 (trans. Julius A. Elias, *Naïve and sentimental poetry, On the sublime*, New York: Frederick Ungar, 1966).
- Schlegel, Friedrich, 'Über das Studium der griechischen Poesie', in *Kritische Schriften und Fragmente: Studienausgabe in sechs Bänden*, Ernst Behler and Hans Eichner (eds.), 6 vols., Paderborn: Schöningh, 1988, I: 62-136.
- Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler (ed.), 35 vols., Paderborn: Schöningh, 1958-79.
- Wordsworth, William, *The prelude 1799, 1805, 1850: authoritative texts, contexts and reception, recent critical essays*, Jonathan Wordsworth, M. H. Abrams and Stephen Charles Gill (eds.), New York: Norton, 1979.

### Secondary sources

- Adorno, Theodor W., and Max Horkheimer, *Dialectic of Enlightenment*, John Cumming (trans.), London: Verso, 1997.

- Abrams, M. H., 'Structure and style in the greater romantic lyric', in *From sensibility to romanticism: essays presented to Frederick A. Pottle*, F. W. Hilles and Harold Bloom (eds.), Oxford University Press, 1965, pp. 527-60.
- Natural supernaturalism: tradition and revolution in Romantic literature*, New York: Norton, 1973.
- Bloom, Harold, 'The internalization of quest romance', *The Yale review* 58 (1969), pp. 526-36.
- Bolla, Peter de, *The discourse of the sublime: readings in history, aesthetics and the subject*, Oxford: Blackwell, 1989.
- Frank, Manfred, 'Philosophische Grundlagen der Frühromantik', *Athenäum* 4 (1994), pp. 37-130.
- Einführung in die frühromantische Ästhetik: Vorlesungen*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1989.
- Frye, Northrop, *A study of English Romanticism*, Brighton: Harvester Press, 1983.
- Furst, Lilian R., *Romanticism in perspective: a comparative study of the aspects of the Romantic movements in England, France and Germany*, London: Macmillan, 1969.
- Garber, Frederick, 'Nature and the Romantic mind: egotism, empathy, irony', *Comparative literature* 29 (1977), pp. 193-212.
- Hartman, Geoffrey H., *Wordsworth's poetry, 1787-1815*, New Haven, CT: Yale University Press, 1964.
- Hirsch, E. D., *Wordsworth and Schelling: a typological study of Romanticism*, New Haven, CT: Yale University Press, 1960.
- Lovejoy, Arthur, 'On the discrimination of Romanticisms', in *English Romantic poets: modern essays in criticism*, M. H. Abrams (ed.), New York: Oxford University Press, 1960, pp. 3-24.
- Man, Paul de, *The rhetoric of Romanticism*, New York: Columbia University Press, 1984.
- McFarland, Thomas, 'Wordsworth on man, on nature, and on human life', *Studies in Romanticism* 21 (1982), pp. 601-18.
- Modiano, Raimonda, *Coleridge and the concept of nature*, London: Macmillan, 1985.
- Monk, Samuel H., *The sublime: a study of the critical theories in eighteenth-century England*, Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1960.
- Pipkin, James (ed.), *English and German Romanticism: cross-currents and controversies*, Heidelberg: Winter, 1985.
- Rutter, Joachim, 'Landschaft: zur Funktion des Ästhetischen in der modernen Gesellschaft', in *Subjektivität: sechs Aufsätze*, Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1974.
- Weiskel, Thomas, *The Romantic sublime: studies in the structure and psychology of transcendence*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1976.
- Wellek, René, *A history of modern criticism: 1750-1950*, vol. 1: *The later eighteenth century*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.
- 'Romanticism re-examined', in *Romanticism reconsidered*, Northrop Frye (ed.), New York: Columbia University Press, 1963, pp. 107-34.
- Wimsatt, W. K., Jr, 'The structure of Romantic nature imagery', in *Romanticism and consciousness: essays in criticism*, Harold Bloom (ed.), New York: Norton, 1970, pp. 77-88.

## 6 Scientific models

### Primary sources

- Böhme, Jakob, *Sämmtliche Werke*, K. W. Schiebler (ed.), 7 vols., Leipzig: Barth, 1922.
- Carus, Carl Gustav, *Psyche: zur Entwicklungsgeschichte der Seele*, Pforzheim: Flammer und Hoffmann, 1846.
- Coleridge, Samuel Taylor, *Inquiring spirit: a new presentation of Coleridge from his published and unpublished prose writings*, Kathleen Coburn (ed.), London: Routledge & Paul, 1951.
- The notebooks of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.
- Collected letters of Samuel Taylor Coleridge*, E. L. Griggs (ed.), Oxford University Press, 1956-71.
- The collected works of Samuel Taylor Coleridge*, vol. v: *Lectures 1808-19 on literature*, R. H. Foakes (ed.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1987, 16 vols.
- Freud, Sigmund, *The standard edition of the complete psychological works of Sigmund Freud*, James Strachey (trans.), London: The Hogarth Press, 1958.
- Goethe, Johann Wolfgang, *Die Schriften zur Naturwissenschaft*, Leopoldina-Ausgabe, Gunther Schmid (ed.), Weimar: Hermann Böhlau Nachfolger, 1947-.
- Goethe's color theory*, Herb Aach (ed. and trans.), New York: Van Nostrand Reinhold, 1971.
- Scientific studies*, Douglas Miller (ed. and trans.), New York: Suhrkamp, 1988.
- Sämmtliche Werke nach Epochen seines Schaffens*, Karl Richter (ed.), 21 vols., Munich: Hanser, 1985-96.
- Goethe's botanical writings*, Bertha Mueller (trans.), Woodbridge, CT: Ox Bow Press, 1989.
- Elective affinities: a novel*, David Constantine (ed. and trans.), Oxford University Press, 1994.
- Herder, Johann Gottfried, *Sämmtliche Werke*, Bernhard Ludwig Suphan (ed.), 33 vols., Hildesheim: Georg Olms, 1967-8.
- Kant, Immanuel, *Gesammelte Schriften*, Berlin: de Gruyter, 1910-83.
- Metaphysical foundations of natural science*, James Ellington (trans.), Indianapolis, IN: Bobbs-Merrill, 1970.
- Lectures on metaphysics*, Karl Ameriks and Steve Naragon (eds. and trans.), Cambridge University Press, 1997.
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, Paul Kluckhohn and Richard H. Samuel (eds.), 5 vols., Stuttgart: Kohlhammer, 1960-88.
- Philosophical writings*, Margaret Mahony Stoljar (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1997.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph von, *Sämmtliche Werke*, Karl Friedrich August Schelling (ed.), 14 vols., Stuttgart: Cotta, 1856-61.
- Schlegel, Friedrich, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler (ed.), 35 vols., Paderborn: Schöningh, 1958-79.
- Schubert, Gotthilf Heinrich, *Ansichten von der Nachtseite der Naturwissenschaft*, Dresden: Arnold, 1808.

- Shelley, Mary Wollstonecraft, *Frankenstein: the 1818 text, contexts, nineteenth-century responses, modern criticism*, J. Paul Hunter (ed.), New York: Norton, 1996.
- Shelley, Percy Bysshe, 'Defence of poetry', in *Shelley's prose, or the trumpet of a prophecy*, David Lee Clark (ed.), New York: New Amsterdam Books, 1988, pp. 275-97.
- Wordsworth, William, Preface to *Lyrical ballads*, in *The prose works of William Wordsworth*, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974, I: 118-59.
- Vico, Giambattista, *The new science of Giambattista Vico*, Thomas Goddard Bergin and Max Harold Fisch (eds. and trans.), Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984.

### Secondary sources

- Abrams, Meyer H., *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Oxford University Press, 1953.
- Amrine, Frederick, Francis J. Zucker and Harvey Wheeler (eds.), *Goethe and the sciences: a reappraisal*, Dordrecht: Reidel, 1987.
- Almeida, Hermione de, *Romantic medicine and John Keats*, New York: Oxford University Press, 1991.
- Anderson, Wilda C., *Between the library and the laboratory: the language of chemistry in eighteenth-century France*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1984.
- Ault, Donald, *Visionary physics: Blake's response to Newton*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1974.
- Barfield, Owen, *Saving the appearances: a study in idolatry*, Middletown, CT: Wesleyan University Press, 1988.
- Béguin, Albert, *L'ame romantique et le rêve: essai sur le romantisme allemand et la poésie française*, Paris: Corti, 1946.
- Bierak, Wilhelm, *Romantische Wissenschaft*, Deutsche Literatur, ser. 17, vol. 13, Leipzig: Reclam, 1940.
- Black, Max, *Models and metaphors: studies in language and philosophy*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1962.
- Bohler, Michael, 'Naturwissenschaft und Dichtung bei Goethe', in Wolfgang Wittkowski (ed.), *Goethe im Kontext: Kunst und Humanität, Naturwissenschaft und Politik von der Aufklärung bis zur Restauration*, Tübingen: Niemeyer, 1984, pp. 313-35.
- Bonfiglio, Thomas P., 'Electric affinities: Arnim and Schellings Naturphilosophie', *Euphorion* 81 (1987), pp. 217-39.
- Bono, James J., 'Science, discourse, and literature: the role/rule of metaphor in science', in *Literature and science: theory and practice*, Stuart Peterfreund (ed.), Boston, MA: Northeastern University Press, 1990, pp. 59-89.
- Brown, Marshall, *The shape of German Romanticism*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1979.

- Bush, Douglas, *Science and English poetry: a historical sketch, 1590-1950*, New York: Oxford University Press, 1950.
- Burwick, Frederick, 'Elektrizität und Optik: zu den Beziehungen zwischen wissenschaftlichen und literarischen Schriften Achim von Arnims', *Aurora* 46 (1986), pp. 19-47.
- The damnation of Newton: Goethe's color theory and Romantic perception*, Berlin: de Gruyter, 1986.
- Burwick, Frederick (ed.), *Approaches to organic form: permutations in science and culture*, Dordrecht: Reidel, 1987.
- Cunningham, Andrew and Nicholas Jardine (eds.), *Romanticism and the sciences*, Cambridge University Press, 1990.
- Eichner, Hans, 'The rise of modern science and the genesis of Romanticism,' *PMLA* 97 (1982), pp. 8-30.
- Ellenberger, Henri F., *The discovery of the unconscious: the history and evolution of dynamic psychiatry*, New York: Basic Books, 1970.
- Fink, Karl J., *Goethe's history of science*, Cambridge University Press, 1991.
- Gode, Alexander, *Natural science in German Romanticism*, New York: Columbia University Press, 1941.
- Grabo, Carl Henry, *A Newton among poets: Shelley's use of science in 'Prometheus Unbound'*, Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1930.
- Hall, Jason Y., 'Gall's phrenology; a Romantic psychology', *Studies in Romanticism* 16 (1977), pp. 305-17.
- Kapitza, Peter, *Die frühromantische Theorie der Mischung: über den Zusammenhang von romantischer Dichtungstheorie und zeitgenössischer Chemie*, Munich: Hueber, 1968.
- King-Hele, Desmond, *Erasmus Darwin and the Romantic poets*, London: Macmillan, 1986.
- Knight, D. M., 'The physical sciences and the Romantic movement', *History of science* 9 (1970), pp. 54-75.
- Lakoff, George and Mark Johnson, *Metaphors we live by*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1980.
- Lenoir, Timothy, *The strategy of life: teleology and mechanics in nineteenth-century German biology*, Dordrecht: Reidel, 1982.
- Lèvere, Trevor Harvey, *Poetry realized in nature: Samuel Taylor Coleridge and early nineteenth-century science*, Cambridge University Press, 1981.
- Levine, George (ed.), *Realism and representation: essays on the problem of realism in relation to science, literature and culture*, Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1993.
- Lyon, Judson S., 'Romantic psychology and the inner senses: Coleridge', *PMLA* 81 (1966), pp. 246-60.
- Modiano, Raimonda, *Coleridge and the concept of nature*, Tallahassee, FL: Florida State University Press, 1985.
- Müller-Sievers, Helmut, *Self-generation: biology, philosophy and literature around 1800*, Stanford, CA: Stanford University Press, 1997.
- Nisbet, Hugh Barr, *Goethe and the scientific tradition*, London: University of London, 1972.

- Orsini, G. N. Giordano, *Organic unity in ancient and later poetics: the philosophical foundations of literary criticism*, Carbondale, IL: Southern Illinois University Press, 1975.
- Ortony, Andrew (ed.), *Metaphor and thought*, Cambridge University Press, 1993.
- Poggi, Stefano and Maurizio (eds.), *Romanticism in science: science in Europe, 1790-1840*, Dordrecht: Kluwer Academic, 1994.
- Proffitt, Edward, 'Science and Romanticism', *The Georgia review* 34 (1980), pp. 55-80.
- Puppo, Mario, 'Letteratura e scienza nell'età del romanticismo', in *Letteratura e scienza nella storia della cultura italiana: atti del IX congresso dell'Associazione internazionale per gli studi di lingua e letteratura italiana*, 1976, Palermo: Manfredi, 1978, pp. 193-211.
- Saul, Nicholas (ed.), *Die deutsche literarische Romantik und die Wissenschaften*, Munich: Iudicium Verlag, 1991.
- Snelders, H. A. M., 'Romanticism and Naturphilosophie and the inorganic natural sciences 1787-1840: an introductory survey', *Studies in Romanticism* 9 (1970), pp. 193-215.
- Stephenson, R. H., *Goethe's conception of knowledge and science*, Edinburgh University Press, 1995.
- Underwood, Ted, 'The science in Shelley's theory of poetry', *Modern language quarterly* 58 (1997), pp. 299-321.
- Wessell, Leonard P., *The philosophical background to Friedrich Schiller's aesthetics of living form*, Frankfurt am Main: Peter Lang, 1982.
- Wetzels, Walter D., 'Aspects of natural science in German Romanticism', *Studies in Romanticism* 10 (1971), 44-59.
- Johann Wilhelm Ritter: Physik im Wirkungsfeld der deutschen Romantik*, Berlin: de Gruyter, 1973.
- Whitehead, Alfred North, *Science and the modern world*, New York: Macmillan, 1925.
- Whyte, Lancelot Law, *The unconscious before Freud*, London: Freidmann, 1978.
- Wimsatt, W. K., 'Organic form: some questions about a metaphor', in *Romanticism: vistas, instances, continuities*, David Thorburn and Geoffrey Hartman (eds.), Ithaca, NY: Cornell University Press, 1973, pp. 13-37.
- Wyatt, John, *Wordsworth and the geologists*, Cambridge University Press, 1995.
- Wylie, Ian, *Young Coleridge and the philosophers of nature*, Oxford: Clarendon Press, 1989.
- Ziolkowski, Theodore, *German Romanticism and its institutions*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990.

## 7 Religion and literature

### Primary sources

- Blake, William, *The poetry and prose of William Blake*, David V. Erdman (ed.), Garden City, NY: Doubleday, 1970.
- Burke, Edmund, *A philosophical inquiry into the origins of our ideas of the sublime and beautiful*, James T. Boulton (ed.), London: Routledge and Kegan Paul, 1958.

- Reflections on the Revolution in France*, Conor Cruise O'Brien (ed.), Harmondsworth: Penguin, 1976.
- Byron, George Gordon, Lord, *Poetical works*, Jerome J. McGann (ed.), 7 vols., Oxford: Clarendon Press, 1980-93.
- Chateaubriand, François-René de, *Le Génie du christianisme, ou, beautés de la religion chrétienne*, Paris: Migneret, 1802 (trans. Frederic Shoberl, *The beauties of Christianity*, Philadelphia, PA: Carey, 1815).
- Coleridge, Samuel Taylor, *Poetical works*, E. H. Coleridge (ed.), 2 vols., Oxford University Press, 1912.
- The Notebooks of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.), 5 vols., London: Routledge and Kegan Paul, 1957-.
- The collected works of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.), 16 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969-.
- On the constitution of the church and state according to the idea of each*, John Barrell (ed.), London: Dent & Sons, 1972.
- 'Confessions of an inquiring spirit', in *Collected works*, vol. XI: *Shorter works and fragments*, J. R. de J. Jackson and H. T. Jackson (eds.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1995, pp. 1111-71.
- Darwin, Erasmus, *The loves of the plants*, 1789, facsim., Oxford: Woodstock, 1991.
- Dupuis, C. F., *Origines de tous les cultes, ou religion universelle*, 12 vols., Paris: 1791.
- Feuerbach, Ludwig, *The essence of Christianity*, George Eliot (trans.), New York: Harper, 1957.
- Gibbon, Edward, *The decline and fall of the Roman Empire*, David Womersley (ed.), London: Penguin Books, 1995.
- Gide, André, Introduction, in James Hogg, *The private memoirs and confessions of a justified sinner*, London: Cresset, 1947, pp. ix-xv.
- Godwin, William, *Caleb Williams*, David McCracken (ed.), Oxford University Press, 1970.
- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich, *Lectures on the philosophy of religion*, E. B. Speirs and J. Burdon Sanderson (trans.), 3 vols., London: Kegan Paul, 1895.
- Early theological writings*, T. M. Knox (trans.), Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1971.
- Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1975.
- Phenomenology of spirit*, A. V. Miller (trans.), Oxford: Clarendon Press, 1977.
- Herder, Johann Gottfried, *The spirit of Hebrew poetry*, James Marsh (trans.), Burlington, VT: E. Smith, 1833; rpt. Napierville, IL: Aleph Press, 1971. (Earlier trans.: *Dialogues, containing the conversation of Eugenius and Alciphron on the spirit and beauties of the sacred poetry of the Hebrews*, London: T. Cadell, Jr., and W. Davies, 1801.)
- God: some conversations*, Frederick H. Burkhardt (ed.), New York: Veritas Press, 1940.
- Reflections on the philosophy of the history of mankind*, 1800, T. O. Churchill (trans.), Frank E. Manuel (ed.), Chicago, IL: University of Chicago Press, 1968.

- Hogg, James, *The private memoirs and confessions of a justified sinner*, John Carey (ed.), Oxford University Press, 1947.
- Hume, David, 'Of miracles', in *Enquiries concerning the human understanding and concerning the principles of morals*, L. A. Selby-Bigge (ed.), Oxford: Clarendon Press, 1975, pp. 109-31.
- Dialogues concerning natural religion; and, The natural history of religion*, J. C. A. Gaskin (ed.), Oxford University Press, 1993.
- Kant, Immanuel, *Critique of judgment*, 1790, J. H. Bernard (trans.), New York, 1951.
- Foundations of the metaphysics of morals; and What is Enlightenment?*, Lewis White Beck (trans.), Indianapolis, IN: Bobbs-Merrill, 1959.
- Religion within the limits of reason alone*, Theodore M. Greene and Hoyt H. Hudson (trans.), New York: Harper, 1960.
- The critique of pure reason*, Norman Kemp Smith (trans.), New York: Macmillan, 1961.
- The critique of practical reason*, Lewis White Beck (trans.), New York: Macmillan, 1985.
- Cambridge edition of the works of Immanuel Kant*, Cambridge University Press, 1992-.
- The metaphysics of morals*, Mary Gregor (trans.), Cambridge University Press, 1996.
- Kierkegaard, Søren, *Either/Or*, Howard V. Hong and Edna H. Hong (eds. and trans.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1987.
- The concept of dread*, Walter Lowrie (trans.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1989.
- The concept of irony*, Howard V. Hong and Edna H. Hong (eds. and trans.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1989.
- Fear and trembling*, Walter Lowrie (trans.), London: Everyman's Library, 1994.
- Papers and journals: a selection*, Alastair Hannay (trans.), Harmondsworth: Penguin Books, 1996.
- Lamennais, Félicité-Robert de, *Paroles d'un croyant*, Paris: Rendeul, 1834 (trans. *Words of a believer*, London: Cousins, 1834).
- Lessing, Gotthold Ephraim, *Theological writings: selections in translation*, Henry Chadwick (ed.), London: Adam and Charles Black, 1956.
- Lowth, Robert, *Isaiah: a new translation*, London: Nichols, Dodsley, and Cadell, 1778.
- Lectures on the sacred poetry of the Hebrews*, 1749; Eng. trans. 1752; Latin: *Praelectiones*, London: Johnson, 1787.
- Milton, John, *The poems of John Milton*, Helen Darbishire (ed.), London: Oxford University Press, 1958.
- Paley, William, *A view of the evidences of Christianity*, London: Faulder, 1794.
- Natural theology*, Philadelphia, PA: Maxwell, 1802.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph, *Of human freedom*, James Gutmann (trans. and ed.), Chicago, IL: Open Court Publishing, 1936.
- Schiller, Friedrich, *On the aesthetic education of man*, Elizabeth M. Wilkinson and L. A. Willoughby (eds. and trans.), Oxford: Clarendon Press, 1967.



- Schleiermacher, Friedrich, *A critical essay on the Gospel of Luke*, Connop Thirlwall (trans. with an introduction), London: John Taylor, 1825.
- On religion: speeches to its cultured despisers* [1800], Richard Crouter (ed.), Cambridge University Press, 1996.
- Shelley, Mary, *Frankenstein: or, the modern Prometheus*, M. K. Joseph (ed.), Oxford University Press, 1969.
- Shelley, Percy Bysshe, *Shelley's Poetry and Prose*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1977.
- 'Essay on Christianity', in *Shelley's prose, or the trumpet of a prophecy*, David Lee Clark (ed.), New York: New Amsterdam, 1988, pp. 196-214.
- The Poems of Shelley*, vol. 1, Geoffrey Matthews and Kelvin Everest (eds.), London: Longman, 1989.
- Strauss, David Friedrich, *The life of Jesus, critically examined*, George Eliot (trans.), London: Chapman Brothers, 1846.
- Swedenborg, Emanuel, *Swedenborg: essential readings*, Michael Stanley (ed.), Wellingborough: Crucible, 1988.
- White, Gilbert, *The natural history of Selborne*, Paul G. M. Foster (ed.), Oxford University Press, 1993.
- Wordsworth, William, *Poems*, Matthew Arnold (ed.), London: Macmillan, 1879.
- Prose works*, W. J. B. Owen and Jane Worthington Smyser (eds.), 3 vols., Oxford: Clarendon Press, 1974.
- The Cornell Wordsworth*, Stephen Parrish (ed.), Ithaca, NY: Cornell University Press, 1975.
- The letters of William and Dorothy Wordsworth*, Alan G. Hill (ed.), 8 vols., Oxford: Clarendon Press, 1979-89.
- The prelude 1799, 1805, 1850*, Jonathan Wordsworth, M. H. Abrams and Stephen Gill (eds.), New York: Norton, 1979.

### Secondary sources

- Abrams, M. H., *Natural supernaturalism: tradition and revolution in Romantic literature*, New York: Norton, 1971.
- Barth, Karl, *Protestant theology in the nineteenth century: its background & history*, Valley Forge, PA: Judson Press, 1973. Translation based on 2nd rev. German edn, Zurich: Zollikon, 1952.
- Beer, John B., *Coleridge, the visionary*, London: Chatto & Windus, 1959.
- Bloom, Harold, *The visionary company: a reading of English Romantic poetry*, rev. edn, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1961; 1971.
- Introduction, *Mary Shelley*, New York: Chelsea House, 1985, pp. 1-10.
- Boulger, James D., *Coleridge as religious thinker*, New Haven, CT: Yale University Press, 1961.
- Bull, Malcolm (ed.), *Apocalypse theory and the ends of the world*, Oxford: Blackwell, 1995.
- Burke, Kenneth, *The rhetoric of religion: a study in logology*, Berkeley, CA: University of California Press, 1970.
- Cambridge history of the Bible*, vol. III: *The West, from the Reformation to the present day*, S. L. Greenslade (ed.), Cambridge University Press, 1963, 3 vols.

- Cantor, Paul A., *Creature and creator: myth-making and English Romanticism*, Cambridge University Press, 1984.
- Charity, A. C., *Events and their afterlife: the dialectics of Christian typology in the Bible and Dante*, Cambridge University Press, 1966.
- Damrosch, Leopold, Jr, 'God and man', in *Symbol and truth in Blake's myth*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1980, pp. 244-301.
- Dewey, John, 'James Marsh and American philosophy', *Journal of the history of ideas*, 2 (1941), pp. 131-50.
- Erdman, David V., *Blake, prophet against empire: a poet's interpretation of the history of his own times*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1954.
- Erskine-Hill, Howard, *Poetry of opposition and revolution: Dryden to Wordsworth*, Oxford University Press, 1996.
- Frei, Hans W., *The eclipse of Biblical narrative: a study in eighteenth- and nineteenth-century hermeneutics*, New Haven, CT: Yale University Press, 1974.
- Frye, Northrop, *Fearful symmetry: a study of William Blake*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1947.
- The great code: the Bible and literature*, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1982.
- Gillispie, Charles Coulston, *Genesis and geology: a study in the relations of scientific thought, natural theology, and social opinion in Great Britain, 1790-1850*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1951.
- Harrison, J. F. C., *The second coming: popular millenarianism, 1780-1850*, London: Routledge & Kegan Paul, 1979.
- Hartman, Geoffrey, *Wordsworth's poetry, 1787-1814*, New Haven, CT: Yale University Press, 1964.
- Havens, Raymond Dexter, *The influence of Milton on English poetry*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1922.
- Hill, Alan G., 'Wordsworth's "Grand Design"', *Proceedings of the British Academy* 72 (1986), pp. 187-204.
- Hort, Fenton John Anthony, 'Coleridge', *Cambridge essays*, vol. 11, Cambridge: Parker, 1856.
- Kahler, Erich, 'The nature of the symbol', in *Symbolism in religion and literature*, Rollo May (ed.), New York: Braziller, 1960, pp. 50-74.
- Leventhal, Robert S., *The disciplines of interpretation: Lessing, Herder, Schlegel and hermeneutics in Germany, 1750-1800*, Berlin: de Gruyter, 1994.
- Low, Lisa and Anthony John Harding (eds.), *Milton, the Metaphysicals, and Romanticism*, Cambridge University Press, 1994.
- McFarland, Thomas, 'The Spinozist crescendo', in *Coleridge and the pantheist tradition*, Oxford: Clarendon Press, 1969, pp. 53-106.
- 'Coleridge's anxiety', in *Coleridge's variety: bicentenary studies*, John Beer (ed.), London: Macmillan, 1974, pp. 134-65.
- Romanticism and the forms of ruin: Wordsworth, Coleridge, and modalities of fragmentation*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981.
- McGuire, J. E. and P. M. Rattansi, 'Newton and the pipes of Pan', *Notes and records of the Royal Society of London* 21 (1966), pp. 108-43.

- Mee, Jonathan, 'Is there an antinomian in the house?: William Blake and the after-life of a heresy', in *Historicizing Blake*, Steve Clarke and David Worrall (eds.), London, New York: St Martin's Press, 1994, pp. 43-58.
- Mill, John Stuart, *On Bentham and Coleridge*, Chatto & Windus, London: 1967.
- Miner, Earl (ed.), *Literary uses of typology: from the late Middle Ages to the present*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977.
- Monk, Samuel H., *The sublime: a study in critical theories in eighteenth-century England*, New York: Modern Language Association of America, 1935.
- Morton, A. L., *The everlasting gospel: a study in the sources of William Blake*, London: Lawrence & Wishart, 1958.
- Muirhead, John H., *Coleridge as philosopher*, London: Macmillan, 1930.
- Newlyn, Lucy, *'Paradise lost' and the Romantic reader*, Oxford University Press, 1992.
- Nicolson, Marjorie H., 'James Marsh and the Vermont transcendentalists', *Philosophical review* 34 (1925), pp. 28-50.
- Mountain gloom and mountain glory: the development of the aesthetics of the infinite*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1959.
- Notopoulos, James A., *The Platonism of Shelley: a study of Platonism and the poetic mind*, Durham, NC: Duke University Press, 1949.
- Nuttall, A. D., *A common sky: philosophy and the literary imagination*, London: Chatto & Windus, 1974.
- Paley, Morton D. (ed.), *Twentieth-century interpretations of 'Songs of innocence and experience'*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1968.
- Energy and the imagination: a study of the development of Blake's thought*, Oxford: Clarendon Press, 1970.
- The apocalyptic sublime*, New Haven, CT: Yale University Press, 1986.
- '"These promised years": Coleridge's "Religious musings" and the millenarianism of the 1790s', in *Revolution and English Romanticism: politics and rhetoric*, Keith Hanley and Raman Selden (eds.), Hertfordshire: Harvester Wheatsheaf, 1990, pp. 49-65.
- Pocock, J. G. A., 'Edmund Burke and the redefinition of enthusiasm: the context as counter-revolution', in *The French Revolution and the creation of modern political culture*, 4 vols., Oxford: Pergamon Press, 1987-89, vol. III: *The transformation of political culture, 1789-1848*, François Furet and Mona Ozouf (eds.), pp. 19-43.
- Prickett, Stephen, *Romanticism and religion: the tradition of Wordsworth and Coleridge in the Victorian church*, Cambridge University Press, 1976.
- Origins of narrative: the Romantic appropriation of the Bible*, Cambridge University Press, 1996.
- Reardon, Bernard M. G., *Religion in the age of Romanticism: studies in early nineteenth-century thought*, Cambridge University Press, 1985.
- Roston, Murray, *Prophet and poet: the Bible and the growth of Romanticism*, London: Faber and Faber, 1965.
- Sanders, Charles R., *Coleridge and the Broad Church movement*, Durham, NC: Duke University Press, 1942.

- Schenk, Hans Georg Artur Viktor, *The mind of the European Romantics: an essay in cultural history*, London: Constable, 1966.
- Shaffer, E. S., 'Metaphysics of culture: Kant and Coleridge's *Aids to reflection*', *Journal of the history of ideas* 31 (1970), pp. 199-218.
- 'Kubla Khan' and 'The fall of Jerusalem': *the mythological school in Biblical criticism and secular literature, 1770-1880*, Cambridge University Press, 1975.
- 'Coleridge and Schleiermacher: the hermeneutic community', in *The Coleridge connection*, Richard Gravil and Molly Lefebure (eds.), Basingstoke: Macmillan, 1990, pp. 200-32.
- Smart, Ninian, John C. Clayton, Steven Katz and Patrick Sherry (eds.), *Nineteenth century religious thought in the West*, 3 vols., Cambridge University Press, 1985.
- Stephen, Leslie, *History of English thought in the eighteenth century*, London: Smith, 1881.
- Storr, Vernon F., *The development of English theology in the nineteenth century, 1800-1860*, London: Longmans, Green, 1913.
- Swiatecka, M. Jadwiga, *The idea of the symbol: some nineteenth century comparisons with Coleridge*, Cambridge University Press, 1980.
- Tannenbaum, Leslie, *Biblical tradition in Blake's early prophecies: the great code of art*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.
- Taylor, Charles, *Sources of the self: the making of the modern identity*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989.
- Thompson, E. P., *The making of the English working class*, London: Gollancz, 1965.
- Weiskel, Thomas, *The Romantic sublime: studies in the structure and psychology of transcendence*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1976.
- Welch, Claude, *Protestant thought in the nineteenth century*, vol. 1: 1799-1870, New Haven, CT: Yale University Press, 1972.
- Wellek, René, *Immanuel Kant in England, 1793-1838*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1931.
- A history of modern criticism, 1750-1950*, vol. II: *The Romantic age*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.
- Confrontations: studies in the intellectual and literary relations between Germany, England, and the United States during the nineteenth century*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1965.
- Williams, Raymond, *Culture and society, 1780-1950*, London: Chatto & Windus, 1958.
- Wittreich, Joseph Anthony, Jr, *Angel of apocalypse: Blake's idea of Milton*, Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1975.
- Visionary poetics: Milton's tradition and his legacy*, San Marino, CA: Huntington Library, 1979.
- Wolfson, Susan J., 'The formings of simile', in *Formal charges: the shaping of poetry in British Romanticism*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996, pp. 63-99.
- Ziolkowski, Theodore, *German Romanticism and its institutions*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990.

## 8 Language theory and the art of understanding

## Primary

- Bernhardi, August Ferdinand, *Anfangsgründe der Sprachwissenschaft*, Stuttgart-Bad Cannstatt: Frommann-Holzboog, 1990.
- Sprachlehre*, 2 vols., 2nd edn, Hildesheim: Georg Olms, 1973.
- Fichte, Johann Gottlieb, 'Von der Sprachfähigkeit und dem Ursprung der Sprache', in *Gesamtausgabe* 1, vol. III: *Werke 1794-1796*, Reinhard Lauth and Hans Jacob (eds.), Stuttgart-Bad Cannstatt: Frommann, 1966, pp. 97-127 (trans. Jere Paul Surber, *Language and German idealism: Fichte's linguistic philosophy*, Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1996).
- Herder, Johann Gottfried, *Abhandlung über den Ursprung der Sprache*, in *Herders sämtliche Werke*, Bernard Suphan (ed.), Berlin: Weidmann, 1891, v: 1-154 (trans. (abridged) John H. Moran and Alexander Gode, in *On the origin of language: two essays by Jean-Jacques Rousseau and Johann Gottfried Herder*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1986, pp. 87-166).
- Humboldt, Wilhelm von, *Über die Verschiedenheit des menschlichen Sprachbaues und ihren Einfluß auf die geistige Entwicklung des Menschengeschlechts*, in *Gesammelte Schriften*, Albert Leitzmann (ed.), vol. VII, Berlin: de Gruyter, 1968, 17 vols. (trans. Peter Heath, *On language: the diversity of human language structure and its influence on the mental development of mankind*, Cambridge University Press, 1988).
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, vol. II: *Das philosophische Werk*, Richard H. Samuel, Hans-Joachim Mähl and G. Schulz (eds.), Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1965.
- Mueller-Vollmer, Kurt (ed.), *The hermeneutics reader: texts of the German tradition from the Enlightenment to the present*, New York: Continuum, 1994.
- Ormiston, Gayle L. and Alan D. Schrift (eds.), *The hermeneutic tradition: from Aristotle to Ricoeur*, Albany, NY: State University of New York Press, 1990.
- Schlegel, August Wilhelm, 'Briefe über Poesie, Silbenmass und Sprache', in *Kritische Schriften und Briefe*, vol. I: *Sprache und Poetik*, Edgar Lohner (ed.), Stuttgart: Kohlhammer, 1962, pp. 141-80.
- Kritische Ausgabe der Vorlesungen*, vol. I: *Vorlesungen über Ästhetik* I (1798-1803), Ernst Behler (ed.), Paderborn: Schöningh, 1989.
- Schlegel, Friedrich, 'Zur Philologie', in *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, vol. XVI: *Fragmente zur Poesie und Literatur* I, Hans Eichner (ed.), Paderborn: Schöningh, 1981, pp. 33-82.
- Schleiermacher, Friedrich, *Hermeneutik und Kritik: mit einem Anhang sprachphilosophischer Texte*, Manfred Frank (ed.), Frankfurt: Suhrkamp, 1977 (trans. James Duke and Jack Forstman, *Hermeneutics: the handwritten manuscripts*, Heinz Kimmerle (ed.), Atlanta, GA: Scholar Press, 1977).
- Schulte, Rainer and Biguener, John (eds.), *Theories of translation: an anthology of essays from Dryden to Derrida*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1992.
- Staël, Madame de, *De l'Allemagne*, Jean de Pange and Simone Balayé (eds.), new edn, 5 vols., Paris: Hachette, 1958-60 (trans. O. W. Wright, *Germany*, Boston, MA: Houghton Mifflin, 1859).

## Secondary sources

- Aarsleff, Hans, *The study of language in England 1780-1860*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1967.
- 'Wordsworth, language and Romanticism', *Essays in criticism* 30 (1980), pp. 215-26.
- Berman, Antoine, *The experience of the foreign: culture and translation in Romantic Germany*, S. Heyvaert (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1992.
- Bruns, Gerald L., *Modern poetry and the idea of language*, New Haven, CT: Yale University Press, 1974.
- 'Wordsworth at the limits of romantic hermeneutics', *The centennial review* 33 (1989), pp. 393-418.
- Curran, T. H., 'Schleiermacher: true interpreter', in *The interpretation of belief: Coleridge, Schleiermacher and Romanticism*, David Jasper (ed.), London: Macmillan, 1986, pp. 97-103.
- Derrida, Jacques, *Of grammatology*, Gayatri Chakravorty Spivak (trans.), Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1974.
- Fiesel, Eva, *Die Sprachphilosophie der deutschen Romantik*, Tübingen: Mohr, 1927; rpt. Hildesheim: Georg Olms, 1973.
- Formigari, Lia, *Signs, science and politics: philosophies of language in Europe 1700-1830*, Amsterdam: John Benjamin, 1993.
- Gadamer, Hans Georg, *Truth and method*, Joel Weinsheimer and Donald G. Marshall (trans.), 2nd edn, New York: Crossroad, 1988.
- Gipper, Helmut, 'Sprachphilosophie in der Romantik', in *Sprachphilosophie: ein internationales Handbuch zeitgenössischer Forschung*, Marcelo Dascal et al. (eds.), Berlin: de Gruyter 1992, I: 197-233.
- Gipper, Helmut and Peter Schmitter, *Sprachwissenschaft und Sprachphilosophie im Zeitalter der Romantik*, Tübingen: Günter Narr Verlag, 1979.
- Jeanrond, Werner G., 'The impact of Schleiermacher's hermeneutics on contemporary interpretation theory', in *The interpretation of belief: Coleridge, Schleiermacher and romanticism*, David Jasper (ed.), London: Macmillan, 1986, pp. 81-96.
- Körner, Josef, 'Friedrich Schlegels "Philosophie der Philologie"', *Logos* 17 (1928), 1-72.
- McKusick, James C., *Coleridge's philosophy of language*, New Haven, CT: Yale University Press, 1986.
- Mueller-Vollmer, Kurt, 'Fichte und die romantische Sprachtheorie', in *Der transzendente Gedanke: die gegenwärtige Darstellung der Philosophie Fichtes*, Klaus Hammacher (ed.), Hamburg: Felix Meiner, 1981, pp. 442-59.
- 'From aesthetics to linguistics: Wilhelm von Humboldt and the Romantic idea of language', in *Le Groupe de Coppet: Actes et documents du deuxième Colloque de Coppet 10-13 juillet 1974*, Geneva: Slatkine, 1977, pp. 195-215.
- Nüsse, Heinrich, *Die Sprachtheorie Friedrich Schlegels*, Heidelberg: Winter, 1962.
- O'Brien, William Arctander, *Novalis: signs of revolution*, Durham, NC: Duke University Press, 1995.

- Paulin, Roger, 'Die romantische Übersetzung: Theorie und Praxis', in *Die deutsche literarische Romantik und die Wissenschaften*, Nicholas Saul (ed.), Munich: Iudicium Verlag, 1991, pp. 250-64.
- Reed, Arden (ed.), *Romanticism and language*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984.
- Schnur, Harald, *Schleiermachers Hermeneutik und ihre Vorgeschichte im 18. Jahrhundert: Studien zur Bibelauslegung, zu Hamann, Herder und F. Schlegel*, Stuttgart: Metzler, 1994.
- Surber, Jéré Paul, 'The historical and systematic place of Fichte's reflections on language', in *Fichte: historical contexts/contemporary controversies*, Daniel Breazeale and Tom Rockmore (eds.), Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1994, pp. 113-27.
- Language and German idealism: Fichte's linguistic philosophy*, Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1996.
- Taylor, Charles, 'Language and human nature', in *Human agency and language: philosophical papers*, Cambridge University Press, 1985, 1: 215-47.
- Trabant, Jürgen, *Apelioten oder der Sinn der Sprache: Wilhelm von Humboldts Sprach-Bild*, Munich: Wilhelm Fink, 1986.

## 9 The transformation of rhetoric

### Primary sources

- Blair, Hugh, *Lectures on rhetoric and belles lettres*, London: W. Tegg, 1879.
- Coleridge, Samuel Taylor, *Biographia literaria*, J. Shawcross (ed.), Oxford University Press, 1907.
- Fontanier, Pierre, *Les figures du discours*, Paris: Flammarion, 1968.
- Herder, Johann Gottfried, *Sämtliche Werke*, Bernhard Suphan (ed.), Berlin: Weidmann, 1877-1913.
- Hölderlin, Friedrich, *Sämtliche Werke*, Große Stuttgarter Ausgabe, Friedrich Beißner (ed.), Stuttgart: Kohlhammer, 1943-85.
- Essays and letters on theory*, Thomas Pfau (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Kant, Immanuel, *Critique of judgment*, J. H. Barnard (trans.), New York: Hafner, 1966.
- Kritik der Urteilskraft*, Werkausgabe, vol. x, Wilhelm Weischedel (ed.), Frankfurt am/Main: Suhrkamp, 1974.
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, Paul Kluckhohn and Richard Samuel in collaboration with Hans-Joachim Mähl and Gerhard Schulz (eds.), Stuttgart: Kohlhammer, 1960-8.
- Schlegel, August Wilhelm, *A course of lectures on dramatic art and literature*, London: H. G. Bohn, 1846.
- Sämtliche Werke*, Eduard Böcking (ed.), Leipzig: Weidmann'sche Buchhandlung, 1846.
- Schlegel, Friedrich, *Literary notebooks*, Hans Eichner (ed.), University of London/Athlone Press, 1957.
- Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler with the collaboration of Jean-Jacques Anstett, Hans Eichner, et al. (eds.), Paderborn: Schöningh, 1958-.

- A Dialogue on poetry and literary aphorisms*, Ernst Behler and Roman Struc (trans.), University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1968.
- Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991.
- Smith, Adam, *Lectures on rhetoric and belles lettres*, J. C. Bryce (ed.) Indianapolis, IN: Liberty Fund, 1985.
- Wordsworth, William, *Prose Works*, J. B. O. Warwick and J. W. Smyser (eds.), Oxford: Clarendon Press, 1974.
- Young, Edward, *The complete works*, Hildesheim: Georg Olms, 1968, reprint of the 1854 London edition.

## Secondary sources

- Abrams, M. H., *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Norton, 1958.
- Attridge, Derek, *Peculiar language*, London: Methuen, 1988.
- Barilli, Renato, *Rhetoric*, Giuliana Menozzi (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989.
- Barthes, Roland, 'The old rhetoric: an aide-memoire', in *The semiotic challenge*, Richard Howard (trans.), New York: Hill and Wang, 1988, pp. 11-94.
- Behler, Ernst, *Irony and the discourse of Modernity*, Seattle, WA: University of Washington Press, 1990.
- German Romantic literary theory*, Cambridge University Press, 1993.
- Behler, Ernst, and Jochen Hörisch, *Die Aktualität der Frühromantik*, Paderborn: Schöningh, 1989.
- Bender, John, and David E. Wellbery (eds.), *The ends of rhetoric: history - theory - practice*, Stanford, CA: Stanford University Press, 1990.
- Bloom, Harold, et al. (eds.), *Deconstruction and criticism*, New York: Seabury, 1979.
- Blumenberg, Hans, 'Anthropologische Annäherung an die Aktualität der Rhetorik', in *Wirklichkeiten in denen wir leben*, Stuttgart: Reclam, 1981, pp. 104-36.
- Bosse, Heinrich, 'The marvellous and Romantic semiotics', *Studies in Romanticism* 14 (1975), pp. 211-34.
- '"Dichter kann man nicht bilden": zur Veränderung der Schulrhetorik nach 1770', *Jahrbuch für internationale Germanistik* 2 (1976), pp. 81-125.
- Campe, Rüdiger, *Affekt und Ausdruck: zur Umwandlung der literarischen Rede im 17. und 18. Jahrhundert*, Tübingen: Niemeyer, 1990.
- 'Die zwei Perioden des Stils', *Comparatio* 2 (1991), pp. 73-99.
- Chase, Cynthia, *Decomposing figures: rhetorical readings in the Romantic tradition*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1986.
- Dockhorn, Klaus, *Macht und Wirkung der Rhetorik*, Bad Homburg, Berlin and Zurich: Gehlen, 1968.
- Engelsing, Rolf, *Analphabetentum und Lektüre: zur Sozialgeschichte des Lesens in Deutschland zwischen feudaler und industrieller Gesellschaft*, Stuttgart: Metzler, 1973.
- Frank, Manfred, *Einführung in die frühromantische Ästhetik*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1989.



- Garber, Frederick (ed.), *Romantic irony*, Budapest: Akadémiai Kiadó, 1988.
- Gasché, Rodolphe, 'Überlegungen zum Begriff der Hypotypose bei Kant', in Christiaan L. Hart Nibbrig (ed.), *Was heißt 'Darstellen'?* Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1994, pp. 152-74.
- Hamlin, Cyrus, 'The Temporality of selfhood: metaphor and Romantic poetry', *New Literary History* 6 (1974), pp. 169-93.
- Henrich, Dieter, *The course of remembrance and other essays on Hölderlin*, Eckart Förster (ed.), Stanford, CA: Stanford University Press, 1997.
- Hodgson, John A., *Coleridge, Shelley, and transcendental inquiry: rhetoric, argument, metapsychology*, Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1989.
- Lacoue-Labarthe, Philippe, and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in early German Romanticism*, Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Lausberg, Heinrich, *Handbuch der literarischen Rhetorik: eine Grundlegung der Literaturwissenschaft*, 2 vols., Munich: Hueber, 1960.
- Man, Paul de, *Allegories of reading*, New Haven, CT: Yale University Press, 1979.
- Blindness and insight*, expanded edition, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1983.
- The rhetoric of Romanticism*, New York: Columbia University Press, 1984.
- Mellor, Anne K., *English Romantic irony*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980.
- Menninghaus, Winfried, *Unendliche Verdopplung: die frühromantische Grundlegung der Kunsttheorie im Begriff absoluter Selbstreflexion*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1987.
- Most, Glenn W., 'Rhetorik und Hermeneutik: zur Konstitution der Neuzeitlichkeit', *Antike und Abendland* 30 (1984), pp. 62-79.
- O'Brien, William Arctander, *Novalis: signs of revolution*, Durham, NC: Duke University Press, 1995.
- Pfau, Thomas, 'Rhetoric and the existential: Romantic studies and the question of the subject', *Studies in Romanticism* 26 (1987), pp. 487-512.
- Rajan, Tilottama, 'Displacing post-structuralism: Romantic studies after Paul de Man', *Studies in Romanticism* 24 (1985), pp. 451-74.
- Reed Arden (ed.), *Romanticism and language*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984.
- Schaeffer, Jean-Marie, 'Romantisme et langage poétique', *Poétique* 42 (1980), pp. 177-94.
- Schanze, Helmut, *Rhetorik: Beiträge zu ihrer Geschichte in Deutschland vom 16.-20. Jahrhundert*, Frankfurt: Athenäum, 1974.
- Schanze, Helmut (ed.), *Friedrich Schlegel und die Kunsttheorie seiner Zeit*, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1988.
- Smith, John, *The spirit and the letter: traces of rhetoric in Hegel's philosophy of Bildung*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1988.
- Todorov, Tzvetan, *Theories of the symbol*, Catherine Porter (trans.), Ithaca, NY: Cornell University Press, 1982.
- Ueding, Gerd, *Schillers Rhetorik: Idealistische Wirkungsästhetik und rhetorische Tradition*, Tübingen: Niemeyer, 1971.

Gerd Ueding (ed.), *Historisches Wörterbuch der Rhetorik*, Tübingen: Niemeyer, 1992ff.

## ١٥ Romantic irony

### Primary sources

- Kierkegaard, Søren, *The concept of irony, with constant reference to Socrates*, Lee M. Capel (trans.), New York: Harper, 1965.
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, Paul Kluckhohn and Richard H. Samuel (eds.), 5 vols., Stuttgart: Kohlhammer, 1960-1988.
- Philosophical writings*, Margaret Mahony Stoljar (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1997.
- Richter, Jean Paul Friedrich, *Horn of Oberon: Jean Paul Richter's school for aesthetics*, Margaret R. Hale (trans.), Detroit, MI: Wayne State University Press, 1973.
- Schlegel, Friedrich, *Literary notebooks (1797-1801)*, Hans Eichner (ed.), London: University of London, Athlone Press, 1957.
- Philosophische Lehrjahre I (1796-1806)*, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler (ed.), vol. XVIII, Munich: Schöningh, 1963.
- Philosophische Vorlesungen I (1800-1807)*, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Jean-Jacques Anstett (ed.), vol. XII, Munich: Schöningh, 1964.
- Charakteristiken und Kritiken I (1796-1801)*, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Hans Eichner (ed.), vol. II, Munich: Schöningh, 1967.
- Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis: University of Minnesota Press, 1971.
- Charakteristiken und Kritiken II (1802-1829)*, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Hans Eichner (ed.), vol. III, Munich: Schöningh, 1975.
- Fragmente zur Poesie und Literatur I*, *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Hans Eichner (ed.), vol. XVI, Munich: Schöningh, 1981.
- Solger, Karl Wilhelm Ferdinand, *Erwin: vier Gespräche über das Schöne und die Kunst*, Wolfhart Henckmann (ed.), Munich: Fink, 1971.
- Wheeler, Kathleen (ed.), *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Cambridge University Press, 1984.

### Secondary sources

- Albert, Georgia, 'Understanding irony: three essays on Friedrich Schlegel', *MLN*, 108 (1993), pp. 825-48.
- Alford, Steven, *Irony and the logic of the Romantic imagination*, New York: Lang, 1984.
- Allemann, Beda, *Ironie und Dichtung*, Pfullingen: Neske, 1956.
- 'Ironie als literarisches Prinzip', in *Ironie und Dichtung*, Albert Schaefer (ed.), Munich: Beck, 1970, pp. 11-37.
- Behler, Ernst, *Klassische Ironie, romantische Ironie, tragische Ironie: zum Ursprung dieser Begriffe*, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1972.

- Irony and the discourse of modernity*, Seattle, WA: University of Washington Press, 1990.
- Ironie und literarische Moderne*, Paderborn: Schöningh, 1997.
- Benjamin, Walter, *Der Begriff der Kunstkritik in der deutschen Romantik*, in *Gesammelte Schriften*, Rolf Tiedemann and Hermann Schweppenhäuser (eds.), Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974, vol. 1, pp. 7-122.
- Bishop, Lloyd, *Romantic irony in French literature: from Diderot to Beckett*, Nashville, TN: Vanderbilt University Press, 1989.
- Booth, Wayne, *A rhetoric of irony*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1974.
- Bourgeois, René, *L'ironie romantique: spectacle et jeu de Mme de Staël à Gérard de Nerval*, Grenoble: Presses Universitaires de Grenoble, 1974.
- Brooks, Cleanth, 'Irony as a principle of structure', in *Critical theory since Plato*, Hazard Adams (ed.), New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1971, pp. 968-74.
- Brown, Marshall, *The shape of German Romanticism*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1979.
- Comstock, Cathy, '“Transcendental buffoonery”: irony as process in Schlegel's “Über die Unverständlichkeit”', *Studies in Romanticism*, 26 (1987), pp. 445-64.
- Dane, Joseph, *The critical mythology of irony*, Athens, GA: University of Georgia Press, 1991.
- Daverio, John, 'Schumann's systems of musical fragments and Witz', in *Nineteenth-century music and the German Romantic ideology*, New York: Schirmer Books, 1993, pp. 49-88.
- Dierkes, Hans, 'Ironie und System: Friedrich Schlegels “Philosophische Lehrjahre” (1797-1799)', *Philosophisches Jahrbuch der Görres-Gesellschaft* 97 (1990), pp. 251-76.
- Dyson, A. E., *The crazy fabric: essays in irony*, London: Macmillan, 1965.
- Finlay, Marika, *The Romantic irony of semiotics: Friedrich Schlegel and the crisis of representation*, Berlin: Mouton de Gruyter, 1988.
- Fetzer, John Francis, 'Romantic irony', in *European Romanticism: literary cross-currents, modes, and models*, Gerhart Hoffmeister (ed.), Detroit, MI: Wayne State University Press, 1990, pp. 19-36.
- Furst, Lilian R., *Fictions of romantic irony*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1984.
- Garber, Frederick, *Self, text, and romantic irony: the example of Byron*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1988.
- Garber, Frederick (ed.), *Romantic irony*, Budapest: Akadémiai Kiadó, 1988.
- Gillespie, Gerald (ed.), *Romantic drama*, Amsterdam: Benjamins, 1994.
- Hamilton, Paul, 'Romantic irony and English literary history', in *The Romantic heritage: a collection of critical essays*, Karsten Engelberg (ed.), Copenhagen: University of Copenhagen, 1983, pp. 11-32.
- Hamlin, Cyrus, 'Platonic dialogue and romantic irony: prolegomenon to a theory of Romantic narrative', *Canadian review of comparative literature* 3 (1976), pp. 5-26.
- Handwerk, Gary, *Irony and ethics in narrative: from Schlegel to Lacan*, New Haven, CT: Yale University Press, 1985.

- Immerwahr, Raymond, 'The subjectivity or objectivity of Friedrich Schlegel's poetic irony', *Germanic review* 26 (1951), pp. 173-91.
- 'Romantic irony and romantic arabesque prior to Romanticism', *German quarterly* 42 (1969), pp. 665-85.
- Jankélévitch, Vladimir, *L'ironie, ou la bonne conscience*, Paris: Alcan, 1936.
- Kálmán, György C., 'Romantic irony as an international phenomenon', *Neohelicon* 18 (1991), pp. 289-96.
- Kapitza, Peter, 'Theorie der Mischung und Universalpoesie', *Die frühromantische Theorie der Mischung: über den Zusammenhang von romantischer Dichtungstheorie und zeitgenössischer Chemie*, Munich: Hueber, 1968, pp. 157-84.
- Kipperman, Mark, 'Fichtean irony and some principles of Romantic quest', *Studies in Romanticism* 23 (1984), pp. 223-36.
- Knox, Norman, *The word 'irony' and its context (1500-1755)*, Durham, NC: Duke University Press, 1961.
- Lacoue-Labarthe, Philippe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Philip Barnard and Cherel Lester (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Lang, Candace D., *Irony/humor: critical paradigms*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1988.
- Lukács, Georg, 'Richness, chaos and form: a dialogue concerning Laurence Sterne', in *Soul and form*, Anna Bostock (trans.), Cambridge, MA: The MIT Press, 1974, pp. 124-51.
- Man, Paul de, 'The rhetoric of temporality', in *Blindness and insight: essays in the rhetoric of contemporary criticism*, Theory and History of Literature 7, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1983, pp. 187-228.
- Meitinger, Serge, 'Idéalisme et poétique', *Romantisme* 14, no. 45 (1984), pp. 3-24.
- Mellor, Anne K., *English Romantic irony*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980.
- Muecke, Douglas C., *The compass of irony*, London: Methuen, 1969.
- Prang, Helmut, *Die romantische Ironie*, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1972.
- Preisendanz, Wolfgang, *Humor als dichterische Einbildungskraft: Studien zur Erzählkunst des poetischen Realismus*, Munich: Fink, 1976.
- Preisendanz, Wolfgang and Rainer Warning (eds.), *Das Komische, das Satirische, und das Ironische*, Munich: Fink, 1976.
- Ryals, Clyde de L., *A world of possibilities: romantic irony in Victorian literature*, Columbus, OH: Ohio University Press, 1990.
- Shrayer, Maxim D., 'Rethinking romantic irony: Puškin, Byron, Schlegel and *The queen of spades*', *Slavic and East European journal* 36 (1992), pp. 397-414.
- Simpson, David, *Irony and authority in Romantic poetry*, London: Macmillan, 1979.
- Sperber, Daniel and Deirdre Wilson, 'Irony and the use-mention distinction', in *Radical pragmatics*, Peter Cole (ed.), New York: Academic Press, 1981, pp. 295-318.

- Sperry, Stuart M., 'Toward a definition of romantic irony in English literature', in *Romantic and Modern: revaluations of literary tradition*, George Bornstein (ed.), Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press, 1977, pp. 3-28.
- Strohschneider-Kohrs, Ingrid, *Die romantische Ironie in Theorie und Gestaltung*, Tübingen: Niemeyer, 1960.
- Szondi, Peter, 'Friedrich Schlegel and romantic irony, with some remarks on Tieck's comedies', in *On textual understanding and other essays*, Harvey Mendelsohn (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1986, pp. 57-73.
- Verstraete, Ginette, 'Friedrich Schlegel's practice of literary theory', *The Germanic review* 69 (1994), pp. 28-35.
- Vlastos, Gregory, *Socrates: ironist and moral philosopher*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991.
- White, Hayden, *Metahistory: the historical imagination in nineteenth-century Europe*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1973.

## ١١ Theories of genre

### Primary sources

- Blair, Hugh, *Lectures on rhetoric and belles lettres*, vol. III, New York: Garland, 1970, 3 vols.
- Godwin, William, 'Of choice in reading', in *The enquirer: reflections on education, manners, and literature in a series of essays*, New York: Kelley, 1965, pp. 129-46.
- 'Of history and romance', in *Things as they are; or, the adventures of Caleb Williams*, Maurice Hindle (ed.), London: Penguin, 1988.
- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), vol. 1, Oxford: Clarendon Press, 1975, 2 vols.
- Herder, Johann Gottfried, *Selected early works, 1764-1767: addresses, essays, and drafts; fragments on recent German literature*, Ernest A. Menze and Karl Menges (eds.), Ernest A. Menze and Michael Palma (trans.), University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1992.
- Hugo, Victor, Preface to *Cromwell*, Paris: Garnier-Flammarion, 1968.
- Kierkegaard, Søren, *The concept of irony*, Lee M. Capel (trans.), Bloomington, IN: Indiana University Press, 1971.
- Peacock, Thomas Love, *The four ages of poetry*, in Shelley and Peacock, 'A defence of poetry' and 'The four ages of poetry', Indianapolis, IN: Bobbs-Merrill, 1965, pp. 3-21.
- Reeve, Clara, *The progress of romance through times, countries, and manners*, 1785, rpt. New York: Garland, 1970.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph, *The philosophy of art*, Douglas W. Storr (ed. and trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989.
- Schiller, Friedrich, *Naive and sentimental poetry*, in *Naive and sentimental poetry; and, On the sublime*, Julius A. Elias (trans.), New York: Ungar, 1966, pp. 81-190.

- Schlegel, August Wilhelm, *A course of lectures on dramatic art and literature*, Alexander James William Morrison (ed.), John Black (trans.), London: Bohn, 1846.
- Schlegel, Friedrich, *Literary notebooks, 1797-1801*, Hans Eichner (ed.), Toronto: University of Toronto Press, 1957.
- 'Dialogue on poetry', in Ernst Behler and Roman Struc (trans.), *Dialogue on poetry and literary aphorisms*, University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1968, pp. 51-117.
- Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991.
- Schopenhauer, Arthur, *The world as will and representation*, E. F. J. Payne (trans.), vol. 1, New York: Dover, 1969, 2 vols.
- Shelley, Percy Bysshe, *A defence of poetry*, in *Shelley's poetry and prose: authoritative texts, criticism*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1977, pp. 478-508.

#### Secondary sources

- Bahti, Timorhy, 'Fate in the past: Peter Szondi's reading of German Romantic genre theory', *Boundary 2* 11 (1983), pp. 111-25.
- Bakhtin, Mikhail Mikhailovich, *The dialogic imagination*, Caryl Emerson and Michael Holquist (trans.), Austin, TX: University of Texas Press, 1981.
- Beebe, Thomas O., *The ideology of genre: a comparative study of generic instability*, University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1994.
- Benjamin, Walter, 'The storyteller: reflections on the work of Nikolai Leskov', in *Illuminations*, Hannah Arendt (ed.), Harry Zohn (trans.), New York: Schocken, 1969, pp. 83-109.
- The origin of German tragic drama*, John Osborne (trans.), London: Verso, 1992.
- Corngold, Stanley, 'Nietzsche's moods', *Studies in Romanticism* 29 (1990), pp. 67-90.
- Curran, Stuart, *Poetic form and British Romanticism*, Oxford University Press, 1989.
- Fishelov, David, *Metaphors of genre: the role of analogies in genre theory*, University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1993.
- Fowler, Alastair, *Kinds of literature: an introduction to the theory of genres and modes*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1982.
- Frank, Manfred, 'The infinite text', *Glyph: textual studies*, vol. VII, Samuel Weber (ed.), Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1980, pp. 70-101.
- Genette, Gérard, *The architext: an introduction*, Jane E. Lewin (ed.), Berkeley, CA: University of California Press, 1992.
- Guillén, Claudio, *Literature as system: essays toward the theory of literary history*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1971.
- Hamburger, Käte, *The logic of literature*, Marilynn J. Rose (trans.), 2nd edn, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1973.
- Hamlin, Cyrus, 'The origins of a philosophical genre theory in German Romanticism', *European Romantic review* 5 (1994), pp. 3-14.

- Hartman, Geoffrey H., *Beyond formalism: literary essays 1958-1970*, New Haven, CT: Yale University Press, 1970.
- The fate of reading and other essays*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1975.
- Lukács, Georg, 'The ideology of modernism', in *The meaning of contemporary realism*, John and Necke Mander (trans.), London: Merlin Press, 1962, pp. 17-46.
- The theory of the novel: a historico-philosophical essay on the forms of great epic literature*, Anna Bostock (trans.), Cambridge, MA: The MIT Press, 1971.
- Man, Paul de, 'The rhetoric of temporality', in *Blindness and insight: essays in the rhetoric of contemporary criticism*, Theory and History of Literature 7, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1983, pp. 187-228.
- Nietzsche, Friedrich, *The birth of tragedy*, in *The birth of tragedy; and The genealogy of morals*, Francis Golffing (trans.), New York: Anchor Books, 1956, pp. 1-146.
- Rajan, Tilottama and Julia M. Wright, 'Introduction', in *Romanticism, history and the possibilities of genre: re-forming literature 1789-1837*, Cambridge University Press, 1998, pp. 1-18.
- Staiger, Emil, *Basic concepts of poetics*, Marianne Burkhard and Luanne T. Frank (eds.), Janetta C. Hudson and Luanne T. Frank (trans.), University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1991.
- Szondi, Peter, 'Friedrich Schlegel's theory of poetical genres: a reconstruction from the posthumous fragments', in *On textual understanding and other essays*, Harvey Mendelsohn (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1986, pp. 75-94.
- Todorov, Tzvetan, *Genres in discourse*, Catherine Porter (trans.), Cambridge University Press, 1990.
- Weissenberger, Klaus, 'A morphological genre theory: an answer to a pluralism of forms', in *Theories of literary genre*, Joseph P. Strelka (ed.), University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1978, pp. 229-53.
- Wellek, René, 'Genre theory, the lyric, and *Erlebnis*', in *Discriminations: further concepts of criticism*, New Haven, CT: Yale University Press, 1970, pp. 225-52.
- Worringer, Wilhelm, *Abstraction and empathy: a contribution to the psychology of style*, Michael Bullock (trans.), Cleveland: Meridian Books, 1967.

## ١٢ Theory of the novel

### Primary sources

- Balzac, Honoré de, Preface to *La comédie humaine*, Marcel Bouteron (ed.), vol. 1, Paris: Gallimard, 1950-6, pp. 3-16 (trans. Ellen Marriage, *The works of Honoré de Balzac*, vol. 1, Philadelphia, PA: Avil, 1901, pp. liii-lxix).
- 'A study of M. Beyle', in *The charterhouse of Parma* by Stendhal, 2 vols., C. K. Scott Moncrieff (trans.), New York: Boni & Liveright, 1925, 1: vii-lxxiii.
- Barbauld, Anna Laetitia (ed.), 'On the origin and progress of novel-writing', in *The British novelists*, 50 vols., London: Rivington, 1810, 1: 1-62.

- Blanckenburg, Friedrich von, *Versuch über den Roman*, Eberhard Lämmert (ed.), Stuttgart: Metzler, 1965.
- Dunlop, John Colin, *History of prose fiction*, Henry Wilson (ed.), new edn, New York: AMS Press, 1969.
- Eichendorff, Joseph von, *Der deutsche Roman des achtzehnten Jahrhunderts in seinem Verhältniß zum Christentum*, in *Sämtliche Werke des Freiherrn Joseph von Eichendorff*, Historisch-Kritische Ausgabe, Wolfram Mauser (ed.), 18 vols., Regensburg: Josef Habbel, 1965, VIII: 5-245.
- Fielding, Joseph, *Joseph Andrews*, Martin C. Battestein (ed.), The Wesleyan edition of the works of Henry Fielding, Oxford: Clarendon Press, 1967.
- The history of Tom Jones*, Fredson Bowers (ed.), Oxford: Wesleyan University Press, 1975.
- Geißler, Rolf (ed.), *Romantheorie in der Aufklärung: Thesen und Texte zum Roman des 18. Jahrhunderts in Frankreich*, Berlin: Akademie-Verlag, 1984.
- Godwin, William, 'Of history and romance', rpt. as 'Essay on history and romance', in *Political and philosophical writings of William Godwin*, Mark Philp (ed.), 7 vols., London: William Pickering, 1993, VII: 290-301.
- Goethe, Johann Wolfgang von, *Wilhelm Meisters Lehrjahre* (Gesamtausgabe der Werke und Schriften in zweiundzwanzig Bänden), 22 vols., Stuttgart: Cotta, 1940-1963, VII: 9-708 (trans. Eric A. Blackall, *Wilhelm Meister's apprenticeship*, New York: Suhrkamp, 1989).
- Hazlitt, William, 'Lectures on the English comic writers', in *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967, VI: 1-168.
- 'Sir Walter Scott, Racine, and Shakespear', in *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967, XII: 336-46.
- 'The spirit of the age; or contemporary portraits', in *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967, XI: 1-184.
- 'The Waverley notes', in *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967, XX: 231-3.
- Huet, Pierre-Daniel, *Traité de l'origine des romans*, 1670, rpt. Stuttgart: Metzler, 1966 (trans. *A treatise of romances and their original*, London: Battersby, 1672).
- Hurd, Richard, *Letters on chivalry and romance*, 1762, rpt. New York: Garland, 1971.
- Jeffrey, Francis, *Contributions to The Edinburgh review*, The modern British essayists 6, Philadelphia, PA: Hart, 1853.
- Lämmert, Eberhard (ed.), *Romantheorie 1620-1880: Dokumentation ihrer Geschichte in Deutschland*, Frankfurt am Main: Athenäum, 1988.
- Manzoni, Alessandro, *On the historical novel*, Sandra Bermann (trans.), Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1996.
- Marlinsky, Aleksandr, 'On Romanticism and the novel', in *Russian Romantic criticism: an anthology*, Lauren Gray Leighton (ed. and trans.), New York: Greenwood Press, 1987, pp. 137-60.
- Murray, Hugh, *The morality of fiction; or, an inquiry into the tendency of fictitious narratives, with observations on some of the most eminent*, Norwood, PA: Norwood, 1977.



- Reeve, Clara, *The progress of romance through times, countries, and manners*, 1785, rpt. New York: Garland, 1970.
- Richter, Jean Paul Friedrich, *Vorschule der Ästhetik*, Norbert Miller (ed.), Hamburg: Meiner, 1990 (trans. Margaret R. Hale, *Horn of Oberon: Jean Paul Richter's school for aesthetics*, Detroit, MI: Wayne University Press, 1973, pp. 179-95).
- Sade Marquis de, *Idée sur les romans*, Jean Glastier (ed.), Bordeaux: Ducros, 1970, (trans. Austryn Wainhouse and Richard Seaver, 'Reflections on the novel', in *The Marquis de Sade: the 120 days of Sodom and other writings*, New York: Grove Press, 1966, pp. 91-116).
- Schlegel, Friedrich von, *Literary notebooks (1797-1801)*, Hans Eichner (ed.), University of London, Athlone Press, 1957.
- 'Goethes Werke nach der Cottaschen Ausgabe von 1806', in *Kritische Schriften*, Wolf Dietrich Rasch (ed.), Munich: Hanser, 1964, pp. 288-322.
- Dialogue on poetry and literary aphorisms*, Ernst Behler and Roman Struc (eds. and trans.), University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1968.
- Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1971.
- 'Letter about the novel,' in *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Kathleen M. Wheeler (ed.), Cambridge University Press, 1984, pp. 73-80.
- 'On Goethe's Meister', in *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Kathleen M. Wheeler (ed.), Cambridge University Press, 1984, pp. 59-73.
- Schleiermacher, Friedrich, 'Roman', in *Ästhetik. Über den Begriff der Kunst*, Thomas Lehner (ed.), Hamburg: Meiner, 1984, pp. 142-7.
- Scott, Walter, *Sir Walter Scott on novelists and fiction*, Ioan M. Williams (ed.), London: Routledge & Paul, 1968.
- 'Prefaces to the edition of 1829', in *Waverley; or, 'tis sixty years since*, Claire Lamont (ed.), Oxford: Clarendon Press, 1981.
- Staël, Madame de, 'Essay on fictions', in *An extraordinary woman: selected writings of Germaine de Staël*, Vivian Folkenflik (trans.), New York: Columbia University Press, 1987, pp. 60-78.
- Weber, Ernst (ed.), *Texte zur Romantheorie*, vol. II, Munich: Fink, 1981, 2 vols.
- Williams, Ioan M. (ed.), *Novel and romance, 1700-1800: a documentary record*, New York: Barnes & Noble, 1970.
- Wollstonecraft, Mary, *The works of Mary Wollstonecraft*, Janet Todd and Marilyn Butler (eds.), vol. VII: *On poetry: contributions to the Analytical review*, London: Pickering, 1989, 7 vols.

## Secondary sources

- Bator, Paul G., 'Rhetoric and the novel in the eighteenth-century British university curriculum', *Eighteenth-century studies* 30 (1996-7), pp. 173-95.
- Bauer, Matthias, *Romantheorie*, Stuttgart: Metzler, 1997.
- Becker, Eva D., *Der deutsche Roman um 1780*, Stuttgart: Metzler, 1964.

- Behler, Diana, *The theory of the novel in early German Romanticism*, Berne: Peter Lang, 1978.
- Behler, Ernst, 'Goethes *Wilhelm Meister* und die Romantheorie der Frühromantik', *Etudes germaniques* 44 (1989), pp. 409-28.
- Behrendt, Stephen C., 'Questioning the Romantic novel', *Studies in the novel* 26 (1994), pp. 5-25.
- Bell, Michael Davitt, *The development of American romance: the sacrifice of relation*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1980.
- Blackall, Eric A., *Goethe and the novel*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1976.
- Blin, Georges, *Stendhal et les problèmes du roman*, Paris: Corti, 1990.
- Böckmann, Paul, 'Der Roman der Transzendentalpoesie in der Romantik', in *Geschichte, Deutung, Kritik: Literaturwissenschaftliche Beiträge dargebracht zum 65. Geburtstag Werner Kohlschmidts*; Maria Bindschedler and Paul Zinsli (eds.), Bern: Francke, 1969, pp. 165-85.
- Brown, Jane K. 'The theatrical mission of the Lehrjahre', *Goethe's narrative fiction: the Irvine Goethe symposium*, William J. Lillyman (ed.), Berlin: de Gruyter, 1983, pp. 69-84.
- Brown, Marshall, 'The logic of realism: a Hegelian approach', *PMLA* 96 (1981), pp. 224-41.
- Butler, Marilyn, *Jane Austen and the war of ideas*, Oxford: Clarendon Press, 1975.
- Romantics, rebels, and reactionaries: English literature and its background 1760-1830*, Oxford University Press, 1981.
- Davidson, Cathy N., *The revolution of the word: the rise of the novel in America*, Oxford University Press, 1986.
- Favret, Mary A., 'Telling tales about genre: poetry in the Romantic novel', *Studies in the novel* 26 (1994), pp. 153-72.
- Ferris, Ina, *The achievement of literary authority: gender, history, and the Waverley novels*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991.
- Handwerk, Gary, 'Of Caleb's guilt and Godwin's truth: ideology and ethics in *Caleb Williams*', *ELH* 60 (1993), pp. 939-60.
- Jauß, H. R. (ed.), *Nachahmung und Illusion* (Kolloquium Gießen Juni 1963), Munich: Eidos, 1964.
- Kelly, Gary, *English fiction of the Romantic period 1789-1830*, London: Longman, 1989.
- 'The limits of genre and the institution of literature: Romanticism between fact and fiction', in *Romantic revolutions: criticism and theory*, Kenneth R. Johnston, Gilbert Chaitin, Karen Hanson and Herbert Marks (eds.), Bloomington, IN: Indiana University Press, 1990, pp. 158-75.
- Klancher, Jon, 'Godwin and the republican romance: genre, politics, and contingency in cultural history', *Modern language quarterly* 56 (1995), pp. 145-65.
- Laubriet, Pierre, *L'intelligence de l'art chez Balzac: d'une esthétique balzacienne*, Paris: Didier, 1961.
- Levine, George L., *The realistic imagination: English fiction from Frankenstein to Lady Chatterley*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1981.

- Lukács, Georg, *The theory of the novel: a historico-philosophical essay on the forms of great epic literature*, Anna Bostock (trans.), Cambridge, MA: The MIT Press, 1971.
- Mayo, Robert D., *The English novel in the magazines, 1740-1815*, Evanston: Northwestern University Press, 1962.
- Mellor, Anne K., 'A criticism of their own: Romantic women literary critics', in *Questioning Romanticism*, John Beer (ed.), Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1995, pp. 29-48.
- Rader, Ralph W., 'The emergence of the novel in England: genre in history vs history of genre', *Narrative* 1 (1993), pp. 69-83.
- 'From Richardson to Austen: "Johnson's rule" and the development of the eighteenth-century novel of moral action', in *Johnson and his age*, James Engell (ed.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1984, pp. 461-83.
- Richter, David H., *The progress of romance: literary historiography and the gothic novel*, Columbus, OH: Ohio State University Press, 1996.
- Taylor, John Tinnan, *Early opposition to the English novel: the popular reaction from 1760-1830*, New York: King's Crown Press, 1943.
- Trumpener, Katie, *Bardic nationalism: the Romantic novel and the British Empire*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1997.
- 'National character, nationalist plots: national tale and historical novel in the age of Waverley, 1806-1830', *ELH* 60 (1993), pp. 685-731.
- Wilt, Judith, *Secret leaves: the novels of Walter Scott*, Chicago, IL: Chicago University Press, 1985.

### ١٣ The impact of Shakespeare

#### Primary sources

- Bate, Jonathan (ed.), *The Romantics on Shakespeare*, London: Penguin Books, 1992.
- Carlyle, Thomas, *On heroes, hero-worship and the heroical in history*, Michael K. Goldberg (ed.), Berkeley, CA: University of California Press, 1993.
- Coleridge, Samuel Taylor, *The notebooks of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.), 3 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.
- Biographia literaria, or, biographical sketches of my literary life and opinions*, James Engell and Walter Jackson Bate (eds.), 2 vols., London: Routledge & Kegan Paul, 1983.
- The collected works of Samuel Taylor Coleridge*, vol. v: *Lectures 1808-1819 on literature*, R. A. Foakes (ed.), Princeton, NJ: Princeton University Press, 1987, 16 vols.
- Coleridge's criticism of Shakespeare*, R. A. Foakes (ed.), Detroit, MI: Wayne State University Press, 1989.
- Emerson, Ralph Waldo, *Representative men*, in *Essays and lectures*, New York: Viking Press, 1983, pp. 611-761.
- Goethe, Johann Wolfgang, *Wilhelm Meister's apprenticeship*, Eric A. Blackall (ed. and trans.), New York: Suhrkamp, 1989.

- 'Shakespeare: a tribute', in *Essays on art and literature*, John Gearey (ed.), Ellen von Nardroff and Ernest H. von Nardroff (trans.), New York: Suhrkamp, 1986, pp. 163-5.
- Hazlitt, William, 'Shakespeare and Milton', in *Lectures on the English poets and the English comic writers*, William Carew Hazlitt (ed.), London: Bell, 1894.
- Characters of Shakespeare's plays*, London: Oxford University Press, 1949.
- Johnson, Samuel, *Samuel Johnson on Shakespeare*, W. K. Wimsatt, Jr (ed.), New York: Hill and Wang, 1960.
- Keats, John, *The letters of John Keats: 1814-1821*, Hyder Edward Rollins (ed.), vol. 1, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1958, 2 vols.
- Lamb, Charles, 'On the tragedies of Shakespeare, with reference to their fitness for stage representation', in *Complete works and letters*, New York: Random House, 1935, pp. 289-303.
- LeWinter, Oswald (ed.), *Shakespeare in Europe*, New York: Meridian Books, 1963.
- Melville, Herman, 'Hawthorne and his mosses', in *Moby-Dick*, Harrison Hayford and Hershel Parker (eds.), New York: Norton, 1967.
- Schlegel, Friedrich von, *Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991.
- Simpson, David (ed.), *The origins of modern critical thought: German aesthetic and literary criticism from Lessing to Hegel*, Cambridge University Press, 1988.
- Stendhal, *Racine and Shakespeare*, Guy Daniels (trans.), New York: Crowell-Collier Press, 1962.
- Wheeler, Kathleen M. (ed.), *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Cambridge University Press, 1984.

#### Secondary sources

- Abrams, Meyer H., *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Oxford University Press, 1953.
- Arac, Jonathan, 'The media of sublimity: Johnson and Lamb on *King Lear*', *Studies in Romanticism* 26 (1987), pp. 209-20.
- 'Hamlet, Little Dorrit, and the history of character', *South Atlantic quarterly* 87.2 (Spring 1988), pp. 311-28.
- Bate, Jonathan, *Shakespeare and the English Romantic imagination*, Oxford: Clarendon Press, 1986.
- Shakespearean constitutions: politics, theatre, criticism, 1730-1830*, Oxford: Clarendon Press, 1989.
- Bate, Walter Jackson, *John Keats*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1963.
- Behler, Ernst, *German Romantic literary theory*, Cambridge University Press, 1993.
- Bradley, A. C., 'Hegel's theory of tragedy', in *Oxford lectures on poetry*, London: Macmillan, 1909, pp. 69-95.
- Crawford, John M., *Romantic criticism of Shakespearian drama*, Salzburg: Institut für Englische Sprache und Literatur, Universität Salzburg, 1978.

- Dirk, Delabastita and Lievan D'hulst (eds.), *European Shakespeares: translating Shakespeare in the Romantic age*, Amsterdam: Benjamins, 1993.
- Donohue, Joseph W., Jr, *Dramatic character in the English Romantic age*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1970.
- Furst, Lilian R., 'Shakespeare and the formation of Romantic drama in Germany and France', in Gerald Gillespie (ed.), *Romantic drama*, Amsterdam: Benjamins, 1994, pp. 3-15.
- Grazia, Margreta de, *Shakespeare verbatim: the reproduction of authenticity and the 1790 apparatus*, Oxford: Clarendon Press, 1991.
- Gundolf, Friedrich, *Shakespeare und der deutsche Geist*, Berlin: Bondi, 1911.
- Habicht, Werner, 'Romanticism, antiromanticism, and the German Shakespeare tradition', in Tetsuo Kishi, Roger Pringle, Stanley Wells (eds.), *Shakespeare and cultural traditions*, Newark, DE: University of Delaware Press, 1994, pp. 243-52.
- Lacoue-Labarthe, Philippe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Philip Barnard and Cherele Lester (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Matthiessen, F. O., *American Renaissance: art and expression in the age of Emerson and Whitman*, Oxford University Press, 1941.
- Odell, George C. D., *Shakespeare from Betterton to Irving*, New York: Scribner's Sons, 1920.
- Sauer, Thomas G., *A. W. Schlegel's Shakespearean criticism in England, 1811-1846*, Bonn: Bouvier, 1981.
- Schoenbaum, S., *Shakespeare's lives*, Oxford: Clarendon Press, 1970.
- Taylor, Gary, *Reinventing Shakespeare: a cultural history from the Restoration to the present*, New York: Weidenfeld & Nicolson, 1989.
- Wellek, René, *A history of modern criticism: 1750-1950*, vols. I-III, New Haven: Yale University Press, 1955, 8 vols.

#### 14 The vocation of criticism and the crisis of the republic of letters

##### Primary sources

- Baillie, Joanna, 'Preface' to *A series of plays*, 1798, rpt. London: Routledge, 1996, I: 1-72.
- Barbauld, Anna Letitia (ed.), *The British novelists*, 50 vols., London: Rivington, 1810.
- Beiser, Frederick (ed. and trans.), *The early political writings of the German Romantics*, Cambridge University Press, 1996.
- Burke, Edmund, *Reflections on the Revolution in France*, Conor Cruise O'Brien (ed.), Baltimore, MD: Penguin Books, 1969.
- Carlyle, Thomas, *Critical and miscellaneous essays*, Henry Duff Traill (ed.), London: Chapman & Hall, 1899.
- On heroes, hero-worship and the heroic in history*, New York: AMS Press, 1969.
- [Christie, Thomas], 'To the public', *Analytical review* 1 (1788), pp. i-vi.

- Coleridge, Samuel Taylor, *The collected works of Samuel Taylor Coleridge*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969-.
- De Quincey, Thomas, *The collected writings of Thomas de Quincey*, new edn, David Masson (ed.), 14 vols., Edinburgh: Adam & Charles Black, 1889-90.
- D'Israeli, Isaac, *Curiosities of literature: consisting of anecdotes, characters, sketches and observations, literary, critical and historical*, London: Murray, 1791.
- Fichte, Johann Gottlieb, *The characteristics of the present age*, in William Smith (trans.), *Popular works of Johann Gottlieb Fichte*, London: Trübner, 1889, II: 1-288.
- Fichte: *early philosophical writings*, Daniel Breazeale (ed. and trans.), Ithaca, NY: Cornell University Press, 1988.
- Godwin, William, *The enquirer: reflections on education, manners, and literature*, London: Robinson, 1797.
- Goldsmith, Oliver, *Collected works of Oliver Goldsmith*, Arthur Friedman (ed.), Oxford: Clarendon Press, 1966, 5 vols.
- Hazlitt, William, *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967.
- Hunt, Leigh, *Leigh Hunt's literary criticism*, Lawrence Huston Houtchens and Carolyn Washburn Houtchens (eds.), New York: Columbia University Press, 1956.
- Jeffrey, Francis, *Contributions to the 'Edinburgh review'*, London: Longman, Brown, Green & Longmans, 1854.
- Johnson, Samuel, *The Yale edition of the works of Samuel Johnson*, W. J. Bate et al. (eds.), New Haven, CT: Yale University Press, 1958-, 20 vols.
- Kant, Immanuel, *Critique of judgment*, Werner S. Pluhar (trans.), Indianapolis, IN: Hackett, 1987.
- Perpetual peace, and other essays on politics, history, and morals*, Ted Humphrey (trans.), Indianapolis, IN: Hackett, 1983.
- Mathias, T[homas] J[ames], *The pursuits of literature: a satirical poem in four dialogues, with notes*, 12th edn, London: Becket, 1808.
- Reeve, Clara, *The progress of romance through times, countries, and manners*, 1785, rpt. New York: Garland, 1970.
- Schiller, Friedrich, *On the aesthetic education of man*, Elizabeth M. Wilkinson and L. A. Willoughby (trans.), Oxford: Clarendon Press, 1967.
- Schlegel, Friedrich von, *Literary notebooks, 1797-1801*, Hans Eichner (ed.), Toronto: University of Toronto Press, 1957.
- Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler (ed.), Munich: Schöningh, 1958-.
- Philosophical fragments*, Peter Firchow (trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1991.
- Schulte-Sasse, Jochen et al. (eds.), *Theory as practice: a critical anthology of early German Romantic writings*, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1997.
- Shelley, Percy Bysshe, *The prose works of Percy Bysshe Shelley*, E. B. Murray (ed.), Oxford: Clarendon Press, 1993.
- Shelley's prose, or The trumpet of a prophecy*, David Lee Clark (ed.), Albuquerque, NM: University of New Mexico Press, 1954.

- Simpson, David (ed.), *The origins of modern critical thought: German aesthetics and literary criticism from Lessing to Hegel*, Cambridge University Press, 1988.
- Staël, Madame de, *De la littérature considérée dans ses rapports avec les institutions sociales*, Paris: Maradan, 1800 (trans. *A treatise on ancient and modern literature*, London: George Cawthorn, 1803, 2 vols.).
- Wollstonecraft, Mary, *A vindication of the rights of woman*, Miriam Brody Kramnick (ed.), Harmondsworth: Penguin Books, 1975.
- Women critics, 1660-1820: an anthology*, Folger Collective on Early Women Critics (ed.), Bloomington, IN: Indiana University Press, 1995.

### Secondary sources

- Abrams, Meyer H., *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Oxford University Press, 1953.
- Arac, Jonathan, *Critical genealogies: historical situations for postmodern literary studies*, New York: Columbia University Press, 1987.
- Aske, Martin, 'Critical disfigurings; the "jealous leer malign" in Romantic criticism', in *Questioning Romanticism*, John Beer (ed.), Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1995, pp. 49-70.
- Barrell, John, *English literature in history, 1730-80: an equal, wide survey*, London: Hutchinson, 1983.
- The political theory of painting from Reynolds to Hazlitt: 'the body of the public'*, New Haven, CT: Yale University Press, 1986.
- Behler, Ernst, *German Romantic literary theory*, Cambridge University Press, 1993.
- Behrendt, Stephen C., *Shelley and his audiences*, Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1989.
- Beiser, Frederick C., *Enlightenment, Revolution, and Romanticism: the genesis of modern German political thought, 1790-1820*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992.
- Berghahn, Klaus L., 'From Classicist to Classical literary criticism, 1730-1806', John R. Blazer (trans.), in Peter Uwe Hohendahl (ed.), *A history of German literary criticism, 1730-1980*, Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1988, pp. 13-98.
- Bialostosky, Don H., *Wordsworth, dialogics, and the practice of criticism*, Cambridge University Press, 1992.
- Bromwich, David, *Hazlitt: the mind of a critic*, Oxford University Press, 1983.
- 'Romantic poetry and the Edinburgh ordinances', *Yearbook of English studies* 19 (1989), 1-16.
- Butler, Marilyn, *Romantics, rebels, and reactionaries: English literature and its background, 1760-1830*, New York: Oxford University Press, 1981.
- 'Culture's medium: the role of the review', in Stuart Curran (ed.), *The Cambridge companion to British Romanticism*, Cambridge University Press, 1993, pp. 120-47.
- Bygrave, Stephen, 'Land of the giants: gaps, limits and audiences in Coleridge's *Biographia literaria*', in *Beyond Romanticism: new approaches to texts and contexts, 1780-1832*, London: Routledge, 1992, pp. 32-52.

- Carlson, Julie A., *In the theatre of Romanticism: Coleridge, nationalism, women*, Cambridge University Press, 1994.
- Chandler, James K., *Wordsworth's second nature: a study of the poetry and politics*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1984.
- 'Representative men, spirits of the age, and other Romantic types', in Kenneth R. Johnston et al. (eds.), *Romantic revolutions: criticism and theory*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1990, pp. 104-32.
- Christensen, Jerome, *Coleridge's blessed machine of language*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1981.
- Practicing enlightenment: Hume and the formation of a literary career*, Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1987.
- Lord Byron's strength: Romantic writing and commercial society*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1993.
- Eagleton, Terry, *The function of criticism: from 'The spectator' to post-structuralism*, London: Verso, 1984.
- Engell, James, *The creative imagination: Enlightenment to Romanticism*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1981.
- Friedrichsmeyer, Sara, 'Caroline Schlegel-Schelling: "a good woman, and no heroine"', in Katherine R. Goodman and Edith Waldstein (eds.), *In the shadow of Olympus: German women writers around 1800*, Albany, NY: State University of New York Press, 1992.
- Furniss, Tom, *Edmund Burke's aesthetic ideology: language, gender, and political economy in revolution*, Cambridge University Press, 1993.
- Gilmartin, Kevin, *Print politics: the press and radical opposition in early nineteenth-century England*, Cambridge University Press, 1996.
- Goodman, Dena, *The republic of letters: a cultural history of the French Enlightenment*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1994.
- Gross, John, *The rise and fall of the man of letters: aspects of English literary life since 1800*, London: Weidenfeld & Nicolson, 1969.
- Guillory, John, *Cultural capital: the problem of literary canon formation*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1993.
- Habermas, Jürgen, *The structural transformation of the public sphere: an inquiry into a category of bourgeois society*, Thomas Burger (trans.), Cambridge, MA: The MIT Press, 1989.
- Hamilton, Paul, *Coleridge's poetics*, Oxford: Blackwell, 1983.
- Heyck, T[homas] W[illiam], *The transformation of intellectual life in Victorian England*, London: Croom Helm, 1982.
- Hohendahl, Peter (ed.), *A history of German literary criticism, 1730-1980*, Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1988.
- Hogle, Jerrold E., *Shelley's process: radical transference and the development of his major works*, New York: Oxford University Press, 1988.
- Izenberg, Gerald N., *Impossible individuality: Romanticism, revolution, and the origins of modern selfhood, 1787-1802*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1992.
- Jacobus, Mary, 'The art of managing books', in Arden Reed (ed.), *Romanticism and language*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984, pp. 215-46.



- Keen, Paul, 'Whispers in the state: Romanticism and the public sphere', diss. University of York, 1996.
- Kinnaird, John, *William Hazlitt, critic of power*, New York: Columbia University Press, 1978.
- Klancher, Jon P., *The making of English reading audiences, 1790-1832*, Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1987.
- Lacoue-Labarthe, Philippe and Jean-Luc Nancy, *The literary absolute: the theory of literature in German Romanticism*, Philip Barnard and Cherele Lester (trans.), Albany, NY: State University of New York Press, 1988.
- Leask, Nigel, *The politics of imagination in Coleridge's critical thought*, New York: St Martin's Press, 1988.
- Levine, Joseph M., *The battle of the books: history and literature in the Augustan age*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991.
- Marino, Adrian, 'Literature and ideology in the republic of letters', in François Jost (ed.), *Aesthetics and the literature of ideas: essays in honor of A. Owen Aldridge*, Newark, DE: University of Delaware Press, 1990, pp. 214-24.
- McGann, Jerome J., *Social values and poetic acts: the historical judgment of literary work*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.
- Mellor, Anne K., *Romanticism & gender*, New York: Routledge, 1993.
- 'A criticism of their own: Romantic women literary critics', in John Beer (ed.), *Questioning Romanticism*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1995, pp. 29-48.
- Park, Roy, *Hazlitt and the spirit of the age: abstraction and critical theory*, Oxford: Clarendon Press, 1971.
- Pfau, Thomas, *Wordsworth's profession: form, class, and the logic of early Romantic cultural production*, Stanford, CA: Stanford University Press, 1997.
- Poovey, Mary, *The proper lady and the woman writer: ideology and style in the works of Mary Wollstonecraft, Mary Shelley, and Jane Austen*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1984.
- Reiss, Timothy J., *The meaning of literature*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1992.
- Roper, Derek, *Reviewing before the 'Edinburgh'*, 1788-1802, London: Methuen, 1978.
- Rose, Mark, *Authors and owners: the invention of copyright*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993.
- Schoenfield, Mark, 'Regulating standards: the *Edinburgh review* and the circulations of judgement', *Wordsworth circle* 24 (1993), pp. 148-51.
- The professional Wordsworth: law, labor, and the poet's contract*, Athens, GA: University of Georgia Press, 1996.
- Schulte-Sasse, Jochen, 'The concept of literary criticism in German Romanticism, 1795-1810', in Peter Uwe Hohendahl (ed.), *A history of German literary criticism, 1730-1980*, Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1988, pp. 99-177.
- Seyhan, Azade, *Representation and its discontents: the critical legacy of German Romanticism*, Berkeley, CA: University of California Press, 1992.
- Simpson, David, *Romanticism, nationalism and the revolt against theory*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1993.

- Siskin, Clifford, *The work of writing: literature and social change in Britain, 1700-1830*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1998.
- Swann, Karen, 'Literary gentlemen and lovely ladies: the debate on the character of Christabel', *ELH* 52 (1985), pp. 397-418.
- Wellek, René, *A history of modern criticism: 1750-1950*, New Haven, CT: Yale University Press, 1955, 8 vols.
- Woodmansee, Martha, *The author, art, and the market: rereading the history of aesthetics*, New York: Columbia University Press, 1994.
- Zionkowski, Linda, 'Territorial disputes in the republic of letters: canon formation and the literary profession', *The eighteenth century: theory and interpretation* 31 (1990), pp. 3-22.

## 15 Women, gender and literary criticism

### Primary sources

- Alcock, Mary, 'A receipt for writing a novel', in Joanna Hughes (ed.), *Poems*, London: Dilly, 1799, pp. 89-93.
- Anon., 'The living poets of England. Mrs Hemans', *The literary magnet* 4 (March 1826), pp. 113-21.
- 'The poetry of Miss Landon', *The literary magnet* n.s. 1 (January 1827), pp. 3-5.
- Arnim, Bettina von, *Die Götterode*, in Walter Schmitz and Sibylle von Steinsdorff (eds.), *Werke und Briefe*, 4 vols., Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1986, 1: 295-746.
- Goethes Briefwechsel mit einem Kinde*, in Walter Schmitz and Sibylle von Steinsdorff (eds.), *Werke und Briefe*, vol. 11, Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1992, 4 vols. (trans. *Goethe's correspondence with a child*, Boston: Houghton Mifflin, 1868).
- Austen, Jane, *Jane Austen's letters to her sister Cassandra and others*, R. W. Chapman (ed.), London: Oxford University Press, 1952.
- Persuasion*, Patricia Ann Meyer Spacks (ed.), New York: Norton, 1995.
- Northanger Abbey*, Claire Grogan (ed.), Peterborough, Ont.: Broadview Press, 1996.
- Baillie, Joanna, 'Introductory discourse', *A series of plays*, 1798, rpt. London: Routledge, 1996, 1: 1-72.
- Barbauld, Anna Letitia, *The works of Anna Lætitia Barbauld, with a memoir by Lucy Aikin*, 2 vols., London: Longman, 1825.
- The poems of Anna Letitia Barbauld*, William McCarthy and Elizabeth Kraft (eds.), Athens, GA: University of Georgia Press, 1994.
- 'On the pleasure derived from objects of terror, with Sir Bertrand, a fragment', Michael Gamer (ed.), <http://www.english.upenn.edu/~mgamer/Romantic/barbauldessays.html>.
- Barbauld, Anna Letitia (ed.), *Poetical works of Mr. William Collins*, London: Cadell and Davies, 1802.
- The correspondence of Samuel Richardson*, London: Richard Phillips, 1804.
- The British novelists*, 50 vols., London: Rivington, 1810.

- Burney, Fanny, *Diary and letters of Madame d'Arblay*, Charlotte Barrett (ed.), 7 vols., London: Henry Colburn, 1842-6.
- Byron, George Gordon Lord, *The complete works*, Jerome J. McGann (ed.), 7 vols., Oxford University Press, 1986.
- Coleridge, Samuel T., 'The mysteries of Udolpho, by Ann Radcliffe', *The critical review* 24 (August 1794), pp. 361-72.
- 'The Italian, by Ann Radcliffe', *The critical review* 28 (June 1798), pp. 166-9.
- 'Hubert de Sevrac, by Mary Robinson', *The critical review* 28 (August 1798), p. 472.
- The complete poetical works of Samuel Taylor Coleridge*, Ernest Harley Coleridge (ed.), 2 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1912.
- The notebooks of Samuel Taylor Coleridge*, Kathleen Coburn (ed.), 3 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.
- The friend*, Barbara E. Rooke (ed.), 2 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969.
- Table-talk*, Carl Woodring (ed.), 2 vols. Princeton: Princeton University Press, 1990.
- [Http://www.english.upenn.edu/~mgamer/Romantic/coleridge.reviews](http://www.english.upenn.edu/~mgamer/Romantic/coleridge.reviews), Michael Gamer (ed.).
- Edgeworth, Maria, *Letters for literary ladies*, London: Johnson, 1795.
- Letters from England 1813-1844*, Christina Colvin (ed.), Oxford: Clarendon Press, 1971.
- Genlis, Stéphanie-Félicité, Comtesse de, 'Le femme auteur', *Nouveaux contes moraux et nouvelles historiques*, 3 vols., Paris: Maradin, 1802, III: 51-150.
- De l'influence des femmes sur la littérature française*, Paris: Lecointe et Durey, 1826.
- Goethe, Johann Wolfgang, *Faust*, Walter Arndt (trans.), New York: Norton, 1976.
- Plays*, Charles W. Passage (trans.), New York: Frederick Ungar, 1980.
- Hays, Mary, *Female biography; or memoirs of illustrious and celebrated women, of all ages and countries*, London: Phillips, 1803.
- Hazlitt, William, *Lectures on the English poets*, in *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., London: J. M. Dent, 1930-34, v: 1-168.
- Hemans, Felicia, *Records of woman*, Donald H. Reiman (ed.), 1828, rpt. New York: Garland, 1978.
- 'Scenes and passages from the "Tasso" of Goethe', *New monthly magazine and literary journal* n.s. 3 (1834), pp. 1-5.
- Hitchener, Elizabeth, *The weald of Sussex*, London: Barlow, 1821.
- Letters of Elizabeth Hitchener to Percy Bysshe Shelley*, Philadelphia, PA: West, 1926.
- Inchbald, Elizabeth Simpson, *The British theatre*, 25 vols., London: Longman, 1808.
- Jameson, Anna, *Characteristics of women, moral, poetical, and historical*, 2nd edn, New York: Wiley and Putnam, 1847.
- Jeffrey, Francis, 'Records of woman' and 'The forest sanctuary' by Felicia Hemans', *Edinburgh review* 50 (October 1829), pp. 32-47.

- Jewsbury, Maria Jane, *Phantasmagoria*, 2 vols., London: Hurst, 1825.
- The history of an enthusiast*, in *The three histories*, London: Westley, 1830.
- Occasional papers*, Eric W. Gillett (ed.), London: Oxford University Press, 1932.
- Landon, Letitia Elizabeth, *The Venetian bracelet*, London: Longman, 1829.
- Critical writings*, F. J. Sypher (ed.), Delmar, NY: Scholars' Facsimiles & Reprints, 1996.
- Letitia Elizabeth Landon: selected writings*, Jerome J. McGann and Daniel Riess (eds.), Peterborough, Ont.: Broadview Press, 1997.
- Lazarus, Rachel Mordecai, *The education of the heart: the correspondence of Rachel Mordecai Lazarus and Maria Edgeworth*, Edgar E. MacDonald (ed.), Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1977.
- Mitford, Mary Russell, *Narrative poems on the female character in the various relations of human life*, London: Rivington, 1813.
- The friendships of Mary Russell Mitford as recorded in letters from her literary correspondents*, A. G. L'Estrange (ed.), New York: Harper, 1882.
- More, Hannah, *Hints towards forming the character of a young princess*, 2 vols., London: Cadell and Davies, 1805.
- Strictures on the modern system of female education*, 1799, rpt. New York: Garland, 1974.
- Morgan, Sydney Owenson, *Lady Memoirs: autobiography, diaries and correspondence*, London: Allen, 1862.
- Naubert, Benedikte, *'Sich rettend aus der kalten Wirklichkeit': die Briefe Benedikte Nauberts*, Nikolaus Dorsch (ed.), Frankfurt am Main: Lang, 1986.
- Owenson, Sydney, *Lady Morgan, Memoirs: autobiography, diaries and correspondence*, London: W. H. Allen, 1862.
- Piozzi, Hester, *Autobiography, letters and literary remains of Mrs Piozzi*, A. Hayward (ed.), London: Longman, 1861.
- Polwhele, Richard, *The unsex'd females: a poem*, London: Cadell and Davies, 1798.
- Radcliffe, Ann, 'On the supernatural in poetry', *The new monthly magazine* 16 (1826), pp. 145-52.
- Reeve, Clara, *The progress of romance through times, countries, and manners*, 1785, rpt. New York: Garland, 1970.
- Robinson, Mary, *Sappho and Phaon*, 1796, rpt. Delmar, NY: Scholars' Facsimiles & Reprints, 1995.
- Rousseau, Jean-Jacques, *Julie, ou la nouvelle Héloïse*, in *Oeuvres complètes*, vol. II, Paris: Gallimard, 1961 (trans. Philip Stewart and Jean Vache, *Julie, or the new Heloise*, in *The collected writings of Rousseau*, vol. VI, Roger D. Masters and Christopher Kelly (eds.), Hanover, NH: University Press of New England, 1997).
- Schelling, Karoline, *Caroline: Briefe aus der Frühromantik*, Erich Schmidt (ed.), 2 vols., Leipzig: Insel, 1913.
- Schiller, Friedrich von, *Naïve and sentimental poetry*, *On the sublime*, Julius A. Elias (trans.), New York: Ungar, 1966.
- Schlegel, Dorothea Veit, *Florentin: Roman, Fragmente, Varianten*, Liliane Weissberg (ed.), Frankfurt am Main: Ullstein, 1987 (trans. Edwina Lawler and Ruth Richardson, *Florentin*, Lewiston, NY: Mellen, 1988).

- Schlegel, Friedrich, 'Fragmente', in *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, 35 vols., Ernst Behler and Hans Eichner (eds.), Munich: Schöningh, 1958, 11: 147-272.
- Lucinde, in *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, vol. v: *Dichtungen*, Hans Eichner (ed.), Munich: Schöningh, 1962, 35 vols., pp. 1-92 (trans. Peter Firchow, *Friedrich Schlegel's 'Lucinde' and the fragments*, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1971).
- Gespräch über die Poesie*, in *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, vol. 11: *Charakteristiken und Kritiken I (1796-1801)*, Hans Eichner (ed.), Munich: Schöningh, 1967, pp. 284-362 (trans. Ernst Behler and Roman Struc, *Dialogue on poetry and literary aphorisms*, University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1968, pp. 51-117).
- 'Fragments', in *German aesthetic and literary criticism: the Romantic ironists and Goethe*, Kathleen Wheeler (ed.), Cambridge University Press, 1984, pp. 40-80.
- Schlegel-Schelling, Cardine, *Caroline: Briefe aus der Frühromantik*, Erich Schmidt (ed.), 2 vols., Leipzig: Insel, 1913.
- Seward, Anna, *Poetical works of Anna Seward with extracts from her literary correspondence*, Walter Scott (ed.), 3 vols., London: Longman, 1810.
- Shelley, Mary Wollstonecraft, *The journals of Mary Shelley, 1814-1844*, Paula Feldman and Diana Scott-Kilvert (eds.), 2 vols., Oxford: Clarendon Press, 1987.
- Frankenstein, or, the modern Prometheus*, David L. Macdonald and Kathleen Scherf (eds.), Peterborough, Ont.: Broadview Press, 1994.
- Shelley, Percy Bysshe, *Shelley's poetry and prose: authoritative texts, criticism*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1979.
- Smith, Charlotte, *Desmond*, 1792, rpt. New York: Garland, 1974.
- Marchmont*, 1796, rpt. Delmar, NY: Scholars' Facsimiles & Reprints, 1989.
- The poems of Charlotte Smith*, Stuart Curran (ed.), New York: Oxford University Press, 1993.
- Staël, Anne-Louise-Germaine Necker de, *Corinne; ou, l'Italie*, Paris: Nicolle, 1807 (trans. Avriel H. Goldberger, *Corinne, or, Italy*, New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1987).
- De l'Allemagne*, 3 vols. Paris: Nicolle, 1813 (Germany, 3 vols., London: John Murray, 1813).
- De la littérature considérée dans ses rapports avec les institutions sociales*, Paris: Charpentier, 1887.
- Essai sur les fictions; De l'influence des passions sur le bonheur des individus et des nations*, Michel Tournier (ed.), Paris: Editions Ramsay, 1979 (A treatise on the influence of the passions upon the happiness of individuals and nations, London: Cawthorn, 1798).
- An extraordinary woman: selected writings of Germaine de Staël*, Vivian Folkenflik (trans.), New York: Columbia University Press, 1987.
- Delphine*, Avriel H. Goldberger (trans.), DeKalb, IL: Northern Illinois University Press, 1995.
- Varnhagen, Rahel, *Gesammelte Werke*, Konrad Feilchenfeldt, Uwe Schweikert, and Rahel E. Steiner (eds.), 10 vols., Munich: Mattes & Seitz, 1983.

- Williams, Helen Maria, *Peru: a poem*, London: Cadell, 1784.  
*Julia*, Gina Luria (ed.), 2 vols., 1790, rpt. New York: Garland, 1974.  
 Wollstonecraft, Mary, *Mary, a fiction and The wrongs of woman*, 1798, rpt. Gary Kelly (ed.), London: Oxford University Press, 1976.  
*The collected letters of Mary Wollstonecraft*, Ralph M. Wardle (ed.), Ithaca, NY: Cornell University Press, 1979.  
*Vindication of the rights of woman*, in *A vindication of the rights of men*, David L. MacDonald and Kathleen Scherf (eds.), Peterborough, Ont.: Broadview, 1997.

### Secondary sources

- Armstrong, Isobel, 'The gush of the feminine: how can we read women's poetry of the Romantic period?' in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 13-32.  
 Baumer, Konstanze, *Bettina, Psyche, Mignon: Bettina von Arnim und Goethe*, Stuttgart: Heinz, 1986.  
 Behler, Ernst, *Irony and the discourse of modernity*, Seattle, WA: University of Washington Press, 1990.  
 'Die Poesie in der frühromantischen Theorie der Brüder Schlegel', in Ernst Behler (ed.), *Athenäum: Jahrbuch für Romantik* (1991), pp. 13-40.  
 Behrendt, Stephen, 'Mary Shelley, *Frankenstein*, and the woman writer's fate', in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 69-87.  
 Besser, Gretchen R., *Germaine de Staël revisited*, New York: Twayne, 1994.  
 Bohls, Elizabeth, *Women travel writers and the language of aesthetics, 1716-1818*, Cambridge University Press, 1995.  
 Bovenschen, Silvia, *Die imaginierte Weiblichkeit: exemplarische Untersuchungen zu kulturgeschichtlichen und literarischen Präsentationsformen des Weiblichen*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1979.  
 Brantner, Christina E., 'Frühromantische Frauengestalten in Dorothea Veits Roman *Florentin* (1801)', *Michigan Germanic studies* 17 (1991), pp. 51-70.  
 Brown, Chandos Michael, 'Mary Wollstonecraft, or, the female illuminati: the campaign against women and "modern philosophy" in the early republic', *Journal of the early republic* 15 (1995), pp. 389-424.  
 Brown, Nathaniel, *Sexuality and feminism in Shelley*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1979.  
 Burroughs, Catherine B., *Closet stages: Joanna Baillie and the theater theory of British Romantic women writers*, Philadelphia, PA: University of Pennsylvania, 1997.  
 Carlson, Julie A., *In the theatre of Romanticism: Coleridge, nationalism, women*, Cambridge University Press, 1994.  
 'Forever young: Master Betty and the queer stage of youth in English Romanticism', in Thomas Pfau and Rhonda Ray Kercsmaier (eds.), *Rhetorical and cultural dissolution in Romanticism*, Special Issue, *South Atlantic quarterly* 95 (1996), pp. 575-602.  
 Cohen, Paula M., 'Jane Austen's rejection of Rousseau: a novelistic and feminist initiation', *Papers on language and literature* 30 (1994), pp. 215-34.

- Cole, Lucinda, '(Anti)feminist sympathies: the politics of relationship in Smith, Wollstonecraft, and More', *ELH* 58 (1991), pp. 107-40.
- Curran, Stuart 'Romantic poetry: the I altered', in Mellor (ed.), *Romanticism and feminism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1988, pp. 185-207.
- DeJean, Joan, 'Portrait of the artist as Sappho', in Gutwirth, Goldberger and Szmurlo (eds.), *Germaine de Staël*, New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1991, pp. 122-37.
- Ellison, Julie, *Delicate subjects: Romanticism, gender, and the ethics of understanding*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1990.
- Eubanks, Kevin, 'Minerva's veil: Hemans, critics, and the construction of gender', *European Romantic review* 8 (1997), pp. 341-59.
- Favret, Mary A., 'A woman writes the fiction of science: the body in *Frankenstein*', *Genders* 14 (1992), pp. 50-65.
- Romantic correspondence: women, politics, and the fiction of letters*, Cambridge University Press, 1993.
- Feldman, Paula R. and Theresa M. Kelley (eds.), *Romantic women writers: voices and countervoices*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995.
- Ferguson, Moira, *Subject to others: British women writers and colonial slavery, 1670-1834*, New York: Routledge, 1992.
- 'Janet Little and Robert Burns: the politics of the heart', in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 207-22.
- Fermon, Nicole, *Domesticating passions: Rousseau, woman, and the nation*, Hanover, NH: University Press of New England, 1997.
- Fraiman, Susan, 'Jane Austen and Edward Said: gender, culture, and imperialism', *Critical inquiry* 21 (1995), pp. 805-21.
- Franklin, Caroline, '"At once above - beneath her sex": the heroine in Regency verse romance', *Modern language review* 84 (1989), pp. 273-88.
- '"Quiet cruising o'er the ocean woman": Byron's *Don Juan* and the woman question', *Studies in Romanticism* 29 (1990), pp. 603-31.
- Frederiksen, Elke P. and Katherine R. Goodman (eds.), *Bettina Brentano von Arnim: gender and politics*, Detroit, MI: Wayne State University Press, 1995.
- Fredricks, Nancy, 'On the sublime and beautiful in Shelley's *Frankenstein*', *Essays in literature* 23 (1996), pp. 178-89.
- Friedrichsmeyer, Sara, *The androgyne in German Romanticism: Friedrich Schlegel, Novalis and the metaphysics of love*, New York: Lang, 1983.
- 'Caroline Schlegel-Schelling: "a good woman and no heroine"', in Goodman and Waldstein (eds.), *In the shadow of Olympus*, Albany, NY: State University of New York Press, 1992, pp. 115-36.
- Furniss, Tom, 'Nasty tricks and tropes: sexuality and language in Mary Wollstonecraft's *Rights of woman*', *Studies in Romanticism* 32 (1993), pp. 177-209.
- Furst, Lilian, *The contours of European Romanticism*, London: Macmillan, 1979.
- Giuliano, Cheryl Fallon, 'Gulnare/Kaled's "untold" feminization of Byron's Oriental tales', *Studies in English literature, 1500-1900* 33 (1993), pp. 785-807.
- Goodman, Dena, *The republic of letters: a cultural history of the French Enlightenment*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1994.

- Goodman, Katherine R. and Edith Waldstein (eds.), 'Introduction', *In the shadow of Olympus: German women writers around 1800*, Albany, NY: State University of New York Press, 1992, pp. 1-27.
- Goslee, Nancy, 'Witch or pawn: women in Scott's narrative poetry', in Mellor (ed.), *Romanticism and feminism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1988, pp. 115-36.
- Greenfield, Susan C., '“Abroad and at home”: sexual ambiguity, miscegenation, and colonial boundaries in Edgeworth's *Belinda*', *PMLA* 112 (1997), pp. 214-28.
- Gubar, Susan, 'Feminist misogyny: Mary Wollstonecraft and the paradox of “it takes one to know one”', *Feminist studies* 20 (1994), pp. 453-73.
- Gurwirth, Madelyn, *Madame de Staël, novelist: the emergence of the artist as woman*, Urbana, IL: University of Illinois Press, 1978.
- The twilight of the goddesses: women and representation in the French Revolutionary era*, New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1992.
- Gurwirth, Madelyn, Avriel Goldberger and Karyna Szmurlo (eds.), *Germaine de Staël: crossing the borders*, New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1991.
- Harding, Anthony J. 'Felicia Hemans and the effacement of woman', in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 138-49.
- Helfer, Martha B., 'Dorothea Veit-Schlegel's *Florentin*: constructing a feminist Romantic aesthetic', *German quarterly* 69 (1996), pp. 144-60.
- Henderson, Andrea, 'Passion and fashion in Joanna Baillie's "Introductory discourse"', *PMLA* 112 (1997), pp. 198-213.
- Hofkosh, Sonia, 'Sexual politics and literary history: William Hazlitt's Keswick escapade and Sarah Hazlitt's *Journal*', in Mary A. Favret and Nicola J. Watson (eds.), *At the limits of Romanticism: essays in cultural, feminist, and materialist criticism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1994, pp. 125-42.
- Hohoff, Curt, 'Lucinde und die Theorie der Liebe', in *Schnittpunkte: gesammelte Aufsätze*, Stuttgart: Deutsche Verlags-Anstalt, 1963, pp. 123-32.
- Homans, Margaret, *Women writers and poetic identity: Dorothy Wordsworth, Emily Brontë, and Emily Dickinson*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1980.
- 'Keats reading women, women reading Keats', *Studies in Romanticism* 29 (1990), pp. 341-70.
- Jacobus, Mary, *Romanticism and sexual difference: essays on 'The prelude'*, Oxford: Clarendon Press, 1989.
- Kelley, Theresa M., *Reinventing allegory*, Cambridge University Press, 1997.
- Kelsall, Malcolm, 'The slave-woman in the harem', *Studies in Romanticism* 31 (1992), pp. 315-31.
- Kohn, Denise, 'Reading *Emma* as a lesson on “ladyhood”: a study in the domestic “Bildungsroman”', *Essays in literature* 22 (1995), pp. 45-58.
- Kohlenbach, Margaret, 'Women and artists: E. T. A. Hoffmann's implicit critique of early Romanticism', *Modern language review* 89 (1994), pp. 659-73.
- Kuzniar, Alice, 'Hearing woman's voices in *Heinrich von Ofterdingen*', *PMLA* 107 (1992), pp. 1196-1207.



- Kuzniar, Alice (ed.), *Outing Goethe and his age*, Stanford University Press, 1996.
- Langbauer, Laurie 'An early romance: motherhood and women's writing in Mary Wollstonecraft's novels', in Mellor (ed.), *Romanticism and feminism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1988, pp. 208-19.
- Levin, Susan M., *Dorothy Wordsworth and Romanticism*, New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1987.
- 'The gypsy is a jewess: Harriet Abrams and theatrical Romanticism', in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 236-51.
- Linkin, Harriet Kramer, 'Romanticism and Mary Tighe's *Psyche*: peering at the hem of her blue stockings', *Studies in Romanticism* 35 (1996), pp. 55-72.
- London, Beth, 'Mary Shelley, *Frankenstein*, and the spectacle of masculinity', *PMLA* 108 (1993), pp. 253-67.
- Lonsdale, Roger (ed.), Introduction, *Eighteenth-century women poets*, Oxford University Press, 1990, pp. xxi-xxvii.
- Lootens, Tricia, 'Hemans and home: Victorianism, feminine "internal enemies", and the domestication of national identity', *PMLA* 109 (1994), pp. 238-53.
- Lukács, Georg, 'Richness, chaos and form: a dialogue concerning Laurence Sterne', in Anna Bostock (trans.), *Soul and form*, Cambridge, MA: The MIT Press, 1974, pp. 124-51.
- Luther, Susan, 'A stranger minstrel: Coleridge's Mrs. Robinson', *Studies in Romanticism* 33 (1994), pp. 391-409.
- Malraux, Clara, *Rahel, ma grande soeur: un salon littéraire à Berlin au temps du romantisme*, Paris: Ramsay, 1980.
- Manning, Peter J., *Byron and his fictions*, Detroit, MI: Wayne State University Press, 1978.
- Marso, Lori, *(Un)manly citizens: the subversive feminine presence in J. J. Rousseau and Germaine de Staël*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1998.
- Maurer, Shawn Lisa, 'The female (as) reader: sex, sensibility and the maternal in Wollstonecraft's fictions', *Essays in literature* 19 (Spring 1992), pp. 36-54.
- McCarthy, William, '"We hoped the woman was going to appear": repression, desire and gender in Anna Letitia Barbauld's early poems', in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 113-37.
- McGann, Jerome J., *The poetics of sensibility: a revolution in literary style*, Oxford University Press, 1996.
- McKee, Patricia, *Public and private: gender, class, and the British novel (1764-1878)*, Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1997.
- Mellor, Anne K., *Mary Shelley: her life, her fiction, her monsters*, New York: Routledge, 1988.
- Romanticism and gender*, New York: Routledge, 1993.
- 'A criticism of their own: Romantic women literary critics', in *Questioning Romanticism*, John Beer (ed.), Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1995, pp. 29-48.
- 'Righting the wrongs of woman: Mary Wollstonecraft's *Maria*', *Nineteenth-century contexts* 19 (1996), pp. 413-24.

- 'Sex, violence, and slavery: Blake and Wollstonecraft', *Huntington Library quarterly* 58 (1996), pp. 345-70.
- 'The female poet and the poetess: two traditions of British women's poetry, 1780-1830', *Studies in Romanticism* 36 (1997), pp. 261-76.
- Mellor, Anne K. (ed.), *Romanticism and feminism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1988.
- Mellor, Anne K. and Richard E. Matlak (eds.), *British literature, 1780-1830*, Fort Worth, TX: Harcourt Brace, 1996.
- Moskal, Jeanne, 'Gender, nationality, and textual authority in Lady Morgan's travel books', in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 171-93.
- Myers, Mitzi, 'Sensibility and the "walk of reason": Mary Wollstonecraft's literary reviews as cultural critique', in Syndy McMillen Conger (ed.), *Sensibility in transformation: creative resistance to sentiment from the Augustans to the Romantics*, Rutherford, NJ: Fairleigh Dickinson University Press, 1990, pp. 120-46.
- Pascoe, Judith, *Romantic theatricality: gender, poetry, and spectatorship*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1997.
- Richardson, Alan, 'Romanticism and colonization of the feminine', in Mellor (ed.), *Romanticism and feminism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1988, pp. 13-25.
- Robinson, Daniel, 'Theodicy vs. feminist strategy in Mary Wollstonecraft's fiction', *Eighteenth-century fiction* 9 (1997), pp. 183-202.
- Ross, Marlon B., *The contours of masculine desire: Romanticism and the rise of women's poetry*, New York: Oxford University Press, 1989.
- Safran, Morri (ed.), 'Women of the Romantic period', <http://www.cwrl.utexas.edu/~worp>.
- Schlick, Yael, 'Beyond the boundaries: Staël, Genlis, and the impossible "femme célèbre"', *Symposium* 50 (1996), pp. 50-63.
- Schor, Naomi, *George Sand and idealism*, New York: Columbia University Press, 1993.
- Scuria, Herbert, *Begegnungen mit Rahel: der Salon der Rahel Levin*, Berlin: Verlag der Nation, 1978.
- Setzer, Sharon, 'Mary Robinson's sylphid self: the end of feminine self-fashioning', *Philological quarterly* 75 (1996), pp. 501-20.
- Sha, Richard C., *The visual and verbal sketch in British Romanticism*, Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1998.
- Stephan, Inge, 'Weibliche und männliche Autorschaft: zum "Florentin" von Dorothea Schlegel und zur "Lucinde" von Friedrich Schlegel', in 'Wen kümmert's, wer spricht?': zur Literatur und Kulturgeschichte von Frauen aus Ost und West, Inge Stephan, Sigrid Weigel and Kerstin Wilhelms (eds.), Cologne: Böhlau, 1991, pp. 83-98.
- Swann, Karen, 'Harrassing the Muse', in Mellor (ed.), *Romanticism and feminism*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1988, pp. 81-92.
- Taylor, Irene and Gina Luria, 'Gender and genre: women in British Romantic literature', in Marlene Springer (ed.), *What manner of woman: essays on English and American life and literature*, New York: New York University Press, 1977, pp. 98-123.

- Waldstein, Edith J., *Bettina von Arnim and the politics of Romantic conversation*, Columbia, SC: Camden House, 1988.
- 'Goethe and beyond: Bettina von Arnim's *Correspondence with a child and Günderröde*', in Goodman and Waldstein (eds.), *In the shadow of Olympus*, Albany, NY: State University of New York Press, 1992, pp. 95-114.
- Walzer, Arthur E., 'Rhetoric and gender in Jane Austen's *Persuasion*', *College English* 57 (1995), pp. 688-707.
- Wang, Orrin N. C., 'The other reasons: female alterity and Enlightenment discourse in Mary Wollstonecraft's *A vindication of the rights of woman*', *Yale journal of criticism* 5 (1991), pp. 129-49.
- Warhol, Robyn, 'The look, the body, and the heroine: a feminist-narratological reading of *Persuasion*', *Novel* 26 (Fall 1992), pp. 5-19.
- Watson, Jean, 'Coleridge's androgynous ideal', *Prose studies* 6 (1983), pp. 36-56.
- Weigel, Sigrid, 'Wider die romantische Mode: zur ästhetischen Funktion des Weiblichen in Friedrich Schlegels *Lucinde*', in *Die verborgene Frau: sechs Beiträge zu einer feministischen Literaturwissenschaft*, Berlin: Argument, 1983, pp. 67-82.
- Weissberg, Liliane, 'Turns of emancipation: on Rahel Varnhagen's letters', in Goodman and Waldstein (eds.), *In the shadow of Olympus*, Albany, NY: State University of New York Press, 1992, pp. 53-70.
- Wilson, Carol Shiner and Joel Haefner (eds.), *Re-visioning Romanticism: British women writers, 1776-1837*, Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1994.
- Wolfson, Susan J., 'Feminizing Keats', in *Critical essays on John Keats*, Hermione de Almeida (ed.), Boston, MA: Hall, 1990, pp. 317-56.
- 'The "domestic affections" and "the spear of Minerva": Felicia Hemans and "the dilemma of gender"', in Wilson and Haefner (eds.), *Re-visioning Romanticism*, Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 1994.
- '"A problem few dare imitate": *Sardanapalus* and "effeminate character"', *ELH* 58 (1991), pp. 867-902.
- 'Gendering the soul' in Feldman and Kelley (eds.), *Romantic women writers*, Hanover, NH: University Press of New England, 1995, pp. 33-68.
- 'Romanticism and gender', in *A companion to Romanticism*, Duncan Wu (ed.), Oxford: Blackwell, 1998, pp. 385-96.
- Women critics, 1660-1820: an anthology*, Folger Collective on Early Women Critics (ed.), Bloomington, IN: Indiana University Press, 1995.
- Zantop, Susanne, 'The beautiful soul writes herself: Friedrike Helene Unger and the "Grosse Göthe"', in Goodman and Waldstein (eds.), *In the shadow of Olympus*, Albany, NY: State University of New York Press, 1992, pp. 29-52.

## ١٦ Literary history and historicism

### Primary sources

- Campbell, Thomas, 'An essay on English poetry', in *Specimens of the British poets: with biographical and critical notices, and an essay on English poetry*, London: John Murray, 1819.

- Carlyle, Thomas, *Critical and miscellaneous essays*, H. D. Traill (ed.), 5 vols., New York: AMS Press, 1969.
- Chambers, Robert, *History of the English language and literature*, 4th edn, Edinburgh: Chambers 1837.
- Chateaubriand, François-René de, *The genius of Christianity: or, the spirit and beauty of the Christian religion*, Charles I. White (trans.), New York: Fertig, 1976.
- De Quincey, Thomas, *The collected writings of Thomas De Quincey*, new edn, David Masson (ed.), 14 vols., Edinburgh: Black, 1889-90.
- Dunlop, John Colin, *History of prose fiction: a new edition revised with notes, appendices and index*, Henry Wilson (ed.), new edn, 2 vols., New York: AMS Press, 1969.
- Gervinus, Georg Gottfried, *Geschichte der poetischen National-Literatur der Deutschen*, 5 vols., Leipzig: Engelmann, 1835-42.
- 'Prinzipien einer deutschen Literaturgeschichtsschreibung', in *Literaturwissenschaft und Literaturgeschichte: ein Lesebuch zur Fachgeschichte der Germanistik*, Thomas Cramer and Horst Wenzel (eds.), Munich: Fink, 1975, pp. 19-64.
- Hallam, Henry, *Introduction to the literature of Europe in the fifteenth, sixteenth and seventeenth centuries*, Paris: Baudry, 1839.
- Herder, Johann Gottfried, *Sämmtliche Werke*, Bernhard Ludwig Suphan (ed.), 33 vols., Hildesheim: Georg Olms, 1967-8.
- Hurd, Richard, *Letters on chivalry and romance, with the third Elizabethan dialogue*, Edith J. Morley (ed.), London: Frowde, 1911.
- Jeffrey, Francis, *Contributions to the 'Edinburgh review'*, 3 vols., London: Longman Brown, Green & Longmans, 1846.
- Marsch, Edgar (ed.), *Über Literaturgeschichtsschreibung: die historisierende Methode des 19. Jahrhunderts in Programm und Kritik*, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1975.
- Pushkin, Alexander, 'On classical and romantic poetry', in *The critical prose of Alexander Pushkin*, Carl R. Proffer (ed. and trans.), Bloomington, IN: Indiana University Press, 1969, pp. 35-8.
- Schlegel, August Wilhelm von, *A course of lectures on dramatic art and literature*, Alexander James William Morrison (ed.), John Black (trans.), Bohn's Standard Library 46, London: Bell & Sons, 1886.
- Schlegel, Friedrich von, *Geschichte der alten und neuen Literatur, Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Hans Eichner (ed.), vol. vi, Munich: Schöningh, 1961.
- Studien des klassischen Altertums, Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, Ernst Behler (ed.), vol. 1, Munich: Schöningh, 1979.
- Shelley, Percy Bysshe, 'Defence of poetry', in *Complete works*, Roger Ingpen and Walter E. Peck (eds.), vol. vii, New York: Gordian Press, 1965, 10 vols.

#### Secondary sources

- Ansel, Michael, 'Auf dem Weg zur Verwissenschaftlichung der Literaturgeschichtsschreibung: Heines Abhandlung *Zur Geschichte der Religion und*

- Philosophie in Deutschland und Die romantische Schule*, *Internationales Archiv für Sozialgeschichte der deutschen Literatur* 17.2 (1992), pp. 61-94.
- Behler, Ernst, 'Problems of origin in modern literary history', in *Theoretical issues in literary history*, David Perkins (ed.), Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991, pp. 9-34.
- 'Concepts of literary history in the comparative literary history of the Schlegel brothers', in *Comparative literary history as discourse: in honor of Anna Balakian*, Mario J. Valdés, Daniel Javitch and A. Owen Aldridge (eds.), Bern: Peter Lang, 1992, pp. 23-40.
- Brewer, Daniel, 'Political culture and literary history: La Harpe's *Lycée*', *Modern language quarterly* 58 (1997), pp. 163-84.
- Dierkes, Hans, *Literaturgeschichte als Kritik: Untersuchungen zu Theorie und Praxis von Friedrich Schlegels frühromantischer Literaturgeschichtsschreibung*, Studien zur deutschen Literatur 63, Tübingen: Niemeyer, 1980.
- Mandelkow, Karl Robert, 'Kunst- und Literaturtheorie der Klassik und Romantik', in *Europäische Romantik 1*, Karl Robert Mandelkow (ed.), Neues Handbuch der Literaturwissenschaft 14, Wiesbaden: Athenaion, 1982, pp. 49-82.
- Moody, Jane, '“Fine word, legitimate!”: toward a theatrical history of Romanticism', *Texas studies in literature and language* 38 (1996), pp. 223-44.
- Niggel, Günter, 'Die Anfänge der romantischen Literaturgeschichtsschreibung: Friedrich und August Wilhelm Schlegel', in *Die deutsche literarische Romantik und die Wissenschaften*, Nicholas Saul (ed.), Munich: Iudicium Verlag, 1991, pp. 265-81.
- Rosenberg, Rainer, *Zehn Kapitel zur Geschichte der Germanistik: Literaturgeschichtsschreibung*, Berlin: Akademie-Verlag, 1981.
- Seyhan, Azade, 'Cannons against the canon: representations of tradition and modernity in Heine's literary history', *Deutsche Vierteljahrsschrift für Literaturwissenschaft und Geistesgeschichte* 63 (1989), pp. 494-520.
- Szondi, Peter, 'Antike und Moderne in der Ästhetik der Goethezeit', in *Poetik und Geschichtsphilosophie 1*, Senta Metz and Hans-Hagen Hildebrandt (eds.), Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974, pp. 11-265.
- Wellek, René, *The rise of English literary history*, Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1941.

## 17 Literature and the other arts

### Primary sources

- Baudelaire, Charles, *Oeuvres complètes*, Yves-Gérard Le Dantec (ed.), Paris: Gallimard, 1951.
- Delacroix, Eugène, *Journal de Eugène Delacroix*, André Joubin (ed.), 2 vols., Paris: Plon, 1932 (trans. Walter Pach, *The journal of Eugène Delacroix*, New York: Crown, 1948).
- Eitner, Lorenz (ed.), *Neoclassicism and Romanticism, 1750-1850: sources and documents*, 2 vols., Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1970.
- Hazlitt, William, *The complete works of William Hazlitt*, P. P. Howe (ed.), 21 vols., New York: AMS Press, 1967.

- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich, *Aesthetics: lectures on fine art*, T. M. Knox (trans.), vol. 1, Oxford: Clarendon Press, 1975, 2 vols.
- Herder, Johann Gottfried, 'Die kritischen Wälder', *Werke*, 10 vols., vol. 11: *Schriften zur Ästhetik und Literatur: 1767-1781*, Gunter E. Grimm (ed.), Bibliothek deutscher Klassiker 95, Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1993, pp. 9-442.
- Hoffmann, E. T. A., *Werke*, Georg Ellinger (ed.), 15 vols., Berlin: Deutsches Verlagshaus Bong, 1900.
- Kant, Immanuel, *Critique of judgment*, Werner S. Pluhar (trans.), Indianapolis, IN: Hackett, 1987.
- Lessing, Gotthold Ephraim, *Laocoön: an essay on the limits of painting and poetry*, Edward Allen McCormick (trans.), Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1984.
- Liszt, Franz, 'Berlioz und seine Harold-Symphonie', in *Gesammelte Schriften*, Lina Ramann (ed.), 6 vols., Leipzig: Breitkopf & Härtel, v: 58ff.
- Mill, John Stuart, *Essays on poetry*, F. Parvin Sharpless (ed.), Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1976.
- Nietzsche, Friedrich, *The birth of tragedy*, Walter Kaufmann (trans.), New York: Vintage, 1967.
- Novalis, *Schriften: die Werke Friedrich von Hardenbergs*, vol. III: *Das philosophische Werk II*, Richard H. Samuel (ed.), Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1968, 5 vols.
- Reynolds, Sir Joshua, *Discourses on art*, Robert R. Wark (ed.), San Marino, CA: Huntington Library, 1959.
- Richter, Jean Paul Friedrich, *Vorschule der Ästhetik*, in *Werke*, vol. v, Munich: Carl Hanser, 1963.
- Rousseau, Jean-Jacques, and Johann Gottfried Herder, *On the origin of language*, John H. Moran and Alexander Gode (trans.), New York: Ungar, 1966.
- Ruskin, John, *Modern painters*, 6 vols., London: George Allen, 1911.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph, *The philosophy of art*, Douglas W. Stott (ed. and trans.), Minneapolis, MN: University of Minnesota Press, 1989.
- Schiller, Friedrich, 'Über die ästhetische Erziehung des Menschen', in *Werke und Briefe*, vol. VIII: *Theoretische Schriften*, Rolf-Peter Janz (ed.), 12 vols., Frankfurt am Main: Deutscher Klassiker Verlag, 1992, pp. 556-676 (trans. Elizabeth M. Wilkinson and L. A. Willoughby, *On the aesthetic education of man*, Oxford: Clarendon Press, 1967).
- Schlegel, August Wilhelm, *Vorlesungen über schöne Litteratur und Kunst*, Jacob Minor (ed.), 3 vols., Heilbronn: Henninger, 1884.
- Schlegel, Friedrich, *Gespräch über die Poesie*, in *Kritische Friedrich-Schlegel-Ausgabe*, vol. II: *Charakteristiken und Kritiken I (1796-1801)*, Hans Eichner (ed.), Munich: Schöningh, 1967, pp. 284-362.
- Schopenhauer, Arthur, *The world as will and representation*, E. F. J. Payne (trans.), 2 vols., New York: Dover, 1969.
- Shelley, Percy Bysshe, *Shelley's poetry and prose: authoritative texts, criticism*, Donald H. Reiman and Sharon B. Powers (eds.), New York: Norton, 1977.
- Solger, Karl Wilhelm Ferdinand, *Vorlesungen über Ästhetik*, K. W. L. Heyse (ed.), Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1962.

Wackenroder, Wilhelm Heinrich, *Sämtliche Werke und Briefe*, Silvio Vietta and Richard Littlejohns (eds.), 2 vols., Heidelberg: Winter, 1991.

Wagner, Richard, *Gesammelte Schriften*, Julius Kapp (ed.), 14 vols., Leipzig: Hesse & Becker, 1914.

### Secondary sources

Abrams, M. H., *The mirror and the lamp: Romantic theory and the critical tradition*, New York: Oxford University Press, 1953.

Adams, Hazard, 'Revisiting Reynolds's *Discourses* and Blake's annotations', in Robert E. Essick and Donald Pearce (eds.), *Blake in his time*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1978, pp. 128-44.

Altick, Richard D., *Paintings from books: art and literature in Britain, 1760-1900*, Columbus, OH: Ohio State University Press, 1985.

Barrell, John, *The birth of Pandora and the division of knowledge*, Basingstoke: Macmillan, 1992.

Barry, Kevin, *Language, music, and the sign: a study in aesthetics, poetics and poetic practice from Collins to Coleridge*, Cambridge University Press, 1987.

Braider, Christopher, *Refiguring the real: picture and modernity in word and image, 1400-1700*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1992.

Brown, Barry S., 'Sturm und Drang and the Romantic period in music', *Studies in Romanticism* 9 (1970), pp. 269-84.

Brown, Marshall, *Turning points: essays in the history of cultural expressions*, Stanford, CA: Stanford University Press, 1997.

Bryson, Norman, *Word and image: French painting of the Ancien Régime*, Cambridge University Press, 1981.

Chapple, Gerald, Frederick Hall and Hans Schulte (eds.), *The Romantic tradition: German literature and music in the nineteenth century*, Lanham, MD: University Press of America, 1992.

Clark, Kenneth, *The gothic revival: an essay in the history of taste*, 3rd edn, New York: Holt, Rinehart & Winston, 1962.

Dahlhaus, Carl, *Esthetics of music*, William W. Austin (trans.), Cambridge University Press, 1982.

Daverio, John, 'Schumann's systems of musical fragments and Witz', in *Nineteenth-century music and the German Romantic ideology*, New York: Schirmer Books, 1993, pp. 49-88.

Eaves, Morris, *William Blake's theory of art*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.

*The counter-arts conspiracy: art and industry in the age of Blake*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1992.

'The sister arts in British Romanticism', in *The Cambridge companion to British Romanticism*, Stuart Curran (ed.), Cambridge University Press, 1993, pp. 236-69.

Flaherty, Gloria, *Opera in the development of German critical thought*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978.

Frank, Manfred, *Einführung in die frühromantische Ästhetik: Vorlesungen*, Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1989.

- Fried, Michael, *Absorption and theatricality: painting and beholder in the age of Diderot*, Berkeley, CA: University of California Press, 1980.
- Frye, Northrop, 'Poetry and design in William Blake', in *Blake: a collection of critical essays*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1966, pp. 119-26.
- The stubborn structure: essays on criticism and society*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1970.
- Galperin, William H., *The return of the visible in British Romanticism*, Baltimore, MD: The Johns Hopkins University Press, 1993.
- Grey, Thomas S., 'Metaphorical modes in nineteenth-century music criticism: image, narrative, and idea', in *Music and text: critical inquiries*, Steven Paul Scher (ed.), Cambridge University Press, 1992, pp. 93-117.
- Wagner's musical prose: texts and contexts*, Cambridge University Press, 1995.
- 'Tableaux vivants: landscape, history painting, and the visual imagination in Mendelssohn's orchestral music', *Nineteenth-century music* 31 (1997), pp. 38-76.
- Hagstrum, Jean H., *The sister arts: the tradition of literary pictorialism and English poetry from Dryden to Gray*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1958.
- William Blake, poet and painter: an introduction to the illuminated verse*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1964.
- Heffernan, James A. W., *The re-creation of landscape: a study of Wordsworth, Coleridge, Constable, and Turner*, Hanover, NH: University Press of New England, 1985.
- Museum of words: the poetics of ekphrasis from Homer to Ashbery*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1993.
- Kramer, Lawrence, *Music and poetry, the nineteenth century and after*, Berkeley, CA: University of California Press, 1984.
- Kroeber, Karl, *Romantic landscape vision: Constable and Wordsworth*, Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1975.
- British romantic art*, Berkeley, CA: University of California Press, 1986.
- Larrabee, Stephen A., *English bards and Grecian marbles: the relationship between sculpture and poetry, especially in the Romantic period*, New York: Columbia University Press, 1943.
- Lindenberger, Herbert, *Opera in history: from Monteverdi to Cage*, Stanford, CA: Stanford University Press, 1998.
- Lockspeiser, Edward, *Music and painting: a study in comparative ideas from Turner to Schoenberg*, London: Cassell, 1973.
- Mitchell, W. J. Thomas, *Blake's composite art: a study of the illuminated poetry*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1978.
- Munsters, Wil, *La poétique du pittoresque en France de 1700 à 1830*, Geneva: Droz, 1991.
- Neubauer, John, *The emancipation of music from language: departure from mimesis in eighteenth-century aesthetics*, New Haven, CT: Yale University Press, 1986.
- Park, Roy, 'Ut pictura poesis': the nineteenth-century aftermath', *Journal of aesthetics and art criticism* 28 (1969), pp. 155-64.



- Paulson, Ronald, *Literary landscape: Turner and Constable*, New Haven, CT: Yale University Press, 1982.
- Perloff, Marjorie, *The futurist moment: avant-garde, avant guerre, and the language of rupture*, Chicago, IL: University of Chicago Press, 1986.
- Pfotenhauer, Helmut, *Um 1800: Konfigurationen der Literatur, Kunstliteratur und Ästhetik*, Tübingen: Niemeyer, 1991.
- Rosen, Charles, *The Romantic generation*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1995.
- The Classical style: Haydn, Mozart, Beethoven*, New York: Norton, 1997.
- Rosen, Charles and Henri Zerner, *Romanticism and Realism: the mythology of nineteenth-century art*, New York: Viking Press, 1984.
- Rosenblum, Robert, *Transformations in late eighteenth-century art*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969.
- Schweizer, Niklaus Rudolf, *The ut pictura poesis controversy in eighteenth-century England and Germany*, Bern: Herbert Lang, 1972.
- Scott, David, *Pictorialist poetics: poetry and the visual arts in nineteenth-century France*, Cambridge University Press, 1988.
- Spaethling, Robert, *Music and Mozart in the life of Goethe*, Columbia, SC: Camden House, 1987.
- Weber, William, *The rise of musical classics in eighteenth-century England: a study in canon, ritual, and ideology*, Oxford: Clarendon Press, 1992.
- Wellek, René, 'The concept of Romanticism in literary history', *Concepts of criticism*, New Haven, CT: Yale University Press, 1963, pp. 128-98.
- 'The parallelism between literature and the arts', in *English Institute annual: 1941*, New York: AMS Press, 1965, pp. 29-63.
- Winn, James A., *Unsuspected eloquence: a history of the relations between poetry and music*, New Haven, CT: Yale University Press, 1981.



## ثبت المصطلحات

<i>a priori</i>	قبلياً
<i>Actio</i>	الإلقاء
<i>Affect</i>	أثر وجداني
<i>Aleatory</i>	اتفاقي (معتمد على المصادفة)
<i>Alienation</i>	اغتراب
<i>Allegory</i>	مجاز
<i>Allusion</i>	تلميح
<i>Ambiguity</i>	إبهام
<i>Ambivalence</i>	ازدواج
<i>Analogy</i>	تماثل
<i>Androgynous</i>	خنشوي
<i>Antagonism</i>	تناحر
<i>Anticipation</i>	استباق
<i>Anticlimax</i>	هبوط مفاجئ
<i>Aphasia</i>	حبسة
<i>Aphoria</i>	معضلة
<i>Approach</i>	مقاربة
<i>Arbitrary</i>	تحكمي
<i>Archetype</i>	نموذج أصلي
<i>Autological</i>	تتعلق بالذات
<i>Ballad</i>	حكاية شعرية (ذات مقاطع صغيرة)
<i>Bard</i>	شاعر القبيلة

<i>Baroque</i>	باروكى
<i>Bathos</i>	سقوط من الذروة
<i>Being</i>	وجود- كينونة
<i>Bias</i>	تحيز
<i>Bildung</i>	تنشئة - ثقافة - تربية (بالألمانية)
<i>Bildungsroman</i>	رواية تكوين الشخصية (ألمانية)
<i>Binary</i>	ثنائى
<i>Biography</i>	سيرة شخصية
<i>Blindness and insight</i>	العمى والبصيرة
<i>Buffonery</i>	تهريج
<i>Canon</i>	المعيار
<i>Category</i>	مقولة
<i>Closure</i>	انغلاق
<i>Code</i>	شفرة
<i>Cognitive</i>	معرفى
<i>Collective singular</i>	مفرد جمعى (التاريخ)
<i>Concrete universal</i>	كلى عيانى
<i>Constructive</i>	إنشائى (تأطير يلخص وينتقى ويفسر ويرتب العناصر)
<i>Contrapuntal</i>	طباقى
<i>Critical wit</i>	فطنة نقدية
<i>Data</i>	معطيات
<i>Dispositio</i>	التنسيق
<i>Dithyramb</i>	قصيدة جياشة العواطف

<i>Échappée de vue (into infinity)</i>	انفراج المنظر (إلى ما لا نهاية)
<i>Eiron</i>	شخصية ضعيفة مأكرة في الكوميديا القديمة
<i>Eironia</i>	أسلوب خداع وإخفاء- تسر وتظاهر مثل ادعاء الجهل عند سقراط
<i>Elegiac</i>	رثائي
<i>Eloctio</i>	صياغة العبارة - الفصاحة
<i>Emotion</i>	انفعال
<i>Empathy</i>	تقمص وجداني
<i>Ethos</i>	الإقناع بالقوة الحس
<i>Etymology</i>	دراسة أصول الكلمات
<i>Euphemism</i>	لطف التعبير
<i>Extinct</i>	منقرض
<i>Fabula</i>	حكاية خيالية
<i>Faculty</i>	ملكة
<i>Fiction</i>	القص الخيالي
<i>Form as proceeding</i>	تكون الشكل (بوصفه أداء)
<i>Gattung</i>	النوع (بالألمانية)
<i>Gender</i>	التشكل الثقافي للجنس
<i>Genealogical</i>	انتسابي - تحدرى
<i>Genetic</i>	توليدي - تكويني
<i>Genre</i>	النوع الأدبي
<i>Gestalt</i>	بنية تكاملية .
<i>Ground</i>	الأساس
<i>Grundhaltungen</i>	مواقف أساسية (بالألمانية)

<i>Habitus</i>	تطبع
<i>The hermeneutical impor</i>	المغزى التأويلي
<i>Heuristic</i>	كشفي
<i>Hypothesis</i>	الفرض (ما يوضع في أساس البناء كمرقاة - موقع للصعود نحو هدف ما (يونانية)
<i>Hypotyposis</i>	الإدراج تحت نمط التقريب البلاغي (الاستحضار)
<i>Ideas</i>	المثل الأفلاطونية
<i>Imitatio</i>	محاكاة
<i>Imitatio naturae</i>	محاكاة الطبيعة (باللاتينية)
<i>Inauthenticity</i>	انعدام الأصالة
<i>Interessante poesie</i>	شعر شيق
<i>Intuition</i>	حدس
<i>Inventio</i>	الابتكار
<i>Inversion</i>	العكس
<i>Investigations</i>	أبحاث
<i>Irony</i>	مفارقة - تهكم
<i>Kritik der Urteil</i>	نقد الحكم (كانط)
<i>Lebenskunst</i>	فن الحياة
<i>Lebenskunstsism</i>	شعور فني إزاء الحياة
<i>Lesbianism</i>	السحاقية
<i>Libido</i>	طاقة نفسية حيوية
<i>Lien</i>	حيز
<i>Literary autobiography</i>	سيرة ذاتية أدبية

<i>Logos</i>	مخاطبة القول
<i>Lyrical ballades</i>	قصائد قصصية غنائية
<i>Mainstream</i>	تيار سائد
<i>Memoria</i>	التذكر
<i>Metanarrative</i>	سرد شارح (سرد على سرد)
<i>Metasignifier</i>	ما بعد الدال (الدال الشارح)
<i>Metonymy</i>	كناية
<i>Mythos</i>	أسطورة
<i>Nominalism</i>	الاسمية
<i>Ontological</i>	تتعلق بالوجدان
<i>Ontology</i>	نظرية الوجود
<i>Originality</i>	الأصالة (الابتكار)
<i>Otherness</i>	الأخرية
<i>Ovidian epyllion</i>	ملحمة مصغرة (عند أوفيد)
<i>Parabasis</i>	التعليق الجانبى
<i>Paradigmatic</i>	نموذجى
<i>Parataxis</i>	إرداف
<i>Passion</i>	معاناة - عاطفة مشبوبة
<i>Pathos</i>	مخاطبة المشاعر
<i>Periodization</i>	تحقيب
<i>Peripeteia</i>	انقلاب- تغير مفاجئ إلى الضد
<i>Phenomenological</i>	ظاهرىاتى
<i>Philosophische Lehrjahr</i>	سنوات التلمذة الفلسفية (بالألمانية)
<i>Picturesque</i>	فائن

<i>Poetic tones</i>	ألوان نغمية شعرية
<i>Presentation</i>	التقديم - طريقة العرض
<i>Psychic faculties</i>	قوى نفسانية
<i>Querelle des anciens et modernes</i>	معركة القدامى مع المحدثين
<i>Relevance</i>	مطابقة مقتضى الحال
<i>Res</i>	الأشياء
<i>Rhythm</i>	إيقاع
<i>Romantic grief</i>	لوعة رومانسية
<i>Sacred</i>	مقدس
<i>Sartor restoratos</i>	إنسان معادة صياغته
<i>Skepticism</i>	ارتيابة
<i>Schema</i>	رسم تخطيطي
<i>Semblance proposition</i>	قضية مظهر (تمائل)
<i>Sensibility</i>	حساسية
<i>Signified</i>	مدلول
<i>Signifier</i>	دال
<i>Silenus</i>	نصف إله ربي ديونيزيوس، يصور كرجل احتفالات مسن سكير له قناع مهرج
<i>Spiritualism</i>	روحانية
<i>Springboard</i>	منصة وثب
<i>Style</i>	أسلوب
<i>Sturm und Drang</i>	عاصفة واندفاع (بالألمانية)
<i>Subjectivity</i>	ذاتية



<i>The sublime</i>	الجليل
<i>Substance</i>	الجوهر
<i>Superinduced</i>	شكل مضاف (إلى المضمون)
<i>Suspiria de profundis</i>	تنهدات من الأعماق
<i>Sustainability</i>	قابلية الاستبدال
<i>Symbolism</i>	رمزية
<i>Symphilosophie</i>	فلسفة تشابكية (بالألمانية)
<i>Sympoesie</i>	شعر تشاركي (بالألمانية)
<i>Synchronic</i>	متزامن
<i>Synecdoche</i>	مجاز مرسل
<i>System</i>	نسق
<i>Taste</i>	ذوق
<i>Topoi</i>	المواضيع المقررة
<i>Tractatus</i>	رسالة (لاتينية)
<i>Transcendental</i>	ترانسندنتالي- متعال (شروط المعرفة القبلية عند كانط)
<i>Verba</i>	الكلمات
<i>West-ostlicher</i>	الديوان الشرقي للمؤلف الغربي
<i>Zeitgeist</i>	روح العصر (بالألمانية)



## المحرر في سطور:

مارشال براون *Marshall Brown*

أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب المقارن والأستاذ الملحق للموسيقى واللغة الألمانية في جامعة واشنطن، حيث حرر فصلية اللغة الحديثة: مجلة التاريخ الأدبي *Modern Language: a journal of literary history*، كما كتب شكل الرومانسية الألمانية *The Shape of German Romanticism* (١٩٧٩) والرومانسية المسبقة *Preromanticism* (١٩٩١) ونقاط تحول: مقالات في تاريخ التعبير الثقافية *Turning Points: Essays in the history of Cultural Expressions* (١٩٩٧)، وحرر الحياة الجليلة *La Via al Sublima* مع جيوفانا فرانشي *Giovanna Franci* وفيثا فارتوناتى *Vita Fartunati* (١٩٨٧)، واستعمالات التاريخ الأدبي (١٩٩٦) والتاريخ الأدبي للقرن الثامن عشر: كتاب مقتطفات من فصلية اللغة الحديثة *Eighteenth Century Literary History: an MLG reader* (١٩٩٩) وكتابه القادم عنوانه النص القوطي *The gothic text*.



## المؤلفون في سطور:

جوناثان أراك *Jonathan Arac* أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة بتسبرج، وعضو التحرير الجمعي لمجلة الحد اثنان *Boundary 2*. وهو مؤلف الأرواح المفوضة *Commisioned Spirits* (١٩٧٩)، والأنساب النقدية *Critical Genealogies* (١٩٨٧) وهكلبرى فن كصنم وهدف *Huckleberry Finn as Idol and Target* (١٩٩٧)، كما حرر خمسة مجلدات من مقالات أصلية تشمل ما بعد الحداثة والسياسة *Postmodernism and Politics* (١٩٨٦)، وإسهامه في هذا المجلد يرجع إلى كتابة الذي يجرى العمل فيه لكي ينشر بواسطة مطبوعات جامعة ديوك *Duke University Press* وعنوانه عوالم غير نقية *Impure Worlds*.

جول بلاك *Joel Black* أستاذ مشارك في الأدب المقارن بجامعة جورجيا، مؤلف جماليان القتل العمد- ودراسة في الأدب الرومانسي والثقافة المعاصرة *The Aesthetics of Murder, A study in Romantic literature and Contemporary Culture* (١٩٩١) ومقالات عن دي كوينسي *De Quincey* وفوكو *Foucault* ووينشون *Pynchon* وجاديس *Gaddis*. يعكف الآن على دراسات في الفيلم المعاصر وجماليات أوسكار وايلد والعلم الفرويدي.

مارشال براون *Marshall Brown* أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب المقارن والأستاذ الملحق للموسيقى واللغة الألمانية في جامعة واشنطن، حيث حرر فصلية اللغة الحديثة: مجلة التاريخ الأدبي *Modern Language: a journal of literary history*، كما كتب شكل الرومانسية الألمانية *The Shape of German Romanticism* (١٩٧٩) والرومانسية المسبقة *Preromanticism* (١٩٩١) ونقاط تحول: مقالات في تاريخ التعابير الثقافية *Turning Points: Essays in the history of Cultural Expressions* (١٩٩٧)، وحرر الحياة الجليلة *La Via al Sublima* مع جيوفانا فرانشي *Giovanna Franci* وفيثا فارتوناتى *Vita Fartunati* (١٩٨٧)، واستعمالات التاريخ الأدبي (١٩٩٦) والتاريخ الأدبي للقرن الثامن عشر: كتاب مقتطفات من فصلية اللغة الحديثة *Eighteenth Century Literary History: an MLG reader* (١٩٩٩) وكتابه القادم عنوانه النص القوطي *The gothic text*.

ألفردو دي باز *Alfredo de Paz* أستاذ منهجية النقد الفني في جامعة بولونيا (إيطاليا)، كتب مقالات كثيرة وكتبًا نظرية وتاريخية عن فن وثقافة القرنين التاسع عشر والعشرين. وقد عكف طوال سنوات طويلة على تفسير الرومانسية الأوروبية في منظور معاصر وبعد حدائي. وتشمل أعماله المنشورة: *Sociolga e critica delle arte* (١٩٨٠)، الثورة الرومانسية *La rivoluzione romantica* (١٩٨٤)، جويا: الفن والشرط الإنساني *Goya: arte e condizione umana* (١٩٩٠)، الرومانسية والتصوير: الطبيعة - الرمز - السرد *Il romanticismo e la* *pittura: natura, simbolo, storia* (١٩٩٢)، أوروبا الرومانسية: الأسس والنماذج الإرشادية للحساسية الحدائية *Europa romantica: fondamenti e paradigma della sensibilitata moderna* (١٩٩٤)، وجيريكو: البنية الأساسية للفن.

بول فراي *Paul H. Fry* أستاذ كرسي ويليام لامبسون للغة الإنجليزية وأستاذ متقاعد في كلية إزرا ستانل في جامعة ييل، مؤلف دعاء الشاعر في القصيدة الغنائية الإنجليزية *The poet's calling in the English ode* (١٩٨٠) وامتداد النقد *Reach of criticism* (١٩٨٤)، ويليام إمبسون، نبى ضد التضحية *William Empson: prophet against sacrifice* (١٩٩٠)، ودفاعًا عن الشعر *A defense of poetry* (١٩٩٤)، ومحرر ثقافة الملاح القديم: دراسات حالة في النقد المعاصر *The rime of the Ancient Mariner: case studies in contemporary criticism* (١٩٩٨) مع مقالات متعددة عن الرومانسية وتاريخ النقد (وتضم مقالًا عن آي. إي. ريتشاردز للسلسلة الحالية) والنظرية الأدبية. ويكتب الآن كتابًا عن وردزورث.

جاري هاندورك *Gary Handwerk* أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب المقارن ورئيس قسم الأدب المقارن في جامعة واشنطن. وهو مؤلف المقارنة والأخلاق في السرد من شليجل إلى لاكان *Irony and ethics in narrative: from Schlegel to Lacan*، ومترجم إنسانى شديد الإنسانية لأعمال نيتشه الكاملة. وقد نشر مقالات عن السرد في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأحدث أعماله مقالات عن العديد من روايات ويليام جودوين *W. Goodwin* وعن التصورات الرومانسية للتاريخ. وهو يعمل الآن على طبعات جديدة لكاليب ويليامز *Caleb Williams* وفليتوود *Fleetwood*.

تيريزا م. كيلي *Theresa M. Kelley* هي أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة ويسكونسن *Marjorie an Lorin Tiefenthaler Professor of English*. نشرت مقالات عن جماليات القرن الثامن عشر، الفنون الشقيقة، الشعراء الرومانسيين، والفلسفة من أجل الممارسة، ومجلة الحلقات الرومانسية على شبكة الإنترنت. وهي مؤلفة جماليات وردزورث المراجعة *Wordsworth's revisionary aesthetics* (١٩٨٨) وإعادة اختراع المجاز التمثيلي *Reinventing allegory* (١٩٩٥)، ومشاركة في التحرير مع باولا فلدمان *Paula Feldman* للكاتبات الرومانسيات، أصوات وأصوات مضادة *Romantic women writers: voices and countervoices* (١٩٩٩). وتشمل مشروعاتها الجارية دراسة لدور علم النبات والتصوير النباتي في الثقافة الرومانسية واستقصاء لكتابة ستايل عن الانفعال والعقل.

جون كلانشر *Jon Klancher* أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة كارنيجي ميلون *Carnegie Mellon*، وهو مؤلف صنع الجماهير القارئة بالإنجليزية *The making of the English reading audiences* ١٧٩١ - ١٩٣٢ (١٩٨٧)، ومقالات عن كوليردج، جودوين، باختين، والنقد الرومانسي والنثرة الفرنسية وموضوعات أخرى. وهو يكتب الآن دراسة عن التشكيل التخصصي والسياقات المؤسسة للنقد الثقافي والجدال السياسي والنظرية الأدبية في العصر الرومانسي.

هربرت ليندنبرجر *Herbert Lindenberger* هو أستاذ مؤسسة أفالون *Avalon* للأدب المقارن واللغة الإنجليزية في جامعة ستانفورد؛ حيث أسس أيضًا وشغل كرسى الأدب المقارن. وتضم كتبه حول مقدمة وردزورث *On Wordsworth's "Prelude"* (١٩٦٤)، جورج بوشنر *Georg Büchner* (١٩٦٤)، جورج تراكل (١٩٦٨) الدراما التاريخية، علاقة الأدب بالواقع *Historical drama: the relation of literature and reality* (١٩٧٥)، سقوط شاول - قص نقدى *Saul's fall: a critical fiction* (١٩٧٩)، أوبرا الفن الباذخ *Opera: the extravagant art* (١٩٨٤)، التاريخ في الأدب *The history in literature* (١٩٩٠)، والأكثر حداثة كتاب الأوبرا في التاريخ *Opera in history*. وخلال ١٩٩٧ خدم كرئيس لرابطة اللغة الحديثة. ويتفرغ الآن لدراسة كبرى عن العلاقة المتبادلة بين الفنون ستوسع المقالة في هذا المجلد.

كيرت موللر فولمر *Kurt Mueller-Vollmer* هو أستاذ الدراسات الألمانية والإنسانيات، متقاعد حامل للقب *emeritus* في جامعة ستانفورد وضيف مشارك لدى مركز الدراسة المتقدمة في عالمية الآداب القومية *Centre for the Advanced Study in the Internationality of National Literature* في جامعة جوتنجن *Göttingen* (ألمانيا). وقد نشر بشكل واسع الانتشار في مساحات الرومانسية والعلاقات الثقافية الألمانية الأمريكية والدراسات التأويلية والنظرية الأدبية ونظرية اللغة ودراسات الترجمة وحول أعمال فيلهلم فون همبولت *Wilhelm von Humboldt*. وتشمل منشوراته من الكتب نحو نظرية فينومينولوجية للأدب *Toward a phenomenological theory of literature* (١٩٦٣)، وبالألمانية: *Poesie und Einbildungskraft: zur Dichtungstheorie* (١٩٦٧) *Wilhelm von Humboldts*، وبالإنجليزية كتاب مقتطفات من النظريات التأويلية *The hermeneutics reader* (١٩٧٥، ١٩٨٨، ١٩٩١، ١٩٩٤)، وبالألمانية علم اللغة عند فيلهلم فون همبولت *Wilhelm von Humboldts Sprachwissenschaft* (١٩٩١). وقد حرر مع م. إرمشر *M. Irmscher* ترجمة آداب ترجمة ثقافات، آفاق ومناهج جديدة في الدراسات الأدبية (١٩٩٨)

*Translating literature, translating cultures: new vistas and approaches in literary studies.*

وهو المحرر الرئيسي للطبعة النقدية من كتابات فيلهلم فون همبولت في علم اللغة *Wilhelm von Humboldt's Writings on linguistics* (١٩٩٨).

تيلوتاما راجان *Tilottama Rajan* هي أستاذ اللغة الإنجليزية ومدير مركز النظرية في جامعة غربى أونتاريو *Western Ontario* ، ومؤسسة الجمعية الأمريكية الشمالية لدراسة الرومانسية. وهي مؤلفة المفسر الداكن: خطاب الرومانسية *Dark interpreter, the discourse of Romanticism* (١٩٨٠) وتكملة القراءة: أشكال

الفهم في الأدب الرومانسى *The supplement of reading: figures of understanding* (١٩٩٠) والمشاركة في تحرير تقاطعات فلسفة القرن التاسع عشر والنظرية المعاصرة *Intersections: nineteenth century philosophy and contemporary theory* (١٩٩٥)، والرومانسية- التاريخ وإمكان النوع الأدبي: إعادة تشكيل الأدب *Romanticism, history and the possibilities of genre: reforming literature* ١٨٣٩-١٧٨٩ (١٩٩٨). ومشروعها الراهن هو دراسة للعلاقات بين الظاهريات والتفكيك وما بعد البنوية.



ألبرت سبراجيا *Albert Sbragia* أستاذ مشارك للغة الإيطالية في جامعة واشنطن ومدير برنامج دراسات السينما. يشمل ما نشر له كارلو إميليو جادا والخليط الحديث من اللغات *Carlo Emilio Gadda and modern macaronic* (١٩٩٦)، ومقالات عن جادا وكالفينو *Calvino* وسفيو *Svevo* والرواية الإيطالية في القرن التاسع عشر. وهو مترجم مؤلف فرانكو موريتي *Franco Moretti* سبيل العالم: رواية تكوين الشخصية في المدنية الأوروبية *The way of the world: The Bildungsroman in European civilization* (١٩٨٧).

هيلموت شنيدر *Helmut J. Schneider* أستاذ ورئيس قسم اللغة الألمانية والأدب المقارن في جامعة كاليفورنيا. وقد اشتغل باستقاضة على تاريخ الشعر الرعوي، والمنظر الطبيعي واليوتوبيا والرعية الألمانية. ومن مؤلفاته: *Bürgerliche Idylle: Studien zu einer literarischen Gattung des 18 Jahrhunderts am Beispiel von Johann Heinrich Voss* (1975) وكذلك مقالات عن جماليات المنظر الطبيعي، وليسينج *Lessing* وكلايست *Kleist* والمؤلفين المحدثين. كما حرر ثلاثة مختارات بالألمانية:

*Idyllen der Deutschen* (1978), *Deutsche Landschaften* (1981); *Deutsche Idyllentheorie im 18. Jahrhundert* (1988).

إ. إس. شافر *E. S. Shaffer* زميل بحث متقدم ومديرة مشروع بحث حول استقبال المؤلفين البريطانيين في أوروبا في مدرسة الدراسات المتقدمة بجامعة لندن، وكانت زميلا زائرا بكلية كل الأرواح *All Souls College* بأكسفورد. وهي مؤلفة كوبلا خان وسقوط أورشليم *Kubla Khan and the fall of Jerusalem* والمدرسة الأسطورية في النقد التوراتي والأدب العلماني (١٩٧٥) *The mythological school* 1770-1880 *in Biblical criticism and secular literature* ونشرت باستقاضة حول الفكر الرومانسي الإنجليزي والألماني بما فيه "الجماعة التأويلية: كوليردج وشلايرماخر" *The hermeneutic community: Coleridge and Schleiermacher* في صلة كوليردج *Coleridge connection* ١٩٩٠ والفلسفة الرومانسية وتنظيم التخصصات في الرومانسية والعلوم ١٩٩٠ *Romantic philosophy and the organization of the disciplines, in Romanticism and sciences*. وتشمل أعمالها الأخرى على: مواهب العين: صمويل بتلر كرسام ومصور فوتوجرافي وناقد *Erewhons of the eye: Samuel*

وقد حررت *Butler as painter, photographer and art critic* (في ١٩٨٨). وقد حررت وقدمت من أعمال جورج إليوت ميدلمارش *Middlemarch* (١٩٩١) وكذلك الأدب والعلم، الثقافة الثالثة *Literature and science: the third culture* (١٩٩٨). وهي محررة النقد المقارن *Comparative criticism* وهي جريدة سنوية كان عددها العشرون عنوانه حوارات فلسفية (١٩٩٨). وتعمل الآن على كتاب عن نظرية كوليردج الأدبية.

ديفيد سيمبسون *David Simpson* أستاذ وزميل ج. ب. نيدام *G.B. Nedham* في اللغة الإنجليزية بجامعة كاليفورنيا، ديفيس *Davis*. كتب عدة كتب عن الرومانسية ومجالات أخرى كان أحدثها ما بعد الحداثة وقاعدة الأدب: تقرير عن نصف المعرفة *The academic post-modernism and the rule of literature: a report on half knowledge* (١٩٩٥) والرومانسية، القومية والثورة ضد النظرية *Romanticism, nationalism and revolt against theory* (١٩٩٣). وقد حرر الجماليات الألمانية والنقد الأدبي من كانط إلى هيجل *German aesthetic and literary criticism; Kant to Hegel* (١٩٨١)، وأصول الفكر النقدي الحديث من ليسينج إلى هيجل *The origins of modern critical thought: Lessing to Hegel* (١٩٨٨) ونشرتهما *Cambridge University Press*. ويعمل الآن في كتاب عنوانه: التحدد في موقع أو لماذا نواصل قول من أين نجيء *Situatedness or why we keep saying where we're coming from*.

ديفيد ويلبيرى *David Wellbery* هو أستاذ ويليام كريلمير *William Kurrelmeyer* في جامعة جون هوبكنز *Johns Hopkins*، وهو مؤلف سيميوطيقية وجمالية "لاوكون" ليسينج في عصر العف *Lessing's Laocoön: semiotics and aesthetics in the age of reason* (١٩٨١)، واللحظة العاكسة (المرآوية): الشعر الغنائي المبكر لجوته وبدايات الرومانسية *The specular moment: Goethe's early lyric and the beginning of romanticism* (١٩٩٦) والبلاغة الجديدة والتفكيك *Neo-retorica e deconstrução* (١٩٩٨). وقد حرر عدة كتب ونشر الكثير من المقالات عن النظرية الأدبية والأدب الألماني من القرن الثامن عشر إلى اليوم.

## المترجمان فى سطور:

### ١ - إبراهيم فتحى (المراجع)

ناقد يتبع المنهج الثقافى الذى يربط بين الفنون والآداب والتيارات الاجتماعية والفكرية.

#### من مؤلفاته:

- "العالم الروائى عند نجيب محفوظ".
- "نجيب محفوظ بين القصة القصيرة والرواية الملحمية".
- "الخطاب الروائى والخطاب النقدى فى مصر".
- "كوميديا الحكم الشمولى".
- "معجم المصطلحات الأدبية".
- "الماركسية وأزمة المنهج".

#### من ترجماتة إلى العربية:

- "قواعد الفن"، بيير بورديو.
- "أسئلة علم الاجتماع"، بيير بورديو.
- "نظرية الوجود عند هيجل"، هريبرت ماركيز.
- "المنطق الجدلي"، هنرى لوفيفر.
- "أزمة المعرفة التاريخية"، بول فين.
- "الماركسية والفن الحديث"، ف. كلينجندر.

- "التقاليد الفلسفية المعاصرة"، م. يفتشوك.
- "تاريخ علم المنطق"، ألكسندر ماكوفسكي.
- "مسألة العولمة"، بول هيرست وجراهام تومسون.
- "الإيديولوجية"، ديفيد هوكس.

## ٢ - لميس النقاش:

مدرس مساعد للأدب المقارن بقسم اللغة الإنجليزية، بكلية الآداب جامعة القاهرة تعمل بالترجمة، وقد صدر لها العديد من الكتب والمقالات، منها:  
النهضة النسائية لبث بارون، الذى صدر عن المشروع القومى للترجمة.

الإشراف الفنى : حسن كامل

